

بجته التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحامسي

للأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - ١٠٠

فشره

أحمد أمين

القسم الثالث

الطبعة الثانية

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

obeikandi.com

الجزء الثاني

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي
المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن
المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٥٣

وقال حرّان بن عمرو بن عبد مناة^(١) ،
رثى زيد الفوارس^(٢) وغيره من أبناء عمومته :

- ١ - تَبَكِّي عَلَى بَكْرٍ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهَا تَبَكِّيْهَا عَلَى بَكْرٍ
 - ٢ - هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدِ اللَّاتِ أَوْ هَلَّا عَلَى عَمْرِو
 - ٣ - تَبَكِّينَ لِرَقَاتِ دُمُوعِكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلَفِي بَنِي نَضْرٍ
- هذه امرأة ضايقت الشاعر - وهي من بطائه^(٣) - في بكرٍ باعته واشترى بثمنه خمرًا ، فسكت ، فأخذ يذكّر حالها ويُسكّر بكاءها ، فقال : تبكي هذه المرأة على بكرٍ شربتُ به ، أي شربتُ خمرًا سبأتُ بثمنه . ويروى « شَرِبْتُ به » ، ويكون أظهر .

ثم قال ، بعد أن أخبر عنها بما أخبر ، كالتلفّت إلى إنسان محضرته : سَفَهَا تَبَكِّيْهَا عَلَى بَكْرٍ . فانتصب سفها على المصدر ، وهو المفعول له . وتَبَكِّيْهَا في موضع رفع بالابتداء ، وعلى بكرٍ في موضع الخبر ، أي لسفها فعلت ذلك ، لأنّه لم يبلغ

(١) كذا ورد اسمه في النسختين . وفي المصحح ٤٦ والتبريزي : « حزاز بن عمرو ، أعمو بني عبد مناة » . وقال ابن جني : « حزاز : جمع حزازة ، وهي هبرية الرأس ، وهو ما ينتشر منه كالنخالة إذا سرحته » . ويبدو أنه شاعر جاهل .

(٢) سبق ترحمته في الحماسية ١٨٠ ص ٥٥٧ .

(٣) جمع بطانة . وفي ل : « بطائنه » .

من قدر بَكَرٍ ما تكَلَّفَتْهُ . ولو روى : سَفَهُ تَبَكَّيْهَا على بكرٍ ، فَجُعِلَ التَّبَكَّى هو السَفَهُ لم يمتنع ، وكان خبيراً مقدِّماً ، وعلى بكرٍ يكون لغوا .

وقوله « هَلَّا على زيد الفوارس » إلى آخر البيت ، هَلَّا حرف تخفيض وهو يطلب الفعل ، وذلك الفعل هو تبكين . يخاطبها ، أى هَلَّا تبكين على هؤلاء الجبال التى انهَدَّتْ ، والبحور التى غاضت بزيد الفوارس أو عمرو . ثم دعا عليها فقال : لا أرقأ الله دمعك ، أم هَلَّا تبكين على سَلَفِي بنى نصر . وإنما ثنى السَلَفَ لأنه أراد العمومة والخُولة .

٤ - خَلَّوْا عَلَى الدَّهْرِ بِمَدِّهِمْ فَبَقِيْتُ كَالْمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ

٥ - إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ إِذَا هَزَّ الْمُخَالِيعُ أَقْدَحَ الْيَسْرِ^(١)

٦ - أَهْلُ الْخُلُومِ إِذَا الْخُلُومُ هَفَّتْ وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ وَالشُّكْرُ

يقول : مضوا لسبيلهم ، وانتقلوا إلى جوارٍ مَنْ هو أملكُ بهم ، وتركوا أعباء الدهر على ظهري ، فهى تثقل علىّ وتعرضنى لنوائبه وأحداثه ، فأننا كالغرض المنصوب له ، ليس لى من يتحمّل عنيّ ، ولامن يؤازرنى أو يشدّ أزرى . ومعنى « خَلَّوْا علىّ الدهر » أى صرتُ فريسةً للدهر ، فكأنهم هم الذين أغروهم بى لما ذهبوا عنيّ وأفردونى . وهذه اللفظة تُستعمل فى إغراء الجوارح على الصيد .

وقوله « إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ » إلى آخر البيت ، يريد : المصيبة كلُّ المصيبة هم أَوْلَاكَ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمانُ وَأَسْنَتِ النَّاسُ ، واحتيج إلى مجاميع الأيسار ، لإصلاح أمر الفقراء والأيتام ، فلم يُوجدْ من يُرجع إليه أو يُعتمد على إفضاله وتفقدِهِ . وقوله « مَا أَوْلَاكَ » ماصلةٌ . ومعنى هَزَّ أَجَالَ . والمُخَالِيعُ : المقامر .

(١) التبريزى : « هر » بالراء المهملة . وقال : « ورواية من روى هر بالراء أجود من رواية من روى : هز ، لأنها أبلغ فى المدح » .

وَالْحَلَاةُ : الْقِيَار . وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ مَخَالِعًا لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْلَعُ بِالْيَسْرِ ، فَهُوَ الَّذِي يَخْلَعُ مَالَ غَيْرِهِ وَيَنْخَلَعُ هُوَ أَيْضًا مِنْ مَالِهِ ، مُنَافَسَةً وَحِرْصًا عَلَى الْمَيْسَرِ وَاكْتِسَابِ الْحَمْدِ فِيهِ وَلَهُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا هَزَّ » هُوَ ظَرْفٌ لِمَادِلٍ عَلَيْهِ « مَا أَوْلَاكَ » . يَرِيدُ أَنَّ الرَّزِيضَةَ افْتَقَارُ النَّاسِ إِلَى أَوْلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ فَلَا يُنَالُونَ . وَقَوْلُهُ « أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَمَّتْ » يَصِفُهُم بِالرَّزَاةِ فَيَقُولُ : إِذَا دَهَمَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَهَفُّو فِيهِ الْمُعْمُولُ وَتَرَلَّ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، فَهُؤُلَاءِ لِأَصَالَةِ آرَائِهِمْ يَثْبُتُونَ عِنْدَ الْمَزَاوِلَةِ ، وَيُدَاوُونَ الْأُمُورَ بِدَوَائِهَا مِنْ غَيْرِ طَبِيشٍ وَلَا سَفَهٍ ، وَلَا تَجَاوُزَ حَدٍّ وَعَمَّتْ . وَقَوْلُهُ « وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ » أَرَادَ : وَهْمُ أَهْلِ الْعُرْفِ وَالشُّكْرِ فِي الْأَقْوَامِ . يَعْنِي أَنَّهُمْ يُبْزِلُونَ الْأَقْوَامَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْمَوَالَاةِ وَالْمُدَاجَاةِ ، فَمَنْ دَاجَى كَانَ لَهُ الشُّكْرُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ وَالَى كَانَ لَهُ الْعُرْفُ .

٣٥٤

وَقَالَ زُوَيْفَرٌ ^(١) بَنُ الْحَارِثِ بْنِ ضَرَّارٍ :

١ - أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤَثِّرًا أَنَانِي صَرِيحُ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ ^(٢)
 بِرَوَى « صَرِيحُ الْمَوْتِ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ « لَوْ أَنَّهُ قَبِلَ » بِالْبَاءِ . وَمَعْنَى أَلَمْ تَرَ : اعْلَمْ ذَلِكَ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ . وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرَ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : اعْلَمْ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَرَدَّ عَلَيَّ مَا يَجْرِي تَجْرِي الْمَوْتِ الصَّرِيحِ الْخَالِصِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَنِي وَأَتَى عَلَيَّ ، وَلَكِنَّ الْقَدَرَ ثَبَّتَ قَدَمِي فِي الْأَحْيَاءِ ، فَلَمْ يُخَلِّني لِلْمَوْتِ . وَمِنْ رَوَى « صَرِيحُ » بِالْخَاءِ وَ « قَبِلَ » بِالْبَاءِ فَالْمُرَادُ : أَنَانِي دَاعِي الْمَوْتِ . وَالصَّرِيحُ يَكُونُ لِلْمُسْتَفْهِتِ

(١) التبريزي : « زويهر » .

(٢) صريح ، كتبت في الأصل لتقرأ بالمهملة والمعجمة ، مقرونة بكلمة « ممّا » .

وَالْمَعِيثَ جَمِيعًا ، وَلِلرَّادِ أَنَا نِي دَاعِي لَوْتُ لَوْ أَنَّهُ قَبِلَنِي لَكُنْتُ لَا أَمْتَعُ مِنْ
إِجَابَتِهِ لَمَّا اسْتَدْعَى ، وَإِغَاثَتِهِ لَمَّا اسْتَفَاثَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا بَقَانِي وَلَمْ يَأْخُذْنِي
فَكَانَتْهُ لَمْ يَقْبَلْنِي .

٢- وَكَانَتْ عَلَيْنَا عِرْسُهُ مِثْلَ يَوْمِهِ غَدَاةَ غَدَتْ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ
تَقْدِيرَ الْبَيْتِ إِذَا أُزِيلَ مَا فِيهِ مِنْ هُجْفَةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ : وَكَانَتْ عَلَيْنَا
عِرْسُهُ غَدَاةَ غَدَتْ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ مِثْلَ يَوْمِهِ . وَالْمَعْنَى : كَانَتْ مَفَارِقَةً
عِرْسُهُ لِنَاغْدَاةَ انْتِقَالِهَا عَنَّا ، وَقَدْ حُمِلَتْ الْجَمَالُ وَقِيدَ بِهَا ظَعِينَتُهَا مِثْلَ يَوْمِ
فَقْدِهِ ، أَيْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفُوا مِنْ مُقَادِهَا أَيَّامَ
عِدَّتِهَا أَنْسَابَهَا ، وَبِيقَاءِ دَارِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُعْهَدُ مِنْ قَبْلِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مِنْ
التَّنْقُلِ مَا رَأَتْ ، وَخَلَّتِ الدِّيَارُ مِنْهَا وَمِنْ أَسْبَابِهَا وَتَغَيَّرَتْ ، عَادَتْ لِلْمَصِيبَةِ عَلَى
أَحْيَانِهَا جَدْعًا ، وَالشَّرُّ مُسْتَفْجِلًا .

٣- وَكَانَ عَمِيدَنَا وَبَيْضَتَهُ بَيْنَنَا فَكَلَّ الَّذِي لَا قِيَتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَّلٌ^(١)
أَيْ كَانَ رَئِيسَنَا وَالْمَصُودَ بِالْحَاجَاتِ فِينَا ، وَأَصَلَ بَيْنَنَا وَأَسَاسَ خَيْرِنَا . وَقَدْ
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَيْضَةِ الْبَلَدِ^(٢) ، وَأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ . فَأَمَّا بَيْضَةُ الْخَلْدَرِ
وَبَيْضَةُ الْبَيْتِ فَلَا يَسْتَعْمَلَانِ إِلَّا فِي الْمَدْحِ . وَقَدْ صَبَغَ مِنَ الْبَيْضَةِ هَذَا فَعَلَّ ،
حَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : يُقَالُ اجْتَا حَوْثُومَ وَابْتَا ضَوْحُومَ ، إِذَا اسْتَأْصَلَوْهُم . وَقَوْلُهُ
« فَكَلَّ الَّذِي لَا قِيَتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَّلٌ » أَيْ صَغِيرٌ هَيِّنٌ فِي جَنْبِ مَا لَا قِيَتَاهُ
فِيهِ . وَالْجَلَّلُ يُسْتَعْمَلُ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِلرَّادِ بَيْضَةُ الْبَلَدِ أَنَّهُ
لِلْمَعْرُوفِ الْمَوْضِعِ ، الْمَرْجُوعُ^(٣) ، إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ ، كَمَا يَرْجِعُ صَاحِبُ الْأَدْحَى إِلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الَّذِي حَمَلَتْ » ، صَوَابُهُ فِي لِ وَالتَّبَرِيزِيِّ .

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٥٠٥ ، ٨٠٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْمَرْجُوعُ » ، صَوَابُهُ فِي لِ .

أُدْحِيَّه^(١) كيف توجّه في المرمى ، وأنّي انتجع ورعى . والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت ، وهو بيت الفخر والعز ، أنه الأصل والجُرئومة ، كما حكى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : « نحن عترة رسول الله التي خرج منها ، وببيضته التي تفقأت عنه » .

٣٥٥

وقال ابن عنمة الضبي^(٢)

في مقتل بسطام بن قيس^(٣) :

١- لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيَلُّ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضَرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ

يعظم شأن الأرض كيف ترشحت لستر^(٤) بسطام فيها ، ومن أين صارت يتسع بطنها له ميّتا وهي تضيق عن أفعاله وذكره حيا . وقال الأصمعي في تفسير ويَلُّ إنه قبوح^(٥) . ولك أن تقول « لَأَمَّ » فتنبع حركة الهمزة حركة اللام . وارتفع وَيَلُّ بالابتداء وإن كان نكرة ، لأنه علم أنه دعاء ، فحصل به مثل فائدة المعارف . ومعنى « لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيَلُّ » ثبت لَأَمَّ الأرض ويل ، فهو في لفظ ما وقع . وقوله « ما أَجَنَّتْ » ما استفهام ، وموضعه مفعول أَجَنَّتْ . يقول :

(١) هذا ما في ل وهو الأوفق ، وفي الأصل : « أدحيته » ، والأدحي والأدحية والأدحوة ، كلها بمعنى ، وهو مبيض النعام في الرمل .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٨٩ ص ٥٨٢ .

(٣) هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني . شروح الزند ١٩٧٢ . وقال ابن دريد في الاشتقاق ٢١٥ : « وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » . التبريزي : « قتله عاصم بن خليفة : وكان ابن عنمة مجاورا في بني شيبان ، فخاف على نفسه لما تنل بسطام ، فرثاه يستميل بذلك بني شيبان ، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة » . وعاصم ابن خليفة ضبي .

(٤) في الأصل : « لسير » ، صوابه في ل .

(٥) يقال قبح الله فلانا قبحاً وقبوحاً ، أى أقصاه وباعده .

سَتَرْتُ رجلاً وأَيَّ رجل ، أَى سَتَرْتُ جليلاً من الأملاك رفيعَ بناءِ العِزِّ ، واسعِ باعِ الفخر . وقوله « بِحَيْثُ أَضَرَّ » جعل حيثُ اسماً . ومعنى أَضَرَّ : دنا . والحَسَنُ : جَبِلٌ^(١) . والمعنى بِمَكَانٍ أَضَرَّ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ فِيهِ ، أَوْ أَضَرَّ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ ، حَتَّى نَكُونَ مِثْلَهَا عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ جَمِيعاً .

٢ - نُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ

يقول : نُقَسِّمُ فَوَاضِلَ مَا عِنْدَنَا مِنْ غَنَائِمٍ غَزَوَاتِهِ وَمَا بَقِيَ وَلَمْ يَقْسِمْ فِينَا لَوَقْتٍ يَخْتَارُهُ لَهُ ، فَبَقِيَ بَعْدَهُ . وَفِي اقْتِسَامِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مَا يَهَيِّجُ الْحَسَرَاتِ ، لِأَوْقَاتِ الْغَارَةِ فِي الْبُكْرَاتِ . ثُمَّ قَالَ « وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ » يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَضْيَافِ ، وَأَنَّ الْحَيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصِيرُ ضَجَّةً وَاحِدَةً ، تَلْهَفًا فِي إِثْرِ الْفَائِتِ ، وَتَذَكُّراً لَهُ ، وَتَوَجُّعاً لِمَا قُدِّدَ مِنَ الْمُسْتَأْنَفِ مِنْ تِلْكَ الرُّشُومِ وَاسْتِمْرَارِهَا . وَمَعْنَى نَدْعُوهُ نَدْبُهُ وَنَقُولُ : وَابْسِطَا مَاهُ ! وَإِنَّمَا قَالَ « مَالَهُ » لِأَنَّ مَا اجْتَمَعَ بِسَعْيِهِ وَحَدِّهِ ، وَبَأْسِهِ وَسَطَوْتِهِ ، كَانَ لَهُ . وَمَعْنَى جَنَحَ مَالٌ . وَالْأَصِيلُ الْعَشِيَّةُ . وَأَبُو الصَّهْبَاءِ : كُنْيَةُ بَسْطَامِ .

٣ - أَجِدُّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخْبُ بِهِ عُدَاوَةٌ ذَمُولٌ^(٢)

أَلَمْ فِي هَذَا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :

* يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ *^(٣)

كَأَنَّهُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ يَكْذِبُ الْمَشَاهِدَةَ وَيَدْعُ التَّصْدِيقَ بِهَا فِي الْوَقْتِ

(١) يَأْقُوت : « الْحَسَنَانِ . . . : كَثِيرَيَانِ مَعْرُوفَانِ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةٍ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْحَسَنُ ، وَلِلْآخَرِ الْحَسِينِ » .

(٢) الْبَيْرِزِيُّ : « لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ رِوَايَةَ الْمَرْزُوقِ .

(٣) يَرْفِئُ حِصْنُ بْنُ حَلِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، كَمَا فِي شُرُوحِ سَقَطِ الزُّنْدِ ٨١٣ . وَعَجَزَهُ فِي

بعد الوقت ، إما استعظماً للحال ، وإما لآفة تلحق العقل ، وضعف يتخلل التحصيل ، فكأنه بعد ما اقتصر من الحال ما اقتصر ، وشرح من الفجع ما شرح عاودته تلك الحالة وعادته ، فأقبل على نفسه يستثبتها وقال : أعلى جدّ منك ، وأنجد جدّك ، أنك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكناً منه قريباً ، على عادتك في حال الأمن معه ، ولا تراه أيضاً من بعيد في الغزو ونسیر به الخبب راحلة قوية خفيفة .

وقد ظهر بما ذكرته فائدة تكرار حرف النفي في كلامه ، لأنّ لن نفي قول القائل أسيفعل كذا زيد ؟ فيقول : لن يفعل . فقوله لن تراه نفي الرؤية في حال السلم ، ولن تراه نفي لها في حال الغزو . وتخبّ به في موضع الحال .

٤ - حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مُرَبَّةٌ دَوُولٌ^(١)
٥ - إِلَى مِيعَادٍ أَرَعْنَ مُكْفَهَرٌ تَضَمَّنَ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ^(٢)

يقول : تخبّ به ناقة بهذه الصفة وقد شدّ في الحقيبة التي ارتدّفها درع قدر ما يستر البدن ، وسرج لما جنب معه من فرس تعارض هذه الناقة في السیر ؛ وهى لعزّها وكرمها على ربّها^(٣) ، ربّت في البيوت ولم تُترك هملًا ، وسيرها الذميل . ويقال ربّته وربّته بالشدید بمعنى . والدالّ لأنّ : ضرب من السیر . والاحتقاب : شدّ الحقيبة من خلف ، وكذلك الاستحقاب .

وقوله : « إِلَى مِيعَادٍ أَرَعْنَ » يعنى به جيشاً كأنه رَعْنُ جَبَلٍ . وقيل : جيشٌ

(١) في النسختين : « دَوُول » بنقطة فوق الدال ونقطة تحتها مقرونة بكلمة « مآ » . لتقرأ بالإعجام والإهمال ، واقتصر التبريزي على رواية الدال المهملة .

(٢) في الأصل : « في جوانبها » ، وهى مطابقة لرواية التبريزي في الصلب ، لكن التفسير هنا يقتضى ترجيح ما أثبتنا من ل وتفسير التبريزي .

(٣) في الأصل : « أنها » صوابه في ل .

أرعن : له فُضُول . والرَّعْن : أنف يتقدَّم من الجبل ، والجميع الرِّعَان والرُّعُون .
مكْفَهْرٌ ، أى مرتفعٌ عالٍ . وقوله « تُصَنُّنُ في جوانبها الخيول » أى تُقَرَّن
الخيول بالأيال في جوانبها ، إذ كان لكلِّ رجلٍ راحلةٌ وفرسٌ يقوده معه .
ومثل هذا قوله :

* خَصَفْنَ بَأَثَارِ الْمَطِيِّ الْخَوَافِرِ ^(١) *

يقول : تسير به راحلةٌ معها جَنِيْبَةٌ ، إلى ميعادِ أرعن ، أى جيشٍ كثيرٍ
ضَمَّنَ جوانبُ رواحِلها الخيول . ويروى : « تُصَمَّرُ في جوانبها » بالراء ، والمعنى
تُصَنِّعُ الخيولُ وتُعدَّى في القَرَتَيْنِ ^(٢) في جوانبها . والمراد أن فرسانَ هذه
الكتيبة دأبهم ذلك .

٦ - لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ

أقبلَ يخاطِبُ المرنئَ بعد الإخبار ، على عادتهم في الكلام .
وقال أبو عبيدة : كان رئيسُ القومِ في الجاهلية إذا غزا بهم فغنمَ أخذَ من
جماعةِ الغنيمةِ ومن الأسرى والسبي على أصحابه المِرْبَاعَ ، وهو الرُّبْع ، فلذلك قال
« لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا » فصار هذا الرُّبْع الذي كان في الجاهلية للرئيس في الإسلام
خُمْسًا . وكان له الصَّفِيُّ : واحد الصَّفَايَا مِنْ جماعةِ الغنائمِ والأسلاب والكُرَاعِ
قبل التَّسْمَةِ ، وهو أن يصطفيَ لنفسه شيئًا : جاريةً أو سيفًا أو فرسًا أو ما شاء ،
وبقى الصَّفِيُّ على حاله في الإسلام : اصطفيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم سيفَ مُنَبِّه
ابن الحجاج ذا الفقار يومَ بدر ، واصطفيَ جُوَيْرِيَّةُ بنتُ الحارث من بنى المصطلق

(١) البيت لمقاس العائذى ، كما في اللسان (خصف) . وهو أول المفضلية ٨٥ . وصدره :

* أُولَى فَأُولَى يَا أَمْرًا الْقَيْسِ بَعْدَ مَا *

(٢) القرتان : الغداة والعشي .

يَوْمَ الْمُرَيْسِعِ ، فَجَعَلَ صَدَقَتَهَا ^(١) عِتْقَهَا وَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَكَانَ لَهُ النَّقِيعَةُ أَيْضًا ، وَهُوَ بَعِيرٌ يَنْحَرُهُ قَبْلَ الْقِسْمَةِ فَيُطْعِمُهُ النَّاسَ كَذَلِكَ . قَالَ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالشَّيْئِوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ ^(٢)
قَالَ : وَسَقَطَ فِي الْإِسْلَامِ النَّقِيعَةُ .

قَالَ : وَلَهُ حُكْمُهُ ، وَهُوَ أَنْ يَبَارِزَ الْفَارِسُ فَارِسًا قَبْلَ التَّقَاءِ الْجَيْشَيْنِ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ سَلَبَهُ . وَالْحُكْمُ فِيهِ إِلَى الرَّئِيسِ ، إِنْ شَاءَ نَقَلَهُ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهُ إِلَى مُجَلَّةِ الْمَنَعَمِ . وَهَذَا بَاقِي فِي الْإِسْلَامِ .

وَلَهُ أَيْضًا « النَّشِيطَةُ » وَهُوَ مَا انْتَشِطَ مِنَ الْغَنَائِمِ وَلَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ . فَبَقِيَتْ فِي الْإِسْلَامِ . وَفَدَّكَ ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، لَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ فَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً .

قَالَ : وَكَانَ لِلرَّئِيسِ الْبَسِيطَةُ ^(٤) ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهَا الْبِسْطَ ^(٥) ، وَهِيَ الْفَاقَةُ

(١) كَذَا ضَبَطَتْ فِي النَّسَخَتَيْنِ . وَالصَّدَقَةُ بِالْفَتْحِ ، وَالضَّمُّ ، وَبِفَتْحَتَيْنِ ، وَبِضْمَتَيْنِ ، وَبِفَتْحٍ فَضَمٌ ، كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ الْمَهْرُ ، كَالصَّدَاقِ بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا .

(١) الْبَيْتُ لِلْمَهْلِلِ ، كَمَا فِي اللَّسَانِ (قَدَرٌ ، نَقَعَ ، قَدَمٌ) .

(٣) كَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ ، لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ قَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ فَدَّكَ حِينَ بَلَغَهُمْ مَا حَلَّ بِأَهْلِ خَيْبَرَ ، فَبِعَثُوا بِصَالِحُونَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ فَدَّكَ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ . السِّيَرَةُ ٧٧٦ - ٧٧٧ . وَفَدَّكَ : قَرْيَةٌ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَانُ .

(٤) الَّذِي فِي الْمَعْجَمِ الْمُتَدَاوِلَةِ لَفْظُ « الْبِسُوطِ » ، وَلَمْ يَنْصَحْ فِيهَا كَذَلِكَ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِيهَا وَفِي الْبِسْطِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَبَعْضُهُمْ قَالَ الْبَسِيطُ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، وَقَدْ ضَبَطَتْ فِيهِ بِكَسْرِ اللَّيَاءِ ، وَهِيَ تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ .

أو الحِجْرُ معها ولدها، فتُجعل هي وولدها في رُبع الرئيس ولا يُعتدُّ عليه بالوَلَد .
وقال : وسَقَطَ البسيطةُ في الإسلام .

وكان له « الفضُول » وهو ما فَضَلَ بعد القِسْمة وَيَعْجِزُ عن عَدَدِ الغَزاة ،
أو لا يتناولُه القَسْمُ ، وهذا سَقَطَ أيضاً في الإسلام . قال أبو عبيدة : غيرَ أني
حَدَّثْتُ عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ
لِلَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾ ، قال : هو ما شَذَّ من الغنائم ، كالفضول . وقيل إنها منسوخة .

٧ - أَفَاتُهُ بنو زيد بن عمرو ولا يُوفى بِبِسْطَامٍ قَبِيلُ
٨ - فَخَرَ على الْأَلَاءَةِ لم يُوسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)

قوله « أَفَاتُهُ » فات يتعدَّى إلى مفعول . تقول : فَاتَنِي الشَّيْءُ ، فإذا
أَدْخَلْتَ عليه حرفَ التَّعْدِيَةِ تعدَّى إلى مفعولين . فإذا كان كذلك فأحْدُ
المفعولين محذوف ، كأنه قال : أَفَاتَتِ النَّاسَ بنو زيد بن عمرو بِبِسْطَامًا ،
أى الاتِّفَاعَ بِبِسْطَامٍ . وقوله « ولا يُوفى بِبِسْطَامٍ قَبِيلُ » بالباء يروى ، والمعنى
لا يُوفى بِدَمِهِ قَبِيلٌ ، كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا مُطَالِبُونَ بِدَمِهِ وَوَأْفُونَ بِهِ إِذَا أُتِيَ
بِهِمْ كُلُّهُمْ . وهذه الرَّوَايَةُ أَقْرَبُ إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَدْرُ الْبَيْتِ وَأَشْبَهُ . ويروى
« قَتِيلٌ » بالتاء ، ويكون الكلامُ تَحْشُرًا ، والمعنى لا يُوفى بِدَمِهِ بِبِسْطَامٍ دُمُ
قَتِيلٍ . ويقال وَفَى وَأَوْفَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

وقوله « فخرٌ على الْأَلَاءَةِ » ، [معناه^(٢)] سَقَطَ . وَالْأَلَاءَةُ : شَجَرَةٌ وَلَمْ
يُوسَّدْ ، يَسْتَعْمَلُونَهُ كَثِيرًا فِي الْقَتِيلِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَتْلَ بَعْضُهُمْ يُوَسِّدُونَ .
وقد يقال « وَسَّدَ فُلَانٌ يَمِينَهُ فِي ضَرْبِهِ » ، وهذا أيضاً مُثَلٌّ ؛ لِأَنَّ الْمِيْتَ

(١) التبريزي : « وخر » .

(٢) هذه من ل ، وقبلها في ل كلمة مطموسة أيضاً .

لا يوسد يمينه ، وإنما يراد : تجافى المكان به في حالتي الدفن والقتل . وقوله « كأن جبينه سيفٌ صقيل » يريد وجهه وإشراق لونه .

٣٥٦

وقال الهذلول بن هبيرة^(١) :

- ١- أَلِكْنِي وَفِرْ لَابْنَ الْغُرَيْرَةِ عَرْضَهُ إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ
 - ٢- فَمَا أَبْتَنِي فِي مَالِكٍ بَعْدَ دَارِمٍ وَلَا أَبْتَنِي فِي دَارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلٍ
 - ٣- وَمَا أَبْتَنِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ لِأَمْرِ مُجَالِلٍ
 - ٤- وَمَا أَبْتَنِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ لِطَارِقٍ آتِلٍ أَوْ لِقَانٍ مُسَكِّبٍ
- قوله « أَلِكْنِي » أى أعنى على أداء ألوكني ، وهى الرسالة . وقد تقدّم القول فى هذه اللفظة ؛ وأن أصلها أَلِكْنِي ، فُقِلَبَ وَقُدِّمَ اللام على الهزمة فصار أَلِكْنِي ، ثم حُذِفَت الهزمة استخفافاً وأُثْبِتَت حركتها على اللام فصار أَلِكْنِي .
- وقوله « وَفِرْ لَابْنَ الْغُرَيْرَةِ عَرْضَهُ » معناه اترك عرضَه وافراً . يقال وَفَرْتُهُ أَفْرُهُ وَفَرًا ، وهو موفور . والمراد : خُصَّ برسالتى خالداً وترك ابن

(١) كذا ورد فى النسختين . وعند التبريزى : « الهذيل بن هبيرة أحد بنى حرقة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب » . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٠٣ : « ومن رجالهم الهذيل بن هبيرة ، قد رأسهم فى الجاهلية ، وكان جراراً للجيوش » . وكان من خبر الأبيات فيما روى التبريزى ، أن الهذيل أغار على بنى كوز وهاجر من بنى ضبة ، فأصاب ثلاثين امرأة أطلق سراحهن ، إلا منصورة بنت شقيق أخت عامر بن شقيق ، واحتمل بها حتى أتى أرض قومه ، فخرج أخوها وزوجها لاستنقاذها ، فتمكنا من ذلك بعد لئى ، ثم إن الهذيل تبعهما نفسه فأغار ثانية على بنى ضبة فاستصرخ بنو ضبة ببني سعد بن زيد مناة فالتقوا وقتل من بنى تغلب ناس وهزموا أسوأ هزيمة ، ووقع ابن الهذيل - واسمه مشول - أسيراً ، أسره عبد الله وعبد الحارث ابنا ناشرة . ثم أتاها الهذيل فى ابنة وطلب من ابن الغريرة - وهو أحد جندل بن نهشل - أن يفادى ابنه أو يمن عليه ، فوعده أن يفعل ، فلما طال عليه ذلك قاله هذه الأبيات ، فأتى خالداً فأنشده ، فأعطى ابن ناشرة مائة من الإبل وأطلقه للهذيل .

الغريرة جانباً ، لا تذكر له قبيحاً ولا تُولِه مكرهاً . والرَّسالة ابتداءؤها : « فما أبتغى في مالك » . والشاعر رتب أخفاذاً وبطوناً ، وذكر أن كل واحدٍ منها كان له رئيسٌ يدور أمره عليه ، ويعتصم بأمره في الملقات . وأنه بعد افتقاد ذلك فيهم فلا طائل ولا خير عند واحدٍ منهم . ألا تراه قال : فما أبتغى في بني مالك بعد خروج بني دارم منهم ، وما أبتغى في بني دارم بعد خروج بني نهشل منهم ، وما أبتغى في بني نهشل إذا صرخ الصارخ لأمرٍ عظيمٍ بعد خروج جندلٍ منهم ، وما أبتغى في بني جندلٍ لسارٍ يسرى بليلٍ يطلب الضيافة ، أو أسيرٍ مكبلٍ يطلب من يفك أسرهُ بعد افتقاد خالد . كأنه [كان ^(١)] يأخذ بعضهم بما يتماسك به البعض الآخر ، وذلك البعض يتماسك بآخر إلى آخر القصة . وهذا على ما رتبته في نهاية الحسن . وقوله « أمرٌ مجللٌ » أى معظم . والكَيْلُ : القيد ، ورجُلٌ مكبَلٌ .

٣٥٧

وقال إياس بن الأرت ^(٢) :

- ١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَقْبَلَ وَجْهَهُ دَعَوْتُ أَبَا أَوْسٍ فَمَا إِنْ تَكَلَّمَا
- ٢ - وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخٍ لَكَ نَاصِحٍ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلْخَيْرِ تَوَّءَمَا

(١) هذه من ل .

(٢) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢٣٥ في رجال طيى ، من بني شمعى . وفي القاموس (رتب) : « وإياس بن الأرت كرم شاعر » . وأنشد له الجاحظ شعراً في الحيوان (٤ : ٣٥٩) . ابن جني في المجهج : « هو مصدر أمته أؤوسه أوسا ، إذا أعطيت . وظنه السكرى مصدر أبيت من كذا ، وليس كذلك ، ولا لأيت مصدر ، لأنه مقلوب من يئست ، ولو كان له مصدر لم يكن كذلك مقلوباً ، ولكان أيضاً تعتل فاؤه وعينه ، فيقال إست وأأس . والأرت : الذى فى لسانه عجلة ، والأنثى رتاه » . ونظير إست أأس : هبت أهاب . التبريزى : « وقال أبو العلاء : الأرت : الذى فى لسانه حبسة ، وهى الدرة . واسم الأرت خالد » .

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرَفِ ، وهو لتوقع الشيء لوقوع غيره ، ولذلك احتاج إلى الجواب ، وجوابه هنا دَعَوْتُ . فيقول : لَمَّا دَنَا الصَّبِيحُ وَأَقْبَلَ وَجْهَهُ يَنْفَلِقُ وَيُقْبَلُ ، دَعَوْتُ هَذَا الرَّجُلَ - يعني المرثى - فما أجاب . وإِنَّمَا خَصَّ وَقْتُ تَنَشُّمِ^(١) الصَّبِيحِ ، لأنَّ المريض يَخْفُتُ فِيهِ ، فَكَأَنَّهُ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَمَرِيضِهِ ، وَتَعْرِفُ خَبْرَهُ ، وَتَحْدِثُهُ عَلَيْهِ فِي الْعَارِضِ لَهُ ، دَعَاءَ فَوْجِدِهِ ثَقِيلاً ، لَا يُجِيبُ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانُهُ ، فَتَقِيَنَّ مِنْهُ قُرْبَ الْمَفَارِقَةِ ، وَالْبِعَادَ بَعْدَ الْمَقَارِبَةِ ، فَذَلِكَ قَالَ : « وَحَانَ خِرَاقٌ مِنْ أَيْخٍ لَكَ نَاصِحٌ » . وَمَعْنَى حَانَ : قَرُبَ . وَالنَّصَاحَةُ : صَفَاءُ الْوُدِّ ، وَخُلُوصُ الْعَقِيدَةِ مِنَ الْغُلِّ . وَقَوْلُهُ « وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ » يَعْنِي مَعَ مَنَابِذِهِ وَمُشَاقِّبِهِ . وَلَنْ يَكْمَلَ الْفَتَى حَتَّى يَكُونَ مُسْتَصْلِحًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَيُحِلَّ النَّاسَ سَحَابَهُمْ ، وَيُوفِّيهِمْ مُسْتَحَقَّاتِهِمْ ، إِنْ خَيْرًا خَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا .

وَقَدْ عَمِلَ لَطِيفَةٌ فِي الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ « لِلْخَيْرِ تَوْءَمًا » فَجَعَلَ الْخَيْرَ وَلَدًا مَعَهُ فَنَشَأُ^(٢) بِنَشْئِهِ . يُقَالُ : غَلَامٌ تَوْءَمٌ ، لِلَّذِي وَلَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ . وَأَتَامَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُتَمِّمٌ . وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأَمِ ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ ، كَالْتَّاءِ فِي تَسْكَاتِهِ وَمَا أَشَبَّهَهَا ، وَاجْمَعِ تَوْءَامًا ، وَفَعَالٌ^(٣) فِي الْجَمْعِ قَلِيلٌ . كَأَنَّ الْوَلَدَ وَامًّا غَيْرَهُ فِي الْإِتْيَانِ ، أَيْ وَافَقَ سَوَى الْمَثَلِ : « لَوْلَا الْوِئَامُ هَلَكَ اللَّثَامُ »^(٤) . وَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْفَصِيحِ .

٣- تتابع قِرَاشُ بْنُ لَيْلَى وَعَاسِمٌ وَكَانَ الشَّرُّورُ يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمَمًا^(٥)

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَنَسَّمَ » . (٢) ل : « يَنْشَأُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَيُقَالُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَقَدْ اخْتَلَفَ اللَّغَوِيُّونَ وَالنُّحَاتُ الْقَدَمَاءُ فِي صِحَّةِ فَعَالٍ ، هَلْ هِيَ جَمْعٌ أَوْ اسْمٌ جَمْعٍ . وَقَدْ صَنَعَ الْأَدِيبُ جَبْرَانَ النُّحَاسَ بِجَشَأَ عَنَوَانَهُ « صِحَّةُ فَعَالٍ لَيْسَتْ جَمْعًا » طُع فِي الْإِسْكَانَدَرِيَّةِ سَنَةِ ١٩٤٧ بِمَطْبَعَةِ الْبَصِيرِ . وَانْظُرْ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَلَاوِينَ خَالِيَةٍ ص ٢٣ .

(٤) انْظُرْ تَحْقِيقَهُ مُسَهَّبًا فِي حَوَاشِي مَقَانِيسِ اللُّغَةِ (٦ : ٨٠) .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا خَصَّ لِلْبَعْضِ » .

يريد : أنهم قد تداعوا في الذهاب ، وتقاطروا في الموت ، فمات الواحد بعقب الواحد ، كأنهم دُعوا بلسان واحد فأجابوا ، وكان السرور يوم مات مُلَقِي مُهْلِكَا غَيْرِ بَاقِي ، لأنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ بِمَوْتِهِ أَخَذَ قِسْطًا مِنَ الْجَزَعِ لَهُ نَخْفِي سُرُورُ النَّاسِ وَظَهَرَ جَزَعُهُمْ . وقوله « يوم مات » يعنى أبأوس . هذا من باب ما خَصَّ البعضُ بشيء من دون الجملة ، فأعيد ذكره . والدَّمدمة : الإهلاك والاستئصال . وفي القرآن : ﴿ فَمَدَّمْ عَلَيْهِمْ رِثْمُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ . ويروى : « وكان السُّرُورُ يَوْمَ ذَاكَ مُدْمَمًا ^(١) » :

ع - هَمَمْتُ يَا نَ لَا أَطْعَمُ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ حَيَاةً فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمًا
قوله : « يَا نَ لَا أَطْعَمُ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ » انتصب أطمع بأن ، ولو رُفِعَ لجاز على أن يكون أن مخففة من الثقيلة ، ويكون اسمه مضمراً ، والفعل مع ما بعده خبرٌ كأنه قال : هَمَمْتُ يَا نَ لَا أَطْعَمُ حَيَاةً بَعْدَهُمْ ، أى كُنْتُ وَطَّغْتُ نَفْسِي عَلَى الزُّهْدِ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُ قَتْلَ نَفْسِي مِنْ هَمِّي ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَكَانَ الْإِثْنَاءُ بِالنَّاسِ فِي مَصَائِبِهِمْ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مِقَاسَةِ الْبَلَاءِ مَعَهُمْ ، أَبْقَى فِي الذِّكْرِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْأَحْدُوثِ ، وَأَكْرَمَ عِنْدَ عَدِّ الْأَفْعَالِ وَعَرَضُهَا عَلَى الْعُقُولِ . وروى : « أَتَقَى » بالتاء المعجمة ، والمعنى أَوْقَى ، لِأَنَّ التَّاءَ مُبَدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ ، أَيْ أَضَوُّونَ لِلدِّينِ وَالْعِرْضِ ..

٣٥٨

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي ^(٢)

١ - أَلَا يَا عَيْنُ فَاحْتَفَلِي وَبِكَيِّ عَلَى قَرْنِمِ إِرْيَبِ الدَّهْرِ كَافٍ

(١) كنّا على الصواب في ل . وفي الأصل : « مدمما » . وروى التبريزي رواية ثالثة : « مدما » بالبدال المهملة ، وقال : « مدم من دمت الشيء ، إذا طليته وغطيته » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٩٩ ص ٦١٠ .

٢- وما للعين لا تبكي لحوطٍ وزيدٍ وابنِ غمِّهما ذُفافٍ

٣- وعبدِ الله يا لَهْفِي عليه وما يَخْفَى بزيدٍ مَنَاءَ خافٍ

٤- وجدنا أهونَ الأموالِ هُلكاً وجَدُّكَ ما نصبتَ له الأثافي

يقول : يا عينِ جاء وقتُ البكاءِ فتهيئي له ، واجمعي دموعكِ ثم فرِّقيها ، ولا مَسَاغَ لتقصيرٍ ، ولا مجالَ لتعذيرٍ . والخافِلُ من الغنمِ : التي جَمَعَت اللَّبَنَ في ضَرعِها . ومعنى بَكَّى : أَكْثَرِي البكاءَ أو كَرَّرِيهِ ^(١) . والقَرْمُ : الكريم من الرجال ، وأصله في الفحول ، وكذلك المُتَرَم ، وقد تقدَّم ذكرُهُ ^(٢) .

وقولُهُ « لَرَيْبِ الدَّهْرِ كافٍ » قد حذفَ أحدَ مفعولي كَفَى ، كأنَّهُ كافٍ الفاسِ رَيْبَ الدَّهْرِ ، أي ما رابَ من أحداثِهِ .

ثم عَدَّدَ مَنْ فُجِّعَ به من أعزَّتِهِ فوجبَ البكاءُ له ، لِيُعْلَمَ عَظِيمُ شِقَايِهِ وما أَصِيبَ به في أودائِهِ .

وقولُهُ « يا لَهْفِي عليه » يجوز أن يكونَ المُتَأَدَّى محذوفاً كأنَّهُ قالَ : وعبدِ الله لَهْفِي عليه يا قوم . ويجوز أن يكونَ نَادَى اللَّهْفِ لُيْرِي عَظِيمَ حَسْرَتِهِ ، وكالَ شِقْوَتِهِ في فُجْعَتِهِ .

وقولُهُ « وما يَخْفَى بَزيدٍ مَنَاءَ خافٍ » ، يجوز أن يكونَ موضِعُهُ رُفْعاً على أَنَّهُ يَرْتَفِعُ بِيَخْفَى ، فَكأنَّهُ قالَ : ما يَخْفَى خافٍ بَزيدٍ ، أي زَيدٌ مَناءَ لا يَخْفَى ، لأنَّ الخافِي هو زَيدٌ ، وهذا كما تقول : لَقِيتُ بَزيدَ أُسْداً . ويجوز أن يكونَ قولُهُ « بَزيدٍ » هو الفاعلُ والباءُ فِيهِ مثلُ الباءِ في قولِ الله تعالى : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ »

(١) ل : « وكرريه » .

(٢) انظر ما مضى في ص ١٠٠٦ .

شَهِيدًا . والمعنى ما يخفى زيدُ مَنَاءَ خفاءً ، وخافٍ في موضع خفاء ، لكنَّه لم ينصبه كما لم يُنصَب قوله :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرْقُ (١) *

ومثله :

* كَفَى بِالْأَنْبَى مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ (٢) *

وقتُ قائما ، وعُذْتُ بالله عاندا (٣) . وقد مضى مثله .

وقوله « وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلْكًَا » كأنَّه نَبَّهَ (٤) به على ما كانوا يُقيمونه من الضَّيَافَةِ ، ويُنفقونه من الأموال في العُفَاةِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَأَنَّ أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هَلَاكًا عَلَى نُفُوسِ السَّكْرَامِ وَأَخْفَاهَا فِي الضُّدُورِ وَالْقُلُوبِ مَا وَقَفَ عَلَى الْأَضْيَافِ ، وَصُرِفَ إِلَى مَا كُلِّهِمْ ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَشْبَهَ الْأَضْيَافَ . وَانْتَصَبَ « هُلْكًَا » عَلَى التَّمْيِيزِ . وَمَعْنَى « وَجَدْتُكَ » وَحَقُّ جَدُّكَ .

وقوله « مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَنْفَافِ » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَوْ جَدْنَا . وَالْأَنْفَافِ ، وَاحِدَتُهَا أَنْفِيفَةٌ . وَيُقَالُ : تَقَيَّتِ الْقَدْرَ وَأَنْفَيْتُهَا . فَأَنْفَيْتُهُ أَفْعُولَةٌ . وَمَنْ قَالَ أَنْفَيْتُهَا فَأَنْفَيْتُهُ عِنْدِي فُعْلِيَّةٌ ؛ لِأَنَّ الْهَمْزَ أَصْلِيَّةً . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* وَإِنْ تَأَنَّفَكِ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ (٥) *

(١) سبق قريباً في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ .

(٢) سبق مع قرينه في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ . وهو لبشر بن أبي خازم . وعجزه :

* وَلَيْسَ لَهَا إِذْ طَالَ شَافِ *

والشاهد فيهما ترك إعراب المعتل المنصوب .

(٣) بمعنى وضع اسم الفاعل موضع المصدر .

(٤) ل : « يَنْبِه » .

(٥) صدره في الديوان ٢٦ :

* لَا تَقْدُفِي بَرْكِنَ لَا كِفَاءَ لَهُ *

٣٥٩

وقال أبو صغرة البولاني^(١) :

- ١ — زُكَيْرَة وابنا أمِّه الهَمُّ وَلَمْنَى وفي الصَّدْرِ منهم كَلَّمَا غَبْتُ هاجِسُ
 - ٢ — أَوْذُهُمْ وَدَلًا إِذَا خَاسَرَ الحِشَا أضاء على الأضلاع والليل دَامِسُ
 - ٣ — بَنِي رَجُلٍ لَوْ كَانَ حَيًّا أَعَانَنِي على ضَرٍّ أَعْدَائِي الَّذِينَ أُمَارِسُ^(٢)
- يعنى بزُكَيْرَة وأخويه أولاد أخيه ، وكان تُوفِّي والدُهم فصار هو كَفَلَهُم .
 فيقول : هم الذين أهتمُّ لهم ، وأتمنَّى خيرَهم وبقاءهم ، وأقصرُ همِّي على ما تستقيم به
 أحوالهم ، وتستتبُّ له أمورهم ، ومَتَى^(٣) غبتُ عنهم كان في صدري هاجِسٌ من
 الفكرِ فيهم ، وسأخُج من التوفُّرِ عليهم ، يُحُولَانِ بَيْنِي وبين الدَّهَابِ عنهم ؛ فحسبى
 غائبُ عنهم ، وهوَائى حاضِرُهم . فهذه التي أشار إليها نتائجُ العِناية بهم ،
 ومُسَبِّباتُ الرِّعاية في النِّياية عن أخيه فيهم . ثم أخذَ يذكر ما عَرَسَه الحبُّ في
 قلبه لهم ، ورعاه صدرُه من التَّحَنُّنِ والسَّفَقَةِ في بابهم ، فقال : أَوْذُهُمْ وَدَلًا إِذَا
 خَالَطَ الحِشَا في ظُلْمَةِ الليل أضاء على الأضلاع . وإنما قال هذا لأنَّ الشَّيْءَ إِذَا
 أَشْرَقَ بالليل وعند التَّباسِ الظُّلَامِ ، فهو بالنهار أَوْلَى بالأشراق . فكانَ المعنى
 أَنَّ طَلَانَعَ حُبِّهم في مكَامِنِ صدره مضيئَةٌ الأَرْجاء ، نِيَّةُ الأَكْنافِ ، في كلِّ
 حالٍ ووقت .

وقوله « بَنِي رَجُلٍ » يعنى أخاه ، كأنه ذكر ما يقتضيه في أمرهم بما يأتيه ،

(١) عبارة الإنشاد مطموسة في نسخة الأصل . وفي ل : « أبو صغرة » ، صوابه في
 التبريزي وشروح سقط الزند ١٢٤٣ حيث أنشد البيت الثاني ، والقاموس (صغرة) . وبولان ،
 بالفتح : حتى من طيبى .

(٢) التبريزي : « بنو رجل » .

(٣) في الأصل : « ومعنى » ، صوابه في ل .

فأشارَ إلى الدَّوَاعِي القائمةِ بينه وبين أولادِ الأخ ، فقال : أذكُرُ بنِي رجلٍ لو كان في جُملة الأحياء لأعانتني على الأعداء ، وأنصفتني من الزَّمان ، ودفع عني مِن مضرَّاتهم ومُنَّا كداتهم ما يخفُّ معه ظَهري ، ويقوِّى فيه نُهوضى وجذابي .

٣٦٠

وقال الغَطْمَشُ^(١) :

من بني شَقِرَةَ بن كعب بن ثَعْلَبَةَ^(٢) :

١ - أَلَا رَبُّنَا مِنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنْتَى أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ

٢ - عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَغِيَّةٍ فَيَغْلِبُهَا فَحَلَّ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ

قوله « مَنْ يَغْتَابُنِي » مَنْ نَكَرَ وَيَغْتَابُنِي فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ ، وَ« وَدَّ أَنْتَى »

جَوَابُ رَبِّ . فيقول : رَبُّ إِنْسَانٍ يَا كُلُّ لَحْيٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ وَيَتَنَقَّصُنِي ، وَمَعَ

ذَلِكَ يَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَبَاهُ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُ عَلَى ذَلِكَ

الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ .

وقوله « عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَغِيَّةٍ » فَإِنَّ عَلَى يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ أَنْتَى أَبُوهُ ، كَأَنَّهُ

يُرِيدُ : وَدَّ أَبُوتِي سِوَاكَ كَانَ وَلَدَ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ . وَالرِّشْدَةُ : اسْمُ الْهَيْئَةِ فِي الرَّشَادِ .

وَاللَّغِيَّةُ : الْقَمَلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْغَى . وَهَكَذَا يُخْتَارُ أَنْ يَقَالَ هُوَ لِرِشْدَةٍ بِكَسْرِ

الرَّاءِ ، وَلَغِيَّةٍ بَفَتْحِ الْغَيْنِ . وَقَوْلُهُ « فَيَغْلِبُهَا » نَصَبُ جَوَابِ التَّمْنَى بِالْفَاءِ ، وَالْعَامِلُ

فِيهِ أَنْ مَضْمُورَةٌ . وَهَذَا شَرْحُ الْغِيَّةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ وَلَدِي عَلَى رِشْدَةٍ ،

أَوْ يَغْلِبُهَا فَحَلَّ مُنْجِبٌ عَلَى النَّسْلِ فَتَأْتِي بِهِ لَغِيَّةٌ . وَأَرَادَ بِالْفَحْلِ الْمُنْجِبِ نَفْسَهُ ،

(١) سَبَقَتْ لَهُ الْحَمَاسِيَّةُ ٢٩٩ ص ٨٩٣ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « بَنُ ثَعْلَبَةَ بَنُ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةٍ » . وَقَدْ كَرَّرَ أَبُو تَمَامٍ فِي هَذِهِ الْحَمَاسِيَّةِ

الْبَيْتَيْنِ ٤ ، ٥ وَهَمَا بَيْتَا الْحَمَاسِيَّةِ ٢٩٩ . وَقَدْ سَبَقَ نَظِيرُ هَذَا التَّكَرُّارِ فِي الْحَمَاسِيَّةِ ٢٣ حَيْثُ

كَرَّرَتْ فِي رَقْمِ ٢٠٩ .

هو يعنى بيفلأها على الذلل غلبة الشبه ليزنه من هجفنها . وإذا قال القائل وددت
أننى أجيئك فتكرمنى ، فقوله فتكرمنى انتصب ولم يعطف على أجيئك ، لخالفه
آخر الكلام أوله ، وذلك أن قوله أننى أجيئك متمنى غير واجب ،
وافتكرمنى ليس من التمنى^(١) بل هو واجب ، فلما خالفه نوى بالأوّل الاسم ،
وأخبر بعد الفاء أن ، لتكون الفاء عاطفة لاسم على اسم ، فكأنه قال : وددت
تجيئى إليك فإكرامك لى . وكذلك إذا قال : ألا ماء فأشربه ، يراد : لو كان
لى ماء لشربته ، تقديره : ألا ماء فشربه .

٣ - فبالخير لا بالشرّ فازج مودّتى وأى امرئ يقتال منه التّرهّب

كأنه أقبل على هذا المغتاب له ، الفاحث أثلته ، المداحى له بعداوة كامنة
مستحكمة فى الصدر فقال له : هذه المودة التى تظهرها من نفسك لى ، أزج
انتفاعك بالخير لا بالشرّ ، لأنك إن فعلت غير ذلك فإنما تحتاج إلى إصلاحه من
نفسك^(٢) ، فأما إذا كانت المودة صافية ، والعقيدة خالصة ، فإن صاحبها لا يرجو
بها إلاّ خيراً ، وكيف يرجو غيره من ثماره وهو يغرس الخير لا الشرّ . وقوله
« أزج مودّتى » أى أزج مودّتك لى ، والمصدر يضاف إلى المفعول كإيضاف إلى
الفاعل . وقوله « أى امرئ يقتال منه التّرهّب » فعنى يقتال يَحْتَكِم ، وهو يُفْتَعَلُ
من القول ، يريد أى رجل يَحْتَكِم عليه ومنه التّرهّب ، التخوف ، وترك
الشكوك والأمنّة إليه . أى كيف يطلب ودّه على الرّهبة منه .

٤ - أقول وقد فاضتْ بعينى عبرة أرأى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

(١) ل : « من التمنى » .

(٢) كذا وردت العبارة فى النسختين .

٥- أَخِلَاءُ لَوْ غَيْرَ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبٌ
 قوله « وقد فاضت بعينى عبرة » اعتراض بين الفعل ومعموله . وقوله
 « أرى الأرض تبقى » متصل بقوله « وقد فاضت بعينى عبرة » ، وهو
 من جملة الاعتراض . ومفعول أقول البيت الثانى . فيريد : أقول وقد اتصل
 بالبكاء منى ، وسالت العبرات من عيني ، إذ كنت أرى الأرض باقية ،
 والإخوان الخُلص ذاهبة ، وأنا لا أملك شيئاً : أَخِلَايَ إِنِّى مَغِيْظٌ مَغْلُوبٌ ،
 مأخوذٌ عن عَزَائِى لِمَا أَنَاهُ الدَّهْرُ ، ولكنى إذا أفكرت^(١) وكان سبب
 احترامكم الموت الذى تتساوى فيه الأقدام فلا يبقى على شريف ولا وضيع ،
 ولا صغير ولا كبير ، صدقنى ذلك عن العتب ، لأن الموت لا مَعْتَبَ عليه ؛
 ولو كان الجانى فيكم ، والسالب لكم غير الموت لمتبت على الدهر ، وقلتُ
 وأكثرتُ فى موضع القول ، وانتصفت وأسرفت فى موضع الفعل . ويقال
 عَتَبْتُهُ فَأَعْتَبَ ، أى لُئِمْتُهُ فَأَرْضَى . ويروى « أَخِلَايَ » بالقصر وإثبات ياء
 الإضافة ، و « أَخِلَاءَ » بالمد وحذف ياء الإضافة ، وهذا أجود .

٣٦١

وقالت امرأة^(٢) :

١- أَلَا فَاقْصِرِى مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ لَنْ تَرَى أَبَا مِثْلِهِ تَنْمِى إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ

(١) ل : « فكرت » . والإفكار والتفكير بمعنى .

(٢) قال أبو ريش : « والذى عندي أن هذه الأبيات لحمد بن بشير ، أحد بنى الحارثية ،
 يرقى بها أبا عبيدة بن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب » . وأبو عبيدة هذا والد هند
 أم محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ، وجده زمة كان أحد « أزواد الركب » . فذكر
 أبو ريش أن عبد الله بن حسن دعاه فقال ! إن هذا قد جزمتم على أبيها فقل أبياتاً تسليها بهن
 عنه . فقال : قد قلت ، فقال : قم فادخل . فدخل إليها وهو معه فقال :
 =

٢- وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَنْذُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

تقول منسليّة ورافعة الطّمع من أن يكون الجزعُ رُدَّ فائتًا ، فقالت كُفَى من دمع عينيك ، ونَهْنِهِي عِبْرَاتِكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مَنْ تَعْتَاضِيْنَهُ مِنْ أَيْبِكَ الَّذِي كَانَ إِلَيْهِ يَنْتَمِي الْمَفَاخِرُ . ومعنى « تَنْمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » أنه غاية المفاخر ، فهي إِلَيْهِ تَنْمِي . وَيُرْوَى : « يَنْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » بضم الميم ، والمعنى يَرْتَقِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ إِذَا نَافَرَ خَصْمَهُ وَجَادَبَهُ .

وقولها « وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ » استشهدت بطوائف الأَقْوَامِ على اختلافها ، وذكرت أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ بَنَاتِ هَذَا الْمَتَوَفَّى فِيمَا يَنْدُبْنَ بِهِ أَبَاهُنَّ وَيَذْكُرْنَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ وَإِفْضَالِهِ ، آتِيَاتٌ بِالصِّدْقِ غَيْرِ الْكَذِبِ ، وَعَاجِزَاتٌ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا أَبُوهُنَّ الْمُرْتَى ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا يُحِيطُ بِحَدِّهِ ، وَالْوَصْفَ لَا يَنْظُمُ كُنْهَ حَقِّهِ .

٣٦٢

وقال آخر^(١) :

١- سَقَى جَدًّا وَارَى أَرِيبَ بْنَ عَسَمَسٍ مِنْ الْعَيْنِ غَيْثٌ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلُهُ

= إذا ما ابن زاد الركب لم يمس باثنا
فقوى اضربي يا هند عينيك لن ترى
وكنت إذا ما شئت سنيت والدأ
وقد علم الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ

قفا صفر لم يقرب الفرش واطر
أبا مثله تنمى إليه المفاخر
يزين كما زان اليمين الأساور
صوادق إذ يندبنه وقواصر

فقامت فصاحت هي وجواربها وجعل يصيح معهن ، فقال له عبد الله : يا عدو الله دعوتك تعزبها فهيجهتها على البكاء . فقال : وبما كنت عسى أن أعزى بنت [ابن] زاد الركب ، من يعزيني أنا عنه ، لا والله لا أعزى عنه ولكني أمر بالحرز عليه وأحضر على ذلك .

(١) التبريزي : « وقال القلاخ . قال أبو هلال : في الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ .

أحدهم القلاخ الراجز بن حزن بن جناب بن منقر ، القائل :

* أنا القلاخ بن جناب بن جلا *

٣ - مُثٌّ إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاغَهُ تَعَمَّدَ سَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَسَابِلُهُ دَعَا لِقَبْرِ الْمُرْتَى بِالشَّقِيَاءِ ، وَهُوَ أَرِيْبُ بْنُ عَسَسَ . وَمَعْنَى « مِنْ الْعَيْنِ » مِنَ السَّحَابَاتِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ عَيْنِ الْقَبْلَةِ ^(١) وَهِيَ أَغْزَرُ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا . وَقَوْلُهُ « يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلَهُ » يَطْلُبُ بِهِ الْكَثْرَةَ . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ ، وَإِذَا سَبَقَ الْمَطَرُ الرَّعْدَ كَانَ النَّوْهُ أَغْزَرَ .

وقوله « مُثٌّ » لم يرض بأن يكون سقياه عارضاً ، وإن كان جعل الغيث مُثْلًا ، وهو [بمعنى ^(٢)] مقيم . وقوله « إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاغَهُ » يريد إِذَا جَاءَ مَطَرُهُ عَلَى أَرْضٍ فَوَضَعَ أَثْقَالَهُ بِهَا اِمْتَلَأَتْ الْوِهَادُ ، وَتَعَمَّدَتْ الْمَسَابِلُ بِطَوْنِ الْأَبَاطِحِ السَّهْلَةِ . وَالْبَعَاغُ : الثَّقُلُ ، وَالْجَهَازُ . يُقَالُ : بَعَّ السَّحَابُ بَعَاءً وَبَعَاغًا ، إِذَا أَحْبَّ بِمَكَانٍ فَأَلْقَى بِعَاغِهِ فِيهِ .

٣ - فَمَا مِنْ فَتَى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ ٤ - لِيَوْمٍ حِفَازٍ أَوْ لِدَفْعِ كَرْبَةٍ إِذَا عَى بِالْحِمْلِ الْمَعْضَلِ حَامِلُهُ قَوْلُهُ « فَمَا مِنْ فَتَى » يَتَّيْنُ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَتَلْخِيصُهُ مُبَيِّنًا مُعَادًا كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ : مَا مِنْ فَتَى مِنَ النَّاسِ كُنَّا نَبْتَغِي بِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ ^(٣) . فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مِنَ النَّاسِ » مِنْ صِفَةِ الْفَتَى ، وَبِهِ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَتَى . وَالْمَعْنَى : كُنَّا بِسَبَبِهِ نَبْتَغِي وَاحِدًا مِنْهُمْ - أَيْ مِنَ النَّاسِ - عَمِيدًا ، مِنْ صِفَةِ

= وَالْآخِرُ الْقَلَاخُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ :

وَلَا يَسْتَوِي يَازَيْدُ دَرَجٍ وَجَمْرٍ وَصَدْرُ سَنَانٍ فِي الْحُرُوبِ مُحَرَّبٍ وَالْقَلَاخُ الْعَنْبَرِيُّ ، ذَكَرَهُ دَعْبِلُ فِي شِمَاءِ الْبَصْرَةِ . وَهَذَا هُوَ : قَلَاخُ بْنُ حَزْنٍ . وَانْظُرِ الْمَوْتَلَفَ ١٦٨ وَالْإِشْتِقَاقَ ١٥٣ وَاللَّكْنِيَّ ٦٤٧ وَالشُّعْرَاءَ ٦٨٨ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنَ السَّحَابِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنِ الْقَبْلَةِ » ، وَفِيهِ تَحْرِيفٌ .

(٢) بِمِثْلِهَا يَلْتَمِ الْكَلَامُ .

(٣) انْظُرْ مَعَاهِدَ التَّنْصِيصِ (١ : ١٦) . وَهُوَ فِي تَعْقِيدِهِ شَبِيهُ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

الواحد، لأنّا جعلنا واحداً مفعولاً لفبتغى . نُبَادِلُهُ ، أى نُبَادِلُ به الناسَ ،
فَحَذَفَ الجارَّ وقال نبادله . على هذا قول عارِقِ الطائي :

* وليس من الفوتِ الذى هو سابقه^(١) *

أى سابقٌ به . وخبر ما محذوف ، كأنّه قال : ما فتى ذا صفتَه بموجودٍ في
الدنيا ، وما أشبهه .

وقوله « ليوم حِفَاطٍ » اللام تعلق بقوله نبادله ، [أى نُبَادِلُ^(٢)] به لهذا
الشأن ، وهو أن يحافظ على حسبه محافضةً السكرام ، أو يدافع الكرائه
والشدائد لدى الجدَلِ والخِصامِ ، في وقتٍ من الزّمان يعزُّ من العشير من يكفيه
المضيمه ، وترى الناهض بالاثقال لتَضاعِفِ المُون والبلايا يعيا بما يحمله فيعده
داءً عُضالاً . وأصل العضل : المَنع والتضييق . ويقال عُضَلَتِ المرأةُ وعُضَلَتْهَا ،
إذا مَنَعَتْهَا من التّزويج . وعُضَلَتْ ، إذا عَسَرَ ولادُهَا^(٣) .

٥- وَذِي تُدْرَا مَا لَلَيْثُ فِي أَصْلِ غَابَةٍ بِأَشْجَعٍ مِنْهُ عِنْدَ قِرْنٍ يُنَازِلُهُ^(٤)

٦- قَبِضَتْ عَلَيْهِ الْكَفَّ حَتَّى تُقَيِّدَهُ وَحَتَّى يَفِيَّ لِلْحَقِّ أَخْضَعَ كَاهِلُهُ

قوله « وَذِي تُدْرَا » الواو عاطفة ، وانجَرَّ ذِي بِإِضْمَارِ رُبٍّ . وَتُدْرَا : تُفَعِّلُ
من الدَّرءِ ، وهو الدَّفْعُ بِشِدَّةٍ . فيقول : رُبَّ رَجُلٍ هَكَذَا مَا الْأَسَدُ فِي خِدْرِهِ
بِأَقْوَى قَلْبًا مِنْهُ نَظِيرٌ لَهُ فِي بَأْسِهِ وَشِدَّتِهِ يُنَازِلُهُ . فقوله « مَا الْيَاسُ » إلى آخر
البيت ، من صفة ذِي تُدْرَا . والغاية : الأجمة . وَإِنَّمَا قَالَ « فِي أَصْلِ غَابَةٍ »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « من الموت » من حماسية تأتي في الرابع . وصدده :

* إلى المنذر الخير بن هند تروده *

(٢) التكلمة من ل .

(٣) الولاد : الولادة . وفي الأصل : « ولدها » ، صوابه في ل .

(٤) التبريزي : « في أصل غابه » .

إشارة إلى دخوله وتمكُّنه من غايتها . والمفازة إنما تكون عند تضايق المجال وتَدَانِي [أطراف^(١)] موضع الالتقاء ، عن الإقدام والإحجام .

وقوله « قَبِضْتَ عَلَيْهِ الْكَفَّ » يقول : جَمَعْتَ عَلَيْهِ قَبِضَتَكَ فَمَنَعْتَهُ عَنِ الْإِنْفِصَالِ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْ إِسَارِكَ ، حَتَّى أَمَكَّنَكَ مِنَ الْإِقْتِيَادِ مِنْهُ ، وَحَتَّى عَادَ كَاهِلُهُ خَاضِعًا لِلْحَقِّ رَاضِيًا بِهِ . وَالْخُطَابُ بِجَمِيعِ هَذَا لِلرَّفِئِ . وَإِنَّمَا يَصِفُهُ بِجُسْنِ الثَّبَاتِ فِي مَعَارَكَةِ الْخُصُومِ وَمِزَاوَلَتِهِمْ ، وَأَنَّهُ بَاقِي الصَّبْرِ فِي اسْتِيفَاءِ الْحُقُوقِ عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ « كَاهِلُهُ » يَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ بِقَوْلِهِ بَنِي^(٢) . وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْمَضْمَرِ فِي بَنِي ، وَحِينَئِذٍ يَحْتَمِلُ ضَمِيرًا لَدَى تَدْرَأِ . وَأَخْضَعَ يَنْتَصِبُ عَلَى الْحَالِ فِي الْوَجْهِينِ جَمِيعًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفِعَ أَخْضَعَ فَيَكُونُ خَبْرًا مُقَدِّمًا ، وَكَاهِلُهُ يَكُونُ مُبْتَدَأً . وَالْأَخْضَعَ : الَّذِي فِي عُنُقِهِ انْخِفَاضٌ وَتَطَاطُؤٌ .

٧ - فَتَى كَانَ يَسْتَحْيِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِ وَيُذَكِّرُ نَائِلُهُ

[رَاجَعَ الْإِخْبَارَ عَنْهُ ثَانِيًا^(٣)] فَيَقُولُ : هُوَ فَتَى كَانَ الْحَيَاءُ يَمْلِكُهُ فَلَا يَتَعَاطَى مَا يَقْبُحُ فِي الْأَحْدُوثة ، وَلَا يَسْمَعُ مَنَكْرًا إِلَّا أَلْفَاةً ، وَلَا رَأْيَ مُسْتَشْنَعًا إِلَّا رَفْضَهُ وَأَقْصَاهُ ، لِيُطِيبَ مَسْمَعُ مَا يُرَوَّى عَنْهُ ، وَمَنْظَرُهُ فِيمَا يُشَاهَدُ مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِ » يَقُولُ : تَيَقَّنَ أَنَّ الْخُلُودَ لَا مَطْمَعَ فِيهِ ، فَإِنَّ الَّذِي لَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يَقْدِّمُهُ لِمَثُوبَةٍ ، وَادِّخَارًا لِأُكْرُومَةٍ ، إِذَا تَحَدَّثَ عَنْهُ بِهَا كَانَ ذِكْرُهُ حَيًّا وَإِنْ كَانَ الشَّخْصُ فِينَا مَغِيْبًا .

(١) التكملة من ل .

(٢) ابن جنى : « أراد بني » ، أى يرجع ، فحذف الهمزة البتة ، كما حكى عنهم : جابجى .

وسايسو .

(٣) التكملة من ل .

٣٦٣

وقال الضبي :

- ١ - أأبئ لا تبعد وليس بخالدٍ حتى ومن تُصبِ المنون بعيدُ
- ٢ - أأبئ إن تُصبحَ رهينَ قرارةٍ زلجِ الجوانبِ قعرُها ملحدُ^(١)
- ٣ - فلربُّ مكروبٍ كرزت وراءهُ فمَنَعته وبنو أبيه شهودُ
- ٤ - أنفًا ومخميةً وأنك ذائدُ إذ لا يكادُ أخو الحفاظِ يدودُ
- ٥ - ولربَّ عانٍ قد فككتِ وسائلِ أعطيته فعدا وأنت حميدُ
- ٦ - يُثنى عليك وأنت أهلُ ثنائه ولديك إمّا يسزِدك مزيدُ

البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام: فقوله «لا تبعد» ما يُندب [به^(٢)] الموتى على إظهار الفاقة إلى حياته ، وقد مرَّ القول فيه^(٣) . وقوله «وليس بخالدٍ حتى» تسلي^(٤) وإيمانٌ بمحتوم القدر ، وأنَّ ذلك يوجب على المُصاب الصبرَ والانتساء بفرق الخلق . وقوله «ومن تُصبِ المنون» بعيد^(٥) .

(١) التبريزي : « زلج » . والزلج ، بالفتح : الدحض المزلة ، وهو وصف بالمصدر . ويقال مكان زلج أيضاً بفتح فكسر . وكتب في ل لتقرأ « زلج » و « زلخ » بنقطة في الأعلى وأخرى في وسط الجيم ، وهما بمعنى .

(٢) هذه من ل .

(٣) انظر ما مضى في ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٤) في الأصل : « تشك » ، صوابه في ل .

(٥) التبريزي : « قال أبو العلاء : قوله ومن تُصبِ المنون جزم بمن ، ولم يأت للشرط

بالجواب . وهذا على إرادة الفاء ، كأذه قال : ومن تُصبِ المنون فهو بعيد . ومثله : من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاً

أراد : فالله يشكرها . ومثله قول أبي ذؤيب :

فقلت تحمل فوق طوقك إنها مطبعة من ياتها لا يضيها .

تَبْرُؤٌ مِنَ الْجَرَى عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي الْمَصَائِبِ وَاعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْمَوْتَ يَبْعَدُ الْإِلْتِقَاءَ
بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، فَلَا تَزَاوَرُ وَلَا تَرَاوُلُ ، وَلَا تَخَاطُبُ وَلَا تَكَاثُبُ .
فَكُلُّ هَذَا تَحَسُّرٌ وَتَوَجُّعٌ .

وقوله « أَأَبَىٰ إِنْ تُصْبِحَ رَهِينَ قَرَارَةٍ » جواب الشرط أوَّل البيت
الذي يليه ، وهو قوله « فَلَرَبٌّ مَكْرُوبٍ » . والمعنى : إِنْ خَلَيْتَ مَكَانَكَ مِنَ
الدُّنْيَا وَصِرْتَ مَرْهُونًا فِي قَرَارَةِ قَبْرِ زَلَقِ الْجَوَانِبِ ، صَرِيحُهُ لَا يُنْقَشُ ، وَرَهِينُهُ
لَا يُفَكُّ ، وَأَسِيرُهُ لَا يُتَخَلَّصُ بِمَنْ وَلَا فِدَاءَ ، وَلَزِيمُهُ لَا يَتَمَلَّسُ ^(١) لَوْ قَتِ
وَعِدَادٍ ، فَلَرَبَّمَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا . وقوله « قَعَرُهَا مَلْحُودٌ » ، تَصْوِيرٌ
لِلْقَبْرِ بِلَحْدِهِ .

وقوله « فَلَرَبٌّ مَكْرُوبٌ كَرَّرْتَ وَرَأَاهُ » يريد : رَبُّ مُضَيِّقٍ عَلَيْهِ أَسْلَمَهُ
بَنُو أَبِيهِ لَمَّا امْتَحَنَ بِهِ حَتَّى تَمَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْهُ ، أَنْتَ تَعَطَّطْتَ عَلَيْهِ ، وَصَرَفْتَ
عَنَابَتِكَ إِلَيْهِ ، نَخَفَّتْ ثِقَلُهُ ، وَأَلْقَيْتَ عَنْهُ وَزْرَهُ ، وَدَفَعْتَ مِنْ قُوْرَتِهِ ^(٢)
دُونَهُ ، وَمَوَالِيَهُ مِنْ بَنِي الْأَعْمَامِ وَغَيْرِهِمْ حُضُورًا لَا يَرَعُونَ لَهُ إِلَّا ، وَلَا يَحْفَظُونَ
لَهُ عَهْدًا .

وقوله « أَنْفًا وَنَحْمِيَّةً » انتصب على [أَنَّهُ ^(٣)] مفعول له ، وما بعده
معطوفٌ عليه وفي معناه ، كَأَنَّهُ ذَكَرَ الْعِلَّةَ الْمَوْجِبَةَ لِمَا أَتَاهُ فَقَالَ : فَعَلْتَ ذَلِكَ
حَاجَةً وَأَنْفَةً ، وَأَنَّ عَادَتَكَ الْمُدَافَعَةَ عَنْ كُلِّ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِجَهْلِكَ ، أَوْ يَتَمَسَّكُ
بِعُرْوَةٍ مِنْ عُرَى عَنَابَتِكَ ، غَرِيبًا كَانَ أَوْ نَسِيبًا ؛ وَهَذَا تَفَعُّلُهُ فِي وَقْتٍ يَزْهَدُ

(١) التملص والتفלט . في الأصل : « التمسك » ، صوابه في ل .

(٢) المألوف في التعبير « من فوره » أى قبل أن يسكن . لكنه أراد المرة من الفور .

(٣) التكبلة من ل .

الناس في الإحسان ، لشدة الزمان ، ويُرَى المحافظ ممسكاً والمراعى مُهملاً .
 وقوله « ولربّ عان قد فككت » فالعاني : الأسير ، وأصله من عنا يعنوا ،
 إذا خضع . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . فيقول :
 ربّ مأسورٍ أخرجته من ضيق الإِسارِ إلى سعة الأمان ، فأطلقت كِبَلَهُ ،
 ونزعت غَلَّهُ ؛ وربّ سائلٍ اجتدّك فأغنيتّه ، وعن التجوال أقعدته ، فانصرف
 عندك وهو يُدِنِي عليك ويتشكّر^(١) نعمتك ؛ وقد استحققت عليه ذلك بما
 أسديته إليه ، ولو عاد إليك لوجد معاداً لا ضَجَرَ منك بلحقّه ، ولا سامةً فيك
 تمحّته ، وإن استزاد زِدته ، لا يُمنَع من موجود ، ولا يُحال على مفقود .

٣٦٤

وقال عكرشة أبو الشغب^(٢)

يَرِنِي ابْنَهُ شَغْبًا :

- ١ - قد كان شَغْبٌ لو أن الله عمره عِزًّا تَرَادُّ به في عِزِّها مُضَرٌّ
- ٢ - فارقت شَغْبًا وقد قوسّت من كِبَرٍ لِبِئْسَتِ اخِلَتَانِ : الشَّكْلُ والكِبَرُ
 يعظم شأن ابنه ، وذلك أنه كان قد برع في فضله ، وورد أبواب الملوك
 فقبلته العيون والقلوب نباهةً وحلاوةً ، وتوجّهاً وتقديماً . فقال : لو أن القضاء
 أمهل ابني شَغْبًا ولم يُعاجله^(٣) عن استكمالهِ ، وعن الاستمتاع بما توخّده من
 فضائله ، لكان بقاؤه عِزًّا مُستجدًّا لقبائل مُضَرٍ كلّها ، تُضَيِّقُهُ إلى عِزِّها ،
 وتبجّج باستقرارها .

(١) هذا ما في ل . والتشكر : الشكر . وفي الأصل : « ويشكر » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٣١٤ ص ٩٢٧ .

(٣) في الأصل : « يعاجله » ، صوابه في ل .

وقوله « فارقَتْ شَعْبًا » عاد إلى ما يخصُّ نفسه من الفَجْع بموته ، والجزع لفراقه ، فقال : فارقته والكِبَرُ قد صاحني ، وحَيَّ ظهري ، وانتقصَ جَلَدِي ، وأوهنَ قُوَايَ ، ولا أملَ في إدراكِ مثله ، ولا استقلالَ بالنهوض بأعباءِ أهله . ثم قال متحسرًا : بُدِست الخَلَّتَانِ المجتمعَتانِ لي : ثُكلُ مَنْ لا يُعتاضُ منه أبَدَ الدَّهرِ ، والكِبَرُ المقصَّرُ للأملِ ، المقربُ ليومِ الأجلِ .

٣٦٥

وقال آخر يرثي ابنه :

- ١ - لِّلّهِ دَرُّ الدَّافِنِيكَ عَشِيَّةً أَمَّا رَاعُهُمْ فِي الْقَبْرِ مَثْوَاكَ أَمْرَدًا
٢ - مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَمَنْ زَارَهُمْ فِي دَارِهِمْ زَارَ هُمُودَا
قوله « لِّلّهِ دَرُّ الدَّافِنِيكَ » ، فَدَرُّ ، وإن كان في الأصل مصدرًا فقد لَزِمَ هذا الموضعَ وجرى الكلمةُ به لسكثرة الاستعمال تجرى : لِّلّهِ خَيْرُكَ ، فلا يعمل في ظرفٍ ولا في حالٍ ؛ ولا في شيء مما يعمل فيه أمثاله من المصادر . فيقول على وجه التعجب من الذين تولَّوا دَفْنَهُ في عَشِيَّةِ يَوْمِهِ : لِّلّهِ دَرُّهُمْ ، أَمَّا أَفْزَعُهُمْ مُقَامُكَ فِي الْقَبْرِ على استقبالِ شَبَابِكَ ، ونضارةِ غُصْنِكَ وقُرْبِ ميلادِكَ ، حين لم تجتمع نفسك ، ولا تَوَجَّهَ وَجْهُكَ . وفي طريقته قولُ الآخر (١) :
- أَيَا شَجَرَ الْخُطَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ (٢)

(١) هو الفارعة ، أو فاطمة ، أو ليل بنت طريف ، أخت الوليد بن طريف . حامة البحرى ٤٣٥ ووفيات الأعيان في ترجمة الوليد بن طريف .

(٢) أنشد الذّالِ أربعة أبيات من قصيدة البهت في الأمالي (٢ : ٢٧٤) وفي العقد

(٣ : ٢٧٩) ستة أبيات منها ، على حين أنشد ابن خلكان القصيدة بأجمعها .

وَأَبْلَغُ مِنْهُمَا قَوْلُ الْآخِرِ^(١) :

أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاهُ بِأَسْوَقِ
وَانْتَصَبَ «أَمْرَدٌ» عَلَى الْحَالِ ، وَأَصْلُ التَّمَرُّدِ التَّمَلُّسُ وَالْانْجِرَادُ . يُقَالُ :
صَخْرَةٌ سَرْدَاءٌ ، إِذَا لَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهَا شَيْءٌ .

وَقَوْلُهُ «مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوِرُ بَيْنَهُمْ» هَذَا حَالُ الْأَمْوَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
يَتَجَاوِرُونَ وَلَا يَتَزَاوِرُونَ ، وَمَنْ زَارَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ مَتَا انْصَرَفَ عَنْهُمْ بِالْخَلِيَّةِ ،
وَالزِّيَادَةُ فِي الْقَمَّةِ وَالْحُسْرَةُ . وَالْهَمْدُ : جَمْعُ هَامِدٍ ، وَهُوَ الْمَيِّتُ ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ هُمُودِ
النَّارِ . وَيُقَالُ لِلثَّوْبِ إِذَا بَلَى : قَدْ هَمَدَ .

٣٦٦

وَقَالَ لَبِيدٌ^(٢) :

١ - لَعَمْرِي لَنْ كَانَ الْمُخَبَّرُ صَادِقًا لَقَدْ رُزِنَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ جَعْفَرُ^(٣)
٢ - أَحَا لِي أَمَا كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فَيُعْطِي وَأَمَّا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ
يُرْنِي بِهَذَا أَرَبْدَ أَخَاهُ . وَقَوْلُهُ «إِنْ كَانَ الْمُخَبَّرُ صَادِقًا» فَهُوَ قَدْ عَلِمَ صِدْقَ
الْحَدِيثِ ، لَكِنَّهُ لَا سَتْعَظَامَهُ لِلنَّبَأِ ، وَنَخَامَةُ أَمْرِ الْمَتَوَفَّى فِي النَفْسِ وَعِنْدَهُ ،
يَرْجِعُ عَلَى الْمُخَبَّرِ بِالتَّكْذِيبِ ، وَيُدْخِلُ الشَّكَّ عَلَى الْمَشْهُودِ وَالْمَسْمُوعِ ، كَمَا قَالَ
الْآخِرُ^(٤) :

(١) هُوَ الشَّيْخُ بْنُ ضَرَّارٍ . وَسَيَأْتِي فِي الْحَمَاسِيَةِ ٣٨٨ .
(٢) هُوَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ جَعْفَرٍ الْعَامِرِيُّ ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، وَأَحَدُ مَخْضَرِي
الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . ابْنُ سَلَامٍ ٤٨ ، وَالشُّعْرَاءُ ٢٣١ - ٢٤٣ ، وَالْأَغَانِي (١٤ : ٩٠ - ٩٨)
سَوَالِحُ الزَّانَةِ (١ : ٣٣٤ - ٣٣٩) وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ (٦ : ٢٠) وَأَسَدُ الْغَابَةِ وَالْإِصَابَةُ
سَوَالِحُ الْإِسْتِيعَابِ .

(٣) الْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِ لَبِيدٍ ٣ طَبْعَ ١٨٨١ .

(٤) هُوَ النَّابِغَةُ يَرْنِي حَصْنُ بْنُ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ ، كَمَا فِي شُرُوحِ سَقَطِ الزَّنَدِ ٨١٣ .

(٣ - حَمَاسَةٌ - ثَالِثٌ)

* يقولون حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ^(١) *

واللام من « لَعَمْرِي » لام الابتداء ، ومن قوله « لئن » هي الموطئة للقسم ، ومن قوله « لقد » هي جواب القسم .

والمعنى : وبقي لئن ورد هذا الخبر من صادق برىء من الحسد والتزيُّد مؤدِّ لما تحقَّقه سماعاً أو عياناً . لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمِرْزِيَّةٍ عظيمة فظيمة .

وقوله « أخألى » انتصب عن « رُزِئْتُ جَعْفَرُ ، أَى رُزِئْتُ شَقِيقًا لى هذا صفته ، وهو أن سماحته وتكرُّمه كانا يبعثانه على بذل كلِّ حَسَنَةٍ تُقْتَرَح عليه ، وأن سلاسته وسهولته تدعوانه إلى التَّجَانِي عن كلِّ سَيِّئَةٍ تَبْدُرُ إليه .

٣٦٧

وقالت زينب بنت الطَّثَرِيَّة^(٢) ترثى أخاها :

١- أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بطنِ الْعَقِيقِ مَجَاوِرِي مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ^(٣)

الأثل : شجر . وإنما قالت ما قالت منكِّرةً ومستوحِشةً ، إذ كان الحكم

(١) عجزه : * فكيف بحصن والجبال جنوح *

(٢) كلمة « بنت » ساقطة من النسختين .

(٣) الطثرية أمها ، وهي من الطائر ، بالفتح : حتى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الشاء المثناة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وهي ترقى بهذه الأبيات أخاها يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وكان يزيد جميلًا شريفًا متلافا ، توفي سنة ١٢٦ . وروى أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١١٦) أن الأبيات لأُم يزيد ، وهي من الأزد . قال : ويقال إنها لوحشية الجرمية .

(٤) الأبيات في حاشية البحترى ٤٣٣ والبيان للجاحظ (١ : ٢١٦) والأغاني وأمالى القالى (٢ : ٨٥) . والبيتان ٢ ، ٣ من هذه المقطوعة قد رويها فيما مضى في الحماسية ٣١١ للعجير السلولى . قال القالى : « وفيها أبيات تروى للعجير السلولى ولها » .

عندها أن تتغير الأمور عن مقارها لموت أخيها، فتتحوّل الأحوال وتبدّل الأبدال، وتتخسّع الجبال، وتتقلع الأشجار؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرت متوجّعة ومتحسّرة، فقالت: إن بطن العقيق ومنابت أئله بما تحويه أرى مقيا في جوارى على ما كان عليه، وأخى يزيد قد دكاه محتوم القضاء فذهب به غوائله. ويقال: غالته الغوائل، أى أهلكته المهلكات، وهذا كما يقال: علقت به العلوق. وانتصب «مقيا» على أنه مفعول ثانٍ لأرى، ومجاورى في موضع الجزّ على أنه صفة لبطن العقيق.

٢ - فَنَتَى قَدْ قَدَّ السَّيْفُ لَا مَتَضَائِلَ وَلَا رَهْلَ لَبَاتِهِ وَأَبَاجِلِهِ^(١)
وصفه بأنه في خليفة السيف تجرّداً واقتضاباً، وعلى خلقه مضاء ونفاذاً. وقوله «لا متضائل» يريد أنه شهيم حتى النفس والقلب، جرىء المقدّم، لا يتخاشع لشيء ولا يماوت على حدّث. والضؤولة، أصله الدقة. والرهل: المسترخى. يصفه بقلة اللّحم على الصدر والساق. والأباجل: جمع أنجل، وهو عرق^(٢). وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها. وجمعه كما يقال هو ضخم العنانين، كأنه أراد ما حوله.

٣ - إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوْرًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى نَسْتَقِلَّ مَرَاجِلَهُ
العذور: السيّء الخلق، القليل الصبر فيما يطلبه ويهيم به. وإذا ظرف لقوله «كان عذورا». وصفه بأنه يجمع الحى لأمره فيطاع، لسيادته وجلالة محله، وأنه إذا نزل به الأضياف قام بنفسه في إقامة القرى لهم، غير معتمد على أحد فيه، وأنه يعرض له وفي خلقه عجلة يركبها، وتشدد في الأمر والنهي على جماعة الحى به بصرفها، حتى تنصب المراحل، ونهياً المطاعم؛ فإذا ارتفع

(١) التبريزي: «وبأدله»، وهى رواية البيهقي والقالى أيضاً.

(٢) هو عرق فى باطن الذراع، أو هو عرق غليظ فى الرجل.

ذالك على مُرادِهِ عاد إلى خُلُقِهِ الأوَّل . والمراحل : جمع مَرَجَل ، وهى القُدْر
العظيمة النُحاسية ، واستقلالُها : انتصابُها على الأثافي . وحتى تَسْتَقِلَّ ، أراد
لنستقل وكى تستقل . أى كان عَدَوْرًا لذلك الشأن .

٤ - مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاَصَّةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا سَحَائِلُهُ
يقول : أجاب دَاعِيَهُ فضى لوجهه ، وورِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاَصَّةٍ . فانتصب
دريسَ على أَنَّهُ مفعول ثانٍ . ويقال : ورِثْتُهُ كذا وورِثْتُ مِنْهُ كذا . فعلى هذه
اللغة كان أصله وَرِثْنَاهُ مِنْهُ ، فحذفَ الجارَ ، ووصلَ الفعلَ فَعِيل . والدريس :
الخالق من الدرع وغيره ، لأنَّهُ كأنه فَعِيلٌ بمعنى مفعول . والجمع الدَّرِسان .
والمُفَاَصَّة : الدرع الواسعة . وأبيض ، أى وسيمًا أبيض . وجعله طويلَ الحائل
لطول قَوَائِمِهِ . والمعنى أَنَّهُ أَتَفَقَ مَالُهُ فى ما ادَّخَرَهُ أَجْرًا ، ونَشَرَ لَهُ سَحْدًا
وشُكْرًا ، فلم يكن إِزْنُهُ إِلَّا ما ذَكَرَ من السَّلاح .

٥ - وقد كان يُرَوِّى المشرقى بكفِّهِ وَيَبْتَاعُ أَقْصَى حَجَرَةٍ الحى نَائِلُهُ^(١)

وصفه بأنه كان غزاء شديد النكاية فى الأعداء ، فكان يُعطى السيف
حقه إذا أعمله ، ويُرويه من دِماء مُشَاقِيهِ وَمُنَابِذِيهِ إذا جرَّده ، ويبلغُ أبعد
ناحية الحى عطاياه . وإنما قالت « يُرَوِّى المشرقى بكفِّهِ » لأنها تريد أنْ نهضته
فى ذلك بنفسه خاصَّةً من غير اعتمادٍ على حميم أو غريب ؛ لأنه كان لا يجرُّ
الجرائر على ذويه ثم يتركهم لها ، ولكن كلَّ ما أناه أو تجشَّمه فبنفسه لا بغيره .
٦ - كريمٌ إذا لاقِيَتْهُ متبَسِّمًا وإِذَا تَوَلَّى أَشْعَثُ الرَّأْسِ جَافِلُهُ
قولها « كريم » ارتفع على أَنه خبر مبتدأ محذوف . أرادت : هو كريم إذا
لاقِيَتْهُ متبَسِّمًا . فانتصب « متبَسِّمًا » على الحال . وجواب إذا يدلُّ عليه كريم .

(١) هذا البيت وتاليه وتفسيرهما ساقط من نسخة الأصل ، وإثباتهما مع تفسيرهما من ل .

فتقول : إذا لقيته راضياً ساكناً متبسماً لاقيت منه طَلَمَةً الكرام وأفعالهم ، وإن أعرضَ عنك وولّى وجدته أغبرَ الرأس كثير الشعر ، لا يهتُمُ أمرُ نفسه في اللباس والطعام ، وإنما به الغزو والسعى في إصلاح أمر العشيرة ، وما يكسبه الجمال والشرف .

وقولها « أشعث الرأس » أى اغبرَّ شعره وتلبّد . والفعل منه شَعَثَ شَعَثًا وشَعُوثةً ، وهو أشعثُ وشَعِثُ . وقولها « جافله » من قولهم : أخذتُ جُفْلَةً من الصوف ، أى جُزَّةً منه . وفى كلامٍ لهم عن الضائنة : « أَجَزُّ جُفَالًا ^(١) » . ويقال : جافل ، ومُجْفِل .

٧ - إذا القوم أمّوا بيته فهو عامِدٌ لِأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا به فهو فاعِلُهُ يجوز أن يريد بالقوم رجالَ الحىِّ خاصّةً ، ويجوز أن يريد به طوائف الرّجال ، ويكون المرادُ به الكثرة . وإنما وصفتهُ بأنه مدبّر المشيرة عندما يدهمهم ، والمشيرُ عليهم فيما يَجْزُبُهُمْ ، فإذا قَصَدُوا حضرته فائِلين ما نأمرُ وكيف نصنع ؟ أرشدَهم وهَدَاهُمْ ، وتحملَ عنهم ما يثقلُ عليهم . ثمّ بعد ذلك تَعَمَّدَ إلى أحسنِ ظَنُونِهِمْ به فيأتيه معهم لا متبرِّمًا ولا مُتَكَرِّهًا ، بل باسطًا من أَمَالِهِمْ ، وجامعًا الحسن ^(٢) فى كل بابٍ لهم .

٨ - تَرَى جَازِرِيَهُ يُرْعَدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْنَا عَدَامِيْلُ الْهَشِيمِ وَصَامِلُهُ

٩ - يَجْرَانِ ثَنِيًّا خَيْرُهَا عَظْمُ جَارَةٍ بِصِيرًا بِهَا لَمْ تَفْدُ عَنْهَا مِشَاغِلُهُ ^(٣)

(١) هو مما وضعوه على لسانها . وفى اللسان : « أولده رخالاً ، وأحلب كشيًا ثفالاً ، وأجز جفالاً ، ولم تر مثلى مالا » . قوله جفالاً ، أى أجز بمرة واحدة ، وذلك أن الضائنة إذا جزت فاليس يسقط من صوفها إلى الأرض شئ. حتى يجز كله ويسقط أجمع .

(٢) ل : « الحسنى » .

(٣) التبريزى : « عظم جاره » .

جعلت له جازرين على عاداتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين ، كالباين والمستغلي في الحلب ، والماتح والقابل في الاستقاء . وجعلهما يرعدان لشدة البرد ، وإنما تعني وقت الجذب وعند إحمال الناس . والعداميل : العتيق من الخشب الغليظ ، واحدها عُدْمُولٌ على القياس وعُدْمُلِيٌّ . والصامل : اليابس . والمعنى : إذا اشتد الزمان وشمل القحط واشتد البرد ، كان له جازران ينحران ، ونارُهُ عَظِيمَةٌ وقودها من الحطب الغلاظ العُتْق ؛ وتري العُفَاةَ والمَضْرُورِينَ^(١) بالفناء نازلين ، وذوي الحاجة من جوانب الحى يغتثون ، وهو يقْدَسِم فيها ما يُرضيهم .

وقولها « يَجْرَانِ ثَنِيًّا » يعنى الجازرين . والثنى : التى ولدت بطنين ، وهى مما يُضَنُّ بها . وقولها « خَيْرُهَا » تريد : خيرُ أبدائها ومفاصلها البدء الذى يجعل لجارة له قد عَرَفَهَا ، فهو بصيرٌ بها وبجالاتها . وليست تعنى جارة بعينها ، إنما المراد الكثرة ، فالجاراتُ على ذلك لا تتخطاها أشغاله المزدحمة ، ولا يَفُضُّ العناية بها الأسبابُ المتراكمة ، بل قد وصى بها وبأمثالها فيتفقدن بأوفر الأنصاء عند قسمة الجزور . وقالت « بصيراً بها » والفعل للمرثى ، فجرى على غير من هوله ، لأنه تبع الجارة ، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول بصيراً بها هو ، لأن اسم الفاعل والصفة المشبهة إذا جرى واحدٌ منهما على ما قبله صفة أو صلة أو حالاً أو خبراً لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل ، ليضعفه وانحطاط منزلته . وأكثر أصحابنا على أنه لا بد من ذلك ، حتى أن أبا الحسن كان يلحن الكلام إذا لم يجر على هذ السنن . والكوفيون وبعض أصحابنا يُجَوِّزون ترك إظهاره . وهذه الشاعرة دعتها الضرورة إلى وضع المتصل موضع المنفصل ، فتركت التغيير . وقولها « لم تغدُ

(١) المضرور : الذى أصابه الضر . فى الأصل . « المصرودين » صوابه فى ل .

عنها « أی لم تَصْرِف . يقال : عَدَّتْ بَيْنَنَا عَوَادٍ ، أی صَرَفَتْ صَوَارِفَ .

٣٦٨

وقال أبو حكيم المُرِّي^(١) :

- ١- وَكُنْتُ أَرْجِي مِنْ حَكِيمٍ قِيَامَهُ عَلَى إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ ارْتِدَانِيَا
 - ٢- فَقُدِّمَ قَبْلِي نَعْشُهُ فَارْتَدَيْتُهُ فَيَاوِيحَ نَفْسِي مِنْ رِدَاءِ عَلَانِيَا
- النَّعْشُ : شَبِيهٌ بِالْمَحَقَّةِ ، كَانَ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَلِكُ إِذَا مَرِضَ ؛ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى سُمِّيَ النَّعْشُ الَّذِي فِيهِ الْمَيِّتُ نَعْشًا . يَقُولُ : كُنْتُ أَوْمِلُ فِي حَكِيمٍ ابْنِي أَنْ يُنْهَلَ وَيُنْفَسَ مِنْ عَمْرِهِ ، فَيَقُومَ عَلَيَّ إِذَا مِتُّ ، وَيَرْتَدِي نَعْشِي إِذَا حُمِلْتُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْضِي فِيهَا أَخْلَفَهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْتَمِدَ عَلَى كِفَايَتِهِ وَخِلَافَتِهِ ، نَخَابَ أُمْلِي وَكَذَبَنِي خَطْيَ ، وَقُدِّمَ قَبْلِي ، فَارْتَدَيْتُ أَنَا نَعْشَهُ ، فَوَابِلَاءُ نَفْسِي مِنْ رِدَاءِ عَلَانِيَا بِنَعْشِهِ . وَقَوْلُهُ « ارْتِدَانِيَا » تَفْسِيرٌ لِقِيَامِهِ عَلَيْهِ^(٢) . وَقَدْ وَضَعَ الْمَاضِي مَوْقِعَ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ أَيْ يَرْتَدِينِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَلَوْ سَاقَ الْكَلَامَ عَلَى تِلَاوْمٍ لَقَالَ : قِيَامَهُ عَلَيَّ وَارْتِدَاءَهُ إِيَّايَ إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ ارْتِدَانِيَا ، أَيْ يَرْتَدِينِي ، فَيَكُونُ إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ ظَرْفًا ، وَارْتِدَانِي مَفْعُولٌ أَرْجِي . أَيْ أَرْجُوهُ يَرْتَدِينِي إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ .

(١) قال التبريزي : وكان أبو حكيم قد قال :

يقرر بعيني وهو يتصر مدق مرور الليالي أن يشب حكيم
خفاة أن يقتالي الموت دونه ويفشى بيوت الحى وهو يتيم

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « على » .

٣٦٩

وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِي^(١) :

١ - الدَّهْرُ لَا يَمُوتُ بَيْنَ الْفَتَنِ وَكَذَاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

٢ - وَكَذَاكَ يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَر

نَسَبَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُحِبِّهِ إِلَى الدَّهْرِ ، فَقَالَ : الدَّهْرُ جَمَعَ بَيْنَنَا وَسَوَّى
 الْفَتَنَةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ كُلُّ مَنَا أَنْ يَفْرَحَ بِصَاحِبِهِ كَمَا يَهْوَاهُ ، وَيَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَتَمَلَّاهُ ،
 فَرَّقَ بَيْنَنَا وَشَتَّتْ شَمْلَنَا ، فَمَادَ مَا كُنَّا نَأْمُلُهُ مِنَ التَّمَلُّي وَالِاسْتِمْتَاعِ تَبَايُنًا
 وَتَوَجُّعًا^(١) .

ومعنى وكذلك فرَّق بيننا : ومثلُ ذاك . وأشار إلى ما دلَّ عليه لآءَم من
 التَّأْلِيف . يريد : وكتأليفه فرَّق أيضًا . وكرَّر لفظ الدَّهْر تَفْخِيمًا . وموضع
 كذلك نصبُ على الحال من فرَّق بيننا . وقوله « وكذلك يفعل في تصرُّفه »
 يريد أن الدهر في مصارفه فَعَّالٌ لِمِثْلِ مَا فَعَلَ بِنَا ، يَهْبُ وَيَرْتَجِعُ ، وَيُؤَلِّفُ
 وَيُفَرِّقُ ، وَلَا يَتْرَكُ شَيْئًا عَلَى حَالِهِ إِلَّا رَيْثَ مَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ . وقوله
 « والدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَر » يريد أنه يَتَرُ غَيْرَهُ فَلَا يُوتَرُ ، وَيَنْكِى فَلَا يُجَاوِزُ ،
 فَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْإِسْتِسْلَامُ لِحُكْمِهِ ، وَالرِّضَا بِمَحْتَوَمِهِ . وهذا الذى جعله للدَّهْرِ ،
 الْفَاعِلُ لَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ .

٣ - كُنْتُ الضَّيْنِ بَيْنَ أَصْبَتْ بِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الْأَنْزُرُ

٤ - وَلَخَيْرُ حَظِّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نَزْوِلِهَا الصَّبْرُ

(١) هو منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالى . قال المرزبانى فى المعجم ٤٠٤ : « بصرى
 خليف ماجن ، متهم فى دينه ، ىرى بالزندقة ، كان فى صدر الدولة العباسية » . وأنشد له هذه
 الأبيات ما عدا الثانى منها . وكان من أصحاب والبة ومطيع وبشار وابن المقفع وأبان . الأغافى
 (١٦ : ١٤٣) .

قوله « كُنْتُ الضَّنَيْنِ » تشكُّ (١) من الفراق الواقع بينه وبين مَنْ يريته ، وإظهاراً لضنه كان به ، وتنافس فيه . فيقول : كُنْتُ لَا أَصْبِرُ عَنْهُ ، وَأَعُدُّ الأوقات التي لَا أراه فيها كَثْلَةً فِي الْعَيْشِ ، وَنَقِصَةً مِنْ زَاكِي الْحَظِّ ، إِذْ كُنْتُ لَا أَرَى طَيْبَ الْعَيْشِ إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا أَعْرِفُ طَعْمَ الْحَيَاةِ إِلَّا فِي صُحْبَتِهِ فَلَمَّا افْتَرَقْنَا وَتَقَادَمَ الْعَهْدُ بَيْنَنَا سَلَوْتُ عَنْهُ ، حَتَّى كَانَتْ لَمْ يَجْمَعْنِي وَإِيَّاهُ حَالٌ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ اسْتِقْصَارٌ لجزعه ، واعترافٌ بأنه لَمْ يَفْعَلْ كُنْهُ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ عِنْدَ الرِّزِيَّةِ .

وقوله : « وَخَيْرُ حَظِّكَ » يريد : خَيْرُ أَنْصَابِكَ فِيمَا تُصَابُ بِهِ وَتَعْمَلُ بِهِ ، أَنْ يَتَلَقَّكَ الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى لِتَصُونَ بِهِ دِينَكَ وَنَفْسَكَ وَعَقْلَكَ ؛ لِأَنَّ الْمَرْجِعَ إِلَيْهِ ، فَالْأَيْتَسَلَى الْإِنْسَانُ تَسَلَّى الْبَهَائِمِ أَحْسَنُ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْخُرَيْمِيِّ : وَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ صَبْرًا وَحِسْبَةً وَصَانَعْتُ أَعْدَائِي عَلَيْكَ لَمْ أُوجَعْ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْكَ وَلَكِنْ سَاخَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

٣٧٠

وَقَالَتْ ابْنَةُ ضِرَارِ الضَّبِيَّةِ (٢)

تَرَى أَخَاهَا قَبِيصَةَ بْنَ ضِرَارٍ (٣) :

١- لَا تَبْعَدَنَّ وَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ زَيْنَ الْمَجَالِسِ وَالنَّدَى قَبِيصَا

« لَا تَبْعَدَنَّ » لَفْظَةٌ قَدَمَرٌ الْقَوْلُ فِيهَا فِيمَا تَقْدَمُ (٤) . وَقَوْلُهُ « وَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ »

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَسَلَّى » .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « مِثْلُ ابْنَةِ ضِرَارِ الضَّبِيَّةِ » .

(٣) كَانَ قَبِيصَةُ بْنُ ضِرَارٍ أَحَدَ فِرْسَانَ ضَبِيَّةٍ . وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْكَلَابَ الثَّانِيَّ حِينَ

اجْتَمَعَتْ مَذْحِجٌ لِقَتَالَ تَمِيمَ ، فَهَزَمَتْهُمْ تَمِيمٌ وَقَتَلُوا قَائِدَهُمْ عَبْدِ يَغُوثَ بْنَ صُلَاحٍ . وَكَانَ هَذَا

الْكَلَابُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ . الْأَغَانِي (١٥ : ٧٠ - ٧٢)

(٤) انْظُرْ ص ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

تَسَلَّى . كَانَهَا قَالَتْ مَتَوَجَّعَةً : لَا تَبْعُدْ ، ثُمَّ عَقَّبَتْهُ ^(١) بِالتَّسْلَى فَقَالَتْ : وَكُلْ حَتَّى
مَنَامِيَّتْ ، وَكُلْ أَمْرِيْنَا مَتَغَيَّرَ يَازِينَ الْجَالِسِ وَالنَّدِيَّ يَاقَبِيصَةَ . وَقَوْلَهَا « وَكُلْ
شَيْءٌ ذَاهِبٌ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَنَادَى وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهُ . وَالْجُلُ الْمَعْتَرِضَةُ بَيْنَ أَنْوَاعِ
السَّكَمِ تَقْيِيدٌ فِيهَا التَّأْكِيدَ وَتَحْقِيقَ مَعَانِيهَا . وَقَوْلَهَا « زَيْنَ الْجَالِسِ وَالنَّدِيَّ » ،
إِنَّمَا ذَكَرْتَهُمَا وَهَما وَاحِدٌ لِأَنَّهَا أَرَادَتْ بِالْجَالِسِ مَجَالِسَهُ خَاصَّةً إِذَا قُصِدَ الْإِنْزَالُ
الْحَاجَاتِ بِهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَطَالِبِ مِنْهُ ، وَأَرَادَتْ بِالنَّدِيِّ نَادَى الْحَيِّ . وَانْتَصَبَ
قَبِيصَةُ عَلَى أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانَ لِيَا زَيْنَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَكَرُّرِ النَّدَاءِ وَقَدْ
رَخَّخَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَازِينَ الْجَالِسِ يَاقَبِيصَةَ .

٢ - يَطْوِي إِذَا مَا الشُّخْ أَبْهَمَ قُفْلَهُ بَطْنًا مِنَ الزَّادِ الْخَلِيثِ خَمِيصًا

يَصِفُهُ بِقَلَّةِ الشَّرِّ ، وَأَنَّهُ لَا يَرْغَبُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يَزِينُ
وَلَا يَشِينُ ، وَيُسْتَطَابُ وَلَا يُسْتَخْبَثُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا مَا الشُّخْ أَبْهَمَ قُفْلَهُ » ،
يُرِيدُ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ فَصَارَ كُلُّ مَالِكٍ لَشَيْءٍ يَبْخُلُ بِهِ حَتَّى لَا يُمْكِنَ انْتِزَاعُهُ
مِنْهُ . وَإِذَا رَوِيَتْ « أَبْهَمَ قُفْلَهُ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ ، فَالْمَعْنَى أَحْكَمَ أَمْرُهُ
وَجُعِلَ كَالْفَرَضِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّجَوُّزَ . وَإِذَا رَوِيَتْ « أَبْهَمَ قُفْلَهُ » جَعَلَ
الْفِعْلَ لِلشُّخْ ، كَأَنَّهُ قُفْلًا يُبْهَمُهُ . وَإِبْهَامُهُ : أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى وَجْهِ لَا يُدْرَى
كَيْفَ يُفْتَحُ . فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَطْوِي بَطْنًا لَهُ صَغِيرًا مُضْطَمِرًّا مِنَ الزَّادِ
السَّيِّيِّ ، إِذَا تَمَلَّكَ الْبَخْلُ النَّاسَ لَشِدَّةِ الزَّمَانِ ، فَجَعَلَهُمْ كَذَلِكَ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَقَتْهُ » .

٣٧١

وقال عكرشة الضبي^(١) يرثني بنيه :

- ١- سقى الله أجداثاً ورأى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر^(٢)
- ٢- مضوا لا يريدون الرّواح وغالهم من الدهر أسباب جرّين على قدر^(٣)

الأجداث : القبور ، وكذلك الأجداث بالفاء . ويعنى بالأجداث قبور بنيه . ودعا لها بالشقيا وجعل موضعها بحاضر قنسرين ، إجلالاً لها وتنبهاً عليها . وقوله « من سبل القطر » مفعول ثان لسقى الله . والمعنى : سقى الله هذه القبور التي وصفتها من ماء السحاب ما سال على عجلة وبشدة . وخصّ ذلك لأنها أعذب المياه عندهم . والقصد في طلب الشقيا لها أن تبقى عهداً غضة حميّة من الدّروس ، طريّة لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها ونضارتها . ألا ترى أنه لما أراد ضدّ ذلك قال :

* فلا سقاهاّن إلاّ النّار تضطرم^(٤) *

وقوله « مضوا لا يريدون الرّواح » يريد : ساروا لا يعرجون على شيء ، فلا يريدون لبناً ولا مقاماً ، بل استعجلوا فتمعجلوا ، وأهلكهم من أحداث

(١) التبريزي : « عكرشة العبسي » ، وهو الصواب ، وهو أبو الشغب العبسي الذي ترجم في ص ٩٢٧ .

(٢) البيت ١ ، ٢ ، ٥ في مجالس ثعلب ٢٤٢ . والبيت ٥ وقبله بيت آخر لم يروه أبو تمام في اللّكن ٤٢٨ . وهذا البيت هو :

غطارفة زهر مضوا لسبيلهم ألقى على تلك الغطارفة الزهر
ورواية ثعلب : « فتيانا ورأى تركتهم » .

(٣) ثعلب : « ثووا » .

(٤) صدره كما سبق في ص ١٠١ :

* إذا سقى الله أرضاً صوب غادية *

الدهر أسبابٌ جاءت على قَدَرٍ ، فكأنَّهم كما دُعُوا أجابوا ، وكما تَهَيَّئُوا اخذوا ،
لا تَلَوَّمْ ولا اختلاف ، ولا قُصُور^(١) ولا امتناع .

٣- ولو يَسْتَطِيعُونَ الرِّوَّاحَ تَرَوُّحُوا مَعِيَ وَغَدُوا فِي الْمُصْبِحِينَ عَلَى ظَهْرِ
يقول : ولو قَدَرُوا فيما هُمُوا به من سَيْرهم على النُّزُولِ رَوَّاحًا لَتَرَوُّحُوا مَعِيَ ،
وَلَعَدُوا^(٢) فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِيرُوا مَعَ الْأَمْوَاتِ فِي
بَطْنِهَا مَأْخُودِينَ عَنْ حَظْوِظِهِمْ ، لَكِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا فِي الْمَفَارِقَةِ فَقُلْ مَنْ لَا يَمْلِكُ
إِلَّا ذَاكَ ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيما يَرْكَبُهُ .

وهذا الكلامُ منه تَوَجُّعٌ وتَحَشُّرٌ ، حين أُتُوا من حيثُ لم يَشْعُرُوا ، وطُولِبُوا
بِما لا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا اسْتِيقَاءَ وَإِنْ اسْتَنْظَرُوا .

٤- لَعَمْرِي لَقَدْ وَارَتْ وَضَمَّتْ قُبُورُهُمْ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ السُّمْرِ

٥- يَذْكُرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٌّ فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

يقول : وَبَقَائِي ، لَقَدْ اشْتَمَلَتْ قُبُورُهُمْ عَلَى فُرْسَانٍ شُجْعَانٍ^(٣) يَمْلِكُونَ
بِالطَّمَنِ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ عَلَى الرِّمَاحِ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَارَتْ وَضَمَّتْ » لِأَنَّ
الْمُوَارِيَّ هُوَ السَّاتِرُ ، وَسَاتِرُ الشَّيْءِ يَكُونُ ضَامِنًا وَغَيْرُ ضَامِنٍ^(٤) . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَجْعَلَ الْقُبُورَ مُوَارِيَّةً وَضَامِنَةً ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ . ثُمَّ عَقَّبَ هَذَا بِأَنْ
قَالَ : يَذْكُرُنِيهِمُ الْأُمُورُ الَّتِي أَنْتَهَى إِلَيْهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ
أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً أَوْ ضَارَةً ؛ فَإِنْ كَانَتْ نَافِعَةً كَانَتْ خَيْرًا ، وَكَانَتْ عَمَلُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَصُور » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَخَذُوا » .

(٣) ضَبَطَتْ فِي الْأَصْلِ بِضَمِّ الشَّيْنِ ، وَفِي ل بِكَسَرِهَا . وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ الْأَخِيرَةُ حَكَاهَا اللَّحْيَانِي .

(٤) اتَّفَقَتْ النُّسخَتَانِ فِي التَّعْيِيرِ عَنِ الضَّامِّ بِالضَّامِّ ، وَمَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ .

دِيمَةً^(١) مع مَنْ يتسبَّب إليه بجرمة ، أو يُدِلَّ بِأَصِرَةٍ . وإن كانت ضارَّةً كانت شَرًّا ، وهو الذي يَشْقَى به من يُشَاقُّه ويعانده ، حتَّى لا يُخْلِيه منه أو من تَرْقِيهِ^(٢) ساعةً ، فلا أزال ذاكرًا له بما أعتَرَهُ من أمور الدنيا وأحوالها ، وأنتهي إليه فاتأمله من مسبباته في طوائف النَّاس بعده . ويقال : ما انفكَّ يفعل كذا ، بمعنى ما زال . والذُّكْر ، بضم الذال ، يكون بالقلب ؛ والذُّكْر بكسر الذال ، يكون باللسان .

٣٧٢

وقال رجلٌ من بني أسدٍ^(٣) ،

يرنى أخاه وكان مَرَضٌ في غُرْبَةٍ ، فسأل الخروجَ به هَرَبًا من موضعه ،
فَمَاتَ في الطريق :

١ - أَبْعَدْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ

٢ - لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَزَرُ

يُروى : « أبعدت » ، والإبعاط والإبعاد متقاربان . فالإبعاط : الإسراع في السير .

ويقال : أبعدتُ من الأمر ، إذا أبيتته وهربت منه . ويُروى : « أسرغت من

يومك الفرار » والأوّل أشهر وأجود ، لأن من يتعلّق فيها بأبعدت .

(١) أى دائماً : وفي حديث عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان عمله ديمة » ، شبهته بالديمية من المطر في الدوام .

(٢) كذا في النسختين . والترقى : التدرج ، وليس من الختمى أن تكون « ترقيه » .

(٣) التبريزى : « ويقال إنها لابن كناسة » . وقد نسبته كذلك ابن خلكان في

ترجمة حماد الراوية ، وذكر أن محمد بن كناسة يروى حماداً الراوية بهذا الشعر . وسبقه بهذه

النسبة ابن النديم في الفهرست ١٣٥ . أما الجاحظ في البيان (١ : ٢٥٧) فأتى بذلك مبهماً ،

إذ قال : « وقال بمض الشعراء في بعض العلماء » . والبيت الرابع من هذه المقطوعة ينطق بتصحيح هذه النسبة .

والمعنى : فَرَرْتَ مِنْ أَجْلِكَ فِرَاراً بَعِيداً . ومعنى « من يومك » من آخر أَمَدِكَ . وإذا رويت « أسرع » احتججت إلى إضمار فعلٍ يتعلّق به من ، ولا يجوز تعلّقه بأسرعت ، ولا بالفرار لأنه يكون من صلته وَقَدْ قُدِّمَ عَلَيْهِ . وقوله « فما جاوزتَ حيث انتهى بك القَدَرُ » يريد أن الحذر لا يُغنى عن القَدَر ، وَأَنَّكَ وَإِنْ تَحَزَّمْتَ^(١) في تغيير الأما كن تَبَاعُداً من الحذور ، وَتَفَقَّلتَ في المنازل هَرَباً من القدر المحتوم ، فما وجدتَ فيه واقيةً لنفسك ، ولا جاوزتَ الوقت المُرَصَّدَ لحينك . وجعل قوله « حيث انتهى » اسماً ، فهو في موضع المفعول لجاوزت . ومثله في القرآن : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) . ومن تَحَكَّيْ كَلَامِهِمْ وفصيحه : « هي أحسن الناس حيث نظر ناظرٌ » ، يعني وجهها .

وقوله : « لو كان يُنَجِّى » جواب لو قوله « نجاك » . والمعنى : إِيَّاكَ لَمْ تُؤْتِ مِنْ تَضَجِّيعٍ وَقَعَ مِنْكَ ، أو إِيْغَالٍ اعترض دون طالبك ؛ فلو كان يَخْلُصُ مِنَ الْمَوْتِ تَوَقُّعَ لَوْكَ مَا أَخَذْتَ بِهِ نَفْسَكَ مِنَ الْحَذَرِ الشَّدِيدِ ، والهَرَبِ البعيد ؛ ولكن هو الموت الذي لا منجى منه ولا مَهْرَبَ عنه . وكلُّ هذا النوع تَوَجُّعٌ وَتَحَشُّرٌ ، واعترافٌ بالقصور والعجز لدى مُبَرِّمِ القضية .

٣ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوٍ وَدَّهِ كَدَرُ

٤ - فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَيَفُتُّ نَحْيَ الْعِلْمِ فِيهِ وَيَذْرُسُ الْأَثَرُ

قوله « يرحمك الله » استسلام . والرحمة من الله : الإحسان والعفو . ومعنى

(١) التحزم : اتخاذ الحزم . وهذه رواية ل . وفي الأصل : « حرمت » وهذه محرفة

من « حزمت » .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة ، وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

انظر ما سبق في حواشي ١٤١ ، وكذلك ص ٥٧٣ .

« من أخى ثقيّة » دخل من للتبيين ، أى من أخ يوثق بودّه ، ويؤمن غلّه ووبال حسده ، وإذا صافى الوداد وافق باطنه ظاهره ، ولم يك ذا وجهين يعطيك حضرته خلاف ما يعطيك غيبته .

وقوله « فهكذا يذهب الزمان » يريد أن ما رآه وأصابه ليس بمستبدع من حدّثان الدهر ونوائبه ، بل استمراره قديماً وحديثاً على وجه واحد ينقرض أهله كما أتاه ، ويفنى فيه كلّ معلوم حواه ، ويدرس كلّ أثر اقتناه ووعاه . وهذا الكلام إظهار اليأس من المفقود ، وتضعيف الطامع فى بقاء الوجود .

٣٧٣

وقالت أم قيس الضبية :

١ — مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضَّجَّاجُ بِهِمْ بعد ابن سعدٍ ومن للضمير القود

قوله « إذا جدّ الضجاج بهم » أى صار ضجاجهم جدّاً . ويقال : ضجّ يضحجّ ضجيجاً ، والاسم الضجاج ، قال العجاج يصف حرباً :

وأغشتِ النَّاسَ الضَّجَّاجَ الْأُضْجَجَا وصاح خاشي شرّها وهجها^(١)

وقوله « مَنْ لِلْخُصُومِ » لفظه استفهام ، والمعنى التوجع والاستفظاع . فيقول : مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ النَّزَاعُ ، وطال الجِدَالُ والدِّفَاعُ ، فاحتيج إلى من يردّ الجامح ، ويلين الكامح ، حتّى إذا رجع كلٌّ منهم إلى ما يقرب مسمعه ، ولا يبعد عن النّحص مُستنزعه ، أنفذ قضيتّه فقطعها ، لا يلتفتهم عن القبول مراجعةً ، ولا تخدجهم عن الاتزام بماتنة ومدافعة بعد ابن سعد . ومن للضمير القود بعده ، أى مَنْ أَصْحَابُ الْخَيْلِ الْمَضْمَرَةِ . وتريد : من يدفعهم عن اشتطاطهم إذا جاءوا

واترين أو مورتورين . ويجوز أن تريد أنه كان غزا بها فمن لها بعده . والضمر : جمع ضامر . والقود : الطوال الأعناق .

٢ - ومشهد قد كفت الغائبين به في تجميع من نواصي الفاس مشهود

٣ - فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مزود

يقول : ورُبَّ مشهدٍ عظيم الشأن يُسأل عن حال حاضريه ، ويُستمع إلى ما يُذشر عنه من حجاجٍ منافريه ، تكلمت فيه عن نفسك ونُبت عن الغائبين من مُعتلقي حَبْلِكَ ، واليومُ يومٌ مشهود ، ورؤساء الناس وأماثلهم فيه شهود ؛ ثم كَشَفَت الغُمة ، وأثبتت الحُجَّة بكلامٍ فصيحٍ لا يلبس ، وجدالٍ راجحٍ لا يُخِيل ولا يَغْتِمِض ، وقلبٍ ثابت لا يرتدع إذا استنهض ، ولا يَنْتَكِس إذا استُقدِم . وقوله « نواصي الناس » أي أشراقهم والمقدمين منهم . وهذا كما وصَفُوا بالذَّوائب ، يقال : فلان ذُوَابَةٌ قومِه ، وناصيةٌ عَشيرَتِه . وقوله « بلسانٍ غيرٍ ملتبس » يريد بكلام . وفي القرآن : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ، وتُسَمَّى الرَّسَالَةُ لِسَانًا . وقال :

* إِنِّي أَتَنَّى لِسَانًا لَا أُسَرُّ بِهَا ^(١) *

وقوله « غير مزود » فالزُّود ^(٢) : الذُّغَر ، والفعل منه زُئِدَ فهو مزود .

وقوله « عند الحفاظ » أي فعلت ذلك كله عند المحافظة على الشرف ،

والاحتماء من عار الهزيمة والعنت .

٤ - إذا قنأة امرئٍ أزرى بها خورٌ هز ابن سعدٍ قنأةً صلبة العود

(١) لأعشى باهلة ، يرثى المنتشرين وهب الباهلي ، من قصيدة في الخزانة (١ : ٩٢)

(٩٧ -) ، وهذا البيت أولها . وعجزه :

* من علو لا عجب منها ولا سخر *

(٢) يقال بضمة وبضمين ، ومثله الزأد ، بالفتح والتحريك .

خِكر القناة مثلُ للإباء والامتناع ، وأنَّ المَكْرَهَ ^(١) لا يُخْرِجُ مِنْهُمُ الْخُضُوعَ
والانقياد . ألا ترى قول سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ :

وإنَّ قَنَاتَنَا مَشِطٌ شَظَاها شَدِيدٌ مَدَّها عُنُقَ الْقَرِينِ
ويقال : مَشِطَتْ يَدُهُ تَمَشِطُ مَشْطًا . وَالشَّظِيَّةُ وَالشَّظَا مِنَ الْعَصَا كَاللَّيْطَةِ
مِنْهَا ، تَدْخُلُ فِي الْيَدِ فَتَمَشِطُ مِنْهَا . ومثل هذا قولُ عمرو بن كلثوم :
عَشَوْنَةً إِذَا غِمَزَتْ أَرَنْتَ تَشْجُ قَمًا الْمُتَّقِفِ وَالْجَبِينَا
وقال أيضًا :

وإنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وزاد الآخر عليهم فقال :

وَلَنَا قَنَاءٌ مِنْ رُدَيْنَةٍ صَدَقَةٌ زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

٣٧٤

وقال الجعدي ^(٢) :

١ - أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رُزْتُ مُحَارِبًا قَمًا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا ^(٣)
٢ - وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رُزْتُ بِوَحْوَاحٍ وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلَ الْمَصَافِيَا
يُخَاطَبُ صَاحِبَتَهُ أُمَّ مُحَارِبٍ ، وَمُحَارِبُ ابْنِهِ . وقوله « أَلَمْ تَعْلَمِي » ظاهره
تقرير ، وإنما هو تحشُّرٌ وَتَوَجُّعٌ . لذلك قال : « فَمَالِكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا »
أَيَّ قَدْ فُجِعْنَا بِهِ فَأَصْبَحْنَا خِلَافًا مِنَ الْاسْتِمْتَاعِ بِحَيَاتِهِ ، وَالْإِسْتِمْتَاعُ بِمَكَانِهِ . ثُمَّ

(١) ل : « الكره » .

(٢) هـ ، النابغة الجعدي . سبقَت ترجمته في الحماسية ٣٣٣ ص ٩٦٨ .

(٣) البيتان ٣ ، ٤ سبقا في الحماسية ٣٣٤ ص ٩٦٩ ، فيكون مما كرره أبو تمام في

الاختيار . انظر مثيله في الحماسية ٣٣ كررت في ٢٠٩ ، و ٢٩٩ كررت في ٣٦٠ .

(٤ - حماسة - ثالث)

ذكر أنه قد فُجِعَ قبله بأخيه أيضاً ، وكان نسيباً قريباً ، وصديقاً مُصافياً حبيباً .

٣ - فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

٤ - فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدِيَا

قوله « فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتَهُ » يجوز أن يكون فَتَى في موضع النصب على اللدح والاختصاص ، أى أذكُرُ فَتَى هذه صفته . ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فَتَى . وقوله « غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ » استثناء منقطع ، وقد تقدم الكلام في مثله ، وأن من كان عَيْبُهُ والمُسْتَفْنَى مِنْ خِصَالِهِ المحمودة ما يُذَكِّرُ بعد غير فَنَاهِيكَ بِهِ رَجُلًا كاملاً . وقوله « فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ » مثله ، وقد تقدّم في مواضعٍ ومُثَرَحَنَاهُ .

٣٧٥

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ^(١)

بَرَّئِي ابْنَ عَمٍّ لَهُ :

١ - أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ مِنْ آلِ مَاعِزٍ يُرْجَى بَمَرَّانَ الْقِرَى ابْنُ سَبِيلٍ

٢ - لَقَدْ كَانَ لِلْسَّارِينَ أَيْ مُعَرَّسٍ وَقَدْ كَانَ لِلْعَادِينَ أَيْ مَقِيلٍ

٣ - بَنَى لِلْحَصَنَاتِ الْغُرَّ مِنْ آلِ مَالِكٍ يُرَبِّينَ أَوْلَادًا لِخَيْرِ خَلِيلٍ

يقول على وجه الإنكار : أَيْرُحَى ابْنُ السَّبِيلِ الْقِرَى بَمَرَّانَ بعد الدفون بالنعم من آل ماعز . أى لا يكون ذلك ، لأن من كان يشملُ خيره^(٢) ويُرْتَجَى الزولُ به مُكْرَمًا ضيفه قد مات . والنعم : ما ناعفك من الجبل ،

(١) كذا عند التبريزي ، ول . وفي الأصل : « من بني هذيل » .

(٢) كذا في ل . وفي نسخة الأصل : « يشتمل » .

أى استقبلك ، وقيل : هو ما انحدرَ عن السَّفْحِ وغُلُظَ ، فكان فيه صَعُودٌ وهَبُوطٌ . ذكره الديرى ، قال : وجمعه نَعَافٌ .

وقوله « لقد كانَ للسَّارِينَ » جوابُ قَسَمٍ محذوف . والتَّعْرِيسُ : النزول عند الصُّبْح . والمَقِيلُ : موضع القَيْلولة ، فيقول : مَنْ أُسْرِ لَيْلَةً ثُمَّ طَلَبَ مِنْ يَنْزَلُ بِهِ ، كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَعْرَسًا لَهُ كَرِيمًا ، وَأَيُّ مَعْرَسٍ . وهذا الكلام فيه تعجُّبٌ وتفخيم . وكذلك مَنْ ارْتَحَلَ غَدُوءًا ثُمَّ أَرَادَ الرَّوَّاحَ كَانَ فَنَاءُوهَ لَهُ مَقِيلًا طَيِّبًا وَأَيُّ مَقِيلٍ .

وقوله « بَنِي الْمُخَصَّنَاتِ » جَمَعَ إِلَى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إِخْوَتِهِ ، فَقَالَ : أَذْكَرُ قَوْمًا كَرَامَ الْأَطْرَافِ ، أُمَّهَاتِهِنَّ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالطَّهَارَةِ فِي أَعْلَى مَحَلٍّ ، وَأَبْعَدِ رُتْبَةٍ ، وَبَرُّ بَيْنَ^(١) أَوْلَادًا لِبَعُولٍ لَا يُؤَاوِى بِهِمْ ، عَلُوٌّ مَنْصِبٍ ، وَزَكَاةٌ مَنْصِبٍ ، وَتَقَدُّمًا فِي الشَّرَفِ وَالْإِفْضَالِ ، وَبِرَاعَةٍ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

٣٧٦

وقال كَبِدُ الْحَصَاةِ الْعِجْلَى^(٢) :

- ١- أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ يَا لَ بَكْرٍ فَأَوْدَى الْبَاعُ وَالْحَسَبُ التَّلِيدُ
- ٢- أَلَا هَلَاكَ الْمَكْسَرُ فَأَمْتَرَا حَتَّى حَوَافِي الْخَيْلِ وَالْحَيُّ الْحَرِيدُ

(١) ل : « ويربين » .

(٢) يرثى يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، ولقبه « المكسر » . وقد ضبط بكسر السين المشددة عند التبريزى ، وبفتحها فى الأصل ، ل . والمكسر هو الذى يقول يوم ذى قار :
أَنَا ابْنُ سِيَارٍ عَلَى شَكِيمِهِ مِنْ فَرَسٍ مِنْكُمْ فَرَسٌ عَنْ نَدِيمِهِ
وَجَارِهِ وَفَرَسٌ عَنْ حَرِيمِهِ إِنَّ الشَّرَاكَ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ
وكانت طائفة من طيىء أغارت على بكر بن وائل فأخذوا منهم أخائهم ، فأغار المكسر على طيىء فأكسح أموالهم وأصاب منهم سبايا ، فأغار زيد الخيل على بنى تميم الله بن ثعلبة ، وقال :
إِذَا عَرَكْتَ عَجَلَ بَنَى ذَنْبَ غَيْرِنَا عَرَكْنَا بِتَمِ اللَّهِ ذَنْبَ بَنَى عَجَلَ

افتتح كلامه بالألا ، ثم أخذ يُعَظِّمُ الخَطْبَ ويفطع الشَّانَ ، فقال : مات هذا الرجلُ فمات بموته الكرمُ العميمُ ، والشَّرَفُ الصِّيمُ .

وقول « يالَ بَكَرٍ » استغاثةٌ تَما دَهاهُ . وقد مرَّ القولُ في هذه اللامِ والفصلُ بينهما وبين لامِ التعجُّبِ من قولك يالَ بَكَرٍ . ومعنى أودى : هَلَكَ . والباعُ هاهنا الكرمُ . ويقال : باعَ الرَّجُلُ يَبُوعُ بَوْعاً ، إذا مَدَّ باعَهُ ، وتَبَوَّعَ . وكذلك تَبَوَّعَ البعيرُ ، إذا مَدَّ ضَبْعَهُ . والحَسَبُ : الشَّرَفُ ، وأصله من الحِسَابِ ، لأنَّ الحَسِيبَ يَبْعُدُ لِنَفْسِهِ ما تُرْفَتُكَ المآثرُ حَسَبُ . كما يقالُ نَفَضْتُ نَفْضاً ، ثم يَسْمَى المنفوضُ نَفْضاً . والتَّليدُ والتَّالِدُ : ضِدُّ الطَّرِيفِ والطَّارِفِ . والتَّلاذُّ : ما وُلِدَ عندك من مالِكَ . قالوا : وأصلُ هذه التَّاء الواوُ .

وقوله « أَلَا هَلَكَ المَكْسَرُ » كرَّره لنفطيع الأَمرِ . ومعنى « استراحت حَوَافِي الخيلِ » وصفه بأنَّه يُبْعِدُ الغَزْوَ فلا يَبْقَى على الخَيْلِ وإن حَفِيت ، فلمَّا مَضَى نالت الرَّاحَةُ وتودَّعَتْ . وقال « حَوَافِي الخيلِ » على أن يَصِفُها بما كان آلُ أُمِّها إلیه بعد الغَزْوَ . وكذلك قوله « الحَيُّ الحَرِيدُ » ، هو المنفردُ والمتباعدُ عن غيره . كأنَّه لا يَسْلُمُ عليه وإن حَذِرَ وتباعدَ . ويقال : كوكبٌ حَرِيدٌ ، إذا طَلَعَ في أَفْقِ السَّمَاءِ متَنَحِّياً عن الكواكبِ . ورجلٌ حَرِيدُ المَحَلِّ ، إذا لم يُخَالِطِ النَّاسَ ولم يَنْزِلْ مَعَهُمْ . وقال :

* أُمَّا بِكَلِّ كوكبٍ حَرِيدٍ ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

* حَرِيدَ المَحَلِّ غَوِيًّا غَيُورًا ^(٣) *

(١) لنى الرمة ، كما فى ديوانه ١٥٧ واللسان (حرد) .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٦٨ واللسان (حرد) .

(٣) صدره : * إذا نزل الحى حل الجحيش *

٣٧٧

وقال ابن أهبان الفقعسي^(١)

برئى أخاه :

١- عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ تَشْقُ جُيُوبَهَا وَتُعْلِنُ بِالنَّوْجِ النِّسَاءَ الْفَوَاقِدُ

٢- فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يُرَى سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرَّجَالَ الْمَشَاهِدُ

يقول : عَظُمَ الرُّزْءُ بِمَوْتِ هَمَامٍ فَلَا مَحَبَّةً لِلْجَزَعِ وَلَا مُصْطَبِرَ ، وَلَا إِسْرَارَ لِلاتِّعَاضِ وَلَا مُدَّخَرَ . وَأَنْىَ يَكُونُ لِلسَّامِعِ بِهِ مَعْدِلٌ إِلَى التَّجَمُّلِ وَالتَّجَلُّدِ ، وَقَدْ فَقَدَ بِهِ مَنْ يُسْتَبَاحُ فِي نُدْبَتِهِ كُلُّ مُحْظُورٍ ، وَيُسْتَجَازُ فِي الرِّثَاءِ لَهُ كُلُّ مَذْكُورٍ ، فَلَا مَنَعَ مِنْ شِقِّ الْجُيُوبِ ، وَضَنْعِ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَإِعْلَانِ النَّيَاحَةِ ، وَامْتِدَادِ الْمَآتِمِ فِي الْإِعْوَالِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ . وَقَوْلُهُ « عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ » يَذْكُرُ الْمِثْلَ وَالْمَقْصُودُ نَفْسَهُ لَا غَيْرُ صِيَانَةٍ لَهُ وَنَزَاهَةٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : مِثْلُكَ لَا يَحْسُنُ بِهِ كَذَا مَعْنَاهُ : أَنْتَ لَا يَحْسُنُ بِهِ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ الْغَرَضَ مَا ذَكَرْتَهُ ، وَقَوْلُهُ « بِالنَّوْجِ » يَرَادُ بِهِ مَصْدَرُ نَاحٍ . وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ النِّسَاءُ الْفَوَاقِحَاتُ .

وقوله « فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ » جَعَلَ لَهُ الْفَتْوَةَ وَالرِّيَاسَةَ مُسَلِّمَةً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْفَتَى بَيْنَ رِجَالِ الْحَيِّ وَعِنْدَ لِقَائِكَ إِبَّاهَ فِيهِمْ . فَمَعْنَى أَنْ تَلْقَاهُ ، هُوَ الْفَتَى لِأَنَّهُ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ ، وَوَقْتُ تَلْقَاكَ فِي الْحَيِّ . وَقَوْلُهُ « أَوْ يُرَى سِوَى الْحَيِّ » أَى فِي مَكَانٍ آخَرَ وَفِي قَوْمٍ آخَرِينَ .

(١) كلمة « الفقعسي » من ل والتبريزي .

بدلاً من الحى. لأنك إذا قلت : عندى رجل سِوى زَيْدٍ ، معناه : عندى رجلٌ مكانَ زيدٍ ، وبدلاً من زيد .

وقوله « أَوْ ضَمَّ الرَّجَالَ الْمَشَاهِدُ » معناه وهو الْفَتَى إِذَا حَصَلَتْ وَفُودُ الْقَبَائِلِ وَالسَّنْتَهُمْ وَرُؤُوسَاهُمْ فِي تَجَامَعِ الْمُلُوكِ الْأَعَاطِمِ ، وَمَشَاهِدِ السَّادَةِ الْأَكْبَارِ .
وقوله « أَوْ ضَمَّ » محمولٌ على المبنى . يريد : وهو الْفَتَى لِأَن ضَمَّ الرَّجَالَ .
وَالْقِسْمَةُ بِمَا رَتَّبَهُ قَدْ اسْتَوَتْ الْأَحْوَالُ كُلُّهَا .

٣- إِذَا نَارَعَ الْقَوْمَ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيْبًا وَلَا عِيبًا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ
٤- طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ يُضْبِحُ بَطْنُهُ خَيْصًا وَجَادِيهِ عَلَى الزَّادِ حَامِدُ
وصفه بالبراءة وتمايم الآلة ، وأنه سهلٌ أُنْخَلِقُ ، سهل الجانب ، يباسطُ
مفازِعهُ فِي الْأَحَادِيثِ وَيَطَاوِلُهُ ، لَا عِيَّ يَقْصُرُ حَدِيثُهُ ، وَلَا كِبَرٌ يَنْفَرُ قَعِيدُهُ ،
فهو طَيِّبُ الْمَجْلِسِ ، خَفِيفُ الْمُلْتَزَمِ ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ خَلْقَتَهُ كَانَ حَسَنَ الْقَوَامِ ،
تَامَ الْجِسْمِ ، طَوِيلَ حَمَائِلِ السِّيفِ . هَذَا فِي الْحَيِّ مَا أَقَامَ ، وَفِي السَّفَرِ تَرَاهُ يُؤَثِّرُ
غَيْرَهُ بِالزَّادِ ، فَبَطْنُهُ خَيْصٌ ، وَتُجْتَدِيهِ وَالْمَعُولُ عَلَيْهِ حَامِدُهُ شَكُورٌ . وَأَبْلَغُ مِنْ
قوله « طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ » قول مُسْلِمٍ :

يَطُولُ مَعَ الرُّنْحِ الرُّدْبِيُّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ

٣٧٨

وقال ابنُ عَمَّارِ الْأَسَدِيِّ يَرِثِي ابْنَتَهُ :

١ - ظَلَلْتُ بِجَسْرِ سَابُورٍ مُقِيمًا يُورِّقُنِي أَنْفُوكَ يَا مَعِينُ^(١)

(١) رواه التبريزي : « بِخُسْرٍ سَابُورٍ » وقال : « خسر سابور : من بلاد المعجم نسب إلى خسر وسابور ، وهما ملكان من الفرس . ويصحف هذا فيقال جسر سابور » . وفي معجم البلدان : « خسرو سابور . والامامة تقول خسرابور : قرية معروفة قرب واسط بينهما فراسخ ، معروفة بجودة الرمان » .

٢ - وناموا عَنْكَ واستيقظت حتى دَعَاكَ الموتُ وانقطعَ الأَينُ

أصل الظُّلُولُ العُكُوثُ في النهار ، ولسكنه يُتَوَسَّعُ فيه فيُجعل للأوقات كلها . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۖ ﴾ وذلك لا يَخْنَصُ بالنهار دون الليل . وهذا الكلامُ اقتصاصُ حاله معه في تمرضه ، وتوليئه منه ما تفرَّد به ، وفيه التشكيُّ مما قاساه وتجرَّع الغُصص عنه ، فيقول : بَقِيتُ مقيماً بذلك المكانِ يُسهرني تألُّمك وأُيندك ، ونامَ كلُّ مَنْ صحبته ^(١) فاستيقظتُ أنا متجرِّداً فيك ، ومتحمِّلاً ما أمكن تحمُّلهُ عنك ، إلى أن أَجَبْتَ داعيكَ ، وأطلقتَ من أَسْرِ الانتظارِ ناعيكَ ، فانقطعَ الأَين ، وجدَّ مني لفقدك العويل .

٣٧٩

وقال أبو وهب العبسي ^(٢) يرثي ابنه :

١ - أَرَابِعَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا وَأُجْلِي فِي الْيَاسِ نَاهٍ وَالْعَزَاءَ بَجِيْلُ

٢ - فَإِنَّ الَّذِي تَبْكِيْنَ قَدْ حَالَ دُونَهُ تُرَابٌ وَزَوْرَاهُ الْمَقَامِ دَحُولُ

سالك فيما قاله مسلكُ أوس بن حجرٍ ، حين قال :

أَتَيْتُهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

والمرأةُ الحاطبةُ فيما نظن ^(٣) أم المرثي . وقوله « مهلاً بعض هذا » انتصب

بعضَ بإضمار فعل ، كأنه قال : رِفْقاً كُفِّي بعضَ ما تأتدنه ، وأحسني العزاء ،

ففي اليأسِ مَنْ قَدْ مضى نَاهٍ لَكَ عن الإسرافِ في الجزع ، والإفراطِ في الالتئاع

(١) ل : « صحبنا » .

(٢) التبريزي : « وقال طريف بن أبي وهب العبسي » .

(٣) ل : « فيما أظن » .

والهَلَعُ ؛ والصَبْرُ جَمِيلٌ كَيْفَ كَانَ ، فَإِنَّ مَنْ تَبَكَّيْنَهُ حِجَزَ بَيْنِهِ وَبَيْنَنَا تُرَابٌ مَهِيلٌ ، وَلَحْدٌ قَعِيرٌ ، وَحَفْرَةٌ مَعُوجَةٌ ، وَهُوَّةٌ مَهُولَةٌ ، فَلَا طَمَعُ فِي الْإِلْقَاءِ ، وَلَا فِي الرَّجُوعِ وَالْإِنْكَفَاءِ .

وقوله « وَزَوْرَاءُ الْمَقَامِ » أى معوجة الموضع الذى يُقام فيه منها . وقوله دَحُولٌ ، يقال بئر دَحُولٌ ، أى ذاتُ تَلَجُفٍ .

٣ - نَحَاهُ لِلْحَدِّ زِبْرَقَانٌ وَحَارِثٌ وَفِي الْأَرْضِ لِلْأَقْوَامِ قَبْلَكَ غُولٌ

٤ - فَأَيُّ فِتْيٍ وَارَوْهُ ثُمَّتَ أَقْبَلَتْ أَكْفُهُمْ تَخْنِي مَعًا وَتَهِيلٌ^(١)

الَّحْدُ : مَا حَفِرَ فِي عُرْضِ الْقَبْرِ . وَيُقَالُ لَحَدْتُ الْقَبْرَ وَأَلْحَدْتُهُ ، وَقَبْرٌ مَلْحُودٌ وَمُلْحَدٌ وَلاحِدٌ ، أى ذو لَحْدٍ . يَقُولُ : وَلَاهُ لِلْحَدِّ قَبْرُهُ هَذَا الرَّجُلَانِ ، وَالْعَادَةُ مُسْتَمِرَّةٌ فِي فَنَاءِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ قَبْلُنَا ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِمَّا يَفْتَالُ الْأَحْيَاءُ وَيُهْلِكُهُمْ . وَالْعَوْلُ : الْهَلَكَةُ ، وَيُقَالُ : غَالَهُ الْمَوْتُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتْ النَّفْسَ غَوْلُهَا

وَالْكَلَامُ فِيهِ تَأْسٍ وَتَعَزٍّ ، بَعْدَ أَنْ اقْتَصَرَ دَفْنُهُ وَمَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ : أَيُّ فِتْيٍ غَيَّبُوهُ وَدَفَنُوهُ ؟ ! يَعْظُمُ أَمْرُهُ وَيُفْخِمُ شَأْنُهُ . وَقَوْلُهُ « ثُمَّتَ أَقْبَلَتْ » التَّاءُ مِنْ ثُمَّتَ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ الْخَصْلَةِ . وَكَأَنَّ تَتَّصِلُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ بِالْأَسْمِ نَحْوَ امْرَأَةٍ ، وَبِالْهَفْةِ نَحْوَ قَائِمٍ وَقَائِمَةٍ ، تَتَّصِلُ بِالْفِعْلِ ، وَالْأَسْمُ وَالْفِعْلُ هَا مَوْضِعُهَا ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْأَسْمِ يُبْدَلُ مِنْهَا الْمَاءُ فِي الْوَقْفِ ، وَيَنْتَقِلُ الْإِعْرَابُ عَنْ آخِرِ الْأَسْمِ إِلَيْهَا . وَفِي الْفِعْلِ يُسَكَّنُ إِلَّا أَنْ يُبْلَاغِيَهُ سَاكِنٌ آخِرٌ ، وَيَكُونُ تَاءٌ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا . وَفِي الْحَرْفِ

(١) التبريزى : « وأى فتى واروه » .

يقلُّ دخوله ، وإذا دَخَلَ حُرْكَ بالفتح ، نَحَوْرُبْتَ وَثُمْتَ ، وتبقى تاءٌ في كلِّ حال .

وقوله « تَخْنِي مَعًا » انتصب مَعًا على الحال . والخنْيُ : أن ترفع يدك بالتراب أو غيره فتفرقه في الجو . قال :

الْخُضْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّنْتَهُ مِنْ حَشِيكَ التُّرْبِ عَلَى الرَّاِكِبِ ^(١)
والخائياء : تُراب يجمعه اليربوع ، مِنْ هذا . وَالْهَيْلُ : أن تجرفه من غير أن ترفع اليدَ به . ويقال : هَلَتْ التُّرَابَ وَأَهْلَتْهُ . وفي المثل « مُحْسِنَةٌ فَهَيْلِي ^(٢) » ويقال : « جَاءَ بِالْهَيْلِ وَالْهَيْلَمَانِ ^(٣) » أى بالشئ الكثير ، ويجوز أن يكون من هذا ، لأنَّ المعنى جاء بما اجتمع هَيْلًا لَا كَيْلًا .

وفي الطريقة التي سَلَكَها مِنْ اقتصاص الحال في الدفن والخنْي ، قد أحسن مَنْ قال :

أَلَمْ تَرَنِ ابْنِي عَلَى اللَّيْثِ بَيْتَهُ وَأَخْنِي عَلَيْهِ التُّرْبَ لَا أَتَخَشَّعُ
كَأَنِّي أَذْلَى فِي الْخَفِيرَةِ بِأَسِلًا عَقِيرًا يَنْوِي لِلْقِيَامِ وَيُضْرَعُ
تَخَالَ بَقَايَا الرُّوحِ فِيهِ ، لَقَرَبِهِ بَعْدَ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ مَيِّتٌ مُقَنَّعُ
أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ صَوَّرَ التَّهَيُّبَ مِنْهُ وَالْإِعْظَامَ لَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ .

هـ - وَظَلَّتْ بِي الْأَرْضُ الْفُضَاءَ كَأَنَّمَا تَصَعَّدُ بِي أَرْكَانُهَا وَتَجُولُ

(١) ل : « لو تأيئته » . ويروى : « من حثوك التراب » . انظر المقاييس (٢ : ١٣٧) .
(٢) قال المبداني : « أصله أن امرأة كانت تفرغ طعاما من وعاء رجل في وعائها ، فجاء الرجل فدهشت ، فأقبلت تفرغ من وعائها في وعائه ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أهبل من هذا في هذا ، فقال لها : محسنة - أى أنت محسنة - فهيلي . ويروى : محسنة ، بالنصب على الحال ، أى هيلي محسنة . ويجوز أن ينصب على معنى أراك محسنة . يضرب للرجل يعمل العمل يكون فيه مصيباً » .

(٣) « الهيلمان » بفتح اللام وضمة هاء .

٦ - وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ مَنْ كَانَ طَرَفُهُ بِمَعْدِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلِيلُ

يقول : دِيرَ بِي لَمَّا شَاهَدْتُ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَنْكَرْتُ ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَصَارَتْ عَلَى سَعَتِهَا كَأَنَّمَا جُمِعَتْ جَوَانِبُهَا ، فَأَصْعَدُ فِيهَا وَهِيَ تَجُولُ فَلَا تَهْدَأُ ، وَتَدُورُ فَلَا تَقِرُّ .

وقوله « وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ » أَيْ نَظَرَ إِلَى بَشَدَةٍ وَتَحْدِيقٍ . وَفِي الْحَدِيثِ : قِيلَ لِأَبِي مَحْذُورَةَ ^(١) وَشَدَّ أَدَانَهُ : « أَمَّا خَشِيتُ أَنْ تَنْشَقَّ مِرْيَاؤُكَ ^(٢) » . وَيُقَالُ : شَدَدْنَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَشَدَدْنَا يَدَهُ ، أَيْ قَوَّيْنَاهُ . وَالطَّرْفُ : تَحْرِيكُ الْجَفْنِ فِي النَّظَرِ . يَقُولُ ^(٣) : شَخَّصَ بَصْرُهُ فَمَا يَطْرُقُ . وَقَوْلُهُ « مَنْ كَانَ طَرَفُهُ » كَانَ هَذِهِ هِيَ الْقَائِمَةُ . وَالْمَعْنَى مَنْ وَقَعَ طَرَفُهُ وَحَدَّثَ طَرَفُهُ فِي زَمَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَبِعَهْدِهِ وَهُوَ كَلِيلُ ، يَرِيدُ : مَنْ كَانَ لَا يَمْلَأُ عَيْنَهُ مَنًى فِي حَيَاتِهِ تَهَيُّبًا صَارَ يَنْظُرُ إِلَى شَرْرًا وَنَظْرًا شَدِيدًا . وَإِنَّمَا قَوَّاهُ تَجَاسُّرُهُ وَمَا حَدَّثَ لَهُ وَفِي تَقْدِيرِهِ ، مِنْ مَنَّةٍ اسْتَجَدَّهَا ^(٤) ، وَقُوَّةٍ عَاوَدَتْهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ كَلِيلُ » ، الْوَاوُ وَالْوَاوُ الْحَالُ .

٧ - أَيْنَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ عَلَى حِينِ شَيْبَى بِالشَّبَابِ بَدِيلُ ^(٥)

(١) هُوَ أَبُو مَحْذُورَةُ الْمُؤَذِّنُ ، وَاسْمُهُ أَوْسٌ - أَوْ سَمُرَةٌ - بِنِ مَسْعِيَرٍ . عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذَانَ بِالْجُمُرَانَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩ وَبَقِيَ سَنَةَ ٧٩ ، الْإِصَابَةُ ١٠٠٨ مِنْ بَابِ الْكُنَى . وَالَّذِي قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مُرُط) .

(٢) الْمِرْيَاءُ : مَا بَيْنَ السَّرَّةِ إِلَى الْعَاقَةِ .

(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « يَقَالُ » .

(٤) الْمَنَّةُ ، بِالضَّمِّ : الْقُوَّةُ .

(٥) التَّبَرِيزِيُّ : « قَوْلُهُ عَلَى حِينِ شَيْبَى . قَالَ أَبُو هِلَالٍ : لَا يَجُوزُ إِلَّا الْخَفَضُ فِي حِينٍ ، لِأَنَّ الَّذِي أَضْفَتَ إِلَيْهِ حِينَ مَعْرَبٍ ، فَإِنْ أَضْفَتَهُ إِلَى الْفِعْلِ جَازَ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ . أَمَّا الْكَسْرُ ، فَلِأَنَّهُ مَجْرُورٌ وَهُوَ اسْمٌ مَنْصَرَفٌ ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَلِإِضَافَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مَعْرَبٍ ، فَبِنَيْتِهِ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّ الْمَضَافَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَبِنَيْتِهِ لَذَلِكَ » . وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبُ الْبَصَرِيِّينَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَوْجِبُونَ الْإِعْرَابَ فِي الظُّرُوفِ الْمُبْهَمَةِ إِذَا أَضْفَتِ إِلَى جُمْلَةٍ صَدْرُهَا مَعْرَبٌ . وَأَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَيُرُونَ الْإِعْرَابَ فِي ذَلِكَ رَاجِحًا وَابْنَاءً مَرْجُوحًا . انْظُرْ هَمْعَ الْهَوَامِعِ (١ : ٢١٨) .

٨ - لقد بَقِيَتْ مِنِّي قَفَاةٌ صَلِيبَةٌ وَإِنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وَذُبُولُ
 ٩ - وما حَالَةٌ إِلَّا سَتُصَرَّفُ حَالُهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَزُولُ
 اللام من « كَلَنْ » موطنًا للقسم المضمَر ، وجوابه « لقد بَقِيَتْ » . وخلق
 مكانه ، أى تَرَكَ مكانه من العُيُون والقلوب خاليا . ويجوز أن يريدَ تَرَكَ
 مكانه من دنياه لَمَنْ شاء . على حين شَيْبِي ، أى فى وقتِ استبدلت بالشباب
 شَيْبًا ، وبالْقُوَّةِ ضَعْفًا ، لقد بَقِيَ مِنِّي إِبَالًا شَدِيدٌ ، ولجَّاجٌ عَلَى مَنْ يَقْصِدُ اهْتِضَايَ
 بليغ ؛ فَقَفَاتِي صُلْبَةٌ عَلَى غَايِهَا ، مَمْتَنَةٌ عَلَى مُثَقِّفِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لِلْمُصِيبَةِ نَالَتْ
 مِنِّي فَتَحُلَّ جِسْمِي ، وَذُبُلُ جِلْدِي ، وَحَالَ لَوْنِي ، وَتَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ
 أَمْرِي وَشَأْنِي . وقد تقدَّم القولُ فى القناة وطريقتهم فى استعارتها وجعلها مثلاً .
 وقوله « وما حَالَةٌ إِلَّا سَتُصَرَّفُ حَالُهَا » يُرِيدُ : وما خُطَّةٌ إِلَّا سَتَحَوَّلُ صَوْرَتُهَا
 إِلَى صَوْرَةٍ أُخْرَى مَا بَقِيَتْ وَأُمِيتَتْ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدُ سَوْفَ تَزُولُ فَلَا تَبْقَى ،
 وَتَحَوَّلُ عَنِ الْمَعْهُودِ فَتَمُوتَ . والمعنى : إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا وَأَعْرَاضِهَا لَا يَدُومُ
 عَلَى حَدٍّ ، وَلَا يَسْتَمِرُّ عَلَى طَرِيقٍ وَوَجْهِ ، لَكِنْ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبَدُّلُ ،
 فَيَزْدَادُ عَمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَرَجَعُ هَذَا إِذَا سَلِمَ ، وَمِنْ بَعْدُ سَوْفَ يَكُونُ مُغَيَّرَهُ
 مُهْلِكُهُ ، وَمَدْبُرُهُ مُدْمِرُهُ .

٣٨٠

وَأُنْشِدُ أَيْضًا^(١) :

١ - وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنَى بِشْطَرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرَهُ عَادَ فِي شَطْرِي^(٢)

(١) كذا فى النسخين . وعند التبريزي : « وقال العتبي » . والعتبي هذا هو محمد
 ابن عبد الله ، من آل عتبة بن أبي سفیان ، أديب أخباري من أهل البصرة ، له شعر جيد
 وتصانيف حسان . قال ابن الزديم : « كان العتبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » . توفى سنة
 ٢٢٨ . ابن النديم ١٧٦ .

(٢) التبريزي : « بنى مشاطراً » .

٢- « أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَكَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي » كانت رواية الناس بُرْهَةً « وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِي بَشْطَرِهِ » مضافاً ، « فلما تَقَضَّى شَطْرُهُ » بالضاد ، وارتفاع الشَّطْر به ، فجاء شَيْخُ لَنَا فَرَوَاهُ :
« بِشْطَرَةٍ * فلما تَقَضَّى شَطْرُهُ »

وكان يقول : هذه ضالَّةٌ أَنَا وَجَدْتُهَا ، وهو تِمَّا حَكَاهُ أَبُو زَيْدٍ مِنْ قَوْلِهِمْ :
بَنُو فُلَانٍ شِطْرَةٌ ، إِذَا كَانَ ذِكْرُهُمْ بِعَدَدٍ إِنْثَاهِمُ . يَرِيدُ : نَاصَتْنِي . وَمَعْنَى
« تَقَضَّى شَطْرُهُ » بَلَغَ أَقْصَاهُ وَاسْتَوْفَاهُ . وَالَّذِي أَخْبَارُهُ أَنْ يُرْوَى « بِشْطَرِهِ »
عَلَى الْإِضَافَةِ . وَمِنْ الظَّاهِرِ أَنَّ تَقَضَّى أَحْسَنُ مِنْ تَقَضَّى فِي اللَّفْظِ ، وَأَبْلَغُ فِي
الْمَعْنَى . وَمَعْنَى بَشْطَرِهِ كَانَ الدَّهْرَ ادَّعَى أَنَّهُ قَسِيمُهُ فِي بَنِيهِ وَأَنَّ لَهُ مِنْهُمْ الشَّطْرَ ،
وَهُوَ النِّصْفُ ، فَقَاسَمَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى حَظَّهُ أَقْبَلَ بِأَخْذٍ مِنْ نَصِيْبِهِ الَّذِي
كَانَ أَقْرَبَ لَهُ بِهِ ، وَسَاهَمَهُ عَلَيْهِ . وَإِنَّمَا اخْتَرْتُ بِشْطَرِهِ عَلَى « شِطْرَةٍ » ، لِأَنَّ
شِطْرَةً لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْأَنْصِبَاءِ وَالنَّسَبِ ، وَالشَّطْرُ فِي النِّصْفِ مَعْرُوفٌ وَمُسْتَعْمَلٌ ،
وَمِنْهُ شَاءَ شَطُورٌ ، إِذَا يَبِيسَ أَحَدُ ضَرْعَيْهَا . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : حَلَبَ الدَّهْرَ
أَشْطَرُهُ ، إِذَا جَرَّبَ الْأُمُورَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَلَبِ ، أَيْ حَلَبَ شَطْرًا مِنْ الْخَيْرِ
وَشَطْرًا مِنَ الشَّرِّ ، حَتَّى تَبَصَّرَ وَعَرَفَ مَوَاضِعَ النِّجَاجَةِ مِنْ مَوَاضِعِ الْعَطَبِ
وَالْهَلَكَةِ .

وقوله « أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي » تَمَنَّى السَّلَامَةَ بِأَنْ كَانَ لَا يُخْلَقُ وَلَا
يُخْتَرَعُ فَيَنْجُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ ، وَمَلَابَسَةِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، وَالتَّرَدُّدِ بَيْنَ السَّعَادَةِ
وَالشَّقَاءِ ؛ وَتَمَنَّى بَعْدَ أَنْ أُوجِدَ وَخُلِقَ أَلَّا يَكُونَ فَاقِدَهُ وَالْمُعَزَّى فِيهِ ، بَلْ كَانَ
السَّابِقَ لَهُ وَالْمَقْدَّمَ عَلَيْهِ ، سَيِّمًا^(١) وَهِيَ جَارِيَانٍ إِلَى غَايَةِ مِنَ الْعَطَبِ لَا مَحِيصَ
عِنَهَا ، وَلَا مَفَرٍّ مِنْهَا .

٣- وكنتُ به أكنى فأصبحتُ كلما كُنيتُ به فاضتُ دُموعي على نَحْرِي

٤- وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفَرٍ على العِدَى فأصبحتُ لا يَخْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي

جَرَى على افتنانهم في تحويل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، وصرفه عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذكر . ألا ترى أنه أخبر في قوله « وقاسمني دَهْرِي بَنِي » ثم قال « ليتني سبقتك » فرجع إلى خطاب واحدٍ منهم ، ثم قال « وكنتُ به أكنى » فأخبر به عن أحد بنيهِ . والمعنى : كنتُ اكنيتُ به حُبًّا لذكرهِ واسمِهِ ، وتفاؤلاً ببقائه ودوامِهِ ، فبقِيَ الاسمُ والشخصُ مفقوداً ، فلا جَرَمَ أُنِي متى كُنيتُ به تَجَدَّدَ لِي حُزْنٌ أَفَاضَ عَبرَتِي ، وأغاضَ ماءَ عِشْتِي .

وقوله « وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفَرٍ على العِدَى » يُريد : إِنِّي كنتُ تامَّ السلاحِ بهم ، موفور العدد والعدد بمكانهم ، مخشًى الجانب ، لا يُطْمَعُ في استنزالي عن حُجَّةٍ أركبُها ، أو شبهةٍ أتعلقُ بها . وذكر النابِ والظُفَرِ مَثَلٌ خَرَبَهُ لِسلاحه وآلاته التي كان يدفع الخصومَ بها ، ويقهر الأعداءَ باستعمالها .

وقوله « لا يَخْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي » يريد لا ناب لي بعدهم ولا ظُفَر فيُخْشَى . فهو مَثَلٌ :

* ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ^(١) *

١٣٨

وأنشد لامرأة تراثي أباهَا :

١- إذا مادَعَا الداعِي عليًّا وجدْتُني أُرَاعُ كما رَاعَ العَجُولُ مُهَيَّبُ

٢- وكم من سَمِيٍّ ليسَ مَثَلِ سَمِيٍّ وإن كان يُدْعَى باسمه فيُجِيبُ

(١) البيت لابن أحرر ، كما سبق في حواشي ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ . وصدده :

* لا تفزع الأرنب أهوالها *

يقول : متى قَرَعَ أذنى دعاه داعٍ باسمٍ ولدى أذعر وأقلى ، كما يذعر
الشكلى مُهَيَّبٌ ، وهو الداعى . والشكلى تنزع لأدنى صيحة ترهقها ،
أو قرعة تصدم قلبها . ويجوز أن يريد بالعجول ناقةً فقدت ولدها بنحرٍ
أو موتٍ ، فهي فى حنينها تنفر من أخفض إهابه ، وأدنى بغي وإزعاجه .
ويقال لأمثالها من النوق : المعاجيلُ أيضاً . ووجدهن يزيد على كلٍّ وجدٍ .
لذلك قال :

فما وجدُ أظَارٍ ثلاثٍ روائمٍ رَأَيْنَ مَجْرًا من حُوارٍ ومَضْرَعًا^(١)
يَذْكُرْنَ ذا البَثِّ الحَزِينَ بِبَيْتِهِ إِذَا حَنَّتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا
بِأَوْجَدَ مِنِّي^(٢)

وقوله « وكم من سمى » يقول : ليس التوافق فى الأسماء مما يوجب التعادل
والتشابه فى المسميات ، لأنَّ الأعلام لا تُفِيدُ فى المسمين شيئاً ، لكنَّ التشابه
إنما يكون بالأوصاف الحاصلة ، والمعانى المتماثلة . وإذا كان كذلك فالتشارك
فى الأسماء وإن حصلت به الإجابة عند الدعاء لا يوجب تقارب المسمين
ولا تباعدهم .

٣٨٢

وقال رجلٌ من كَلْبٍ^(٣) :

١- لَحَى اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ وَوَجَدَا بَصِيْفِي أُنَى بَعْدَ مَعْبِدِ

(١) الأبيات لمتنم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك ، من قصيدة فى المفضليات رقم ٦٧ ،
وأنشدها المبرد فى الكامل ٧٥٦ - ٧٥٧ لبسك .

(٢) البيت بتمامه :

بأوجد منى يوم قام بمالك مناد بصير بالفراق فأسمعا

(٣) سبق البيت الثالث والرابع من هذه الحماسة فى الحماسة ٣٠١ ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .

وقد سبق التنبيه على مثل هذا التكرار فى الحماسة ٣٦٦ .

- ٢ - بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ فَمَا جَزَعِي أُمَ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي
٣ - فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَيَّ رَزَيْتَهَا وَلَكِنْ يَدِي بَأَنْتَ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي
٤ - فَالَيْتُ أَسَى بَعْدَهُمْ إِثْرَ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مَنْ وَجَدِي عَلَى هَالِكٍ قَدِي^(١)

لَحَى اللَّهُ : دعا على الدهر الذي وصفه ، وقد تقدّم القول في حقيقته . ومعنى « شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ » أى ما كان يُخْتَشَى من شرّه فى الأحيّة سبق ما كان يُرْتَجَى من خيره بهم . ثمّ دعا على وَجَدٍ تَعَجَّلَ له بصيفيٍّ بعد وَجَدٍ تقدّم في مَعْبِد ، كأنه كان لا يَأْتَن من أحداث الدهر فيما حُبِي وَأُنِعِمَ عليه في إخوة كرام . تَنَاسَقُوا في الولاد والوداد ، وتقابلوا في جَوَازِ تعليق الرّجاء بهم عند الحفاظ ، فيخاف . وعلى ذلك كان يَغْلِبُ في نفسه وعلى قلبه سلامتهم وبقاؤهم ، حُسْنُ ظَنِّ بالواهب ، وشِدَّة طمع في الموهوب ، فيسكن ولا يهاب . فلمّا جرى الأمر على خلاف ما ظنّ زعم أنّ شرّ الدهر سبق خيره ، فدعا عليه . وقوله « وَوَجَدَا بصيفيٍّ » ، يقول : ولحى أيضاً جَزَعًا تَجَدَّدَ بصيفيٍّ بعد مَعْبِد . وهذا تبرُّم منه بما قاسى من الدهر ، وكابد من جَزَع بعد جَزَع . وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر^(٢) :

* نَوَكَّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَبْضِي^(٣) *

وقوله « بَقِيَّةُ إِخْوَانِي » يجوز أن يكون المراد به خيار إخواني ، كما يقال : فلان من بَقِيَّةِ الناس . ويجوز أن يريد به أنّه كان في إخوانه وفورٌ ففقد منهم عدّة ، وجعل يأنس ببقيتهم ، فاتى الدهر عليهم أيضاً . وقوله « فَمَا جَزَعِي أُمَ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي » كأنه كان لا يَعتدُّ بالجزع الواقع لهم ومن أجلهم ، لقصوره عن الواجب ، ووقوعه دون اللازم ، ولا يَطمع من نفسه في مُسْكَةٍ

(١) فيما سبق : « فَأَقْسَمْتُ لَا آسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ »

(٢) هو أبو خراش الهذلي . انظر الحماسة ٢٦٢ ص ٨٧٦ .

(٣) صدره : * على أنها تعفو الكلوم وإنما *

يَتَمَلَّقُهَا ، أَوْ سَلَوَةٍ يَتَكَلَّمَنَّهَا ، إِذْ كَانَ الْخَطْبُ أَعْظَمَ ، وَالرُّزْزَةُ أَمْلَكَ .

وقوله « فلو أنها إحدى يدي رزيتها » جواب لو محذوف ، يريد : لو أصبتُ ببعضهم لسئل ما تعذر أو خف ما ثقل ، ولكنهم تجاوبوا للدعوة ، وتتابعوا في النقلة ، ففدحت المصيبة ، وجلت الرزية (١) .

وقوله « فآليت آسى بدمهم » يريد : حلفت لا آسى بدمهم في إثر هالك ، فحذف لا ولم يحذف التباسه بالواجب ، إذ كان للواجب صيغة مفردة باللام وإحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة ، وقد مر مثله . والمعنى أن خوفي كان فيهم ، وإذ قد أصبت بهم فإني لا أجزع لغائت ، فحسبي على الهلاك ما بي حسبي . وقال « قدي » ولو قال : قدني ، فإني بنون العمد ليسلم سكون قد ، لجاز . قال الشاعر (٢) :

* قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْحَبِيبِينَ قَدِي *

فإني بهما جميعاً .

وقوله « إثر هالك » انتصب على الظرف .

٣٨٣

وَأُنْشَدَنِي لِأَعْرَابِي (٣) :

١ - كَلَى اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا

٢ - فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ إِذَا انْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا

قد مر القول في بيان الدعاء على الدهر وشره ، وفي معنى « شره قبل

(١) ما سبق من شرح البيت في ص ٨٩٦ أقوى وأشمل مما هنا .

(٢) هوجيد الأرقط . الخزانة (١ : ٤٥٣) . وقد سبق في ٨٩٦ .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « وأنشد لابن الأعرابي » ، وهو تحريف . وعقد

التبريزي : « وقال أعرابي » .

خير^(١) « فأما قوله « تَقَاضَى فلم يحسن إلينا التَّقاضيا » فالعنى طالبنا برد ما منحنّا فلم يُحسن في التقاضى ، لإمرافه في الفعل ، واستعجاله في الرد ، واعتسافه في الأخذ ، ولأنّ العواري قد تُرتجع ، والمناخ قد تُستردّ ، على وجه لا يُخلّ فيه بالإجمال ، ولا يُفسد به ما تقدّم من الإفضال .

وقوله « فتى كان لا يطوى على البخل نفسه » يريد أنّه إذا اجتداه المجتدى لا يرى لنفسه أن تطوى على البخل والإمساك ، والضنّ بما في يده عليه ، إذا ائتمرت نفسه ، أى تشاورت فيما بينه وبينهما ، فأقبلت واحدة تأمر بالبذل ، والأخرى تشير بالإمساك . ففي ذلك الوقت يصمّ على ترك الائتمار للآمر بالبخل ويخرج من طاعته إلى العطاء والبذل . والائتمار : التشاور هاهنا . فأما قوله :

* وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمِرُ^(٢) *

فالمراد به ما يجعله من أمره وهمه ، فيقول : إذا ائتمر المرء لغيره ما ليس برشاد فإنه يعدو عليه فيهلكه . وهذا كما قيل : من حفر مهواة وقع فيها .

٣٨٤

وقال الأبيرد اليربوعي^(٣) :

١- وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي بَزِيدَ تَغَوَّلَتْ
بِى الْأَرْضُ فَرَطَ الْحَزْنَ وَانْقَطَعَ الظُّهْرُ^(٤)

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣ . وصدده :

* أحار بن عمرو كأنى خمر *

(٣) هو الأبيرد بن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن مالك ابن حنظلة التميمي . شاعر بدوى من شعراء صدر الإسلام وأول دولة بنى أمية . الأغاني (١٢ : ٩ - ١٥) .

(٤) يزيد ، كذا وردت في النسختين . والصواب « بريدا » كما في الأغاني ورواية التبريزي . وبريد هذا هو أخوه الأبيرد ، كما في شرح التبريزي والأغاني ، وأمالى القالى (٣ : ٢) حوتبيه البكرى ٦٦ .

يقول : لَمَّا خَبَرَ الْحَبِيرَ بِمَوْتِ يَزِيدَ تَلَوْنَتْ الْأَوْضُ فِي عَيْنِي فَأَبْيَضَتْ تَارَةً
وَأَسْوَدَتْ أُخْرَى ، لَشِدَّةِ حُزْنِي ، وَانْقَطَعَ ظَهْرِي ، وَتَسَاقَطَتْ قُوَايَ ، وَقَوْلُهُ
« تَغَوَّلْتُ » اسْتِثْقَاؤُهُ مِنَ الْغُولِ . وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْجَنِّ أَنَّهُمْ
يَتَصَوَّرُونَ بِمَا شَاءُوا مِنَ الصُّوَرِ . وَيُقَالُ : غَوَّلَتْهُمْ الْغُولُ وَتَغَوَّلَتْهُمْ ، إِذَا
تَوَهَّتَتْهُمْ . وَانْتَصَبَ « فَرَطُ الْحَزَنِ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وَالْكَلَامُ تَسْلِيٍّ مِنْ
غَيْرِ الدَّهْرِ وَتَأْثِيرِ الْمَصِيبَةِ فِيهِ ، حَتَّى انْكَسَرَ قَنَاةُ ظَهْرِهِ ، وَاخْتَلَّ مَا كَانَ
قَوِيماً مِنْ أَمْرِهِ .

٢ - عَسَاكِرُ تَغَشَّى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْ أَوْسَكْرَةً دَارَتْ بِهَا مَتَى الْخَمْرُ^(١)

العساكر : جمع عَسْكَرَةٍ ، وَهِيَ الشَّدَّةُ . قَالَ :

* ظَلَّ فِي عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا^(٢) *

فَيَقُولُ : غَشِيَتْ نَفْسِي أَنْوَاعُ الْبَلَاءِ ، فَزَالَ عَقْلِي لَهَا ، حَتَّى صَرْتُ كَأَنِّي
سَكْرَانٌ دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي عَقْلِهِ وَدِمَاغِهِ ، حَتَّى دَارَتْ هَامَتُهُ ، وَزَالَ تَمَاسُكُهُ وَقُوَّتُهُ .
وَلَكِ أَنْ تَرَوِي : « دَارَتْ بِهَا مَتَى الْخَمْرُ » لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَخُو السَّكَرَةِ نَفْسَهُ جَازٍ
أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ ضَمِيرَ نَفْسِهِ . وَهُمْ يَفْعَلُونَ فِي الصِّفَاتِ وَالصَّلَاتِ
هَذَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً^(٣) *

وَلَمْ يَقُلْ أُمُّهُ ، وَإِنْ كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ . وَإِنْ رُوِيَ « دَارَتْ بِهَا مَتَى الْخَمْرُ »
فَهُوَ الصَّوَابُ الْمُخْتَارُ .

(١) فِي الْأَمَالِي : « أَخُو نَشْوَةِ » .

(٢) الْبَيْتُ لَطْرَفَةٌ فِي دِيْوَانِهِ ٦٥ وَاللِّسَانُ (عَسْكَرٌ) . وَعَجِزُهُ :

* وَنَأَتْ شَعَطُ مَزَارِ الْمَذْكَرِ *

(٣) لَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢٠ .

- ٣— فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَمَعْنِي تَخَرَّقَ فِي الْغَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ^(١)
 ٤— فَتَى لَا يَعُدُّ الرَّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تُنَحَّرَ الْجُزْرُ
 البيت الأول يشبهه قولُ الهذلي^(٢) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

وقوله « تَخَرَّقَ فِي الْغَنَى » أى تَكَرَّمَ فِي غِنَاهُ وَتَوَسَّعَ . وَهُوَ تَفَعَّلَ مِنَ الْخَرَقِ : الْكَرِيمُ مِنَ الرِّجَالِ ، الَّذِي يَتَخَرَّقُ بِالْمَعْرُوفِ .

وقوله « وَإِنْ قَلَّ مَالٌ » أَرَادَ مَالَهُ . وَمَعْنَى « لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » أَيْ لَمْ يُوَرِّثْهُ إِقْلَالُهُ تَخَضُّعًا وَتَخَشُّعًا حَتَّى تَطَاطَأَ ظَهْرُهُ وَانْخَفَضَ شَخْصُهُ . وَإِنْ رُوِيَ « وَإِنْ قَلَّ مَالًا » بِالنَّصْبِ جَازٌ ، وَيَكُونُ فَاعِلُ قَلَّ مَا اسْتَكَنَّ فِيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْفَتَى ، وَانْتَصَبَ مَالًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا ﴾ .
 وقوله « فَتَى لَا يَعُدُّ الرَّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ » يَرِيدُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ بِهِ لَا يَعُدُّ اللَّبَنَ قَاضِيًا ذِمَامَ قِرَاهِمَ ، وَلَا كَافِيًا فَيَا يَجِبُ عَلَيْهِ لَمْ ، حَتَّى يَنْحَرَّ جُزْرُهُ ، وَيَوْسَّعَ مَطَاعِمَهُ . وَقَوْلُهُ « أَوْ تُنَحَّرَ » أَوْ بَدَلٌ مِنْ إِلَّا ، وَانْتَصَبَ الْفَعْلُ بِإِضْمَارِ أَنْ^(٣) .

(١) الْقَالِي : « وَإِنْ كَانَ فَقْرٌ لَمْ يُوَدِّ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » . الْأَغَانِي : « فَإِنْ قَلَّ مَالًا لَمْ يُوَدِّ مَتْنَهُ » . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

وَسَامَى جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ فَنَالَهَا عَلَى الْعُسْرِ حَتَّى أَدْرَكَ الْعُسْرُ الْيُسْرَ

(٢) هُوَ الْمَتَنُخْلُ الْهَذَلِيُّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٣٠) . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الْبَيْتُ

فِي ٥٥٢ .

(٣) أَنْشَدَ التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ هَذَا الْبَيْتَ :

أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَا قِيَا بَرِيدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لِأَلَّا الْعُمْرُ

وَقَالَ : الْعُمْرُ الظُّبَاهُ الَّتِي تَعْلُو بِبَاضِهَا حَرَّةً . وَلِأَلَّا الظُّبَى : حَرَكُ ذَنْبِهِ . وَمِنْهُ تَلَاؤُ الْبَرْقِ ، إِذَا تَحَرَّكَ . وَلَمَّا اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي الْبَرْقِ وَكَانَ مَعَ إِضَاءَةٍ اشْتَقَوْا مِنْهُ اسْمَ الْتَلَاؤِ .

٣٨٥

وَأَنشَدَ لِسَلْمَةَ الْجُعْفَى يَرِثِي أَخَاهُ لَأَمَّهُ ^(١) :

- ١- أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلَوْمُهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ
 - ٢- أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ لَسْتُ مَاعِشْتُ لَأَقِيًّا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْقَبْرُ
- يقول : إني أنسخط ما أقيمه من التلمع فيمن أصبت به ، حتى أرجع إلى نفسي إذا خلوت بها باللوم والتعنيف ، وأقول حل ^(٢) بك الويل ، ما الذي يظهر منك من تكلف الجلد والصبر فيما بليت به . أما علمت أني مدة عيشي لا ألقى أخى وقد حجز بيني وبينه النفي ؟ !

وقوله « أَلَوْمُهَا » في موضع الحال ، « وَلَكَ الْوَيْلُ » في موضع المفعول لأقول ، و « مَا هَذَا التَّجَلُّدُ » استفهام على طريق التقرع والنوبيخ . وارتفع التجلد على أنه عطف البيان . وقوله « أَلَمْ تَعْلَمِي » تقرير فيما هو واجب ، لأن حرف الاستفهام قد ضامه حرف النفي ، والاستفهام غير واجب فهو كالنفي ، ونفي النفي إيجاب .

وقوله « أَنَّ لَسْتُ » أن مخففة من الثقيلة ، واسمه يجوز أن يكون ضمير الرجل ، أراد أني لست ، ويجوز أن يكون ضمير الأمر والشأن . و « مَاعِشْتُ » في موضع الظرف . و « لَأَقِيًّا » خبر ليس . و « إِذْ أَتَى » ظرف له . والأوصال :

(١) هو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن الجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن جريم بن جعفي . وجعفي : حى من مذبح نزل الكوفة . وكان من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث عنه . الإصابة ٣٣٩٨ . وذكر ابن حجر أنه يرثي أخاه شقيقه قيس بن يزيد . وذكر النقال في الأمالي (٢ : ٧٣) أنه أخوه لأمه كما قال أبو تمام ، واسمه عنده : « قيس بن سلمة » ، وصحح الليكوى في التنبيه ٩٧ أن أخاه لأمه هو « مسلمة بن مغراء » .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « جل » بالجم المعجمة .

جمع وَضَلٍ ، وهو اسمٌ للأعضاء المتَّصلِ بعضها ببعض . ويقال : وَضَلْتُ وَوَضَلْتُ ، بالفتح والكسر .

٣- وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيِّنٍ كَانَ مِيعَادَهُ الْخَشَرُ
٤- وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي سَوْفَ أَغْتَدِي عَلَى إِثَرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمُرُ

قوله « كالموت » جعل الكاف وحده اسماً . وكان أبو العباس يتبع أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسماً في غير الضرورة ، وأنشد :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ^(١)

ويجعل الكاف في موضع فاعل يَنْهَى . وسيبويه لا يرى ذلك إلا في الضرورة ، كأنه قال : أرى مثل الموت . ولا يمتنع أن يكون « كالموت » صفةً لموصوف محذوف ، كأنه قال : وكنت أرى شيئاً أو أسراً مثل الموت .

وقوله « مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ » مِنْ دَخَلَ للتبيين^(٢) ، والمعنى : كُفْتُ أَعْدُو مَفَارِقِي لَهُ فِي لَيْلَةٍ كَالْمَوْتِ ، أو أقاسى مثل الموت مِنْ أَجْلِ مَفَارِقَةِ لَيْلَةٍ مِنْهُ ، فكيف يكون حالى وقد فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَيْنَ مَوْعِدُ الْإِلْتِقَاءِ بَعْدَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ . ومثل قوله « مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ » قوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ . ولك أن تجعل مِنْ بَيْنِ ، في موضع المفعول لأرى ، وتجعل مِنْ زائدة على طريقة الأَخْفَشِ في جواز دخوله زيادةً في الواجب ، فيكون التقدير : كُفْتُ أَرَى بَيْنَ لَيْلَةٍ ، أَيْ فِرَاقِ لَيْلَةٍ ، كَالْمَوْتِ . فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني . وقوله « كَانَ مِيعَادَهُ » وَضَعَ الْمَاضِي مَوْضِعَ الْمُسْتَقْبَلِ أَيْ يَكُونُ مِيعَادَهُ ، والهاء يرجع إلى الْبَيِّنِ ، كأنه وعدُّه الزَّوَالَ وَالْإِلْتِقَاءَ مَعَهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي يَوْمِ الْخَشَرِ .

وقوله « وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي » موضع أنى رَفَعْتُ ، لأنه فاعل هَوْنٌ

(١) البيت للأعشى من لاميته المشهورة . ديوانه ص ٤٨ .

(٢) في الأصل : « للتبيين » . صوابه في ل .

والمعنى : خَفَّفَ وَجْدِي وَقَلَّيْتُ أَنِّي ذَاهِبٌ فِي إِثْرِهِ ، وَنُحِّلْ مَكَانِي فِي الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ أَطِيلَ عُمرِي ، وَنَفْسِي فِي أَجَلِي .

٥- فَتَّى كَانَ يُعْطَى السَّيْفُ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ

٦- فَتَّى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

يريد أن المرئي كان إذا حضر الوغى تصور للسيف عليه حقًا ، فجاهد نفسه في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرّر : يال فلان !! مراراً . والتثويب في الأذان معروف . وقوله « وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ » يريد وقت نزول الأضياف ، وأنه كان لا يَرْضِيهِ أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ فِي نَزْلِ الضَّيْفِ ^(١) ، بل كان يرتقى إلى أعلاها .

وهذا المعنى قد مضى قريباً ، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله ^(٢) . ومعنى يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ أَنَّهُ كَانَ يَعُدُّ التَّفَرُّدَ بِالْغِنَى لُؤْمًا ، وَكَانَ يُشْرِكُ أَصْدِقَاءَهُ فِيهِ ، كَمَا يَعُدُّ فِي حَالِ الْإِضَافَةِ وَالْفَقْرَ مِلَابَسَةً الْأَصْدِقَاءِ كَالْتَعَرُّضِ لَخَيْرِهِمْ ، فَيُبْعَدُ عَنْهُمْ .

٣٨٦

وَقَالَتْ عَمْرَةُ الْخَثْعَمِيَّةُ ، تَرْنِي ابْنَيْهَا :

١- لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ : وَابَايَاهَا

الزُّعْمُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِيمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ قَالَتْ فِيمَا حَكَّتْ عَنْ الْقَوْمِ : زَعَمُوا . كَانَهَا لَمَّا اسْتَشْرَفَ ^(٣) النَّاسُ جَزَعَهَا وَهَلَعَهَا ، فَتَذَاكُرُوا أَمْرَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَظْهَرَتْ الْإِنْكَارَ وَالتَّسْكَذِيبَ فِيمَا تَوَهَّمُوهُ ، فَقَالَتْ : وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَايَاهَا ،

(١) النزل بضمة وبضميتين : ما يهيا للضيف أن ينزل عليه .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) في النسختين : « استشرف » بالشين المعجمة بعد التاء ، والوجه ما أثبت .

تَرَى أَنَّ مَا تَكَلَّفْتَهُ مِنَ التَّوَجُّعِ لَهَا عَلَى قَدَرِ قَوْلِ الْقَائِلِ : «وَأَبَايَا». وَلَفْظُهُ «وَأَبَايَا» تَأْلُمٌ وَتَشَكُّ، وَهِيَ حَرْفٌ لِلنَّدْبَةِ. وَ«أَبَايَا» أَرَادَتْ : أَبَايَا هَا، فَفَرَّ مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا. عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : بَادَاةٌ وَنَاصَاةٌ، فِي بَادِيَةٍ وَنَاصِيَةٍ. وَقَوْلُهَا «وَهَلْ جَزَعٌ» ارْتَفَعَ جَزَعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ مُقَدَّمٌ، وَ«أَنْ قُلْتُ» فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ، تَقْدِيرُهُ هَلْ جَزَعٌ قَوْلِي وَأَبَايَا، وَارْتَفَعَ هَا مِنْ وَأَبَايَا عَلَى الْمَبْتَدَأِ، وَأَبَايَا خَبْرُهُ. هَذَا عَلَى طَرِيقَةِ سَبْيُوهِ، وَعَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ يَرْتَفِعُ بِالظَّرْفِ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : «بَأَنَايَا»، أَيْ أَفْدِيَهُمَا بِنَفْسِي وَأَنَا هُوَ ضَمِيرُ الْمَرْفُوعِ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْضِعَ الْمَجْرُورِ، وَكَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَأَنَا، وَأَنَا كَهُوَ.

٣ — هَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فِدَعَايَا أَلَمْتُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ ^(١) :

* إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَّ جَانٍ ^(٢) *

تَقُولُ : كَأَنَّا يَنْصُرَانِ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا خَشِيَ نَبْوَةَ مَنْ نَبَّوَاتِ الدَّهْرِ يَوْمًا فَاسْتَغَاثَ بِهِمَا. وَقَوْلُهَا «أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ» فَصَلَتْ فِيهِ بَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْمُضَافِ بِالظَّرْفِ، فَلِذَلِكَ حُذِفَتِ النُّونُ مِنْ أَخَوَانِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ ^(٣)
فَفَصَّلَ بِقَوْلِهِ «مَنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا». وَقَوْلُهَا «مَنْ لَا أَخَالَهُ» نَوَتْ الْإِضَافَةَ ثُمَّ أَدَخَلَتْ اللَّامَ تَأْكِيدًا لِلْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا، لِذَلِكَ أَثْبَتَتِ الْأَلْفَ مِنْ

(١) هُوَ سِوَارُ بْنُ الْمُضَرِّبِ السَّعْدِيُّ. الْحَاسِيَةُ ١٨ ص ١٣٣.

(٢) صَدْرُهُ : * وَأَنَّى لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبِ *

(٣) الْبَيْتُ لِلزُّرْمَةِ فِي دِيْوَانِهِ ٧٦ وَاللِّسَانُ (فَقْصُ). وَيُرْوَى : «لِنَقَاضِ الْفَرَارِيحِ».

لا أخوا ، لأن هذه الألف لا تثبت إلا في الإضافة إذ كان في الأفراد يُقالُ أخٌ .
 وخبر لا محذوف كأنها قالت : لا أخوا موجوداً أو في الدنيا . ولو قالت : لا أخ
 له ، لكان له خبراً للاً ، على قولهم : لا أب لك ، ولا أباً لك . وإنما قلت
 أدخلت اللام لتوكيد الإضافة التي قصدتها ، لأن الإضافة غير معتد بها هنا ، فلا
 تُعرَّفُ الأخ ، واللام تُبطلُ الإضافة في الأصل . وهذه اللام لا تدخل إلا في
 بابين : أحدهما باب النفي ، وهو ما نحن فيه ، والثاني باب النداء في مثل قولهم :

* يا بُوسَ للحرب ^(١) *

لأن المراد : يا بُوسَ الحرب .

٣ - هُما يلبسانِ المجدَ أحسنَ لبسةٍ شحيحانِ ما اسطاعا عليه كلاهما
 وصفتهما بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجل
 اكتساب ، وأنهما يضمنان به حيثُ ظهر وطلع فلا يترُكانه لأحدٍ مادام
 يستطيعان كسبه والفوز به . وانتصب « أحسنَ لبسة » على أنه مصدر . وارتفع
 « شحيحان » على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « كلاهما » ، و « ما اسطاعا » في
 موضع الظرف واسم الزمان محذوف معه . واسطاعَ منقوص عن استطاع .
 وتقدير الكلام : كلاهما شحيحان به ما اسطاعا عليه ، أي ما قدرا عليه . ومعنى
 « يلبسان المجد » ، أي يتملئانه ويتمتعان به . قال :

لبستُ أبى حتى تملئتُ عيشه وبليتُ أعمى وبليتُ خاليا

٤ - شهابانِ مِنّا أوقداً ثم أخذَا وكانَ سفاً للمُدَّاحينَ سنَّاهُما
 ارتفع « شهابان » على أنه مبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفاً بمنّاء

(١) قطعة من بيت في الحماسة ١٦٧ . وهو بتمامه :

يا بوس للحرب التي وضعت أراطل فاستراحوا

وأوقداً في موضع الخبر . والمعنى : أنهما لم يُمهَلاً للتَّام والسَّكَّال ، بل كانا كفارين أوقداً تايم أنبعثتا بالإخاد . والكلام توجع وتلهف . وقولها « وكان سنًا للمدجلين سناها » تريد نارها الموقدة للضيغان وللطُّراق بالليل ، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيردون فناءه مستمسكين أرماقهم به ، ومتخلصين من سلطان البرد والجوع وشقة السفر إليه . ولا يمتنع أن يرتفع شهابان على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هما شهابان .

٥- إذا نزل الأرض المخوف بها الردى مُحَفِّضٌ من جأشيهما مُنْصِلًا لهما

تصفهما بالصبر في دار الحفاظ ، وأنهما إذا نزلًا مكاناً مخوفاً لا يؤمن الردى فيه يُسكن من قلقهما سيفهما . وهذا فيه إعلام بأنهما كانا لا يعتمدان في الشدة نزل بساحتها على غيرهما ، وأنهما كانا يتحملان الأثقال بأنفسهما ، فلا صاحب لهما يُتَّكل عليه ، ولا معين يُسكن إليه ، إلاَّ السيف . فهو كقول الآخر ^(١) :

* ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً ^(٢) *

٦- إذا استغنيا حبَّ الجميع إليهما ولم ينأ عن نفع الصديق غناها

تقول : وإذا نالا الغنى وساعدهما الحال حبَّ جماعة الحى والمتعلقين ^(٣) بحبلهما ، فازداد توفراً عليهم ، وتفقداهم ، ولم يبعد غناها من انتفاع الغرباء والأجانب ، ومن يقسب بودٍ وصداقة إليهما . فقولها « حبَّ الجميع إليهما » مقصورٌ على النسب ، وآخر البيت مصروف إلى الصديق الغريب . وساغ أن يُراد بالجميع الحى كلهم لاجتماعهم حوله . والجميع والجمع : المجتمعون . والجماع : المتفرقون . قال :

(١) هو سعد بن ناشب . الحماسة ١٠ ص ٧٤ .

(٢) صدره : * ولم يستشر في أمره غير نفسه *

(٣) ل : « والمتعلقين » .

* من بين جَمْعٍ غَيْرِ جُمَاعٍ ^(١) *

٨- إذا افتقرَ لم يَجْتُمَا خَشْيَةَ الرَّدَى ولم يَخْشَ رُزْءًا منهما مَوَلِيَّاهُ

تريد أنَّهما إذا مسَّهما الفقر ، وضاقَ بهما الأمر ، لم يَلْزَمَا بيوتَهما تاركين للغزو والتَّجَوُّل في طلب المال ، خوفًا من الهلاك ، وميلاً إلى الرَّاحة عن التَّسيار لكنَّهما يَسْعِيان فلا كِتْسَاب ، ويتَحَمَّلان من المشاقِّ ما يَنالان به مَنَاهُما ، أو يقيمان به العُدْر [عند ^(٢)] مَنْ رَأَى أحوالَهما . وقولها « ولم يَخْشَ رُزْءًا منهما موليَّاهُ » تريد أنَّهما لا يستحملان مَوَلِيَّيهما عِيشًا من فقرها ، ولم يَضَعَا أنفسَهما في موضع الارتزاء منهما ، وجَبَرَ الحالَ بِمالِهما ويسارِهما . وهذا كقول الآخر ^(٣) :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقِرَّه على نفسه [ومشيحٌ غِنَاه ^(٤)]

وقولها « لم يَجْتُمَا » مِنْ جَمْعِ الطَّائِر . وهم يُسْتَوْن مَنْ رَضِيَ بفقره وصار لبيته كبعض أحلاسِه : الضَّاجِع والضُّجْجِي ^(٥) ؛ لأنَّ الضُّجْجَةَ خَفَضُ العيش . وإلى هذا المعنى يشير القائلُ في ذمِّه قوماً :

أولئك مَعَشَرٌ كِبَنَاتٍ نَعَشٍ ضَوَاجِعُ لَا تَسِيرُ مع النُّجُومِ ^(٦)

يُرْوَى : « رَوَاكِد » . وانتَصَبَ خَشْيَةَ الرَّدَى على أنَّه مفعولُ له . وقولها « موليَّاهُ » ليس يراد به التَّنْذِيه ، بل المراد به الكثرة . وعلى ذلك قولهم : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ .

(١) لأبي قيس بن الأسلت الأنصارى في المفضلية ٧٥ . صدره :

* حتى تجلت ولنا غاية *

(٢) التكلية من ل .

(٣) هو المنتخل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

(٤) التكلية من ل وديوان الهذليين .

(٥) يضم الضاد وكمرها .

(٦) انظر الأزمته والأمكنة للمرزوقي ٣٧٢ . وفي اللسان (ضجع) :

أولئك قبائل كبنات نعش ضواجع لا يفرن مع النجوم

٨ - لَقَدْ سَاءَ نِي أَنْ عَدَسَتْ زَوْجَتَاهَا * وَأَنْ عُرِّيَتْ بَعْدَ الْوَجَى فَرَسَاهَا

٩ - وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ يُسْتَلُّ مِنْهُمَا خِيَارُ الْأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ غَمَاهَا

يقال : عَدَسَتْ المرأة وعَسَتْ بالتحديد ، إذا قعدت بعد بلوغ النكاح
أعواماً لا تنكح . ويستعمل في الرجل أيضاً . قال :

* حَتَّى أَنْتَ أَشْمَطُ عَانِسُ *

كأنهما كانا تزوجاً بامرأتين ولم يحوِّلاهما^(١) ، ولما اتَّفَقَ عليهما ما اتَّفَقَ
بقيتاً على حالهما زُهداً في النكاح بَعْدَهَا ، وَعِلماً بالألّا اعتياضَ منهما . فنقول :
زاد ذلك في مَسَاءَتِي ، وزاد فيها أيضاً تَغْرِيبَةً من الإسراج والإلجام ، بعد أن
كانا يُسْتَعْمَلَانِ على ما يَعتَرِضُ لهما من الخَفَى في غَزْوِ الْأَعْدَاءِ وغيره . وإنما ساءَها
ما حَصَلَ مِنَ الْأَمْنَةِ فِي الْجَوَابِ التي كانا يقصدان ويُوقعان بها بعد الرِّقْبَةِ
الشَّدِيدَةِ ، وما عَلِمَ^(٢) أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ وَلَزِمُوهُ مِنَ الشَّمَاتَةِ وإظهار الفَرَحِ والمسرّة .

وقولها : « لَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ » جمعتُ لكلِّ واحدٍ عَرَشاً به كان يثبت
ويقوم ، فيقول : العرش إنما بقاؤه بَعْمُدِهِ ، فإذا انْتَزَعَ خِيَارُهَا مِنْهُ فَلَنْ يَلْبَثَ
أَنْ يَمِيلَ سَقْفُهُ فَيَسْقُطَ . وهذا مَثَلٌ ضَرْبَتُهُ لِعِزِّ ذَوِيهِمَا ، وإذْ قد مَضَيَا فَيُوشِكُ
أَنْ يَنْتَلِمَ وَيَنْخَفِضَ . والأواسى : جمع آسِيَةٍ ، وهى الأساطين . والغيا ، بكسر
العين والمد : سَقَفُ الْبَيْتِ . والغَمَا بِالْفَتْحِ والقصر لغة .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في النسختين وعند التبريزي ، ولم يتضح لي
ما المراد بالتحويل .

(٢) ل : « وما علمت » .

٣٨٧

وقال الآخر :

١ - صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى صَفِيِّ مُدْرِكٍ يَوْمَ الْحِسَابِ وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ

٢ - نِعَمَ الْفَتَى زَعَمَ الرِّفِيقُ وَجَارُهُ وَإِذَا تَصَبَّصَبَ آخِرُ الْأَزْوَادِ

يُرْوَى : « وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ » تجرؤه وتعطفه على الحساب ، ويكون تَجْمَعُ في معنى تَجْمَعُ . وَيُرْوَى « وَتَجْمَعُ » بالنصب ، ويكون ظرف مكان ومعطوفا على يَوْمَ الْحِسَابِ . وَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى : الرَّحْمَةُ . وَالْمُرَادُ : رَحِمَ اللَّهُ مُدْرِكًا صَفِيًّا فِي الْوَدِّ ، رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذُنُوبِهِ ، وَتُعْتَقَى عَلَى سَوَابِقِ فَرَطَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا حَضَرَ الشَّهَادَةُ وَوُضِعَ الْحِسَابُ عَلَى تَحَاكُمِ الْخُصُومِ ، وَقَامَ الْجَزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالْعُصَاةِ .

وقوله : « نِعَمَ الْفَتَى » الممدوح محذوف ، كَأَنَّهُ قَالَ نِعَمَ الْفَتَى مُدْرِكٌ . قَالَ : وَلَيْسَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنِّي وَمِنْ جِهَتِي ، وَلَا مِنْ جَمَلَةٍ مَدْحِي ، عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي تَأْيِينَ الْهَلَاكِ ، وَلَكِنَّهَا مِمَّا أَدَّاهُ وَكَثَّرَهُ رَفَقَاؤُهُ فِي السَّفَرِ ، وَجِيرَانُهُ فِي الْحَضَرِ ؛ فَهِيَ حِكَايَةُ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَمُؤَدَّاةُ قَضِيَّتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَإِذَا تَصَبَّصَبَ آخِرُ الْأَزْوَادِ » مَعْنَى تَصَبَّصَبَ قَرِيبَ مِنَ النَّفَادِ . يَرِيدُ : وَنِعَمَ الْفَتَى هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّهُ يُوَثِّرُ غَيْرَهُ بِالطَّعْمِ عَلَى نَفْسِهِ . وَتَلْخِيسُ الْكَلَامِ : نِعَمَ الْفَتَى مُدْرِكٌ فِي الْمُرَافَقَةِ وَالْجَاوِرَةِ ، وَعِنْدَ نَفَادِ الزَّادِ . وَالْأَشْهَادُ : جَمْعُ الشُّهُودِ . وَاكْتَفَى زَعَمَ بِالْفَاعِلِ فِي اللَّفْظِ ، لِأَنَّهُ مَفْعُولِيهِ دَلَّ الْكَلَامُ عَلَيْهِمَا .

٣ - وَإِذَا الرُّكَّابُ تَرَوَّحَتْ ثُمَّ اغْتَدَّتْ حَتَّى الْمَقِيلِ فَلَمْ تَبْجَحْ لِحَيَادِ

يريد : ونعم الفتى هو إذا وَصَلَت الرُّكْبُ السَّيْرَ بالشَّرَى ، فلم تَعْطِفَ
 لا محرفٍ وازورار ، ولم تعرِّجْ لإصلاح شأن ، لكنها استمرت وَجَدَتْ لِمَا
 أَرْعَجَهُمْ وَبَعَثَهُمْ عَلَى اسْتِدَامَةِ النَّشْمِيرِ ، وتعجيل الحركة وترك التقصير ، وطى
 المنازل ، واستقصار المراحل . ومعنى تَرَوَّحَتْ راحَتُ . والروَّاحُ : العِشْيُ .
 وراحت الإبلُ رَوَّاحًا . والإراحة : رَدُّ الإِبِلِ عَشِيًّا مِنَ الرَّمْيِ . يقال : سَرَّحْتُهَا
 بِالْعَدَاةِ^(١) وَأَرَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ . ومعنى اغتَدَّتْ حَتَّى الْقَيْلِ : سارت غُدُوًّا إِلَى وَقْتِ
 الْقَيْلُولَةِ . أَيْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَأْتِي بِمَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَذْحُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَرُقَقَائِهِ ،
 لِكَرَمِ صَحَابَتِهِ ، وَحَسَنِ رِفَاقَتِهِ . ومعنى « لَمْ تَعُجْ » لَمْ تَعْطِفَ . يقال : عاجَ
 عَوْجًا وَعِيَاجًا . وَالْحِيَادُ : الإِعْرَاضُ عَنِ السَّيْرِ لِلنَّزُولِ . وَالْفَعْلُ مِنْهُ حَادَ .
 وَيُقَالُ : مَالَكَ عَنْ هَذَا مَحِيدٌ وَحِيدَانٌ وَحِيَادٌ .

٤ - حَثُّوا الرُّكْبَ تَوْبُوبًا أَنْضَاؤَهَا فَزَهَا الرُّكْبَ مَغْنِيَانِ وَحَادٍ^(٢)

٥ - لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْسُوا مُدْرِكًا وَضَعُوا أَنْامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ

وصَفَ وَزَادَ فَنَائِهِ بَعْدَ فَنَائِهِ ، وَزَوَّارَ قَبْرِهِ طَلِبًا لِحَبَائِهِ ، فيقول : اسْتَعْجَلُوا
 رَوَاحِلَهُمْ وَحَضُّوْهَا عَلَى قَصْدِهِ وَالْوَصُولِ إِلَى بَابِهِ ، وَمَهَازِيلُهَا الَّتِي قَدْ أَثَرَّ بُعْدُ
 الشُّقَّةِ فِيهَا فَأَنْضَاؤَهَا ، تَوْبُوبُ إِلَيْهَا إِذَا نَزَلَتْ ، أَيْ تَسِيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ حَتَّى يَتَّصِلَ
 سَيْرُهَا بِاللَّيْلِ ، طَلِبًا لِلتَّلَاحُظِ مَعَهَا ، فَاسْتَخَنَّهَا وَنَشَطَهَا مَغْنِيَانِ بِالْخِدَاءِ ، وَسَائِقٌ
 يَجِدُوْهَا ، حَتَّى وَصَلُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ قَدْ فَقَدَتْ مُدْرِكًا ، يَعْنِي الْمَرْتَى ،
 أَمْسَكُوا عَلَى أَكْبَادِهِمْ خَوْفًا مِنْ تَصَدُّعِهَا ، إِذْ لَوْ أَدْرَكُوْهُ حَيًّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 الْغَنَى إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ حَاجِزًا وَلَا مَانِعًا .

(١) سَرَحَتِ الْمَاشِيَةَ تَسْرَحَ سَرَحًا وَمَسْرُوحًا ، وَسَرَحْتُهَا أَنَا سَرَحًا ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « تَوْبُوبًا أَنْضَاؤَهَا » . قَالَ : « وَيُرْوَى : تَوْبُودَهَا »

إن قيل: لم جاز لنا رؤوهم، والفاعلون هم المفعولون، وأنت لا تقول ضَرَبْتُني ولا ضَرَبْتُكَ، بل تأتي بدل ضمير المنصوب بالنفس، تقول: ضربت نفسي وضربت نفسك؟ قلت: إن أفعال الشك واليقين جُوزَ فيها ذلك. تقول: حسبتني ورأيتك وعلمتني، لخالقتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر. وقوله «تَوَوَّهَها أنصاؤها» في موضع الحال من الرّكّاب.

٣٨٨

وقال الشَّماخ^(١)

في عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه^(٢):

- ١ - جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ يَدُ اللهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَرْزُوقِ^(٣)
 - ٢ - فَمَنْ يَسْمَعُ أَوْ يَرَكِبُ جَنَاحِي نِعَامَةٍ لِيَذْرَكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّقُ
- يقول: جزاه الله عن الرعيّة خيرًا من بين الأسماء، وباركت نعمته الله - تعالى جدّه وإحسانه - في أديمه المرزوق، يعنى جلدَ عمر رضى الله عنه، حين طعنه أبو لؤلؤة فتى المغيرة بن شعبه. وأصل البركة النماء والثبات. ومنه برك البعير بُرُوكًا. وبرّا كاه القتال: حيث يبتزّكون، أى يمحئون على رُكبتهم.

(١) هو معقل بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان. والشماخ لقب له. والشماخ مخضرم من أدرك الجاهلية والإسلام. وهو أحد من هجا عشرينه وأضيافه ومن عليهم بالقرى. الأغاني (٨: ٩٧ - ١٠٤) والمؤتلف ١٣٨ واللائق ٥٨ - ٥٩ والخزانة (١: ٥٢٦) والشعراء ٢٧٤ والاشتقاق ١٧٤، وكتب الصحابة.

(٢) يزعمون أن الجن ناحت على عمر قبل أن يقتل بهذه الأبيات. الأغاني. وقال البريزي: «وقال أبو رياش: الذى عندي أنه لمزرد أخيه. وقال أبو محمد الأعرابي: هو لمزرد ابن ضرار أخيه». وقد نسبها الجاحظ في البيان (٣: ٢٦٤) إلى مزرد بن ضرار.

(٣) البيان: «عليك السلام من إمام». الأغاني: «عليك سلام من أمير».

وقوله : « فَن يَسَّح » يريد أن شأوه في الإيلة واستصلاح الرعيّة ونفقده مصالحيهم لا يُذكر ، فن أراد بلوغه والارتقاء إلى غايته بقي حسيراً مسبوفاً ولوركب جناح النعامة . يريد : لو أسرع إسرائعها . وقوله « بالأمس » ذكره على طريق تقريب الأمد . وقوله « يُسَبِّق » هو جوابُ الجزاء .

٣ - قَضَيْتَ أُمُوراً نَمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِحَ فِي أَكْامِهَا لَمْ تَفْتَحِ (١)
يقول : أَحَكَمْتَ أُمُوراً بِصَائِبِ نَظَرِكَ ، وَجَمِيلِ رَأْيِكَ ، وَحَسَنِ تَأْلُهِكَ (٢)
نَمَّ أَعْيَلَتْ فَتَرَكْتَ بَعْدَهَا دَوَاهِيَ وَخُطُوباً عَظِيمَةً ، هِيَ فِي أُعْطِيَتِهَا لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ يُكْشَفْ عَنْهَا ، وَالْفَتْقُ : ضِدُّ الرِّتْقِ ، وَكُلُّ مُتَّصِلٍ مُسْتَوِيٍّ رَتْقٌ ، فَإِذَا انفَصَلَ وَانْكَشَفَ فَهُوَ فَتَقْتُ . وَالبَوَائِحُ : الدَّوَاهِي الْعَامَّةُ . وَيُقَالُ : بَاجَهُمُ الشَّرُّ ، أَيْ عَمَّهُمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* فَبَجَّتَهُ وَأَهْلَهُ بَشَرٌ *

وَالْأَكَامُ : الْأَغْطِيَةُ ، مِنْهُ كُمُ الثَّمَرَةِ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَجَرَةٍ مُشَوَّرَةٍ كُمٌ وَهُوَ بُرْعُومَتُهَا .

٤ - أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تُهَيَّرُ الْعِضَاهُ بِأَسْوَقِ
قوله « أَبْعَدَ قَتِيلٍ » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ التَّفْطِيعُ وَالْإِنْكَارُ . وَحَرْفُ الاسْتِفْهَامِ يَطْلُبُ الْفِعْلَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَتُهَيَّرُ الْعِضَاهُ عَلَى أَسْوَقِهَا بَعْدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ . هَذَا عَجَبٌ .

وقوله « أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ صِفَةِ قَتِيلٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّ حَصُولَ هَذَا الْأَمْرِ

(١) البَيَانُ : « بَوَائِحُ فِي أَكْامِهَا » . وَالبَاقِيَةُ : الدَّاهِيَةُ .

(٢) التَّأْلَةُ : التَّنْسِكُ وَالتَّعْبِيدُ .

وَجَرَّيَانَهُ عَلَى مَا كَانَ مُنْكَرٌ فُظِيعٌ ، بَعْدَ مَا اتَّفَقَ عَلَى قَتِيلٍ هَذَا صِفَتُهُ .
وَالْعِضَاهُ : شَجَرٌ ، وَاحِدَتُهَا عِضَةٌ . قَالَ :

* وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَذُبُّنَّ شَكِيرُهَا ^(١) *

وقد مضى القول في مثل هذا البيت . ويشبهه قول الآخر ^(٢) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

٥- تَظَلُّ الْحَصَانَ الْبَكْرُ يُلْقِي جَنِيهَا نَشَا خَبِرَ فَوْقَ الْمَطِيِّ مُعَلَّقٍ

٦- وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بَكَفِّي سَبَدَتِي أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ

الْحَصَانَ : الْعَفِيفَةُ وَقَدْ أَحْصَنْتَ وَحَصُنْتَ . وَالْبَكْرُ : الَّتِي حَمَلَتْ أَوَّلَ

حَمْلِهَا ، فَهِيَ بَكْرٌ وَالْوَلَدُ بَكْرٌ وَالْأَبُ بَكْرٌ . وَالنَّشَا ، يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

يُقَالُ : نَشَوْتُ الْكَلَامَ أَنْشَوُهُ نَشْوًا ، إِذَا أَظْهَرْتَهُ . فَيَقُولُ : تَرَى الْحَامِلَ

يُسْقِطُ حَمْلَهَا مَا يُدْنِي مِنْ خَبَرٍ سَارٍ بِهِ الرَّكْبَانُ ، وَتَقَاذِفُهُ الْأَفْطَارُ ، اسْتِفْظَاعًا

لَوْقُوْعِهِ ، وَاسْتَشْعَارًا لِكُلِّ بَلَاءٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ .

وقوله «وما كنت أخشى» يقول : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَمِنْ الْحَدَثَانَ عَلَيْهِ ، وَصِرْتُ

أَرْقَبُ جَمِيعِ أَسْبَابِ الرَّدَى فِيهِ حَتَّى ظَنَنْتُ ظُنُونِ الْمَشْفِقَاتِ ، مُسْتَدْفِعًا لِلْآفَاتِ

عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي أَنْ يَكُونَ فِي جَلَالَتِهِ وَارْتِفَاعِ مَحَلِّهِ يَرْدِيهِ عَبْدٌ جَسُورٌ

لَيْتِمُ جَرَى ، أَزْرَقِ الْعَيْنِ ، مُسْتَرْخِي الْأَجْفَانِ . وَإِنَّمَا حَلَّى قَاتِلُهُ بِهِذِهِ الْحِلْيَةِ

تَنْبِيْهًُا عَلَى حَقَارَتِهِ فِي نَفْسِهِ وَجِنْسِهِ ؛ وَذَنَابًا لِأَصْلِهِ وَفِرْعِهِ ، وَإِعْلَامًا بِأَنَّ الصَّغِيرَ مِنْ

الرَّجَالِ يَجْنِي الْكَبِيرَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَأَنَّ مَا لَا يَقَعُ فِي الْوَحْمِ اسْتِبْعَادًا لِكَوْنِهِ ،

يَشَاهِدُهُ الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ، ثُمَّ لَا يَمْلِكُ إِلَّا اسْتِغْرَابَهُ وَقَضَاءَ الْعَجَبِ

(١) انظر اللسان (شكر) وشروح سقط الزند ١٥١١ .

(٢) هولييل بنت طريف ، كما في حاسة ابن الشجرى ٨٩ وحاسة البحترى ٤٣٥ . وقيل

إن الشعر للفارعة بنت طريف . والمرث بهذه القصيدة هو الوليد بن طريف الشاري . وقد روى

ابن خلكان في ترجمته القصيدة كاملة ، وهي نادرة .

منه والتزام الجزع فيه . والسببنتى والسبندى ، أصله فى النمر ، ويسمعمل فى الجرىء المقدم . وقال الدريدى : المطرق : الغليظ الجنن الثقيله .

٣٨٩

وقال صخر بن عمرو^(١) أخو الخنساء :

١- وقالوا ألا تهجؤ فوارس هائيم ومالى وإهداء الخلفاء ثم مالىا

٢- ألى الهجر ألى قد أصابوا كريمى وأن ليس إهداء الخلفاء من شمالي^(٢)

يريد : قال الناس باعثن لى على هجاء من أصابنى فى أخى معاوية ونجت أثلتهم ، وذكر أعراضهم : ألا تنتقم منهم بالقول إلى أن يسهل الفعل فتذكر معايبهم ، وتكشف عن مستور تحازيهم ، ومجهول مقايحهم ومساوئهم ؟ فأجبتهم وقلت : مالى وذكر القبيح وإهداء الفواحش ثم مالى ؟ أما تعلمون أن ما بينى وبينهم أقذع من الهجاء ، وأن جزاء من أصاب كريمى أفظع من الإهجار ، وأنه ليس قول القبيح وتنقص الناس من عادتى وطبيعتى ، إذ كنت أربأ بقدرى عن الوقوف موقف المغتابين والطاعنين فى الأنساب والأعراض . وقوله « ومالى وإهداء الخلفاء » انتصب إهداء بفعل مضمر ، وتكريره ليمالى دلالة على استقباحه لما بعث عليه ، ودعى إليه . والخلفاء هو الفخش ، كأنه قال : مالى الأيس الخلفاء وأنكفئه . وقوله « أصابوا كريمى » فالكريمة أخرج إخراج

(١) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ، من أشراف بنى سليم ، أخو الخنساء الشاعرة الصحابية ، وقد مات قبلها فرثته رثاء صادقا ، وضرب بجزئها عليه المثل ، ويبدو أنه مات قبل الإسلام . وفى ذلك تقول الخنساء : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم من النار . انظر ترجمته مع الخلفاء فى الأغاني (١٣ : ١٢٩ - ١٤٠) والحزانة (١ : ٢٠٧ - ٢١١) والشعراء ٣٠١ - ٣٠٦ .

(٢) التبريزى : « أبى الهجو » .

المصادر . وعلى ذلك ما روى على النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه ^(١) » .

ويجوز أن تكون الماء للمبالغة . وقوله « وأن ليس إهداء الخلما » أن مخففة من الثقيلة ، واسمها مضمر ، والجملة التي بعده في موضع الخبر ، وموضع أن رفع بكونه معطوفاً على أنى قد أصابوا ، وأنى فاعل أبى المجرر .

٣- إذا ما نزل أهدى لميت تحية فحيالك رب الناس عني معاوية

٤- لنعم الفتى أدى ابن صرمة بزه إذا راح فخل الشول أهدب عارياً ^(٢)

يقول : إذا رجل حياً ميتاً فتولى الله تعالى عني تحيتك يا معاوية . والتحية من الله تعالى : الإكرام والإحسان ، والتفضل عليه بما هو أهله .

وقوله « لنعم الفتى » الحمود بهذا الكلام محذوف ، كأنه قال : لنعم الفتى الذى ذا صفته . وقوله « أدى ابن صرمة بزه » أراد سلاحه وسلبته . وقوله « إذا راح » ظرف لما دل عليه نعم الفتى . أى يحمده فى هذا الوقت إذا اشتد الزمان وأجدبت الأرض ، وانصرف فخل الشول من مرعاه عارياً من اللحم مهزولاً ، لكثرة أفضاله ، وحسن تفقده واتصال بره بمن يجمعه إليه نسب أو سبب . والشول : النوق القليلة الألبان ، واحدها شائلة . وابن صرمة المذكور يجوز أن يكون القاتل لمعاوية أو المعين عليه .

٥- وطيب نفسي أننى لم أقُلْ له كذبت ولم أنجل عليه بما ليا

٦- وذى إخوة قطعت أفران بينهم كما تركونى واحداً لا أخاليا

(١) هو حديث أنه أكرم جرير بن عبد الله لما ورد عليه ، فبسط له رداءه وعمه بيده وقال : « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » .

(٢) بعده عند التبريزى :

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وحييت رمسا عند لية ثاوية

تَسَلَّى فِيمَا أَوْجَعَهُ مِنْ ارْزُءٍ بَأَن لَمْ يَكُنْ جَفَاءً وَهُوَ حَتَّى قَوْلَا وَلَا فِعْلًا ، ثُمَّ
تَسَلَّى أَيْضًا بِأَنَّهُ كَمَا فُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ وَتُرِكَ فَرِيدًا وَحِيدًا ، قَدْ تَوَلَّى مِثْلَ
ذَلِكَ مِنْ مُعَادِيهِ ، فَرُبَّ إِخْوَةٍ مُتَفَاصِرِينَ صَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً ، وَأَهْوَاؤُهُمْ
مُتَّفِقَةٌ ، وَهُمْ فِي تَأَلُّفِهِمْ وَتَشَابُهُمْ ، وَتِلَاوَتِهِمْ وَتَرَافُدِهِمْ ، كَالْخَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ
لَا يُدْرَى أَيْنَ رَأْسُهَا ، أَنَا قَطَعْتُ عِلَاقَتِي بَيْنَهُمْ ، وَوُصِّلَ نِظَامُهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا
وَتَفَاقَدُوا حَتَّى صَارُوا فِي التَّشَدُّتِ مِثْلًا ، كَمَا كَانُوا فِي التَّجَمُّعِ مِثْلًا . وَهَذَا بِإِزَاءِ
مَا فَعَلَ بِي ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَا نِيلَ مِنِّي . وَالْدَّهْرُ تَارَاتٌ ، وَ « مَنْ بَرَّ يَوْمًا
يُرَبِّهِ » . وَقَدْ سَمِعْتُ الْقَوْلَ فِي قَوْلِهِ « لَا أَخَالِيَا » . وَانْتَصَبَ « وَاحِدًا » عَلَى
الْحَالِ مِنْ تَرْكُونِي ، وَلَا أَخَالِيَا صِفَةً لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرْكُونِي وَحِيدًا فَرِيدًا .
وَقَوْلُهُ « أَفْرَانُ بَيْنَهُمْ » أَيْ وَصِّلَ بَيْنَهُمْ . وَأَصْلُ الْأَقْرَانِ الْحَبَالُ ، وَالْوَاحِدُ
قَرْنٌ . يُرِيدُ : إِنِّي قَطَعْتُ الْأَسْبَابَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ . وَ « بَيْنَ »
جَعَلَهُ اسْمًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُنَاكُمْ ﴾ .

٣٩٠

وَقَالَتْ أَخْتُ الْمُقْتَصِدِ (١) :

١ — يَاطُولُ يَوْمِي بِالْقَلْبِ فَلَمْ تَكْذُ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ مُتَّقَى بِحِجَابِ

(١) اسمها « ميسون » كما ذكر التبريزي . وروى من خبر هذه الأبيات أن المقتصد
أخا بني الصموت ، من بني عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، خرج في أيام فتنه
ابن الزبير يصدق من مر به من الناس ، حتى أتى بني قنفذ من بني سليم ، بناحية هضبة القلب ،
فصدقهم ، ثم بعث إلى هلال أخى بني سمال بن عوف : أن ابعث إلى بابنتك . فقال هلال : إن
كان تزويجنا فليأتنا فإنه كفء . قال : إنما أردت أن تمشط رءوسنا وتحدث معنا . فضرب
هلال الرسول ، فركب المقتصد في فرسان ثلاثة حتى هجم على الحى ، فثاروا إليه ، وكان في
الذين ثاروا إليه مع هلال فتیان من بني قنفذ ، يقال لأحدهما المستوضح وللآخر الحسن بن الأسود ،
فذاوشوه قليلا . ثم إن المقتصد حمل على هلال فخاف هلال أن يطعنهُ وليس معه سلاح ، فوجد =

٢- «وَسَرَّجَمَ عَنْكَ الظُّنُونُ رَأَيْتَهُ وَرَأَاكَ قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ

قوله « يَأْطُولُ يَوْمِي » لفظه نداء ، ومعناه تعجُّبٌ واشتكاء ، وإنَّما استطالهُ لأنَّهُ كان يومَ نَحْسٍ ومكروه . فيقول : يومى بالقلب امتدَّ وطال حتَّى كادت الشمس لا تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم ؛ فياله من يومٍ ما أطولهُ . والقلب : موضع ^(١) . وأضاف الشمسَ إلى الظَّهِيرة كأنَّهُ لما قامَ قائمُ الظَّهِيرة وقفتْ حيرى فلم تكنْ تَجْنَحُ إلى اللَّغَيْبِ ، ولا كانت تسير فهِوى للغروب .

وقوله « وَسَرَّجَمَ عَنْكَ الظُّنُونُ » وصفه بأنَّ الآفاق على بُعدها كانت قريبةً عليه لِمَا أُبْدِيَ [به] من العزمِ وتَسَهَّلَ له وفي نفسه من وُعورة السَّير ، فيقول : رَبِّ مُكْشَحٍ لَكَ كان على تنافيه عنك ، وتحزُّمه معك ، واستظهاره بإبعاد الدَّارِ منك ، يرجمُ الظَّنَّ فيك ، ويؤسِّسُ إليه ما يعرِّفه من إبعادك في الغزو ، وقلة احتفالك فيما تركبه بلواحق التَّعب ، وعوارض الخطر — أَنَّكَ تَقْصِدُهُ وتُوقِعُ به آمناً ما كان منك ، وهو في وسواسِهِ لم يحدثْ نفسه بتأْمُلٍ ما وَقَعَ في خَلده ، ولا بالكشف عمَّا ارتاب له ، إذ أنت أُنَيْتَهُ من حيث لا يحْتَسِبُهُ ، واستَبَحَّتْ حريمُهُ ، واستغنمت ماله . وقوله « قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ » يجوز أن يريد به قبل تأْمُلِهِ ، فيكون المرتاب هو المرجمُ المكشاح . ويجوز أن يكون جعله مثلاً .

= أنفية مرتزة في الرماذ فاقتلها ورماء بها ، فركب ردعه ومات ، وانهمز أصحابه ومروا على جمعة بن عبد الله ، أخى بنى غيظ بن مالك ، فقتلوه قتال هلال : أعددت للهيجا ويوم المشهد وللأحاديث التى بعد الغد * مستوضحا والحسن بن الأسود *

فركب أولياء المقصص حين هدأت الفتنة إلى الحجاج فذكروا أمر صاحبهم وأمر الغيطى ، فأعذر دم المقصص وأفادهم بالغيطى ، فقالت أخت المقصص هذه الأبيات .

(١) فى معجم البلدان : « هضب القلب بنجد . والهضب : جبال صغار . والقلب فى وسط هذا الموضع يقال له : ذات الإصا ، وهو من أسماءها . وعنده جرى داحس والغبراء » .

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله :

أَسْرَتَ لَكَ الْآفَاقَ غَزْمُهُ هِمَّةٌ جُبِلَتْ عَلَى أَنْ الْمَسِيرَ مُقَامٌ
٣ - فَأَفَاتَ أَدَمًا كَالْمَضَابِ وَجَامِلًا قَدْ عُدْنَ مِثْلَ عَلَائِفِ الْمُقْصَابِ^(١)
٤ - أَلَكُمُ الْمُقْصَصُ لَا لَنَا إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ ذَوُو أَحْسَابٍ
يقول : غَزَوْتُهُ فَجَعَلَتْ مَالَهُ فَيْثًا وَغَنِيمَةً : نُوْقًا كَالْجِبَالِ سِمَانًا ،
وَذِكُورَةً عَظِيمًا ضَخَامًا ، عُدْنَ كَأَنِّي يَسْمُنُهَا الْجَزَارُ لِلنَّحْرِ .

وقوله : « لَكُمُ الْمُقْصَصُ لَا لَنَا » يقول : إِنْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ إِذَا طَلَبُوا النَّارَ
طَلَبُوهُ عَنْ امْتِعَاضٍ وَشِدَّةِ أَنْفَةٍ ، وَجِدِّ فِي الْأَمْرِ وَاجْتِهَادٍ ، فِغْلَ الْحَسِبِ
الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَغْنَضُ عَلَى قَدَى ، وَلَا يَصْبِرُ فِيمَا يَحِقُّ لَهُ عَلَى أَدَى ، فَأَتَمَّ أَوْلِيَاءَهُ
دَمِهِ مِنْ دُونِنَا ، وَالْمَالُ كَوْنُ لَهُ سَوَانًا . وَقَدْ تَرَكَنَاهُ لَكُمْ ، وَفُزْتُمْ بِمَا أَصَبْتُمُوهُ ،
وَاسْتَمَرَّ أَنْتُمْ مَا طَعِمْتُمُوهُ . وَقَوْلُهُ « أَفَاتَ » مِنَ الْفَاءِ : الْغَنِيمَةُ ، لَا مِنَ الْفَاءِ
الرَّجُوعِ . وَالْجَامِلُ مُوَحَّدُ اللَّفْظِ مَصْوَغٌ لِلْجَمْعِ ، وَيُرَادُ بِهِ الْإِبِلُ ، لَكِنَّهُ مُشْتَقٌّ
مِنْ لَفْظِ الْجَمَلِ ، كَالْبَاقِرِ مِنَ الْبَقَرِ . وَالْعَلَائِفُ : جَمْعُ الْعَلُوفَةِ ، وَهُوَ مَا يَسْمَنُ فِي
الْبُيُوتِ . وَيُقَالُ : شَاةٌ مُعَلَّفَةٌ ، أَيْ مَسْمُومَةٌ . وَالْمُقْصَابُ ، بِنَاءُ بِنَاءٍ مَا يَكُونُ
آلَةً ، فَهُوَ كَالْمِفْتَاحِ ، لَا بِنَاءَ مَا يَكُونُ لِلْحِرْفَةِ وَالْمَزَاوِلَةِ . وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ
« الْقَصَابُ » ، وَهُوَ مِنَ الْقَصَبِ : الْقَطْعُ وَالْفَصْلُ ، لِأَنَّهُ يَقْصَبُ الشَّاةَ
أَيْ يَقْطَعُهَا .

(١) رواية التبريزي : « المقصاب » ، وقال في تفسيره : « المقصاب : المزرعة التي
تنبت القصب ، وهو القصب . فأرادت أنهم امن لخصب في روضة مستكة كاستكالك نبات القصب .
وقيل : المقصاب شبه منجل . تريد كأنها علائف سميت للنحر . والمقصاب أيضاً : الرجل الكثير
القطع . والقصاب : الذي صناعته ذلك . فإذا روى القصاب فعنائه مثل علائف الذي ينحرف
كثيراً . ومن روى المقصاب بالصاد نسبة إلى القصب . ويحتمل أن يكون المقصاب : الموضع
الكثير القصب ، كما أن المعشاب الموضع الكثير العشب » .

٥ - وأبو اليتامى يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاحِ بِمُكَلِّيٍ مِقْشَابٍ^(١)

٦ - فَكِهٌ إِلَى جَنْبِ الْخِلْوَانِ إِذَا غَدَتِ نَكْبَاهُ تَقْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ

قوله « وأبو اليتامى » أى كان يكفلهم ويعولهم ، وبُشْفِقَ عليهم وبتحذّب ، حتّى كأنّه أبوهم . وارتفع « أبو » كأنّه خبر ابتداء محذوف كأنّها قالت : وهو لليتامى أبّ . ومعنى « يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ » يُرَوِّى « فناءه » ، وانتصابه على أنّه أخرجّه إلى باب الظُرُوفِ ، كما فُعِلَ ذَلِكَ بِمَقْعَدِ الْقَابَلَةِ ، وَمَنَاطِ الثَّرِيَا وما أشبههما . والمعنى أنّهم يترّبّون فى فناءه وينتفعّمون ، ترَبَّى فِرَاحِ الطَّيْرِ بِمَكَانٍ كثير العُشْبِ والكلأ . ويقال : أَكَلَا لِلْمَوْضِعِ ، إِذَا صَارَ ذَا كَلٍّ وَعُشْبٍ . والمعشاب : الكثير العُشْبِ .

وقوله « فَكِهٌ إِلَى جَنْبِ الْخِلْوَانِ » فالفكه : الكثير المزاح واللّعب^(٢) ، تَأْنِيسًا لِلضَّيْفِ وَبَسْطًا مِنْهُ ، كما قال الآخر^(٣) :

* أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى^(٤) *

وقوله « إِذَا غَدَتِ » ظَرَفُ لِلْفَكِهِ . يريد : يفاكه الضيف عند الأكل بمَلَحِ الكلام ، كى يَسْتَأْنِسَ وَيَتَسَّعِ الوقتُ لَهُ فيستوفى . وإلى من قوله « إِلَى جَنْبِ الْخِلْوَانِ » تعلّق بفعلٍ مضمَرٌ دَلَّ عَلَيْهِ فَكِهٌ ، كأنّه مع قُرْبِ الْخِلْوَانِ يَفْكُهُ . و « إِذَا غَدَتِ نَكْبَاهُ » يريد وقت البرد وهبوب الرّيح الباردة المزعجة للبيوت ، القالعة لأوتادها وحبالها . وأطناب البيوت : حبالها . ومنه إطنابَةُ الْحَزْمِ وَالْقَسَى . والجميعُ الأطانيب . قال :

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد تاليه .

(٢) اتفقت النسختان فى هذا الضبط .

(٣) هو عتبة بن بجير ، أو مشكين الدارمى ، كما سيأتى فى القسم الرابع من الحاسة .

(٤) عجزه : * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع *

* بَرَكُضَنَ قَدْ قَلَعَتْ عَقْدُ الْأَطَانِيبِ ^(١) *

٣٩١

وقالت عمرة بنت مرداس ^(٢) ترى أباها عباساً :

١ - أَعْيَنِي لَمْ أَخْتَلِكُكُمْا بِخِيَانَةٍ أَبَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَتَصَبَّرَا
٢ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَأَنِّي بَعِيرٌ إِذَا يُنْعَى أَخِيَّ تَحَسَّرَا
٣ - تَرَى الْخَضَمَ زُورًا عَنْ أَخِيَّ تَهَابَةً وَلَيْسَ الْجَلِيسُ عَنْ أَخِيَّ بَازُورًا
تقول : يا عيني لا أقول إنكما لم تجزعا ولم تذرفا ، ولم تخلطا بدمع دما ،
فأكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما . وكيف لا تكونان كذلك والأيام
والآيالي امتنعت عليكما أن تتصبرا فيها ، إذ كانت تحملاكما من أعباء الرزية
ما استنفد وسعكما ، واستغرق طوقكما ، حتى نزلت دموعكما ، وتوقفت
عن الإجابة شؤونكما ، فما بقي منكما إلا شفا .

وقولها : « وما كنت أخشى » يقول : كنت قبل هذه الرزية واثقا بقوةي
وصبري ، ومُسكيتي وعقلي ، حتى لا أخشى - إذا أخطرت ببالي أحداث الدهر
وتأثيرها في الأحبة والأهل - سوء احتمال فيها ، وضعف منة عنها ، إلى أن
نعي أخِي فورده على نفسي ما أبدلني بالتأسك تهالكاً ، وبالتهنيت تساقطاً ،
حتى صرت كأي بعير ألح عليه فتحسّر ورزح ، وعقل في مبركه بالعجز
فما برح .

(١) البيت لسلامة بن جندل ، ولم يرو في ديوانه ولا في المفضليات . لكن نسب في الأساس إلى النابغة ، ومع ذلك لم يرد في ديوان النابغة في قصيدته التي على هذا الروي .
وصدره في اللسان :

* حتى استغثن بأهل الملح ضاحية *

(٢) سبقت ترجمة أخيها في الحاسية ١٤٩ ص ٤٣٣ .

وقولها « تَرَى الْخَلْقَ زُورًا » جعلت الْخَلْقَ للجمع فلذلك قالت زُورًا .
 والمصدرُ إذا وُصِفَ به بُقِيَ على حاله فلم يُشَنَّ ولم يُجْمَع . وقد قيل : خَعَمَانُ
 وَخُصُومٌ ، لَمَّا غَابَتْ عَلَيْهِ الْوَصْفِيَّةُ وَكَثُرَ فِي الْأَسْتِعْمَالِ أُجْرِي عَلَيْهِ حَكْمُ الصِّفَةِ .
 والمعنى : تَرَى مُنَابِذِي أُخْتِي مُنْحَرِفِينَ عَنْهُ وَعَنْ كُلِّ مُتَّصِلٍ بِهِ ، مَسَالِينٍ لَهُ
 وَلَنْ أَعْلَقَ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِ ، إِعْظَامًا لَهُ وَتَهَيُّبًا ، وَإِكْبَارًا وَتَخَوُّفًا . وترى جُلَسَاءَهُ
 وَنُدَمَاءَهُ مَبَاسِطِينَ لَهُ وَمُسْتَأْنِسِينَ بِهِ ، لَا يَتَدَاخِلُهُمْ مِنْهُ رُغْبٌ ، وَلَا يَقْبِضُهُمْ عَنْهُ
 تَجَبُّزٌ وَكِبَرٌ . وَالْخَلْتُ : الْمَسْكُورُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ تَخَادُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ
 الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَيَّامِ الْأَحْدَاثَ . وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِلْوَقْعَاتِ : الْأَيَّامُ .
 وَإِنَّمَا صَغَّرَتْ الْأَخَّ لِلتَّلطِيفِ الْحَلِّ . هَذَا عَلَى قَوْلِهِمْ صُدِّقِي . وَالتَّحَشُّرُ : الضَّعْفُ
 عَنِ الْإِعْيَاءِ . وَيُقَالُ : الْحُسْرُ وَالْحُسُورُ أَيْضًا . وَحَسَرَتِ النَّاقَةُ فَهِيَ حَسِيرٌ وَالْجَمْعُ
 الْحُسَرَى . وَلَكَ أَنْ تَرَوْى : « أَخْيِي » وَهُوَ الْأَصْلُ ، وَ« أُخْتِي » فَتَحْذِفُ بَاءَ
 اسْتِنْقَالًا لِاجْتِمَاعِ الْيَاءَاتِ ، وَتَبْنِيهِ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّهُ أَخْفُ الْحَرَكَاتِ . وَانْتَصَبَ
 « مَهَابَةٌ » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .

٣٩٢

وَقَالَتْ رَيْطَةُ بِنْتُ عَاصِمٍ :

- ١- وَقَفْتُ فَأَبْكَنِي بِدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْزِينَ الْبَاكِيَاتِ الْخَوَاصِرُ
 - ٢- غَدَوْتُ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ وَرَادَحُومَةٍ مِنْ الْأَوْتِ أَعْيَا وَرَدَّهْنِ الْمَصَادِرُ
 - ٣- فَوَارِسُ حَامِوَاعِنِ حَرِيمٍ وَحَافِظُوا بِدَارِ النَّسَايَا وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ^(١)
 - ٤- وَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْزِينَا لَهَدَّتْ وَلَسَكُنَ تَحْمِلُ الرُّزْءِ عَاصِرُ
- تقول : دعاني مَا أَصِبتُ بِهِ فِي عَشِيرَتِي إِلَى الْوُقُوفِ بِدَارِهِمْ ، فَشَجِيتُ

(١) التبريزي : « عن حريمي » .

بَشَجَى النِّسَاءِ النَّوَادِبِ الْخَوَاسِرَ ، حَتَّى بَكَيتُ لِبُكَائِهِنَّ عَلَى حَادِثِ الرُّزْءِ ،
وَاقْتَفَرْتُ آثَارَهُنَّ فِي الْهَلْمَعِ وَالْحَزْنِ .

وقولها « غَدَوْا كَسِيفِ الْهِنْدِ » أَخَذَتْ تَصِفُ حَالَ عَشِيرَتِهَا فَقَالَتْ :
ابْتَكُرُوا وَهُمْ فِي خِلَقِهِمْ وَتَجَرَّدُوهُمْ ، وَصَفَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، كَسِيفِ الْهِنْدِ ، فَوَرَدُوا
حَوْمَةً مِنَ الْمَوْتِ أَعْجَزَهُمُ الصَّدْرُ عَنْهَا . وَالْحَوْمَةُ : مُعْظَمُ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا . وَحَوْمَةُ
الْبَحْرِ : أَكْثَرُ مَوْضِعٍ مِنْهُ مَاءٌ ، وَكَذَلِكَ حَوْمَةُ الْحَوْضِ . وَيُقَالُ : حَامَ الطَّائِرُ
عَلَى الْمَاءِ يَحُومُ حَوْماً ، إِذَا دَارَ عَلَيْهِ فِي الطَّيْرِانِ .

وقولها « فَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمٍ » وَصَفَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ حَفِظُوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ
حِفْظُهُ مِنْ حُرْمِهِمْ . وَفِي الْمَثَلِ : « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَيْ عِنْدَ
الْحُرْمَةِ ، وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ لَكَ اتِّهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ الْمَحَارِمُ ، وَاحِدَتُهَا
مَحْرَمَةٌ . قَالَ :

* وَتَحْرِمَاتٌ هَتَكُهَا يُجْرَى ^(١) *

وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : حَرِيمُ الدَّارِ ، لِمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا .
وقولها « وَحَافَظُوا بِدَارِ الْمَنَآيَا » أَيْ ثَبَتُوا فِي دَارِ الْحِفَافِ ، وَدَافَعُوا
وَصَبَرُوا ، وَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْهَا طَلِباً لِلسَّلَامَةِ ، وَحِرْصاً عَلَى نَيْلِ الْخِصْبِ وَالْأَمْنَةِ .
وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٢) :

وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْحِفَافِ بُيُوتُنَا زَمَنًا وَيَضَعُنْ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِعِ

وقولها « وَالْقَنَا مُتَشَاجِرِ » الْوَائِي مِنْهُ وَالْوَائِي . وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قِيَامِ الْحَرْبِ

(١) الْبَيْتُ لِلْعِجَاجِ فِي دِيَوَانِهِ ٦٨ . وَقَبْلَهُ :

* وَجَارَةُ الْبَيْتِ لَهَا حَجَرِي *

(٢) هُوَ الْحَادِرَةُ الذَّبْيَانِي . الْمَفْضَلِيَّةُ ٨ .

بينهم ، وانتصاب الشر فيهم ، وأن للأطمن تلاحقاً كما أن للفتا في الاختلاف تداخلاً .

وقولها « ولو أن سلمى » فسلمى : أحد جبل طي . والمعنى : لو أن ما نزل بنا من الرزء مثله نزل بهذا الجبل لانهد ، ولكن الإنسان صبور شديد ، يتحمل كل ما حبل ؛ وإن ضوعف على وسعته وثقل . وعامر : قبيلتهم .

٣٩٣

وقالت عاتكة بنت زيد بن نفيل^(١) :

- ١- آليت لا تنفك عيني حريئة عليك ولا ينفك جـ لـدى أغبراً
 - ٢- فله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحى في الهياج وأصبراً
 - ٣- إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الموت أحمرأ
- روى بعضهم أن علياً عليه السلام استأذن عمر رضى الله عنه في مكالمه عاتكة بنت زيد ، وهى يومئذ زوجته ، فقال عمر رضى الله عنه : لا غيرة منك يا أبا الحسن ! فقال على عليه السلام مازحاً : آنت القائلة :
- آليت لا تنفك عيني قريرة عليك ولا ينفك جـ لـدى أصفرأ^(٢)

(١) هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية ، أخت سعيد بن زيد أحد العشرة . وقد أسقط المرزوق هنا اسم جدها « عمرو » . وهى صحابية كانت زوج عبد الله بن أبي بكر الصديق ، ثم عزم عليه أبوه أن يطلقها لما شغلته عن مغازيه ، فطلقها ثم تبعها نفسه ، فسمعه أبوه يوماً يقول :

ولم أر مثلى طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً من غير جرم تطلق
فرق له أبوه وأذن له فارتجمها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه هلاكه ، فأت بالمدينة فرثته بهذه الأبيات . ثم تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد بالبيعة ، ثم تزوجها عمر ، فاستشهد فرثته بأبيات ستأتى فى الحماسة ٣٩٦ . انظر الإصابة ٦٩٢ من قسم النساء ، ونوادير المخطوطات ٦١ .

(٢) أصفر ، من استعمال الطبيب والخلق . وهو كناية عن المرور واطراح الحزن .

فقلت : لم أفل كذا . وعاودت حُزنها وجَزَعها . ومعنى « لا تنفك » لا تزال .

وقولها « فَاللهَ عَيْنَا » تعجُّبٌ ، وهي في تعظيم الشيء يسُبُونه إلى الله عز وجل ، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي مَلَكَته .

وقولها « أَكْرَ » أى أكثر كَرًّا . و« أَتَحَى » يجوز أن يكون من الحماية ويجوز أن يكون من الحَمِيَّة . والمعنى : لله عيننا رجل رأى فتى مثله أَكْرَ منه وَأَتَحَى . وقولها « من » نكرة تريد رجلاً أو إنساناً . و« رأى مثله » صفة لمن . وقولها « إِذَا أَشْرَعَتْ فِيهِ الْأُسْنَةُ » ، تريد : فى الهياج . ويجوز أن تريد فى المرتى ، أى قِبَلَهُ . والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج ، ويجوز أن يكون جمع هَيْجٍ ، والمراد به الحرب وقد هاجت . فتريد : إِذَا هَيَّئْتَ الرَّمَاحَ لَطَعَنَةٍ اقْتَحَمَهَا وَتَلَقَّاهَا ، لا يَحِيدُ عَنْهَا حَتَّى يَخُوضَ الْمَوْتَ بِهَا ، فيتركه أحر ، أى شديداً . ويقال : مَيِّتَةٌ حَمَاءٌ ، وَسَنَةٌ حَمَاءٌ ، وَسِنُونَ حَمَرَاوَات . ويقولون : « الْحُسْنُ أَحْمَرُ » ، أى طَلَبُ الْجَمَالِ تُتَجَسَّسُ فِيهِ الْمَشَاقُّ .

٣٩٤

وقالت امرأة من طيء :

١ - تَأَوَّبَ عَيْنِي نَضْبُهَا وَاكْتِثَابُهَا وَرَجَّيْتُ نَفْسًا رَاثَ عَنْهَا إِيَابُهَا

٢ - أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْمُرْجَمِ غَيْبُهُ وَكَاذَبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابُهَا

أصل التأوَّب والتأوَّيب : سَيرَ النَّهَارَ كُلَّهُ حَتَّى يَتَّصَلَ بِاللَّيْلِ . وقد فسَّر ابن الأعرابي قول النابغة :

* وليس الذى يَتْلُو النُّجُومَ بِأَيْبٍ ^(١) *

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع . والنَّصْب ، من قولهم أَنْصَبَهُ المرضُ والحُزْنُ ، إذا أثَّرَ فيه . قال :

* تَعَنَّكَ نَصْبٌ مِنْ أُمَيَّةَ مُنْصِبُ *

وقال الدَّريدي : يقال نَصَبَهُ أَيضاً . والا كِتَاب : الحُزْنُ . والمعنى أنه ناب عيني ، وواظب عليها من السَّهرِ والكُتابةِ والهمِّ النَّاصِبِ ، ما أثر فيها ، وعلقتُ رجائي بنفسٍ غائبةٍ عني قد استعجمت أخبارها على ، فأبطأ رجوعها إلي . وقولها « أعلل نفسي بالمرجَم غيبه » تريد : أزعجني وقتي وأرضي نفسي بظنِّ مَرَجُومٍ وأملِ مَرَجُومٍ ، وحديثٍ مؤلفٍ ، وتمنِّي مَزُخَرَفٍ فيما لا حقيقةَ يعتمد عليها ، ولا أمارَةَ يَتَأَكَّدُ الطَّامِعُ فيها . ويقال : رَجَمَ الرَّجُلُ بِالْغَيْبِ ، إذا تكلَّم بما لا يعلم .

وقولها « وكاذبتها حتى أبان كذابها » أى استعملتُ ملفقَ الأحاديثِ ومُؤَمَّوَةَ الأباطيلِ معها ، إلى أن بَرِحَ الخفاءُ ، وانكشَفَ عن جليَّةِ الأمرِ الغطاءُ ، وتعلَّى رُغْوَةُ الكذبِ عن مصدوقَةِ الخبرِ . والمكاذبةُ تكونُ من اثنين ، كأنَّه كان يكذبُ نفسه فتَقْتَرِيهِ (٢) وتزيد عليه .

٣ - فَلَهْفَى عَلَيْكَ ابْنَ الْأَشَدِّ لِبُهْمَةٍ أَفْرَ الْكِمَاةِ طَفَنُهَا وَضِرَابُهَا (١)

٤ - مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ سَمِيعٌ إِذَا الْأَذَانُ صَمَّ جَوَابُهَا

٥ - هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَاحُ لَوْرُمِيَّتْ بِهِ ضَوَاحٍ مِنَ الرِّيَّانِ زَالَتْ هِضَابُهَا

تتلَهَّفُ على ما فاتَ عشيرته منه من حسن الدِّفاعِ ، والثَّباتِ في وجهِ الشُّجاعِ الذي لا يَدْرِي كيف يُدْفَعُ ، وأتَّى يُوْتَى وَيُقَدَّعُ ، وقد طَرَدَ الشُّجْعَانُ وطَرَقَهم

(١) البهرى : « أفر الكماة » بالراء المهملة ، قال : « ويروى أفر الكاة بالزاي »

ثم قال : « وأفر الكماة - يعنى بالراء - طردهم » .

(٢) تقترية : تتبعه . وفى النسختين : « فتقتر به » .

دُعْرًا، شِدَّةٌ مُطَاعَمَتِهِ، وَقُوَّةٌ مُضَارِبَتِهِ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: أَفْرَزَهُ: أَفْزَعَهُ. وَاسْتَفْزَوْهُ:
أَخْرَجَوْهُ مِنْ دَارِهِ وَخَدَعُوهُ حَتَّى أَلْقَوْهُ فِي الْجَهْلِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنْ كَادُوا
لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾. وَالْبُهْمَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ،
وَهَاهُنَا هِيَ لِلوَاحِدِ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهَا «مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ» فَلَمْ تَقُلْ إِلَيْهِمْ، فَأَمَّا
قَوْلُهَا «طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا» فَالضَّمِيرُ جَاءَ فِيهِ عَلَى لَفْظِ الْبُهْمَةِ.

وَمَعْنَى «مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ»، أَنَّهُ إِذَا دَعَا الدَّاعِي لِمُبَارَاةِ هَذِهِ الْبُهْمَةِ
وَمُنَازَلَتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ وَيُجِيبُ، فِي وَقْتٍ تَسْتَكُفُّ فِيهِ الْمَسَامِعُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ،
وَالْبَاسِ الْخُوفِ. وَجَعَلَ الصَّمَمُ لِلْجَوَابِ مَجَازًا، وَإِنَّمَا تَصَمُّ الْأَذَانُ عَنِ السَّمْعِ
فَيَقْطَعُ الْجَوَابَ.

وَقَوْلُهَا «هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ» تَرِيدُ خُلُوصَ النَّسَبِ وَزَكَاءَ الْمَنْصِبِ،
وَاشْتِهَارَ الذِّكْرِ فِي الْأَفْقِ.

وَقَوْلُهَا «لَوْ رُمِيتَ بِهِ ضَوَائِحُ» تَرِيدُ نَفَاقَهُ وَحُسْنَ خُرُوجِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِيهِ
وَشِدَّةَ صَدَمَتِهِ^(١) لِلْأُمُورِ، وَجَلَّاجِهِ فِي إِبْرَامِهَا. فَيَقُولُ: لَوْ رُمِيتَ بِوَارِزٍ هَذَا
الْجَبَلِ بِهِ لَزَعَزَعَهَا، وَهَدَّ جَوَانِبَهَا.

٣٩٥

وَقَالَتِ الْعُورَاءُ ابْنَةُ سَبْعٍ :

- ١- أَبْكَى لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ حُشْتُ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَارَهُ
- ٢- طَيَّانَ طَاوِي الْكَشْحِ لَا يُرْخَى لِمُظْلَمَةٍ إِزَارُهُ
- ٣- يَغْصَى الْبَخِيلِ إِذَا أَرَا دَ الْمَجْدَ مَخْلُوقًا عِذَارُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ ق ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مَنَمَتِهِ » .

تريد أنها إذا تذكرت حال المرثى فيما كان تجرى أموره عليه ، وبأخذ نفسه به ، عاودها البكاء والنحيب . ومعنى « حُشَّتْ نارُه » ضُمَّ ما تفرَّق من الخطب إليها وأوقدت . وإنما تريد نارَ الضيافة .

ومعنى « طَيَّان » صغير البطن ، مهضوم الجنبين ، قليل الطَّم . وقولها « طاوَى الكَشْح » أى يَمْضِي فى الأمور لوجهه لا يُعْرِج على شئ ولا يَنْتَنِي . ويقال : انطَوَى كَشْحًا ، فيصير من باب تصبَّب عَرَقًا . قال :

* أَخْ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيْذَهْبًا ^(١) *

وقولها « لا يُرَخِّى لِمُظْلَمَةٍ إِزَارُهُ » تريد أنه إذا نابته التَّوَابُ تجرَّد لها وفيها وهو مشمَّرُ الإزار ، مقلَّص الذِّل ، فدأواها بدوائها ، ونهض فيها نهَضَ المُقْتَدِر عليها ، الفاصل لها .

وقولها « يَعْصِي الْبَخِيل » تقول : وإذا أراد اِكْتِسَابَ الْمَجْدِ أَهَانَ مَالَهُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْعَفَاةِ ، وفى إِصْلَاحِ أَمْرِ الْعَشِيرَةِ ، وَعَصَى الْمُشِيرَ عَلَيْهِ بِالْإِمْسَاكِ وَالْبُخْلِ ، نَفَّلَعَ رِبْقَةَ طَاعَتِهِ ، وَعَذَرَ احْتِشَامِهِ .

٣٩٦

وَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدٍ ^(٢) :

١ - مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلِعَيْنٍ شَقَّهَا طَوْلُ السَّهْدِ ^(٣)

(١) كلمة « أَخ » ساقطة من ل . وكلمة « قَدْ » ساقطة من الأصل . وإثباتها من مجموع النصبين ومن ديوان الأعشى ٨٩ ومقاييس اللغة واللسان والجمهرة . وصدرة :

* صرمت ولم أصركم وكصارم *

(٢) سبقَت ترجمتها فى الحاشية ٣٩٣ ص ١١٠٢ .

(٣) ضبطت فى النسختين وكذا عند التبريزى « السهد » بضمين ، والأوفق لمراعاة الشعر أن تضبط بفتحيتين ، وهى لغة فى الأول .

٢ - جَسَدٌ لُفَّفَ فِي أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَاكَ الْجَسَدِ

٣ - فِيهِ تَفْجِيعٌ رَمَوْنِي غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ

قوله « مَنْ انْفَسٍ » تَوَجَّعٌ وَتَشَكَّى وَاسْتَفَانَةً . وَعَادَهَا ، أَيْ اعْتَادَهَا . قَالَ :

* عَادَ قَلْبِي مِنَ اللَّطِيفَةِ عَيْدُ *

وَالْمَعْنَى مَنْ يُؤْمِنُ نَفْسًا مِمَّا اعْتَادَهَا مِنَ الْأَحْزَانِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا فِي رُزْمِهَا مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْآلَامِ ، وَمَنْ لَعِينٍ آذَاهَا طُولُ الْأَرْقِ ، وَدَوَامُ الشَّعْرِ .

وقوله « جَسَدٌ لُفَّفَ فِي أَكْفَانِهِ » لُفَّفَ بِمَا بَعْدَهُ صِفَةً لِلْجَسَدِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ بِمَا بَعْدَهُ ، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْأَوْصَافِ ، لِأَنَّ قَوْلَهَا « فِيهِ تَفْجِيعٌ » صِفَةٌ أَيْضًا . وَالْكَلَامُ تَحْشُرُ وَتَلْهَفُ . فَتَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ جَسَدًا جَهَّزَ بِمَا يَجْهِّزُ بِهِ الْمَوْتَى ، وَفُجِّعَ بِهِ مَوَالِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي فَنَائِهِ ، فَإِذَا لَحِقَ أَحَدَهُمْ غُرْمٌ وَقَدْ ضَاقَتْ حَالُهُ عَنْ احْتِمَالِهِ وَسَّعَ لَهُ فِي جَنَابِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى دَهْرِهِ بِمَالِهِ . وَقَوْلَهَا « لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ » تَرِيدُ أَفْقَرَهُ فَلَمْ يُبْقِ لَهُ شَيْئًا . وَيُقَالُ : « مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ » ، فَالْسَبْدُ : الشَّعْرُ ، وَاللَّبْدُ : الصُّوفُ .

٣٩٧

وقالت امرأة من بني الحارث^(١) :

١ - فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَمًا غَيْرَ زُمَيْلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلٍ^(٢)

(١) من بني الحارث بن كعب ، كما في الخزائنة (٥ : ٥٢٢) وأمال ابن الشجري (١) :

(١٨٧ ، ٣٣٣) .

(٢) ويروى أيضًا كما في الخزائنة : « فَارِسًا » ، بالنصب : قال ابن الشجري : « الرواية نصب فارس بمضمر يفسره الظاهر . وما صلة ، والمفسر من لفظ المفسر ، لأن المفسر متعد بنفسه إلى ضمير المنصوب ، ولكن لو تعدى بحرف جر أضمرت له من منناه دون الهظه ، كقولك : أزيداً مررت به ، التقدير : أجزت زيداً . لأنك إن أضمرت مررت أضمرت الجار ، وذلك مما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التي هي =

٢ - لو يَشَا طَارَ به ذو مَيِّعَةٍ لَاحِقُ الْآطَالِ نَهْدُ ذُو خُصَلٍ^(١)

٣ - غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالْأَجَلِ

قولها « فارسٌ ما غادروه » ماصلة ، والكلام فيه تفخيمٌ لأسر المرتى وتعظيمٌ لشأنه . تريد : تركوا فارساً رفيعَ المحل مُلحماً ، أى طُعمَةً لِعَوَافِي السَّبَاعِ والطير . قال :

* قَدْ أَلْحَمَّتْنِي الْمَنَابِيا السَّمْعَ وَالرَّخْمَا *

وقولها « غَيْرَ زُمَيْلٍ » فالزُّمَيْلُ والزَّمَالُ والزَّمْلُ : الضعيف ، كأنه زُمْلٌ في العَجَزِ كما يُرْمَلُ الرَّجُلُ فِي الثَّوبِ . وقولها « وَلَا يَنْكَسُ وَكَلٌ » فالنَّكْسُ : المنقصر عن غاية التَّجْدَةِ والكَرَامَةِ ، وأصله في السَّهْمِ ، وهو الذي انكسَرَ فَجُعِلَ أَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ ، فلا يزال ضعيفاً . وَالْوَكَلُ : الجَبَانُ الذي يَتَّكِلُ عَلَى غَيْرِهِ فَيُضَيِّعُ أَمْرَهُ .

وقولها « طَارَ بِهِ ذُو مَيِّعَةٍ » حَكَى الْحَالُ ، والمراد لو شاء أَنْجَاهُ فَرَسٌ لَهُ ذُو نَشَاطٍ . وقال الخليل : مَيِّعَةُ الْحُضُرِ وَالنَّشَاطُ : أَوَّلُهُمَا وَجَدَّتُهُمَا . وقولها « لَاحِقُ الْآطَالِ » تريد : ضَامِرَ الْجَنْبَيْنِ . نَهْدٌ ، أى غَلِيظٌ . ذُو خُصَلٍ ، أى من الشَّعَرِ .

وقولها « غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ » : تقول ثَبَتَ وَلَمْ يَرِ لِنَفْسِهِ الْإِنْقِبَاضَ وَالْإِحْجَامَ ، لِأَنَّ الصَّبَرَ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَاسُ عَازَةٌ مِنْهُ وَطَبِيعَةٌ ، وَلِأَنَّ صُرُوفَ

= غادروه وصف له ، وغير زميل خبره ولا موضع من الإعراب في وجه النصب للجملة التي هي غادروه ، لأنها مفردة فحكها حكم الجملة المنسرة . وحسن رفعه وإن كان نكرة لأنه تخصص بالصيغة . وإذا نصبته نصبت غير زميل وصنأ له . ويجوز أن يكون وصفاً للحال التي هي ملحماً .

(١) لو يَشَا ، ضبطت في ل بالجزم ، وهي رواية وشاهد في أن « لو » قد تجزم الفعل .

انظر الخزانة وأمالى ابن السجري .

«الدهر تجرى إلى النفوس بأجلها ، ولكل حي وقت من يوم معلوم ، فإذا انتهى العمر به إلى ذلك الوقت انقطع .

٣٩٨

وقال جرير ، يرثي قيس بن ضرار^(١) :

١- وبأكية من نأى قيس وقد نأت بقيس نوى بين طويل بعادها
٢- أظن أنهمال الدمع ليس بمنته عن العين حتى يضمحل سوادها
٣- وحق لقيس أن يباح له الحى وأن تُفقر الوجناء أن خف زادها
قوله « وبأكية من نأى قيس » ألم فيه بقول الآخر^(٢) :

وكنْتُ أرى كالموت من بين ليلة فكيف بين كان ميعاده الحشر
فيقول : رب اسرأ باكية لبعد قيس عن مقر عزه ، ومسكن فخره ،
ونأى قيس الساعة لمنتوى بعده طويل . والنوى : وجه القوم التي ينوونها ،
وهي مؤنثة . وأضاف النوى إلى الين - وهو الفراق - لأن الغرض في تلك
النوى كان مفارقة الأحياء ، والنقل إلى دار القرار ، فالبين سببها ومقتضاها .
وارتفع « بعادها » بطويل ، والضمير منها يعود إلى النوى . والواو من قوله
« وقد نأت » واو الحال .

وقوله « أظن أنهمال الدمع » يريد أن أوقات البكاء متصلة ، وآماد سيلان
الدموع غير منقطعة ، والعين وشؤونها لا تثبت لذلك ولا تقوى به ، فلا شك

(١) التبريزي : « قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة » . وهذه المرثية آخر
المراثي عند المروزي ، لكن التبريزي روى بعدها ثلاث مرات ، سننبتها في الحواشي في نهاية
هذا الباب .

(٢) هو سلمة الجعفي . وقد مضى في الحاشية ٣٨٥ ص ١٠٨١ .

أَنَّ سَوَادَهَا يَبْطُلُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَسَبِّبَاتِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَقْوَى وَتَدُومُ بِقُوَّةِ أَسْبَابِهَا وَمُقْتَضِيَّاتِهَا ، فَمَا دَامَ سَبَبُ الْبُكَاءِ — وَهُوَ الْحُزْنُ وَالْمَلَأَمُ — يَمْلِكُ الْبَاكِ وَيَقُودُ زِمَامَهُ ، فَالذَّمَّ مَعِ سَائِلُ ذَارِفٍ ، وَسَوَادُ الْعَيْنِ مُشْفٍ عَلَى الْبُطُولِ هَالِكٌ ^(١) . وَقَوْلُهُ « وَحَقٌّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى » الْأَصْلُ فِي الْحِمَى الْمَاءُ وَالْكَلَاءُ ، وَلَمَّا كَانَ الْعَزِيزُ مِنْهُمْ يَسْتَبِيحُ الْأَحْمِيَّةَ وَيَحْفَظُ حِمَى نَفْسِهِ وَيَمْنَعُ مِنْهُ كُلَّ أَحَدٍ ، وَإِذَا قَالَ أَحْمَيْتُ هَذَا الْمَكَانَ ، أَيْ جَعَلْتُهُ حِمًى ، كَانَ يُتَجَنَّبُ وَيُتَحَامَى إِجْلَالًا وَخَوْفًا مِنْهُ — اسْتَعِيرَ مِنْ بَعْدُ لِلْقَلْبِ وَمَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ الْحُبُّ أَوِ الْحُزْنُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَمَا لَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ ، فَيَصِيرُ كَأَنَّهُ حِمَى الْعَقْلِ . فَيَقُولُ : حَقٌّ لَقَيْسٍ وَالْمَصَابِ بِهِ أَنْ يُبَاحَ لَهُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا كَانَ حِمًى ، فَلَا يَنْزِلُ بِهِ غَمٌّ ، وَلَا يَمْتَلِكُهُ سُرُورٌ ، أَيْ حَقٌّ لِلْجَزَعِ بِهِ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْقَلْبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ شَيْءٌ . وَقَدْ أَخْرَجُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي مَعَارِضَ لِأَنَّهُ مَعْنَى صَحِيحٍ حَكِيمٍ شَرِيفٍ ، فَقَالَ كَثِيرٌ فِي الْحُبِّ يَصِفُ امْرَأَةً :

أَبَاحْتُ حِمَى لَمْ يَرْعُهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
يُرِيدُ : بَلَّغْتُ مِنَ الْقَلْبِ هَذَا الْمَبْلَغَ .

وَأَخَذَهُ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيُّ ، فَقَالَ :
فَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلًّا قَبْلَهَا وَهَانَتْ مَرَاقِيهَا لِرِيَا وَذَلَّتِ
وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ فَقَالَ :

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهُ يَرْتَعُ فِيهَا أَطَايِبَ الثَّمَرِ ^(٢)
وَأَخْرَجَهُ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ فَقَالَ يَنْفِي ^(٣) :

(١) يُقَالُ : بَطُلَ يَبْطُلُ بَطْلًا ، بِالضَّمِّ ، وَبَطُولًا ، وَبَطْلَانًا : ذَهَبَ ضَيَاعًا وَخَسِرَ .

(٢) لُ : « يَرْتَعُ مِنْهَا » .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ لُ .

بَصَحْنِ حَدٍّ لَمْ يَغِضْ مَاؤُهُ وَلَمْ يَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ^(١)
فَنَقَلَ إِلَى الْخَدِّ وَغَمَضَ كَمَا تَرَى .
وقال آخر يصف ناقة :

* حمراء منها ضَخْمَةُ الْمَسْكَنِ^(٢) *

يريد عظيمة المسكان من القلب . ذكره الأصمعي . يريد أنها محببة . وقد قيل فيه غير هذا .

وقوله : « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيسٍ وهو في ضُحْبَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَنْوُبَ عَنِ الْمَقْبُورِ فِي الضِّيَافَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَسَاعِدْهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ عَقَّرَ نَاقَتَهُ ؛ إِكْرَامًا لَهُ . لذلك قال « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » . والوجناء : الناقة الصُّلْبَةُ ، أُخِذَ مِنَ الْوَجِينِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ . فَمَنْ رَوَى « أَنْ خَفَّ زَادُهَا » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، فَلَمْرَادٍ لِأَنْ خَفَّ زَادُهَا . وَمَنْ رَوَى « إِنْ خَفَّ » بِكسْرِ الْهَمْزَةِ فَهِيَ لِلشَّرْطِ . وقد اعتذر بعضهم^(٣) من ترك ذلك فقال :

لَوْلَا السَّقَارُ وَبَعْدُ خَرَقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْمُرْقُوبِ

يعني ناقته .

وقد حكى ابنُ الأَعرابي حكايةً مائيةً ، قال : كان رجلٌ يُواصِلُ امرأةً نَحْرَجَ فِي سَفَرٍ لَهُ وَعَادَ وَقَدْ اسْتَبَدَّكَتْ بِهِ ، فَأَتَاهَا لِعَادَتِهِ^(٤) ، فَقَالَتْ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنْ شِعَابَ الْقَلْبِ بَعْدَكَ حُلَّتِ

(١) تخضه ، بالياء في الأصل ، وبالناء في ل .

(٢) الرجز لابن ميادة ، كما في أمالي القالي (٣ : ٢٠٢) . وانظر مجالس ثعلب ٥٠٦ .

(٣) هو حفص بن الأحنف الكنتاني . سبق في الحماسة ٣٠٦ ص ٩٠٦ .

(٤) لعادته ، باللام ، كما في الأصل و ل والتبريزي .

فأجابها :

فَإِنْ تَكُ حُلَّتْ فَالشَّعَابُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْهَا قُلُوصِي وَعَلَّتْ

تم باب المرائى بحسن توفيق الله وجميل صنعه ، وله على تواتر نعمه ،
وتتابع أياديه ، أجزل الحمد ^(١) .

(١) بعده في ل : « وأكثر الشكر ، وعلى النبي المصطفى ، محمد المحببى خير الورى ، أوفى صلواته ، وأتمى بركاته ، وعلى آله الطيبين الظاهرين ، وسلم » .
هذا . وقد روى التبريزى بعد هذه المقطوعة ثلاث مقطوعات أخرى آثرنا إثباتها هنا ، وهى :

وقال آخر :

إِنَّ الْمَسَاءَ لِلْمَسْرَةِ مَوْعِدٌ أُخْتَانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَةِ أَوْغِدِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِهِالِكٍ فَتَيَقَّنْ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ وَتَزَوَّدِ

وقال آخر يرثى أخاه :

أَخٌ وَأَبٌ بَرٌّ وَأُمٌّ شَفِيقَةٌ تَفَرَّقَ فِي الْأَبْرَارِ مَا هُوَ جَامِعُهُ
سَلَوْتُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ مَا هُوَ تَابِعُهُ

وقال آخر يرثى ابنه :

ذَهَبَتْ عَلَى حِينٍ أَعْجَبَتْنِي وَوَلَّى الشَّبَابُ وَجَاءَ الْكِبَرُ
فَإِنْ أَبُكَ أَبُكَ عَلَى فَاجِعٍ وَإِنْ يَكُ صَبْرٌ فَتَنِي صَبْرُ

بَابُ الْإِدْبِ

obeikandi.com

بَابُ الْأَدَبِ

٣٩٩

قال مسكين^(١) الدارمي :

١- وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلَعٌ بَعْضُهُمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهُمَا

قوله : « وَفَتَيَانِ صِدْقٍ » أَضَافَ الْفَتَيَانَ إِلَى الصِّدْقِ ، كَمَا يُقَالُ فَتَيَانُ خَيْرٍ .
وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَصْدُقُونَ فِي الْوَدِّ وَلَا يَخُونُونَ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُقَالُ رَجُلٌ سَوَاءٌ
وَإِذَا عَرَفْتَ قُلْتَ الرَّجُلُ السَّوَاءُ ، وَلَمْ تُضِفْ ، بَلْ تَجْعَلُهُ نَعْتًا . وَتَقُولُ : عَمَلٌ
سَوَاءٌ وَعَمَلُ السَّوَاءِ ، وَقَوْلُ صِدْقٍ وَقَوْلُ الصِّدْقِ ، وَرَجُلُ صِدْقٍ ، وَلَا تُقَالُ الرَّجُلُ
الصِّدْقُ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الصِّدْقِ .

فَيَقُولُ : رَبِّ فَتَيَانٍ هَكَذَا اسْتَنَامُوا إِلَيَّ وَاسْتَوْدَعُونِي أَسْرَارَهُمْ ، فَكُنْتُ
أَنَا نِظَامَهَا لَا يَفُوتُنِي مِنْ خَبَائِثِ صُدُورِهِمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَفْرَدْتُ كُلًّا مِنْهُمْ بِالْوَفَاءِ
لَهُ ، وَكَتَمْتُ مَا أُوْدَعَنِي مِنْ سِرِّهِ ، وَلَا أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا يَسْتَكْتُمُنِي الْبَعْضُ
الْآخَرُ ، بَلْ أَصُونُهُ مِنَ الْإِذَاعَةِ ، وَأَحْفَظُهُ مِنَ النَّشْرِ بِالطَّلَى وَالصِّيَانَةِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ
حِفْظَ السِّرِّ يَجْرِي بِجَرَى أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ ، فَهُوَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَأْخُودٌ بِهِ وَمِمْبَعُوثٌ
عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « جَمَاعُهُمَا » ، هُوَ كَمَا يُقَالُ نِظَامٌ ، لِأَنَّ النِّظَامَ اسْمٌ لِمَا يُنْظَمُ بِهِ الشَّيْءُ
فَهُوَ كَالْوِثَاقِ وَالرِّبَاطِ . وَكَذَلِكَ الْجَمَاعُ : اسْمٌ لِمَا يُجْمَعُ بِهِ الشَّيْءُ . وَالضَّمِيرُ مِنْ

(١) مسكين لقب له ، واسمه ربيعة بن أنيف الدارمي ، شاعر إسلامي هاجى الفرزدق ثم
كافه ، وكان له أثر ظاهر في ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة . انظر ترجمته في الأغاني (١٨ :
٦٨ - ٧٢) والحزانة (١ : ٤٦٥ - ٤٧٠) واللكل ١٨٦ - ١٨٧ ومعجم الأدباء
(٤ : ٢٠٤ - ٢٠٦) مرجليوث ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ .

جَماعُها يرجع إلى الفِتيان ، ويجوز أن يرجع إلى ما دلَّ عليه الكلام من ذكر الأسرار . وانتصب « غَيْرَ » على أنه استثناء منقطع .

٢- لِكُلِّ أَمْرِي شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارِغْ وموضعُ نَجْوَى لَا يُرَامُ أَطْلَاعُهَا
٣- يَظْلَوْنَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إلى صَخْرَةٍ أَغْيَا الرِّجَالِ انْصِدَاءُهَا

قوله « لِكُلِّ أَمْرِي » يريد لكل رجل منهم جانبٌ من القلب ، وشقٌّ قد فُرِّغَ له وَخُصَّ بموضع سرِّه ونجواه ، لَا يُطْلَبُ الاطِّلاعُ عليه والكشف عنه ، لما عُرِفَ من محافظتي ووفائي . والنَّجْوَى يجري على أحكام المصادر : الدَّعْوَى ، والدَّعْوَى ، وألفه للتأنيث ، ويوصفُ به الأمر المكتوم . ويقال : نَجَّوْتُهُ فهو نجى^(١) . وقد وُصِفَ بالنَّجْوَى والنَّجَى الواحد والجمع . [وفي^(٢)] القرآن : ﴿ خَلَّصُوا نَجْيًا ﴾ ، و ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ ، و ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ . ويقال : تَنَجَّوْا وَانْتَجَّوْا .

وقوله « يَظْلَوْنَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ » يريد أنهم يُفَارِقُونَهُ فَيَتَغَيَّبُونَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَسِرُّهُمْ مَكْتُومٌ مُحْصَنٌ ، كَأَنَّهُ أودِعَ صَخْرَةَ أَعْجَزَ الرِّجَالِ صَدْعُهَا . ويقال : شَتَّى الْأَمْرُ شَتًّا وَشَتَاتًا ، وهو شَتِيتٌ وَشَتٌّ ، وهم أَشْتَاتٌ وَشَتَّى . فَأَشْتَاتٌ جَمْعُ شَتَّى ، وشَتَّى : جَمْعُ شَتِيتٍ . ويُرْوَى « أَغْيَا الْجِبَالِ انْصَادُهَا » . والمعنى أَنَّ هَذِهِ الصَّخْرَةَ لِإِشْرَافِهَا وَثُبُوتِهَا فِي مَوْضِعِهَا لَوْ رَامَ الْجِبَالُ حَطًّا لَأَعْجَزَهَا ذَلِكَ . وقوله « إِلَى صَخْرَةٍ » أي مضمومٌ إِلَى صَخْرَةٍ . فتعلَّقَ إِلَى بِفِعْلِ مَضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ .

(١) ل : « نَجِيسٌ » .

(٢) التَّكْلَةُ مِنْ ل .

٤٠٠

وقال يحيى بن زياد^(١) :

- ١- لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بِيَاضُهُ بَمَفْرِقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا^(٢)
 ٢- وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
 ٣- وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرُهُ فَسَامَحْتُ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبِي

قوله « لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » لما عَلِمَ للظرف ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجوابه « قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا » . وكان الواجب أن يقول : قُلْتُ لَهُ مَرْحَبًا وَلَكِنَّهُمْ يَكْرُرُونَ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ كَثِيرًا ، وَالْقَصْدُ بِالتَّكْرِيرِ التَّفْخِيمِ . والمعنى : لَمَّا وَجَدْتُ الشَّيْبَ اشْتَعَلَ رَأْسِي بِيَاضِهِ ، طَيِّبْتُ نَفْسِي بِطُلُوعِهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَتَيْتَ رُحْبًا وَسَعَةً . وقوله « مَرْحَبًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَيُقَالُ : رَحِبْتُ بِلَادُكَ رُحْبًا وَرَحَابَةً . وَحُكِيَ رَحِبْتُ بِلَادُكَ بِكَسْرِ الْحَاءِ تَرْحَبُ رُحْبًا . وَالرَّحْبَةُ وَالرَّحْبَةُ ، وَاحِدٌ وَهُمَا سَاحَةُ الْمَسْجِدِ .

وقوله « وَلَوْ خِفْتُ » يريدُ بِخِفْتُ رَجَوْتُ ، وَهُمْ يَضَعُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَاءِ وَالْخَوْفِ مَوْضِعَ الْآخَرِ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ ، أَيْ لَا يَخَافُونَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْهَذَلِيُّ : « يَرْجُونَ لَسَعَةً^(٣) » . يَعْنِي النَّحْلَ . فَيَقُولُ : لَوْ رَجَوْتُ أَنِّي إِذَا تَكَرَّهْتُ الشَّيْبَ وَتَسَخَّطْتُهُ ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٢٨١ ص ٨٦٠ .

(٢) كَذَا جاء البيت بالخرم في النسختين ، وجاء تاما في التبريزي : « وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » .

(٣) كَذَا في النسختين . والمعروف كما عند التبريزي : « لَمْ يَرْجُ لِسَمَهَا » . وهذا قطعة من بيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين (١ : ١٤٣) ، وهو بتمامه :

إِذَا لَسَعْتَهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لِسَمَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبِ عَوَاسِلِ

وكففت عن إظهار الرضا به والشروع لطلعتيه فارقتي واحرف عني ، لرمت ذلك ، ولكن إذا حل ما يكرهه فطاوعت نفسه به ، وتلقاه بالصبر عليه ، كان ذلك أعون على زوال الكراهة فيه ، وإلا اجتمع وجهان مما يشق نزوله به ، واغتمامه له . وقوله « فساحت به النفس » أى ساهلت . ومنه قيل : عود سمح أى لا أبن فيه ^(١) . ومما يجرى مجرى المثل : « إذا لم تجد عزاً فسمخ » أى إن وهن . وقوله « كان للكره أذهباً » كان الحكم أن يقول أشد إذهاباً ، لأن الفعل منه ليس بثلاثي . ولكن على طريقة سيبويه يحىء أن يُبنى فعل بالتعجب مما كان على أفعل أيضاً ، وإن كان الباب على الثلاثي . وقد يمكن أن يقال : إنما قال « أذهباً » على حذف الزوائد . ألا ترى قوله :

فإننا وجدنا العرض أفقر ساعةً إلى الصون من بُردٍ يمانٍ مُسهمٍ ^(٢)
والفعل لم يحىء إلا افتقر ، فكأنه نوى حذف الزوائد وردّه إلى فق ، وعليه جاء « فقيرٌ » وإن لم يستعمل الفعل .

وقوله « ولكن إذا » لكن جاء في هذا المكان لترك قصة إلى قصة ، وهى إذا جاءت عاطفة كانت لاستدراك بعد النفي . وجواب « لو » فى قوله : لو خفت « رمت أن يتفكبا » ، وجواب إذا من قوله « إذا ما حل كره » : « كان للكره أذهباً » . ويوما انتصب على الظرف ، والعامل فيه حل ، واسم كان مادل عليه قوله ساحت ، كأنه قال : كان المساحة أذهب للكره .

(١) الأبن : جمع أبنة ، بالضم ، وهى العقدة فى العود ، والعيب .

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ واللسان (سهم) ، والرواية فىهما : « أحوج ساعة » .

٤٠١

وقال المزار بن سعيد^(١) :

١- إذا شئت يوماً أن تسودَ عشيرةٌ فبالحلمِ سُذْ لا بالتسرعِ والشمِ-

٢- وللحلمِ خيرٌ فاعلمنَّ مغيبةً من الجهلِ إلا أن تَشْمَسَ مِنْ ظلمِ

جواب وقوله « إذا شئت » قوله فبالحلم . والمعنى أن السيادة لها آلات ، وإليها مَرَّاق ودرجات ، فمن أتاها من وجهها ومأتاها تمت له ؛ وذلك أن منها استعمالُ الحلم ، وترك التعجُّل ، وكظم الغيظ ، وتسهيل الجانب ، والاحتمال في النفس والمال والجاه ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . فمن صبر في طلب الرياسة وحصول سيادة العشيرة ، على هذه الخصال ، فهو حقيق بإدراكها ، فإن أخذ يُحْسِنُ جانبَه ويقطُب وجهه ، ويغلظ كلامه ، ويوسع غيظه ويُفْظِظ قلبه ، ويعجِّل الطاعة له ، نفرت العشيرةُ منه ، وبانوا عنه . لذلك قال مَنْ قال :

فإن كنتَ سيِّدنا سُدْتنا وإن كنتَ للخالِ فاذْهَبْ فخل^(٢)

وقوله « وللحلمِ خيرٌ فاعلمنَّ مغيبةً » انتصب مغيبةً على التمييز . وقوله « فاعلمنَّ » حشو . فإن قيل : كيف اختيرَ هذا البيتُ بهذا الحشو ، والمتكلم إذا استعملَ في كلامه مع المخاطب اعلم واسمع وما يجري مجراها ، عد ذلك معه عيًّا ؟ قلت : إنَّ هذه اللَّفظةُ في هذا المكانُ محتاجٌ إليها في عمدة المعنى المقصود ،

(١) هو المزار بن سعيد بن حبيب الفقمي الأسدي ، وهو من مخضري الدولتين ، وقيل : إنه لم يدرك الدولة العباسية : الأغاني (٩ : ١٥١ - ١٥٤) والخزافة (٢ : ١٩٣ - ١٩٧) والمؤتلف ١٧٦ والمرزباني ٤٠٨ - ١٠٩ والشعر والشعراء ٦٨٠ - ٦٨٣ .

(٢) البيت ٤ من الحماسة ٦٧ ص ٢٥٢ .

وإنَّ ما أشرتَ إليه إنَّما يكون زوائدَ وفُضُولًا لا يُحتاج إليه ، فإذا وصلَ المتكلمُ بها كلامه مستعينا بها عُدَّ منه خطأً وعتبًا ، وهو في هذا المكانَ وصَّاه بالفكر فيما أورده والتبَّينَ له ، وبمعرفةِ الحِلْمِ ووقته حتَّى يَدْرِيَ كيف يأخذُ به . فقوله : فاعلنَ ، فاعرفنَ ، ومفعوله محذوف ، والمراد فاعلنَ الحِلْمَ ومَعَبَّتَهُ ، فأطلقَ . رجع فيما أشار به مطلقًا ، واستثنى في كلامه فقال : إلَّا أن تَنْفِرَ من ظُلْمِ يَرْكُوبِكَ ، وهزيمةٍ تنالُك ؛ فإنَّ الجَهْلَ في ذلك الوقتِ أرجحُ في الاختيار من الحِلْمِ ، إذ كان صَدْمُ الشَّرِّ بالشَّرِّ أقرب ، ودفعُ الجَهْلِ بالجَهْلِ أحْلَم . ويقال : عَتَبَتِ الأمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وإنَّ لهذا الأمرِ لَمَعَبَّةً محمودة ، أى عاقبة . وقوله « تَشَمَّسَ » ، يقال إنَّه لَدُو شَمْسٍ شديد ، إذا كان عِسرًا . وشَمَسَ لى فلانٌ إذا تنكَّرَ وهَمَّ بالشَّرِّ .

٤٠٢

وقال عِصَّامُ بْنُ عُبيدِ اللَّهِ^(١) :

١ - أَبْلِغْ أَبَا مَسْمُوعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامِ

٢ - أَذْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي^(٢)

قوله « مُغْلَغَلَةً » أى رسالةٌ يُغْلَغَلُها إلى صاحبها . وهو من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخلَ بينَ الأشجار ، وغلغلته أنا^(٣) . وقال الدَّيريدى : الغلغلة : دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ . وقال الخليل : الغلغلة : سُرْعَةُ السَّيْرِ . يقال تغلغلوا ومَضَوْا . ورسالةٌ مُغْلَغَلَةٌ : محمولة من بلدٍ إلى بلد . وقوله « وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ »

(١) التبريزى : « عصام بن عبيد الزمانى » . على أن الآيات رواها الجاحظ في البيان

(٢) (٣/٣١٦ : ٤/٣٠٢ : ٨٥) منسوبة إلى همام الرقاشى .

(٢) الجاحظ : « أن يلجوا الأبواب » .

(٣) في الأصل : « وغلغله إياه » ، صوابه في ل .

بين أقوام « اعترض ، وقد سرّ القول في فائدة الاعتراضات . والمعنى أنهم ما داموا يتعاتبون فإن نياتهم تُعاود الصّلاح وتُراجعه ، وإذا ارتفع العتاب من بينهم انطوت صدورهم عن الإحن والضعائن ، وظهر الشرّ على صفحات أقوالهم وأفعالهم ، فاهتاجت الحِمَيَات ، وأنتجت من سوء عقائدهم البليّات . وفي طريقته قال أبو تمام :

* إن الدّم المغترّ يحرسه الدّم ^(١) *

وقال غيره : « القتلُ أقلُّ للقتل » ^(٢) . فأما قول الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فإنّ بلاغة القرآن لا تُدانيها بلاغة ، وكلّ كلام وإن علا ينحطّ دونه . والرّسالة قوله : أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا . والمعنى أنك قدّمت على في الإذن والدّخول قَوْمًا لم يكن من حقّهم أن يتقدّموا على إذا وردنا الأبواب ، ولا بلغت من محالّهم ورُتبتهم أن تُرفَع على ما يُقسم لى في مجالس الكبار . وقوله « أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ » حقّه عند سيبويه أن يقال أن يَدْخُلُوا في الأبواب ، يجعله مما يتعدّى في الأصل بحرف الجرّ ثم يُحذف الجارّ من اللفظ تخفيفًا . ومسألة الكتاب ^(٣) : دخلت البيت . وغيره يذهب إلى أنّه مما يتعدّى تارة بنفسه وتارة بحرف الجرّ ، وفي أنهم يقولون دخلت في الأمر فيعدّى بى لا غير ، وأنّ ضده وهو خرجت يتعدّى بحرف الجرّ ، بيّان لصحّة قول سيبويه .

(١) في الأصل : « المغنى » ، صوابه في ل . والمغتر ، بالعين المعجمة : الغافل . وفي ديوان أبي تمام ٢٧٤ : « المعتر » بالعين المهملة . وصدر البيت :

* وأخافكم كى تنغدوا أسيافكم *

وقبل البيت بيت سائر ، وهو :

فقسا لتزدجروا ومن يك حازما . فليقس أحياناً على من يرحم

(٢) كذا في اللسختين . ويروى : « القتل أنى للقتل » .

(٣) أى كتاب سيبويه .

٣- لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ^(١)

٤- فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ^(٢)

[قوله^(٣)]: «لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ» المراد به والأصل فيه: لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَحَذَفَ الْقُبُورَ وَرَفَعَ قَبْرًا عَلَى أَنْ يَقُومَ مَقَامَ الْفَاعِلِ، فَلَمَّا رَفَعَهُ وَأَزَالَهُ عَنْ سَنَنِ الْحَالِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ: بَعْتُ الشَّاءَ شَاءَ شَاءَ، وَقَبَضْتُ الْمَالَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا، وَصُمْتُ رَمَضَانَ يَوْمًا يَوْمًا، رَدَّ حَرْفَ الْعُطْفِ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ الْعُطْفِ، لَكِنَّهُمْ اتَّسَعُوا فِي الْحَالِ لَعَلَّ الْمَخَاطَبَ. وَقَالَ سِيدُوِيَّةٌ: إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى هَذَا الْبَابِ كُلِّهِ أَنْ يَكُونَ اتِّصَابُهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ: الْحَالِ أَوِ الظَّرْفِ، لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَالْجَوَازِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيهِمَا. وَالظَّرْفُ كَقَوْلِهِ: لَقِيْتُهُ يَوْمَ يَوْمٍ، وَصَبَاحَ مَسَاءٍ، وَمَا جَانِسَهُمَا. قَالَ: وَالْإِفْرَادُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَجُوزُ حِمَايَةً عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا التَّكْرَارُ.

وإن قيل: هل يجوز على ما بينت: لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا، عَلَى الْبَدَلِ، وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ حِسَابُهُ بَابَ وَبَابٍ؟ قُلْتُ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْقَصْدَ وَالْفَرْضَ مِنَ الْكَلَامِ، وَقَدْ أُجْرِىَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، التَّفْصِيلُ وَالتَّتَابُعُ، وَمِنْ الْإِبْدَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ. وَمَعَ ذِكْرِ الْقُبُورِ يُحَذَفُ الْوَاوُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَرَجِّعِينَ عَنْ الْحَالِ بَعْدَهُ. لَا يَجُوزُ بَعْتُ الشَّاءَ شَاءَ وَشَاءَ؛ فَكَذَلِكَ هَذَا، عَلَى أَنْ بَابِي الْحَالِ وَالظَّرْفِ يَحْتَمِلَانِ مِنَ التَّوَشُّعِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ أَكْثَرُ أَبْوَابِ لِإِعْرَابِ

(١) البيان: «كنت أكرمهم قبرا» .

(٢) البيان: «إذا ما حاجة عرضت» .

(٣) التكلة من ل .

ويعجز ، وإذا كان كذلك لم يحز تجاوزها بالاتساع فيهما إلى غيرها . ألا ترى أنه لو قال : لو عدّ قبران كنت أكرمهما مئيتاً ، لم يحز ، ولم يتبين منه ذلك المعنى ، وإن كان المعطوف والمعطوف عليه إذا قلت جاءني رجلٌ ورجلٌ بمثابة جاءني رجلان .

ومعنى البيت : لو عدّت القبورُ منوعةً مفصّلة — وإنما يعنى أسلاف من قدّم عليه في الإذن والدخول خؤولة وعمومة — لكنت أكرمهم أباً ، وأشرفهم بيوتاً . فكنتي عن البيت والمنصب بقوله « وأبعدهم من منزل الذّام » أي من منزل العيب ، لأنّ الذّام والذّم بمعنى . يقال : ذامه يذمّه ، كما يقال ذمه يذّمه ، وحيث يحصل العيب يحصل الذّم ، أظهر أو لم يظهر .

وقوله « فقد جعلتُ إذا ما حاجتي نزلت » يريد بجعلت طيفقت وأقبلت . يقال : جعل يفعل كذا . والمعنى : أتى قعدتُ عنك وتركْتُ زيارتك ، وإذا اتفق ما لا بدّ لي منك ومن معونتك من حاجة أو عارضٍ سببٍ فإني معتمدٌ على غيري في التّنجّز والاستسماف . ومعنى « أدلوها » من قولك دلّوت الدّلّو ، إذا أخرجتها من البئر ، أي أنسبب بغيري ، وأصونُ من التبدّل عريض .

٤٠٣

وقال شبيبُ بن البرصاء^(١) :

- ١ — وإني لترك الضّغينة قد بدا نراها من المولى فما أستثيرها^(٢)
- ٢ — مخافة أن تجني على وإنما يهيج كبريات الأمور صغيرها

(١) هو شبيب بن يزيد بن جرة الموى . والبرصاء أمه^٢ . وشبيب شاعر إسلامي بدوي من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى عقيل بن علفة . الأغاني (١١ : ٨٩ - ٩٤) .
(٢) التبريزي : « فلا أستثيرها » .

يقول: إني أصابِرُ مَوْالِي وأَحْتَمِلُ أَذَاهُمْ، وأَعْنِي على فَرَطَاتِهِمْ ما وَجَدْتُ سَبِيلًا إلى الصَّبْرِ، فَأَتْرُكُ ضَعْفَانَهُمْ تَبْدُو أَوَائِلُهَا، وتَظْهَرُ خَايِلُهَا، وَلَا أَكْشِفُ عَنْهَا وَلَا أَطْلُبُ ثَوْرَانَهَا، خِيفَةَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ الشَّرُّ وَيَرْجِعَ الصَّغِيرُ مِنْهُ كَبِيرًا، وَسَهْلُهُ عَسِيرًا؛ فَإِنْ أَوَائِلَ الْأُمُورِ كُلِّهَا ضَعِيفَةٌ ضَيِّقَةٌ، فَإِذَا اتَّفَقَ لَهَا مَنْ يَهَيِّجُهَا وَيَزِيدُ فِي مَوَادِّهَا قَوِيَّتٌ وَاتَّسَعَتْ. وَالتَّرَاكُ: بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ لِلتَّرَكِ لِلشَّيْءِ، وَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ تَرَكَ. وَالضَّغِينَةُ وَالضَّغْنُ وَالضَّغْنُ^(١) وَاحِدٌ، وَهِيَ الْحَقْدُ وَالْعِدَاوَةُ. وَيُقَالُ: ضَغْنٌ عَلَىَّ وَاضْطَغْنٌ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الضَّغْنُ فِي الدَّابَّةِ: عَسْرُهُ وَالتَّوَاؤُهُ. وَدَابَّةٌ ضَغْنَةٌ، إِذَا نَزَعَتْ إِلَى وَطَنِهَا. وَالتَّرْيُ: النَّدَى، وَالْفِعْلُ مِنْهُ تَرَى. وَالرَّادُ بِهِ هَاهُنَا مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى كَامِنِ الْحَقْدِ. وَيُقَالُ: ثَارَ الْأَرْنَبُ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَاسْتَثَرَتْهَا أَنَا.

وقوله «خِيفَةَ» انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ لَهُ، وَ«أَنْ تَجْنِي» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْهَا، وَقَدْ أَضَافَهَا إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «صَغِيرُهَا» يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ، أَيْ صَغَانُهَا.

٣ - لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا
٤ - تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتَقِيلُ أَشْبَاهُهَا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

قَوْلُهُ «عَلَى رَغْبَةٍ» أَيْ عَلَى مَرغُوبٍ فِيهِ، كَأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْفَرَصِ فِي صَاحِبِهِ مَا لَوْ اتَّهَزَّهَا وَلَمْ يَفْعَلْ عَنْهَا لَكَانَ فِيهَا الْإِشْتِفَاءُ مِنْهُ، وَدَرَكُ الْمَطْلُوبِ فِي بَابِهِ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْ وَأَصْرًا صَاحِبُهُ عَلَى مَسَامَتِهِ أَخَذَ يَتَحَسَّرُ. وَقَوْلُهُ «لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا» يَرِيدُ: لَوْ قَوَّيْ نَفْسِي عَزِيمَتِهَا، وَحَصِيفُ رَأْيِهَا. وَالْمَرِيرُ: الْمُرَّ الْحَكَمُ. وَوُصِفَ الْحَبْلُ بِهِ لِذَلِكَ. وَيُقَالُ: اسْتَمَرَّ مَرِيرُ فُلَانٍ، إِذَا اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ وَاسْتَحْصَفَ. وَعُنَيْزَةُ: مَوْضِعٌ^(٢).

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(٢) موضع بين البصرة ومكة، كما في معجم البلدان.

وقوله « تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ » مثله قول القطامي :
 وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ أَمْرًا قَبْلَ مَا يَرَى وَلَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسْتَبِينَ دَوَابِرُهُ
 وَأَكْشَفُ مِنْهُ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :
 أَشْبَهُ غَيْبِ الْأَمْرِ مَا دَامَ مُقْبِلًا وَلَكِنَّا تَبَيَّنَّا فِي التَّدْبِيرِ ^(١)
 وَأَعْقَابُ الْأُمُورِ : أَوَاخِرُهَا . وَيُرْوَى : « تَبَيَّنُ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا انْقَضَتْ »
 يُرَادُ بِهِ تَبَيَّنُ . وَانْتَصَبَ « أَشْبَاهَا » عَلَى الْحَالِ .

٥- إِذَا افْتَخَرْتَ سَمْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَى مَا ابْتَدَيْنَا مَا يَمُدُّ فَخُورُهَا
 ٦- أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوٍّ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي الظُّلُمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا
 يَقُولُ : مَفَاخِرُ سَعْدٍ وَمَبَانِي مَكَارِمِهَا عَلَى مَا أَشَّسَهُ قَدِيمُنَا ، وَعَمَّرَهُ حَدِيثُنَا ،
 فَتَمَّى اسْتَعْرَضَتِ الْمَسَاعِي فِي مَنَافِرَةِ الْخُصُومِ لَمْ تَجِدْ بَنُو سَعْدٍ مَا يَعْتَمِدُهُ فَخُورُهَا ،
 وَيُكَائِرُ بِهِ خَصِيمُهَا ، إِلَّا مَا شَيْدَنَاهُ عَلَى سِرِّ الْأَيَّامِ ، وَتَعَاقَبِ الْأَحْوَالِ . فَقَوْلُهُ
 « سِوَى مَا ابْتَدَيْنَا » اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ . وَ« مَا » يَعْدُ فِي مَوْضِعٍ مَفْعُولٍ لَمْ تَجِدْ .

وقوله « أَلَمْ تَرَ » تَقْرِيرٌ لِمَنْ تَصَوَّرَهُ مُخَاطَبًا فَيَقُولُ : أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّا لِأَهْلِ
 قَوٍّ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ النُّورِ لِلْأَبْصَارِ ، فَهَمَّ بِنَا يَهْتَدُونَ ، وَبِعَالَمِنَا يَقْتَدُونَ ، وَلِمَرَّاسِمِنَا
 يَقْتَفِرُونَ ^(٣) ، وَبِسَنَارِ أَيْدِنَا يَسْتَضِيئُونَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا يَتَوَقَّفُونَ ^(٤) فِي مَرَّاشِدِهِمْ
 فَلَا يَقْضُونَ ، وَيَتَحَيَّرُونَ فِي آرَائِهِمْ ^(٥) فَلَا يَمْضُونَ ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ لَوْلَا مَا يُمِدُّ
 بِهِ النُّورُ أَبْصَارَهُمْ فِي رَوَاكِدِ الظُّلْمِ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا الْمَرِئِيَّاتِ ، وَبَيَّضُوا أَشْبَاحَ
 الْمَدْرَكَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا ، لَوْ قَفَوْا حَيَارَى لَا يَتَقَدَّمُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ .

(١) البيت لم يرو في ديوان حميد ، ولا في ملحقات ديوانه .

(٢) قو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

(٣) الاقتفار : التبع ، وأصله في تتبع الأثر .

(٤) ل : « يتوقعون » ، صوابه في نسخة الأصل .

(٥) في الأصل : « مرادهم » ، صوابه في ل .

ومفعول « يُبَيِّن » محذوف ، والضمير من نورها يعود إلى الظللاء لما كان يتعقبا . وهم يُضَيِّفون الشيء إلى الشيء لأدنى تناسب بينهما .

٤٠٤

وقال معن بن أوس^(١) :

١ — لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُّ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

لعمرك مبتدأ ، وخبره مضمّر ، وفيه معنى القسم ، وقد تُقْصَى القول فيه . وقوله « إِنِّي لَأَوْجَلُّ » مما جاء فيه أَفْعَلُ وَلَا فَعْلَاءُ لَهُ ، كأنهم استغنوا عن وَجَلَاءِ بَوَجَلَةٍ . ويقال : وَجِلْتُ أَوْجَلُّ وَأَجَلُّ وَجَلًّا ، وهو وَجِلٌ وَأَوْجَلُّ . وقلبي من كذا أَوْجَلُّ وَأَوْجَرُ ، بمعنى . و يروى : « تَعْدُو الْمَنِيَّةُ » و « تَعْدُو » ومعناها ظاهر . وأَوَّلُ ، بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ ، كَمَا فُعِلَ ذَلِكَ بِقَبْلُ وَبَعْدُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَصْلُهُ أَفْعَلٌ الَّذِي يَتِمُّ بِمَنْ ، وَأُضِيفَ مِنْ بَعْدُ ، وَجُعِلَ الْإِضَافَةُ فِيهِ بَدَلًا مِنْ مَنْ ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ تَمَامِهِ ثُمَّ حَذَفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ لِعِلْمِ الْخَاطِبِ بِهِ ، وَجُعِلَ فِي نَفْسِهِ غَايَةً ، وَكَانَ مَعْرِفَةً كَمَا كَانَ قَبْلُ وَبَعْدَ ذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يُبَيَّنَ كَمَا بُنِيَ . وَمَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : وَبِقَائِكَ مَا أَعْلَمُ أَيْنَا

(١) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، وعمر إلى زمان ابن الزبير ، وهو القائل له : « لعن الله ناقة حلتني إليك » . الإصابة ٨٤٤٥ والأغانى (١٠ : ١٥٦) . وفي الأغاني (١٠ : ١٦٢ - ١٦٣) أن القائل هو عبد الله بن فضالة . وفي الخزانة (٢ : ١٠٠) أن قائلها عبد الله بن الزبير الأسدي ، وكذا في زهر الآداب (٢ : ١٦٤ - ١٦٥) . وانظر العقد (٦ : ١٧٦) . وروى التبريزي من سبب الشعر أن معن بن أوس كان له صديق وكان معن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه طلّقها وتزوج غيرها ، فألى صديقه ألا يكلمه أبداً . فأنشأ معن يقول يستعطف قلبه عليه ، ويستترقه له . وفي الأبيات ما يدل على القصة ، وهو قوله :

فلا تغضبن أن تستعار ظعينة وترسل أخرى كل ذلك يفعل

يكون المقدّم في عدو الموت عليه ، وانتهاء الأجل إليه ^(١) ، وإني لخائفٌ مترقبٌ .
فوضع « على أينّا » نصب لأنه مفعول ما أدرى ، والذي لا يدرى هو مقتضى
هذا السؤال . وقوله « إني لأوجل » اعتراض .

٢ - وإني أخوك الدائم العهد لم أحلّ إن أبزأك خضمّ أو نبأك منزل ^(٢)

٣ - أحارب من حاربت من ذى عداوةٍ وأخسّ مالى إن غرمت فأعقل
يقول : إني وديك الذى يدوم عهده ، ويتصل على تقلب الأحوال وتبدل
الأبدال ، ولا يحول [إن تطاول] عليك خصم ، أو بطش بك عدو ، أو ضاق
عنك منزل ، فاحتجت إلى التحول عنه والاستبدال به . وقال الخليل : يقال
أبزيت بفلان ، إذا بطشت به وقهرته . وحكى الدرديدى : براه يبروه
بزوا ، إذا قهره . وأنشد :

جارى ومولائى لا يبرزى حريمهما وصاحبى من دواء السرّ مضطحب ^(٣)
ويبرزى يكون مستقبل بزى وأبرزى جميعاً . والله أعلم . ويجوز أن يكون
أبرزى منقولاً بالألف عن بزى يبرزى بزى فهو أبرزى ، وامرأة بزوام ؛ وهو
دُخول الظهر وخروج البطن . ويكون المعنى : إن خفّض منك خصم ، أو طأطأ
من إشرافك عدو ، وحملك من الثقل ما يبرزى له ظهرك ، فلا تُطبق الثبات
تحتّه ، والنهوض به .

وقوله « أحارب من حاربت » هو تفسير دوام عهده وثبات ودّه . والمعنى
تجدنى ذاباً عنك واقعاً معك ، أرصد الشرّ لأعدائك ، وأدافعهم دونك ، وإن

(١) ل : « به » .

(٢) التبريزى : « لم أحن » ، ونبه فى شرحه على الرواية هنا .

(٣) تكلمة يفتقر إليها الكلام .

(٤) مضطحب ، بالحاء المهملة المفتوحة . وفى اللسان (بزا) : مضطحب ، بالخاء

المعجمة المكسورة .

أصابك غُرْمٌ حَبَسَتْ مَالِي عَلَيْكَ ، واحتملت فيه الثَّقلَ عنكَ . وكان الواجب أن يقول : فَأَعْقِلْ عَنْكَ ، لأنه يقال عَقَلْتُهُ إِذَا أُعْطِيتَ دَيْتَهُ ، وعَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتُ مَا لَزِمَهُ فِي دَيْتِهِ . وقال الخليل : الغُرْمُ لزوم نائبةٍ في مالٍ من غير جنابة . والمالُ إِذَا أُطْلِقَ يراد به الإبل . ويجوز أن يكون معنى فَأَعْقِلْ : أَشَدُّهَا بَعْقَلِهَا بِفَنَائِكَ ، لِنَدْفَعِهَا فِي غَرَامَتِكَ .

٤- كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رَبِّئَتِي مَا تَعَجَّلُ^(١)
قوله « مساءتي » يريد مساءتك إلى ، وكذلك « سُخْطِي » يريد سُخْطَكَ عَلَيَّ ، فأضافهما إلى المفعول . ويُقال : مساءة ومسائية . والسُّخْطُ والسَّخْطُ لغتان ، ومثله السُّقْمُ والسَّقْمُ ، والعُدْمُ والعَدَمُ ، وهو نقيضُ الرِّضَا . ويقال : سَخِطْتُهُ وَتَسَخَّطْتُهُ ، إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهِ ، وإن كان في التثقلِ فضلٌ تَكَلُّفٌ . ومعنى البيت أنك تستمرُّ في إساءتك إلىَّ وسُخْطِكَ عَلَيَّ ، حتى كأنَّ بك داءَ ذاك شفاؤه ، وما تطلبه من عَجَلَتِي لَا تَجِدُهُ فِي بَطْنِي ، أي ما تقدِّره يَتَعَجَّلُ لك من المكاشفة بيني وبينك ، واستثارة الحقد الكامن فيك ، لا يحصل لك مني متباطئاً أيضاً . والمعنى أَنِّي أَصَابُكَ وَأَتْرُكُكَ عَلَى مَدَاجَاتِكَ .

٥- وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُعْقَبَ يَوْمًا مِنْكَ آخَرُ مُتَبِيلٌ

٦- سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبْدَلُ

قوله « وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا » يقال : سُوَّتَ فُلَانًا ، وَسُوَّتَ [له ^(٢)] وَجْهَهُ

(١) ترتيب سائر القصيدة عند التبريزي يخالف ترتيب المرزوق . فالتبريزي يروى هذا البيت بعد البيت الخامس ، ويروى التبريزي بعد الخامس بيتاً لم يروه المرزوق . وهو :

وإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرَبَّنِي قَدِيمًا لَدَوْ صَفْحَ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلٌ

ثم يروى بعده البيت السادس فالسابع إلى آخر المقطوعة .

(٢) هذه من ل .

مَسَاءً وَمَسَائِيَّةً . والمعنى : أُنِّي لَا أُؤَاخِذُكَ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ مَسَاءَتِكَ ، بَلْ أَقَابِلُهُ
بِصَفْحٍ جَمِيلٍ عَنْكَ ، اانتظاراً لَفَيْئَةٍ تَظْهَرُ مِنْكَ فِي مُقْتَبَلِ أَمْرِكَ ، ومراجعةٍ
تَعْنِي عَلَى قَبِيحِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَتَّفَقْ مِنْكَ عُقْبَى حَسَنَةٌ تُنْصِي زِلَآنَكَ ، بَلْ تُتَابِعُ
بَيْنَ مَسَبَّاتِ الْقَطِيعَةِ وَمَوْجِبَاتِهَا بِمَا تُظْهَرُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعُقُوقِ فِيمَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ ،
فِيَاكَ تَقْطَعُ أَخَاهُ فِي مُظَاهَرَتِكَ ، وَالْإِنْطَوَاءِ عَلَى مَسَاعِدَتِكَ ، وَالذُّخُولِ تَحْتَ
طَاعَتِكَ فِي كُلِّ مَا يَبِينُ وَيَعْرُضُ لَكَ ، بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ الْيَمَنِ ، فَانْظُرْ مِنْ بَعْدُ
مَنْ تَعْتَاضُ مِنْهُ ، وَعَلَى مَنْ تَعَوَّلُ إِذَا صَارَ مِنْهُ . وَانْتَصِبْ « أَيْ كَفِّ »
بِـ « تَبَدُّلٍ » . وَقَوْلُهُ « لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ
أَعْقَبَ هَذَا ذَاكَ ، أَيْ صَارَ مَكَانَهُ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيَصِيرَ مَكَانَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ
مَذْمُومٌ يَوْمٌ آخَرُ مِنْهَا مُقْبَلٌ مَحْمُودٌ . وَهَذَا حَسَنٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَعْقَبَ غَيْرَ
مُتَعَدٍّ ، وَيَكُونَ مِنْ أَعْقَبِ الْأَمْرِ عُقْبَانًا وَعُقْبَى ، أَيْ صَارَ لَهُ عَاقِبَةٌ . وَبَرْتَفَعُ
« آخِرُ » يَلْعُقُ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ يَوْمًا مِنْكَ ظَرْفًا . وَالْمَعْنَى : لِيَصِيرَ مَا يُقْبَلُ مِنْ
أَمْرِكَ يَوْمًا ذَا عَاقِبَةٍ مَحْمُودَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْقَبِ فَلَانٍ غَرًّا ، أَيْ أَبْدِلَ ،
وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيَعْقِبَنِي يَوْمًا مِنْكَ مَحْمُودًا أَمْرُ آخِرُ مُؤْتَنَفٌ . وَرَأَيْتُ مِنْ
يُرويه : « لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَيَكُونُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَقَبَ فَلَانٌ
فَلَانًا إِذَا خَلَفَهُ ، وَهِيَ عَقِيْبَانِ ، وَقَدْ اعْتَقَبَا وَتَعَاقَبَا . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيُخْلَفَ
يَوْمًا مِنْكَ يَوْمٌ آخَرُ مُقْبِلٌ .

٧- وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتَ حِبَالَكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلٌ

٨- إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى شَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَفْقِلُ

٩- وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَنْ حَلَّ

قَوْلُهُ « وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثْتَ حِبَالَكَ وَاصِلٌ » إِيْظَاهَرُ لِّلزُّهْدِ فِي وِدَادِهِ إِذَا

لم يستقم معه . ويقال : رثَّ الثوبَ يَرِثُ رُثُوْثًا ورِثَاةً . وقال أبو زيد
وأبو عبيدة : رثَّ المتاعُ وأرثَّ جميعاً . وأنشد لعدى^(١) :
* أرثَّ جديداً الوصلِ من أمٍّ مَعْبِدٍ^(٢) *

وفي طريقة ما قاله قولٌ لبيد :

واحِبُ المُجَامِلِ بِالْجَزِيلِ وَصُرْمُهُ باقٍ إِذَا ضَلَعَتْ وَزَاغَ قِوَامُهَا^(٣)
وقولُ أوس :

وإن قال لي ماذا ترى يستشيرني يَجِدُنِي ابنَ عَمٍّ مَخْلَاطَ الْأَمْرِ مِنْ بِلَا
فيقول : إذا رغبتَ عن مواصلي ، وتَقَطَّعتْ حبالُ الْوُدِّ بيني وبينكَ في
الناسِ واصلْ غيرَكَ ، وإذا نَبَا بِي جِوَارُكَ ، وضاقَ عَنِّي أَرْضُكَ وديَارُكَ في
جوانِبِ الْأَرْضِ سَعَةً وَمَزَحَلْ عَنكَ ، سَيْمًا وَالتَّحَوُّلَ عَنْ دَارِ الْبُغْضِ وَالنُّبُوِّ لِي
عَادَةً أَعْتَادُهَا ، وَسُنَّةً أُسِيرُهَا وَلَا أَعْدِلُ عَنْهَا . واعلم أَنَّكَ إِذَا لَمْ تُعْطِ أَحَاكَ
النِّصْفَةَ وَلَمْ تَوْفِّرْ حَقْوَقَهُ مَتَوَحِّيًا الْمَدْلَةَ ، وَلَمْ يَوْجِبْ لَهُ عَلَيْكَ مِثْلَ مَا تُوجِبُهُ
لِنَفْسِكَ عَلَيْهِ ، أَلْفَيْتَهُ هَاجِرًا لَكَ ، مُشَارِفًا قَطِيعَتَكَ ، مُسْتَبْدِلًا بِكَ وَبِمَوَاخَاتِكَ
إِنْ كَانَتْ بِهِ مُسْكَةً ، أَوْ يَمْتَلِكُهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ ، ثُمَّ لَا يُبَالِي أَنْ يَرْكَبَ مِنْ
الْأُمُورِ مَا يَقْطَعُهُ تَقْطِيعَ حَدِّ السِّيفِ وَيُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهُ فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَدْخَلَ عَلَيْهِ
ضَيْمٌ ، أَوْ يَلْحَقَهُ عَارٌ وَاهْتِضَامٌ ، مَتَى لَمْ يَجِدْ عَنْ رُكُوبِهِ مَبْعَدًا وَمَعْدِلًا . وكما
قال هذا « دَارُ الْقَلَى » قال غيره^(٤) :

(١) كذا . والصواب أنه دريد الصمة ، كما في اللسان (رث) . وقصيدة دريد هذه
في الأصمعيات ٢٣ لبيسك وجمهرة أشعار العرب ١١٧ .

(٢) عجزه كما في المراجع السابقة ومقاييس اللغة (عقب) :

* بعاقبة وأخلفت كل موعد *

(٣) كذا جاءت الرواية في النسختين ، وضلعت بمعنى مالت . والرواية المعروفة في
المعلقات « ظلمت » بالطاء .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجي . البيت ٩ من المفصلية ١١٦ والأصمعية ٨٧ طبع
المعارف ، وشواهد اليعني (٢ : ٢٠٢ - ٢٠٣) وشواهد المتن ٩٥ وحامسة البحتری ١٧٩ .

* دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارَهُ ^(١) *

وقوله « مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ » معناه بدلاً مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ . ويجوز أن يريد
يركوب السَّيْفَ الصَّابِرَ عَلَى الْحَرْبِ وَالْمَوْتِ . وشفرة السَّيْفِ : حَدُّهُ . وَالشَّفِيرُ :
حرف كل شيء ، منه .

١٠- وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبَ رَامَ ظَنَنْتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ

١١- قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُونِ فَلَمْ أَذْمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ

١٢- إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ إِلَيْهِ بَوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

يقول : وَإِذَا رَأَيْتُ صَاحِبِي يَتَجَنَّى عَلَى وَيَتَجَرَّمُ ، وَيَتَطَلَّبُ عَلَى مَا يُنْتَجِجُ

ظَنَّةً وَيُولِدُ تَهْمَةً ^(٢) ، وَطَفِيقَ يَقْبِجُ آثَارِي ، وَيَبْدُلُ حَسَنَاتِي ، اتَّخَذْتُهُ عَدُوًّا ،

وَقَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْاُتْرَسِ مَتَفِيًّا مِنْهُ ، وَمُدَّ قَعَالَهُ ، وَلَمْ أَذْمُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمَتَقَدِّمَةِ

مَعَهُ إِلَّا قَدْرَ مَا أَتَحَوَّلُ ، وَبُطْءُ مَا أَتَنْقَلُ . فَقَوْلُهُ « رَامَ ظَنَنْتِي » أَيْ رَامَ ارْتِفَاعِ

التَّهْمَةِ عَلَى . وَقَوْلُهُ « بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ » أَيْ أَفْعَلُهُ ، فَحَذَفَ الضَّمِيرَ اسْتِطَالَةً

لِصِلَةِ الَّذِي .

وقوله « إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي » يريد أَيْ أُمِدُّ نَفْسَ التَّصَبُّرِ مَا أَمَكَّنْ ، فَإِذَا

أَعْجَزَنِي الْحَالُ الْعَارِضَةُ عَنِ الْإِحْتِمَالِ انْصَرَفَتْ مَالِكًا عِنَانِي ، ثُمَّ لَا يَشْنِينِي عَلَى

مَا أَعْرَضْتُ [عَنْهُ] ^(٣) شَيْءٌ أَبَدَ الدَّهْرِ . « وَقَوْلُهُ بَوَجْهِهِ » الْبَاهُ تَعْلَقَ بِقَوْلِهِ تُقْبِلُ

أَيْ لَمْ تَكْذُ تُقْبِلُ إِلَيْهِ بَوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ .

(١) عجزه : * أفرأحل عنها كن لم يوحل *

(٢) جاء في اللسان (وهم) : « التهمة فعلية من الوهم ، والتاء بدل من الواو ، وقد

تفتيح الهاء » .

(٣) هذه من ل .

٤٠٥

وقال عمرو بن قميّة^(١) :

- ١- يا أهف نفسي على الشباب ولم أفقد به إذ فقدته أمّا
 - ٢- إذ أسحب الريط والرّوط إلى أدنى تجارى وأنفض اللّما
 - ٣- لا تغبط للمرء أن يقال له أضحى فلان لعمريّ حكماً^(٢)
 - ٤- إن سره طول عيشه فلقد أضحى على الوجه طول ما سلماً
- يتحسّر على ما فاتته من الشباب وحسن أيامه ، ونضارة العيش به ، فقال :
- يا حسرة نفسي على متقضّي الشباب ومتولّيه ، فإنّ ما فاتني منه لم أفارق به أمراً قريباً ، وشيئاً هيناً ، لكنّي فقدت به صحّة بدني ، وروعة وجهي ، وطيب عيشي ، وقوّة روعي ، حين كنت أجزّ ريطي (وهو الإزار الذي ليس بملفّق) ومروطي (وهو جمع مرط ، وهو ملحقة يؤتزر بها) إلى أقرب الخمارين إلى وأنفض شعراً رأسي إعجاباً به ، واستحساناً له ، وطرباً يداخني في جميع أسبابي معه . ثمّ قال مزيّياً بالشّيب وبما يكتسبه المرء إذا علاه ، من إكبار الناس له ، وتقديهم في المجالس إياه ، ومن الرّجوع إلى قوله ، واستشارتهم فيما يعن من الخطوب رأيه ، فقال : لا تغبطنّ الرّجل ولا ترْمُقنّ ولا تجعلنّ^(٣) محسداً إذا

(١) قميّة : مسهل قميّة . وقميّة أمه ، وهو عمرو بن قميّة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهو جاهلي أقدم من امرئ القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه ، فات معه في طريقه ، وسمته العرب عمرأ الضائع ، لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب . الأغاني (١٦) : ١٥٨ - ٦٠) والخزانة (٢ : ٢٤٧ - ٢٥٠) والمعمرين ٨٩ والمؤتلف ١٦٨ والشعراء . ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٢) ل : « لا يغبط المرء » بالبناء للمفعول . التهريزي : « أضحى فلان لسته » .

(٣) ل : « لا يغبطنّ الرّجل ولا يرمقن ولا يجعلن » بالياء والبناء للمفعول .

قِيلَ فِيهِ : صار فلان حَكَمًا في عَشِيرَتِهِ لكَثْرَةِ تِجَارَتِهِ ، وامتدادِ عُمُرِهِ ، ودوامِ مُرَاوَلَتِهِ لِلأُمُورِ ، وَاِنْتِصَالِ لِقَائِهِ لِلنَّاسِ وَمِمَّا رَسَمَتْهُ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، لِأَنَّهُ إِنْ سَرَّهَ امْتِدَادُ عُمُرِهِ ، وَتَنَقُّسُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ ظَهَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ضَعْفٍ وَانْحِنَاءٍ ، وَعَلَى وَجْهِهِ مِنْ ذُبُولٍ وَسُهُومٍ إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى طَوْلِ سَلَامَتِهِ الَّتِي هِيَ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ . ومثل هذا قول الشاعر^(١) :

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا^(٢) *

وقول الآخر^(٣) :

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصَحِّي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ
وقوله « أَنْ يُقَالَ لَهُ » أَرَادَ لَا يُغَيِّطُ لِأَنْ يُقَالَ لَهُ ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَهُ .
وقوله « أَدْنَى تِجَارِي^(٤) » إِظْهَارٌ لَعَلُّهُ فِي سِبَاءِ الْخَمْرِ وَسَرَفِهِ ، ثُمَّ تَبَجُّحٌ
بِإِضَافَتِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ .

٤٠٦

وقال إياس بن القائف^(٥) :

١ - يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْصِمِهِمْ وَتَرْجِي النَّوَى بِالْمُعْتَرِينَ الْمَرَامِيَا^(٦)

(١) هو حميد بن ثور الهلالي . ديوانه ٧ والبيان (١ : ١٥٣) والحِوَان (٦ : ٥٠٣) .

(٢) صدره : * أَرَى بِصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صَحَّةِ *

(٣) من شعراء الجاهلية ، كما في الكامل ١٢٥ ليسك .

(٤) كَذَا وَرَدَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُنَا مَعَ أَنَّهَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ ، فَيَبْدُو أَنَّ الْمُرْزُوقِ .

أَصَافَهَا مُؤَخَّرًا .

(٥) التبريزي : « هُوَ مِنْ نَافٍ يَقُوفُ إِذَا اتَّبَعَ ، مِثْلُ يَقُوفُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَذَبْتَ عَلَيَّكُمْ لَا تَزَالُ تَقُوفُنِي كَمَا قَافَ وَأَثَارُ الْوَسِيقَةِ قَائِفٌ

وَجَمْعُهُ قَافَةٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَلَدِ فَيَحْكُمُونَ مِنْ أَبَوِهِ : الْقَافَةُ ،

لأنهم يتبعون الشبه في الأعضاء » .

(٦) التبريزي : « تَقِيمُ الرِّجَالِ » .

بفضل الغنى على الفقر وبيعته على طلبه وارتياحه . فقال : ترى المُوسرين يتودَّعون ، وتطول إقامتهم في دُورهم وأرضيهم يُمتَّعون ، والفقراء تراهم ترتبى بهم البلدانُ النَّائية ، وتقذف النوى بهم للمقاذف البعيدة ، والمهالك المستصعبة ، فلا يهدون ولا يقرّون . والنوى : وجهُ القوم التي ينوونها . والمرأى : جمع سَمَى ، وهو المكان لا غيرُ هنا ، لأنَّه قابلُ الأغنياء بالْمُقترين ، وأرضَ الأغنياء بمراى الفقراء ، لأنَّهم لا تدو بهم دارُ أبدا ، فجالُ تساريم لكسبهم وتصرفهم كدور أولئك لهم . ومَقْمَلٌ يكون اسماً للحديث ، وزمانه ، ومكانه .

٢ - فأكرم أخاك الدهرَ مادُمْتَ مَعاً كفى بالعماتِ فرقةً وتنايباً

٣ - إذا زرت أرضاً بعد طولِ اجتنبائها فقدتُ صديقَ والبلادِ كما هيّا

يقول : أحسنُ حُبة أخيك وصاحبك . وتناولهُ بالإكرام طولَ الدهرِ ومُدَّة العمر ، فإن المنايا كفتك مفرقةً ومبعدةً . وقوله « الدهر » انتصب على الظرف ، وما دمتما انتصب على أنه بدل من الدهر . وانتصب « معاً » على أنه خبر مادُمْتَما . ومعنى مادُمْتَما معاً : مدَّة بقاءكما ودوامكما مجتمعين . وقوله « كفى بالمنايا » موضع بالمنايا رفعٌ على أنه فاعلُ كفى . وانتصب « فرقة » على التمييز ، أو يكون في موضع الحال ، كأنه قال : كفى بفرقة المنايا فرقةً . والتقدير : كنى فرقةً بالمنايا من فرقة ، أو كنى المنايا مفرقةً ومتنايبة .

وقوله « إذا زرت أرضاً بعد طولِ اجتنبائها » هذا الكلام توجعٌ وتشكُّ من نوائب الدهر . يقول : أرى الإخوان تخترمهم المنايا فهم يتفقدون ، وبلادهم وأروضهم على ما كانت عليه ، فمتى زرت مكاناً بعد طول العهد به وجدتُ أصدقائي مفقودين ، وأما كنهم كما كانت . وقد تقدَّم القول في إعراب « كما هيّا ^(١) » . وقوله صديق يرادُّ به الكثرة لا الواحد .

٤٠٧

وقال ربعة بن مقروم^(١) :

١- وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضَغْنٍ بَعِيدٍ قَلْبُهُ حَلَوِ اللِّسَانِ

٢- وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ بِشَغْبٍ أَوْ لِسَانٍ تَيْحَانٍ

كم لفظةٌ وضعت للكثير، كما أن ربَّ وضع للتقليل، إلا أنه اسم وربَّ

حرف وله موضعان : الاستفهام ، والخبر ، وهو من باب الخبر هنا . والضَّبَّ :

الحقد . قال :

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضَغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَسَاكِنِهَا ضِيَابِي^(٢)

وأضافه إلى الضغن لأن الضغن العسر، فكانه حقدٌ عسرٍ ولجاج . فيقول :

كثيرٌ من الرجال يحملون إلى الضغائن ، ويسرُّون إلى البغضاء ، وقد حلا منطقتهم

لِ جَرِيًّا عَلَى سُدَّتِهِمْ فِي الْمَدَاجَةِ ، وَبَعْدَ قَلْبِهِمْ مَنَى اسْتِمْرَارًا فِي طَرِيقِ الشَّنَانِ

لِ وَالْمَعَادَةِ ، وَلَوْ شِئْتُ لَا تَنْقَمْتُ مِنْهُ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْقَوْلِ ، فَإِنْ لِسَانِي عَرِيضٌ

وَيَدِي عَالِيَةٌ ، يَتَأَتَّى لَهُ مِكَافَأَةٌ كُلِّ النَّاسِ عَلَى مِقْدَارِ فِعْلِهِ ، وَبِمِثْلِ مَا يَنْطَوِي

لِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ . ويقال : نَقَمْتُ عَلَيْهِ أَيْ أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ، وَنَقَمْتُ مِنْهُ

بِمَعْنَى انْتَقَمْتُ . وَنَقَمْتُ وَنَقِمْتُ اغْتَابَ . وَالتَّيْحَانُ لَا يُكْسَرُ يَأْوُهُ ، وَقَدْ مَضَى

الْقَوْلُ فِيهِ^(٣) .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٩ ص ٦١ ، وساق نسبه التبريزي : ربعة بن مقروم

ابن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة .

(٢) ويروى : « من مضابها » . والبيت لكثير عزة ، كما في الحيوان (٤ : ٢٥٠ ،

٦/٣٠٣ : ١٠١) والموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام

١٢٥ ليدن ١٨٥ مصر .

(٣) انظر ما سبق في الحماسية ١٨ ص ١٣١ - ١٣٢ .

٣ - وَلَكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مَنَى مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَانَ

٤ - وَضُمَرَةٌ إِنْ ضُمَرَةَ خَيْرُ جَارٍ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابِ مِتَانِ

٥ - هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى صَبِيحَةٌ دِيمَةٌ يَجْنِيهِ جَانِ

قوله « وَلَكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مَنَى » يقول : أَبَقَيْتَ عَلَى مَنْ يَعَادِينِي وَلَمْ أَعْجَلْ مُؤَاخَذَتَهُ بِإِسَاءَتِهِ وَإِصْرَارِهِ . وَتَمَادِيهِ فِيمَا أَكْرَهَهُ وَلِجَاحِهِ ، لِأَنِّي قَدْ وَاصَلْتُ أَبَا بَيَانَ وَعَلَقْتُ حَبْلِي بِحَبْلِهِ ؛ وَكَذَلِكَ احْتَشَمْتُ ضُمَرَةً لِأَنَّهُ خَيْرُ جَارٍ ، وَقَدْ اسْتَحْكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَوْ أَمَرْتُ حَفْظَهَا عَنِ الْقَطِيعَةِ وَاجِبٌ ، وَلِأَنَّ الْعِصْمَ الْتَيْنَةَ الَّتِي تَجْمَعُنَا تُنْزِلُنِي الْوُقُوفَ فِيمَا يَكْرَهُانِي ، وَتَرَكْتُ مَا لَا يُؤْمِنُنِي اسْتِحْشَاشَهُمَا ، وَهَذَا مَعَ ذَلِكَ كِرَامُ الْحَيِّ لَا غَائِلَةَ لَهُمَا ، وَلَا شُبْهَةَ فِي مَصَافَاتِهِمَا وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِمَا ، فَمَا وَدُّهُمَا إِلَّا كَابْرِيزِ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَعَادِنِ الذَّهَبِ صَبِيحَةٌ مَطْرُوقَةٌ تَكْشِفُ عَنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ ، فَيَجْتَنِيهِ الْمُجْتَنُونَ ، أَيْ يَلْتَقِطُهُ الْمَلْتَقِطُونَ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ يَقَالُ إِنَّهَا تَكْثُرُ فِي نَوَاحِي الْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ ، وَتَسْمَى تِلْكَ الْمَعَادِنُ مَعَادِنُ اللَّقَطِ ، فَإِذَا مُطِرَتْ وَانْكَشَفَتِ الْهَبَبَاتُ وَالْغُبَارُ عَنْ وُجُوهِ حَجَارَتِهَا يَظْهَرُ مِنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي صَفَائِحِهَا مِثْلُ مَا وَصَفَهُ أَوْ أَحْسَنَ .

وقوله « هِجَانُ الْحَيِّ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مُحَذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هُمُ هِجَانُ الْحَيِّ . وَهِجَانٌ جَمْعٌ ، وَوَاحِدُهُ هِجَانٌ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ فَعِيلٌ وَفِعَالٌ يَشْتَرِكَانِ فِي الْجَمْعِ كَثِيرًا ؛ فَهِجَانٌ جَاءَ مِنْ هِجَانٍ وَاحِدًا كِطْرَافٍ مِنْ ظَرِيفٍ . وَقَوْلُهُ « كَالذَّهَبِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانِ » حَالٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى . وَقَوْلُهُ « مُوَاصَلَةً » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مُوَاصِلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعًا مَوْضِعَ صِلَةٍ فَيَكُونُ مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ : وَقَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانِ » وَضَعَهُ مَوْضِعَ يَلْقَظُهُ .

٤٠٨

وقال سلم بن ربيعة^(١) :

- ١- إِنَّ شِـوَاءَ وَنَشْوَةَ وَخَبَبَ الْبَـازِلِ الْأُمُونِ
- ٢- يُجَشِّمُهَا الْمَرءُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ الْغَـائِطِ الْبَطِينِ
- ٣- وَالْبَيْضَ يَرْفُلَنَ كَالدَّهَى فِي الرِّيطِ وَالْمَذْهَبِ الْمَصُونِ
- ٤- وَالْكَثْرَ وَالْخَفْضَ آمِنَا وَشِرْعَ الْمِزْهَرِ الْخُنُونِ
- ٥- مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالذَّهْرُ ذُو فَنُونِ
- ٦- وَالْيُسْرَ كَالْعُسْرِ وَالْغِنَى كَالْفُزْمِ وَالْحَيُّ الْمَمْنُونِ

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد ، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط^(٢) ، وليس هذا موضعاً لبسط الكلام فيه .

والنشوة : الخمر والشكر^(٣) . والخبب والخب : ضرب من السير . والبازل : التي قد استكمل لها تسع سنين فتناهى قوتها . والأمون : الموثقة الخلق . وخبر إن في قوله « من لذة العيش » .

وقوله « يُجَشِّمُهَا الْمَرءُ » من صفة البازل ، والمعنى يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه . والمسافة مأخوذة من السوف ، وهو الشم . وكان الدليل إذا اشتبه عليه الطريق يفعل ذلك . والغائط : المطنئن من الأرض . والبطين : الواسع الغامض .

(١) كذا في النسختين ، وصوابه كما في التبريزي : « سلمى بن ربيعة » . انظر ما سبق

عن التحقيق في حواشي ص ٥٤٦ .

(٢) يعني ما يسمى مخلع البسيط .

(٣) الخمر ، هنا : مصدر خمر الرجل خمرأ ، فهو مخمور .

وقوله « والبيضَ يَرْفُلَن كَالدَّحَى » يعنى به النساء . وَيَرْفُلَن : يَتَبَخَّرَن في الرِّيطِ ، وهى الملاءة الواسعة ^(١) . والمذهبُ المَصُونُ ؛ يُرَاد به الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب . وتعلَّق في من قوله « في الرِّيطِ » بِيَرْفُلَن ، وكالدَّحَى في موضع الحال . والمعنى : والنساء البيض يتبخَّرن في المصونات من الثياب الكريمات وهن مُشَبَّهَاتٌ لِلصُّوَرِ .

والكثيرُ انعطَفَ على البيض ، كما أن البيض انعطَفَ على « وخَبَبَ البازلِ الأُمون » . والمراد بالكثير كثرة المال ومساعدة الحال ، وضِئُهُ القُلُ . وقال الخليل : كثر الشيء : أ كثره ، وكذلك قُلُهُ أَقْلُهُ . والخَفَضُ : التَّوَدُّع . وانتصب « آمِنَا » على الحال ، وانعطَفَ « وشِرْعَ » على الخفض . فيقول : إِنَّ لَذَاتِ الدُّنْيَا من مأْكُولٍ ومشروبٍ وملبوسٍ ، وسركوبٍ وقد استعمله صاحبه فيما يهواه ، وكلفه قطع المسافات فيما تدعوه إليه نفسه ، والنساء البيض بالصفة التي ذكَّرها ، والغنى والراحة في الأمن والملاهي ، جميع ذلك من لذة العيش . وقوله « وشِرْعَ المزهر » أى الأوتار ، واحِدُهَا شِرْعَةٌ . والمزهر : العود . والحنون : يُريد به الصَّبَت من الحنين ، فكأنه أشار إلى المزهر منقوراً يَنْقُرُهُ المُلْهَى ^(٢) . فانظر فإنه جمع كل ما يلتذ به النفس ، وجعلها تامة بما قرَن به من حال الأمن ، لأن جميع ذلك إذا عَرِيَ من الأمن لم يُستطَب ولم يُستَمَرَأ .

ثم قال : « والفَتَى للدهرِ والدهرُ ذو فنونٍ » الواو واو الحال ، وذو فنون أى ضروب . يريد : أن كل ذلك مما يلتذُّ العائش به ، لكنَّ الفتى مُهَدَّفٌ للدهر ، والدهر ذو تاراتٍ : كما يَهَبُ يرتجع ، وكما يُسَلِّمُ يُعَلِّ ، وكما يُودَّعُ يُتَعَب ، وكما يُصَفَّى يكدَّر . وبعد ذلك قال :

(١) كذا في النسختين . والوجه « الملاء الواسعة » إذ أن « الريط » جمع لا مفرد .

(٢) المُلْهَى : المشتغل بمتاع الفناء .

وَالْيُسْرُ كَالْعُسْرِ وَالْغَنَى كَالْعُدْمِ وَالْحَيُّ لِلْمُتَوَنِّينِ
يريد أن شيئاً من هذه الأحوال لا يدوم إلا ريث ما يسَّط عليه القواطع
والمغِّرات ، فاليسار إذا حصل كالإعسار ، في أن واحداً منهما لا يبقى ، وغنى
النفس كفقرها ، ثم انتهاء كل ذلك للحى منا إلى الموت الذى لا غاية وراءه ،
وليس يتخلص منه بحيلة تنفذ ، أو روية تعمل .

٤٠٩

وقال آخر ^(١) :

- ١ — وَأَنْتِ اسْرُوْا إِمَّا اتَّمَنْتُكَ خَالِيًا فَخُنْتُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمٍ
 - ٢ — فَأَنْتِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ ^(٢)
- يقول : أنت رجلٌ إِمَّا وثقتُ بك في شيءٍ يُحتاج إلى أداء الأمانة فيه ، وقد
خلوت معك وأظهرت الشكوكَ إليك فخنتنى ، وإِمَّا أَسْتَنِيحُ إلى ناحيتك في
الخير فكذبتَ علىَّ ، وخبرت بما لا علم لك به ، فأنت بما بينى وبينك واقفتُ
في محلٍّ بَيْنَ الْخِيَانَةِ فِيمَا اتَّمَنْتَ فِيهِ . وَالْإِثْمِ فِيمَا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فِي الْكُشْفِ عَنْهُ .
وقوله « اتَّمَنْتُكَ » هو افتعل من الأمانة ، ولك أن تحذف الهمزة وتبدل منها
ياء ، ولك أن تعوض من الهمزة تاء فتدغمه في التاء التى بعدها فتقول : اتَّمَنْتُكَ .

(١) التبريزى : « هو عبد الله بن همام السلولى من بنى مرة بن صعصعة ، من قيس عيلان .
وبنى مرة يعرفون ببني سلول ، وسلول أمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وكان
عبد الله مكيناً عند آل مروان ، وهو الذى بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية فى قوله :

تَعَزَّوْا يَا بَنِي حَرْبٍ بِهَمٍّ
خِلَافَةَ رَبِّكُمْ حَامُوا عَلَيْهَا
فَنَظَرْنَا هَذَا الَّذِي يَرْجُو الْخُلُودَ
وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْغُرُضَ الْبَعِيدَ
تَلَقَّفَهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ
فَخَذَهَا يَاعَاوَى عَنْ يَزِيدَ »

وقد روى القالى فى الأمالى (٢ : ٤٦) هذين البيتين وقصتهما .

(٢) رواية الأمالى : « فأبت » بالباء . وذكر محققه أنها فى نسخة : « فأنت » . والمعنى

على كل صحيح .

وَحَالِيَا انتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَذُو الْحَالِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرَ . وَالْمَعْنَى : جَعَلْتُكَ
مَوْضِعًا لِلْأَمَانَةِ وَقَدْ خَلَوْتُ بِكَ لَثَلًا يَتَجَاوَزُ نَا السَّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُكَ . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ حَالًا لِلْمَخَاطَبِ ، وَالْمَعْنَى مُنْفَرِدًا .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ
السَّلُولِيَّ سَبَّهُ وَأَسْرَفَ جِهَارًا ، لَا حِشْمَةَ تَرَدُّعُهُ ، وَلَا رِقَبَةً تَمْنَعُهُ . فَأَرْسَلَ
عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ وَاسْتَحْضَرَهُ لِيُقَابِلَهُ بِالرَّجُلِ ، وَيَتَّبِعِينَ مِنْ حُضُورِهَا صَحَّةَ
الْخَبَرِ ، فَأَتَاهُ ابْنُ هَمَّامٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْجُلُوسُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : يَا ابْنَ هَمَّامٍ ، إِنَّ
هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا . فَأَقْبَلَ ابْنُ هَمَّامٍ عَلَى الرَّجُلِ وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ :
« أَنْتَ اسْمُرُوا إِمَّا أَتَمْتُمْكَ خَالِيَا » الْبَيْتَيْنِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا مَوْضِعُ « إِمَّا أَتَمْتُمْكَ » مِنَ الْإِعْرَابِ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِي مَوْضِعِ
الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِأَمْرِي . وَإِمَّا هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُعَدُّ فِي حُرُوفِ
الْعُطْفِ ، وَالْكَلَامِ خَبَرٌ . يَرِيدُ : أَنْتَ رَجُلٌ لَا تَخْلُو مِمَّا نَصُكْتَ بِهِ وَجْهِي مِنْ
أَحَدِ الْأَمْرِينَ الَّذِينَ أَذْكَرُهُمْ . فَهُوَ كَمَا تَقُولُ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا صَالِحٌ وَإِمَّا
طَالِحٌ . وَقَوْلُهُ « فَخُذْتَ » انْعُطِفَ عَلَى أَتَمْتُمْكَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا
مُؤْتَمِّنٌ نَخَافُ ، وَإِمَّا قَائِلٌ قَوْلًا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ . وَقَوْلُهُ « وَإِمَّا » الْوَاحِي
الْعَاطِفَةُ . وَإِمَّا كَأَوْ فِي أَنَّهُ لِأَحَدِ الْأَمْرِينَ ، إِلَّا أَنَّ « أَوْ » يُبْنَى الْكَلَامُ فِيهِ
عَلَى الْيَقِينِ ، ثُمَّ يَعْتَرِضُ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْهُ ؛ وَ « إِمَّا » يُبْنَى الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى عَيْنِ
الْيَقِينِ . وَلِهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَالَ خُذْ أَقْصَابُنَا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ الْعُطْفِ ،
وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْهَا وَهُوَ يَحْيَى قَبْلَ مَا يُعْطَفُ عَلَيْهِ أَوْ مَعَ حَرْفِ الْعُطْفِ . تَقُولُ :
رَأَيْتُ إِمَّا زَيْدًا وَإِمَّا نَحْرًا . فَإِمَّا الْأَوَّلَى سَابِقُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ زَيْدٌ ، وَإِمَّا
الثَّانِيَةَ مَعَهَا الْوَاحِي الْعَاطِفَةُ .

وقوله « فأنت من الأمر الذى كان بيننا » مبتدأ وخبره « بمنزلة » ، وبين الخيانة صفة للمنزلة . والمعنى : أنت مما ^(١) بيننا فى موقف يُشفي بك إما على الخيانة فيما اتُّمِّمت فيه ، وإما على الإنم فيما تُستشهد فيه ، فتقول بما لا علم لك به .

٤١٠

وقال شبيب بن البرصاء ^(٢) :

١ - قلت لِعَلَّاقٍ بِعِرْنَانَ مَا تَرَى فَمَا كَاد لى عَنْ ظَهْرِ وَاضِحَةٍ يُبْدَى
عِرْنَانَ : اسم وادٍ ^(٣) . وقوله « عَنْ ظَهْرِ وَاضِحَةٍ » يجوز أن يريد عن ظهر خَصْلَةٍ بَيِّنَةٍ والمراد : لما استشترته وقد حصلنا بعِرْنَانَ اِرْتَبَكَ فلم يكذِّ يَكْشِف لى عما يصح المراد به ، ويمكن الاعتماد عليه . ويجوز أن يريد بالواضحة السن . والمعنى : لم يكذِّ يَهْلُلْ أو يَكْشِف عن أسنانه به ضاحكا أو كاشراً . ويكون استعمال الواضحة كما قال طرفة :

كلُّ خليلٍ كنتُ عاهدتهُ لا تَرَكَ اللهُ له وَاضِحَةً

وقوله « تَبَسَّمَ كَرَهَا » يدلُّ على الوجه الثانى .

٢ - تَبَسَّمَ كَرَهَا واستَبَيَّنْتُ الذى به من الحَزَنِ البَادِى ومن شِدَّةِ الْوَجْدِ

٣ - إِذَا الْمَرْءُ أَعْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَا لَهُ بِأَرْضِ الْأَعَادَى بَعْضُ أَلْوَانِهَا الرُّبْدِ

انتصب كَرَهَا على أنه مصدرٌ فى موضع الحال . يقول : بَسَمَ لى كَارَهَا فَتَبَيَّنْتُ الذى به من حُزْنٍ ظَهَرَ عَلَيْهِ ، ومن وَجْدٍ اسْتَكَنَّ فى قلبه . ويقال اسْتَبَيَّنْتُ وَتَبَيَّنْتُ بمعنى واحد . وَبَسَمَ وَابْتَسَمَ وَتَبَسَّمَ بمعنى واحد ، إِلَّا أَنَّ فى

(١) كذا فى ل . وفى الأصل : « فيما » .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤٠٣ ص ١١٢٣ .

(٣) وعن السكوى أنه جبل بين تيماء وجبل طيسى . معجم البلدان .

تَبَسُّمَ زِيَادَةٍ مَعْنَى التَّكْلُفِ ، كَأَنَّهُ تَكْلَفٌ مِنْهُ مَا تَكْلَفُ عَلَى كِرَاهِيَةٍ .

وقوله « إِذَا الْمَرْءُ أَعْرَاهُ الصَّدِيقُ » يريد به : إِذَا الرَّجُلُ خَذَلَهُ صَدِيقُهُ وَقَعَدَ عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَتَرَكَهُ بِالْعَرَاءِ ، فِي أَرْضِ الْأَعْدَاءِ ، بَدَأَ لَهُ مِنْ أَلْوَانِ الْأَرْضِ إِذَا اسْوَدَّتْ بَعْضُهَا . وَهَذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّبَعِيضُ دَلٌّ عَلَى أَنَّ اسْوَدَادَ الْأَرْضِ يَكُونُ مِنْ وَجْهِ عِدَّةٍ ، وَلِلْحَالَةِ الَّتِي أُشَارَ إِلَيْهَا مَا يَخْتَصُّ بِهَا ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَشَدَّهَا . وَهَذَا لِأَنَّ مَا يَرِدُ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْمَكَارِهِ صَرَائِبُ ، فَاسْوَدَادُ الْأَرْضِ عَلَيْهِ لَهَا عَلَى حَسَبِ مَقَادِيرِهَا فِي أَنْفُسِهَا .

٤١١

وقال سالم بن وابصة^(١) :

١- أَحِبُّ الْفَتَى بَنِي الْفَوَاحِشِ سَمِعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقَوْلُهُ

٢- سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسْطٌ أَدَّى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَاتِلٌ هُجْرًا^(٢)

يقول : أَحِبُّ مِنْ أَخْلَاقِ الْفَتَى أَنْ يَكُونَ مُتَكَرِّمًا إِذَا طَرَقَ أَذَاهُ ذِكْرُ الْفَوَاحِشِ ، فَلَا يَبْعِيهَا وَلَا يَجْعَلُهَا مِنْ نَفْسِهِ بِيَالٍ ، حَتَّى كَأَنَّ بِهِ صَمَمًا عَنْ أَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا .

وقوله « سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ » ، ارْتَفَعَ سَلِيمٌ لِأَنَّهُ خَيْرٌ مُبْتَدَأٍ مُحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هُوَ سَلِيمٌ ، وَيَكُونُ مَا بَعْدَهُ صِفَاتٍ لَهُ . وَيُرِيدُ بِالدَّوَاعِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَغْيَارِ مِنْهُ لَا مَا يَحْضُرُهُ فِي نَفْسِهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ « لَا بَاسْطٌ أَدَّى وَلَا

(١) التبريزي : « سالم بن وابصة الأسدي » . وقد سبقَت ترجمته في الحماسية ٢٤٤

ص ٧١٠ . والأبيات في أمال القالي (٢ : ٢٢٤) .

(٢) التبريزي : « لا باسطاً ... ولا مانعاً ... ولا قاتلاً » . ومثله القالي ، لكن روايته

في آخر البيت : « ولا ناطقاً دجراً » .

مانعٌ خيراً ولا قاتلٌ هُجْراً » وكلُّ ذلك للغير لا للنفس . ويكشفُ هذا أنه إذا بسطَ أسباب الأذى عاد الضرر منها على المتأذى لا عليه . وإذا منع خيره كذلك عاد الضرر على المنتفع به وعلى هذا إذا قال هُجْراً . والهَجْر : الفُحْش . ويقال : أهَجَرَ الرجل ، إذا أتى به . وقد كان من فلان هاجرةً . على ذلك قوله :

* إذا ما شيت نالك هاجراتي ^(١) *

ولك أن تنصبَ « سليم » بما بعده ، فيكون في موضع الحال ، وما يتبعه صفات له ، وهو لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قاتلاً هُجْراً .

٣ - إذا ما أتت من صاحب لك زلةً فكن أنت محتالاً لزلته عذراً ^(٢)

٤ - غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً ^(٣)

يقول واعظاً ومُهدِّئاً : إذا اتفقت من صديق لك زلةً ، أو وقوفٌ موقفَ تهمة ، فحسن أمره في ذلك واحمله على ضروبٍ مما يَبْسُطُ عُذْرَهُ فيه ، بل كن أنتَ المحتالَ لعُذْرِهِ ، فلا تُجَوِّجْهُ إلى تكلف الاعتذار .

وقوله « غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة » يقول : خذ من دنياك ما تسدُّ به فقرك ، فإن غنى النفس ما يضمن الكفاية ، فإن زاد قليلاً عاد ذلك بزيادتك فيه الفقر ، وذلك أنَّ الدواعي إنما تكثر وتتوسع بتوسع الأسباب وكثرتها ، وما يَفْضُلُ عن الكفاية يمتُّ كلُّ جزءٍ منه بماتةٍ صاحبه فلا يكاد يكتفي ببعضه

(١) عجزه في اللسان (هجر) :

* ولم أعمل بهن إليك ساق *

(٢) قبله عند التبريزي : ولم يروه القالي :

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حراً

(٣) التبريزي : « ما يكفيك من سد خلة » . القالي : « ما يكفيه من سد خلة

وإن زاد » .

إلا وما عَدَاهُ يَمُتُ بِمِثْلِ مَاتَتِهِ . وإذا صار الأمر على ذلك فَكُلُّ مَنْزِلَةٍ يَنْتَهِي إِلَيْهَا طَلَبُ الْفَضْلِ تَدْعُوهُ إِلَى مَا فَوْقَهَا ، فَيَبْقَى أَبَدًا مُتَعَبًا فَقِيرًا . وقوله « فَإِنْ زَادَ ، شَيْئًا » انْتَصَبَ شَيْئًا عَلَى الْمَصْدَرِ ، لِأَنَّهُ وَقَعَ مَوْقِعَ زِيَادَةٍ . وزاد هَاهُنَا بِمَعْنَى اِزْدَادٍ ، فَلَا يَتَعَدَّى . وانتصب فقرًا عَلَى الْحَالِ .

٤١٢

وقال آخر^(١) :

- ١ - وَكَمْ مِنْ لَيْثٍ وَدَّ أَنْ يَشْتُمَهُ وَإِنْ كَانَ شَتَمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقَمُ
٢ - وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتَمِ اللَّيْثِ تَكَرُّمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتَمِهِ حِينَ يُشْتَمُ
اللَّيْثُ : الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ خِصَالُ مَذْمُومَةٍ فِي نَفْسِهِ وَأَبْوِيهِ . فيقول : كم من رجل دنى النفس والأصل ، يتمنى أَنْ اتَّخَذَهُ نَظِيرًا لِي أَكْبَالِهِ وَزَنَا بَوِزَن ، وَأُكْفِيهِ لَفْظًا بِلَفْظٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي هَجْوِي لَهُ وَشَتَمِي إِيَّاهُ مَا يَجْرِي بِجَرَى الصَّابِ وَالْعَلَقَمِ فِي الْمَرَارَةِ . وَالصَّابُ : شَجَرَةٌ لَهَا لَبَنٌ فَإِذَا أَصَابَ الْعَيْنَ حَلَبَهَا . وَالْعَلَقَمُ : الْحَفْظَلُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يَقَالُ : عَلَقَمَ الْحَفْظَلُ ، إِذَا اشْتَدَّتْ مَهَارَتُهُ .
ثم قال : لِإِمْسَاكِ عَنْ مُشَاتَمَةِ اللَّثَامِ أَخِذًا بِالْكَرَمِ ، أَضَوِّنْ لِعِرْضِي ، وَأَعُوذْ عَلَيْهِم بِالضَّرْرِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَهَجْوٍ . وانتصب « تَكَرُّمًا » عَلَى أَنَّهُ

(١) التبريزي : « وقال المؤمل بن أميل المحاربي » . والمؤمل ، كَذَا ضبط بالميم المشددة المفتوحة عند التبريزي . وهو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي ، نسبة إلى محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين ، وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم . وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه . وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
فيقال إنه رأى في منامه رجلا أدخل إصبعه في عينيه وقال : هذا ما تمنيت . فأصبح أعمى .
« الأغاني » (١٩ : ١٤٧) ومعجم الأدباء (٧ : ١٩٥ مرجليوث) والخزانة (٣ : ٥٢٣)
ونكت الهميان ٢٩٩ وسمط الكلى ٥٢٤ .

مصدرٌ في موضع الحال ، أى متكرما ، ويجوز أن يكون مفعولاً له ،
أى للتكرّم .

٤١٣

وقال عقيل بن علفة^(١) :

- ١- وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا
 - ٢- وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحَقًّا
- ذكر الأثواب مثل ، وإنما يريد تلوّن الدهر بأهله ، وتصرفه بأحداثه
وتاراته وغيره . واللّبسُ : اسمُ حالة اللابس . أى اللبسُ ثيابه لبسته مُجِدًّا
أو مُخْلَقًا ، وإن أَجَدَّ أو أَخْلَقَ ، لأنَّ الحالَ يتضمن معنى الجزاء . والقصدُ إلى
توصية المخاطب بأن يطلب موافقة الناس في دهرهم ، ويتخلّق بأخلاقهم . ومعنى
أَجَدَّ : جعل ثوبه جديدًا . وكذلك أخلق الثوبُ نفسه فهو مُخْلَقٌ ؛ وهذا أشهرُ
من الأول . وقد قيل في الدعاء للابس الجديد : « أَبْلٍ وَأَجْدَدُ » يراد به فِعْلُ
مثله في المستأنف ، واتّصالُ عمره . وقد صرّح عن المعنى فيما بعده ، لأنّه قال :
وكنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ . والمعنى : تكيّسْ مع الأكياس ،
بل اجتهد أن تفوقهم في كيّسهم وإن ابتليت بحمق فتحامق معهم . وقوله
« كن أنت » أنت توكيدٌ للمضمر في كن . و« أحقّا » يجوز ألا يريد به أَفْعَلُ
الذى يتمّ بمن ويكون المعنى تحامق . ويجوز أن يكون أَفْعَلُ الذى يتمّ بمن ،
وقد حذف منه مِنْ لأنّه خبرٌ فجاز ذلك فيه . ويبدّل على هذا أنه قال : كنْ
أَكْيَسَ الْكَيْسَى . وقد قيل : ما أحقّه ، لأنه ليس من الخلق في شيء . ألا ترى

(١) سبقَت ترجمته في الحاشية ١٣٦ ص ٤٠٠ . التبريزي : « وقال عقيل بن علفة المرى ،

مرة بن عوف بن سعد بن بغض ، ويصحف بابن علفة . وعلقة تيمى لم يعرف اسمه ونسبه » .

أن صاحبه يُؤنَّح على ما يأتيه منه . فأما قوله « الحَقِّقِي » ففَعَلِي جَمْعٌ فيما يكون بلاءً وزماناً . على ذلك الجرحى والمرضى ، فشَبَّهَت الحماقة به ، ثم حَمَلَ الكَيْسِي عليه ، لأنَّهم يحملون النَّقيض على النَّقيض كثيراً .

٤١٤

وقال بعضُ الفزاريين :

١- أَكْنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقِبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبَا^(١)

٢- كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مَلَكَ الشَّيْمَةِ الْأَدْبَا

يصف حُسنَ عِشرته لصاحبه وجليسه ، ومؤاخِذَةً نَفْسِهِ بِصِيَانَتِهِ وَإِكْرَامِهِ فيقول : إِذَا خَاطَبْتُهُ خَاطَبْتُهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ الْكُنْيَةُ ، وَأَعْدِلُ عَنْ نَبَزِهِ وَلَقَبِهِ^(٢) ؛ لِأَنِّي عَلَى هَذَا أَذْبْتُ ، حَتَّى بِهِ تَطَبَّعْتُ ، فَصَارَ خُلُقًا ثَانِيًا لِي وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ تَخَلُّقًا ؛ إِنِّي وَجَدْتُ الْأَدْبَ مَلَكَ الْأَخْلَاقِ . وَالْمَلَاكُ : اسْمٌ لِمَا يُمْلَأُ بِهِ الشَّيْءُ ، فَهُوَ كَالرِّبَاطِ وَالنَّظَامِ وَمَا أَشَبَّهُهُمَا . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَلْقِبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبَا » بِنَصَبِ السَّوْءَةِ ، فَتَنْصِبُ اللَّقْبَ مِنْ أَلْقَبُ ، وَبِنَصَبِ السَّوْءَةِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ : جَاءَ الْبَرْدُ وَالطَّيَالِسَةُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا أَلْقِبُهُ اللَّقْبَ مَعَ السَّوْءَةِ . وَيَجْرِي هَذَا الْجَرْيُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى مَعَ شُرَكَائِكُمْ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ : لَا أَجْمَعُ بَيْنَ اللَّقْبِ وَمَا يَسُوؤُهُ مِنْ فُحْشِ الْكَلَامِ . فَهَذَا وَجْهُهُ لِلنَّصَبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ السَّوْءَةِ عَلَى

(١) يروى : « والسَّوْءَةَ اللَّقْبَ » على الابتداء والخبر ، كما يروى تأليه « ملاك الشَّيْمَةِ الْأَدْبَا » ، على جعل الجملة مفعولاً ثانياً لوجدت ، ومفعوله الأول ضمير للشأن المحذوف ، أو على أن « وجدت » معلق عن العمل في اللفظ بلام الابتداء المقدرة ، والجملة بعدها من المبتدأ والخبر سدت مسد مفعولى وجد . انظر الخزانة (٤ : ٥ - ٧) .

(٢) النبز ، بالتخريك : اللَّقْبُ ، وجمعه أنباز .

المعنى ، كأنه قال : ولا آتى السَّوءَ ، فعمل فيه معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(١)

و : * عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٢) *

ويجوز أن يكون السَّوءَ مفعولاً به ، وقد عمل ما قبل الواو فيه ، كما تقول : مازلتُ وزيداً حَتَّى فَعَلَ كذا ، أى مازلتُ يزيدٍ حَتَّى فعل . وتقدير الباب فى هذه أَوْ كَشَفُ مَنْ تَقْدِيرَ مَعَ وَإِنْ تَقَارَبَ معنيهما ، كأنه قال : لا ألقبه اللقب بالسَّوءِ . ويقال : سَمَّيْتَهُ كذا وبكذا ، وَلَقَّبْتَهُ كذا وبكذا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ . وإن رُفِعَ فارتقاه يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً ، كأنه قال : والسَّوءُ ذاك ، يعنى إن لَقَّبْتَهُ فالفحش فيه^(٣) . ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره اللَّقَبُ ، ويكون مُصَدَّرًا كالجَمْزَى والوَكَرَى وما أشبههما . والمراد : والفحش استعمال اللَّقَبِ معه ، ويكون تفضيلاً للأمر لو فَعَلَ . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا ألقبه اللقب ، وهو السَّوءُ . وهذا أقرب . والسَّوءُ : الفَعْلَةُ القبيحة . قال الشاعر :

(١) ويروى : « يا لَيْتَ زَوْجَكَ » . ويروى : « يَا لَيْتَ بَعْلَكَ فِي الْوَفَى » . والبيت لمعبد الله بن الزبيرى كما فى حواشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ . وانظر الكامل ٢٠٩ ، ٤٠٣ وأمال المرتضى (٤ : ١٧٠) والإنصاف لابن الأنبارى ٣٥٧ ، وأمال ابن الشجرى (٢ : ٣٢١) والخزانة (١ : ٣٣٠) والخصص (١ : ١٣٦ / ١٤ : ٢٣٢) .
(٢) أى وسقيتها ماء بارداً . والبيت لم يعرف قائله . وهو عند العيني (٤ : ١٨١) والمرضى (٤ : ١٧٠) وابن الشجرى (٢ : ٣٢١) وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٣١٤ والخزانة (١ : ٣٣٠ ، ٤٩٩) . قال البغدادي : « وأورد له العلامة الشيرازى ، والفاضل العيني ، صدرأً وجعل المذكور عجزاً هكذا :

لما حططت الرحل عنها وارداً علفتها تبناً وماء بارداً
وجعله غيرهما صدرأً وأورد عجزاً هكذا :

علفتها تبناً وماء بارداً حتى شئت همالة عينها .

(٣) كذا فى ل ، وفى الأصل : « به » .

(٤) هو أبو زيد الطائي ، كما فى مقاييس اللغة واللسان (سوا) .

* ياتَقْوِمُ لِلسَّوَةِ السَّوَاءُ ^(١) *

ويسمى الفرج السَّوَةِ ، لقبه . وفي القرآن : ﴿ قَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ .
ويقال : سَوَْةُ لِفُلَانٍ ^(٢) ! دعاء عليه .

٤١٥

وقال رجلٌ من بني قُرَيْعٍ ^(٣) :

١ - مَتَى مَا يَرِ النَّاسُ الْغَنَىَّ وَجَارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا عاجزٌ وَجَلِيدٌ
٢ - وَلَيْسَ الْغَنَىَّ وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قَسَمْتُ وَجُدُودُ
أخرج هذا الكلام مخرج الإنكار لما تعودته الناس في الحكم على الأغنياء
والفقراء . فيقول : مَتَى يَقْضَى بِهِ النَّاسُ عَلَى الْغَنَىَّ وإلى جنبه فقيرٌ ، أن يقولوا :
هذا من عجزه أُنِي ، وهذا لجلاذته أُغْنِي . وهذا خطأ ، لأن الغنى والفقير مما
قَدَّرَ الله تعالى وأَجْرَى بِهِ قَسَمَهُ فِي خَلْقِهِ ، وليس المعتمد فيه على احتياهم ، وسعيهم
واجتهادهم ، لكنها جدود وحظوظ دُرِّجوا عليها ، وخُلِقُوا لها ، على ما عَرَفَ
الله تعالى من صالح خَلْقِهِ .

وجوابُ « متى ما يَرِ » قوله « يقولوا » . وارتفع عاجزٌ على أَنَّهُ خبر مبتدأ
مُحذوف ، كَأَنَّهُ : هَذَانِ عاجزٌ وَجَلِيدٌ .

٣ - إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَنَتُهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا فَمَطْلَبُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدٌ ^(٤)

(١) صدره : * لم يهب حرمة النديم وحقت *

(٢) في الأصل : « سَوَْةُ فُلَانٍ » ، صوابه في ل ، واللسان (سوا ٩١) .

(٣) هو المعلوط السعدي القريري ، كما في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . وقرع ، من

بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥٥ ، ١٥٠ . وقد صرح به ابن جني في

التنبيه حيث قال : « قال المعلوط بن بدل القريري : إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَنَتُهُ » ، وأنشد البيت الثالث .

(٤) ابن جني : « أَعْيَنَتُهُ السيادة » .

٤ - وكائن رأينا من غنى مذمم وصعلوك قوم مات وهو حميد
 قوله « إذا المرء أغنيته » بعث وتحضيض على النهوض فى طلب المعالى فى
 ابتداء الذئء ، وحين كان فى القوة فضلة ، وفى العمر مهلة ، حتى تتلاقى أوائل
 عمره وأواخره فى طلب الرياسة ، وإقامة المروءة ، وأنه إن دافع بما عليه فى ذلك
 وماطل انتظاراً لأحوال تجتمع [له ^(١)] ، فاكتهل ولما تساعده تلك الأحوال
 فإنه يتعذر عليه طلبها ، ويشتد عليه إدراكها . وانتصب « ناشئاً » على الحال ،
 والعامل فيه أغنيته . ويقال : فتى ناشئ ، أى شاب . قال الخليل : ولا يوصف
 به الجارية . والناشئة : أول الوقت ^(٢) ، من هذا . وينتصب « كنهلاً » على
 الحال أيضاً ، والعامل فيه مطلبها ، لأن المعنى مطلبها لها وهو كهل ، فالمصدر
 مضاف إلى المفعول ، أو مطلبه لها إذا كان كنهلاً ، ومثله : هذا تمرًا أطيب
 منه بسرًا .

وقوله « وكائن رأينا » كائن بمعنى كم . وكأنه أخذ يفضل الفقر إذا جرى
 صاحبه فى محمود الطرائق من التجمل ، والاكتفاء والتعفف ، على الغنى وصاحبه
 ينظر ، ويطغى ويأشر ، ثم لا يؤدى حق النعمة عليه ، فقال : كم من غنى
 ساعدته الدنيا والأقدار ، ثم أصبح مذممًا حين لم يلتزم شروط محمود الغنى ، وكم
 من فقير قوم لما جرى فى ميدان العفاف والتجمل ، والرضا بماله والشكر ،
 مات وهو حميد الطريقة ، رضى السريرة . والصعلوك : الفقير . ويقال :
 صعلكنه ، أى ذهب بماله كله .

(١) التكمة من ل .

(٢) أى فى نحو قوله تعالى : « إن ناشئة الليل » .

٤١٦

وقال بعضهم^(١):

- ١ - وَأَضَحَّتْ أُمُورُ النَّاسِ يَفْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُتَّقَى مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ
٢ - جَدِيرٌ بِأَلَا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ

قوله « يَفْشَيْنَ عَالِمًا » أى يَفْشَيْنَ مَنَى عَالِمًا ، لأن العالم هو هو ، فحذف مَنَى .
والمعنى : إِنِّى بَاشَرْتُ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ ، وَلَا بَسَتْ الْخُطُوبَ الْجَلِيلَةَ ، فَصَرْتُ بِطُولِ
تَجَرُّبَتِي ، وَاتِّصَالَ مِمَارَسَتِي ، عَالِمًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِذَا وَرَدَتْ أَخْبَارُهَا^(٢) عَلَى
بِمَا يُتَحَايَ مِنْهَا وَيُحْذَرُ ، وَمَا يُتَمَنَّى مِنْهَا فَيُطْلَبُ . فَلَا جَرَمَ أَنَّى خَلِيقٌ بِأَلَا
أُضْرَعَ عِنْدَ نَوَائِبِ الدَّهْرِ وَلَا أَخْضَعُ ، وَلَا أَرَى إِذَا فَانَتْ أَمْرٌ أَتَحَسَّرُ فِي إِثْرِهِ
وَقَدْ وَلَّى ، وَأُضْرِبُ بَلَدَةً إِحْدَى كَفَى بِالْأُخْرَى^(٣) ، نَوْجُمًا وَتَلْهُفًا ، إِذَا كَفْتُ
وَإِتْقَانًا أَنَّ الْأُمُورَ يَمْلِكُهَا التَّغْيِيرُ ، وَأَنَّ الْفَائِتَ يُتَلَفَى ، فَلَا يَدُومُ شَيْءٌ عَلَى حَالٍ
إِلَّا رَيْثَ مَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ انْتِقَالُ .

وقال الدُّرَيْدِيُّ : تَبَلَّدَ الرَّجُلُ ، إِذَا تَحَوَّرَ فِي أَمْرِهِ فَأَقْبَلَ يَضْرِبُ بَلَدَةً نَحْرَهُ
بِيَدِهِ . وَبَلَدَةُ النَّحْرِ : الثَّغْرَةُ وَمَا حَوَالَيْهَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : التَّبَلُّدُ : نَقِيضُ التَّجَلُّدِ
وَهُوَ اسْتِكَانَةٌ وَخُضُوعٌ . وَبَلَدُ الرَّجُلِ ، إِذَا انْكَسَرَ^(٤) فِي الْعَمَلِ وَضَعَفَ .

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) ل : « أخبرهم » .

(٣) البلدة ، بالفتح : راحة الكف .

(٤) كذا في ل ، وفي الأصل : « إذا نكس » .

٤١٧

وقال آخر :

- ١ - وإِنَّكَ لَا تَذَرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أُم هُوَ أَسْعَدُ
 ٢ - عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ مِنْ الْيَوْمِ سُؤلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدٌ
 ٣ - وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِذِي الْجَهْلِ زَاجِرٌ وَلَلْجِلْمُ أَبْقَى لِلرِّجَالِ وَأَغْوَدُ
 هذه الأبيات تشبه قول الآخر :
 وَأَكْرِمْ كَرِيماً إِنْ أَتَاكَ لِحَاجَةٌ لِعَاقِبَةٍ إِنْ الْعِضَاءَ تَرَوَّحُ (٢)
 وقول الآخر (٣) :

لَا تَهِنِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ
 وقوله « أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أُم هُوَ أَسْعَدُ » تقديره أَنْتَ أَسْعَدُ بِمَا تُعْطِيهِ أُم
 هُوَ . وَأُم هذه هي المتصلة للمعادلة لألف الاستفهام ، فانهطف هو به على أَنْتَ .
 وقد يجيء الخبر في مثله مكرراً ، كقول الشاعر (٣) :

بَاتَ يَقَاسِي أَمْرَهُ أُمَيْرُهُ أَغْصَمَهُ أُمَ السَّحِيلُ أَغْصَمَهُ

فيكون التكرار فيه على طريق التأكيد . ويجري « بين » هذا الجري
 في نحو قولهم : بين زيد وبين عمرو خلاف ، ولو لم يكرّر بين لكان الوجه .
 والشاعر يقول : إذا زارك سائل فتوفّر عليه ، ولئن قولك وجانبك له ، فإنك
 لا تعلم أَنْتَ أَسْعَدُ بِمَا يَنَالُكَ مِنْكَ أُم هُوَ ، واعلم أَنَّ المحتاج إليك إِنْ مَنَعْتَهُ سُؤلاً
 وَطَلَبْتَهُ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يَنَالَ مَا مَنَعْتَهُ فِي غَدِهِ . وقوله « أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدٌ » في

(١) ترويح النبت والشجر : طالع . اللسان (٣ : ٢٩٤) .

(٢) هو الأضبط بن قريع السعدي . البيان (٣ : ٣٤١) والمعمرين ٨ ومجالس ثعلب

٤٨٠ والأما (١ : ١٠٧) والأغاني (١٦ : ١٥٤) وحامسة ابن الشجري ١٣٧ والخزانة

(٤ : ٥٨٩) والمثل السائر (١ : ٢٦٠) .

(٣) هو الراجز العجّاج . ديوانه ٦٤ .

موضع خبر عسى ، والضمير من له يعود إلى السائل ، والمعنى : عساه إن منفعته
سؤله من يوم كان عليه ، أن يكون غد ذلك اليوم له ، ولهذا قال الله عز
وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، فغد يرتفع بيبكون ، وله في
موضع الخبر .

وقوله « وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجر » يريد استبق إخوانك
وذويك ، واعلم أن في التكاثر بهم مزرعة للجاهل ، ولتعاون أيديهم مدفعة
لأذى المغلب الخامل . ومع ذلك فالحلم أبقى شأنا وأمرًا للرجال ، وأرد عليهم
وأفنع لهم . وهذه الوصاة اشتملت على أمرين : أحدهما اكتساب مودات
الإخوان لكي يكونوا إذا احتيج إليهم عونًا . والثاني استعمال الحلم مع الأعداء ،
والجري معهم على حد لا يخرجهم إلى المكاشفة ، ولا يحوّجهم إلى خرق الهيبة .
وقوله « من اليوم سؤلا » ، يقال : أعطى فلان سؤله ، فيهمز ولا يهمز .

٤١٨

وقال آخر :

- ١ - إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتُ مَدَاخِلَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(١)
 - ٢ - فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ
- انتصب « والأمر » بفعل مضمر . وإيّاك ناب عن أحذرك ، فكأنه
قال : أحذرك أن تلبس الأمر الذي إن توسعت مداخله ضاقت عليك
مخارجة . والمعنى : تأمل كل ما تلبسه ، واعرف أواخره وإن اشتبهت ،
كما تعرف أوائله وإن تبدّنت ، لأنه يقيح بالمرء أن يكون فيما يقتحمه عند
نفسه معذوراً ، وعند الناس ملوماً .

(١) التبريزي : « إن توسعت موارد » .

وقوله « فما حسنٌ أن يعذر المرء نفسه » في إعراب « أن يعذر » وجوه :
أحدها أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدم عليه ، وهو حسنٌ ، لأن ما النافية إذا
قدم خبره على اسمه يبطل عمله . ويجوز أن يكون موضعه رفعا بفعله وفعله حسنٌ ،
ويرتفع حسنٌ بالابتداء ، ويستغنى بفاعله عن خبره ، وجاز الابتداء بحسن وإن
كان نكرة لاعتماده على حرف النفي . والمعنى : ما يحسنُ عذرُ المرء نفسه فيما
يقولاه وليس له من الناس عذرٌ . ويجوز أن يرتفع « أن يعذر » بأنه خبر
الابتداء الذي هو حسنٌ ، وهذا أضعفُ الوجوه . ويروى : « إن توسعت موارده
ضائق عليك المصادر » . وقوله « من سائر الناس » أى من باقى الناس ، وهو
من الشؤر . ومن وضعه موضع الجميع فقد أخطأ .

٤١٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١- تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ تَزِيرُ^(٢)

٢- وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

يَنْبَهِ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ الرِّجَالَ لَيْسُوا بِجَزُرٍ يُطَلَّبُ عِظَمُهَا وَسِمَتُهَا ، لِأَنَّ
الرَّءَ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِيهِ وَلِسَانِهِ . فَيَقُولُ : تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ لِلْمُزُولِ الدَّقِيقِ ،
فَتَسْتَحْقِرُهُ لِمُزُولَتِهِ ، وَإِذَا فَتَشَتْ عَنْهُ وَاسْتَشْفَقَتْ مَا وَرَاءَ ظَاهِرِهِ وَجَدْتَهُ أَسَدًا
مَزِيرًا . وَالْمَزِيرُ هُوَ الْجُلْدُ الْخَفِيفُ النَّافِذُ فِي الْأُمُورِ . وَيُرْوَى : « يَزِيرُ » وَلَيْسَ
بِجَيِّدٍ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى ، فَكَأَنَّ أَصْلَهُ يَزِيرُ فَتَقَلَّتِ الْحَرَكَةُ إِلَى الزَّاءِ وَأُبْدِلَ مِنْ
الْهَمْزَةِ يَاءٌ ، كَمَا يُقَالُ الْمَرَأَةُ وَالْكَمَاءُ ، فِي الْمَرَأَةِ وَالْكَمَاءَةِ . وَإِنَّمَا ضَعُفَ مِنْ طَرِيقِ

(١) سبقَت تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ١٤٩ ص ٤٣٣ . قَالَ التَّبْرِيزِيُّ : « وَقَالَ أَبُو رِيَّاش : هَذَا
الشَّعْرُ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ مَالِكٍ مَعُودِ الْحُكَمَاءِ الْكَلَابِيِّ » .
(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « وَيُرْوَى : مَرِيرٌ ، أَيْ قَوَى الْقَلْبِ شَدِيدُهُ » .

المعنى لأن تشبيهه إياه بالأسد لا فائدة لذكر الزئير معه ، إذ لا تدوم حاله على ذلك . ووجهه على ضعفه أن يكون موزود « يزئير » تأكيداً للتشبيه ، كما يستعار صفة المشبه به للمشبه وإن كان حصوله لو حصل ذمًا فيه ، تأكيداً للتشبيه . على ذلك قوله :

* أزل إن قيد وإن قاد نصب *

والزَّلُّ من صفة الذئب . ومثله قول الآخر ^(١) :

* صكاء ذغلية إذا استدبرتها ^(٢) *

والصَّكَّ من صفة النعام .

وقوله « فيعجبك الطير » فالطير : الشاب الناعم ذو الكدنة . فيقول : ويتفق في الرجال من يعجبك خلقته ، فإذا بلوته وامتحن أخلاقه وجدته لا يصدق ظنك فيه ، بل يخلف ويخالف في كل ما تعتمد عليه ، أو تكلم إليه .

٣ - فما عظم الرجال لم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير

٤ - ضعاف الطير أطولها جسومًا ولم تطل البزاة ولا الضقور

٥ - بنات الطير أكثرها فراخًا وأم الصقر مقلات نزور ^(٣)

صرح عن الغرض المقصود فيما تقدم فقال : إنما يحمد من المرء كرمه وفضله وكثرة محاسنه وخيره ، وكل ذلك يرجع إلى الأخلاق لا إلى الخلق ، فلا اعتبار بالعظم ، ولا فخر في البسطة إذا حصلت في الجسم خاصة من دون العلم . ثم أخذ يمثل فقال : ترى الطير ضعافها كالكراتي وطيور الماء أطولها جسومًا ، وأمدًا أعناقًا وسوقًا ، ثم كرائمها كالبزاة والضقور ، وهي تصيد

(١) هو المسيب بن علس . المفهومية ١١ .

(٢) عجزه : * حرج إذا استقبلتها هلواع *

(٣) نسب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كثير عزة . والبعث بثلاث الباء .

ما وزنه يتضاعف على وزنها . وما طوله وعرضه يتزايد على طولها وعرضها ، ثم
بغائها وهي صغارها ومصطادها أكثر فراخاً وأوسع نسلاً ، وأُمُّ الصقر قليلة
الفراخ مقلات لا يَبْقَى لها أيضاً ما تُفَرِّخه . وانتصب « جُسوماً » و« فِرَاخاً »
على التمييز . والمقلات : مِفعال من القَلت ، وهو الهلاك . والنزور : القليلة
الأولاد ، من النَّزَر ، وهو القليل .

٦ — لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍ فلم يَسْتَعْنِ بِالْمِظْمِ البعيرُ

٧ — يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهِ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ^(١)

٨ — وَتَضَرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ

لَمَّا ضَرَبَ الْمَثَلُ بِذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ وَالْمَاشِيَةِ عَلَى رَجُلَيْنِ ، عَادَ يَذْكُرُ مِنْ
ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ : تَرَى الْبَعِيرَ مَعَ عِظَمِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَصَبْرِهِ عَلَى
النَّهْوِضِ بِالْأَعْبَاءِ الثَقِيلَةِ ، وَالْأَهْمَالِ الْعَظِيمَةِ ، لَمَّا لَمْ يَصْحَبْ عِظَمَهُ اللَّبُّ ،
وَقُوَّتَهُ التَّمْيِيزُ ، لَمْ يَسْتَعْنِ بِمَا أُعْطِيَ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ تَرَاهُ مُسَخَّرًا لِأَنْ يُدِيرَهُ الصَّبِيُّ
عَلَى وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ التَّنْذِيلِ ، وَيَحْبِسُهُ زِمَامُهُ عَلَى كُلِّ خَسْفٍ وَهَضْمٍ ، حَتَّى أَنْ
الْوَلِيدَةُ تَضَرِبُهُ أَوْجَعَ الضَّرْبِ ، فَلَا إِنْكَارَ مِنْهُ وَلَا ذَهَابَ عَنْهُ ، وَلَا تَغْيِيرَ إِلَيْهِ
وَلَا نَكِيرَ لَدَيْهِ .

وقوله « الهَرَاوِي » جمع هَرَاوَةٍ ، ووزنه فَعَائِلٌ هَرَأَى ، لِأَنَّ فَعِيلَةً وَفَعَالَةً
يَشْتَرِكَانِ فِي هَذَا الْبِنَاءِ مِنَ التَّكْسِيرِ ، تَقُولُ : صَحِيفَةٌ وَصَحَائِفٌ ، وَرِسَالَةٌ وَرِسَائِلٌ ،
إِلَّا أَنَّهُمْ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعَدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ ، فَصَارَ هَرَامًا ، فَاجْتَمَعَ هَمْزَةٌ
وَأَلْفَانِ فَكَانَتْ قَدْ اجْتَمَعَ ثَلَاثُ أَلْفَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ هَمْزَاتٍ ، فَأَبْدَلُوا مِنَ الْهَمْزَةِ وَآوَاءً
فَصَارَ هَرَاوِي . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا أَبْدَلْتَ مِنْهُ الْيَاءَ ، كَمَا فَعَلْتَهُ فِي مَطَايَا وَمَا أَشْبَهَهَا ؟

قلت: أرادوا أن يظهر في الجمع الواو كما ظهر في الواحد ليتميز بنات الباء عن بنات الواو.

٩- فَإِنْ أَكُّ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرٌ

يقول: إن كثرتني شراركم وأراذلكم، لوفور عدديم وكوني واحداً فيهم، فإنني أكثر خياركم وأغلبهم لقلنتهم وكثرتي، وذلك أني أنوب عن جماعة إذا عدّ الأخير. ويجوز أن يريد أنه لا خيار لكم، فأننا وإن كفت واحداً من حيث العدد، كثير إذا طلب الخيار منكم، إذ لم يكن لكم خيار. وقد مضى القول في غير موضع في حذف النون من لم أك وإن أك.

٤٢٠

وقال بعضهم:

- ١- أَعَاذِلْ مَا عُمِرِي وَهَلْ لِي وَقْدَ اتَتْ لِدَاتِي عَلَى خَمْسٍ وَسِتِّينَ مِنْ عُمُرِي
- ٢- رَأَيْتُ أَحَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَحَا سَقَرٍ يُسْرِي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
- ٣- مُقِيمِينَ فِي دَارِ نَرُوحٍ وَنَعْتَدِي بِلَا أَهْبَةِ الثَّأْوِي الْمَقِيمِ وَلَا السَّقَرِ

وقوله «ما عمرى» استفهام على طريق التّحقير والاستقلال، فكأن العاذلة كانت عتبت عليه في تبذير وإنفاق، وخوفته العواقب وما تؤدّي إليه بانفاق، فأخذ يجيبها ويقول: يا عاذلة، أي شيء عمرى، وكيف يدوم بقائي حتى أخوف بالفقر، وهل لي عمر وأقراي يعدّون خمساً وستين سنة. ثم أخذ يذمّ الحريص على الدنيا وأعراضها، ويقصّ ما تستوى فيه أقدام الخلائق من إرصاد الفناء لها فقال: رأيت صاحب الدنيا وإن كان متودّعاً مقياً، كالسافر يسار به وهو لا يعلم؛ وذلك لأن له أجلاً يساق إليه، ومُنْتَهَى من العمر يحال عليه، فالأيام تأخذ

منه ، وتنقص من عمره ، فهو كالمسافر وقد انتوى نيةً فما يقطعه من المسافة يُقرَّبُه من مقصده ، ويُعَجِّلُ وصوله إلى أمدّه .

وقوله « مقيمٍ في دار » انتصب على الحال من قوله « أخا الدنيا » ، لأنه أراد به الكثرة ، فهو كأسماء الأجناس . وقال : « نروح ونفتدى » لأنه من إخوان الدنيا ، فأدخل نفسه فيهم . وقوله « بلا أهبة الثاوى المقيم ولا السفر » يريد : لا نأمل البقاء في هذه الدنيا ، ولا نأمن الفناء ، فلسنا كالثاوى فتأهب أهبته ، ولا كالمسافر فنعدّ عدته . وأراد بالثاوى المقيم الكثرة لا الواحد . وقد تقدّم القول في حقيقة العمر ^(١) .

٤٢١

وقال بعضهم ^(٢) :

١- لا تعترض في الأمر تُكفي شؤونه ولا تنصحن إلا لمن هو قابله

٢- ولا تخذل المولى إذا ما مملته ألفت ونازل في الوعى من ينارله ^(٣)

يوصي مخاطبه بأن يعرض عن الأمر الذي لا يعنيه ، ويترك الاعتراض فيه ، وألاً ينصّح إلا لمن يرجو قبول ^(٤) النصّح منه ، وبألاً يخذل ابن عمه إذا

(١) كذا وردت هذه العبارة في هذا الموضع ، وحقها أن تكون تعليقاً على البيت الأول لا الأخير .

(٢) هو عبيد بن أيوب العبدي ، كما في مجموعة المعاني ١٤ . وعبيد بن أيوب : أحد بني العبدي بن عمرو بن تميم ، وكان جني جنابة فطلبه السلطان وأباح دمه : فهرب في مجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسحابة ، ويبايت الذئباب والأفاعي ، ويأكل مع الظباء والوحش . الشعر والشعراء ٧٥٨ واللائق ٣٨٣ .

(٣) بعده عند التبريزي ومجموعة المعاني :

ولا تحرم المولى الكريم فإنه أخوك ولا تدري لملك سائله

(٤) في الأصل : « تبرك » ، صوابه في م .

نزلت به نازلة ، بل يُفازِل مَنْ يَفازِلُه ، ويناوئى مَنْ يَناوئُه . وهذا على طريقتهم في قولهم : « انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً » . وأصل الوغى هو الجلبة والصوت . وقوله « فى الأمر تُكفى شؤونه » يريد تُكفى أسبابه وجوانبه . والضمير من « قابله » لما دلَّ عليه قوله لا تَنْصَحَنْ ، وهو النصيح .

٤٢٢

وقال منظور بن سحيم^(١) :

١- وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقَرْيِ أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأُبْكِي الْبَوَاكِيَا

٢- فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذِي عِنْدِهِمْ مَا كَفَانِيَا^(٢)

٣- وَإِمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ وَإِمَّا لِنَامٍ فَادَّكَرْتُ حَيَايَا

يصف نفسه بالتعفف عن المطامع الدنيئة ، والمطامع الذميمة ، فيقول : لا أهجو بسبب القرى ، وهو ما يُقدَّم إلى الضيف ، ولا أشكو أهل دار فأبكي على ما يفوتني من زادهم وأبكي غيري معي . وقوله « أبكي وأبكي البواكيا » لا بُكاء ثم ، وإنما أراد تفضيع التأشف . فيريد : لا آسف لما أرى من الحرمان آسف من يبكي ويبكي غيره تهالكاً على مال غيره ، وتوجعاً لشدة نهيمته .

وقوله « فَإِمَّا كِرَامٌ » فصل بين حرف الجزاء والفعل بقوله كرام ، فارتفع بفعل مضمّر دلَّ عليه الفعل الذي بعده ، كأنه قال : فَإِمَّا يُقصدُ كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ . وقوله « فَحَسْبِي » في موضع الابتداء ، و « ما كفاني » في موضع الخبر ،

(١) منظور بن سحيم الفقعسي الكوفي ، إسلامي ، ذكره المرزباني في معجمه

٣٧٤ - ٣٧٥ . وفي الإصابة ٨٤٦٣ : « منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة بن الأشتر

ابن جحوان بن فقعس الأسدي الفقعسي ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، وقال إنه مخضرم » .

(٢) التبريزي والمرزباني : « من ذو عندهم » .

والفاء مع ما بعده جواب الشرط . وقوله « مِنْ ذِي عِنْدِهِمْ » أراد من عندهم .
والعرب تقول : هذا ذو زَيْدٍ ، يريدون : هذا زَيْدٌ . وهذا من إضافة المُسَمَّى
إلى الاسم . قال السَّكْمِيَّت :

* إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ ^(١) *

يريد يا أصحاب ذا الاسم . وقال الأعشى :

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
أَي الْعَسْكَرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ آلُ حَسَّانَ .

ويروى : « مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ » ويكون ذو بمعنى الذى ، وعندهم فى صلته ،
وذو هذه طائفة . والمعنى : لا يَخْلُو مَنْ أَقْصَدُهُ وَأَنْزَلَ بِهِ مِنْ وَجْهِهِ : إِمَّا أَنْ
يَكُونُوا قَوْمًا يَرْجِعُونَ إِلَى كَرَمٍ وَيَسَارٍ ، فَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَضَيَّعُ كَرَمُهُمْ
وَأُكْتَفَى مِنَ الَّذِي عِنْدَهُمْ لِي بِمَا يَكْفِينِي ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا كِرَامًا مُضَيِّقِينَ ^(٢)
أَثَرُ الدَّهْرِ فِيهِمْ ، فَأَعْذِرَهُمْ لِإِضَاقَتِهِمْ ، وَعَلِمَى بِحَالِهِمْ . فقوله « وَإِمَّا كِرَامٌ مَعْسُورُونَ »
بَيَانُهُ : وَإِمَّا قَصِدَ كِرَامٍ مُضَيِّقُونَ عَذْرَتَهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا
لَثَامًا فِي أَخْلَاقِهِمْ دَنَاءَةً ، وَفِي أَعْرَاقِهِمْ نَذَالَةً ، فَتَذَكَّرْتُ حَيَاتِي وَصِيَانَتِي لِنَفْسِي ،
فَلَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ وَجْهِي ، وَلَمْ أَبْذُلْ بِتَقْاضِيهِمْ هُطَالَتَهُمْ جَاهِي .

٤- وَعِرْضِي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوَاهِ كَطَلِي رِدَائِيَا
قوله « أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ » ما فى موضع الجرّ ، كأنّه قال : عِرْضِي أَبْقَى شَيْءٌ
ادَّخَرَهُ ذَخِيرَةً ، أَيْ اكْتَسَبَهُ ذَخِيرَةً . فعلى هذا ينتصب « ذَخِيرَةً » على الحال

(١) عجزه كما فى الهاشميات ٣٩ :

* نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظَاءٌ وَأَلْبَبُ *

(٢) مُضَيِّقِينَ ، بِالْقَافِ مِنَ الْإِضَاقَةِ ، وَهِيَ الْعَسْرُ . وفى الأصل : « مُضَيِّقِينَ » بالفاء

صوابه فى ل .

للمؤكد لما قبله . واذخر : افتعل من الذخر لكنه أبدل من التاء دالاً فأدغم الدال فيه ، فلك أن تقول اذخر ولك أن تقول اذخر .

وهذا الكلام بيان ما يأخذ به نفسه من الصيانة والقناعة ، وسلوك طرائق الانقباض عما يشين ولا يزين من الانبساط إلى اللثام . فكأنه قال : أبقي على عريضي ، لأنه أعز الذخائر لي ، وأطوي بطني عن المسآكل المردية كما أطوى ردائي ، إذ كان التزهد فيما يخزي أولى عندي .

٤٢٣

وقال سالم بن وابصة (١) :

١- وَنِيرِبٍ مِنْ مَوَالِي السَّوْدَى حَسَدٍ يَبْقَاتُ لَحْيٍ وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ

٢- دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَّتْ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ

النيرب : النيمة والعداوة وقوله « ونيرب » أراد وذى نيرب ، والمصدر وما يجري مجراه إذا وُصِفَ به إما أن يكون على حذف المضاف ، وإما أن يجعل الموصوف نفس الحدث لكثرة وقوعه منه . فيقول ربّ ذى نيرب حَسَدٍ من موالى السوء ، يفتأني بظهور الغيب ، وبأكل لحى ولا يشفيه ذلك من قَرَمٍ . والقَرَم : شهوة اللحم . والمعنى أنه لا يكفيه ما يتناول متى وإن كان لا يألو جهداً في تلبي . وجواب ربّ قوله « داويت » من البيت الثانى . وبقات : يفعل من القوت ، وهو فعل المطاوعة . ويقال : قاته كذا فاقافته .

ومعنى « داويت صدرًا طويلًا غمره » أى صابرته على مُداجاته وانطوائه على حتمدى ، فدفعت شره عن نفسه بطول مداواتي ، وفَلَّتْ حدّه بترك

مكشَفَتِهِ حَتَّى لَمْ يَجِدْ إِلَى إِثَارَةِ كَامِنٍ غَمْرِهِ طَرِيقًا ، فَاحْتَاجَ إِلَى الْإِمْسَاكِ عَنْ أَذَاتِي ، لِدَوَامِ تَمْشُكِ بِجَامِلَتِهِ شَاءَ أَوْ أَبَى . وَقَوْلُهُ حَقْدًا هُوَ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ حَقَدَ ، وَهُوَ لَغَةٌ فِي حَقَدَ . يُقَالُ حَقَدَ يَحْقِدُ فَهُوَ حَقُودٌ ، وَحَقَدَ يَحْقِدُ فَهُوَ حَقْدٌ .

٣ - بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أَسَدِيهِ وَأُلْحُمُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِيٍّ (١)

٤ - فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوْتَرَةً يَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَنِمٍ الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِالْحَزْمِ » تَعَلَّقَ بِقَلَمْتُ أَوْ دَاوَيْتُ مِنَ الْبَيْتِ الْمَتَقَدِّمِ .

وَالْخَيْرُ : الْكَرَمُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْهَيْئَةُ وَالطَّبِيعَةُ ، يُقَالُ : هُوَ كَرِيمٌ الْخَيْرِ جَمِيعًا . وَقَوْلُهُ « أَسَدِيهِ وَأُلْحُمُهُ » خَبَرَانِ لَفٍّ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ . فَقَوْلُهُ « تَقْوَى الْإِلَهِ » يَرْجِعُ إِلَى أَسَدِيهِ ، وَ« مَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحِيٍّ » رَجَعَ إِلَى أُلْحُمُهُ . وَالْمَعْنَى : دَاوَيْتُ صَدْرَهُ أَيْ مَكْنُونَ صَدْرِهِ ، وَقَلَمْتُ ظُفْرَهُ بِاسْتِعْمَالِ الْحَزْمِ وَالْخَيْرِ مَعَهُ ، ثُمَّ جَعَلْتُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَدِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَأُلْحَمْتُهُ رِعَايَةَ مَا ضَيَّعَهُ مِنَ الرَّحِمِ ، فَلَا جَرَمَ أَنَّهُ كَفَّ مِنْ شَأْوٍ شَرٍّ وَغَرَبَ عِدَاوَتَهُ ، وَأَقْبَلَ فِي الظَّاهِرِ يُعَادِي مِنْ يُعَادِينِي ، فَقَوْسُهُ الْآنَ مُوْتَرَةٌ دُونِي يَرْمِي مِنْهَا أَعْدَائِي بِأَسْهُمِ النَّصْرَةِ . ، بِجَاهَرَةٍ لَا مَكَاتَمَةٍ .

٥ - إِنْ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ نَبْهَةٌ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنْ تَحُلَّمَهُ عَنْ أَدَانِيهِ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ لَا عَنْ عَجْزٍ وَتَقِيصَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ لَا تَقَمَّ مِنْهُمْ . وَأَنَّهُ لَمْ يُكْسِبْنِيهِ إِمْسَاكُهُ عَنْ مَجَاذِبَتِهِمْ ذُلًّا ، وَلَوْ كَانَ يُفْضِي بِهِ الْحَالُ إِلَى ذَلِكَ لَمَا فَعَلَ ، فَتَحَلَّمَهُ كَرَمٌ ، وَإِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا يَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ مِنْ قُرْبَى وَقَرَابَةٍ تُتَّقَى وَتَفْضَلُ . وَقَوْلُهُ « فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ » يَرِيدُ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْفَضْلِ يُعَدُّ فِي خِصَالِ الْكَرَمِ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

جَهُولٌ إِذَا أَرَزَى التَّجَلَّمَ بِالْفَتَى حَلِيمٌ إِذَا أَرَزَى بَذَى الْحَسْبِ الْجَهْلُ

٤٢٤

وقال بعضهم :

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَاتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاهِ
فَلَا وَأَبْيِكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ^(١)

يمثل هذا قول الآخر :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَطْعَمِ^(٢)
قَوْلُهُ « وَأَظْلَهُ » يَرِيدُ أَظْلُ عَلَيْهِ ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ ، كَمَا قَالَ :
* لَوْلَا الْأَسَى لَقَضَانِي^(٣) *

أَي لَقَضَى عَلَى .

٤٢٥

وقال نافع بن سعد الطائي :

١- أَلَمْ تَعْلَمِي أَيَّ إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكَرَّمَا
٢- وَلَسْتُ بِلَوَائِمٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

(١) بعده عند التبريزي :

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِحَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

(٢) المعروف في الرواية : « كريم المأكَل » . وهذه الرواية المعروفة في بيت عنبرة ، في اللسان (ظلل) وديوان عنبرة ١١٩ . وانظر مقاييس اللغة (٣ : ٤٣٠) .

(٣) البيت لأعرابي من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ ليسك واللسان (غرض ، قضى) . وصدده :

* تَحْنُ فَنَبْدِي مَا بِهَا مِنْ صِبَابَةٍ *

يقول : أما علمت من أخلاق الكف عن كثير من المباحي الجالبة لقالة الناس وتصرّثهم في الحكم عليه وله ، وأنتى إذا أمكنى الفوز بالمطامع القربة ولما كل الهينة ، فأشرفت منها على تحصيلها لم أنس أخذ النفس بالنظر فيها ، واستعمال السكرم في ترك ما يجمع على عاراً منها . وقواه « على طمع » أى على مطموع فيه ، ومنه قيل لأرزاق الجند : أطاعهم .

وقوله « ولست بلوأم » يقول : إذا فانتى أمر لا أرجع على نفسى باللوم الكثير تحشراً في إثرهم ، لكننى حقيق أن أتقدم فى تحصيله قبل فواته إن كان مما يهيم . وقوله « ولكن عل » هو أصل لعل ، وهو حرف موضوع للطمع والإشفاق ، واسمه مضمرك أنه قال ولكن لعلنى أن أتقدم . وهو يحىء بأن وبغير أن ، فإذا كان معه أن أفاد فائدة عسى ، وإذا جاء بغير أن كان الفعل أقرب وقوعاً ، لأن أن للاستقبال ، ولعل وإن كان حرفاً يُعدّ مع أفعال المقاربة وهى عسى وكاد . ولوأم بناء المبالغة ، وليس بمبني على لوأم لأن المبني عليه هو مؤلوم .

٤٢٦

وقال بعض بنى أسد^(١) :

- ١ - إني لأستغنى فما أبطر الغنى وأعرض ميسورى على مُبتغى قرضى
- ٢ - وأعسر أحياناً فشتد عسرتى فأذكر ميسور الغنى ومعى عرضى
- ٣ - وما نالها حتى تجلت وأسفرت أخو ثقة متى بقرض ولا فرض^(٢)

(١) هو الحكيم بن عبدل الأسدي ، كما فى أمالى القتالى (٢ : ٢٦٠) ، وقال : « اجتمع الشعراء بباب الحجاج وفيهم الحكم بن عبدل الأسدي ، فقالوا : أصالح الله الأمير ، إنما شعر هذا فى الفأر وما أشبهه . قال : ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير . قال : هات . فأنشده . وروى هذه القصيدة .

(٢) روى بعده التبريزي :

وأبدل معروفي وتصفو خليقتي إذا كدرت أخلاق كل فتى محض

يعدّد في هذه الأبيات عادانه في حالتي الغنى والفقر ، فقال : إِنِّي أَنَالُ الْغِنَى
فَلَا يَكْسِبُنِي أَشْرًا وَلَا بَطَرًا ، لكنني أشكر الواهب وأبقي على حالتي الأولى ،
بل ^(١) يقرّبني ما أناله من المتّصلين بي ، والمنضمّين إليّ بسبب من الأسباب ،
فأعرض ما يتيسر لي على طُلاب قرضي ، وأشرك من يمتّ إليّ في الخير المتاح .
وقد يتعقّب الإيسار إعسار في الوقت بعد الوقت ، فأصبر وإن اشتدّ عُسري ،
وأُسبِلُ على نفسي جَنَاحَ ^(٢) تَحْمُلِي وتعفّني حتى أدرك ميسور الغنى ونفسي
معي ، لم أبتذلها ولم أدنسها بتعريض أو تصريح لمُفْضِلٍ أطلب بهما عنده مَطْمَعًا ،
وأجتلب مرغبًا .

وقوله : « وما نالها » يريد وما نال تلك العُسرة أخ لي يؤثّق بوده لا بعارية
ولا بعطيّة ، إلى أن انكشفت وفارقت .

وقوله « أَبْطَرُ الْغِنَى » معناه أَبْطَرُ في الغنى حتّى أذهب عن سنن الشُّكر
فأتجاوزّه وأخلفه ورأى ، غَمَطًا لِلنَّعْمَةِ ، أوجهلاً بحقِّ الصَّنِيعَةِ . وقال الله تعالى :
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ . وقوله « أَعْرِضُ ميسوري »
وضعه بلفظ المفعول المصدر ، يريد اليُسْر . ومثله ماله معقول . وضده حُجِلَ عليه
وهو العُسْر ، فقيل معسور . وإنما قال « ومعي عرضي » لأنّه إذا صانّه عن القُبائح
ولم يُسلِّطْ عليه من يتملّكه بهيبة أو صلة ، فكأنّه معه لم يفارقه . ولو أجراه
على غير هذا المكان مفارقاً له ، وداخلاً في ملكة غيره .

٤ - وَلِكِنَّهُ سَبَبُ الْإِلَهِ وَرِخْلَتِي وَشَدَى حَيَازِيمِ الْطَيِّبَةِ بِالْعَرَضِ
الماء من قوله « ولكِنَّه » يعود إلى ميسور الغنى . واستدرك الغنى من قوله
« ما نالها حتّى تجلّت » بقوله لكنّ ، يريد : لكن الغنى المتجدّد ، وهو عطية

(١) في الأصل : « فلو » ، صوابه في ل .

(٢) في الأصل : « جزاء » ، صوابه في ل .

الله تبارك وتعالى ، وتقلبي وارتمالي ، وشدي حيازيم المطايا بالغروض . كأنه ذكر الأسباب التي يسرت له الغنى ، وأنها لم تخرج من فضل الله تعالى واجتهاده . وقوله « المطية » أراد بها الجنس ، لذلك قال « حيازيم » وجمعها . والسيب : العطاء والمعروف ، وكثر في الاستعمال حتى سمي الكنوز سيوباً ، وقيل لما تخرجه المعادن سيوب . والغرض والغرضة : البطان ، وهو للبعير بمنزلة الحزام للدابة . والمعرض منه كالمحزم .

٥ - وأسندنقذ المولى من الأمر بعدما يزل كما زال البعير عن الدحض

٦ -- وأمنحه مالى ووُدِّي ونصرتي وإن كان محي الضلوع على بُغضى^(١)

يقول : إننى أعطف على أبناء عمى ، فأخلصهم من الشدائد ، وأخذ بأضباعهم إذا زلت أقدامهم ، فأقيمهم بعد أن كانت زلتهم كزلة البعير عن المزلقة . وإنما خص البعير لأن سقطته أفظع وأسرع في المزال . يقال : مكان دحض ومدحضة . ودحضت رجل البعير ، إذا زلقت . قال :

* وحدث كما حاد البعير عن الدحض^(٢) *

(١) بعده عند التبريزى :

ويعمره حلمى ولو شئت ناله قوارع تبرى العظم عن كمل مض
وأفضى على نفسى إذا الأمر نابى وفى الناس من يقضى عليه ولا يقضى
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائى ولا أرضى
وإنى لسهل ما تغير شيمتى صروف ليالى الدهر بالقتل والنقض

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨ واللسان (دحض) . وصدره في الديوان :

* أبأ منذر رمت الوفاء فبهته *

وفى اللسان :

* رديت ونجى اليشكرى حذاره *

ومنه : ﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ أى لا تنبت . ودَحَضَتِ الشَّمْسُ عَنْ كَيْدِ
السَّمَاءِ : زَالَتْ .

وقوله « وأمنحه مالى » يريد : أننى بعد استنفاذى إِيَّاهُ أَتَوَفَّرَ عليه ببذل
المال ، وإخلاصِ الود ، وتقريبِ النُّمرة ، وإن كان منظوياً على
العداوة والبغضاء .

وقوله « مَحْنَى الضَّلُوعِ » أى معطوفها . ويقال : حَنَيْتُ الشَّيْءَ وَحَنَوْتُهُ
حَنِياً وَحَنَوّاً ، فهو مَحْنَىٌّ .

٤٢٧

وقال حاتمُ الطَّائِي (١) :

١ - وما أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لَنَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرِّكَابِ (٢)

٢ - وما أَنَا بِالطَّائِي حَقِيقَةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفّاً وَأَتْرُكُ صَاحِبِي (٣)

يقول : لا أَجْتَذِبُ إِلَى نَفْسِي الْفَضْلَ مع خلطائى وشركائى فى الشُّرب وغيره .
فلا أَتَسَرَّعُ فى الْوُرُودِ مُسْتَعِجِلاً بِرَاحِلَتِي لَنَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ وُرُودِ رِكَابِهِمْ .
ومعنى قوله « بالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا » السَّابِقُ بِمَا أُعْطِيَ رَاحِلَتِي مِنْ زِمَامِهَا .

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي . وكان من شعراء الجاهلية ، وبه
كان يضرب المثل فى الخود ، وأخباره فى ذلك كثيرة مشهورة . انظر الأغاني (١٦ : ٩٢ -
١٠٥) وشرح شواهد المغنى ٧٥ والخازنة (١ : ٤٩٤ - ٤٩٥) والشعراء ١٩٣ -
٢٠٣ . والبيتان من أبيات فى ديوانه ١١٨ .

(٢) فى الديوان : « ما فى الحوض » .

(٣) فى الديوان : « لأركبها خفا » . وبعده عقد التبريزى :

إذا كُفْتُ رَبّاً لِلْقُلُوصِ فلا تدعُ رفيقَكَ يمشى خلفها غير راكِبٍ

أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلْتُكُمَا فذاك وإن كان العقابُ فعاقِبِ

للعقاب : أن يتناوب المسافران الدابة يركب كل منهما عقبته . والعقبة ، بالضم : النوبة .

وهذا مثل . والركائب : جمع ركوب ، وهو اسمٌ يجمع ما يُركب ، ويقال : ركوبة ، فهي كاللوبة والحمولة ، وتقع للواحد والجمع .

وقوله « وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها » ، يقول : وإذا كان لي رفيق في السفر وسعت جنابي له ، ولا أتركه يمشي وقد خففت حقيبة رحلي ناقتي طلباً للإبقاء عليها ، ولكني أردفه أو أركبه . والحقيبة : ما يُشدُّ خلف الرحل . قال :

* والبرُّ خيرُ حقيبة الرحل ^(١) *

والفعل منه احتقَبَ واستحقَبَ . واستعير فقيلاً : احتقَبَ إثماً . قال :
فاليومَ فاشربَ غيرَ مُستحقَبٍ إثماً من الله ولا واغِل ^(٢)

٤٢٨

وقال آخر :

١ - وإني لَأَنْسى عِنْدَ كُلِّ حَفِيزَةٍ إِذَا قِيلَ مَوْلَاكَ ، اِحْتِمَالِ الضَّغَائِنِ

٢ - وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لَيْسَ فِيمَا يَنْوُبُنِي مِنَ الْأَمْرِ بِالْكَافِي وَلَا بِالْمَاوِنِ

يصف نفسه بأنَّ الحقد ليس من طبعه ولا عادته ، فيقول : إني أَشْفِقُ على

مَوَالِيَّ حَتَّى إِذَا اتَّفَقَ لَوَاحِدٍ مَا يَحْتَاجُ مِنِّي إِلَى مَعُونَةٍ نَسِيتُ سَيِّئَتَهُ ، وَلَمْ أُحْتَمِلْ

فِي صَدْرِي لَهُ ضِعْفَهُ ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَأَعْنَتُهُ عَلَى دَهْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِيمَا يَنْوُبُنِي

لَيْسَ بِكَافٍ لِي وَلَا مُعِينٍ ، إِذْ كُنْتُ أَوْجِبُ لَهُ بِكَوْنِهِ مَوْلَى مَا يُنْسِي تَبَاغُضَهُ

وجفاءه . والحفيظة : الخصلة يُحْفَظُ لها الإنسانُ ، أَيْ يُغَضَبُ . ويقال : « أَهْلُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، كما في الشعراء ٦١ .

(٢) وهذا أيضاً لامرئ القيس في ديوانه ١٥٠ . ويروى : « فاليوم أسق » .
ويروى أيضاً : « فاليوم أشرب » ببناء الفعل على السكون ، أو بتقدير علامة الإعراب .
انظر الخزانة (٣ : ٥٣٠ - ٥٣٢) .

الحفاظُ أهل الحِفاظِ ، لأنَّهم يُحامونَ من وراء إخوانهم . وانتصب « احتمال »
بأنسى . والضَّغائن : جمع الضَّغينة ، وقد مرَّ ذِكْرُها .

٤٢٩

وقال آخر ^(١) :

وإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ مَطَاعِمِ جَهَنَّمَ إِذَا زَيْنَ الْفَحْشَاءِ لِلنَّاسِ جُوعُهَا
قد مضى له نظائر .

٤٣٠

وقال آخر :

١ - وَمَوَلَّى جَفَّتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّهُ مِنْ الْبُوسِ مَطْلَى بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
٢ - رَمِيتُ إِذَا لَمْ تَرَأْمِ الْبَازِلُ ابْنَهَا وَلَمْ يَلِكْ فِيهَا لِلْمُبْسِينَ مَحَلَبُ

يقول : رَبِّ ابْنِ عَمٍّ زَهْدَ أَقَارِبِهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَاطْرَحُوهُ وَاشْتَنَوْا عَنْ
الْفِكَرِ فِيهِ وَالتَّوَقُّرِ عَلَيْهِ ، نُبُوًّا عَنْهُ وَعَنْ اصْطِنَاعِهِ ، فَأَثَّرَ فِيهِ الْبُوسُ ، وَأَحَاطَ
بِجَوَانِبِهِ الشَّقَاءَ وَالضَّرَّ ، حَتَّى صَارَ كَالْبَعِيرِ الْجَرَبِ وَقَدْ طُلِيَ بِالْقَارِ ، هَيْئَةً وَلَوْنًا ،
وَضُؤُولَةً وَانْخِزَالًا ، وَتَبَاعَدًا عَنِ النَّاسِ وَتَجَافِيًا ، أَنَا عَطَفْتُ عَلَيْهِ ، وَأَثَرُ كُتْبِهِ فِيمَا
وَهَبَ اللَّهُ لِي فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ لَا يُؤْوِي ^(٢) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ غَيْرَهُ ، إِشْمُولُ
الْقَحْطِ ، وَغَلَبَةُ الضَّرِّ وَالْفَقْرِ ، حَتَّى أَنَّ النُّوْقَ تَوَثَّرَ التَّبَاعُدَ عَنْ أَهْلِهَا فَلَا
تَرَأُهَا ، وَتَرَى الَّذِينَ يُبْسِتُونَ بِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ عِنْدَ الْحَبَابِ ، لَا يَجِدُونَ فِي صَرْعِهَا
خَيْرًا . وَيَقَالُ : بَسَّ بِالنَّاقَةِ وَأَبَسَّ ، إِذَا دَعَاهَا لِلْحَبَابِ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « لَا أَفْعُلُ

(١) هذه الحماسية ذات البيت الواحد لم يروها التبريزي .

(٢) في الأصل : « يروى » ، صوابه في ل .

كذما ما أبسَّ عَبْدٌ بِفَاقَةٍ^(١) ، أَى دُعَاها لِلْحَلَبِ . ويقال : رَمِمَتِ الْفَاقَةُ رِئْمَانًا ، إِذَا عَطَفَتْ .

٤٣١

وقال عروة بن الورد^(٢) :

١ - دَعَيْنى أَطَوَّفَ فى البِلادِ لَعْنَى أَفِيدُ غِنَى فيه لِذِى الحَقِّ حَمَلُ
٢ - أليسَ عَظِيماً أَن تُنَلِّمَ مُلَمَّةٌ وَليسَ عَلينا فى الحَقِّ مَعوَلُ
يُحَاطِبُ عاذِلَةً لَه فىما هَمَّ بِهِ مِنَ التَّرحالِ فى طَلَبِ المِمالِ ، فقال : اترُكِنى
وما اِختارُهُ مِنَ التَّجوالِ ، والتَّنقُلِ فى البُلدانِ ، طَمَعاً فى خَيرِ اِستفِيدُهُ ، وَغنى
اِستجِدُّهُ ، لَكِنى إِذا نابنا ذُو حَقٍّ وَجَدَ على مالِنا حَمَلًا ، وَعَلينا فى التَّزامِ واجِبِهِ
مُتَّكِلًا ؛ لأنَّ مَنْ جالَ نالَ ، وَمَنْ قَرَعَ بابًا وَجَدَ وَلُوجًا ، وَأَوَّلُ دَرَجِ الحِرمانِ
الوقوفُ عَندَ أَذى الهِمَمَتينِ ، وآخِرها الرِّضا بأوَدَعِ العَيشَينِ .

وقوله « أليس عظيمًا » يريد تقريرها على فِطْاعةِ الفَقْرِ والفَاقَةِ ، وَقِباحَةِ
إِمسالكِ الناسِ عَن تَعليلِ الرِّجاءِ بِهِم والطَّاعَةِ ، فقال : أَلَا تَستَظَلمُ^(٣) أَن تَنوِبَ
الحِىَّ نائِبَةً ؟ فلا يُعوَّلونَ عَلينا فى الاحتمالِ عَنْهُم ، ولا يَرتَجونَ مِنّا تَعطُفاً عَلِيهِم ،
لَا تَضاعِ حَاليْنا ، وَتَأْكُدِ اليَأْسِ مِن نِياِنا . وقوله « أفيد » بمعنى اِستفِيد . وأليسَ
يَقَرَّرُ بِهِ فى الواجبِ الواقِعِ ، وَأَن تُنَلِّمَ فى مَوضعِ الرِّفَعِ بَليْسَ .

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « بفاقه » .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٤٥ ص ١٢١ . والبيتان فى ديوانه ١٠٦ .

(٣) هذا على الالتفات . والوجه « ألا تستعظمين » .

٤٣٢

وقال آخر :

تَثَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدِ اسْتَفِيدُهَا وَخَلَّةَ ذِي وَدٍّ أَشَدُّ بِهِ أُزْرِي
 هذا في طريقة ما تقدم . والمعنى : أنني أبتاطأ عن المطالب والمباغى كلها
 إلا إذا اتفق مصنع عند حُرٍّ ، فإنى أتسرع إليه ، وأتحفف في تحصيله ، مخافة أن
 يفوز به غيرى ، لأن اعتقاد المنن في أعناق الرجال أعداه غنيمة تُفْتَنَم ، وفائدة
 تُدَّخَر ؛ وإلا صداقة أخٍ وديدٍ أعتمدها في مدافعة شرٍّ ، ولاشتداد أزرٍ ، فإنى
 أجمعُ يدي عليها ، ولا أصبرُ على المزاحمة فيها . ويقال : شدَّ فلانُ أزره ، إذا
 شدَّ مَعْقِدَ إزاره . ويقال : آزره على أمره ، إذا ظاهره وعاونه عليه .

٤٣٣

وقال عبد الله بن الزبير^(١) :

١- لا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحُزُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
 ٢- وما نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بَأَنِّ أَلْقَى لَهَا فَرَجًا
 يصف حُسْنَ ثِقَتِهِ بِرَبِّهِ ، وَجَمِيلَ ظَنِّهِ بِفَضْلِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ جَرَّبَ وَتَبَصَّرَ ،
 وَعَرَفَ مِنْ أَعْقَابِ الْأُمُورِ مَا جَعَلَهُ لَا يَذِلُّ لِنَائِبَةٍ ، وَلَا يَتَخَشَّعُ لِنَازِلَةٍ ، فَلَا
 يَظُنُّ الشَّرَّ إِذَا بُلِيَ بِهِ ضَرْبَةً لَا زِمَ^(٢) لَا يُخَالِفُ ، وَجَارَ سَوْءَ لَا يُفَارِقُ . قَالَ :
 وَإِذَا فَاتَنِي أَمْرٌ وَإِنْ جَلَّ لَا أَهْلِكُ أَسَى فِي إِزْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ نَفْسِي جَزَعًا

(١) التبريزى : « عبد الله بن الزبير الأسدى » . وقد سبقَت ترجمته في الحماسية

٣٢٢ ص ٩٤١ .

(٢) ل : « ضربة لازب » ، وهما سيان .

لِقَوْتِهِ ، وَلَا أُنْزِلُ مِنْ مَظَانِّ الْمَكَارِهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتِي بِتَلَقِّي الْفَرْجِ وَتَعْجَلُهُ عَلَى أَقْرَبِ مَسَافَةٍ مِنِّي . وَالْوَدَّاجَانِ : عِرْقَانِ يَقْطَعُهُمَا الذَّامِحُ . وَيُقَالُ : وَدَجْتُ الدَّابَّةَ ، إِذَا أُصْبِتَ وَدَجَهَا .

٤٣٤

وقال مالك بن حزم^(١) :

- ١ - أُنْبِيتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
- ٢ - بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُنْثَى عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَهُوَ مُذَمَّمٌ
- ٣ - وَأَنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لَهَرٌ مُفْسِدٌ يَحْزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمَحْرَمُ
- ٤ - يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

قوله « وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ » اعتراضٌ وقعَ بينَ أُنْبِيتَ ومفعوليه ، وهما في قوله « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ » لأنَّ أُنْبِيتَ وَنُبِّيتَ وأخواتها كلٌّ واحدةٍ منها تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل . وقوله « وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ » اعتراضٌ ثانٍ وإنَّ عُطِفَ على ما قبله . والمعنى أَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ تَفِيدُ أَرْبَابَهَا تَجَارِبَ بِمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْخَوَادِثِ ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَتُعَلِّمُهُمْ بِمَا يَنْكَشِفُ عَنْهَا وَيَشْتَمِلُ

(١) هذا ما في الأصل . وفي : « حريم » . وفي شرح التبريزي والقاموس (حريم) ونوادر أبي زيد ٩٦ وأمالى القالى (٢ : ١٢٣) : « حريم » ، وهو مظهر من مظاهر اختلاف الرواة في اسمه . وفي سمط اللالكى ٧٤٨ : « واختلاف في مالك بن حريم الحمداني ... فقال ابن النحاس : قال لي نفطويه : هو مالك بن حزم بالزاي . قال : وقرأت على أبي إسحاق في كتاب سيبويه في بيت أنشده له : مالك بن حريم بالخاء المضمومة المعجمة والراء المهملة المفتوحة وكذلك كان محمد بن يزيد يقول مالك بن حريم . وقال الحمداني : هو مالك حريم » . ومالك بن حزم : شاعر جاهلي إسلامي : كما في اللالكى . وهو مالك بن حزم بن مالك بن حزم بن دالان الحمداني .

عليها من غوامض الأمور وخفيتها ، ما لا يخطر لهم ببال ، ولا يؤديه إليهم رَسْمٌ ولا مِثَالٌ . فيقول : أَخْبِرْتُ وَالْأَيَّامُ هَذِهِ حَالُهَا أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ ، وَالتَّوَشُّعَ فِي الْحَالِ ، يَرْجِعَانِ بِالنَّفْعِ عَلَى صَاحِبِهِمَا فَيَصَوِّرَانِهِ بِصُورَةِ الْمَشْكُورِ وَالْحَمُودِ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحْصِيلِ مَشْكُورًا مَذْمُومًا ؛ وَأَنَّ فِي قِلَّةِ الْمَالِ مَفْسَدَةً لِحَالِ الْمَقْلِّ وَجَاهِهِ وَنَفْسِهِ ، حَتَّى يَبْرِيَهُ وَيَقْطَعَهُ بَرَى السَّوْطِ الْجَدِيدِ الَّذِي لَمْ يَلَيْنَ بَعْدُ ، الْمَضْرُوبَ بِهِ ، فَتَرَاهُ يَبْخَعُ نَفْسَهُ ، وَيَتَخَشَّعُ لِلْآقِيَةِ وَالنَّاطِرِ إِلَيْهِ ، وَيَلْزَمُ الشُّكُوتَ فِي نَادَى الْحَيِّ فَلَا يَفْبِسُ تَمَائُلًا وَتَصَاغِرًا ، إِذْ كَانَ قَدْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّرَقِّيَ فِي مَدَارِجِ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ ، وَأَنَّهُ تَقَعُدُ الْحَالُ بِهِ عَنِ النَّهْوِضِ بِمَا يَنْهَضُ بِهِ أَمَائِلُ الرِّجَالِ ، فَهُوَ يَسْلُمُ الْأَمْرَ لَهُمْ ، وَيَبْرَأُ مِنَ التَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ » تَعَلَّقَ بِأُنْبِيتِ بَأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا . وَالْقَطِيعُ : السَّوْطُ . وَالْمُحَرَّمُ : الَّذِي لَمْ يُمَرَنَّ بَعْدُ .

٤٣٥

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ ^(١) :

١ - لَأَنَّ أَرْجَى عِنْدَ الْعُرَى بِالْخَلْقِ وَأَجْتَزَى مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعُلُقِ

٢ - خَيْرٌ وَأَكْرَمٌ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا خَوَالِدًا لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي ^(٢)

يَصِفُ رِضَاهُ بِدَسِيرِ الْحِظِّ مِنَ الدُّنْيَا ، وَعَمَاقُهُ عَنْ كَثِيرِ مَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ فَيَتَوَقَّى ، فَيَقُولُ : لَأَنَّ أَنْبَلَعَ عِنْدَ التَّعَرَّى بِأَكْدَسَاءِ الْخَلْقِ ، وَأَكْتَفَى مِنَ الزَّادِ الْكَثِيرِ بِمَا يُمْكِنُ بِهِ سُدُّ الْفَاقَةِ - أَضْوَنُ لِي وَأَرْدُّ عَلَى مَنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا مَعْقُودَةً فِي عُنُقِي ، مُثْقَلَةً لظَهْرِي ، بَاقِيَةً عَلَى أَعْتَابِ الزَّمَانِ لِلنَّاسِ عِنْدِي . وَالْعُلُقُ :

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٦٩ ص ٨٠٨ .

(٢) التبريزي : « مننا معقودة » .

جمع العُلقة ، وهى اليسير من الشيء يُتَبَلَّغُ به وَيَمْتَلِقه المحتاجُ إليه . ويجوز أن يكون من عِلِقَ يَعْلُقُ ، إِذَا رَعَى . ومنه الحديث : « إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ لَتَعْلُقُ فى الجنة » وتكون العُلقة كالأُغْرِفة والطَّعْمة وما أشبههما . وقوله « لَأَنْ أَرْجَى » اللام لام الابتداء ، وأن أَرْجَى مبتدأ وخبره قوله « خَيْرٌ وَأَكْرَمُ بى » .

٣- إني وإن قصرت عن همتي جدتي وكان مالي لا يقوى على خلقي
٤- لتارك كل أمر كان يلمزني عاراً ويشرعي في المنهل الرني
تنبه على تمام الظلف والعفاف إذا أخذ به الإنسان ، فيقول : أنا وإن عجزت غنيتي عما توجه همتي ، وكان في حالي قصور عما يدعو إليه خلقي ، معرض عن كل أمر إذا نلت رجوع منه عاراً على أذكر به ، ويوردني مشارع الكدر ، فإذا صدرت عنها لم أتهنأ بشربي منها . ولك أن تروى : « فى منهل الرني » فيكون المنهل مضافاً إلى المصدر ، ولك أن تروى : « فى المنهل الرني » بكسر النون فيكون صفة له . والمنهل : موضع النهل . والناهل : العطشان ، والريان جميعاً . والوجد والجدة : مصدر وجدت ، فى المال . ويقال : شرعت فى الماء ، إذا خضت . وأشرعني فيه فلانٌ وشرعني أيضاً . وفى المثل : « أهون الورد التشريع » .

٤٣٦

وقال أيضاً :

١- ماذا يكلفك الروحات والذلجا البر طورا وطورا تركب اللججا

٢- كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته ألفتته بسهام الرزق قد فلجا

قوله « ماذا » لفظه استفهام ، والمعنى الإنكار ، ويجوز أن يكون « ما » مع

ذا بمنزلة اسمٍ واحدٍ مبتدأ ، ويكلفك خبره . ويجوز أن يكون وَخَدَهُ اسماً ،
 وذا في موضع الخبر ، ويكلفك من صلاته ؛ كأنه قال في الأول : أى شئ يكلفك ،
 وفي الثاني : ما الذى يكلفك السَّيرَ في اللَّيْلِ والنَّهارِ متصلاً ، لا تفتُر تركب البرَّ
 تارةً ، والبحرَ أخرى . والرَّوْحَاتِ : جمع الرَّوْحَةِ ، وهو يريد به السَّيرَ رَواحاً .
 والدَّلَجُ والدُّلْجَةُ : السَّيرُ بالليل . وقوله « طَوَّراً » انتصب على الظَّرْفِ ، والبرَّ
 انتصب بفعلٍ مضمَرٍ دلَّ عليه الفعلُ الذى بعده . واشتقاق الطَّوْرِ من قولهم :
 لا أطور به ، ومن طَوَّار الدَّارِ ، وهو ما كان ممتدّاً معها .

وقوله « كم من فتى » أفاد كم التَّكثِيرَ ، والكلام خبر ، والمراد : كثيرٌ
 من الفتيانِ تَوَدَّعُوا في منازلهم ، وقصُرَتْ خُطُوبُاتهم للسَّعى في طلبِ أرزاقهم ،
 أَلْفُوا قد نَالُوا ما غَلَبُوا به الجِدَّ في الطَّلَبِ ، المتعبَ نفسه في التَّنَقُّلِ . ومعنى
 فَلَجَ : غَلَبَ . وسهام الرِّزْقِ ، يراد بها قِداح الرِّزْقِ ، كأنَّه فازَ لَمَّا خَرَجَ له عند
 الإِجَالَةِ بما غَلَبَ به مُقَامِرُهُ ومُزَاحِمُهُ . ويجوز أن يريدَ بسهام الرِّزْقِ ما حُظَّ له
 من الحظِّ ، وأسهمَ له وقَسِمَ في الرِّزْقِ .

٣— إنَّ الأمورَ إذا انْصَدَّتْ مَسَالِكُها فالصَّبْرُ يَفْتِقُ منها كلَّ ما ارتَجَا
 ٤— لا تَيْأَسَنَّ وإن طَالَتْ مُطَالَبَةُ . إذا اسْتَمَنَّتْ بصبرٍ أن تَرَى فَرَجًا
 يقول : اسْتَعِنَ بالصَّبْرِ في كلِّ ما تَزَاوَلَه وتراوده ^(١) ، فإنَّ الأمورَ إذا
 انْصَدَّتْ طَرَفُها ، وأَعْيَتْ الحِيلُ في تحصيلها ، فإنَّ الصَّبْرَ يَسْهَلُ مدارجُها ،
 ويوسِّعُ مَوَالِجُها ، وَيَفْتَحُ ما انْغَلَقَ منها ، وَيَفْتِقُ ما ارتَتَقَ من أسبابها ،
 ولا يَتَسَلَّطَنَّ عليك من اليأسِ ما يَفْتَرُّ عَزَمَكَ ، أو يَقْصُرُ سَمْعَكَ ، وإن دَامَتْ
 مُطَالَبَتُكَ ، واتَّصَلَتْ مواظبتُكَ . واعتَمَدَ أنَّ الفَرَجَ يَتَلَقَّاكَ ، والنَّجْحَ بأقرب

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وتراوده » .

المنازل منك ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فُزْتَ بِكُلِّ مَا تَرَوْهُ ، وَتَعَجَّلَ لَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ . وقوله « أن ترى » في موضع المفعول من تَيَاسَّنَ . وقوله « فالصبر يَفْتَقُ » جواب إذا ، وخبر إن الأمور في الشرط والجواب . ويقال رَتَجْتُ البابَ وَأَرَتَجْتُهُ ، إِذَا أَغْلَقْتَهُ ، وَبَابُ مُرْتَجٍ وَمُرْتُوجٍ . وَالرَّتَاجُ : البابُ نَفْسُهُ .

٥ - أَخْلَقَ بِيَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنَ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
٦ - أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا قَمْنٌ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلِجًا^(١)

يقول : إن مُدْمِنَ الصَّبْرِ في الأمور ، ومُلازِمَ التَثَبُّتِ والتَلَوُّمِ عند الخطوب^(٢) حَقِيقٌ بَأَن يَظْفِرَ بِطَلَبَتِهِ ، وَيَنْجَحَ السَّعْيَ فِي مَرَامِهِ وَيَغْنِيَتَهُ^(٣) . كما أَنَّ مَنْ أَدَامَ قَرَعَ أَبْوَابِ مَدَاخِلِهِ ، وَتَمَرَّزَ مَفَاصِلَ آرَائِهِ ، حَقِيقٌ بِوُلُوجِهِ وَوُصُولِهِ ، وَمَعْرِفَةِ مُتَيِّحِ مَا يَرْجُوهُ وَمُرِيحِهِ .

ثم قال : وَإِذَا سَعَيْتَ فِي أَمْرِ فَاعْرِفْ مَوَاطِئَ قَدَمِكَ قَبْلَ أَنْ تَعْمَلَهَا ، وَمَوَاقِعَ خَطْوِكَ قَبْلَ أَنْ تَعْدُوَهَا ، وَاقْسِمْهَا بَيْنَ نَظَرِكَ وَاخْتِبَارِكَ^(٤) ، وَتَحْقِيقِكَ وَحَدْسِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مَزَلَقَةً عَنْ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، يُوشِكُ أَنْ يَسْقُطَ لِيَدِيهِ وَفِيهِ ، وَتَزُلَّ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى قَرَارِ هَلَكَتِهِ وَحَيْفِهِ . وَالزَّلِجُ : الشَّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ وَالسَّقُوطُ وَغَيْرِهِ . وَفَرَسٌ زُلُوجٌ : سَرِيعُ السَّيْرِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ قِدَحٌ زُلُوجٌ . وَمَزَلَجَ البابُ : الْخَشَبَةَ الَّتِي يُغْلَقُ بِهَا .

(١) التبريزي : « قدر لرجلك » . وبعده عنده :

وَلَا يَغُرُّنَّكَ صَفْوَةُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مَمْتَزِجًا

(٢) التلوم : الانتظار والتلبث .

(٣) البغية ، بضم الباء وكسر ها . وضبطت في النسختين بالكسر .

(٤) ل : « واختيارك » .

٤٣٧

وقال آخر^(١):

١ - لِحِجَّتْنَا وَاجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ وَشَدَّ الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنَقُّبِ^(٢)
 ٢ - تَلُومٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَائُهُ إِلَيْكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ وَأَغْضِي
 كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ أَطَّلَعَ مِنْ أَحْوَالِ أَيْتَامِ أَخِيهِ عَلَى مَا سَاءَ وَأَنْفَ مِنْهُ ،
 ثُمَّ دَعَاهُ التَّحَنُّنُ وَالْإِشْفَاقُ مِمَّا يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ أَحَادِيثِ الْبِرِّ
 وَالْعَفْوِ ، وَتَصَرُّفِهِمْ فِي صَرْفِ اللَّقْتِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ ، وَالْحَدِّ إِلَى مَكْتَسِبِهِ ، إِلَى أَنْ
 أَمَرَ عَبْدِيهِ الرَّاعِيَيْنِ بِإِرَاحَةِ مَا رَدَّ إِلَى فَنَائِهِ مِنْ مَسَارِحِ إِبِلِهِ عَلَيْهِمْ^(٣) ،
 فَاعْتَاطَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْ فِعْلَهُ ، وَخَوَّفَتْهُ فِي أَثْنَاءِ مَلَامِهَا بِالْفَقْرِ
 وَهَجَرَتُهُ ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ مَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ فَقَالَ : تِمَادَتْ امْرَأَتِي فِي الْغَضَبِ
 وَالْهَجْرَانِ ، وَاللَّوْمِ وَالْإِحْتِجَابِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا فِي مَالٍ شَفَانِي مَوْضِعُهُ الَّذِي
 وَضَعْتُهُ فِيهِ ، وَمَضَرِفُهُ الَّذِي صَرَفْتُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهِينًا بِهَا وَبِفِعْلِهَا
 فَقَالَ : إِلَيْكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ . وَالْمَعْنَى : اِجْمَعِي أُمُورَكَ ، وَاسْتَمِرِّي فِي عَتَبِكَ
 وَغَضَبِكَ مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنَّ الرَّشَادَ فِيمَا آثَرْتُهُ ، وَالصَّلَاحَ فِي قِرَانِ مَا اخْتَرْتُهُ .
 وَ« إِلَيْكَ » : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ هُنَا ، كَمَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَعِنْدَكَ . وَلِذَلِكَ
 عَظَّفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فُلُومِي » . وَ« مَا بَدَا لَكَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ
 الْقَوْلُ فِي أَمْثَالِهِ .

(١) هُوَ حُجَّةُ بْنُ الْمُضْرِبِ . وَفِي التَّبْرِيزِيِّ : « وَحَدَّثَ ابْنُ كُنَاسَةَ أَنَّ حُجَّةَ بْنَ الْمُضْرِبِ كَانَ جَالِسًا بِفَنَاءِ بَيْتِهِ ، فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ بِقَعْبٍ فِيهِ لَبَنٌ ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ تَرِيدِينَ بِالْقَعْبِ ؟ فَتَالَتْ : بَنَى أَخِيكَ الْيَتَامَى فَوْجَمَ وَأَرَاحَ رَاعِيَاءَ إِبِلِهِ ، فَقَالَ : اصْفَقَاهَا نَحْوَ بَنَى أَخِي ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ فَاعَاتَبَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَ . . . » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « وَلَطَّ الْحِجَابَ دُونَ مَا وَالتَّنَقُّبِ » .

(٣) كَتَبَ بِجَوَارِحِهَا فِي لَ بَخَطٍ دَقِيقٍ : « يَعْنِي بَنَى أَخِيهِ » .

٣ - رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تَسُدُّ فَقُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعَبٍ مُشْعَبٍ^(١)

٤ - فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمُ سَاجِعُلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرَ مُغْرِبِ

٥ - عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَقَالُوا خِصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنَقًا إِلَى حِينٍ مَكْسِي^(٢)

يعنى باليتامى أولاد أخيه المتوفى . يريد : رأيتهم لا تسد مفارقهم ولا تقيم مختل أحواهم ، تحف نوحه إليهم ، وهدايا تحمل نوحهم في قعاب مشعوبة . يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولاه وتأتيه من برهم وتفقدهم قبل ذلك . وفي قوله : « هدايا لهم في كل قعاب مشعب » إزارا بصنيعها ، وبالألبان المنقولة إليهم وظروفها . وجمع الفقور لا اختلاف وجوها .

وقوله « فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا » يعنى راعيه اللذين أمرًا بسوق الإبل المردودة من المراعى إلى فناء أولاد أخيه . وإنما ثنى على عاديهم في ثنية مزاولي أعمالهم ، كالبائن والمستعلي في الحلب وما أشبههما . وقوله : « ساجعل بيتي مثل آخر » ، يريد مثل بيت آخر وقد عزبت إبله وتباعدت ، فإن عيالي ولم كاسب مثلي أحق بمزاولة الفقر ، ورثانة العيش ، والصبر على المشرب الرقيق ، إلى أن أكسب ما تعود به حالم إلى ما ألقوه من الخصب والسعة ، والخفض والدعة . ويقال : أغزب الرجل ، إذا عزبت عنه إبله في المرعى .

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أَتَيْتُهُ حَرِيْبًا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبٍ^(٣)

٧ - أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِلْمَلَةِ يُجِبُّكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ^(٤)

(١) ل : « لا يسد » . (٢) التبريزى :

بَيْتِي أَحَقُّ أَنْ يَنْالُوا سَعَابَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنَقًا لَدَى كُلِّ مَشْرَبٍ

(٣) التبريزى : « و يروى : حبوت بها قبر امرئ لو أتيتها » .

(٤) التبريزى :

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعَاهُ لِلْمَلَةِ يُجِبُّنِي وَإِنْ أَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ

قال أبو رياش : وفيها :

فَلَا تَحْسَبْنِي بُلْدُمَا إِنْ نَكَحْتِهِ وَلَكِنِّي حُجِّيَّةُ بَنِ الْمُضْرَبِ

يقول : تَذَكَّرْتُ بهؤلاء الأولادِ أباهم الذي لو أُنِيتُهُ محزونًا مسلوبًا ،
وَمُتْعَبًا بأعباء الفقر مَبْهُورًا ، لَضَمَّنِي إلى صدره ، وَشَمَلَنِي تَضَاعِيفُ بَرِّهْ ، وَجَعَلَنِي
إِسْوَةً نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا أَرَكْبُهُ ، وَالْمُسْعَفَ بِطَلَبَتِهِ عِنْدَ جَمِيعِ مَا أَخْطُبُهُ ، لِأَنَّ
الْأَخَ الْكَامِلَ الْأَخُوَّةَ هُوَ الَّذِي يَشُدُّ أَرْكَكَ ، وَيَحْمِي ظَهْرَكَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ
لِفَائِيَةِ تَنَوُّبِ أَجَابِكَ سَرِيعًا ، وَإِنْ أَعْمَلْتَ سَيْفَكَ أَعْمَلَ سَيْفَهُ مَعَهُ حَثِيثًا .

٤٣٨

وَقَالَ الْمُقْنَعُ الْكَنْدِيُّ^(١) :

- ١ - يُعَايِنُنِي فِي الدِّينِ قَوِيٌّ وَإِنَّمَا دُيُونِي فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
 - ٢ - أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضِيعُومَا تُغَوِّرُ حُقُوقِي مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
 - ٣ - وَفِي جَفَنَةٍ مَا يَفْتَلِقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةً لَحْمًا مَدْقَقَةً تُرْدَا
 - ٤ - وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِيَبْتِنِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا
- كَأَنَّ قَوْمَهُ يَنْعَوْنَ عَلَيْهِ^(٢) سَرَفَهُ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَتَخَرُّقَهُ فِي الْإِفْضَالِ ،
وَتَجَاوُزَهُ مَا تُسَاعِدُهُ بِهِ حَالُهُ وَتَتَّسِعُ لَهُ ذَاتُ يَدِهِ إِلَى الْإِسْتِقْرَاضِ ، وَبَذْلِ الْوَجْهِ
فِي الْأَدْيَانِ^(٣) ، فَقَالَ : كَثُرَتْ لَأَمْتُهُمْ فِيمَا يَرْكَبُنِي مِنَ الدُّيُونِ ، وَإِنَّمَا هِيَ
مَضْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِ مُؤَنِّهَا عَلَى ، وَجَمَالُهَا لَمْ ، وَقَضَاؤُهَا فِي أَنْفْسِهَا يَلْزَمُنِي ،

(١) اسمه محمد بن ظفر بن عبدة . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له
محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القناع
ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجهًا ، وأمداهم قامة ، وأكملهم
خلقًا ، فكان إذا سافر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغاني (١٥ : ١٥١)
والشعراء ٧١٥ - ٧١٦ واللكل ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كان قوم يعيبون عليه » .

(٣) الأديان ، افتعال من الدين .

ومحمدُها موفِّرة عليهم . ثمَّ أخذَ يعدُّ فقال : من تلك الوجوه أنَّ ما يَنوبُ من الحقوق فيُخَلِّون بها ويضيِّعونها عجزاً عن الوفاء بواجبها ، أنا أسدُّ ثغورها ، وأقيم فروصها .

ومنها : أنَّ لى دارَ ضيافة قُدورها مُشَبَّعة موفِّرة ، وجفانها معدَّة منصوبة ، لا يُمنَع منها طالبُها ولا يُحجَب عنها رائدُها ، فلُحمانها كالأكليل على رءوسها ، ورائدُها قد نَمَّقَ تدقيقها .

ومنها : أنَّ بغنائى فرساً مربوطاً قد أُعِدَّ للمِهْمَات ، على عادة أمثالى من الأكابر والرؤساء . ولسكرمه وما يتوفَّر عليه من إكرامى إِيَّاه قد صار كاللحجاب لباب بيتى ، وقد شغلتُ بخدمته عَبْداً يتفقَّده بمرأى منى ، لا أهمله ولا أغفل عنه .

قوله : « مدققة » أى مملوءة . والأحسن أن يروى معه : « ثرداً » بضم الثاء . ويروى « مدققة ثرداً » بفتح الثاء . والمراد مثردة ثرداً دقيقاً . والنَّهْدُ : الجسيم المُشْرِفُ من التحليل .

٥- وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا^(١)

٦- فَإِنْ بَأْأَ كُلُوا الْحَمِيَّ وَفَرَزْتُ لُحُومَهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا^(٢)

٧- وَإِنْ ضَيَّعُوا غَنِيِّي حَفِظْتُ عُيُوبَهُمْ وَإِنْ هَوُوا غَنِيِّي هَوَيْتُ لَهُمْ رَشْدًا

٨- وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي بَنَحْصٍ تَمَرُّي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمَرُّ بِهِمْ سَعْدًا^(٣)

ذكر بعد ما عدَّد معاذيره^(٤) فيما أنكره عليه ، أنَّ إخوته وأبناء عمه

(١) هذا ما فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « فإن » .

(٢) التبريزى : « فإن أكلوا » .

(٣) كذا فى ل والأصل . وعند التبريزى : « وإن زجروا طيراً » .

(٤) ل : « معاذره » . والثلب : العيب . والإذالة : الإهانة .

يُحسدونه ويأتمرون العداوة والعَوَايَةَ لَهُ ، وَهُوَ يُصَابِرُهُمْ وَيُجَامِلُهُمْ ، وَيَتَغَانَى مَعَهُمْ ، فَقَالَ : إِنْ مَا بَدَنِي وَبَيْنَهُمْ فِي طَرَفِي نَقِيضٌ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنَ الْخِلَافِ عَجِيبٍ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ اغْتَابُونِي وَتَطَعَّمُوا لِحْيَ أَمْسَكْتُ عَنْهُمْ ، وَتَرَكْتُ أَعْرَاضَهُمْ مَوْفُورَةً ، لَمْ يَتَخَوَّنْهَا مَنِي إِذَالَةً وَلَا ثَلَبًا ^(١) ، وَأَعْرَاقَهُمْ مَحْفُوظَةً لَمْ يَتَحَيَّفْهَا تَحَامُلٌ وَلَا غَضٌّ . وَإِنْ سَعَوْا فِي نَقْضِ مَا أُرْمَتْهُ مِنْ مَسْعَاةٍ كَرِيمَةٍ ، وَهَذِمَ مَا أَسَّسْتُهُ مِنْ خُطَّةٍ مُجْدٍ عَلَيْهِ ، جَازَيْتُهُمْ بِابْتِنَاءِ شَرَفٍ لَهُمْ مُسْتَحْدَثٍ ، وَإِعْلَاءِ شَأْنٍ لَهُمْ مُسْتَأْنَفٍ . وَإِنْ أَهْمَلُوا غَيْبِي فَلَمْ يُرَاعَوْهُ بِحُسْنِ الدِّفَاعِ عَنْهُ ، وَإِسْبَاغِ ثَوْبِ الْحَمَامَةِ عَلَيْهِ حَفِظْتُ أَنَا غَيْبَهُمْ ، وَأَرْضَدْتُ الْفَوَائِلَ لِمَنْ اغْتَابَهُمْ . وَإِنْ أَحْبَبُوا لِي الْغَوَايَةَ ، وَالتَّسَكُّعَ فِي الضَّلَالَةِ وَالْبَطَالَةِ ، اخْتَرْتُ لَهُمُ الْمُرَاشِدَ ، وَهَوَيْتُ فِي مَبَاغِيهِمُ الْمُنَاجِحَ . وَإِنْ تَمَنَّوْا لِي الْمُنْهَسَةَ ، وَزَجَرُوا مِنْ بَوَارِحِ الطَّيْرِ وَسَوَانِحِهَا فِي الْمَشَامَةِ ، جَعَلْتُ عِيَاظِي لَهُمْ فِيمَا يُمَرُّ بِهَا مِنْهَا الْمُسْعِدَةُ وَالطَّيْرَةُ الْحَمِيدَةُ . وَقَوْلُهُ :

« سَعْدًا » صِفَةُ لَطِيفًا .

- ٩ — وَلَا أَتَجَمَّلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَآيِسُ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
١٠ — لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنِي وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدًا
١١ — وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا
- أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت . والمعنى أنه متى استعطفوه عطف عليهم ، وإن استقلوا ^(٢) أقالهم وأسرع الفَيْئَةَ لَهُمْ ، غَيْرَ حَامِلِ الضُّغْنِ وَاللَّجَاجِ مَعَهُمْ ، وَلَا مُعْتَقِدًا انْتِهَازِ الْفُرْصِ فِيهِمْ ، إِمَّا اكْتَمَنَ مِنْ عَوَادِي الْحَقْدِ عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ : « وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا » يَجْرِي مَجْرَى الْإِلْتِفَاتِ ، كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى مُخَاطَبٍ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَتَجَمَّلُ ^(٣) بِتَرْكِ مُؤَاخَذَتِهِمْ ، وَاطَّرَاجِ الْحَقْدِ

(١) التخنون : التنقص .

(٢) ل : « وَإِذَا اسْتَقَالُوهُ » .

(٣) ل : « لَا أَتَجَمَّلُ » .

في مساوئهم ، فإنَّ الرَّئيسَ يُحِبُّ لَتَبَعِهِ ذلكَ عليه في شروطِ الرِّياسَةِ . وقوله : « لَمْ جُلِّ مَالِي » يريدُ إنَّ تَوَاصَلَ الغِنَى لِي أَشْرَكَتُهُمْ في مُعْظَمِهِ ، من غيرِ امتنانٍ ولا تَكْدِيرٍ ، وإنَّ تَحْيِيفَ مَالِي حَادِثٌ يُبْلِغُ ، أو عَارِضٌ يَحْدُثُ ، لَمْ أُنْتَظَرُ من جِهَتِهِمْ مَعُونَةً ، ولا كَلَفَتْهُمْ فِيمَا يَخْفَ أو يَثْقُلُ مَوْنَةً .

وقوله « وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ » أراد أن يبيِّن ما عنده للغريب الطارق ^(١) ، والضَّيْفُ الغَازِلُ ، بعد أن شَرَحَ حالَهُ مع مَوَالِيهِ ، وَخِصَالَهُ في مُرَاقَقَةِ ذَوِيهِ ، فقال : وَأُبْلَغُ في خِدْمَةِ الضُّيُوفِ مَبَالِغَ العَبِيدِ فِيهَا . ثُمَّ أَكَّدَ مَا حَكَاهُ بقوله « وَمَا شِبْهَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَ » ، فانتصبَ « غَيْرٌ » على أَنَّهُ مُسْتَدْنِي مُقَدِّمٌ ؛ وذلكَ لِأَنَّهُ لَمَّا حَالَ بَيْنَ الموصوفِ والصِّفَةِ ، وهما شِبْهَةٌ وَتُشَبِّهُ ، وتقدَّم على الوصف صار كأنَّهُ تقدَّم على الموصوفِ ، لأنَّ الصِّفَةَ والموصوفَ بمنزلةِ شَيْءٍ واحدٍ . وقوله « تُشَبِّهُ الْعَبْدَ » يريدُ : تُشَبِّهُ شَيْمَ الْعَبِيدِ ^(٢) ، فحذفَ المضافَ وأقامَ المضافَ إليه مقامه .

فَلْيَتَأَمَّلِ النَّازِرُ في هذا البابِ وفي مثلِ هذه الأبياتِ ، وتصرَّفِ قَائِلُهَا فيها بلا اعتسافٍ ولا تكلفٍ ، وسلامَةِ أَلْفَاظِهَا ، وَصِحَّةَ مَعَانِيهَا ، فهو عَفْوُ الطَّنَبِ ، وَصَفْوُ الْقَرَضِ .

٤٣٩

وقال رجل من الفزاريين :

١ — إِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ

٢ — وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلَاهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الطائف » .

(٢) ل : « العبيد » .

٣- إذا كنت في القوم الطوال أصببتهم بعارفة حتى يقال طويل^(١)

يقول : إن لم يكن في طولى امتداد ، ولا في خلقى بسطة وكمال ، فإني لا أزال أصل نقص جسمى ، وأمدُّ قصر قامتى بما أنولاه من الأفعال الكريمة ، وأختاره من الخصال الحميدة ، حتى أحوِّ سمة الإزراء عن نفسى . ومن أوتى الفضل في خلقه ونفسه ، وعاداته وشيمه ، خير ممن أوتى العظم في خلقه ، والبراءة في جسمه ، فلا فضيلة لمن حسن وجهه ونبل منظره ، إذا لم يزيّنه عقل وافر ، ونخب رائق . ومتى حصلت بين أقوام طوال القامات ، قابلت طولهم بطول يدي فيهم ، وأنلتهم معروفى حتى عظمت في أعينهم ، وامتلات من حجبهم لى وميلهم إلى قلوبهم ، فأنسأهم طول باعى بالعطية قصر قامتى بين قاماتهم . وقوله « حتى يقال طويل » ارتفع طويل على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو طويل . أى يسلمون له فضيلة الطول عندهم .

٤- وكم قد رأينا من فروع كثيرة تموت إذا لم تحيين أصول

٥- ولم أر كال معروف أمّا مذاقه فحلّو وأما وجهه فجميل

هذا مثل ضربته للخصال المجتمعة في الإنسان ، لا تمدّ فضائل إلا إذا اقترنت بمخصال آخر ، وهى كالأصول لها . ومثال ذلك ما قدّمه من ذكر عبالة الخلق^(٢) إذا عريت من نباهة الخلق ، وما شاكلها من صباحة الوجه إذا خلّت من صحابة العقل . ثم قال : ولم أر شيئاً كإسداء المعروف وبثّ العطاء والإحسان ، فإنّ من ذاقه استخلاه ، ومن رآه استحسنه وارتضاه . وهذا تأكيد ما ذكر من قوله : « أصببتهم بعارفة حتى يقال طويل » .

(١) التبريزى : « علوتهم بعارفة » .

(٢) العبالة ، بتثقيل اللام ، وتخفيفها لغة عن اللحياني ، وهى الثقل .

٤٤٠

وقال عبد الله بن معاوية^(١) :

١ - أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونُ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

٢ - فَتَنْفَسِي لَا تَطْلُو عَنِّي بِيَخْلٍ وَمَالِي لَا يَبْلُغُنِي فَعَالِي

قد مضى له أمثال^(٢) ، ومعناه ظاهر ، ويروى : « لَا يَقُومُ لَهُ فَعَالِي » .

٤٤١

وقال مضر بن ربيعي^(٣) :

١ - إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلٍ قَوْمِيًّا وَنُتِمُّ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَصِيدِ

٢ - وَمَتَى نَخَفَ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحَ وَإِنْ تَرَ صَالِحًا لَفَسَدَ

يصف صفاء نيتهم لقومهم ، وأنهم يسلكون معهم طرائق ما يعود على

المسود بالصلاح ، وعلى السائد باستكمال الرياسة والارتفاع ، فقال : إِذَا جَهِلُوا

عَلَيْنَا صَفَحْنَا عَنْهُمْ ، وَأَبْقَيْنَا عَلَى الْحَالِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَاسْتَفْنَا إِقَامَتَهُمْ وَرَجَعْتَهُمْ .

كُلُّ ذَلِكَ لئَلَّا يَنْفِرُوا فَيَزِدَادَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَفَاقُماً . فَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَإِنَّا

نَكْسِرُهُمْ وَنَسْتَلُّ عَنْهُمْ كِبَرَهُمْ وَخُبْرُؤَانَتَهُمْ ، وَنَلِيْنُ أَعْنَاقَهُمْ حَتَّى يَفْقَادُوا عَلَى

(١) التبريزي : « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر » . وهو عبد الله بن معاوية

ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من فتيان بني هاشم وأجودهم وشعرائهم . وكان يرى بالزندقة ، وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله . الأغاني (١١ : ٦٣ - ٧٤) .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « مضى أمثاله » .

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقمس

ابن طريف بن عمرو بن قعين الأسدي . شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق . المؤتلف ١٩١ ومعجم المرزبانى ٣٩٠ .

ضِغْنٍ مِنْهُمْ . وَالسَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . وَالصَّيْدُ : مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ مِنَ الْكِبَرِ كَمَا مَا يَكُونُ الصَّعْرُ فِي الْخَلْدِ ، وَكَأَنَّ الصَّادَ يَسْتَعْمَلُ فِي النَّظَرِ .

وقوله : «ومتى نَخَفَ يوماً فسادَ عشيرة» يريد : إِنَّا نَسَعَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَلَا نَدْعُهُمْ يَتَدَابَرُونَ وَيَتَضَاغَنُونَ ؛ لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ . ثُمَّ إِنْ رَأَيْنَاهُمْ عَلَى حَدٍّ مِنَ الصَّلَاحِ زِدْنَا فِي قُوَّةِ نِيَّاتِهِمْ ، وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى مَا يَزِدُّادُونَ بِهِ اسْتِقَامَةً وَاسْتِمْرَارًا .

٣ - وَإِذَا نَمَوْنَا صُمْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْنا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ
٤ - وَنُعِينُ فَأَعْلَنَّا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
يقول : وَإِذَا ارْتَقَوْا فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ وَتَبَوَّءُوا مَنَازِلَ الْفَضْلِ ، لَمْ نَحْسُدْهُمْ ، وَلَمْ نَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ طَرَائِقَ مَقَاصِدِهِمْ ، فَيُورِثَهُمْ ذَلِكَ خَبَلًا^(١) وَفَتُورًا . وَالسَّاعِي مِنْهُمْ إِذَا جَدَّ فِي إِقَامَةِ مَا بَنُوهُ مِنَ الْحَقُوقِ أَعْنَاهُ عَلَى إِمْتَامِ مَا يَشِيدُهُ ، وَالزِّيَادَةِ فِيمَا يُؤَيِّدُهُ ، حَتَّى نَبْلُغَ بِهِ فِعْلَ السَّيِّدِ ، عَلَمًا بِأَنَّا رَفَعْتَهُمْ لَنَا ، وَجَاهَهُمْ بِجَاهِنَا .

٥ - وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ
٦ - فَفَنَقُلْ شَوْكَتَهَا وَنَفْثًا حَمِيهَا حَتَّى تَبْجُوحَ وَحَمِينًا لَمْ يَبْرُدِ
٧ - وَنُحْلُ فِي دَارِ الْحِفَافِ بَيُوتَنَا رَتَعَ الْجَمَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ^(٢)

قوله « وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ » ، يريد : وَإِنْ اسْتَعَانَ بِنَا مِنْ أُغْيَرٍ عَلَيْهِ صَبَاحًا مِنْ ذِي مُحَرَّمٍ أَوْ جَارٍ ، أَوْ مَتَسَبَّبٍ بِإِلٍّ وَقَرَابَةٍ ، أَجَبْنَاهُ سَرِيعًا بِجَيْشٍ سَرِيعِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَعِصِرِ ، فَفَكَسَّرُ شَوْكَةَ الْمُغْيَرِينَ ، وَنُخِمِدْنَا ثَرْتَهُمْ وَنَسَكَّنْهُمْ حَتَّى تَبْرُدَ ، وَنَحْنَانَا لَمْ تَسْكُنْ وَلَمْ تَبْرُدْ^(٣) . وَجَعَلَ الشَّوْكَةَ كَنَايَةً عَنْ

(١) ل : « خبالا » .

(٢) ل ، التبريزي : « وَتَحْلُ فِي دَارِ الْحِفَافِ بَيُوتَنَا » .

(٣) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « يَبْرُدُ » وَ « يَسْكُنُ » .

السَّلاح والقُوَّة جميعاً . وقوله « نفثاً » هو من فَنَثَتُ القِدْرَ ، إذا سَكَنَتْ غليانها . وقوله « حتى تَبُوخَ » يقال : باخَتِ النَّارُ إذا طَفِنَتْ .

ومعنى « وَنُحِلْ^(١) » في دار الحفاظ ببيوتنا « نَضَبِرُ في دار المحافظة على الشَّرَف إذا اشتدَّ الزَّمان ، وإذا قَصَدَ غَيْرُنَا لِلخِصْبِ أو طَلَبَ الاتِّجَاعَ أَقْنَا مُرْتَعِينَ في الدَّرِينِ مَالَنَا ، ولا نَمَكِّنُ أَعْدَاءَنَا من أرضنا وِحمانا . والدَّرِين : اليابس من السَّكَلِ القديمِ القَهد . وجعله أَسْوَدَ لفساده وطولِ قِدَمِهِ . ويروى « وَتَحَلْ^(٢) » في دار الحفاظ ببيوتنا . وانتَصَبَ « رَتَعَ الجَمَائِلِ » على أنه مصدر في موضع الحال . ومثله قول الآخر^(٣) :

وَنُحِلْ في دارِ الحِفاظِ بِيُوتِنَا زَمَنًا وَيُظَعُنْ غَيْرُنَا لِلأَمْرُعِ^(٤)

٤٤٢

وقال المتوكلُ اللَّبْنِيُّ^(٥) :

١ - إني إذا ما الخليلُ أَدَثَ لي صَرَمًا ومَلَّ الصَّفَاءُ أو قَطَعَا
٢ - لا أُحْتَسِي ماءً ، على رَنَقٍ ولا يَرَانِي لَبِينُهُ جَزَعًا
يقولُ : إذا عَوَّجَ صَدِيقٌ لي والتَّوَى ، وطَلَبَ الخِلافَ على فأحدث لي
نُبُوءًا وجَفَاءً ، وتَبَرَّعَ من مُصافاني فأقْبَلَ بَتَجَنِّيَ على ، فإني لا أرومُ منه العَوَدَ ،
ولا أعرِضُ عليه الرُّجُوعَ ، بل أصرِّحُ ولا أتجرِّعُ ماءَ الوُدِّ بيني وبينه على

(١) ل : « وتحل » .

(٢) ل : « ونحل » بالنون .

(٣) هو الحادرة الذبياني . المفضلية ٨ .

(٤) ل : « وتحل » . المفضليات : « ونقيم في دار الحفاظ » .

(٥) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط الكناني ، وكان يكنى

أبا جهمة . وكان على عهد معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . الأغاني (١١ : ٣٧ - ٤١)
والمؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ .

كدر فأحتمل مكروهه ، ولا أظهرُ جَزَعًا لاستحداثِ فراقِ منه ، أو تفكرٍ
ينطوي عليه فأخبتُ له ^(١) ، لأنِّي وصَّالٌ صَروم ، أصافي من يُصافي ، وأجامِلُ
من يُجامِلني ، وأداجي من يداجيني .

٣ - أَهْجُرُهُ نِم تَنْقَضِي غُبْرُ الْهِجْرَانِ عَنِّي وَلَمْ أَقُلْ قَدْعًا ^(٢)

٤ - اخْذَرْ وَصَالَ اللَّئِيمَ إِنْ لَهْ عَضُّهَا إِذَا حَبَلٌ وَضَلِهْ انْقَطَعَا
الْغُبْرُ ^(٣) : البقايا ، واحدها غُبْرَةٌ . ويقال : تَغَبَّرَتِ الناقةُ ، إذا احتلبت
غُبْرَتَهَا . وَغُبْرُ اللَّيْلِ : مآخيره . قال :

فِيَا صُبْحُ كَمْشُ غُبْرِ اللَّيْلِ مُضْعِدًا بِمِمْ وَنَبَّهْ ذَا الْغِفَاءِ الْمَوْشِجِ ^(٤)

وَالْقَدْعُ وَالْقَدَيْعَةُ : الْفُحْشُ . يقال : قَدَعْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْقَدْعِ . وَأَقْدَعَ
الرَّجُلُ : أَتَى بِالْفُحْشِ . وَكَلَامٌ قَدْعٌ . وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ فَيُقَالُ لِلْقَدْرِ : الْقَدْعُ ، حَتَّى
يُقَالُ : قَدَعَ ثَوْبَهُ بِالْبَوْلِ وَغَيْرِهِ . يَقُولُ : أَقْطَعُ الْعَلَاتِقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنْصَرِفَ عَنْهُ
هَاجِرًا ، وَتَنْقَضِي ^(٥) مُدَّةُ الْهِجْرَانِ عَنَّا وَلَمْ أَعْتَبْهُ وَلَا قَلْتُ فِيهِ فُحْشًا ، وَلَا ذَكَرْتُهُ
بِزَلَّةٍ كَانَتْ مِنْهُ .

نِم قَالَ : اخْذَرْ مُوَاصِلَةَ اللَّئِيمِ وَمُؤَاخَاتَهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ حَبَلُ وَضَلِهْ ،
وَانْصَرَمَ مَا يَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ مِنْ وَدَّهِ يَتَكَذَّبُ عَلَيْكَ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الْإِفْكَ فِيمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْتَسِبُهُ لَا بِيَدِكَ وَلَا لِسَانِكَ ، وَهَذَا كَأَنَّهُ لَمَّا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
مَا نَفَى بَيْنَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ، لِكَوْنِهِ مِنْ فِعْلِ اللَّئِيمِ . وَالْعَضُّ :
ذِكْرُ الْقَبِيحِ كَذِبًا وَزُورًا . وَيُقَالُ : عَضَّهْتُه ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالزُّورِ . وَأَعْضَى الرَّجُلُ

(١) أخبت ، الإخبات : التواضع والاطمئنان .

(٢) التبريزي : « ثم ينقض غبر الهجران » .

(٣) كذا وردت مضبوطة في النسختين في متن البيت وشرحه .

(٤) البيت للطرماح في ديوانه ٦٩ والحيوان (٢ : ٢٥٤ ، ٣٤٦ / ٧ : ٥٩)

واللسان (وشح) . (٥) ل : « وتنقض » .

أنى بالعضية ، وهى الإفك . ومن كلامهم : يا لعضية ! ويا للأفكة !

٤٤٣

وقال بعضهم ^(١) :

١- خَلِيلِي بَيْنَ السَّلْسَلَيْنِ لَوْ أَنَّي بَنَعْفِ اللَّوَى أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُمَا لِيَا ^(٢)

٢- وَلَكِنِّي لَمْ أَنْسَ مَا قَالَ صَاحِبِي نَصِيبِكَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كُنْتَ خَالِيَا ^(٣)

التعنف : ما ناعفك ، أى عارضك من الجبل أو المكان المرتفع . واللوى : مُسْتَرْقُّ الرمل . وجواب لو « أَنْكَرْتُ » ، وكأنَّ نَعْفَ اللَّوَى كَانَ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ ، فيقول : لو كُنْتُ فِي أَرْضِي وَمَعِيَ عَشِيرَتِي وَأَهْلِي ، نِمْتُ مُتَمَتِّئًا مَا مُتَمَتِّئًا لِأَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَقْبَلْهُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَذْهَبْ عَمَّا وَصَّانِي بِهِ صَاحِبِي مِنْ قَوْلِهِ : الزَّمْ نَصِيبَكَ مِنَ الدَّلِّ إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، وَمَتَبَاعِدَا عَنْ نُصَّارِكَ وَالْمَشْفِقِينَ عَلَيْكَ . وَانْتَصَبَ « نَصِيبِكَ » بِإِضْمَارِ فِعْلٍ .

٤٤٤

وقال قيس بن الخطيم ^(١) :

١- وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يَهَانُ بِهَا الْفَتْحَى إِلَّا بَلَاءٌ

٢- وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءُ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

(١) هو قتادة بن خرجة الثعلبي ، من بني عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان . انظر البيان (٣ : ٢٤٩) . والبيتان وردا في معجم البلدان في رسم (السلسلين) بدون نسبة أيضاً .

(٢) في البيان : « بهر اللوى » .

(٣) وكذا روايته في المعجم . وفي البيان : « إِذَا كُنْتَ نَائِيَا » .

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٦ ص ١٨٣ .

٣ - يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَبَابِي اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ

٤ - وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيِّئَاتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءٌ

قوله « وما بعضُ الإقامة » إنما بعضها لأنه أشار إلى الإقامة التي أوائلها تنزّاحُ معها العمل، ويسهل في اختيارها الانفصال والترحل، وأواخرها تتغيّر بما يعرض فيها حتى يشقّ لها التلوّم والتثبّت. وارتفع « بلاء » لأنه خبر المبتدأ، وهو بعضُ الإقامة، و« يُهَانُ بها الفتى » في موضع الصّفة لقوله في ديار. فيقول : إذا أمكنّ الارتحالُ عن دار الهوان، ولا دافع ولا مانع يُوجبان الصّبر فالإقامة بها بلاء، ويجبُ على الحرّ طلبُ الانفكاك منه، ورؤمُ الخلاص من أذاه.

وقوله « وبعضُ خلائقِ الأقوامِ » يريد أن بعضَ ما يتخلّق به النَّاسُ يتعدّر مفارقتَهُ ومُداواةُ إزالته، فهو كالدّاء الذي يكون بالإنسان وقد استصحبه من بطنِ أمّه. يريد أن ما اعتاده الإنسان من الأخلاقِ يصيرُ إذا أتت الأيّامُ عليه، وقوى الإلفُ له، كالخِلَقة أو ما يجري مجراها.

وقوله « يريد المرء أن يُعطى منه »، معناه أن الإنسان يتمنّى أن يحصلَ له^(١) ما يتعلّق به شهوته، ويرتاده هواه وإرادته، ويمنعُ الله تبارك وتعالى إلا ما يكون بمشيئته، ويعرفه من مصالح خليفته.

وقوله « وكلُّ شديدة » يريد أن الشّيء لا يدوم على حال، فالشدائد إذا نزلت يتعقّبها الخيرُ ورخاء العيش وسعته، لأنّ لكلِّ أمرٍ أمداً يمدُّ له الوقت، فإذا تفاهى انقطع.

٥ - وَلَا يُعْطَى الْحَرِيبُ غَنًى لِحَرَصٍ وَقَدْ يَنْمِي إِلَى الْجُودِ التَّوَاهُ^(٢)

(١) هذا ما في ل. وفي الأصل : « يجعل له ».

(٢) ل : « فلا يعطى ». التبريزي : « على الجود ».

٦ - غَنِيَ النَّفْسِ مَا عَمَرَتْ غِنًى وَفَقِرَ النَّفْسِ مَا عَمَرَتْ شَقَاءَ

٧ - وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

٨ - وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ الثُّوكِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

قوله « ولا ^(١) » يُعْطَى الحريص « يريد أن حِرْصَ الإنسان في طلب الغنى لا يُجْدِي عليه نفعاً ، ولا يَقْرُبُ منه بعيداً ، لأنَّ ميسر اليسر والغنى هو مَنْ له الخلق والأمر ، وإليه الإبرام والنقض .

وقوله « وقد يَنْبِى إلى الجود » يريد أن التَّوَدُّعَ والكُثْرَ هُمَا يَنْمِيَانِ مع الجود . وإنَّمَا يَقْدَحُ بهذا الكلام في البخل والإمساك ، وأنَّ زيادة المال وبقاءه لا يحصلان لهما وبهما . وقوله « إلى الجود » إلى بمعنى مع . تقول : هذا إلى ذاك .

وقوله « غَنِيَ النَّفْسِ مَا عَمَرَتْ غِنًى » ، يريد أن غِنَى النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ ؛ لأنَّ مَنْ كَانَ رَاضِياً بِمَالِهِ ، غَنِيّاً عَنْ غَيْرِهِ بِمَا يَحْصُلُ فِي يَدِهِ ، تَرَاهُ بِاكتفائه أَغْنَى الْمُسَرِّينَ ، وَفَقِيرُ النَّفْسِ وَإِنْ سَاعَدَهُ الْمَالُ ، وَأَطَاعَهُ الْقَدَرُ يَزْدَادُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ وَزِيَادَةِ الْحَالِ ، حِرْصاً وَنَهْمَةً وَشَقَاءَ .

وقوله « وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ » ، يريد أن الْبُخْلَ لَا يَنْتَفِعُ بِمَالِهِ ، لِأَنَّهُ يَجْمَعُهُ وَيَتْرَكُهُ لِغَيْرِهِ ، وَالسَّخَاءُ لَا يَقْصُرُ بِصَاحِبِهِ ، بَلْ يَرْفَعُ مِنْهُ ، وَيَكْسِبُهُ الْحَمْدَ وَالْأَحْدُوثَةَ الْجَلِيلَةَ .

وقوله « وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ » ، جَعَلَ الدَّاءُ لِلْجِنْسِ فَنَابَ عَنْ الْجَمْعِ فَقَالَ : بَعْضُهَا يُعْرِفُ شِفَاؤَهُ فَيُطَلَّبُ إِزَالَتُهُ ، وَدَاءُ الْحُمَقِ لَا شِفَاءَ لَهُ ، وَلَا يَحِيدُ

لصاحبه عنه . وقوله « شِفاه » قَصَرَ الممدود ، وهذا لا خلاف في جوازِهِ
على المذهبين .

٤٤٥

وقال يزيد بن الحكم^(١) :

١ - يا بَدْرُ والأمثالُ يَضُ رِبُّها لَدَيَّ اللَّبُّ الحَكِيمُ

٢ - دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ ما خَيْرُ وُدٍّ لا يَدُومُ

قوله « والأمثالُ يَضُرُّها » اعتراض دَخَلَ بين قوله « يا بدر » ، وبين دُمٌ للخليل .
من البيت الثاني ، وثَبَّةٌ بهذا الاعتراض على أَنَّ وصِيَّتَهُ وصِيَّةُ حَكِيمٍ ، وأنَّ
اللَّيِّبَ العاقلَ يأخُذُ بها ويتأدَّب .

ومعنى قوله « دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ » أى بُوْدُكَ له ، فأضافه إلى المفعول ، والمصدر .
كما يضاف إلى الفاعل يُضاف إلى المفعول . وقوله « ما خير وُدٍّ » استفهامٌ على
طريق الاستثباتِ والقصدِ إلى التَّنْفِي . والمعنى : أَنَّ الوداد إذا لم يَصْفُ ولم يَدُمُ
فلا خيرَ فيه . وقوله « لا يدوم » صفة لودٍّ . تلخيصه : أى شئٌ خيرٌ وُدٍّ
غير دائم .

(١) التبريزي « ... يعط ابنه بدرا » . وهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم . مر الفرزدق يوماً به وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من
هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم أشهد بابقه
أن عتي ولدته . ودعاه الحجاج يوماً فولاه كورة فارس ودفع إليه عهده بها ، ثم أنشده بعض
شعره فأنفاه يفخر بأبيه ، فنفس عليه ذلك واسترد العهد منه ، فخرج يزيد مغاضباً ولحق بسليمان
ابن عبد الملك فدهسه ، فأعجبه ذلك وقال له سليمان : كم كان أجرى لك لهمة فارس ؟ قال :
عشرين ألفاً . قال : فهى لك على ما دمت حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠١) والخزانة
(١ : ١١١) .

- ٣- واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
 ٤- واعلم بأن الضيف يؤم ما سوف يحمده أو يلوم
 ٥- والناس مبنين مئود البناية أو ذميم^(١)

يقول : اعرف حق الجوار لجاورك ، فإن الكريم هو الذى يعرف حق مثله . وقوله « والحق يعرفه » الواو واو الحال ، وهو واو الابتداء . ولورويته بالفاء كان أجود ، والمعنى اعرف حق الجار لأن حقه تعرفه الكرام . فإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حقه ، كأنه قال : اعرف حقه معروفاً للكرام ، وهو معروف للكرام .

وقوله « واعلم بأن الضيف » يقال علمت كذا ، وبكذا . وهذه الوصاة بالضيف فدعها بقوله « سوف يحمده أو يلوم » . والمعنى : أحسن إليه وتفقهه ، عالماً بأن نزوله بك يجلبُ حمداً إن أحسنت إليه ، أو لوماً إن أسأت إليه أو قصرت في حقه .

وقوله « محمود البناية » أتى بالبناية غير مبنية على مذكر حصل من قبل ، ثم أدخل تاء التأنيث عليه ، فهو كالثنائية اسم الحبل ، والشقاوة والرعاية والعبادة . ولو كان مبنياً على مذكر لكان « البناية » لأن الواو والياء إذا كانا حرفي إعراب بعد ألف زائدة تبدل منهما الممزة . على ذلك : الرعاء والكساء والرداء والباب كله .

ومعنى البيت : أن أفعال عقلاء الناس لا تخلو من أن تكون مما يستحق به حمد أو ذم ، فهم يبنون مبانيتهم ، ويؤسسون مكاسبهم على أحد هذين الركنين ، وذلك لأن الأفعال تابعة للأغراض ، وغرض العاقل إليهما ينقسم ،

(١) في ل ضبطت « البناية » بكسر الباء وضمها مقرونة بكلمة « معا » ، تحقيقاً للضبطين .

فانظر ماذا تجلب على نفسك بما تبتنيه من فعلك ، وتدخره من كسبك .
وارتفع « محمود » على أنه بدل من « مبتدیان » ، أو خبر مبتدأ محذوف ،
كأنه قال : هما محمود البنية أو ذميم .

- ٦ - واعلم بُنْيَ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعِلْمُ
٧ - إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهَيِّجُ لَهُ الْعَظِيمُ^(١)
٨ - وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقَدُّ ضَاؤُهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْعَرِيمُ^(٢)
٩ - وَالْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ

قوله « بنى » إن ضمته فهو منادى مفرد ، وإن كسرتة فهو منادى مضاف
وقد حذف ياء الإضافة^(٣) . وإذا كان ياء الإضافة فى المندادى يُحذف فى نحو يا غلام
لأن الكسرة تدل عليه ، وهو واقع موقع ما يُحذف فى هذا الباب وهو انتنوين
وباب النداء باب حذف ، لكثرة الاستعمال ، فهو فى بنى أولى بالحذف ، لاجتماع
الياءات والكسرات . فى آخرها وقوله « فإنه بالعلم ينتفع العلم » الهاء ضمير
الأمر والشأن ، والجملة اعتراض بين اعلم ومفعوليه . والمراد باستعمال العلم ، وذلك
أن من علم طرق الرشاد ثم لم يسلكها كان معرفته بها وبالأعلى عليه .

وقوله « إن الأمور » مفعول واعلم ، ودقيقها مبتدأ وما بعده خبره ، والجملة
خبر إن . ولك أن تكسره فتقول « إن » على الاستئناف ، ويكون واعلم معلقاً

(١) كتبت « أن » بكسرة وفتحة لتقرأ بالروايتين .

(٢) تقضاه ، كتبت فى ل بالتاء والياء معا ، لتقرأ بالروايتين .

(٣) بنى ، كذا ضبطت فى النسختين والتبريزى . وهما الوجهان الكثيران فى العربية .
لكن الأكثر فى الاستعمال المعاصر « بنى » بفتح الياء ، وهو استعمال صحيح وردت به قراءة .
عاصم فى قوله تعالى : « يا بنى اركب معنا » ، وقراً باقى السبعة بالكسرة اجتزاء بها عن الياء .
أما قاء عاصم فهى اجتزاء بالفتحة عن الألف ، وأصلها « يا بنينا » كما فى قولهم « يا حسرتنا »
ويا غلاما . التصريح (٣ : ١٧٧) وتفسير أبى حيان (٥ : ٢٢٦) .

والعنى : أن الشرَّ يبدوهُ أصغرُهُ ، كما أن السَّيْلَ أولُهُ مطرٌ ضعيف . وهذا الكلامُ بَعَثَ على النَّظَرِ فى ابتداءات الأمور وتصورِ عواقبها .

وقوله « والتَّئِبِلُ مثلُ الدِّينِ » ، التَّئِبِلُ : الدَّخْلُ ، ومعنى يُلَوِّى يَمُطِّلُ ، ومصدرُهُ اللَّوَّى واللَّيَّانُ . وفى الحديث : « لَيْتَ الواحدِ يُحِلَّ عقوبته » . وقد روى « يُلَوِّى » و « يُلَوِّى » فإذا رويت يُلَوِّى بالكسر ، فمعناه يذهب بالحق ، يقال : ألوى بالشئ إذا ذهب به ، و « يُلَوِّى » هو بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ، لَوَّى إذا مَطَّل . والغريم : اسمٌ لمن لهُ الدِّينُ ، ولِلَّذى عليه الدِّينُ . وأصل الغرامة اللزوم ، وإِكون كلُّ واحدٍ منهما ملازماً لصاحبه إلى أن ينقضى ما بينهما أُجْرِي الاسمُ عليهما . والمعنى أنَّ الوِثْرَ والدَّخْلَ كالَّذين على الوِثَرِ ، فهو بَعَرَضٍ المطالبة به كإغريم ثمَّ ، قد يَقْضَى وقد يَمُطِّلُ ، فلا تكتسبه ، لأنَّ العداواتِ وخيمَةُ الأواخر ، سيئة المبادئ .

وقوله « والبَغْيُ يُضَرِّعُ أهْلَهُ » يقول : وإذا كان لك خَصَمٌ فى شئ فلا تستهن به ، ولا تستعمل البغى معه ، فإنَّ من بَغَى عليه بَعَرَضَ الضَّرَّةَ ، والباغى بَعَرَضَ التَّلَفَ والهِلَكةَ ، ولا تَظْلِمُ فإنَّ الظلمَ ذمُّ المُرْتَعِ وبَيْلُهُ ، وفَظِيعَ المَسْمَعِ قبيحُهُ . ويقال : ظَلَمْتُهُ ظُلْماً بفتح الظاء وهو المصدر ، وظُلماً بضم الظاء وهو الاسم .

١٠ - ولقد يَكُونُ لَكَ الغَرِيْبُ بُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الحِمِيمُ

١١ - والمرءُ يُكْرِمُ للغنى وَيُهْزَأُ للعَدَمِ العَدِيمُ

١٢ - قد يُقْتَرِ الحَوْلُ التَّقْوى وَيُكْثِرُ الحَقُّ الأَئِيمُ

١٣ - يُمْنَى لِذَاكَ وَيُنْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ

قوله « ولقد يكون » معناه أن الوفاء قد يكون في الغريب إذا آخيته ،
والخيانة تتفق من القريب إذا صافيته ، فانظر لنفسك إذا اخترت ، ولا تعتمد
القربى والقربة ، فإن المواخاة مبنية على الأصول الزكية ، والنفوس الوفية ،
لا على الأنساب والأسباب .

وقوله « والمرءُ يُكرَّم » بقول : ادّخر المال واسع في جمعه ، وإياك
واستعمال التبذير فيه ، فإن اليسير منه مع حسن التدبير يتصل بقاؤه ، وكرامة
المرء متسببة عن غناه ، كما أن هوانه في قران فقره . وقوله « والمرء » ارتفع
بالابتداء ، وخبره يُكرَّم ، وقد عطف على هذه الجملة جملة مخالفة لها من
التقارب لما صلح ذلك . ومثله قول الآخر ^(١) :

* أموفٍ بأدراع ابن ظبيّة أم تدم * ^(٢)

على العكس من هذا قول الله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهم أَمْ أَنْتُمْ
صَامِتُونَ ﴾ ، لأن هذا عطف فيه المبتدأ والخبر على الفعل والفاعل .

وقوله « قد يُقتر الحول » ، فالحول : الكثير الحيلة . وصحح بناؤه ولم
يُعلّ إخراجاً له على أصله ، وتنبيهاً أن ما علّل من نظائره كان حكمه أن يجيء
على هذا . ومما جاء على القياس من نظائره : رَجُلٌ مَالٌ وَصَاتٌ وَمَا أَشْبَهُ مَا .
وكذلك هذا كان يجب أن يقال حال . والمعنى أن الكثير الحيل ، الخراج
الولّاج ، وهو سديد في طرائقه ، قد يفتقر فيكون مُقِلّاً ، وأن المائق الناقص
في عقله ، المكتسب بجهله ، المرتكب للأوزار بحرصه ، قد يستغنى هو فيكون

(١) هو راشد بن شهاب اليشكري . انظر البيت ١١ من المفضلية ٨٦ .

(٢) ظبية ، كذا وردت في النسختين . وفي المفضليات : « ظبية » . وصدده :

* أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد *

مُكْتَرًا، إِذْ كَانَتْ الْقِسْمُ وَالْحُظُوظُ لَا تَقِفُ عَلَى كَيْسِ الْمَرْءِ وَخُرْقِهِ،
وَلَا عَلَى تَقَاهُ وَفِسْقِهِ.

وقوله « يُمْتَلَى لِدَاكَ » أشار بذلك إلى الْحَقِ الْأَيْمِ، وبهذا إلى الْحَوْلِ
الْتَقَى. وقد طابق بذلك وهذا^(١) فيقول: أُمْتَلَى لِدَاكَ الْجَاهِلُ وَأَرْخَى لَهُ الْحَبْلُ
مَنْعَالٍ مَا نَالَ، وَابْتُلِيَ هَذَا الْحَوْلُ التَّتَى حَتَّى شَقِيَ وَحُرِمَ، فَأَيْتَهُمَا الْمَظْلُومُ. والمعنى
أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِسْمَةٍ مَنْ عَرَفَ مَصَالِحَ خَلْقِهِ، وَعَلِمَ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ حَالُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَاخْتَارَ الْأَحْكَمَ فِي التَّدْبِيرِ، وَالْأَصْلَحَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.

١٤ - وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقُّو قِ وَلِلْكَلَالَةِ مَا يُسِيمُ

١٥ - مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو نِ وَرَبِّهَا غَرَضُ رَجِيمُ

١٦ - وَبَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَهْشِيمُ

يقول: تَرَى الرَّجُلَ يُسَوِّفُ بِمَا يُلْزِمُهُ مِنْ أَدَاءِ الْحَقُوقِ، فَيَبْخُلُ بِإِخْرَاجِهِ
وَأَدَائِهِ، فَيَمُوتُ عَمَّا يَجْمَعُهُ وَيَبْخُلُ بِهِ، وَيَتْرَكُهُ لَلْكَلَالَةِ. وَالْكَلَالَةُ هُمُ
الْوَرَاثُ وَقَدْ خَلَوْا مِنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ. وَأَصْلُهُ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ، إِذَا أَحَاطَ بِهِ.
وَقِيلَ هُوَ مِنَ الْكَلَالِ: الْإِعْيَاءُ؛ كَأَنَّ بُعْدَ النَّسَبِ أَكَلَهُ. وقوله « مَا يُسِيمُ »
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَسَامَتَهُ لِمَالِهِ لِغَيْرِ لَانْفُسِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ مَا بِمَعْنَى الَّذِي، وَقَدْ حُذِفَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَيْهِ مِنْ يُسِيمُ، كَأَنَّهُ قَالَ:
وَلِلْوَرَاثَةِ مَالُهُ الَّذِي يُسِيمُهُ. وَالْإِسَامَةُ: إِخْرَاجُ الْمَالِ إِلَى الْمَرْغَى. وَيُقَالُ:
أَسَمْتُ الْبَعِيرَ فَسَامَ. وَمِنْهُ السَّامَةُ لِلْمَالِ: الرَّاعِيَةُ.

وقوله « مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ » اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ. فيقول: مَا يُغْنِي
بَخْلُ مَنْ هُوَ لِلْحَوَادِثِ كَالْغَرَضِ الْمَنْصُوبِ لِلرَّغْمِ، فَإِذَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ غَيْرُ

(١) هذا ما في ل. وفي الأصل: « طابق هذا وذلك ».

تُحْلَدُ ، بل هو منقول من دار الفناء إلى دار البقاء ، فلماذا يُمَسِّكُ ولا يُنْفِقُ ،
ويَجْمَعُ ولا يَفْرُقُ . هذا وقد رأى الأمم الخالية قبالة ماتوا وفنوا فعادوا رمياً ، كما
يَهْمِدُ النباتُ فيصيرُ بعد نَضارته دَرَبًا هَشِيماً ، وهو الياض المتشتم الأسود
لطول القِدَمِ . والمُنُونُ يكون اسماً للدهر فيذكر ، ويُرادُ به المنيئة فيؤنث .
وهو من المَنِّ : القطع . فلك أن تروى : « وَرَيْبِهَا » « وَرَيْبِهَا » جميعاً . ومعنى
« وَرَيْبِهَا » نزولها ، قال أبو عبيدة : رابَ عليه الدهرُ ، أى نَزَلَ . وقد يرادُ
بَرَيْبِ الزَّمانِ أحداثُهُ وَصُروفُهُ الرَّابِيةُ .

١٧ - وَتُخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بَوسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ^(١)

١٨ - كُلُّ امْرِئٍ سَتَتِيْمٌ مِنْهُ الْعَرَسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيْمٌ

١٩ - مَا عَلِمُ ذِي وَلَدٍ أَيْشَ كَلَّهُ أَمِ الْوَلَدُ الْيَتِيْمُ

يقول : وإذا كانت الدنيا مبنية للفناء لا للبقاء ، والخراب لا للعامة ،
وكذلك أعراضها مخلوقة للزوال لا للدوام ، وقرب الأمد في الاستمتاع بالمعار
لا الإماء ، فلماذا يفرح الإنسان بما يغال ، ويجزع لما يفوت ، وكلُّ بائدٍ
غير ثابت ، ومُستَلَب غير موفّر .

وقوله « كُلُّ امْرِئٍ » ، يقول : إنَّ الأليفين فيها لا بدَّ من فقدان أحدهما
للآخر ، والبعْلُ يموتُ فتتبقى العرسُ منه أَيْمًا ، لتقدم موته ، والعرسُ يموتُ
فيبقى هو منها أَيْمًا لتقدمها . ويقال : رجلٌ أَيْمٌ وامرأة أَيْمٌ . وقد آمت تَتِيْمٌ
أَيْمَةً . وكذلك ذو الولد لا يدرى أيموتُ فينتَمِ الولدُ ، أم يهلك الولدُ فيشكل
الوالدُ ، فإنَّ سُكَّانَ الدنيا موعودون لأجلٍ منَظِّرة ، مدعوون لأحوالٍ مؤخِّرة .

(١) « تخرب » ضبطت في ل لتقرأ بالثاء والياء . تخرب مخفف تتخرب ، وتخرب هو
المبنى للمفعول من مضارع « خرب تخريباً » .

وقوله « ما عِلْمُ ذِي وَلَدٍ » استفهامٌ معناه النَّفْيُ ، والمراد : لا يَعْلَمُ الوالدُ ما يكون منه ومن ولده في الإمهال والاستعجال ، أى لا يَدْرِى أىُّ الأمرَيْنِ يَتَمَع . وقد عطف قوله « أُمُّ الْوَلَدِ الْيَتِيمُ » وهو جملةٌ من ابتداء وخبر على « أَبَشَكْلُهُ » وهو فعل وفاعل . وجازَ ذلك لما قدَّمته ^(١) .

٢٠ - وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّلَابُ بُ عَلَى تَلَاتِلِهَا الْعَزُومُ

٢١ - مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَنْجِمُ

٢٢ - وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرْحُ السَّوْؤُ

٢٣ - وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا الْمَنَا هَبْ عِنْدَ كِبَتِهَا الْأَزْوَ

الصَّلِيب : الصُّلْبُ ذُو الصَّلَابَةِ . وَالتَّلَاتِل : الشَّدَائِدُ ، وَيُقَال : تَلْتَلَهُ ، إِذَا حَرَّكَ . يَقُول : وَصَاحِبُ الْحَرْبِ هُوَ الصَّبُورُ عَلَى شِدَائِدِهَا ، الْقَوِيُّ الْعَزِيمُ فِي مَصَارِفِهَا ، الْحَامِي الشُّكَّةِ ^(٢) عَلَى نَوَائِبِهَا ، فَلَا يَمَلُّ عِضَاصَهَا ، وَلَا يَنْجِمُ عِنْدَ حَقَائِقِهَا . وَمَعْنَى يَنْجِمُ : يَنْجُبُن .

وقوله « مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ الصَّلِيب . وَالضَّرْس : الْعِضْءُ ، وَأَصْلُهُ إِصَابَةُ الشَّيْءِ بِضَرْسِهِ .

ثُمَّ قَالَ : وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرْبَ لَا يُطِيقُهَا الْمَلُولُ النَّزِقُ ، الْعَاجُولُ الطَّرِيفُ ^(٣) ، لِأَنَّ مَبَانِيهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ ، وَالتَّدْبِيرِ السَّدِيدِ ، وَالْحَذَرِ الشَّدِيدِ ، وَاسْتِمَالِ الْإِقْدَامِ فِي وَقْتِهِ ، وَالْإِحْجَامِ لَدَى مُوجِبِهِ . وَقَوْلُهُ « لَا يَسْطِيعُهَا » يَرِيدُ لَا يَسْتَطِيعُهَا . وَالْمَاضِي مِنْهُ اسْطَاعَ يَسْتَطِيعُ بِكَسْرِ الْمَمْرَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتَطَاعَ ، فَحُذِفَ التَّاءُ .

(١) انظر ما سبق في ص ١١٩٤ .

(٢) الشُّكَّةُ : السِّلَاحُ . وَفِي ل : « السُّكَّةُ » .

(٣) الطَّرِيفُ : الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى حَالٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « الطَّرِيقُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

وقوله « والخليل أجودُها » يريد : خير الخليل ما يَنْتَهَبُ الأرضَ انتهاباً في سعيه . وقال الخليل : المُنَاهَبَةُ : المُبَارَاةُ في الجَرْمِ والحُضْر . ومعنى « عند كَيْبَتِها » أى حَمَلَتِها . وسُئِلَ رجلٌ ^(١) : كيف طَعَنْتَ قَتِيلَكَ ؟ قال : « طَعَنْتُهُ فِي السَّكْبَةِ ، طَعْنَةً فِي السَّيِّئَةِ ^(٢) » فَأَنْفَذْتُهَا مِنَ اللَّبَّةِ . وكل ما جَمَعْتَهُ فَقَدْ كَبَيْتَهُ . ومنه كُبَّةُ الغَزْلِ . والأزوم : العضوض . والأزُم : العَضُّ ، وكُنِيَ بِهِ عن الاحْتِمَاءِ فَقِيلَ : « نِعَمَ الدَّوَاهِ الْأَزُم » ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَزُمَ هُنَا الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ .

٤٤٦

وَقَالَ مُنْقِذُ الْهَلَالِيِّ ^(٣) :

- ١ - أَيْ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كَفْتُ مِنْهُ بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشَكٍ رَحِيلٍ
 - ٢ - كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولٍ
 - ٣ - مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْتِكْرَثَمَ إِلَّا كَفَكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الْفُضُولِ
 - ٤ - وَبَلَاءٍ خَلُّ الْأَيْدِي وَأَنْ تَسَّ مَعَ مَنَّا تُؤَنِّي بِهِ مِنْ مُنِيلٍ
- قوله « أَيْ عَيْشٍ » استفهام مبتدأ . والمعنى الإِزْرَاءُ بِهِ وَالذَّمُّ لَهُ . « وَإِذَا » تَعَلَّقَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ عَيْشِي . والمراد : إِذَا كَفْتُ مِنْ عَيْشِي بَيْنَ سَفَرٍ مُتَوَاصِلٍ ، وَنَزُولٍ وَارْتِمَالٍ مُتَتَابِعٍ ، وَلَا أَنْالُ دَعَةً ، وَلَا أَحْصِلُ خَفَضًا وَرَاحَةً ، فَكَأَنَّهُ لَا عَيْشَ لِي . وقوله :

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولٍ

(١) السائل هو النعمان بن المنذر . انظر اللسان (سبب ٤٤٠) والأغاني (١٤ : ٨٧) .

(٢) السبة : الاست . وقيل لأبي حاتم : كيف طعنه في السبة وهو فارس ؟ فضحك

وقال : انهزم فاتبعه ، فلما رقهه أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعنه في سبته .

(٣) سبقَت ترجمته في الحماسية ٣٦٩ ص ١٠٥٢ .

قد سَلَكَ مثلَ هذا المسلكِ أبو تمامٍ في قوله :

كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَا أَقْتَصِرُ عَلَى قَصْدٍ مُتَوَوٍّ ، وَرَغْبَةٍ نَفْسِي فِي جَانِبٍ مِنَ
الْأَرْضِ مُرْتَمًى ، وَلَسَكُنِّي أَنْتَقِلَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَفَاقِهَا ، وَأُضْرِبُ فِي
أَعْرَاضِ الْبَسِيطَةِ وَأَعْمَاقِهَا ، كَأَنِّي أَطْلُبُ بَعْضَ أَهْلِهَا بِتَرْتِيزَةٍ ، فَهُوَ فِي الْهَرَبِ وَأَنَا
فِي الطَّلَبِ .

وقوله « مَا أَرَى الْمَضْلَ » يَنْبَغِي بِهِ عَلَى أَنَّ سَعْيَهُ فِي إِصْلَاحِ عَيْشِهِ ، وَتَرْكِ
مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ شَأْنِهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ الْفَضْلُ وَالْعَفَافُ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ فِيمَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَ النَّاسِ عَلَى التَّكْرُمِ وَالْكَفَافِ ، إِلَّا إِذَا زَمَتَ نَفْسَكَ عَمَّا يَتَجَاوَزُ رَمَّ
الْحَالِ (١) ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ مَا يُمَكِّنُ الْاِكْتِفَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعَاشِ . فَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
تَحْمِيلُ النِّعَمِ عَنِ الْمُفْضِلِينَ ، وَتَمَتُّعُكَ امْتِنَانِ الْمُنِيبِينَ . وَهَذَا دَأْبِي فِيمَا أَلْتَزِمُهُ مِنَ
التَّعَبِ ، وَأَحِلُّ عَلَيْهِ نَفْسِي مِنَ التَّجَوُّالِ فِي الْبِلَادِ وَالتَّقَلُّبِ . وَارْتَفَعَ « بَلَاءٌ »
عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدِّمَ ، وَالْمُبْتَدَأَ خَلَّ الْأَيَادِي . وَقَوْلُهُ « تُؤْتِي بِهِ » مِنْ صِفَةِ الْمُنَى .

٤٤٧

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شِحَاذٍ (٢) :

- ١ - إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَفْقِيَتَ مَالَكَ حَامِدٍ
- ٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكَ بِجَنَابِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَذْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) رَمَّ الْحَالِ : إِصْلَاحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « مَرَّ الْحَالِ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ل .
(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شِحَاذٍ الضُّبِّيُّ » . أَبُو الْفَتْحِ : شِحَاذٌ عَلِمَ غَيْرَ مَنْقُولٍ .
قَالَ : وَأَجِيزٌ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَصْلِ مُصَدِّرُ شَاخِذْنِي يَشَاخِذْنِي شِحَاذًا ، إِذَا رَاسَلَكَ
وَضَاهَاكَ فِي شَحْدِ السَّيْفِ وَنَحْوِهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : « وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شِحَاذٍ كَكِتَابِ شَاعِرِ ضُبِّيٍّ » .

قوله «إذا أنت» جوابه ألفت ، وهو الفعل الواقع فيه ، لأن إذا بتضمه للجزاء يطلب جواباً ويكون ظرفاً له ، فيقول : إذا نلت اليسار والغني ، ومكنت من أطماع الدنيا فمكنتها ، ثم لم تنسخ بما يفضل من وجدك ، وجدت لا يثنى عليك حامد ، ولا يحفظ غيبك ذائد ، وفي الثناء الباقي على الدهر خف من نفاد العمر ، فإن لم تكتسبه بما تناله لحقك الذم ممن ألاحظهم سهام ، وألاحظهم سهام .

وقوله «إذا أنت لم تعرفك» جوابه رماك الأبعد . وكما بعث في البيت الأول على الإفضال وذم الإمساك مع القدرة ، بعث في هذا البيت على مصابرة العشرة واستبقائهم ، وترك مؤاخذتهم بما يتفق من هفواتهم ، وتدقيق محاسبتهم على بدواتهم وزلاتهم . فقال : لا يؤمنك إقبال الدنيا عليك إذ بارها عنك ، ولا دولة لك من إدالة منك . واعلم أنك إذا لم تعف عما يربيك من أدانيك ، ولم تحتمله في عفوك وحلمك ، اجتراً عليك الأبعد فمؤك بما لا صبر لك عليه من أذاهم ومكروهم . ويقال : عركت كذا بمنجي ، أى احتملته وجعلته منى بظهر . والعرك والدلك بمعنى واحد . وقال : « بعض ما يرب من الأدنى » ، إشارة إلى ما يكون فيه على الحلم محمول . لأنه ليس كل ما يرب يمد التجافي عنه حسناً .

٣- إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمّة ورواعد
٤- إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل جنيباً كما استنلى الجنيبة قائد

قوله «إذا الحلم» جوابه لم تزل ، فيقول : تحلم في كثير مما يعرفك ويطرقتك ، وانظر أن تكون لك الغلبة على جهلك ، والتملك لاحتدادك وصولك ، فإنك إن لم تستعمل الأناة في مقارضاتك ، وتسرع إلى المكافأة على ما يظهر لك ، ولم تضن بمن بلوته فعرفت مذهبته ، وخبرت خلائقه ، وصار

مستمدّ رأيك ومُشتكى حُزنك لم تنتفع بغيره ، واجتمعت عليك البروق والرواعدُ ممن تعدده لك وعليك . وهذا مثلُ لأنواع الأذى والمكروه ، والتوعد بضروب القول ، وفنون الفعل .

وقوله « إذا العزمُ لم يفرُج » جوابه لم تزل جنيباً . والمعنى : انظر لنفسك فيما تُشرف عليه طالباً للجزم ثم اعزم ، ودع التشكك والتلوم فيما يُريك رأيك وإلا بقيت تابعا لغيرك ، متوقفاً فيما يمشك ، كما يستتبع قائدُ الخيل مجنوباً له . وهذا بعثٌ على افتتاح الأمور ، واستعمال الاستبداد فيها بعدَ النظر والتعزم في الظاهر ، وتركِ التعرج^(١) على قولٍ مانع ، أو دفعٍ مُزاحم ، أو مذكّرٍ بعاقبة . كما وصّى في البيت الذي قبله بالرفق في الأمور التي تَكسب العداوات ، واستعمال الصبر فيما يجلب الضغائن ويُهيجُ الثّرات .

٥ - وَقَلَّ غَنَاءُ عَنْكَ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ إِذَا كَانَ مِيراثًا وَوَارَاكَ لِاحِدُ^(٢)

٦ - تَجَلَّلَتْ عَارًا لَا يَزَالُ يَشْبُهُ سِبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَالْقَصَائِدُ^(٣)

المراد بذكر القلة هاهنا النقي ، لا إثباتُ شيء قليل . وانتصب « غناء » على الحال ، أي مُغنياً عنك . فيقول : لا يُغني عنك مالٌ يجمعه إذا ذهبت عنه وتركته لورثتك ، فإن ما تملكه هو ما تُنفقه أيام حياتك ، وتصرفه فيما يدخرك لك أجراً ، أو يَكسب لك سخداً ، فأما إذا سترك من يُلحِدُ قبرك ، فما تتركه لغيرك لا حظَّ لك فيه ولا نصيب ، بل تكتسب عاراً . مه لا يزال يُوقدُ نارَه ، [ويرفعُ في المحفل ذِكْرَه سِبَابُ الرِّجَالِ ، من النثر تارة^(٤)] ، ومن النظم

(١) ل : « التمرجج » .

(٢) التبريزي : « إذا صار ميراثاً » .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت في اللالكى ٤٢٩ .

(٤) هذه التكلة من ل .

أخرى ، لأنَّ الباخلَ مذمومٌ بكلِّ لسانٍ حيًّا وميتًا ، وفي كلِّ زمانٍ موجوداً ومفقوداً ، ثم تراه كالجاني على كلِّ مَنْ يعرفه ، فهم يذُثمونه بظَهْرِ الغيب ، وَيَقْدَعُونَهُ في الحضور ، فلا يزال مسبوباً ، ما كَوَّلَ اللحمَ مدحوراً .

٤٤٨

وقال ^(١) :

- ١- وَيُلِمُّ لِدَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الْكَثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى الْمُتَلِفُ النَّدَى
٢- وَقَدْ يَغْقِلُ الْقُلَّ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُّ طَلَاعُ أَنْجَدِ

لفظة « وَيَل » إذا أُضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب ، تقول : ويل زيد ، والمعنى أَلَزَمَ اللَّهُ زَيْدًا وَيَلًا ، فإذا أُضيفت باللام فقليل : ويل زيد ، فحكه أن يُرْفَعَ فيصير مع ما بعده جملةً ، ابتدئ بها وهي نسكرة لأنَّ معنى الدعاء منه مفهوم . والمعنى : الويل ثابتٌ لزيد . كأنَّه عدَّه مُحْصَلًا له ، كما يقال : رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا ! فيجعل اللفظ خبرًا . وإذا كان حُكْمُ وَيَلٍ هذا وقد ارتفع في قوله « وَيُلِمُّ لِدَاتِ الشَّبَابِ » فمن الظاهر أن أصله وَيَلٌ لَأَمِّ لِدَاتِ الشَّبَابِ ، فحذف من أَمِّ الهمزة ، واللام من وَيَلٍ ، وقد أتى حركة الهمزة على اللام الجارة ، فصار وَيُلِمُّ . وقيل : وَيُلِمُّ ، كما قيل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إتيانًا لإحدى الحركتين الأخرى ، وقصده إلى مدح الشَّبابِ وتحميد لذاته بينَ لذاتِ المعاشِ

(١) يفهم منه أن البيتين لمحمد بن أبي شحاذ . لكن قال التبريزي : « وقال آخر » . وفي الخزانة (١ : ٥٦٣) : « ونسبهما الأعلام الشنتمري في حماسته حميد بن سجار الضبي » . وما هو جدير بالذكر أن محمد بن أبي شحاذ يقال له « حميد » أيضا . وكلمة « سجار » محرفة من شحاذ . انظر حواشي اللالك ٢٩٤ . ونسبهما البغدادى أيضا إلى علقمة الفحل . وهما في ديوانه ١٣٥ . ونسبا في اللسان (قلل) إلى خالد بن علقمة الدارمي ؛ وفي (نجد) إلى حميد بن أبي شحاذ الضبي .

وقد طاع لصاحبه الكثير، وهو كثرة المال، فاجتمع الغنى والشباب له وهو صخي مبدّر فيما يكسبه ذكراً جميلاً، وصيتاً عالياً. ثم قال: وقد يخبس قلة المال صاحبه دون ما يهتم له أو يهتم به. وقد كان لولا إضاقته وقلة ذات يده طلاباً للترقى في درجات الفضل والإفضال، طلاعاً على عوالم الرتب في النهايات. وانتصب « معيشة » على التمييز.

٤٤٩

وقالت حرقه بنت النعمان^(١):

- ١ - بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَنْصَفُ^(٢)
 ٢ - فَأَفِ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ
 بينا: كلمة تستعمل في المفاجآت، وهى من ظروف الزمان. وقد يقال بينا؛ كأنهم أرادوا أن يصلوه بدلاً مما كان يُضاف إليه من قبل بما أو بالألف، والمراد: بين الأزمنة التى تجرى علينا ونحن نسوس الناس ونُدبر أمرهم بما نريد، وطاعتنا واجبة، وأحكامنا نافذة، إذا الأمر انقلب فانضمت الأحوال، وتسلمت الأبدال. وصرنا سُوقَةً نخدم الناس. والناصف فى اللغة: الخادم. والسُوقَة: مَنْ دُونَ الْمَلِكِ. ومعنى « والأمر أمرنا »، أى لا يدفوق أيدينا.

(١) هى حرقه بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن نمار بن لحم. المؤتلف ١٠٣. التبريزى: « وحرقه هذه وأخوها حرق ابن النعمان، وفيهما يقول الشاعر:

نقسم بالله نسام الحلقة ولا حريقاً وأخته حرقه »

ومثله فى اللسان لكن جعل اسم أخيها « حريق » كما فى نص الشعر. ونبه التبريزى على أن الشاعر فتح لام « الحلقة » لضرورة الشعر.

(٢) كذا فى النسختين. وفى التبريزى والمؤتلف واللسان (نصف) : « إذ »

نحن فهم ».

والعامل في بينا ما دلّ عليه قولها « إذا نحن منهم سُوقة » . وإذا هذه ظرفُ مكان ، وهى المفاجأة ، وقد تقدّم القولُ فيه .

وقوله « فافٍ » فيه لغات عدّة ، يفتح ويكسر ويضم ، وينون في كل ذلك ويُترك التنوينُ فيه . وهو اسمٌ من أسماء الفعل ، وأسماء الفعل أكثر ما تقع في الأمر والنهى ، وفى باب الخبر تقع قليلا ، فمنها أفٍ هذه ، وواها ، وهيهات وأحرفٌ آخر . ومعنى أفٍ التحقير . كأنه قال : حقارةً لدنيا نعيمها يزول ، وحالها لا يدوم ، بل تقلّبُ بأهلها وتحوّل ، وتصرّفُ بطلّابها وتبدّل . فمن فتح أفٍ فلخفةُ الفتحة ، ومن كسر فلا لتلقاء الساكنين ؛ لأنّ الكسر فيه أولى ، ومن ضمّ فلا لنباع الضمة الضمة . والتنوين فيه أمانة للتّسكير ، وترك التنوين أمانة للتعريف .

وقال الحكم بن عبدل^(١) :

- ١- أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرْبُ مِنْ ٱ رَزَقٍ بِنَفْسِي وَأُنْجِلُ الطَّلَبَا
٢- وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبَا^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدى ، ينتمى نسبه إلى أسد بن خزيمه ، وكان «جاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، ومنزله ومنهجه الكوفة . وكان أعرج لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يجيب له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، وفى ذلك يقول يحيى بن نونل :

عصا حكم فى الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب فى المرصاة منها ويرهب

الأغنى (٢ : ١٤٤ - ١٥٣) والمؤتف ١٦١ .

(٢) التبريزى : « أخلاف غيرها » ، ثم قال : « وبروى : الصفوف والصفف :

فأتى يصف لها إنا مان فملؤهما . ومن روى الصفى فعناه الغزيرة . وبعض الناس ينشد : =

يَقُولُ : مَطَالِبِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَرَاعِي عَلَى حَدِّهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْكَرَمِ
وَالْتَعَفُّ ، لَا يَزِرِي بِي نَظَرُ النَّازِلِ إِلَيَّ ، لِأَنِّي إِذَا طَلَبْتُ أَجَلْتُ ، وَإِذَا
سُدَّتْ مَفَاقِرِي اكْتَفَيْتُ ^(١) ، ثُمَّ لَا أَعُوْلُ فِيمَا أَزَاوُلُهُ إِلَّا عَلَى نَفْسِي ، مُتَمِّمًا
سَعْيَ غَيْرِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى مَرَاعَاةِ التَّعَفُّفِ وَالْكَفَافِ .

وَقَوْلُهُ : « وَأَحْلَبَ الثَّرَّةَ الصَّغْفَى » يَقُولُ : أَعْلَقُ طَمَعِي بِمَنْ إِذَا اسْتَدِرَّ حَلَبَهُ
كَانَ غَزِيرًا ، لِأَنِّي لَا أَسِيفُ لِلْمَطَامِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلَا أَضْعُ نَفْسِي فِي الْمَوَاضِعِ
الْخَسِيسَةِ . وَالثَّرَّةُ : الْغَزِيرَةُ . وَيُقَالُ : عَيْنٌ ثَرَّارٌ ^(٢) ، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْمَاءِ .
وَالصَّغْفَى : الْجَامِعُ بَيْنَ مَحْلَبَيْنِ فِي حَلَبَةٍ . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غُيْرَهَا
حَالًا » انْتَصَبَ الْحَلَبُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَا أَطْلُبُ
الزَّهِيدَ الْحَقِيرَ الْقَدْرَ ، وَلَا أَسْتَدِرُّ الْبَكِي الْقَلِيلَ الدَّرَّ . وَالْحَلَبُ قَدْ يَرَادُ بِهِ
الْمَصْدَرُ ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ الْحُلُوبُ .

- ٣ - إِنْ رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبًا
٤ - وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبَا
٥ - مِثْلُ الْجَارِ الْمَوْقِعِ السَّوْءِ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبَا
قَوْلُهُ « إِنْ رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ » يَقُولُ : إِنْ مِنْ تَكْرُمُ عِرْقِهِ وَزَكَا
أَصُولِهِ ، إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَى اصْطِفَاعِ صَنِيعَةٍ ، وَهَزَزْتَهُ لَا بِقَنَاءِ مَكْرُمَةٍ ، أَجَابَكَ

أَخْلَافَ غَيْرِهَا ، يَهْذُبُ إِلَى الْغُيْرِ الَّذِي هُوَ بَقِيَّةُ الْبَيْنِ . وَقَدْ يَجُوزُ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ
يَكُونُ كَالْمَقْلُوبِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ : وَلَا أَجْهَدُ غَيْرَ أَخْلَافِهَا . وَمَنْ رَوَى : أَخْلَافَ غَيْرِهَا فَرَوَاهُ
أَحْسَنَ . يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَحْلِبُ إِلَّا ثَرَّةً ، كَأَنَّهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِطَلَبِ الرِّزْقِ فِي مِطَاقِهِ ، وَرَغْبَتِهِ إِلَى
الْكَرَامِ ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ النَّامِ .

(١) الْمَفَاقِرُ : وَجْهُ الْفَقْرِ ، لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعٌ مُنْقَرٍ . وَأَنْشَدَ :

لَمَّا لَمْ يَصْلَحْهُ فَيَفْنَى مِفَاقِرُهُ أَهْفَ مِنَ الْقَنُوعِ

(٢) كَذَا وَقَعَتْ فِي النُّسخَتَيْنِ بِدُونِ النَّاءِ . وَفِي اللَّسَانِ وَالْقَامُوسِ : « ثَرَّارَةٌ »

هِيَ « ثَرَارَةٌ » .

حريصاً على استغنامه وتَرَى الدَّيَّ الحَسِيسَ الهِمَّةَ والنفس لا يطلبُ ارتفاعاً ولا يَكْسِبُ ادِّخَاراً ، ولا يُسَمِّحُ بشيءٍ إِلَّا عن رهبةٍ ، فَعَلَّ مَنْ لا يَبْتَغِي في مَصَارِفِهِ حمداً ، ولا يَقْتَنِي لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ خِلاً ، فهو كالحمار السَّوءِ ، الذي بظهوره آثارُ دَبَرٍ وقد ذُلَّ في العمل ، لا يُجِبُّ إِلَّا إذا اسْتُحِثَّ حَتَّى يُضْرَبَ ، بِلادَةٍ منه وكَسَلاً . وقوله « لا يُخْسِنُ » موضعه من الإعراب نصب على الحال . وارتفع « مثل » على أنه خبر مبتدأ مضمَر .

وقوله « مثل الحمار الموقَّع » يجوز أن يُرَادَ منه الذي في ظهره أثر الإِكَافِ . أو الدَّبَرِ ، ويجوز أن يُرَادَ به المذلل ، كما يقال : طَبِقَ مَوْقِعٌ . ويجوز أن يكون من وَقَعَتِ الحديدَةُ ، إذا ضَرَبَتْهَا بِالْمِيقَةِ ، كأنه لِبِلادَتِهِ يُضْرَبُ كثيراً .

٦ - وَلَمْ أَجِدْ عُرْوَةَ الْخَلَائِقِ إِلَّا الدِّينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ وَالْحَسْبَ

٧ - قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْقِيمُ وَمَا شَدَّ بَعْسُ رَحْلاً وَلَا قَتَبَهُ

٨ - وَيُحْزَمُ الْمَالُ ذُو الْمَطْيَةِ وَلِرَّحْلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِلاً

قوله « لم أجِدْ » يريد أن مِسَاكَ الْخَلَائِقِ الشَّرِيفَةِ ، ووثائقُ عَمَإِهَا ، إِنَّمَا

هِيَ إِذَا اعْتَبَرَهُ الْمُعْتَبِرُ فِي الدِّينِ وَعِمَارَتِهِ ، وَفِي الشَّرَفِ وَتَحْصِيلِهِ . كأنه جَعَلَ

طَلَبَ الْحَسَبِ لِلدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا وَالْاعْتِلَاءِ فِيهَا ، وَجَعَلَ الدِّينَ لِلْآخِرَةِ وَتَقْدِيمَ

مَا يَفُوزُ بِهِ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَنْهُ وَجَلَّ ، وَالثَّوَابِ الْجَسِيمِ .

وقوله « قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْقِيمُ » سَلَكَ فِيهِ مَسَالِكُ الْآخِرِ^(١) فِي قَوْلِهِ :

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلْجَا الْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ اللَّجَجَا

الْبَيْتَيْنِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ .

وَالْخَافِضُ : الْوَادِعُ الَّذِي لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِتَجَوُّالٍ وَارْتِحَالٍ . فَيَقُولُ : قَدْ

يُنَالُ الرِّزْقَ الوَاسِعَ مَنْ لَا يُؤَثِّرُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي وَطْنِهِ شَيْئًا ، وَقَدْ تَرَى قَاطِعَ الشُّقَّةِ الْبَعِيدَةِ ، وَصَاحِبَ الرَّحْلِ وَالْمِطْيَةِ ، الصَّابِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ ، مُحْرَمًا مَضِيقَ الْعَيْشِ ، مَكْدُودَ الْعُمُرِ . وَالرَّحْلُ : مَرْكَبُ الْبَعِيرِ ؛ وَالرَّحَالَةُ نُحُوهُ ؛ وَهُوَ السَّرَجُ أَيْضًا . وَالْقَتَبُ : إِكَافُ الْجَمَلِ ، كَذَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ . وَقَوْلُهُ « ذُو الْمِطْيَةِ وَالرَّحْلُ » ، الرَّحْلُ : مُصَدَّرُ رَحَلْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا شَدَدْتَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ .

٤٥١

وقال آخر :

١ - يَا أَيُّهَا الْعَامُّ الَّذِي قَدْ رَأَيْتَنِي أَنْتَ الْفِدَاءُ لَذِكْرِ عَامٍ أَوَّلًا

٢ - أَنْتَ الْفِدَاءُ لَذِكْرِ عَامٍ لَمْ يَكُنْ نَحْسًا وَلَا بَيْنَ الْأَحِبَّةِ زَيْلًا

يَفْضُلُ أَيَّامَهُ الْمَاضِيَةَ عَلَى أَيَّامِهِ الْحَاضِرَةِ ، فَقَالَ لِلْحَاطِطِ لَهَا : أَيُّهَا الْعَامُ الَّذِي قَدْ أَتَى بِمَا تَرَيْتَنِي ، جَعَلَكَ اللَّهُ فِدَاءً لِعَامٍ أَوَّلٍ مِنْ عَامِي ، تَقْضَى بِمَا سَرَّانِي .

وقوله « عَامٍ أَوَّلًا » مِمَّا أُفِّدَ فِيهِ كَثْرَةُ الْإِسْتِعْمَالِ ، فَوُصِفَ بِصِفَةٍ لَمْ تَوْصَفْ بِهِ نَظَائِرُهُ ، اعْتِمَادًا عَلَى التَّعَارُفِ . وَالْمُرَادُ بِهَذَا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَهْرٌ أَوَّلٌ وَلَا حَوْلٌ أَوَّلٌ ، وَلَا سَنَةٌ أَوَّلَى ، وَإِنَّمَا خُصَّ هُوَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ ، وَلِأَنَّ دَلَالََةَ الْحَالِ وَتَعَارُفَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِهِ سَوَّغَ الْخُذْفَ وَالْإِجْرَاءَ عَلَى مَا أُفِّدَ فِيهِ .

وقوله « أَنْتَ الْفِدَاءُ » يَرِيدُ تَكَرُّيرَ الدُّعَاءِ عَلَى التَّضَجُّرِ بِحَاضِرِ وَقْتِهِ وَعَامِهِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى مَا رَابَهُ مِنْهُ . فَيَقُولُ : جَعَلَكَ اللَّهُ فِدَاءً لَذِكْرِ عَامٍ لَمْ يَعْذُ بِمَنْحَسَةٍ ، وَلَا حَكَمٍ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ بِفُرْقَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ « لَذِكْرِ عَامٍ » لِأَنَّ الْعَامَ وَقَدْ تَقْضَى لَا يَبْصَحُ فِيهِ التَّفْدِيَةُ ، وَالْفَحْسُ : ضِدُّ السَّعْدِ ، وَقَدْ وَصِفَ بِهِ الْعُبْرَةُ وَالْأَمْرُ الْمَظْلَمُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فِي أَيَّامٍ مَحْصَاتٍ ﴾ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ مُنَحَّسٌ أَيْ مُخْزُونٌ .

٤٥٢

وقال الفرزدق^(١) :

١- إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بآخرينا

٢- فقلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

يقول : إذا صُرِفَ الدهرُ أناختْ على قومٍ بإزالة نعيمهم ، وتكدير عيشهم ، فجرت عليهم أذيال الشرِّ والتَّعْيِيرِ ، ودَرسَتْ آثارهم ومَحَت دَوْلَهُمْ^(٢) ، تراها تنتقل إلى آخرين ، لأنها كما تَهْبُ ترتجع ، وكما تُؤَلَّى تستلب .

ثم قال : قل لمن شئت بنا فيما رأى من أثرِ الزَّمانِ فينا : انتبهوا من رَقَدْتُمْ واضْحُوا من شِمَانَتِكُمْ ، فستَلَقُونَ كما لَقِينَا ، ومُتَّحِنُونَ كما امْتَحِنَّا ؛ لأنَّ حَيَاتِنَا وجميع ما في أيدينا عَوَارٍ ، والعوَارِى تُسْتَرَدُّ وإن طالَّت المُهْلَةُ .

(١) انظر ما سبق في الحماسة ٢٢٦ ص ٦٧٦ .

(٢) الدول ، كذا وردت في النسختين بكسر ففتح ، وهى و « الدول » بضم فتح :

جمع الدولة .

٤٥٣

وقال الصَّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ^(١) :

- ١- أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ اللَّيَالِي وَمَرُّ الْعَشِيِّ^(٢)
- ٢- إِذَا أَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فِتِي
- ٣- نَزُوحٌ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي

ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام ، وصروف الأزمان ،
وأنها لا تقف عند غاية ، ولا تعرف فيما تجرى فيه مقرر نهاية ، وأن من عاداتها
تغيير الأمور ، وفي تقضيها وقضاياها تحويل الأحوال ، فقال : إن كرور
الأيام ، ومروور الليالي والأوقات ، تراها تجعل الصغير كبيراً ، والكبير
حقيراً ، وتجعل الطفل شاباً ، والشيخ فانياً ، فكلما خلقت جِدة يوم جاء
بعدها يوم آخر فتى جديد ، ونحن فيها ندأب في حاجتنا ، فلا نحن نمل ،
ولا حاجتنا تنفى أو تقل ، ولا الوقت بنا يقف ، ولا واحد منا يذتظر
أو يتوقف ، إذ كان ذو العيش مآربه متصلة ، كما أن أوقاته دائرة متتابعة .

(١) كذا ورد في نسخ الحماسة . وفي الحيوان (٣ : ٤٧٧) : « وقال الصلطان
السعدى ، وهو غير الصلطان العبدى » ، ثم أنشد الأبيات . لكن ذكر المرزبانى في معجمه
٢٢٩ « الصلطان العبدى » ، ثم قال : « وله القصيدة التى يوصى فيها ابنه ، وهى طويلة حسنة
كثيرة الأمثال » . وأنشد الأبيات . والصلطان لقب لعدة شعراء أحدهم الصلطان الفهمى . قال
الامدى فى المؤلف ١٤٥ : « لست أعرفه فى شعرائهم ، وأظنه متأخراً » . وثانيهم الصلطان العبدى
أحد بنى محارب بن عمرو بن وداعة بن لكبير بن أفضى بن عبد القيس ، وهو الذى قضى
بين جرير والفرزدق فى قصة مشهورة ، واسمه قثم بن خبيبة . قال الامدى : « شاعر مشهور
خيبت » . والثالث الصلطان الضبي ، قال الامدى : « لست أعرفه فى شعراء بنى ضبة ، وأظنه
متأخراً » . والرابع « الصلطان السعدى » الذى ذكره الجاحظ فى الحيوان . انظر أيضاً الخزانة
(١ : ٣٠٨) والشعراء ٤٧٥ - ٤٧٩ واللائى ٧٦٦ .

(٢) وكذا وردت الرواية فى الشعراء . وفى سائر المراجع والتبريزى : « كر الغداة » .

معنى هرمت يومها : ضعفته مُسلماً للزوال . ويقال : هو ابن هرمة أبيه ، كما يقال : هو ابن عجرة أبيه ، لآخر الأولاد ، كأنه من الهرم . والهرمى من الخشب : مالا دُخان له ، لميتقه وذهاب قوته . والفقي مصدره الفتاء ، وضده الذكي . ويقال : فتاء فلان كذا كذا فلان وكتد كية فلان .

٤- تموت مع المرء حاجاته ويبقى له حاجة ما بقي^(١)

٥- إذا قلت يوماً لمن قد ترى أروني السرى أروك الغنى^(٢)

يقول : تموت مع المرء حاجاته . يريد أن المرء ما دام حياً فأربيه وشهواته تتجدد تجدد^(٣) الأوقات ، وأمانيه تتصل ما انصل عمره ، فإذا جاء أجله وتناهى أمدّه ، انتهت مآربه ، ووقفت مطالبه .

وقوله « إذا قلت يوماً لمن قد ترى » يريد : وإن سألت كل من تقع عينك عليه من المميزين ، عن سراة الرجال وكراهم ، أحالوا على الكثيرين وإن ضعف رغباتهم في اكتساب الخير ، واستجلاب الحمد . والسرو : سخاء في مروءة . ويقال : سرو الرجل يسرو ، وهو سري من قوم سراق . وكان هذا سلك مسلك الآخر^(٤) حين قال :

وأن ثراء المال ينفع ربه ويذني عليه الحمد وهو مذمم

٦- ألم تر لقمآن أوصى بنيه وأوصيت عمرأ ونعم الوصى^(٥)

٧- بُنى بدا خب نجوى الرجال فكُنْ عند سرك خب النجى^(٦)

(١) في التبريزى وسائر المراجع : « وتبقى له » بالتاء .

(٢) وكذا في التبريزى والشعراء والخزانة . وفي الحيوان : « يوماً لدى معشر » .

(٣) ل : « بتجدد » .

(٤) هو مالك بن حزم الهمداني . الحماسية ٤٣٤ ص ١١٧١ .

(٥) التبريزى : « فنعم الوصى » . المرزبانى : « أوصى ابنه » .

(٦) انظر ما سبق في الحماسية ٤٤٥ ص ١١٩٢ .

٨ - وسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي وَسِرُّ اللَّهِ لَأَنْتَ غَيْرُ الْخَفِيِّ (١)
 معنى « ألم تر » : اعلم . ويريد النذبة على أن له فى وصائه ابنه اقتداء
 بالحكماء قبله ، فكما ساء لثمان أن يوصى ابنه ساء للصلتان أن يوصى عمرًا ولده .
 والحمود فى قوله « نعم الوصى » محذوف ، كأنه قال : ونعم الوصى هو . وهذا
 ترغيب منه لعمرؤ فى الاحتذاء بما يرضى له . وقوله « بنى بدا خب نجوى
 الرجال » ، فالخب : المكسر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار . ومنه
 « رجل صب » . والنجوى : مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على
 طريق السر (٢) والكتان . فيقول : إذا ناجيت صاحبًا لك فكن خبًا
 فيما تؤدعه من سرك ، فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها ، ومكر أربابها فيها ،
 عادت وبالأفضيحة . والتنجى يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى .
 وفى القرآن ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ .

وقوله « وسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي » ذهب فيه مذهب من قال :
 إذا جاوز الاثنى سِرٌّ فإنه يبدت وتكثير الوشاة قمين (٣)
 وقد قيل فى « الاثنى » من هذا البيت أراد به الشفتين . وكأن من فسر
 هذا التفسير يريد : لا تُفش سِرُّكَ إلى أحد .

آخر باب الأدب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على نبيه محمد وآله بعده .

(١) بعده عند التبريزى :

كَمَا الصَّمْتُ أَذْنَى لِبَعْضِ الرَّشَادِ فَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَذْنَى لِنَفْسِي

(٢) ل : « السر » .

(٣) ل : « بدت » بالنون . والبيت لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٨ . وفى الديوان :

« بنشر » .

obeikandi.com

بَابُ النَّسَبِ

obeikandi.com

بابُ النِّسَبِ^(١)

٤٥٤

وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيُّ^(٢) :

- ١ - حَنَنْتُ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا
 - ٢ - فَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أُسْمَعَا
- الحنين : تألم من الشوق وتشكّر . وربّيّا ؛ اسمُ امرأةٍ^(٣) . فإن قيل : هَلَّا قِيلَ رَوْي ، لَأَنَّ فَعْلَى إِذَا جَاءَ اسْمًا مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ يَقْلِبُ يَأْؤُهُ وَآوَا ، عَلَى هَذَا الْفَتْوَى وَالشَّرْوَى وَالتَّقْوَى وَالتَّقْوَى ؟ قُلْتُ : لِأَنَّهُ سُمِّيَ بِهِ مَفْقُولًا عَنِ الصَّمَّةِ ، وَفَعْلَى صِفَةٌ يَصْحَحُ فِيهِ الْيَاءُ ، عَلَى هَذَا قَوْلِهِمْ : خَزْيَا وَصَدْيَا وَرَبِّيَا كَأَنَّهُ تَأْنِيثُ رَبِّيَانٍ فِي الْأَصْلِ ، كَمَا يَقَالُ عَطْشَانٌ وَعَطَشَى ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ بَابِ الصَّمَمَاتِ إِلَى بَابِ

(١) التبريزي : « النسب » : ذكر الشاعر المرأة بالحسن ، والإخبار عن تصرف هواها به ، وليس هو الغزل ، وإنما الغزل الاستهتار بمودات النساء والصبوة إليهن . والنسب ذكر ذلك والخبر عنه .

(٢) هو الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّفِيلِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هَبيرةَ بْنِ عامرِ بْنِ سَامَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عامرِ بْنِ صَمْعَةَ ، شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ، وولده قُرَّةُ بْنُ هَبيرةَ صحبة بالنسب صلى الله عليه وسلم ووفادة . وكان من خبر الشعر ما روى التبريزي وأبو الفرج في الأغاني (٥ : ١٢٧) وياقوت في (البشر) والسيوطي في شرح الشواهد ٧٩ : أن الصَّمَّةَ خطب ابنة عمه إلى أبيها ، فقال : لا أزوجهما إلا على كذا وكذا من الإبل (في رواية التبريزي أنها خسون) . فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك ، وشكا إليه ما يجد بها ، فساق الإبل عنه إلى أخيه ، فلما جاء بها عدها معه فوجدتها تنقص بغيراً ، فقال : لا آخذها إلا كاملة ، فنضب أبوه وحلف لا يزيد على ما جاء به شيئاً ، ورجع إلى الصَّمَّةِ فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ، فقال : تالله ما رأيت قط ألام منكنا جميعاً . وإني لألأم إن أقمت بينكما . ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من ثغور الشام فلقى الخليفة فكلّمه ، فأعجب به وفرض له فرضاً ، وألحقه بالفرسان ، فأقام به حتى مات . وفي ذلك يقول هذا الشعر . والأبيات عند القالي (١ : ١٩٠ - ١٩٢) .

(٣) هي ابنة عمه التي أراد الزواج بها .

التسمية بها فترك على بقاءه . وقوله « ونفسك باعدت » الواو واو الحال ، وهي للابتداء ، ومعنى باعدت بَعَدَتْ ، وهو كما يقال ضَاعَمَتْ وَضَعَفَتْ . وفي القرآن : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ،

والمزار : اسمُ مكان الزَّيْرَةِ . والشعب . شَعَبَ الحَيَّ ، يقال : التَّامَّ شَعْبُهُمْ ، أى اجتمعوا بعد تفرُّق ، وشتَّ شَعْبُهُمْ ، إذا افترقوا بعد تَجْمُع . وقوله « وشعبا كما معا » الواو واو الحال أيضا ، والعامل في « ونفسك باعدت » حَنَنْتَ ، وفي قوله : « وشعبا كما » باعدت . ومعنى قوله : « معا » مجتمعان ومصطحيان ، وموضعه خبر المبتدأ .

وقوله « فما حَسَنُ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا » في حَسَنَ وجوهٌ : يجوز أن يكون مبتدأ ، وجاز الابتداء به وهو نكرةٌ لاعتماده على حرف النفي ، و « أَنْ تَأْتِيَ » في موضع الفاعل لِحَسَنٍ ، واستغنى بفاعله عن خبره ، والتقدير : ما يُحَسِّنُ إِيْتَاكَ الْأَمْرَ طَائِعًا . وانتصب طائعا على الحال من أَنْ تَأْتِيَ . ويجوز أن يرتفع حَسَنٌ على أنه خبر مقدم ، وأن تَأْتِيَ في موضع المبتدأ . ويجوز أن يرتفع حَسَنٌ بالابتداء وأن تَأْتِيَ في موضع الخبر ، وهذا أضعف الوجوه لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة . وقوله « وتجزع أَنْ دَاعَى الصَّبَابَةُ » أَنْ مخففة من أَنْ الثقيلة ، والمراد : وتجزع مِنْ أَنْ دَاعَى الصَّبَابَةُ أَسْمَعَكَ صوته ودعاك .

ومعنى البيتين : شكوتْ شَوْقَكَ إلى هذه المرأة ، وأنت آثَرْتَ البُعدَ عنها بعد أن كان حَيًّا كما مجتمعين ، وليس بمجمل اختيارك الأمر طائعا غير مُكْرَه . وجزعك بعده ، لأنَّ دَاعَى الشَّوْقِ والعائد منه إِلَيْكَ أَسْمَعَكَ وَحَرَكَ مِنْكَ .

٣ — قِفَاوَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا

٤ — وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْنِكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَذَمُّعًا

يخاطب صاحبين له يستوقفهما ويكلفهما توديع نجد معه والنَّزَلِ بالحِمَى منه . ثم استأنف فقال ملتفتا : ويقلُّ لنجدٍ وساكنه التَّوْدِيعُ مِنَّا ، لأنَّ حقَّهما أعظم

من ذلك ، ولـكـنـا لا نـقـدِّر على غيره . والـجـمـى : موضعٌ فيه ماءٌ وكـلـاً يُـمـنـع منه الناس . ويقال : أحميت المكان ، إذا جعلته حمى . وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون المكان وقد أبطل وأبيح ولم يُحم : بهرج . وأنشد :

فـخـيـرتُ بـيـنَ حـمـى وَبـهـرَج ما بين أجزاإِ إلى وادى الشحى^(١)

وقوله « أن يُودعا » في موضع الفاعل لقل .

ومعنى قوله « وليست عشيّات الحمى برواجع » أنك وإن أفرطت في الجزع ، فإن أوقات المواصلّة بالجمى مع أحبابك لا تكاد تعود ، ولكن آدم بالبكاء لها ، مع التوجّع في إثرها ، تجد فيه راحة . وفي هذا الملم بقول الآخر : فـنـلـتُ له إن البكاء لراحة به يشفى من ظنّ ألا تلاقيا

وقوله « تدمعا » جواب الأمر . ولو قال تدمعان ، لكان حالاً للمعينين .

٥- ولما رأيت البشر أعرض دُوننا وحالت بنات الشوق يحزن نزعاً^(٢)

٦- بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبكتنا معاً^(٣)

البشر : جبل^(٤) . وأعرض دُوننا : أبدى عرضه . وحالت : تحركت .

يقال : استحلّت الشخص ، إذا نظرت هل يتحرك . ومنه لا حول ولا قوة

إلا بالله ! والمعنى : لما تباعدنا عن نجد ؛ وحجز بيننا وبينه البشر ، تحركت

بنات الشوق نوازع كثيرة الحنين ، مظهره ضعف الصبر . وجواب لما قوله

« بكت عيني اليمنى » . وأراد بنات الشوق مسبباته . وهذا كما قال الآخر^(٥) :

يَضُمُّ إلى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّها كما ضَمَّ أَزْزَارَ القميصِ البنائقُ

(١) أجزاإِ : موضع بنجد .

(٢) الأمل والأمانى : « وحالت » بالجم .

(٣) التبريزى والأمالى : « بكت عيني اليمنى » .

(٤) جبل في أطراف نجد من جهة الشام .

(٥) هو المجنون ، كما في اللسان (بنق) .

فأطفالُ الحبِّ كبناتِ الشوق . والنزَّع ، الأشهر فيه أن يكون جمع نازع بمعنى كافٍ ، فوضَّعها موضع نوازع ، والألفظتان المتواخيتان لكونهما من أصلٍ واحدٍ يُستعار ما لإحداها الأخرى . وإنما قال « بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى » لأنه كان أعور ممتعا بعينه اليسرى^(١) . والعَيْنُ العوراء لا تَدْمَعُ . فيقول : بَكَتْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ ؛ فَاجْتَهَدْتُ فِي زَجْرِهَا عَنْ تَعَاطِي الْجَهْلِ بَعْدَ أَنْ كَفْتُ تَحْلُمْتُ وَتَرَكْتُ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا تَكَلَّفْتُ ذَلِكَ لَمَّا أَقْبَلَتِ الْعُورَاءُ تَدْمَعُ مَعَهَا وَتَبْكِي . وَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى عِضْيَانِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ ، وَقِلَّةِ اثْنَارِهَا لَهُ ، وَأَنَّهُمَا إِذَا زُجِرَا وَرُدَّاعَا عَنْ مَوَارِدِهَا زَادَا عَلَى الْمُنْكَرِ مِنْهُمَا .

٧- تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتَا وَأَخَذَعَا
٨- وَأَذْكَرُ أَبْطَامِ الْحَيِّ ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا
يقول : أَخَذْتُ فِي مَسِيرِي لَمَّا أَبْصَرْتُ حَالَ نَفْسِي فِي تَأْثِيرِ الصَّبَابَةِ فِيهَا ، مَلْتَفِتًا إِلَى مَا خَلَفْتُهُ مِنَ الْحَيِّ وَأَرْضِ نَجْدٍ ، حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ اللَّيْلِ - وَهُوَ عَرِيقٌ فِيهَا - لَطُولِ إِصْفَائِي ، وَدَوَامِ التَّفَانِي ؛ كُلُّ ذَلِكَ تَحَشُّرًا فِي إِثْرِ الْفَائِتِ مِنْ أَحِبَابِي وَدِيَارِهَا ، وَتَذْكَرًا لِطَيْبِ أَوْقَاتِي مَعَهُمْ فِيهَا . وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : إِنْ مِنْ رُمُوزِهِمْ أَنْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ فَالْتَفَتْ وَرَاءَهُ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ . وَأَنْشَدَ فِيهِ أَيْيَاتٌ مِنْهَا قَوْلُهُ :

عَيْلَ صَبْرِي بِالْغُلْبَةِ لَمَّا طَالَ إِلَيَّ وَمَلَّنِي قُرْنَائِي^(٢)
كَلَّمَا سَارَتِ الْمَطَايَا بِنَا مِيْلًا تَنْفَسْتُ وَالتَفْتُ وَرَأَيْ

(١) كناية عن أن عينه اليسرى هي العوراء . جاء في الكنايات للثعلبي ص ٣٦ س ٥ : « ويكنى عن الأعور بالممتع » .

(٢) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بالغلبيه » تحريف . والغلبيه : منزل من منازل طريق مكة من الكوفة ، قالوا : نسبت إلى ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء .

قالوا : التفت لى يُقضى له الرجوع ، لكونه عاشقاً .

وانتصب « ليتاً » لأنه تميز ، وهذا من باب ما نُقِلَ الفعلُ عنه ، كأنَّ الأصل : وجَعَ لى وأخذعى ، فلما شغل الفعلُ عنهما بضميره أشبهَا المفعولُ ففصبهما . ومثله : تصببتُ عرقاً ، وقررتُ به عينا .

وقوله « وأذكرُ أيامَ الحى ثم أننى » يقول : وأندكرُ أوقاتى بالحى لما كان من أسباب الوصال تساعد ، وبين دورنا ودور الأوبة تقارب ، وللتراسل إمكان ، ومع الحبيب فى الوقت بعد الوقت تلاق واجتماع ، ثم أنمط على كبدى وأبيض عليها مخافة تشققها ، وخروجها من مواضعها ، شرقاً إلى أمثالها ، وحسرة فى إثر منقطعها .

وقد ذكر هذه الأبيات أبو عبد الله المفجع رحمه الله ، فى حدّ الفزل من كتابه المعروف بالترجمان ، فذكر بيتين منها فى (باب الصبابة) ، وهما :

* حذت إلى ربنا ونفسك باعدت *

و : * فما حسن أن تأنى الأمر طائفا *

وقال فى تفسيرهما^(١) : « يقول : الحرب بينك وبين قومك تمنعك من قربها ولقائها » . وذكر مع البيتين قول عنتره :

علقتها عرساً وأقتل قومها زعماء لعمر أبىك ليس بمزعم

ثم جاء إلى (باب الحنين) ، فذكر ما فى الأبيات ،

* وأذكرُ أيامَ الحى *

و : * وليست عشيّات الحى براجع *

و : * بكت عيني اليمنى *

(١) نقل هذا النص . موجزاً النبريزى فى شرحه للحماسة . وما هنا أوفى وأتم .

الآيات ، وقال في تفسيرها : هذا كان مجاوراً لأحبابه وهم منتجعون
بجنوب الحمى^(١) فنشأت عين — والدين : سحابة نجىء من ناحية القبلة —
فنشأت من عن يسار القبلة ، فارتاع لذلك ، وخشي الفرقة إذا اتصل الغيث ،
فذلك معنى قوله : بكّت عيني اليسرى^(٢) ، كناية عن السحاب . وجهلها :
كثرة مطرها . وجعل ارتياحه منها زجراً لها . ثم نشأت أخرى من عن يمين
القبلة ، فأيقن حينئذ بالفراق . فذلك معنى قوله : أسبلتا مما . ثم قال معترفاً
بالبين : خلّ عيذك تدماً ، يعني السحابتين . وقال جرير :

إِنَّ السَّوَارِيَّ وَالْفَوَادِيَّ غَادَرَتْ لِلرَّيْحِ مُنْخَرَقًا بِهَا وَجَلًا .

هذا كلامه في كتابه ، وقد حكيناه على ما أورده لا زيادة فيه ولا نقصان .
وأظن أنه تذكر آياتنا غير هذه ، ثم تصرف في تفسيرها وذكر هذه الآيات
في أثناء تفسير ما ذكره ، ولم يأت بها . وقد أحسنت الظن مستطرفاً فعمله .
والله أعلم .

٤٥٥

وقال آخر^(٣) :

١ — وَنَبَّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَى فُهْلًا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

٢ — أأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبَتْنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَسْرَأُ لَا أُطِيعُهَا

نَبِيٌّ بِحِجَابٍ إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ ، وقد حصلت إلى قوله « أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَى » .

(١) جنوب ، ضبطت بضم الجيم في النسختين . والجنوب : جمع جنب ، بمعنى الناحية .

(٢) يفهم من هذا أن رواية المفعج : « بكّت عيني اليسرى » ، كما روى التبريزي
والقال . انظر ما سبق في ص ١٢١٧ .

(٣) هو الصمة بن عبد الله القشيري صاحب المقطوعة السابقة . أو هو عبد الله بن الدمينه
صاحب المقطوعة اللاحقة ، وقيل : هو المجنون . انظر شرح شواهد المغني للسيوطي ٧٩ .

وقوله « هَلَّا نَفْسَ لَيْلَى » هَلَّا : حرفُ تَحْضِيضٍ ، وهو يَطْلُبُ الفعل ، وقد وَتَعَ في البيت بعده جملةً من مبتدأٍ وخبرٍ . وفارق « هَلَّا » هذه أختها « لولا » في قوله :

تَعُدُّونَ عَقَرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ تَجِدُّكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَيِّ الْمَقْنَعُ^(١)

وذلك لأنَّ تأثيرَ الفعلِ بالنصب بعد لولا من البيت دلٌّ عليه ، فأمرُهُ في إضمارِ الفعلِ بعده قويٌّ . وهذا لم يَصْلُحْ له أن يَنْصِبِ النَّفْسَ بعد هَلَّا ، فكانَ يحییُّ التقديرُ : فَهَلَّا أُرْسَلَتْ نَفْسُهَا شَفِيعَةً ؛ لأنَّ القوافي مَرْفُوعَةٌ ، فجعلَ ما بعده مبتدأً لما لم يَتَأَتَّ له ما تَأَتَّى لذلك^(٢) . وقد يفعلون هذا في الحروف المختصَّة بالأفعال إذا كان في الكلام دَلَالَةٌ على المضمَر من الفعل . ألا تَرَى أنَّ حَوْ يَطْلُبُ الفعل . ثمَّ جاء قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ . وعلى ذلك جاء إنَّ الجازمة الدَّالَّة على الشرط في وقوع الاسم بعده ، وإنَّ كان يَطْلُبُ الفعلَ عاملاً فيه بِالْجَزْمِ ، وكذلك نحو : إنَّ زَيْدًا أَتَانِي أكرمته . وقول الشاعر^(٣) :

* إنَّ ذُو لُوثَةٍ لَنَا^(٤) *

وما أشبههُ . فإن قيل : هَلَّا جملةُ المضمَر بعد هَلَّا فعلاً رافعاً فَيَرْتَفِعُ النَّفْسُ به لا بالابتداء ، كما يُفَعَّلُ ذلك في : إنَّ زَيْدًا أَتَانِي أكرمته ، فيصير هَلَّا

(١) هو جرير ، من قصيدة يهجو بها الفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦١ - ٤٦٢) .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لما يَتَأَتَّى لذلك » ، تحريف ونقص .

(٣) هو قريظ بن أنيف . انظر ص ٢٢ ، ٢٥ .

(٤) البيت بتمامه :

إذا لَقَامَ بَنَصْرَى مَعَشَرَ خَشَن عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنَّ ذُو لُوثَةٍ لَنَا

في ذلك أجزى في بابيه من أن يكون ارتفاعه بالابتداء؟ قلت: إن قولك إن زيد أتاني أكرمته، ارتفع زيد بفعل هذا الظاهر تفسيره، وأكرمته جواب إن، فسأغ فيه ما لم يسغ هاهنا، لأنه ليس هاهنا شيء يكون تفسيراً لذلك الفعل. وإنما جاء بدل الفعل المفسر شفيعها، ويكون خبراً لا غير، وإذا كان كذلك لم يمكن حمل هذا عليه.

ومعنى البيت: خبرت أن ليلى أرسلت إلى ذا الشفاعة^(١) في بابها، تطأ به جاهاً عندي، مستكفية^(٢) عن ذكرها في الشفر وعن إتيانها وما يجري مجراه. ثم قال: هلاً جعلت نفسها شفيعاً. فقوله «بشفاعة» حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، الفعل الذي يقتضيه هلاً دل عليه شفيعها، لو قال: هلاً نفسها شفيعها - لكان أقرب في الاستعمال، إلا أنه قصد إلى التفتيح بتكرير اسمها.

ثم قال: «أأكرم من ليلى على»، فأتى بلفظ الاستفهام، والمراد التقرع والإنكار، كأنه أنكر منها استعانتها بالغير عليه، وطلب الشفيع فيما أرادت لديه. وقوله «فتبتني» في موضع نصب على أن يكون جواب الاستفهام بالفاء. وقوله «أم كنت» هي أم المتصلة، كأنه قال: أي هذين توهمت: طلب إنسان أكرم على منها، أم اتهاها لطاعتي لها. وخبر أكرم على محذوف، كأنه قال: أأكرم منها موجود، [أو^(٣)] في الدنيا.

(١) ل: «ذا شفاعة»..

(٢) ل: «مستكفة»..

(٣) التكلة من ل..

٤٥٦ -

وقال آخر^(١):

- ١ - أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوْهَمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ وَمَرْبَعٍ
 ٢ - أَخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنُ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنُكَ تَذْمَعُ
 ٣ - عَمِدْتُ بِهَا وَخَشَا عَلَيْهَا بَرَاقِعُ وَهَذِي وَحُوشٌ أَصْبَحَتْ لَمْ تَبْرِقْ
- استفارق وأفاق بمعنى صحا . وانبرى : تعرض . وأراد بالصيف المصيف .
 وقوله « من سعاد » أراد من دار سعاد وأرضيها^(٢) . و « أما » هي ما النافية
 أدخل عليها ألف الاستفهام تقريراً أو إنكاراً . والمراد : لا يحدث القلب بالسؤال
 والإفاقة مما تداخله من علائق حب هذه المرأة ، وتشبث به فالأهـاء عن كل
 شيء ، إلا اعترض له تذكر مصيف ومرجع من أرضيها^(٣) بعد التوهم . كأنه
 كان يقف على منازلها فيتوهمها بآياتها وعلاماتها ، ثم يعرفها . وأكثر
 ما يذكر التوهم في الديار يعقبونه بالعرفان دون العلم . وهذا أحد ما تفصل
 به بين العلم والمعرفة ، ولهذا وأشباهه نمتنع من أن نصيف الله تعالى بأنه عارف .
 لذلك ، قال زهير :

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي : « وقال ابن الدمينية » . والأبيات في ديوان
 ابن الدمينية ٢٥ . والدمينية أمه ، وهي الدمينية بنت حذيفة السلوية ، وهو عبد الله بن عبيد ،
 أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أفتل ، وهو
 غشم بن أنمار . وابن الدمينية : شاعر إسلامي رقيق النسب ، اختار له أبو تمام في هذه الحماسة
 ست مقطوعات ، وكنى ذلك شاهداً على منزلته . انظر الأغاني (١٥ : ١٤٤ - ١٥٠)
 واللائي ١٣٦ والشعراء ٧٠٩ . وقد طبع ديوانه في مصر سنة ١٣٣٧ بتحقيق محمد
 الهاشمي البغدادي .

(٢) كذا في بالجمع . وفي الأصل : « بأرضها » بالإفراد .

(٣) صدره : * وقفت بها من بعد عشرين حجة •

* فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهُمٍ ^(١) *

وأشباهه كثير .

وقوله « تَوْهُمُ صَيْفٍ » حقيقة أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : تَوْهُمُ موضع صَيْفِي ، فيكون الصَّيْفُ مصدر صِفْنَا بالمكان نَصِيفُ به صَيْفًا . وقوله « سَرِيعٌ » يجوز أن يكون اسم المكان .

وقوله « أَخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنَ » يريد أني إذا وقفتُ على آثارِ دارِها ^(٢) وجوانِبِ محلِّها رُمْتُ خَدَعَ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ عَنْ تَأْمَلِهَا ، تفادياً عما يتسلط من الوجد بها ، ويتجدد لي من الصَّباة نحوها . ولئلا أتذكر بما أنفَرَسُ فيها أحوالي قَبْلَها ، لأنَّ العينَ إذا عرَفَتْها وَكَفَتْ بالدَّمعِ ، والنَّفْسَ إذا تبَيَّنَتْها أَشَقِيَتْ بالوجد .

وقوله « عَهْدْتُ بِهَا وَحُشًا » هذا تحسُّرٌ فيما رأى الدَّارَ عليه من الاستبدال وَحُوشًا ، فقال : عَهْدْتُ بِهَا نِسَاءً مَبْرَقَةً — يشير بذلك إلى عَفَافِهَا وَقِلَّةِ تَبَرُّجِهَا — كالوحش كَلَالًا وَحُسْنًا ، وَنُفُورًا عَنِ الرَّيْبِ ، وَأَرَى الْآنَ وَحُوشًا تَحْتَفِئُ فِيهَا غَيْرَ مَبْرَقَةٍ . وفي هذه الطَّرِيقَةُ قول الآخر :

بِعِزٍّ عَلَى أَنْ يُرَى عِوَضَ الدُّمَى بِحَافَاتِهِ هَامٌ وَبُومٌ وَهَجْرَسٌ ^(٣)

وقوله « عَلَيْهَا بَرِاقٌ » صفةٌ للوحش ، وكذلك « أَصْبَحْتُ لَمْ تَبْرُقْ » .

٤٥٧

وقال آخر :

١ - فَيَارِبَّ إِنَّ أَهْلَكَ لَمْ تَرَوْهُ هَامِي بَلِيلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِ

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ديارها » .

(٢) المجرس : ولد الثعلب .

٢ - وإن ألك عن ليلي سلوت فإنما نسلت عن يأس ولم أنل من صبر^(١)

٣ - وإن يك عن ليلي غنى وتجدد فرب غنى نفس قريب من الفقر

حذف الياء من « يارب » لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء ، البتة ، وهو التنوين ، ولأن الكسرة تدل عليه ، ولأن باب النداء باب حذف وإيجاز ، لكثرة تردده في الكلام ، وقوله « أمت » جواب الشرط . وقوله « لا قبر أعطش من قبري » الجملة في موضع الحال . وقد روي : « ترؤ » بفتح التاء ويكون الفعل للهامة ، « وترؤ » بضم التاء والفعل لله عز وجل . فيقول متألماً من برح الصبابة ، وعطش الاشتياق ، ومنشكياً إلى الله تعالى : يارب إن مت ولم أنل شفاء من دأى ، ورياً من عطشى إلى هذه المرأة مت ولا قبر لعاشق أشد عطشاً من قبري . وإنما قال : لم تروهامتى ، لأنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتي تصير هاماً فتطير . والأصلح في هذا المكان أن يكون جعل نفسه مقتتلاً لحبها . ومعنى « تروهامتى » لم تطلب دمي من قاتلي ، تبقى هامتى أعطش من كل هام . وكانوا يقولون : إنه يخرج من رأس المقتول هامة فتصيح وتقول : اسقوني اسقوني ! إلى أن يدرك ثأره .

وإنما آثرت هذا لتوحيد هامة . والروايتان في ترؤ وترؤ معنيهما ظاهران .

وقوله « وإن ألك عن ليلي سلوت » قد تقدم القول في حذف النون من أكن . وجواب الشرط قوله « فإنما » بما بعده والمعنى : إن ألك في الظاهر حصل لي سلوت عنها لمن يتأمل حالى ، فإنما تسكلفت ما ظن منى سلوا لعكبة اليأس منها على ، فأما نفسى فهي كما كانت ، ذهاباً فيها وولوعاً بها . وقوله

« سلوت » معناه طُبت نفساً . وتسَلَّيت معناه تكَلَّفت ذلك ، والتَّغَلُّل لا يكون إلا عن تَكَلُّفٍ في أكثر الأحوال ، وكذلك التَّغَاوُل ، فأتى بسلوت بناءً على ظنهم واعتقادهم ، وتسَلَّيت بناءً على حاله .

وقوله « وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلٍ غَنِيٌّ » يريد : وإن كان ظاهرُ أُسرى أُنًى استغفيت عنها بخلوِّ قَلْبِي من حبِّها ، أو أُنًى أَتَجَلَّدُ للوهنِ العارض في الاشتياق إليها ، فَرُبَّ غَنِيٍّ نَفْسٍ يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ . والمعنى أَنَّ باطنَ أُمرِي بخلاف ظاهرِهِ . وإنما يُتَصَوَّرُ مِنِّي غَنِيٌّ يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا حَصَلَ وَتَوُؤَّلَ . ومن روى « أَمْرٌ مِنَ الْفَقْرِ » فالمعنى ظاهرُ والفاء من فَرُبَّ بما بعده جواب للشرط . وفائدة ربِّ التقليل ، كأنه استعملَ الحالات التي تشبه حاله ، فذلك أنى برُّب .

٤٥٨

وقال آخر :

- ١ - يَوْمَ اَزْنَحْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْدَعَتِي وَالْعَقْلُ مُتَّلهٌ وَالْقَلْبُ مَشْغُولُ
- ٢ - ثُمَّ اِنْصَرَفْتُ إِلَى نِضْوَى لَأَبْعَثَهُ إِثْرَ الْخُدُوجِ الْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ

انتصب « يَوْمَ » بإضمار فعل ، كأنه أراد : أَذْكَرُ يَوْمَ هَذَا الْأَمْرَ وَالشَّانَ . وأضاف اليَوْمَ إلى الفعل تشهيراً له وتعظيماً لما اتفق فيه ، وذلك أنه باغته حديث الفراق وما همَّ به المُجْتَمِعُونَ معه في النُّجْمَةِ من الارتحال ، فلمَّا وَرَدَ عليه ما لم يحسِّبْهُ ولم يحدثْ نفسه به تَوَلَّاهُ وَخَوَّلَطَ ، حتَّى صارَ لا يدري ماذا يأتي عند ما همَّ به من تشييعهم ، والتهيهُ للـكَوْنِ معهم ، فقال : أَذْكَرُ يَوْمَ أَقْبَلْتُ أَضْعُ الرَّحْلَ عَلَى النَّاقَةِ قَبْلَ الْبَرْدَعَةِ ، وعقلى فاسدٌ وقابى مشغولٌ بما دَهَمَهُ من الحال . وقوله « مُتَّلهٌ » هو مُفْتَعِلٌ من الوله ، وأصله مُؤْتَلَهٌ ، فأبدل من الواو تاءً كما تقول

في اتقى وأتجه وما أشبههما ، ثم أدغم إحدى التائيين في الأخرى . ويروى :
« مَحْتَبِلٌ » والخبل : الفساد .

وقوله « ثم انصرفت إلى نضوى » تتميم إيمان حاله فيما انعكس عليه من
تقصده ، وفسد من همه ، فقال : ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي لِأَقِيمَهُ فِي إِثْرِ الظَّاعِنِ
الباكرة ، وهو مشدودُ بعقاله لم أحله . وهذا غاية ما يقال في انحلال العقدة ،
واسترخاء المشكة ، وسوء الضبط وانقلاب القلب . ومعنى أبعثه أهيجبه .
والنضو : البعير المهزول . والحدوج : مراكب النساء الطاعنة . وانتصب إثر
على الظرف .

وقد سلك أبو تمام هذا المسلك فقال :

أَصَمَّنِي سِرُّهُمْ أَبَا مَ فُرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتُ تَعْرِفُ سِرَّائِثُورِثَ الصَّمَا
نَاؤَا فَظَلَّتْ لَوْشَكِ الْبَيْنِ مُقْلَتُهُ تَنْدَى نَجِيْعًا وَيَنْدَى جِسْمُهُ سَقَمًا^(١)
أَظْلَهُ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا

٤٥٩

وقال جِرَانُ الْعُودِ^(٢) :

١ — أَيَا كَبِدًا كَادَتْ عَشِيَّةَ غُرَبٍ مِنْ الشَّوْقِ إِثْرَ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ
٢ — عَشِيَّةَ مَا فَيَمَنُ أَطَامَ بِغُرَبٍ مُقَامٌ وَلَا فَيَمَنُ مَضَى مُنْسَرَّعُ

(١) في الأصل : « ويبدى جسمه » ، صوابه في ل وديوان أبي تمام ٣٠٢ .
(٢) التبريزي : « العود : المسن . والجِرَان : باطن عتق البعير والدابة . ويقال : إن
الشاعر سمى بذلك لقوله :

خذوا حذرا يا جارتى فإننى رأيت جِرَانُ الْعُودِ قد كاد يصلح
واسمه عامر بن الحارث . وقال أبو رياش : هى لذى الرمة . وفى القاموس (جرن) :
وجرّان العود شاعر نيمرى واسمه عامر بن الحارث ، لا المستورد ، وغلط الجوهري .

يروى « يا كبدًا » والمراد يا كبدى على الإضافة، ففرّ من الكسرة وبعدها
يا إلى الفتحة، فانقلبت ألفا. ويروى « يا كبدًا » والمراد به كبده وإن نكّرها،
بدلالة أنه وصفها بقوله « كادت عشيّة غُربٍ من الشوق » ... البيت. وهذه
الصفة لم تحصل إلّا لها. والمراد أنه تألم مما دهمه من أمر الفراق بعد الاجتماع
الحاصل في مواضع الانتجاع، وكانّ المجتمعين تحزّبوا حزبين، ارتحل أحدهما
وصاحبه معهم، وأقام أحدهما بالتهيو والاستعداد وهو فيهم، فالمتقدّمون ليس
فيهم متسرّع، لا يتظارهم المتخلفين، والمتخلفون لا مُقام لهم لاستمجالهم اللّحاق
بهم. فشكا الحالة الواقعة في أثناء ذلك، وهو مع ذلك يحنّ ويشتاق.
وغُربٌ: موضع^(١). وأضاف المشيّة إليه تخصيصاً. وفصل بين كاد وبين
الفعل الذى تناوله بالظرف على ما اتصل به. و « إثر » انتصب على الظرف
من الشوق، و « عشيّة » من البيت الثانى بدل من العشيّة الأولى. وكما أضاف
الاولى إلى غُرب تبيننا أضاف الثانية إلى قوله « ما فيمن أقام بغُرب » تبيننا،
وها عشيّة واحدة وإن اختلف مبنيهما.

٤٦٠

وقال الحسين بن مطير^(٢):

١- لقد كنتُ جُلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى على كَبْدَى نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا^(٣)

(١) في معجم البلدان: « ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بنى نيمر ». ثم أنشد
هذين البيتين.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٣١٩ ص ٩٣٤. وفي الأغاني (١٤. ١١٣) عن
التوزى قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: والله لوددت أن
الشعراء قاربته في قوله: مخضرة الأوساط. وأنشد هذا البيت الذى بعده. وقد ساق أبو على
القالى أبيات الحسين بن مطير هذه فى الأمالى (١: ١٦٥) كاملة.

(٣) بين هذا البيت وتاليه عند القالى:

وله تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقا كل يوم يزيدها

٢- وقد كنت أرجو أن تموت صبا بتي إذا قدمت أيامها وعهودها
يقول: كنت قوئ النفس، ثابت القلب، راجح العقل، صبوراً في
الشدائد، قبل أن يلبت بفراق الأحبة، فلما أوقدت نيتهم التي انتووها نار
الصبا على كيدي فأبطأ سكونها ضعفت عن الثبات لها، وظهر عجزى عن
تحمل أعبائها، وقد كنت أوئل إذا أنت الأيام على ما أفاقيه، واستمرت
النفس في التألم تارة وفي التصبر أخرى، أن ينقص ذلك صبا بتي، وأن قدم
الأيام وانحاء العهود يؤثر في تسكين نائرتها، ويبطل ما تسلط على من أذاها
ومكروها. وقوله «إذا قدمت» ظرف لتموت صبا بتي.

٣- فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق يبعدها^(١)
يريد أن ما كان يرجوه من سكون صبا بته قد ازداد، لأنها صيرت في
حبة القلب وأحشائه أمطار الهوى، تجدد وتنبع بولي من الشوق يردها كما
كانت، وانتصب «عهاد» على أنه مفعول أول لجعلت. وتولى بشوق في
موضع المفعول الثاني، وبعيدها في موضع الصفة للشوق. ومعنى «تولى»
تمطر الولي. والولي للطره الثانية لأن الأولى منها تسمى الوسمى. والعهاد:
جمع العهد، وهو المطر الذي يحى بولما تقدمه عهد باق لم يذهب. وحبة القلب
هي العلقه السوداء في جوفه. ويروى «عهاد الهوى - بالرفع - تولى -
بالياء - بشوق يبعدها، بالياء^(٢)»، فيكون معنى جعلت طفقت وأقبلت،
ويكون غير متمعد، ويرتفع عهاد بجعلت، وبعيدها يقوم مقام فاعل يولى.
فيكون المعنى: فقد طفقت أوائل هواها يطرأ ببعدها بشوق يجددها.

(١) بعده في الأمالي:

لمرتجة الأطراف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجاف قيودها

(٢) التبريزي: «وثعلب يروى: يبعيدها».

- ٤ - بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفُهَا وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَبَيْضِ خُدُودِهَا
 ٥ - مُحْصَرَّةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتِ عُقُودِهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
 ٦ - يُمْنَيْنِنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(١)

الباء من قوله « بسود نواصيها » يجوز أن يتعلق بقوله تموت صباقتي ، ويجوز أن يتعلق بجملة إذا ارتفع عهد الهوى به يريد : جعلت العهد تفعل هذا بسبب نساء هكذا . وإنما جاز أن يجمع سود وحمر وغيرها وإن ارتفع ما بعدها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائر في هذه الأسماء المفردة^(٢) ، ولو كانت جموع سلامة أو ما لا نظير له في الواحد لما جاز جمعه . تقول : صررت برجال ظراف آباؤهم . ولو قلت : ظريفين آباؤهم ، لم يجوز .

وقوله « محصرة الأوساط » يريد أنها دقيقة الخصور ، غير واسعة الجنوب . وأن قلاندتها وحليها تسكتسب من الزين بها إذا علقت عليها ، أكثر مما تسكتسبه منها إذا تحللت بها .

وقوله « يمنيئنا » يصف لطاقتهن في مواعيدهن ، وتقريبهن أمر الوصال بينه وبينهن ، وأنها لا تزال تمني وتضمن من حسن الإجابة ما يصير للقلوب به بريق ونضارة ، كبريق الخزامي إذا بقي ليلته يطل بالجوهر ، والرقيق كثرة الماء في النبات ونضارتها . ومعنى « حتى ترِف » إلى أن ترِف .

(١) بعده في الأماي :

وفيهن متلاق الوشاح كأنها مهابة بتربان طويل عقودها . قال أبو علي : « يريد موضع العقود ، وهو العنق » .

(٢) ل : « في الأسماء المفردة » .

٤٦١

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

- ١- أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأخيا والذي أمره الأمر
٢- لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى اليقين منها لا يرؤهما الذعر^(٢)
- تكريره للذي ليس بـتـكثير للأقسام ، لأن اليقين يمين واحدة بدلالة أن لها جوابا واحدا ، ولو كانت أيمانا مختلفة لوجب أن يكون لها أجوبة مختلفة ، وفائدة التكرير التفتيح والتحويل . وعلى هذا إذا قال القائل : والله والله لقد كان كذا ، فاليمين واحدة . وما في القرآن من قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَقَّ الذَّكَرُ وَلَا نُنْشِ . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ مثله . على أن ما في البيت من اختلاف الأفعال الداخلة في الصلوات جعل الكلام أحسن ، والتفتيح أبلغ . وجواب القسم « لقد تركتني » ، وفاعل تركتني ضمير المرأة المستكن فيه . والمعنى : أني إذا تأملت الوحوش وهي تأتلف في مراعيها ومُتصرقاتها اثنين اثنين ، لا يفزعها رقيب ، ولا يدخل فيما بينها تنفير ، حسدتها وتميت أن تكون حالتى مع صاحبتى كحالها في ألأفها .

وقوله « أحسد الوحش » في موضع الحال ، وأن أرى ، في موضع البدل من الوحش . وقوله « لا يرؤهما » في موضع الصفة لليقين ، لأن أرى من رؤية العين ، ويكتفى بمفعول واحد ، وهو اليقين .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٠٩ ص ٣٢٧ . وقصيدة أبي صخر رواها القائل في نأماليه (١ : ١٤٨ - ١٥٠) .
(٢) القائل : « وقد تركتني أغبط الوحش » .

٣ - فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سُلُوةَ الْعُشَّاقِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ^(١)

٤ - عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ يَدِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى اللَّذَاذَةَ بِهِ ، حَتَّى اسْتَزَادَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَوَى الْحَاصِلِ لَهُ ، وَهُوَ دَاهِ الْجَوْفِ ، مَا يَتَضَاعَفُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَبَعَدَ النَّسْلَ مِنْهَا حَتَّى جَعَلَ الْمَوْعِدَ بَيْنَهُمَا يَوْمَ النَّشْرِ . وَهَذَا غَايَةُ التَّفَقُّيِّ فِي الْهَوَى ، وَالتَّصَبُّرِ عَلَى الرَّدَى .

وقوله « عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ » يجوز أن يريد به سُرْعَةَ تَقْضِي الْأَوْقَاتِ مُدَّةَ الْوَصَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي الشُّكُونِ . وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي اسْتِقْصَارِ أَيَّامِ السُّرُورِ وَالْآثَمِ ، وَاسْتِطَالَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ وَالْهَجْرِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بَسْعَى الدَّهْرِ سِعَابَةَ أَهْلِ الدَّهْرِ ، وَإِبْقَادَهُمْ نَارَ الشَّرِّ بَيْنَهُمَا بِالنَّمَاثِمِ وَالْوِشَايَاتِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا فَتَرَتْ أَسْوَاقُهُمْ بِالتَّهَاجُرِ الْوَاقِعِ مِنْهُمْ ، وَارْتَفَعَ مُرَادُهُمْ فِيمَا طَلَبُوهُ مِنَ الْفَسَادِ بَيْنَهُمَا ، سَكَنُوا . وَكَأَنَّ أَرَادَ بَسْعَى الدَّهْرِ سَعْيَ أَهْلِ الدَّهْرِ ، كَذَلِكَ أَرَادَ بِسُكُونِ الدَّهْرِ سُكُونَ أَهْلِ الدَّهْرِ .

٤٦٢

وقال^(٢) :

١ - يَبِيدُ الَّذِي شَعَفَ الْغُؤَادَ بِكُمْ تَفْرِيجُ مَا أُلْقِيَ مِنَ الْهَمِّ^(٣)

٢ - وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَارِحَةٌ مَا لَا يُقَرُّ بِعَيْنِ ذِي الْحِلْمِ

(١) كُتِبَ فِي الْأَصْلِ تَحْتَ كَلِمَةِ « الْعُشَّاقِ » : « الْأَيَّامِ » . وَرَوَاةُ التَّبْرِيزِيِّ وَالْقَالِي : « وَيَا سُلُوةَ الْأَيَّامِ » .

(٢) أَيْ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي . وَالْأَبْيَاتُ هَذِهِ النَّسَبَةُ فِي الْأَغَانِي (٢٠ : ١٤٧ - ١٤٨)

(٣) الْأَغَانِي . « فَرَجَ الَّذِي أُلْقِيَ » . كَمَا أَنَّ الرِّوَايَةَ فِيهَا « شَفَّ » بِالْفَتْحِ الْمَعْجَمَةُ .

الذي شَعَفَ القلب به من زعمه هو الله تعالى . ومعنى شَعَفَ الفؤاد : أصاب شَعْفَتَهُ . وشَعْفَتُهُ كلُّ شَيْءٍ أعلاه . وقوله « بكم » أراد بحُبِّكم ، ويقال : فلانٌ مشعوف بكذا ، إذا شَغِلَ قلبُه به وأُصِيبَ . وارتفع « تفرّيج » بالابتداء ، وخبره بيد الذي ، على طريقة سيديّوَيْه ، وعلى مذهب أبي الحسن الأخفش ارتفع تفرّيج بالظرف ، والمعنى : بيد الله الذي ابتلاني بكم ، وشَغَلَ قلبي بحُبِّكم ، كَشَفُ ما أقاسيه من الهمِّ . وهذا للشاعر في الهوى على الضدِّ ممن تقدّم ذكره ، لأنّ شكواه في نهاية القوة والعلو ، كما أنّ التّذاذ ذاك في نهاية الجِدَّة والغلو .

وقوله « ويقرُّ عيني وهي نازحة » يريد أنّه يسرّه فيها على بُعدها منه مالا يسرّه به عاقل . وإنّما قَبِلَ بهذا على شِدَّةِ تَمَنُّعِها ، وعلى قوَّةِ يأسِه منها ، حتّى أنّه مع البعاد إذا أخطر بهاله شيئاً من أحوالها التي يُشاركه فيها ، عدّه مرزئةً منها^(١) ، واستمتعاً بها . وقد شَرَحَ ذلك فيما بعده . وقد روى بعضهم : « بعين ذى الحلم » بضم الحاء ، وليس بشيء .

٣ - إني أرى وأظنُّ أن سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النَّجْمِ لك أن تروى « أُنِّي » وتجعله في موضع الرفع بدلاً من « مالا يُقرُّ » ؛ ولك أن تكسر إن ، كأنك تستأنف شرح ماقدّم ، وتفصل ماأجمل . ويكون المعنى : يُقرُّ عيني أنّي أرى بياض النهار وعلى السكواكب بالليل ، وهو أضوؤها وأغلنها^(٢) ، وأظنُّ أنّها تُشارِكُنِي في رؤيتها ، فأفرحُ بذلك ، وهذا ممّا لا يفرح به عاقل ، ولا يفتدّه لذة . ويروى والمعنى ما بيّنته ، على غير هذا ، وهو :

إن الذي سَأَظُنُّ أن سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النَّجْمِ
فيرتفع وضح على أن يكون خبر إن ، وأنّي بعالي النّجم على أصله فضم

(١) رزاه مرزقة : أصاب منه خيرا .

(٢) ل : « وأغلها » .

الياء منها . والمعنى ذلك المعنى ، إلا أنه زاد الظن تراخياً بإدخال السين عليه .
ويُروى :

إِنِّي أَرَى وَأُظُنُّ أَنَّ سَتْرِي وَضَحَ النَّهَارِ عَوَالِي النَّجْمِ^(١)

فينتصب وضح على الظرف ، وعوالى على أنه مفعول أرى . والمعنى : أرى
اللكواكب ظهراً ، فيما أفاقيه من بَرِّحِ الهوى ، وأظنُّ أنها ستمتحن في
حُبِّها لي بمثل ما امتحننت في حُبِّي لها ، وأن أسباب الهوى تُفارقني وتعود إليها ،
فترى مثل ما أرى ، فأفرح بذلك وتطيبُّ له نفسي ، وهذا مما لا يفرحُ به عاقل .

٥ - وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُوذُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَتْ وَلَا إِنْهُمْ

٦ - أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ

نَبَّهَ بهذا الكلام على تهالكه في هواها ، وتناهى صبايقه بها ، وأن
اليسير إذا عاد عليه منها عدّه كثيراً . وقد أظهر العفاف في بلواه ، وأنه يتمنى
ما يتمنى فيها حلالاً لا حراماً ، فيقول : وَلَلَّيْلَةُ مِنْ أَوْقَاتِهَا تَحْصُلُ لَنَا فِي غَيْرِ
فُحْشٍ تُدْكَرُ بِهِ ، أو إِنْهُمْ تَكْتَسِبُهُ ، أَلَدُّ إِلَى نَفْسِي وَأَطْيَبُ فِي قَلْبِي مِنْ
مِلْكِي كُلِّهِ ، ومن عشرين بأشهرهم .

وقوله « أشهى إلى نفسي » في موضع المبتدأ ، وهو وليلةٌ منها . وقوله ولو

نَزَحَتْ شَرْطٌ فيما تمنى حصوله ، وقد فصل بها بين أشهى إلى نفسي وبين ما ملكتُ
أى وإن بَمُدَّتْ تلك الليلة فعادت إلى أُولَى أحوالها في التمتع على والتفصى منى .

٧ - قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي الْمَاتِ لَنَا فَمَجَلَّتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالضَّرْمِ

٨ - وَلَمَّا بَقِيَتْ لَيِّقَتَيْنِ جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضَرِّعٌ جِسْمِي

(١) هي رواية التبريزي ، لكن آخر البيت عنده : « وعالى النجم » .

٩ - فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِيفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمٍ

عاد إلى مخاطبتها ، بعد أن تألم مما تألم ، فقال يعتب عليها :

قد كان لنا في الموت قطيعةً وافتراق ، لكُنْكَ لم تصبري إلى حين وقوعه ، ولم تنتظري نُزُولَه ، فتمجّلتِ الشرَمَ قبل الموت ، فلا جرَمَ أن بين جوانحي داء يبق مُدَّةً بقائي فيها ، ويُذِيبُ جِسمي ، ويَكْسِفُ بَالي .

وقوله « وَلَمَّا بَقِيتُ » أدخل اللام الموطئة للقسم على ما بقيت ، وهو مصدر في موضع الظرف ، إِمَّا يَتَضَمَّنُ من معنى الشرط . وقوله « لِيَبْقَيْنَ جَوِّي » جوابُ القسم المضمّر ، والكلام كأنه : لئن بقيتُ لِيَبْقَيْنَ جَوِّي ؛ لأنَّ المعنى : وَلَمُدَّةً بقائي لِيَبْقَيْنَ جَوِّي . فحصول الكلام يعود إلى ذلك .

وقوله « فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِيفْتُ بِكُمْ » يضعون تَعَلَّمَ موضعَ اعلم ، إِلَّا أَنَّ المخاطبَ ليس له في الجواب أن يقول تعلمتُ ، لكن يقول : علمت . والمعنى : اعلمي كَلَفِي بِكُمْ ، وانحطاطي في هواكم ، وكُنْته ما أقاسيه في حُبِّكم ، ثُمَّ آثِرِي في بابي ما أردتِ بعد عِلْمِكَ بالحال ، لأنَّ الذي أطلبه رضاك ، ثُمَّ لَا أَبَالِي بِمَا يَلْحَقُنِي من بقاء أو فناء ، أو سرِّاء أو ضرِّاء .

٤٦٣

وقال آخر^(١) :

١ - إِنْ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادِكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

٢ - بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغُهَا بَلْبَاقَةً فَادَقَهَا وَأَجْلَاهَا

يقول : إِنْ الْمَرْأَةَ الَّتِي ادَّعَتْ عَلَيْكَ مَلَالَ قَلْبِكَ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضَكَ عَنْهَا ،

(١) وكذا وردت الأبيات بدون نسبة في أمال النقال (١ : ١٥٦) . وعند التبريزي : « وقال آخر . قال أبو رياش : هي لابن أذينة » وابن أذينة هذا هو عروة بن أذينة .

وَنَيْتَكَ فِي اسْتِبْدَالِكَ بِهَا ، خُلِعْتَ هَوًى لَكَ كَمَا خُلِعْتَ أَنْتَ هَوًى لَهَا .
والمعنى أَنَّ دَعَاها تَجَنَّبَ مِنْهَا ، وَتَسَخَّطَ لَهَا يَظْهَرُ مِنْ شَعْفِكَ بِهَا ، وَهِيَ لَكَ
لَا انْفِكَالَكَ لِقَلْبِكَ مِنْ عَشَقِهَا ، كَمَا تَدْعَى أَنَّهَا لَكَ بِهَذِهِ الْمَثَلَةِ ، فَأَنْتَ تَهْوَاهَا
كَمَا أَنَّ تِلْكَ تَهْوَاكَ ، لَا مَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ .

وقوله « بِيضَاءُ بَاكَرَها الزَّمِيمِ » يَرِيدُ أَنَّهَا نَشَأَتْ فِي النِّعْمَةِ وَالنِّعْمَةِ ، وَأَنَّ
خَفَضَ الْعَيْشَ رَبَّاهَا وَحَسَّنَ خَلْقَهَا بِحِذْقٍ وَلِبَاقَةٍ ، لِحَمَلِ مُحَاسِنِهَا مَرْتَبَةً بَيْنَ
مَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا ، وَبَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ نَخَامَتُهَا . وَمَعْنَى « بَاكَرَها » سَبَقَ إِلَيْهَا
فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهَا ؛ لِأَنَّ الْبَكُورَ : اسْمٌ لَا بَتْدَاءَ الشَّيْءِ ؛ عَلَى ذَلِكَ بَاكُورَةُ الرَّبِيعِ .
وَاللِّبَاقَةُ : الْحِذْقُ ؛ يَقَالُ : هُوَ لَبِيقٌ وَلَبِيقٌ ، أَيْ حَازِقٌ . وَمَعْنَى أَدَقَّتْهَا وَأَجَلَّهَا :
أَتَتْ بِهَا دَقِيقَةً جَلِيلَةً ، فَمَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا مِنْهَا مِثْلُ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالشَّفْرِ
وَالْخَصْرِ جَعَلَهَا دَقِيقَةً ، وَمَا يُسْتَحَبُّ جَلَّالَتُهَا مِنْهَا مِثْلُ السَّاقِ وَالْفَخِذِ وَالْعَجْزِ
وَالصَّدْرِ جَعَلَهَا جَلِيلَةً . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
وَكَمَا قَالَ :

يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا فُتُبِي دَقِيقَ مُحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيْلًا ^(٢)
٣ - حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا
٤ - وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَيَّ فَسَلَّمًا ^(٣)
كَأَنَّهَا لَمَّا لَامَتْهُ فِي مَلَالِهِ وَظَهَرَ التَّسَلَّى مِنْهُ ، هَجَرَتْهُ وَأَقْبَلَتْ لَا تَقْبَلُ
تَحِيَّةً ^(٤) وَلَا تَرُدُّ جَوَابَهَا . فَيَقُولُ : لَمَّا أَعْرَضْتُ وَتَحَجَّجْتُ عَنْ رُسُلِي ، وَأَظْهَرْتُ

(١) هُوَ الشَّنْفَرِيُّ . الْبَيْت ١٢ مِنَ الْمُفْضَلِيَّةِ ٢٠ .

(٢) الْبَيْتُ لَوْضَاحِ الْبَيْنِ . سَبَقَ فِي ص ٦٤٣ .

(٣) التَّبْرِيذِيُّ : « شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ » .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَحِيَّة » .

«اطَّرَاحَ وَدَّى ، قلتُ متأسِّفًا ومتعجبًا : ما كان أكرها لفا حين كانت متوفِّرة علينا وما أقلها لفا السَّاعةَ وقد زهدتَ فيما هذا الزُّهدُ المُسْرِفُ ، وضجرتَ بنا الضَّجَرُ المُفْرِطُ . والذي استكثره واستقلَّه هو نيلها وميلها . هذا إذا جعلتَ الضمير من « أكرها » و « أقلها » راجعًا إلى المرأة ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى التَّحِيَّةِ ، والمراد : ما كان أكرها لفا لو حصَّلتَ ، إذ كان فيه مِسَاكُ أَرْمَاقِنَا ، وحياةُ قلوبنا . وما كان أقلها في نفسها . وهذا كما قال الآخر :

إِنْ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ تَمَنَّى يُحِبُّ الْقَلِيلُ

وقوله « وإذا وجدتُ لها وساوسَ سلوة » يبيِّن به استحكامَ حُبِّها في قلبه ، وأنه كلما تداخله ضَجَرٌ بدَلًا لها وتأنَّبها ، أخذتَ نفسه بالتَّسَلَّى عنها والتَّصَبُّرُ دونها ، أقبلتَ دَوَاعِيَ اللَّيْلِ إليها ، والأسبابُ المتسلِّطة على قلبه والمشتتة على لُبِّه ، ولها تَشْفَعُ وتَعْصِبُ ، فزعتُ ما خَظَرَ ، بالبال من ذلك ، وصارت شوافعُ الضمير أغلب على تدبيره ، وأملكَ لتصرفاته ، حتَّى يصير الحكمُ لها ، والغلبُ لقضاياها . وفي طريقته قول كثير :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَا نَمَّا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

٤٦٤

وقال آخر :

١ - أَمَا وَالَّذِي حَبَّتْ لَهُ الْعَيْسُ وَأُرْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شُئْتُ طَوِيلَ دَمِيلَهَا

٢ - لَيْتَن نَائِبَاتُ الدَّهْرِ يَوْمًا أَدْلَنَ لِي عَلَى أُمَّ عَمْرٍو دَوْلَةً لَا أَقِيلُهَا

افتتح كلامه بأما ، ثم أقسم بالله ، لأن الذي قصدت العيسُ بيته ، وطلبت الحجاج الغيرُ الوجوه الطوالُ الذمِيلُ مَرْضَاتِهِ ، هو الله تبارك وتعالى .

واللام من «لئن» هي الموطئة للقسم، وجواب القسم «لا أقيلها». والمعنى: والله لئن جعلت نوائب الدهر لي دولة على أم عمرٍو لعددت ذلك ذنباً لا أقيلها منه. فالضمير من لا أقيلها يرجع إلى الثابتات، كأن لذته كان في الهوى، وأن يكون لتلك عليه البسطة في الأمر، والتمكّن^(١) من التصريف فيما يسوءه أو يسره، فإذا تغير الأمر عن ذلك عدّه شقاءً وضرراً فادحاً. وهذا الوجه حسن. ويجوز أن يكون الضمير يعود إلى المرأة، فيكون المعنى: إن إن صارت لي اليد عليها، وجعلت أمك من أمرها مثل ما تملك من أمرى جازيتها حينئذ بما تعاملني به كغيل الصّاع بالصّاع، وتركيتها لا أنعشها من صرعها، ولا أقيلها عثرتها. وهذا المعنى إذا قايسته إلى ما تقدّم ذكره كان منحطاً عنه، وواقعاً دونه، وفيه إظهار العجز عن مكابدة الصّباية، والتّصريح بسوء الملكة. ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها أرباب الهوى، والحكام على مدعى العشق ولهم - ومعنى «أدلتني» جعلت لي دولة. ويروى: «أدزني لي» فينتصب دولة على أنه مفعول به. والدّائرات كالدائلات لا فضل. ومن روى «أدلتني لي» انتصب دولة على أنه مصدر، فيكون موضوعاً موضع الإدالة. ويقال: أدالك الله من عدوك، أي جعل لك عليه دولة.

٤٦٥

وقال آخر:

- ١ - وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتبعتك المناظر
٢ - رأيت الذي لا كُله أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابر^(٢)

(١) ل: «والتمكّن».

(٢) ل: «الذي ما كنه».

الرَّائِدُ : الذى يتقدم القومَ فيطلبُ لهم الماءَ والكلأَ ، ولذلك قيل فى المثل :
« لا يكذبُ الرَّائِدُ أهله » لأنه إن كَذَبَهُمْ هَلَكَ معهم . فيقول : إنك إذا
جعلتَ عينَكَ رائدًا لقلبِكَ تَطْلُبُ له مَصْبً هَوَاهُ ، ومَقَرَّ لهُوَ وَصِيَاهُ ، أُنْعِمْتَكَ
مناظرُها فى مَطالِبِكَ ، وأَوْقَعْتَكَ موارِدُها فى أَشَقِّ مَكَارِهِكَ ؛ وذلك أنها تهجم
بالقلبِ فى ارتياده لها على ما لا يَصْبِرُ فى بعضه على فراقه مع مَهَيِّجَاتِ اشْتِياقِهِ ،
ولا يَقْدِرُ على الشَّلْوِ عن جميعه مع تذكُرِ غرائبِ الحسَنِ منه ، فهو الدَّهْرُ مَمْتَحِنٌ
يَبْلَوِى ما لا يَقْدِرُ على كَلِّهِ ، ولا يَصْبِرُ عن بعضه . والجنائيةُ فيهما للعَيْنِ ،
لكونها قائداً للفؤادِ إلى الرَّدى وسائقاً ، وهادياً لدواعى الحبِّ إليه وحادياً .

وقد ألمَّ بهذا المعنى أبو تمام حيث يقول :

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ مُذْ رَأَتْ عَيْنِي خِلَالَ الْخِذْرِ شَمْسًا تَقْرُبُ
لَأَعَذِّبَنَّ جُفُونِ عَيْنِي إِنَّمَا بِجُفُونِ عَيْنِي حُلٌّ مَا أُنْعَذَّبُ^(١)

وأبين من هذا قول الآخر :

أَلَا إِنَّمَا الْعِيَانُ لِلْقَلْبِ رَائِدٌ فَمَا تَأَنَّفِ الْعَيْنَانِ فَالْقَلْبُ يَأْلَفُ

وقوله « رائدًا » انتصب على الحال ، وجواب إذا أرسلت « أُنْعِمْتَكَ
للمناظر » . وقد حصل خبر كُنت فيه ومعه . وقوله « رأيت الذى » تفصيلٌ
لما أَجْمَلَهُ قوله « أُنْعِمْتَكَ للمناظر » .

(١) كذا فى ل . وفى الأصل : « حال ما أُنْعَذَّبُ » .

٤٦٦

وقال الصمة بن عبد الله القشيري^(١) :

١ — أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة — فالضمار^(٢)

٢ — تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

العيس : بياض في ظلمة خفية . والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة .
والمنيفة : موضع ، أو هضبة مرتفعة^(٣) . ومنه : أناف على كذا ، أى أشرف ،
وقولم : مائة ونيف . والضمار : مكان أو وادٍ منخفض يضم السائر فيه ،
لذلك قال الأعشى :

نراناً إذا أضمرتك البلاد د نجف وتقطع منا الرحم

ومنه قيل للعدة المسوفة : الضمار ، وقيل لما لا يرضى رجوعه من المال :
الضمار . قال :

* وعينه كالسكالي الضمار^(٤) *

يدّيه بأن حاضره كغائبه . يقول : إني أجارى رفيقي وأبائه قصتنا ،
والرواحل تسرع بين هذين الموضعين ، وأقول في أثناء ذلك مثلهما : استمتع
بشم عرار نجد ، فإننا نعدّمه إذا أمسينا بخروجنا من أرض نجد ومقابته .

(١) التبريزي : « وقال آخر » . « الصمة هذا غير والد دريد . وقد سبقت ترجمة الصمة
ابن عبد الله في المقتوعة ٤٥٤ ص ١٢١٥ .

(٢) الكلبي ١٤٠ : « تحدى » . والأبيات في زهر الآداب (٣ : ٢٠٣) ومعجم
البلدان (الضمار ، المنيفة) بدون نسبة . ونسبت في معاهد التنصيص (٢ : ٨٥) للصمة ، ثم
قال : وقيل : الأبيات بلعدة بن معاوية بن حزم العقيلي . « وفي الوساطة ص ٣٤ ستة أبيات
منها بلا غزو .

(٣) في معجم البلدان أنه ماء تقيم على فليح ، بين نجد والحماة .

(٤) انظر مقاييس اللآة (٥ : ١٣٢) .

والشَّيْمُ : مصدر ، وأكثر ما يحىءُ فمِيلٌ مصدرًا في الأصوات ، كالصَّهِيلِ
والشَّحِيجِ ؛ ومثله العَذِيرُ والنَّكِيرُ . ويقال : تَمَتَّعْتُ بكذا ومن كذا .
والعَرَار : بقلة صفراء ناعمة طيبة الريح ، والواحدة عَرَارَةٌ . قال الخليل :
العَرَارَةُ البهارة البرية ، وقيل هو شجر . وقد شُبَّهَ لونُ المرأةِ بها . قال الأعشى :

بَيْضَاءَ صَحَوَتِهَا وَصَفَ رَأَى الْعَشِيَّةَ كَالْعَرَارَةِ

وقوله « مِنْ عَرَارٍ » مِنْ لاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ ، وموضع « مِنْ عَرَارٍ » رفع
على أن يكون اسم ما . والواو من قوله « والعيس تهوى بنا » واو الحال ، وموضع
« تَمَتَّعَ مِنْ شَيْمٍ » نصبٌ لأنه مفعول أقول . وقوله « بَيْنَ الْمُنِيْفَةِ وَالضَّمَارِ »
أجود الروايتين « بَيْنَ الْمُنِيْفَةِ وَالضَّمَارِ » ، لأنَّ بَيْنَ يَدْخُلُ لِشَيْئَيْنِ يَتَبَايَنُ أَحَدُهُمَا
عَنِ الْآخَرِ فَصَاعِدًا ، وإذا كان كذلك لا يكتفى بقوله الْمُنِيْفَةِ فَيُرْتَبَ عَلَيْهِ الضَّمَارُ
بِالْفَاءِ الْعَاطِفَةِ ، اللهمَّ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ « الْمُنِيْفَةِ » فَتَصِيرُ الْمُنِيْفَةُ كَاسْمِ
الْجَمْعِ ، نَحْوِ الْقَوْمِ وَالْعَشِيرَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وعلى هذا حُجِّلَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

* بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَمِلَ ^(١) *

وكان الأصمعي يردّه ويرويه بالواو .

- ٣ - أَلَا يَا حَبِذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ غِبَّ الْقِطَارِ ^(٢)
٤ - وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ
٥ - شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارٍ ^(٣)

(١) البيت أول معلقة امرئ القيس . وهو بتمامه :

قننا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط الأولى بين الدخول فحومل

(٢) ل والتبريزي : « بعد القطار » .

(٣) ضبعت السين بالفتح والكسر في الأصل والتبريزي . وسيأتي في التفسير أن

الأفصح الفتح .

ألا : حرف لافتتاح الكلام ، والمفادى فى يا حَبِذا محذوف كأنه قال
يا قوم أو يا ناس ، حَبِذا نفحات نجد . وارتفع نفحات بالابتداء ، وخبره
حَبِذا ، كأنه قال : محبوبٌ فى الأشياء نَفَحَاتُ نَجْدٍ ، وهو تَضَوُّعُ الرِّيحِ
بالنَّسِيمِ الطَّيِّبِ . ويقال : له نَفْحَةٌ طَيِّبَةٌ وخبيثة . وقوله « رِبًّا رَوْضِهِ » يراد
بها الرَّائِحَةُ هنا . وارتفع قوله « وَأَهْلُكَ » عَطْفًا على وَرَبِّا ، وها جميعاً معطوفان
على « نفحات » وكأنه قال : وحَبِذا أزمانُ أَهْلِكَ حينَ كانوا نازلين بنجدٍ
وأنت راضٍ مِنَ الزَّمانِ ، لمساعدته إِيَّاكَ بما تهواه وتريده ، فلا تَعْيِبُهُ
ولا تشكوه . ويقال : زَرَيْتُ عليه ، إِذَا عَيَّبْتَ عليه ؛ وَأَزَرَيْتُ به ، إِذَا قَصَّرْتَ
به . وقوله « وأنت » الواو واو الحال ، وارتفع « شهوْر » على أنه مبتدأ ،
وهو تفسير الزَّمان الذى حَمَدَهُ وتَلَهَّنَ على انقضائه . وقوله « ينقضين » خبره .
ويجوز أن يرتفع شهوْر على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وما ينقضين حينئذ يكون
صفةً له . وقوله « وما شَعَرْنَا » أى ما عَلِمْنَا . يقال : شِعْرَةً وشِعْرًا . ومنه
الشَّعْر . يقال : شَعَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا قَالَ الشَّعْرَ ، فَشَعِرَ بِكسر العين أى صار
شاعراً . وسَرَّارُ الشَّهْرِ : آخِرُهُ ؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ يَسْتَسِرُّ فِيهِ . وقد حُكِيَ كسر
السين فيه ، وليس بكثير . والمعنى : يا قومُ ، محبوبٌ فيما تَقْضَى نَسِيمُ أرواح
نجدٍ وروائحِ رِياضِهِ عِقَبَ إِيْتِانِ الْمَطَرِ عَلَيْهِ ، وهزُّ الرِّيحِ لِبَاطِنِهَا . ومحبوبٌ
أيضاً زمان أَهْلِكَ وإِقَامَتُهُمْ بنجدٍ ، حينَ كُنْتَ تَشْكُرُ وَقَتَكَ وترتضيه ،
إِذْ كَانَتْ شَهْوَرُهُ وَأَيَّامُهُ تَنْقُضُ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ بِأَنصَافِهَا ، وَلَا بِأَوَانِهَا
وَأَوَاخِرِهَا ، لِاشْتِغَالِكَ بِأَهْوَاكَ ، وَذَهَابِكَ فِي غَفْلَتِكَ . وهم يَسْتَقْصِرُونَ أَيَّامَ
السَّلَامَةِ وَالسَّعَادَةِ وَمَوَاصِلَةِ الْأَحَبَّةِ ، وَعِنْدَ طَاعَةِ الدَّهْرِ وَالْأَقْدَارِ لَهُمْ ،
كما يستطيّلون ما كان على خِلافِهِ مِنَ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ .

٤٦٧

وقال آخر:

١- وَمَا شَجَانِي أَنِّهَا يَوْمَ أُعْرِضْتَ تَوَلَّتْ وَمَا الْعَيْنُ فِي الْجَفْنِ حَائِزُ

٢- فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنْظَرَةٍ إِلَى التَّفَانَا أَسْلَمْتَهُ الْحَاجِرُ

يقول مُلَمَّمًا بِالْمَعْنَى الَّذِي شَرَحَهُ أَبُو تَمَّامٍ حِينَ قَالَ :

لَا أُودِّعُكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
 يقول: وَمَا حَزَنِي وَصَارَ نَضَبَ عَيْنِي وَحِلْفَ قَلْبِي ^(١) تُذَكِّرُنِيهِ الْأَحْوَالُ
 فَلَا أُنْسَاء، وَتَمَثَّلَ لِنَظَرِي الْأَوْقَاتِ فَلَا أُنْغَابَاء، أَنَّ صَاحِبَتِي يَوْمَ الْفِرَاقِ عِنْدَ
 الْوَدَاعِ أَعْرَضَتْ لِي وَدَمْعُهَا يَتَرَقَّرُ فِي جَفْنِ عَيْنِهَا وَيَتَحَيَّرُ، لَا مَتَلَأُهَا بِهِ،
 إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ فَلَا تُسِيلُهُ، فَلَمَّا أَعَادَتْ التَّفَانَا إِلَيَّ بَعْدَ إِعْرَاضِهَا عَنِّي،
 بِنْظَرَةٍ جَدِّدَتْنَاهَا، أَسْلَمْتُ مُحَاجِرُ عَيْنِهَا مَا اجْتَمَعَ فِيهَا مِنَ الدَّمْعِ، فَتَحَدَّرَ فِي مَدَامِعِهَا؛
 لِأَنَّ ذَلِكَ كَوْدَاعٍ ثَانٍ مِنْهَا، وَكُمْتُمَةٍ مَتَّعَتْنِي بِهَا وَزِيَادَةٍ زَادَ فِي الْحُبِّ زَوْدَ تَنْذِيهَا.
 وَقَوْلُهُ «أَنَّهَا» مُبْتَدَأٌ وَ«وَمَا شَجَانِي» خَبَرُهُ. وَيُقَالُ: شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا
 فَشَجِي يَشْجِي؛ فَهُوَ شَجٌّ. وَحَارَ الْمَاءُ وَالْدَّمْعُ، إِذَا تَحَيَّرَ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ
 مَلَأَهُ فَلَا مَوْضِعَ لَهُ. وَقَوْلُهُ «أُعْرِضْتَ»: أَبَدَتْ عُرْضَهَا. وَخَبَرَ أَنَّ تَوَلَّتْ.

وقوله «فلما أعادت» يجوز أن يكون التفاناً مفعولاً أعادت، وموضع بنظرة
 حالاً، كأنه قال: لما أعادت التفاناً ناظرةً من بعيدٍ إلى أسلمته. وجواب لما
 «أسلمته»، وإلى تعلق بنظرة. ولا يجوز أن يتعلق بالتفاناً، لأنه إذا جُمِلَ

(١) هذا ما في ل. وفي الأصل: «خلف قلبي».

كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدمت على الموصول . ويجوز أن يكون بنظارة في موضع المفعول لأعادت ، والباء إن شئت جعلتها زائدة ، وإن شئت جعلتها مؤكدة ، كما جاء في قول الآخر^(١) :

* سُوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالشَّوْرِ^(٢) *

وبصير « التفاتاً » مصدراً في موضع الحال ، والتقدير : لما أعادت نظرتها من بعيدٍ إلى ملتفتةً أسلمته . والهاء من أسلمته للدفع كما قدمته . والمحاجر : جمع الخجير ، وهو ما يبدو من نقاب المرأة إذا تنقبت . والكيفة حول العينين^(٣) يقال لها : التَّحجير . ويقال : حَجَّرَ القمرُ ، إذا استدار حوله خط رقبتي .

٤٦٨

وقال آخر :

١- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَاشِحِينَ تَنْبَعُوا هَوَانًا وَأَبْدَوْا دُونَنَا نَظْرًا شَزْرًا

٢- جَعَلْتُ وَمَانِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قَلِيَّ أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، والكاشح : العدو الباطن العداوة .

ويقال : هو بين الكشاحة والكشحة : ويقال : طوى فلان كَشْحَهُ على

كذا ، إذا استمر عليه . وهذا كلامٌ مُبْقٍ على المحبوب ، كارهٍ لا ينشأ القالة

فيهما ، مختارٍ لاستتار الهوى بينهما . فيقول : لما رأيت الوشاة يتبعون أحوالنا

بالتَّيْمَةِ وإفشاء أسرارنا ، وأخذوا ينظرون إلينا نظراً الأعداء بتحديقٍ شديد ،

(١) هو الراعي النيمري ، أو القتال الكلابي . انظر ما سبق في حواشي ٣٨٣ .

٥٠٠ ، ٦٠٦ .

(٢) صدره : * هن الحرائر لا ربات أحرمة *

(٣) ل : « العين » .

واستكشاف لما خفي من أمرنا بليغ ، أقبلت أحترز وأقصر أشواطهم فيما ينتحونه من مساءتنا ، والقعود والقيام بذكرنا ، فأتأخر عن زيارتكم شهراً وأوافيكم يوماً ؛ هذا ولا أقصد جفاءً ولا أضمر بغضاً ، وإنما بي مضي أيماننا بالسلامة منهم ، ورد كيدهم في نحورهم ، ولئلا يجدوا مقالا فيركبون عليه قصصاً وأنباء . وقوله « نظراً شرراً » يقال : هو يشزر الطرف إلى ، إذا نظر نظراً منكراً . يتبين فيه العداوة . قال أوس ^(١) :

إذ يشزرون إلى الطرف عن عرض كان أعينهم من بفضي عور
وقوله « جعلت » لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طفقت وأقبلت . وانتصب يوماً وشهراً على الظرف ، و « تتبعوا هواناً » في موضع المفعول الثاني لرأيت .

٤٦٩

وقال بعض القرشيين ^(٢) :

- ١- يئنا نحن بالبلاكت فالقا ع سراعاً والعيس تهوى هويًا ^(٣)
- ٢- خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنك فما استطعت مضياً
- ٣- قلت لبيك إذ دعاني لك الشوق وللحاديين كراً المظياً ^(٤)

(١) أوس بن حجر . ديوانه ص ٩ .

(٢) النبريزي : « وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة ، خرج إلى الشام ، فلما كان ببعض الطريق ذكر امراته صالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير ، وكان شديد الحب لها ، فضرب وجوه رواحله إلى المدينة وقال : بيننا نحن بالبلاكت . فلما رأت رجوعه من أجلها وسمعت الشعر قالت لا جرم والله لا أستأثر عليك بشيء ! فشاطرته ماها ، وكانت تضمن عليه بماها . » وأنشد ياقوت في (البلاكت) بيتاً لكثير ، ثم قال : « وقال أيضاً » . وأنشد الأبيات ، فهي عنده منسوبة لكثير .

(٣) ابن جني في التنبيه : « في بلاكت بالقاع » .

(٤) النبريزي وياقوت : « حشا المظيا » .

قد تقدّم القول في « بينا » و « بينما » جميعاً^(١) ، وأنهما يستعملان في المفاجأة . وانتصب « سراعا » على الحال ، لأنه جمل بالبلا كـث مستقراً . والواو من قوله « والعيس » واو الابتداء وهو للحال أيضاً .

وقوله « خَظَرْتُ خُطْرَةً »^(٢) هي الحالة التي فاجأهم . وانتصب « وهنّا » على الظرف ، ومعناه بعد ساعة من الليل . وقوله « خَظَرْتُ خُطْرَةً » ، يقال : خَظَرَ بِبَالِي خُطُوراً ، وخَظَرَ الْبَيْرُ بِذَنْبِهِ خُطَرَانًا . ويقال : سَنَحَ لِي سَاحَ ، وَهَجَسَ هَاجِسٌ ، وخَظَرَ خَاطِرٌ . وكأنه أجرى خَظَرْتُ خُطْرَةً مجرى قوله : دَعَتْ دَعْوَةً مِنْ ذَكَرِكَ ، لقوله : « قُلْتُ لَبَيْكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشَّوْقُ » . والشاعر وَصَنَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الْهُوَى ، وأنه في مَلَكَتِهِ ، إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ حَتَّى لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . فيريد : بينما نحنُ بهذينِ الموضعينِ نسيرُ مُسْرِعِينَ ، وَالرَّوَاهِلُ تَهْوِي بِنَا فِي أَثْنَائِهِمَا وَمَعَاظِفَهُمَا ، وَتَقَطُّعُ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا ، خَظَرْتُ ذِكْرَةً بِبَالِي ، وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ ، فَتَحَيَّرْتُ حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي الْمَقْصِدِ الَّذِي كُنْتُ أَوْثَمُهُ ، وَحَتَّى لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا إِجَابَةَ دَاعِي الشَّوْقِ إِلَيْكَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالْوُقُوفِ لَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلْحَادِيَيْنِ : انْصَرِفَا وَاعْطِفَا بِرُؤُوسِ مَطْيَكُمَا ، فَقَدْ مَنَعَ مَا طَاعَتُهُ أَوْجِبُ ، وَدَفَعَ فِي صَدُورِنَا مَنْ أَمْرُهُ أَنْفَذُ .

وقد تقدّم الفرق بين الهوى والهوى^(٣) .

وقوله « بالبلا كـث فالبقا » رَتَّبَ القاعَ عَلَى الْبَلَا كـث بِالْفَاءِ الْعَاطِفَةِ ، كَأَنَّهُ ارْتَقَى مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَبِحُجُوزِ أَنَّ الْبَلَا كـث اسْمُ لِبْقَاعٍ مُخْتَلَفَةٍ ؛ لِأَن بِنَاءَ الْجَمْعِ . وقوله « لَبَيْكَ » هُوَ مَنْ أَلْبَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَطَامَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ كَأَن سَبَّحَانَ اللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ . وَالْكَلِمَةُ مُثَنَّاةٌ عِنْدَ سَبَبِيهِ ، وَالْمُرَادُ عِنْدَهُ إِقَامَةٌ

(١) انظر ما مضى في الحماسة ٤٤٩ ص ١٢٠٣ .

(٢) الكلام بعده إلى « خَظَرْتُ خُطْرَةً » التالية ؛ ساقط من ل .

(٣) انظر ما سبق في ص ٩١ .

للدّاعى تتبعها إقامة ودوام على طاعته ومتابعته . ويُقرّن بها سَعْدَيْكَ ، المعنى :
مساعدة بعد مساعدة واستمرار على مشايعته . وحصل التّكثير والاتّصال فيه
بالتثنية ، كما حصل بالتّكرير فى قولك : ادْخُلُوا الأوَّلَ الأوَّلَ . قال سيّويه :
أخبرنا أبو الخطّاب أنّه يُقال للمُداوم على الشّئ لا يُقاع عنه ولا يفارقه : قد
ألبّ عليه . أنشد للتثنية فيه قول الشّاعر :

دَعَوْتُ إِمَامًا نَابِيَّ مِسُورًا فَلَبَّيْ فَلَْبَيَّ يَدَيَّ مِسُورٍ^(١)

هكذا روايته وإنشاده عن العرب بهذا اللفظ . وحكى أيضًا عن بعضهم :
لَبَّ بالكسر ، يجعله صوتًا مثل غاقٍ . وعند يونس أنّه موحد لَبَّي ، وانقلب
ألفه ياءً كما انقلب فى عُلَى وَلَدَى عند الإضافة إلى مضمر . وعلى مذهبه يجب أن
يكون « فَلَبَّيَّ يَدَيَّ » كما أن عُلَى وإلى وَلَدَى إذا أضيفت إلى الظّاهر لا يتغيّر
ألفها . تقول : على زيدٍ وإلى عمّرو .

٤٧٠

وقال آخر^(٢) :

١ - اسْتَبَقِي دَمْعَكَ لَا يُودِ الْبَكَاءُ بِهِ وَاكْفُفْ مَدَامَعَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ

(١) البيت من أبيات سيّويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل . سيّويه (١ : ١٧٦) ،
والخزّانة (١ : ٢٦٨) .

(٢) التبريزى : « وقال ابن هرمة » . وهو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة الفهرى ،
كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأصمعى يقول : ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم
الحضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى . وفى الأغانى (٤ : ١١٣) :
« ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور قصيدته التى يقول فيها :

إن الغواص قد أعرضن مقبلة لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جنى فى المجهج ٥٥ أن مأخذ هرمة من الهرم ،
بالفتح ، وهو ضرب من النبت . وانظر الخزّانة (١ : ٢٠٣ - ٢٠٤) واللكنى ٣٩٨
والشّمر ٢٧٩ - ٣١٧ .

٢ - ليس الشؤون وإن جادت ببقية ولا الجفون على هذا ولا الحدق قوله « لا يُود البكاء به » يجوز أن يكون جواب الأمر ، ويجوز أن يكون نهياً وهو أحسن وإن لم يكن معه حرف العطف ، وذلك لأنه قد ذكر بعده « واكفنت مدامع من عينيك » ولم يأت له بجواب ، كأنه أمره باستبقاء الدمع ، ونهاه عن التهاك في البكاء فيفسد عليه آلتة . ثم أمره بكف المدامع وهي تستبق . وإذا كان السلام نهياً بعد أمر وأمرأ بعد نهى ، كان أبلغ . ومعنى أودى بكذا أهلكه . والاستباق في المدامع مجاز ؛ لأن الذى استبق فى التحذر هو الدمع . والدمع : تجرى الدمع ، ولا يمنع أن يكون الدمع اسماً لحدث الذى هو السيالان ، كأنه موضوع موضع الدمع ، وهو مصدر دمعت ، ويكون المراد به أيضاً العين الذى هو الجارى ؛ لأن الاستباق لا يصح إلا فيه .

وقوله « ليس الشؤون وإن جادت ببقية » يريد : أنك إن أدمنت البكاء استهلكت منابع الدمع ومجاريها ، وأطباق العين وحمايقها ؛ لأن شيئاً من هذه الآلات وإن سمحت بالإجابة مدّة لا يدوم على فعلك ، ولا يقوم لتكليفك . وقوله « على هذا » أشار بهذا إلى فعله ، وعلى تعلق ببقية ، وهو مضمّر دل عليه الباقية المذكورة ، كأنه قال : ولا الجفون باقية على هذا ، وجعل « لا » من قوله والجفون بدلاً من ليس ، والجفن فى اللغة : المنع والحبس ؛ لذلك سُمي غلاف السيف الجفن .

٤٧١

وقال آخر :

١ - قد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزكن بى النقص والإبرام حتى علانينا يقول : بقيت أزاوِل الحب وأجاذبه ، وهو معنى متردّد بين أن أعلوه تارة

فأدفعه عن نفسي بجهدى ، وبين أن يعلونى فيغلبنى على مرادى ، وبأخذ مقره
من فؤادى ، فلم نزل بين النقص والإصرار ، أنقض عليه وهو يُعمر ، وينقض
على وأنا أُمِر ، إلى أن صار الغلب له .

وهذا الذى أشار إليه حالة الحب إذا لم يكن عن اعتراض . لذلك قال
أبو تمام :

هَوَى كَانَ خَلْسًا إِنْ مِنْ أَبْرَحِ الْهَوَى هَوَى جُلْتَ فِي أَفْيَائِهِ وَهُوَ جَائِلٌ^(١)
كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْمَحْبُوبَ فَيَفْكَرُ فِي مُحَاسِنِهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَوَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ،
وَيَسْتَحْلِيهَا^(٢) شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ لَهَا فِي قَلْبِهِ قَادِحٌ وَنَازِعٌ ، فَيَدْفَعُهُ
عَنْ نَفْسِهِ بِأَنْ يَزِيْفَ تِلْكَ الْحَاسِنَ ، وَيَنْفَاسِي وَيَذَرُّهُ فِي صَدْرِ ذَلِكَ الْقَادِحِ مِنْ
الْهَوَى وَيَتَأَنَّى^(٣) ، فَكَلِمًا قَدَّرَ أَنَّهُ قَدْ تَحَلَّى عَاوَدَهُ الْوَسْوَاسَ جَدْعًا ، فَلَا يَزَالُ
بَيْنَ الْقَبُولِ وَالْامْتِنَاعِ ، وَالنَّاسُكِ وَالْانْهِيَارِ ، وَمَدَافِعِ الدَّاءِ بِالْذَّوَاءِ ، إِلَى أَنْ
يَصِيرَ الْغَلْبُ لِلْهَوَى .

والمعتزُّ من الهوى هو الذى يقعُ عن أوَّل وهله ، فيسبى القلبَ فى دَفْعَةٍ
واحدة ، إِلَّا أَنْ تَرَكَهُ أَسْرَعَ ، كَمَا أَنَّ أَخَذَهُ أَسْرَعَ . على ذلك قول الأعشى :

* عُلِقْتُهَا عَرَضًا^(٤) *

وما يجرى مجراه . وهم يشبهون مثل هذا الهوى بنارٍ تُوقَدُ بضرامٍ أو بعَرَفَجٍ
وما يجرى مجراه ، فترتفعُ سريعاً وترجعُ سريعاً . وأنشد ابنُ الأعرابي بيتاً

(١) فى اللديوان ٢٥٦ :

هوى كان خلساً إن من أحسن الهوى هوى جلت فى أفْيَائِهِ وهو خامل

(٢) ل : « ويستحليها » .

(٣) ل : « ويتأنى » .

(٤) البيت بتمامه :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً فبرى وعلق أخرى غيرها الرجل

في قسمة [الهوى] ^(١) زعم أنه لا ثانی له ، وأن قائله لا يعرف وهو :
ثلاثة أحبّ أب فحبّ علاقةً وحبّ تملّاق وحبّ هو القتل ^(٢)
يعنى ما يكون من تعمّل وطول تأمل .

٢ - ولم أر مثليّنا خليلي جنباً أشدّ على رغم العدو تصافياً
نبه بهذا الكلام على أنها مع المجانبة واستعمال الحذر ، واستدفاع شرّ
الرقباء والحافظين بترك الورود والصدر ، وإكساد سوق الوشاة والتمّامين
بإخماد نائرة الخبر ، يضافي كل واحد منهما صاحبه ، حتّى لا خلل في الهوى
ولا فساد ، ولا استزادة في الحب ولا عتاب ، ولا تسلط تهمة ^(٣) لعارض تسلي ^(٤)
وحؤول عن عهد .

ولمّا قال « على رغم العدو » استهانة بهم . وهو من الرغام : التراب .
وإذا قيل : أرغم الله أنفه فالعنى أدله الله وأسخطه . وانتصب « تصافياً » على
التمييز . وقوله « خليلي جنباً » انتصب على أنه بدل من مثليّنا ، وأشدّ مفعول
ثان لأرى .

٣ - خليلين لا ترّجو لقاء ولا ترى خليلين إلا يرّجون التلاقي
ذكر أن اليأس قد استقرّ في قلب كل واحد منهما من ملاقة صاحبه
والتصافى بينهما هو أن ذلك من كمال البلاء ، إذ لا يوجد خليلان غيرهما إلا وهما
على شفا الرجاء في الاجتماع ، وقوّة من الطمع في الالتقاء والاستمتاع ، واليأس لذي

(١) التكلّة من ل .

(٢) كذا ضبط البيت في النسختين ، ويصح أن يقرأ بالإضافة ، بجر « علاقة »
و « تملّاق » . وانظر مجالس ٢٩ . وفي إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه
ص ٨١ ، قال ثعلب : ومثله :

ثلاثة ابيات فبيت أحبه وبيتان ليسا من هواى ولا شكلى

(٣) ل : « همة » .

(٤) في الأصل : « تشك » صوابه في ل .

أشار إليه كأنه لارتفاع منزلة الحبوب عن منزلته : أو لكثرة أوليائه وقوة
عشيرته أو لعفاه وتألمه ، وما يجري مجراها .

٤٧٢

وقال آخر^(١) :

١ — وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ رأيتُها سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيْئَةُ الْخَطِّابِ^(٢)

موضع « سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ » نصب على أنه مستثنى مقدم ، لأن
تقدُّمه على صفة المستثنى منه كتقدُّمه عليه نفسه . ومعنى البيت ظاهر .

٤٧٣

وقال الحُسَيْن بن مُطَيْر^(٣) :

١ — فَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي كَأَن لَّمْ يَرَوْا بَعْدِي مُحِبًّا وَلَا قَبِيلِي

قوله « يَسْتَشْرِفُونَنِي » أى ينظرون إليّ ، وتطمحُ أبصارُهم نحوى .
ويودُّون أنى على شرف من الأرض ، لأكون معرَّضًا لهم .

والشاعر أخذ يتعجب من أحوال الناس فيما رأوه عليه ، واستطرافهم
لحالته فى حبه ، واستشرافهم لما يشاهدونه عليه ، حتى كأنه بدع من الحوادث
لم يشاهد مثله ، ولم يقع فى تقدير أحدٍ جواز صورته ، فقال : يا عجبا للناس فى حال
استشرافهم لى ، واستطلاعهم من جهتي ما أنا عليه ، وإفراطهم فى التعجب بما
يجدونى مبتلى به ، ومرهونا له كأنهم لم يشاهدوا قبل مشاهدتهم لى ، ولا بعد

(١) هو قيس بن ذريح ، صاحب لبي . انظر مجالس ثعلب ٢٨٥ - ٢٨٧ وشرح
شواهد المغنى للسيوطى ١٨٣ والأغانى (٨ : ١١٢) .

(٢) رواية ثعلب والسيوطى عنه :

وكل ملأت الدهور وجدتها سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب

وفى الأغاني : « وكل ملأت الزمان وجدتها » .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسة ٣١٩ ص ٩٣٤ .

مشاهدتهم لى محبباً، وكان الحبّ شىء أنا ابتدعته^(١)، وكان مسببانه لم توجد قط إلا فى . وليس الأمر كذلك ، لأن الدنيا وأهلها إذا توثقت أحوالهم فيها لم يُعَوِّزَ تقديرًا أو تحصيلًا مَنْ حاله حال مثلى فيه زائدًا على ما أنا عليه ، أو قاصرًا عنه . هذا إذا جملت « لم يَرَوْا » بمعنى لم يشاهدوا . فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أ كَشَفَ وأَبْنَى ، إلا أنه يكون بمعنى يعرف ، ويكتفى بفعول واحد . وقوله « بعدى » أى بعد رؤيتهم لى ، لحذف المضاف ، وكذلك قوله « ولا قبلى » يريد ولا قبل رؤيتهم لى . وقوله « يا عجبا » يجوز أن يكون منادى مضافا ، ويجوز أن يكون مفرداً ، وقد تقدّم القول فيه وفى أشباهه .

٣- يقولون لى اضرِم برجع العقل كله وضرِم حبيب النفس اذهب للعقل يقول : يُشِيرُ الفاس على بالتسلّى عنها ، والأخذ فى مصارمتها ، وأخذ النفس على الانفكاك منها ، فإن فى ذلك بزعمهم إذا تدرّجت فيه مراجعة العقل كاملاً ، وانتراع رِبْقَةُ الذِّلِّ عاجلاً . وإذا تأملتُ حالى فى قبول ما يشيرون به ، ورُكُوبِ الجِدِّ فى قطيعتها ، والحيلولة بين النفس ومُرادها فيها ، وجدت ذلك أدعى إلى زوال العقل كله ، وإن كان الباقى منه شُفَافَةً ، وأجَلَبَ لهلاك النفس ، وخرج الصدر ، وإن كنتُ عائشاً بصُبابَةٍ . وقوله « اذهب للعقل » قد تقدّم القول فى أن سيديويه يجوز بناء فعل التعجب بعد الثلاثى مما كان على أفعَل خاصة ، فإذا جاز ذلك فبناء التفضيل يتبعه .

٣- ويا عجباً من حُبِّ مَنْ هو قاتلى كائى أجزيه المودّة من قتلى تعجب من حال نفسه فى مقاساة^(٢) ما يقاسى منها ، وبقائه^(٣) على حبها

(١) ل : « أبدعته » .

(٢) ل : « مقاساته » .

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « ويعانيه » .

فيقول : إِنِّي أَدَاوِمُ اعْتِقَادَ الْجَلِيلِ لَهَا ، وَقِيَامَ الْقَلْبِ بِعِمَارَةِ الْهُوَى فِيهَا ، حَتَّى كَأَنِّي أَجَازِيهَا عَلَى قَتْلِهَا إِيَّائِي بِأَن أَزِيدَ فِي وُدِّهَا وَإِخْلَاصِ الْعَقِيدَةِ لَهَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ قَتَلِي » أَرَادَ مِنْ قَتَلَهَا لِي . وَالْمَصْدَرُ يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « مِنْ حَبٍّ مِنْهُ هُوَ قَاتِلِي » أَيْ مِنْ حَبِّي مِنْهُ هُوَ قَاتِلِي ، لِأَنَّ مَنْ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ . وَقَوْلُهُ « يَاعَجِبَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَلْفُ بَدَلًا مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَلْفُ التَّنْبِيهِ وَزِيدَتْ لِمَتَدِّ الصَّوْتِ بِهِ ، وَيَكُونُ يَا عَجَبُ مُنَادًى مُفْرَدًا ، وَامْتِدَادُ الصَّوْتِ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ الْبَلِيَّةِ ، وَتَفْخِيمِ أَمْرِ الْعَجِيبَةِ .

٤ - وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنَّ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَابِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي يَقُولُ : وَمِنْ آيَاتِ حُبِّي الْبَيِّنَةِ ، وَشَوَاهِدِ الصَّادِقَةِ ، عَلَى تَكَامُلِهِ لَهَا ، وَتَوْنَاهِيهِ فِي اسْتِحْكَامِهَا ، أَنِّي أَوْثَرُ أَهْلَهَا عَلَى أَهْلِي ، وَأَنَّ رَتَبَتَهُمْ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ أَعْلَى مِنْ رُتْبَةِ عَشِيرَتِي عِنْدِي . وَقَدْ خَلَّصَ هَذَا الْمَعْنَى عَنَتَرَةً حَيْثُ قَالَ :

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لِعَمْرُ أَيْبِكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)
لِأَنَّ فِي قَضِيَّةِ الْهُوَى وَالْعَقْلِ أَنَّ حُبَّهَا مَعَ عِدَاوَةِ أَهْلِهَا لَيْسَ بِمُقْسَقٍ
مَوْلَا مُتَسَبِّبٍ ، بَلْ يُفَاقِي كُلَّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ^(٢) ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ أَنَّهَا إِذَا كَرُمْتَ
عَلَيْهِ فَكُلُّ مُتَسَبِّبٍ إِلَيْهَا سَبَبٌ ، وَمُنْتَسَبٍ [بِنَسَبٍ^(٣)] ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُؤْتَرَا
عِنْدَهُ ، مَبْجَلًا فِي حُكْمِهِ .

وَأَيُّنُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَأَقْسَمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِنَابَ الْفَلَا حُبَّتْ إِلَيَّ ذُنَابُهَا^(٤)

(١) الزعم ، بالتحريك وبالفتح : الطمع . وهذا البيت شاهده .

(٢) ل : « بل يُفَاقِي صَاحِبِهِ » . (٣) التكلية من ل .

(٤) سيأتي هذا البيت في الحماسية ٥٣١ .

وقوله « أن كان أهلها » أن مخففة من الثقيلة ، أراد أنه كان أهلها ، والهاء من أنه ضمير الأمر والشأن ، وقد تقدم مثله . وموضع أن بما بعده رفع بالابتداء وخبره قوله ومن بينات الحب .

٤٧٤

وقال عمر بن أبي ربيعة^(١) :

- ١- وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْفَرْتَ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا^(٢)
 - ٢- فَقُلْتُ لِمُطْرِبِينَ وَيَحْكُ إِنَّمَا ضَرَرْتَ قَهْلَ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَتَقَنَّعَا^(٣)
- قوله « لما » يحتاج إلى جواب ، لأنه لوقوع الشيء لوقوع غيره ، إذا كان علما للظرف ، فيقول : لما تفازعنا الحديث ، واندفعنا فيه ، وأشرقت وجوه تلاما نورا ، استخفت أربابها الحسن الجائل في جوانبها ، ومنعها من أن يسترها بقماع عجبها ، والتذاذاً بخوض عيون الناس في محاسنها ، قلت للمثنى عليين : إن ثناءك بضرتنا ، لتنبهك على كثير مما لعله يخفى عليين من دقائق الجمال ،

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، أحد شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ولد في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ ونفاه عمر بن عبد العزيز إلى « دهلك » لما شاع غزله وتمرضه للنساء ومنهن سكينه ، وابنة عبد الملك ابن مروان ، ثم غزا في البحر ، فأحترقت السفينة التي كان فيها فاحترق ، وذلك في سنة ٩٣ . الأغاني (١ : ٢٨ ٩٤) والحزانة (١ : ٢٣٨ - ٢٤٠) ، ووفيات الأعيان والشعر والشعراء ٥٣٥ - ٥٤٠ .

(٢) بعده عند التبريزي :

تَبَاهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٌ أَكَلْ وَأَوْضَعَا

وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتِّيمٍ بِقَيْسٍ ذِرَاعًا كَلَّمَا قِسْنَ إَصْبَعَا

(٣) في الديوان ٣٣ وأمالى القالى (٢ : ٤٩) : « لمطهرين بالحسن » . وفي الأصل :

« ويلك إنما » ، والتفسير يقتضى ما أثبت من ل والتبريزي .

ولطائف السكال . إذ كان ذلك يزيد في الإعجاب بأنفسهم ، ويُكسِب^(١) الكِبَر في أخلاقهم ، فهل تقدّر بذلك ذلك على ما ينفَعُ ما معهن . وجواب لما إن شئت جعلته « فقلت » على أن يكون الفاء زائدة ، وإن شئت جعلته محذوفاً ، كأنه قال : لما فعلنا ذلك كله توائسنا ، أو ما يجري مجراه . وقد تقدّم القول في أن لو ولنا وحتى يُحذف أجوبتها ، ويكون إيهامها لِحذفها أبلغ في المعنى . ويقال : أطرى فلان فلاناً ، إذا مدحه بأحسن ما قدر عليه . وقوله « نستطيع » منقوص عن نستطيع . وويح ، قال الأصمعي : هو ترحم ، فإذا أضيف بغير اللام بُنِصِب ، ويكون العامل فيه فعلاً مضمراً ، كأنه قال : ألزمه الله ويحاً ، وانتصب فتفعلاً بأن مضمرة ، وهو جواب الاستفهام . ومعنى « زهاها الحسن » استخفها ويقال : زهت الأمواج السقينة والرياح النبات . وقوله « أن تتفعنا » أراد من أن تتفعنا ، وهم يحذفون الجار مع أن كثيراً .

٤٧٥

وقال أبو الرئيس الثعلبي^(٢) :

- ١ - هل تُبْلِغني أم حَرْبٍ وتَقْذِفَنِي على طَرْبٍ بيئوت هم أقاتله
 - ٢ - مُبِينُهُ عَنقِ حُسْنِ خَدٍ ومِرْفَقًا به جَنَفٌ أن يَعرُكَ الدَفَّ شَاغِلُهُ
- قوله « على طَرْبٍ » يجوز أن يتعلق بتبغائي ، ويجوز أن يتعلق بتقدفني ،

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ويكتسب » .

(٢) كذا في النسختين واللسان (ربس) ونص على أنه « من شعراء ثعلب » . وصوابه « الثعلبي » كما عند التبريزي ، وقال : « من ثعلبة بن سعد بن ذبيان » ، وهو يطابق ما في التكملة للصغاني . وفي القاموس : « وأبو الرئيس عباد بن طهمة الثعلبي » ، وفي تاج العروس أنه يقال أيضاً « طهفة » ، وه شاعر إسلامي ، كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢ : ٥٣٤) فقلا عن ابن ماكولا . وذكر البغدادي في رواية أخرى أنه أبو الرئيس عباد بن عباس بن عوف ابن عبد الله بن أسد بن فاشب بن سيد بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

والفعلانُ جُمعا على قوله «مُيَدْنَةُ عِنَقٍ» وهي ناقةٌ . والاختيارُ عند أصحابنا البصريين أن يرتفع بالأقرب ، وهو تَقْدِفَن ، ويجوز أن يرتفع بئبْلَغْنِي ، وعلى هذا : جامنِي وأكرمْنِي زيدٌ . والطَّربُ : خِفَّةٌ تَلَحُّقُ لِنَشَاطٍ وَجَدَلٍ ، واهتمامٍ وجزعٍ . وبُيُوتُ هَمْ ، فَعُولٌ من قولك : بات يبيت . كأنَّهُ هَمْ جَاءَهُ لَيْلًا فَلَا زَمَهُ . وعلى هذا قيل في الصَّقِيعِ : البُيُوتُ . وانهصب «حُسْنُ خَدٍ» على التَّمْيِيزِ . والجَنَفُ : اللَّيْلُ . وَرَجُلٌ أَجْنَفُ : فِي خَلْقِهِ مَيْلٌ ، وقيل : هو الطَّوِيلُ الْمُنْحَنِي . والعَرَكُ : الدَّلَالُ وَالْعَمَزُ . وقوله «بِهْ جَنَفٌ» فِي مَوْضِعِ النَّصَبِ ، لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِمَرْفَقٍ . وَ«شَاغَلَهُ» صِفَةٌ لَجَنَفٍ . وَإِضَافَتُهُ عَلَى طَرِيقِ التَّخْفِيفِ ، فَهُوَ نَكْرَةٌ وَالتَّنْوِينُ مَنَوًى ، كَأَنَّهُ شَاغَلَهُ . وَيُرِيدُ بِقَوْلِهِ «بِهْ جَنَفٌ» أَنَّ الْمَرْفَقَ مُتَبَاعِدًا عَنِ الزَّوْرِ ، لِأَنَّ الدَّاقِقَةَ فَتَلَاهُ ؛ وَلَوْلَا بُعْدُهُ [عَنْهُ^(١)] لَكَانَ يَكُونُ نَاكِتًا أَوْ حَازًا أَوْ ضَاغِطًا ، أَوْ نَاقِرًا^(٢) وَذَلِكَ عَيْبٌ يَمْنَعُ مِنْ إِدَامَةِ السَّيْرِ . فَيَقُولُ عَلَى وَجْهِ التَّمْنَى : هَلْ أَرَانِي رَاكِبًا نَاقَةً تَوَصَّلَنِي إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، نَشِيطَةً طَرِبَةً ، وَتَطْرَحُ عَنِّي زِمْلَ هَمْ أَزَاوَلُهُ وَأَدَافِعُهُ ، وَهِيَ تُتَلَازِمُنِي بِاللَّيْلِ وَلَا تُفَارِقُنِي . وَهَذِهِ النَّاقَةُ لَهَا شَوَاهِدٌ تُوجِبُ عِتْمَتَهَا وَكَرَمَهَا ، مِنْ حُسْنِ الْخَدِّ وَالْمَرْفَقِ لِلتَّجَانِفِ عَنِ الزَّوْرِ .

٣- مُطَارَةُ قَلْبٍ إِنْ ثَنَى الرَّجُلُ رِجْلَهَا بِسَلْمٍ غَرَزٍ فِي مُنَاخٍ تُعَاجِلُهُ

هذا يرجعُ إلى صفة النَّاقَةِ ، والمراد أَنَّهَا ذَكِيَّةُ الْفَوَادِ ، شَهْمَةُ النَّفْسِ ، فَكَانَ بِهَا لِنَشَاطِهَا وَذِكَايَتِهَا جُنُونًا أَطَارَ قَلْبَهَا ، وَأَزَالَ مُسْكَنَتَهَا . وَقَوْلُهُ «إِنْ ثَنَى الرَّجُلُ رِجْلَهَا» جَوَابُ الشَّرْطِ فِيهِ قَوْلُهُ «تُعَاجِلُهُ» وَأَصْلُهُ تُعَاجِلُهُ ، اللَّامُ

(١) النكلة من ل .

(٢) الناكِت : أن ينحرف المرفق حتى يقع في الجنب فيؤثر ، فإذا حز فيه قيل له حاز ،

خاذا خرقه فذلك الضاغط .

ساكنة للجَزَمِ ، ولكنّه نُقِلَ إليها حركة الهاء ، وهو ضمير يرجع إلى «ربّها» .
ومثله قول طرفة :

* لو أطيعُ النَّفسَ لم أَرِمُهُ ^(١) *

يريد : لم أَرِمُهُ ، فنقل . والمعنى أنّها خلقتها وحَدَّثتها ، متى همّ صاحبها
برُكوبها فثني رجلها ، أي غطف بفرزها الذي هو كالشِّم ، وهو الرّكاب ،
عاجلته فهضت به قبل تمكّنه من رُكوبها ، واستقراره على ظهرها .
وقد سلك هذا المسلك ذو الرُّثمة في البائية التي أولها :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب ^(٢) *

حدّثت عن الكِسْروى على بن مَهْدَى الإصهاني ^(٣) عن شيوخه ، أنّ
ذا الرُّثمة أنشد هذه القصيدة كثيرَ عزّة ، فلما انتهى إلى قوله :
* حتّى إذا ما استوى في غَرزها تَنَبُّ ^(٤) *

قال له : أهلكك والله راكبها ، هلا قلت كما قال الراعى :

تَراها إذا قُمتَ في غَرزها كمثلِ السَّفينةِ أو أَوْقرُ

فهذا ما روى لنا . وقد ذكر الراعى في موضع آخر فقال :

وكانَ رِيضُها إذا يَاسَرَتها كانتَ مُعاوِدَةَ الرَّحيلِ ذُلُولا

وحسبى لى أنّ سعيد بن سَلَمٍ الباهليّ ، قال : قرأنا هذه القصيدة على

الأصمى من شعر الراعى ، فلما انتهينا إلى البيت رواه :

* وكانَ رِيضُها إذا يَاسَرَتها *

(١) صدره في ديوان طرفة ١٦ :

* حابسى رسم وقفت به *

(٢) عجزه : * كأنه من كلّى مفرية سرب *

(٣) ل : « الأصهباني » ، وإصهبان تقال بالباء وبالفاء ، ويفتح الهمزة وكسرها .

(٤) صدره : * تصنى إذا شدها بالكورجانحة *

فقلت : ما معنى « باسرتها » ؟ قال : ركبناها ، من المباشرة . فسألنا ذلك أبا عبيدة عنه ، فقال : صحف والله ، إنما هو « إذا ياسرتها » أى لم أعازها ولم أقتسرها . ومثله قوله .

إذا يُوسِرتْ كانت وقوراً أديبةً وتحسبها إن غوسرت لم تؤدب
٤ — يُبارى بها القود النوافخ في البرى قليلُ النزولِ أغيدُ الخلقِ عاطلة
٥ — مُراجعُ نجدٍ بعد فركٍ وبغضةٍ مُطلقُ بضرى أصمغ القلبِ جافلة

يقول : يعارض بهذه الراحة التي وصفها رواحل طوال الأعناق ، تنفخ في بُراها لنشاطها ، رجل قليل النزول عنها ، ناعم الخلق عاطلة ، يعنى نفسه ، أى أنه يجد في السير ويديمه . وقوله : « مُراجعُ نجدٍ » أى أنه بعد أن فارق نجدًا وأبغضه لخلوّه من حبيبه يريد أن يراجعة ويفتقل عن بضرى — وهى قرية بالشام تطبع فيها السيوف البصرية — ويحلّ بها . ومعنى أصمغ القلب : حديدّه . جافله ، أى مُسرعه . ويقال : أجفل الظليم وجفل ، إذا نشر جناحيه وصرّ يمدّو ، وكلّ هاربٍ من شيء فقد أجفل عنه . والظليم يُجفل وجافل جميعاً . وذكر المراجعة والتطليق ، واستمارةً للانتقال والتخيلة . وقد فعّل أبو تمام مثل هذا فقال :

* فيها وطلّقتُ الشرور ثلاثاً^(١) *

إلا أن ما قاله هذا الشاعر أحسن ، حين زوّج التطليق بالمراجعة . وقوله « نوافخ في البرى » النوافخ : المتنفسات نفخاً لنشاطها . والبرى : الحلق التي في أنوفها . وقوله « أغيدُ الخلق » أى مثنيه ، وعاطله أى يعطّله من الترفه ، ويفطمه عن النعمة . وكل مهمل متروك فهو معطل وعاطل .

(١) صدره في ديوانه ٦٦ ،

* أرض خلعت اللهو تحلى خاتمي *

٤٧٦

وقال عبد الله بن عجلان النهدي^(١) :

١ - وَحُقَّةٌ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسْتَهَا شَبَابِي وَكَاسٍ بَاكَرْتَنِي شَمُولَهَا

٢ - جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَانَهَا سَقِيَّةٌ بَرَدِي نَمَتْهَا غِيُولَهَا

قوله « وَحُقَّةٌ مِسْكٍ » كنايةٌ عن امرأةٍ جعلها لطيِّبٍ رِيًّاها كظرفِ مِسْكٍ . ومعنى « لَبِسْتَهَا » تَمَتَّعْتَ بِهَا . وقال ابنُ أحر :

لَبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا

وموضعُ قوله « شَبَابِي » نصبٌ على الظَّرْفِ . والمعنى زَمَنَ شَبَابِي ، ومُدَّةُ شَبَابِي . والمصادر تُحذفُ منها أسماءُ الزَّمانِ كثيراً . وقوله « وَكَاسٍ » انعطف على قوله « وَحُقَّةٌ مِسْكٍ » والعاملُ فيها رُبٌّ ، والواو واوُ العطف ، وليست بنائبةً عن رُبٍّ ، بدلالةِ أنه لو كان كذلك لَوَجَبَ أَنْ يُدْخَلَ الحَرْفُ العاطفُ عليه ، فيقال وَوَحُقَّةٌ مِسْكٍ . والشَّمُولُ : الحمرةُ التي لها عَصْفَةٌ كعَصْفَةِ الشَّمَالِ . وقد قيل : هي التي تشتمل على العقل فتَمْلِكُهُ وتَذْهَبُ بِهِ .

وقوله « جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ » أدخلَ الهاءَ على جَدِيدَةٍ ، والأكثرُ أَنْ يُقالَ : مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ . وطريقةُ سِيَبِيهِ فيه أنه صفةٌ مذكَّرةٌ تَبِعَتْ مُؤَنَّثًا ، وَيُؤَنَّى فِي ذَلِكَ الْمُؤَنَّثِ مَا يَكُونُ لَفْظُهُ مذكَّرًا ، كَأَنَّهُ يَنْوِي بِالْمِلْحَفَةِ إِزَارًا ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى . وَبَعْضُهُمْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى فاعِلٍ ، فَلِحَقِّهِ الهاءُ

(١) هو عبد الله بن المعجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحلاف بن قضاة ، شاعر جاهلي ، أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم ، وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك ، فنزوت زوجا غيره . فمات أسفاً عليها . الأغاني (١٩ : ١٠٢ - ١٠٥) والشعراء ٦٩٦ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٧٦ - ٧٨ .

قياساً ، فهو كظريفٍ وظريفة ، لأن الفعلَ منه جَدَّ الثَّوبُ يَجِدُّ جِدَّةً . وبعضهم ذهبَ إلى أَنَّهُ فَعِيلٌ في معنى مفعول ، كَأَنَّ ناسجها جَدَّها قريباً ، أى قَطَعها ، . فلهذا يُسْتَنَكَّرُ إلحاقُ الهاءِ به . ومعنى « جديدة سربال الشباب » أنها في عُفْوانِ شبابها ، وأن عليها غَضارةُ الحدوثِ ، ونَضارةُ النِّشَاءِ ، فكانَها سَقِيَّةٌ بَرْدِي . والسَّقِيَّةُ في معنى مَسْنِيَّةٍ ، جعلها اسماً ، فهي كالْبَنِيَّةِ واللَّقِيطةِ . وشبَّها بها لزيادة خِلقتها وحُسنِ بَنِيَّتِها . ألا تَرى أَنَّهُ قال : « نَمَتْها غُيُولُها » . والغُيُولُ : جمع الغِيلِ ، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار . وقال الدُّرَيْدِيُّ : الغِيلُ : الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ . والغِيلُ ، بكسر الغين : الماء يجري بين الأشجار ، وربما سَمَّوا الشجرَ اللَّتَفَّ غِيالاً . ويشبه هذا قول الآخر ^(١) :

بَرْدِيَّةٌ سَبَقَ النِّعِيمُ بِهَا أَقْرانُها وَغَلابُها عَظُمُ

وفي طريقته قولُ الآخر ^(٢) :

لَمْ تَلْتَقِ لِدائِها وَمَضَتْ عَلَى غُلُوِّها

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفه ، ولوائح النِّعْمَةِ . وقد ظهر معنى البيتين بما ذكرته ، لأنه تَبَجَّحَ بتعاطيه الصِّبَا واللَّهو ، وشَرِبَ الخمرَ مَدَّةَ الصِّبَا [وأَيَّامَ الشباب ^(٣)] .

٣ — وَحُمَلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ ثَوْبِها تَطُولُ الْقِصَارُ وَالطُّوَالُ تَطُولُها ^(٤)

٤ — كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَتْنِها حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُها ^(٥)

(١) هو المخبل السعدي . المفضلية ٢١ .

(٢) هو ابن قيس الرقيات . اللسان (غلا) .

(٣) التكلة من ل .

(٤) التبريزي : « ويرى : فروع عمامة ، بعين غير معجمة ، وهو أشبه بالدمقس » .

(٥) بعده عند التبريزي :

قوله « وَنُحْمَلَةٌ » من جملة صفاتها وإن عطفقتها بالواو ، فعلى هذا لك أن تقول :
 صررتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديب ، وأن تقول : برجلٍ فاضلٍ وعاقلٍ وأديب .
 ومعنى « وَنُحْمَلَةٌ » أن أعضائها تساوت في رُكوب اللحم إياها ، وظهورِ
 السَّمنِ والبُذنِ عليها ، فكان اللحمُ جُبلَ حَمَلًا لها . وفائدة « من دونِ ثوبها »
 أنها ملء درعها ، فهي سميئةُ المعرَى . وإلى هذا أشار الأعشى في قوله :
 * صِفْرُ الوِشاحِ ومِلءُ الدَّرْعِ بهِ كَنَّةٌ ^(١) *

وقوله « تَطُولُ الْقِصَارَ » يريد أنها رُبْعَةٌ ، فإذا حَصَلَتْ في الْقِصَارِ طائِثَتُهُنَّ ،
 وإذا حَصَلَتْ في الطَّوَالِ طُلُنَّهَا يُشِيرُ إلى التَّوَشُّطِ الذي هو المختار في كلِّ عَقْلٍ ،
 ولذلك قيل : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » ولأنَّ الْعُلُوَّ والإِفْرَاطَ مذمومان ، كما
 أن الْقُصُورَ والتَّفْرِيطَ مذمومان . و « تطول » في البيت مُعَدِّي ، لأنه بمعنى
 تَقَلُّبٍ في الطَّوَالِ ، فهو من طاولته فطُلَّتْهُ .

وقوله « كَانَتْ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ » الدِّمَقْسُ ^(٢) : الحرير الأبيض .
 وفروع الغمامة ، أشار إلى أطرافها وجوانبها والشمس تحتها ، لأن تلك الأطراف
 بشعاع الشمس تشرق أبدًا . والمعنى أنها لَيِّنَةُ الْمَجَسِّ بَرَاقَةُ اللَّوْنِ ، كَانَتْ الحريرَ
 وأطراف غمامة استكفَّت الشمسُ تحتها على مَتْنِهَا . وقوله « حَيْثُ اسْتَقَرَّ »
 جَدِيلُهَا « تخصيص لما عمه قوله « على مَتْنِهَا » . والجَدِيلُ ، هو الْوِشَاحُ ، وما
 تشده المراه في حَقْوِهَا من الْأَدَمِ الْمُضْفُورِ . وليس هذا من عادات العرب . وإذا

= وَأَبْيَضَ مَنْقُوفٍ وَزَقٍ وَقِينَةٍ وَصِهْبَاءَ فِي بَيْضَاءَ بَادٍ حَجْوُهَا
 إِذَا ضَبَّ فِي الرَّأُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كَمِيتٌ يَلْدُ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١) عجزه : * إِذَا تَأَنَّى يَكَادُ الْخَصِرَ يَنْخَزِلُ *

(٢) هو معرب « دمس » الفارسية . استينجاس ٥٣٥ والألفاظ الفارسية ٦٦ . وانظر

حواشي تهذيب الصحاح للزنجاني (ديمقس) .

كان من لَوَيْنَيْنِ فهو البرِّيمُ . وهذا يُشَدُّ في أخقِي الصَّبِيانِ يُدْفَعُ به العين .

٤٧٧

وقال عبد الله بن الدمينه الخثعمي^(١) :

١ — وَلَمَّا لَحَقْنَا بِالْحُمُولِ وَدُونَهَا خَمِيصُ الْحَشَا تُوهِى الْقَمِيصَ عَوَاتِقُهُ

٢ — قَلِيلُ قَذَى الْعَيْنَيْنِ نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تُلَوْ عَنَّا بَوَاتِقُهُ^(٢)

قوله «ولمَّا لحقنا» جوابه مادلٌ عليه البيت الثالث ، وهو «عَرَضْنَا» . وأراد بالحول الظَّعائنَ وأتقأها . وقوله «ودونها خميص الحشا» يريد قِيَمَهُنَّ . فيقول : لمَّا دغانا الشوقُ إلى اللُّحوقِ بالظَّعائنِ بعد تشييعنا لها ، وإلى تجديد العهد بها ، فأدر كفاها ودونها رجلٌ قليلُ اللحم على بَدَنِهِ ، لطيفُ طَيِّ البطنِ ، مديدُ القامة ، حتى إنَّ عَوَاتِقَهُ ، وهى النَّواحِي من عاتقِ الإنسان ، تكاد أن تُوهِى قَمِيصَهُ . وهذا مما تتمدَّح به العرب ، لأنَّ السُّمْنَةَ^(٣) عندهم مذمومة .

وقد كَشَفَ عن هذا المعنى قولُ الآخر :

فَتَى لَا يُرْسَى قَدْ الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّا نَفْرِى الْفَرَى مَنَابِكُهُ

وقوله «قليل قَذَى العَيْنَيْنِ» يصف امتعاضه وقلة صبره على دَرَنِ العار^(٤) .

(١) التبريزي : « هذا البيت قد تكلم عليه النمرى ، لأن فيه خلافا لما قبله ، إذ كان البيت المتقدم في صفة امرأة ، وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولا شك أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله . ولم يذكر ذلك أحد منهم ، وإنما يريد أنها ترفع ذنبها إلى متنها . »

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٣) التبريزي : « يُعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَصْرِعْنَا » . وهى رواية الديوان ٤٣ . يقال : صرعت الشيء ، إذا قطعته ومنعته .

(٤) كأنه جعل « السمنة » اسما للسمن ، والمعروف في المعاجم ، أن السمنة بالضم : دواء يتخذ للسمن .

(٥) هذا ما رآه المرزوقي ، وأجود منه قول التبريزي : « يصفه بحدة النظر ، أنه ليس بعينه نغمص ، فهو أحد لنظره » .

ويقال : فلان لا يُغَضَى على قَدَى ، إذا لم يحتمل ضِمًّا . وقوله « نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الموت » يَصِفُهُ بِشِدَّةِ الْحَمِيَّةِ عِنْدَ غَضَبِهِ . وَأَنَّ نَارَهُ لَا يُصْطَلَى [بِهَا^(١)] إذا غَارَ على حُرْمِهِ . والمعنى أَنَّا مَعَ تَعَرُّضِنَا لَهُ نَحْذَرُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَحْمِيَ ، لِنَحْقُقْنَا أَنْ شَرَّهُ لَا يُقَامُ لَهُ إِذَا سَطَا . والبوائِقُ : جمع بائِقَةٍ ، وهى الْخِصْلَةُ الْمُسْكِرَةُ فِي شُمُولِهَا ، فيقال : بَاقَتُهُمْ بَائِقَةٌ . والبُوقَةُ . الدَّفْعَةُ الشَّدِيدَةُ مِنَ الْمَطَرِ ، مِنْهُ . قَالَ رُوَيْبَةُ .

* مِنْ بَاكِرِ الْوَسْمِيِّ نَضَّاحِ الْبُوقِ^(٢) *

وقو « تُلَوَّ عَنَّا » أى تُصَرِّف . ويرى « تُلَقَّ عَنَّا » مِنَ الْإِلْقَاءِ .

٣ — عَرَضْنَا فسلمنا فسلمَ كَارِهًا عَلَيْنَا وَتَبَرَّجَ مِنَ الْغَيْظِ خَائِفُهُ^(٣)
 ٤ — فسَايَرْتُهُ مِقْدَارَ مِيلٍ وَلَيْتَنِي بَكَرْهِي لَهُ مَا دَامَ حَيًّا أَرَافَقُهُ^(٤)
 يقول : لَمَّا لَحِقْنَا بِالظَّعَائِنِ عَرَضْنَا لَهُنَّ ، وَسَلَّمْنَا عَلَى قِيَمِنَ وَالْحَامِي دُونَهُنَّ ، فَأَجَابَنَا جَوَابَ الْكَارِهِ لَنَا ، وَالْمُنْكَرِ لِقَسْلِمِنَا ، قَدْ خَفَقَهُ غَيْظٌ مُبْرَحٌ . ويقال : لَحِقْتُهُ وَلَحِقْتُ بِهِ . وَانْتَصَبَ « كَارِهًا » عَلَى الْحَالِ . وَالتَّبَرُّجُ : التَّشْدِيدُ .
 ويقال : بَرَّحَ بِي كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :

* أَبْرَحْتُ رَبًّا وَأَبْرَحْتُ جَارًا^(٥) *

(١) التكله من ل .

(٢) نضاح ، بالحاء المهملة فى الأصل واللسان . وفى ل والديوان ١٠٥ : « نضاح » بالحاء المعجمة ، وهما سببان .

(٣) الديوان : « وقفنا فسلمنا » . التبريزى : « الرواية التى عليها الناس : من الغيظ . وفى شعر ابن الدمينه : الغيظ ، الذى يراد به أشد الكرب . يقال غنظه غنظاً . قال الشاعر : إذا غنظونا ظالمين أعانهم على غنظهم من الله واسع »

ابن جنى فى التنبيه : « هذا من نحو تسمية الثواب باسم العمل ، نحو قول الله سبحانه : « جزاء سيئة سيئة مثلها ... فكذلك قوله فسلمنا فسلم ، أى فرد السلام . والأول فى العرف والاستعمال مسلم ، والثانى راد » .

(٤) الديوان :

فسايرته ميلين يا ليت أننى على سخطه حتى المات أرافقه

(٥) صدره : * تقول ابنتى حين جد الرحيل *

ويقال : هو في بَرَحٍ من الشَّوقِ بَارِح . وقوله « خَانِقَهُ » يريدُ أَنَّهُ امتَلَأَ صدرُهُ من الغَيْظِ فارتَقَى إلى ما هو فوقَهُ حتَّى خَنَقَهُ .

وقوله « فسايرتُهُ مقدارَ ميلٍ » انتصب مقدارَ على الظرف . ومعنى سايرتُهُ صاحِبَتُهُ في السَّير ، ثم قال : وليقتنى أرافقه ما دامَ حَيًّا ، على كُرهِ مَنِي ، لأنَّهُ استطاب صحبَتَهُ لما له من اللذازة^(١) في النظر إليهن ، واستكراه الكونَ معه لما يخاف على نفسه منه ، إلا أَنَّهُ غَلَبَ الالتذاذ . و « وما دامَ حَيًّا » انتصب على الظرف ، و « أرافقه » في موضع خبر ليت . وقوله « بكَرهِى له » نصب على الحال ، والعامل فيه أرافقه .

٥ - فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا وَصَالَ وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيهَا سَرَادِقُهُ^(٢)

٦ - رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَيْيَارَ مَتْنِهِ لَبَلَّ نَجِيمًا نَحْرُهُ وَبَنَائِقُهُ

٧ - وَلَمَحَ بَعَيْنَيْهَا كَأَنَّ وَمِيضَهُ وَمِيضُ الْحَيَا تُهْدَى لِجَدِّ شَقَائِقُهُ

قوله « أَنْ لَا وَصَالَ » أَنَّ فِيهِ مَخْفَفَةٌ مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ ، يريد أَنَّهُ لَا وَصَالَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ » . ووصال انتصب بَلَا ، وخبره محذوف ، كأنه قال : لَا وَصَالَ بَيْنَنَا . والجملة في موضع خبر أَنَّ ، والضمير في أَنَّهُ الأولى والثانية ضمير الأمر والشأن . وقوله « مَدَى الصُّرْمِ » في موضع الابتداء ، و « مضروب عليها » خبرُهُ . وسراديقُهُ ارتفع بمضروب ، لأنَّهُ قام مقام الفاعل . وقوله « رَمَتْنِي بِطَرْفٍ » جوابُ لَمَّا . كأنه لَمَّا تَأَمَّلَتْ حالَهُ في مُسايرتِهِ ، وضيقَ الوقت عن مجاذبته ، لَمَّا كَانَ يَحُولُ بَيْنَهُمَا مِنْ مِرَاقِبَتِهِ ، ثُمَّ رَأَتْ تَغِيْظَ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « اللذة » .

(٢) الديوان : « فلما رأت ألا جواب وإنما » .

الريب وكراهيته^(١) ، مع معرفتها بنتائج ضجره ، نظرت إلى الشاعر نظراً إنكاراً استدلل منه على ضلاله فيما يأتيه ، وسوء توفيقه فيما يُلح فيه ، فكأنه رمتهم بسهمٍ لو لم يكن نظراً ، بل كان سهماً رُمي به شجاعٌ في معركة ، لأصيب مقله ، فكان يبتلُ نحره وبنائق قميصه نجيعاً . والنجيع : دمُ الجوف . ويقال : تنجّع به ، أي تلطّخ .

وقوله « ولامح بعينها » انعطف على قوله بطرفٍ . واللامح : النظر ، ويستعمل في البرق والبصر . وكذلك الطرفُ هو النظر [هنا^(٢)] ، كان الرمي بالطرفِ كان إنكاراً منها . واللامح بالعينين مُواعدةٌ وتوجيهٌ بجميل بعد تمذّر المطلوب : والومض والوميض : اللامع . وأومضت له فلأنه بعينها ، إذا برقت . لذلك شبهَ وميضَ لَمَحِها بوميض الحيا ، وهو الفيث المحيي للأرض وأهلها وقد هُدِيتْ أي أُرشدتْ شقائمه ، وهي قطعُ سحابه ، لنجد . كأنه جعلها قاتلةً في رميها ، مُحييةً بالَمَحِها . والشقيقة : البرقة إذا استطارت في عرض السحاب وتكشفت أيضاً .

(١) ل : « وكراهيته » .

(٢) التكلة من ل .

٤٧٨

وقال أبو الطمّحان القيني^(١) :

١ - أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَاحِ . وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ^(٢)

٢ - وَقَبْلَ غَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِي إِذَا رَاحَ أَحْجَابِي وَلَسْتُ بِرَاحِ

يُرَوَّى « يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ غَدِي » . وَالصَّدْحُ : شِدَّةُ صَوْتِ الدَّيْكِ وَالغَرَابِ
وغيرهما . وَالصَّيْدَحِيُّ : الشَّدِيدُ الصَّوْتِ . وَالْجَوَانِحُ : ضُلُوعُ الصَّدْرِ . وَارْتِقَاءُ
النَّفْسِ فَوْقَهَا ، كَمَا يُقَالُ : بَلَغْتُ نَفْسَهُ التَّرَاقِي . فَيَقُولُ : عَلَّلَانِي بِالْمَقْتَرَحِ عَلَيْكُمَا
قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ فَتَقُومَ النَّوَاحُ عَلَيَّ يَنْدُبُنَنِي ، وَقَبْلَ مِيقَاتِ أَجَلِي . وَأَوَانِ تَحُلْفِي
عَنْ أَحْجَابِي وَقَدْ رَاحُوا عَنِّي ، لِنُزُولِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ بِي .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قَدَّمَ ذِكْرَ صَدْحِ النَّوَاحِ عَلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ
بَعْدَهُ ؟ قُلْتُ : إِنْ الْعُطْفَ بِالْوَاوِ لَا يُوجِبُ تَرْتِيبًا . أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ :
﴿ وَاسْجُدْ وَارْكَعْ ﴾ ، وَالرُّكُوعُ قَبْلَ السُّجُودِ فِي تَرْتِيبِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ .

وَقَوْلُهُ « إِذَا رَاحَ أَحْجَابِي » يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ بَدَلًا مِنْ غَدِي ،

(١) الطمّحان ، بالتحريك : فعلان من طمع بأنفه ، إذا تكبر . وأبو الطمّحان هو حنظلة
بن الشرق ، أو ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن
وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ،
أدرك الإسلام فأسلم ، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم . وكان معروفًا بالفسق ، قيل له : ما أدفَى
ذنوبك ؟ قال : ليلة الدير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : فرلت بديرانية فأكلت عندها
طفهشلا بلحم خنزير ، وشربت من نحرها ، وزنيت بها وسرقت كساءها ومضييت . ويذكرون
أنه عمر مائتي سنة . وفي الشعراء أيضاً أبو الطمّحان الأسدي كان في زمن يوسف ابن عمر ،
وأبو الطمّحان النهشل ، وأبو الطمّحان الطائي . الخزانة (٣ : ٤٢٦) وشرح التبريزي للحماسة ،
والإصابة ٢٠٠٧ والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ والاشتقاق ٣١٧ واللال ٣٣٢ والأغافه
(١١ : ١٢٥ - ١٢٨) والشعراء ٣٤٨ .

(٢) التبريزي : « قبل نوح النوائح » ، ثم قال : « ويروى : قبل صلح الصوادح » .

والبدل إذا جاء مؤكداً المبدل منه ومفصلاً جملة قد لا يستغني عن المبدل منه ،
 وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يقول : من شرط البدل أن يُبْلَغ المبدل منه ،
 ويُجْعَل هو مكانه . وإذا كان كذلك لم يَجُزْ أن يَبْلَى إذا العَامِل في غَد ، وهو
 « على » أو « من » في الروايتين جميعاً . على أن أبا العباس قد جَوَز وقوع
 إذا في موضع المجرور والمرفوع . ويجوز أن يكون نصباً بدلاً من موضع
 « من غَد » أو « على غَد » العامل والمعمول فيه جميعاً ، لأن موضعهما نصب
 على المفعول مما دل عليه قوله يالْهف نفسي ، وهو : أتلهف من غَد .

وإنما جاز أن يُودَعَ البيتين باب النسيب لرقتهما ولأن المتعلل به كان لذّة
 من اللذات . وهذا عادته في أبواب اختياره ^(١) .

٤٧٩

آخر :

١ - هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَوَدَّنَا مِنْ الْجَمْرِ قَيْدَ الرُّمَحِ لَأَخْتَرَقَ الْجَمْرُ

٢ - أَفِي الْحَقِّ أَتَى مُعْرِمٌ بِكَ هَائِمٌ وَأَنْتَ لَا خَلَّ هَوَاكِ وَلَا خَرْمٌ

٣ - فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوبًا فَلَا زِلْتُ هَكَذَا وَإِنْ كُنْتُ مَسْحُورًا فَلَا بَرَأَ السَّحَرُ

قوله : هل الوجد : استفهام لفظه ومعناه التّفي ، بدلالة وقوع إلا بعده ،
 كأنّه قال : ما الوجد ، أو ليس الوجد إلا هذا الذي بي ، وهو أن قلبي لو قرّب من
 الجمر حتّى لا يكون بينهما إلا قدر رُمح لقلّبت ناره نار الجمر ، وكان الجمر يخرق .
 وقوله « الوجد » مبتدأ وخبره إلا مع ما بعده . وانتصب « قَيْدَ الرُّمَحِ » على
 الظرف . ويقال : بيني وبينه قاب قوس ، وقيد رُمح ، وغلوة سَهْم . وحكى

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « وهو عادته في باب اختياره » .

بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أَنَّ لكل قوس قاطنين ، وهو ما بين المقيض والسبية . وأهل اللغة على ما قدمته .

وقوله « أفى الحق أنى مُغرم بك هائم » فالمغرم : الذى قد لزمه الحب يقال : حُبُّه غَرَامٌ ، أى لا تفصى منه . ومنه عذاب غَرَامٌ . والهائم : المتجير . والهائم كالجنون من العشق ، ومنه اللهمم : الذى يَهْدِي بالشىء وَيَكْثُرُ ذِكْرُهُ . والمعنى أنه لا يدخل فى الحق ووجوهه ، وأنواع قيسه . أن يكون حُبِّي لَكَ غَرَامًا ، وحُبُّكَ لا يرجع إلى معلوم ، ولا يحصل على حدٍّ محصور . ويقال : ما هو بِحَلٍّ ولا خَيْرٍ ، والمعنى أنه ليس بشىء يخلص ويبتين .

وقوله « فإن كنت مطبوباً » فالطَّبُّ : السحر والعلم جميعاً . وهو طَبٌّ ، أى علم . وفى الحديث : « حين طَبَّ » أى سحر . وهو مطبوبٌ ، أى مسحور . ومعنى البيت : إن كان الذى بى وأفاسيه داءً معلوماً يُعرف دواؤه ، فلا فارقتى فأنى ألتدُّ به — وهذا هو الفتيانية فى الهوى ، والتجلد على البلاء — وإن كنت مسحوراً ، يريد وإن كان الذى بى لا يُعلم ما هو ، وأعيا الوقوف عليه الأطباء ، والعلماء بالأدواء ، حتى يُسلمَ للسحر فلا فارقتى أيضاً . وإنما قال هذا من عادة العامة ، لأنهم كذا يعتقدون فى الأوصاف والعِلل . ولا يجوز أن يكون معنى مطبوباً مسحوراً ، لأنه يصير الصدر والعجز لمعنى واحد .

٤٨٠

آخر :

- ١ — نَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَنَّى تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَدِي
٢ — وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلِّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَغْدِي^(١)

هذا كلامٌ مَنْ تجلّدَ في الهوى وادّعى التلذّذ به وإن برّح به وأثر فيه ،
 فيقول ^(١) : شكّا الخبيثون جناية الصّباة عليهم ، وجريرة العشق لديهم ، وبودّى
 أنّى ^(٢) تحمّلت أعباءها كلّها وحدى ، وخلّص للصّبر فيها ولها عفوى وجهدى ،
 وكانت نفسى تنالُ لذة مجموعها ومفرّقها ، وتفردُ بمكابدة مجهولها ومعرفها ^(٣) ،
 خافوز بادّعائها ، وتسقط المشاركةُ بينى وبين أربابها ممّن سبقنى لتقدّم زمانه ،
 أو تأخّر عني لتأخّر ميلاده .

٤٨١

وقال شبرمة بن الطفيل ^(٤) :

- ١ - ويومٍ شديدٍ الحرّ قصرَ طوله دُم الزّقّ عَنّا واصطكاكُ المزاهر ^(٥)
 - ٢ - لدنْ غُدوةٍ حتّى أروحَ، وصُحْبَتِي عَصَاةٌ على الفاهينِ شُمُ المَناخِرِ
 - ٣ - كأنّ أباريقَ السُّمُولِ عَشِيَّةٍ إوزٌ بأعلى الطّفِّ عُوجُ الحَماجِرِ
- قوله « ويومٍ » انجراً بإضمار رُبّ ، وجوابه قصرَ طوله . يقول : رُبّ يومٍ
 من أيام الصّيف شديد الحرّ ، جعل طوله قصيراً ، ما اشتغلنا به فيه من الشرب
 والقصف . وأراد بدم الزّقّ الحمر . واصطكاك المزاهر : مدافعة أوتار البربط بعضها
 لبقص بالضرب . ويقال : ازدهر الرّجل ، إذا فرّح . فيجوز أن يكون العود
 سُمي مزهراً منه .

(١) فى الأصل : « فيكون » ، صوابه فى ل .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « أن » .

(٣) هذا ما فى ل ، وهو الموافق لموسيقى الفاصلة ، وفى الأصل : « وممروفاها » .

(٤) الشبرمة : واحدة الشبرم ، وهو نبت حار يحذر الطبيعة . ولم نذكر لشبرمة على ترجمة .

على أن الأبيات نسبت فى الحيوان (٦ : ١٧٩) وثمار القلوب ٥٠٢ إلى ابن الطثرية

(٥) التبريزى والجاحظ والشعالبي واللاكى ٩٣٨ : « واصطفاك المزاهر » . وقد أشار

التبريزى إلى رواية « واصطكاك » .

وقوله « لَدُنْ غُدُوَّةٌ » انتصب غُدُوَّةٌ عن النون من لَدُنْ^(١) ، ولا يفتصب به غيره ، فهو شاذٌ . والمعنى : باكرنا الشرب ، فلما رُخِنا كان أصحابي قد سَكِرُوا واكتَسَبُوا كِبَرًا وَنُبْلًا ، وَذَهَابًا عَمَّا يُشِيرُ بِهِ الْقَاهِي وَالْمُسَدَّدُ^(٢) .

وقوله « كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشُّمُولِ عَشِيَّةٌ » شَبَّهَ أَوَانِيَ الْحَمْرِ وَقَدْ فُرَّغَتْ وَأَمِيَاتٍ بِطُيُورِ مَاءٍ اجْتَمَعَتْ عَشِيَّةً بِأَعْلَى السَّاحِلِ^(٣) ، مَعَوِجَةً الْحَفَاجِرِ وَالْحُلُوقِ .

وَأَدْخَلَ هَذِهِ الْقِطْعَةَ فِي بَابِ النَّسِيبِ لِرَقَّتِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْإِلَهِيَّةِ وَالْخَسَارَةِ .

٤٨٢

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ ثَعْلَبٍ الْجَرْمِيُّ^(٤) :

١ - وَمُسْتَخِيرٍ عَنْ سِرِّ رَبِّا رَدَدْتُهُ بِعَمِيَاءٍ مِنْ رَبِّا بَغِيرِ بَقِيْنِ

٢ - فَقَالَ انْتَصِحْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبَرْتُهُ بِأَمِينِ

يروى : « انتصحنى إني ذوامانية ، وهذا في كتمان سرِّ الحبوب ، والحفاظة على الدِّمام والحُرْم . يقول : رَبُّ مُسْتَدْرِجٍ لِي فِيمَا بَيْنَ رَبِّا وَبَيْنِي ، طَالِبٍ لِلْوَقُوفِ عَلَى الْمَكْتُومِ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِي^(٥) ، رَدَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي بِقَصَّةِ عَمِيَاءٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا لِمَطْلُوبٍ ، وَلَا يُرْجِعُ فِيهَا إِلَى يَقِينٍ ، فَلَمَّا لَمْ يُمْسِكْنِي إِلَّا نَزَالِي عَمَّا حَاوَلَهُ قَالَ انْتَصِحْنِي ، أَيْ أَدْخِلْنِي فِي أَمْرِكَ ، وَأَجْرِنِي تَجَرِّي نَصْحَانِكَ ، إِيَّيْ أَمِينٌ لَا دَغْلَ فِي هَمِّي ، وَلَا خِيَانَةَ فِي شَأْنِي ، وَلَوْ خَبَرْتُهُ بِمَا أَلْمَسَ ، وَأُطْلَعْتُهُ عَلَى

(١) الأوضح منه ما ذكر التبريزي : « بنصب غدوة مع الدن ، تشبه النون منها بنون عشرين » ، يريد أن غدوة تنصب على شبه التمييز .

(٢) المسدد : الذي يوجه نحو السداد والصواب . وفي الأصل : « والمشدد » صوابه في ل .

(٣) أي ساحل الفرات . وفي معجم البلدان : « والطف طف الفرات ، أي الشاطئ » .

(٤) كذا في النسختين ، وهو المطابق لما مضى في ص ٣٠٤ . وعند التبريزي : « جابر

ابن الثعلب الجرمي ، من طيبي » . ويقال أيضاً « ابن ثعلبة » . انظر حواشي ٢١٥ .

(٥) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما بيني وبين ربا ، طلب الوقوف من أمرها وأمرى » .

ما استشرح ، كنتُ أنا غيرَ أمينٍ ، فكيف أصيرُ معه مؤتمناً ، وذلك أني إن بُحْتُ بِسِرِّها فقد ضَيَّعتُ أمانتها ، والسِّرُّ إذا جاوزَ اثنين خرجَ من أن يكون سِرًّا . ومثل هذا قولُ جرير :

ولقد تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فصادَفُوا حَصِرًا بِسِرِّكَ يَا أَمِيمَ ضَنيفًا

٤٨٣

وقال نفر بن قيس^(١) ، وبنو نفرٍ رَهْطُ الطَّرِمَّاحِ :

١ - ألا قالت بهيشة ما لنفرٍ أراه غَيَّرَتْ مِنْهُ الأَهورُ^(٢)

٢ - وأنتِ كذاكِ قد غَيَّرْتِ بَعْدِي وَكُنْتُ كَأَنَّكَ الشَّعْرَى العُبورُ

كَانَ الْمَرَأَةُ أَزْدَرْتَهُ وَأَنْكَرْتَ شُجُوبَهُ وَهَزَلَهُ ، وَتَغَيَّرَ عَمَّا عَهْدَتَهُ ، فَصَرَفَتْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْكِبَرِ ، وَمُسَبِّبَاتِ الْقَشْفِ^(٣) ، وَقَالَتْ مُسْتَفْهِمَةً : مَا لِنَفَرٍ ، أَرَى الْآيَامَ أَثَّرَتْ فِيهِ ، وَالْأَحْدَاثُ أَضْنَتْهُ وَهَزَلَتْهُ ، فَأَجَابَهَا مِنْ طَرِيقِ إِنْكَارِهَا وَقَالَ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ عُقَبِ الْآيَامِ فَإِنَّهَا لَمْ تَغْفُلْ عَنْكَ وَلَمْ تُهْمَلْ تَغْيِيرَكَ أَيْضًا ، فَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنِّي مَوْجُودٌ فِيكَ وَظَاهِرٌ عَلَى سَحْنَتِكَ^(٤)

وَلَوْ نَكَّ ، فَقَدْ كُنْتُ كَالشَّعْرَى الْعُبورِ إِشْرَاقًا وَتَلَاؤًا ، وَقَدْ حَلَّتْ وَتَغَيَّرَتْ وَ « الْعُبورُ » قِيلَ فِيهِ : هُوَ مَنْ عَبَّرَتْ النُّهْرَ ، إِذَا جُزَّتْهُ . وَقِيلَ : بَلْ هُوَ مَنْ عَبَّرَتْهُ بِهِ ، إِذَا شَقَّقَتْ عَلَيْهِ^(٥) ، كَأَنَّهَا إِذَا طَلَعَتْ تُعَبِّرُ لِلْمَالِ الرَّاعِيَةِ بِحَرْهَا ،

(١) هو الجلد الثاني للطرماح ، إذ هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أبان بن عمرو بن ربيعة بن جرو ل بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيس . وكان الطرماح نفسه يلقب « أبانفر » . انظر ما مضى من ترجمته في ص ٢٢٧ .
(٢) التبريزي : « بهيسة » بالسين المهملة ، وهما روايتان صحيحتان . انظر اللسان : (بهس ، بهش) حيث ذكر هاتين الروايتين .

(٣) القشف : يبس العيش وضيقه وسوء الحال .

(٤) في الأصل : « سحيتك » ، صوابه في ل .

(٥) في القاموس : « وعبر به الأمر تعبيراً : اشتد عليه . وعبرت به : أهلكته » .

وإذا سَقَطَتْ فَبَرَدَهَا . وقوله : وأنتِ كذاكَ ، الكاف الأولى للتشبيه ، و « ذا » أشار به إلى ما أنكرت منه ، والكاف الأخيرة للخطاب ولا موضع له من الإعراب ، فهو حرف .

٤٨٤

وَقَالَ بُرْجُ بْنُ مُسْهَرٍ^(١) :

١ - وَنَدَمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومُ^(٢)

٢ - رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمُعْرِقَةٍ مَلَامَةً مَن يُلُومُ^(٣)

النَّدَمَانُ والنَّدِيمُ : مَن يُنَادِيكَ عَلَى الشَّرَابِ ، ومثله في البناء سَلَمَانُ وَوَسْلِيمٌ ، وَخَدَّانُ وَحَمِيدٌ ، وَرَحْمَنُ وَرَحِيمٌ . ومعنى « يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا » أى يَحْسُنُ عِشْرَتَهُ ، وأدبِ مَجَالَسَتِهِ يَزِدَادُ شُرْبِ الْمَدَامِ وَإِدَارَةُ الْكَأْسِ مَعَهُ لَذَّةٌ . والمعنى : رَبِّ نَدِيمٍ عَلَى مَا وَصَفْتُهُ سَقَيْتُهُ إِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومَ ، أى أَبَدْتُ عُرْضَهَا لِلْغُيُوبِ . ويقال : تَعَرَّضْتُ الْجَبَلَ ، أى أَخَذْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِيهِ ، وَلَمْ أَهْتَمَّ فِي الصُّعُودِ . قال :

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُوحَى تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنُّجُومِ^(٤)

ومعنى قوله « رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ » أَنَبَّهُتُهُ مِنْ مَنَامِهِ ، وَأَزَلْتُ عَنْهُ مَا كَانَ يُدَاخِلُهُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٢ ص ٣٥٩ .

(٢) التبريزى واللسان (عرق) : « إذا تغورت » ، ثم قال التبريزى في التفسير : « إذا تعرضت النجوم ، أى أبدت عرضها للمغيب » . ورواية المؤلف ٦٢ تطابق رواية المرزوق .

(٣) أنشده في اللسان والمقاييس (عرق) . ورواية المقاييس : « أخذت برأسه » .

(٤) الرجز لعبد الله ذى البجادين المزنى دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر اللسان (درج) . وأنشده في المقاييس (درج) بدون نسبة . وبعده :

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

من الغمّ بلوم اللّامنين إِيَّاهُ على معاطاة الشُّربِ وإدما نِه اللّهُو ، بأن سقيته مُعْرِقَةً - وهى الصُّرْف من الحِر ، وقيل هى القليلة المزاج . ويقال : تعرّقتُ الحِمرة ، إذا مزجتَها . وأعرقه الساقى ، إذا سقاه مُعْرِقًا . وقوله « إذا تعرّضت النجوم » يشير به إلى الاصطباح .

٣ - فلما أن تَنَشَّى قامَ خِرْقٌ من الفتيانِ مُخْتَلَقٌ هَضُومٌ^(١)
٤ - إلى وَجْفاءِ نَوايَةٍ فَكَاسَتْ وَهَى العُرْقُوبُ منها والصِّمِمْ
انتَشَى وَنَشَى وَتَنَشَّى بمعنى سَكِر . والنَّشوة : الشُّكر . وأراد بالخِرْقِ نفسه ، وهو الكريم المتخَرِّق بالمعروف . والمُخْتَلَق : التامُّ الخَلْق . والهَضُوم ، قال الأصمى : هو المِنْفاق فى الشتاء . وقال غيره : هو الكريم المِنْفِصال ، كأنه يَهْضُم ماله بأن يُخْرِجَ منه أكثر من الواجب فيه . والوجْفاء ، هى الناقة الغليظة الوَجْنَتَيْنِ . وقيل بل هى الضَّابة ، مأخوذٌ من الوجين ، وهى الأرض الغليظة . قال الخليل : وَقَلَّ ما يقال للَجَمَلِ أَوْجَنُ . والنَّوايية : السمينية .

وقوله « فَكَاسَتْ » اختَصَرَ الكلام ، والمراد فمرقبتها فكاست . والكُوس : المشى على ثلاثِ قوائم . وأراد بالصِّمِمْ العَضُوء الذى به القِوام ؛ يقال : هذا صِّمِمْ الوظيف ، وصِّمِمْ الرأس . والعُرْقُوب : عَقَبٌ^(٢) موثِرٌ خلفَ الكعبين فَوَيْقَ العَقَبِ من الإنسان وبين مَفْصِلِ الوظيف والساق من ذوات الأربع . وعَرَقَبْتُهُ : قطعت عُرقوبَهُ . وقوله « وَهَى العُرْقُوب » إظهارٌ للعلة فى كَوْنِها . والوَهَى : الشَّقُّ والخِرْقُ . وفى المثل : « غادَرَ وَهِيَةً لا تُرْقَع » ، أى فَتَنَةٌ

(١) روى التبريزى أيضاً : « مُخْتَلَقٌ » بكسر اللام ، وفسره بأنه الكريم الأخلاق .
(٢) الذى فى اللسان : « عصب » . والعقب ، بالقاف وبوزن العصب أيضاً ، هو عصب المتنين والساقين والوظيفين ، يختلط باللحم ، يمشق منه مشقاً ويهذب وينقى من اللحم ويسوى منه الوتر .

لا يُطابق إصلاحها ورثتها. والمعنى: لما أقيم رسم الاصطباح، وانتشى الندمان، قام هو إلى ناقة بهذه الصفة فعرقبها.

٥ - كهامة شارف كانت لشيخ له خلق يحاذرهُ الغريم^(١)

٦ - فاشبع شربه وجرى عليهم بإبريقين كأسهما رذوم^(٢)

٧ - تراها في الإناء لها محيا كميّتا مثل ما فقع الأديم^(٣)

٨ - ترنح شربها حتى تراهم كأن القوم تنزفهم كلوم

الكهامة: الناقة الضخمة كادت تدخل في السن، وكذلك الكهامة. والشارف: المسنة. وقوله « كانت لشيخ » كان الكريم منهم المحسان إلى عشيرته، المفضل على رفقاءه وندمائه، يتعمد إذا نحر لهم في الشرب وعند السكر، أن يفعل ذلك في غير ملكه، يستام^(٤) مالك الجزور بها أعلى الأثمان فيغرمه، ويمد ذلك الغرم غنا، والصبر على سوء خلقه وإنكاره التبسط في ملكه بغير إذنه كرمًا. لذلك قال: « له خلق يحاذرهُ الغريم »، يريد البخل منه والاستقصاء.

وقد سلك هذا المسلك طرفة فقال ووفى المعنى حقّه، وكأنه صبّ في قالب هذا الشاعر:

وبرك هُجود قد أثارت مخافتي نواديها أمشي بعضب مجرد^(٥)

(١) لم يرو الأمدى هذا البيت.

(٢) التبريزي: « وسمى عليهم »، ثم أشار إلى الرواية الأخرى.

(٣) الأمدى: « ويروى: فقع الأديم، أى روى. ويقال: أرجوان نافع، وهو الذى قد روى من الصنغ. فأما فقع فعناه أحر، ولذلك قيل: أحر فقاعى ».

(٤) ل: « ليستام ».

(٥) البرك: الإبل الكثيرة الباركة. النوادي: القواصى منها. العضب: السيف القاطع.

فَمَرَّتْ كَهَامَةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٌ عَقِيلَةٌ شَيْخٌ كَالْوَيْلِ الْبَلْدِ (١)
 يَقُولُ وَقَدْ تَرَى الْوُظَيْفُ وَسَاقَهَا أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدٍ (٢)
 وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغِيَّةٌ مُتَعَمِّدٍ
 فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعَهَا لَهُ وَإِلَّا تَكْفُوا قَاصِيَ الْبَرَكِ يَزْدَدُ
 فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلَنَ حُورَاهَا وَيُسَعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ (٣)

قوله « فاشبع شربه » يعنى من الناقة المعقورة . وجمل الجارى عليهم
 بأبريقين والساكس ملأى تقطر ؛ لأن شرههم كان بداراً . ثم وصف الحمرة
 فقال : لها سورة شديدة ، ولونها حمرة متناهية . ومعنى فقّع : حسن وصفاً
 ويقال : أحمر فاقع . ويروى : « مثل ما نصع » والمراد خلص . والحميا مصغر
 لا مكبر له ، وقد تقدم القول فى بئانه . وكُميت : مصغر مرخم ، والمراد به
 تكبيره ، وهو أكميت ، لذلك جمع على كُميت . ومثله فرس وزد ، ثم قيل
 خيل وزد ، لأنه أريد به أفل . ومما جاء مصغراً قولهم كُميت ، وهو طائر ،
 وجَمِيل (٤) ، والثريا ، والغبيراء ، والمرطاء ، والأجنين ، وهنيدة .

وقوله « تُرَّخِ شَرَبَهُمْ » أى لشدتها تُزيل قواهم ، فكانهم أُسارى نُزِفَتْ
 دماؤهم . ويقال : ضربته حتى رَحَّتْهُ ، أى غَشَى عليه .

٩- فَعُمْنَا وَالرَّكَبُ مُحَيَّسَاتٌ إِلَى قَتْلِ الْمَرَاقِ وَهَى كُومٌ (٥)

(١) الخيف ، بالفتح : جلد ضرع الناقة . العقيلة : كريمة المال . الويل : العضا
 الضخمة . والألند والبلند : الشديد الخصومة .

(٢) تر : سقط . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة .

(٣) يمتلن ، الامتلال : جعل الشيء فى الملة ، وهى الجمر والرماد الحار . وفى النسختين :

« يمتلكن » ، تحريف . والحوار : ولد الناقة . السديف : قطع السنام . المسرهد : السمين ،
 مأو المقطع قطعاً . (٤) فى اللسان : « سيبويه : الجميل طليل ، لا يتكلم به إلا مصغراً » .

(٥) هذا البيت وتاليه لم يروهما الآمدى .

١٠- كَأَنَّا وَالرَّحَالَ عَلَى صِوَارٍ بِرَمْلِ خَزَاقٍ أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ
يُرَوَّى «مَحَبَّات» أَى مَعْقُولَاتٍ مُنَاحَةً بِالْفِئَاءِ ، وَهُوَ الْوَجْه . وَرَوَى
بَعْضُهُمْ : «مُخَيَّسَات» أَى مَذَلَّلَاتٌ ، لَكِنِ إِذَا رُكِبَتْ لِلَّهِو^(١) ، وَفِي حَالَةِ
الشُّكْرِ كَمَا فَعَلَهُ هَؤُلَاءِ ، لَمْ تَغْصِفْ بِرُكْبَانِهَا ، وَلَمْ تَأْتِ الْعَرِضَةَ فِي سِيرِهَا .
وَالْقَتْلُ : جَمْعُ أَفْتَلٍ وَقَتْلَاءٍ ، وَهِيَ الْبَعِيدَةُ الْمَرْفُوقُ عَنِ الزَّوْرِ . وَالْكُومُ : الْعِظَامُ
الْأُسْنِمَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ . الْكُومُ ، الْعِظَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ «كَأَنَّا وَالرَّحَالَ»
شَبَّهَ رُكَّابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالرَّمْلِ الْمَذْكُورِ ، أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصَّيَّادِينَ
وَالْكِلَابِ ، نَخَفَتْ وَعَدَّتْ . وَالصَّرِيمُ اسْتُعْمِلَ فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا ، لِأَنَّ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْصَرُمُ عَنْ صَاحِبِهِ وَقْتُ السَّحَرِ . وَإِنَّمَا رَكَبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ
لِلتَّنَزُّهِ أَوْ فِي بَطَالَةٍ حَضَرَتْهُمْ^(٢) .

١١- فَبِتَنَّا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ مِسْكِ قَيَا مَجْبَىٰ أَعْيَشٍ لَوْ يَدُومُ

١٢- وَفِينَا مُسْمِعَاتٌ عِنْدَ شَرْبٍ وَغِزْلَانٌ يُعَدُّ لَهَا الْحَمِيمُ^(٣)

تَبَجَّحَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا أَكْثَرَ أَنْوَاعِ اللَّذَاتِ ، مِنْ شَرْبٍ وَقَصْفٍ ، [وَتَنَزُّهُ^(٤)] ،
وَأَمْوٍ ، وَمَعَاشِرَةٍ وَطَرَبٍ ، وَتَسَخٍّ وَإِفْضَالٍ ، وَتَنَدٍّ عَلَى الْفِدْمَاءِ وَإِكْرَامٍ ،
وَتَتَرُّفٍ وَتَعَطُّرٍ ، وَتَمَتُّعٍ بِالنِّسَاءِ وَتَغَزُّلٍ . وَقَوْلُهُ «فَيَا مَجْبَىٰ» إِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِمْرَارِ
الْوَقْتِ بِمَثَلِ الْعَيْشِ الَّذِي وَصَفَ ، وَكَيْفَ سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهُ حَتَّى اتَّصَلَ .
وَالْمُسْمِعَاتُ : الْغَنَائِيَّاتُ . وَالسَّمَاعُ : الْغِنَاءُ . وَذَكَرَ الْحَمِيمَ لِتَنَقُّمِهِنَّ ، وَلِأَنَّ بِلَادَهُنَّ
كَانَتْ صُرُودًا^(٥) . وَعَلَى هَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :

(١) سبق نحو هذا التعبير في ص ١١٦٩ س ٩ « لَكِنِ إِذَا فَايَبْنَا ذُو حَقِّ » .

(٢) البطالة : اتِّبَاعُ اللَّهِوِ وَالْجَهَالَةِ .

(٣) هذا البيت لم يروه الآملي .

(٤) هذه من ل .

(٥) الصُّرُودُ : جَمْعُ صَرْدٍ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْجِبَالِ ، وَهُوَ أَبْرَدُهَا .

مُسَخَّنَةً كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
 قال ابن الأعرابي: سخينا حال بمعنى مُسَخَّنٍ، لَأَنَّ الْبَرْدَ اقْتِضَاهُمْ
 بِذَلِكَ الْمَاءِ.

وقوله « فَبِتْنَا بَيْنَ ذَاكَ » يريد أَنَّ حَاضِرَ وَقْتِهِمْ كَانَ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ تَغَيَّرَ.

١٣ - نَطُوفٌ مَا نَطُوفٌ ثُمَّ يَأْوِي ذَوُو الْأَمْوَالِ مِنَّا وَالْعَدِيمُ

١٤ - إِلَى حُفْرِ أَسَافِلِهِمْ جُوفٌ وَأَعْلَاهُمْ صَقَّاحٌ مُقِيمٌ

يقول: يُكْثِرُ الْوَاحِدُ مِنَ التَّطَوَّافِ عَلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّجَوُّالِ فِي الْأَطْرَافِ
 لَطَلَبِ الْبَطَالَةِ، وَلَيْسَ مَالَ الْجَمِيعِ مُقْتَرِنًا وَغَنِينًا إِلَّا إِلَى حُفْرِ، يَعْنِي بِهَا الْقُبُورَ.
 ثُمَّ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا جُوفُ الْأَسَافِلِ لِلْحُودِهَا، وَأَنَّ أَعَالِيهَا نَصَبَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ
 عِرَاضٌ كَالشَّقُوفِ لَهَا، وَهِيَ دَائِمَةٌ عَلَى هَذِهِ أَبَدًا.

وقوله « نَطُوفٌ مَا نَطُوفٌ » أَي مَدَّةَ تَطَوَّافِنَا. وَيُقَالُ: أَوَّى إِلَى
 كَذَا أَوْيًا.

٤٨٥

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ^(١):

١ - هَلُمَّ خَلِيلِي وَالْغَوَايَةَ قَدْ تَضَيَّي هَلُمَّ نُحَيِّ الْمُنْتَشِينَ مِنَ الشَّرْبِ

٢ - نُسَلِّ مَلَامَاتِ الرِّجَالِ بَرِيَّةٍ وَنَقْرُ شُرُورَ الْيَوْمِ بِاللَّهْوِ وَاللَّغَبِ

قوله « وَالْغَوَايَةَ قَدْ تَضَيَّي » اعْتَراضٌ، وَكَرَّرَ هَلُمَّ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ.
 وَالْمُفَادَةُ فِي هَذَا الِاعْتِرَاضِ تَحْقِيقُ الْقِصَّةِ الْمَدْعُودِ إِلَيْهَا.

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٣٥٧ ص ٢٠٢٨. التَّبْرِيزِيُّ: « إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ -

وللعرب في «هلم» طريقتان: منهم من يُخْرِبه مجرى أسماء الأفعال، وحينئذ يقع للواحد والجمع والمؤنث والمذكر على حالة واحدة، والقرآن نزل به، لأنه قال تعالى ذكره: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾. ومنهم من يجعل أصلها التنبيه خُمَّ إليه لَمْ، وهو فِعْلٌ، جمعاً معاً كالشيء الواحد، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه. وكان القراء يقول: هو هل أم تركباً معاً. وليس إهل في الكلام إلا موضعان: أحدهما — وهو الأكثر — أن يكون للاستفهام؛ ولا معنى للاستفهام ها هنا. والثاني: أن يكون بمعنى قد، على ذلك فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، وليس لمعنى قد في هذا مدخل. وإذا كان كذلك فما قاله فاسدٌ.

وقوله «والغواية قد تُضَيِّبِي» يريد أن الفَيَّ يدعو صاحبه إلى أمور كثيرة مختلفة، وقد يحمله على الصِّبَا واللَّهْو في الوقت بعد الوقت. وطلب من صاحبه مساعدته على تَحْيِيَّتِهِ للشُّرْب^(١)، والدُّخُول في مُجْلَتِهِمْ، وتَسْلِيَةِ النُّفُوس عن مَلَامَاتٍ مَنْ يَدْعُو إلى الرَّشَاد، وَيَحْمِلُ على سُلُوكِ طُرُقِ الصَّلَاحِ والسَّدَاد^(٢)، بِشُرْبِ رِيَّةٍ، وهى الكأس الممتلئة خمرًا، وقطع وقت الشرِّ والغم باللهو واللعب. وقوله «نُسَلَّ» في موضع الجزم، لأنه جواب الأمر. و«نَفَرِ»، معطوف عليه. ويقال: فَرَيْتُ الأَدِيمَ، إذا قطعته على جهة الصَّلَاح، وَأَفْرَيْتُهُ إذا قطعته للفساد.

٣ — إذا ما تراخت ساعة فاجعلتها نَحِيرٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلَ ذُو شَعْبٍ

٤ — فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ غُومٍ وَمِنْ كَرْبٍ

قوله: «إذا ما تراخت ساعة فاجعلتها» في طريقته ما أنشده ابن الأعرابي:

إذا كان يومٌ صالحٌ فاقبلنَّه فأنْتَ على يومِ الشَّقَاوَةِ قَادِرٌ

(١) ل: «تحية الشرب».

(٢) ل: «الرشاد والسداد».

وقوله « فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلُ » ، العَصْلُ : اعوجاج الأنياب . قال الخليل :
ولا يقال أعصل إلا لكل معوج فيه صلابة وكزازة . والمعنى : أن ما يعصُّ
عليه الدهر لا يمكن انتزاعه منه ، كما لا يمكن انتزاع الشيء من الناب التي فيها
عَصْلٌ . والشَّغْبُ : تهيج الشر . ويقال : رَجُلٌ مُشْغَبٌ .

وقوله « فَإِنْ يَكْ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بعضُ راحة » ، يريد أن الدهر لا تصفو
أحواله من الكدَر ، ولا عطاياه من التعب والأذى ، فلا تُعْزِئُهُ على نَفْسِكَ ،
واجتهز في إصلاح ما يُفْسِدُهُ ، وإلقاء ما يَشْتُقُّ منه . وقوله « فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ
غُومٍ » من زائدة على مذهب الأخفش ، كأنه قال : إِنَّكَ لَاقٍ غُومًا . وسيبويه
لا يرى زيادة « مِنْ » في الواجب ، فطريقته في مثله أنه صفةٌ لـحذوف ، كأنه
قال : إِنَّكَ لَاقٍ مَاشَتْ مِنْ غُومٍ .

٤٨٦

وقال آخر :

١ - أَحِبُّ الْأَرْضَ نَسْكُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارَتْهَا الْجُدُوبُ

٢ - وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تُرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ

يذكر حنينه إلى محل سُلَيْمَى ومكانها ، وميله وإن كان قفراً^(١) متردداً في
الجدوبة متناهياً أظفاره في اليُوسَة ، وأن ذلك زَ عَلَيْهِ لكونها به ، فأما
حُبُّ الْأَرْضَيْنِ مجردةٌ فليس من دأبه وعادته .

وقوله « وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تُرَابِ أَرْضٍ » جعلَ الحُبَّ للدَّهْرِ على طريقته
في قولهم : نهاره صائم ، وليله قائم . والمعنى : ليس حُبُّ الْأَرْضَيْنِ مِنِّي بِعَادَةٍ فِي

(١) في الأصل : « فقيراً » ، صوابه في ل .

دهرى ، وقوله « ولكن من يحل بها حبيب » يشبه قول الآخر :

ألا يا بَيْتُ بالعِلْيَاءِ بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ^(١)
يريد أن البيوت في الموضع الذى جمّت منه قد كَثُرَتْ ، ولكننى قصدتُك
لحبّ أهلك . وقوله « توارثها » أى تتوارثها . خذف إحدى التاءين استنقلا .
وقد مضى مثله .

٣ - أَعَاذِلْ لَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ أُنْمَلَةٍ دَيْبُ

٤ - إِذَنْ لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي بِمَا أَتَلَفْتُ مِنْ مَالِي مُصِيبُ^(٢)

كَانَ عَاذِلَةً أَفْرَطَتْ فِي لَوْمِهِ عَلَى مَا يُدْمِنُهُ مِنَ الشُّرْبِ ، وَيَذْهَبُ فِيهِ مِنْ
طُرُقِ اللَّهْوِ ، فَقَالَ لَهَا : لَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ فَأَخَذْتَ مِنْكَ ، وَدَبَّتْ فِي عُرْوِكَ
وَمِفَاصِلِكَ ، وَجَمَعْتَ السَّارَّ لَكَ ، وَكَشَفْتَ أَنْوَاعَ الْغَمِّ عَنْكَ ، لَعَرَفْتَ مِنْ لَذَائِهَا
وَمَنَافِعِهَا ، وَخُدُوثِ الطَّرَبِ وَالْجَذَلِ فِي النُّفُوسِ لَهَا ، وَاسْتِمَاعِ الرُّوحِ بِنَشْوَتِهَا
وَقَوَاهَا ، مَا يَبْعَثُكَ عَلَى بَسْطِ عُذْرِي فِي الْوَلُوعِ بِهَا ، وَالتَّيَّبَاتِ عَلَى هَوَاهَا ،
وَلَعِلِمْتَ أَيُّ رَاكِبٍ تَبَحَّ الصَّوَابُ ، وَغَيْرُ عَادِلٍ عَنِ الْوَاجِبِ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ .
معنى « لِمَا أَتَلَفْتُ » أى من أجل إِتْلَافِي . وَيُرْوَى : « بِمَا أَتَلَفْتُ » والمعنى
أَيُّ مُصِيبٍ بِسَبِيهِ وَمِنْ أَجْلِهِ .

(١) أَنَشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (بَيْت) شَاهِدًا عَلَى أَنَّ الْبَيْتَ فِيهِ بِمَعْنَى الْمَرَاةِ .

(٢) ل : « لِمَا أَتَلَفْتُ » ، وَأَشِيرُ فِي هَامِشِهَا إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « بِمَا أَتَلَفْتُ » .

٤٨٧

وقال أبو صغرة البولاني^(١) :

- ١ — فَمَا نُطْفِئُهُ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ حَسَنُ الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٢)
 ٢ — فَلَمَّا أَقْرَنَهُ اللَّصَابُ تَنَفَّسَتْ شِمَالٌ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ^(٣)
 ٤ — بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ
 قوله « حَسَنُ الْجُودِيِّ » رواه البرقي : « به حُزْنُ الْجُودِيِّ » ، وكثير من الناس يرويه : « به جَنْبَتَا الْجُودِيِّ » . وقيل في « حَسَنُ الْجُودِيِّ » : إنه قطعة متصلة بالجوودي ، والجوودي : جبل . وقال صاحب العين : حَسَنُ : اسم رمل لبني سعد^(٤) . وذكر البرقي أن الحَزَنَةَ والحَزْنَ من الأرض والدَّوَابَّ : ما فيه خُشُونَةٌ ، والفعل منه حَزَنَ حُزُونَةً ، ورجل حَزَنٌ : شَرِسٌ ، وقومٌ حُزْنٌ . ومن روى : « به جَنْبَتَا الْوَادِي » فالمراد به الكَفْءُ والنَّاحِيَةُ . وبعضهم استدللَّ على أن قول النَّاسِ : فُلَانٌ فِي جَنْبَةِ فُلَانٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وإنما الصواب في جَنْبَةِ فُلَانٍ ، بسكون النون ، استدلالاً بهذا البيت .
 وقد روى الأصمعي :

* وَالنَّاسُ فِي جَنْبٍ وَكُنَّا جَنْبًا *

فيقول : ما مالا اجتمع من حَبِّ مُزْنٍ — وهو البردُ ، لأنَّ المَزْنَ اسمٌ يجمع

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٥٩ ص ١٠٣٣ . وهذه المقطوعة من بحر المقطوعة هرويهما ، فلهلما من قصيدة واحدة .

(٢) هذا ما في ل وياقوت (٢ : ٢٧٩) ، وفي الأصل : « جَنْبَتَا الْجُودِيِّ » .

(٣) ل : « لِأَعْلَى مَائِهِ » .

(٤) ياقوت : « حَسَنٌ هَاهُنَا : جمع حَسَنَةٌ ، وهي مجاري الماء » . وضبطت الحسن فيه يكسر ففتح كما في النسختين هنا ، وضبط في اللسان بفتحيتين في الجمع والمفرد .

(٥) في اللسان : « الْأَصْمَعِيُّ : الْحَزْنُ : الْجِبَالُ الْغَلَاظُ ، الْوَاحِدَةُ حَزْنَةٌ — أَيْ بِالضَّمِّ — مِثْلُ صَبْرَةٍ وَصَبْرٍ » .

أنواع السحاب ، فهو كالغيم — ترامت به جوانب هذا الجبل والليل مظلم إلى أن زال رنقه ، وانقطع كدُّه . وخبر « ما » قوله « بأطيب » . ثم وصف الماء بأنه لما حصل في القارات بعد تقطُّعه بنضد الحجارة ، وجوانب المذانب والأودية ، فزال عنه أكثر شوبه ، هبت عليه شمال لينة فصفتته وبرَّدته . يريد : ما ماء سارية بهذه الصفة بأعذب من رُضاب فم هذه المرأة ، ولا أقول هذا عن ذواق واختبار ، ولكن عن صدق فِراسة ، واعتبار مُشاهدة . وفي طريقته قول الآخر ^(١) :

يا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
واللَّصَاب : جمع لَصْب ، وهو شقوق في الجبل . والقارس : البارد . وقوله « فارس » أراد به المتفرس . ويقال : هو فارس على الخيل بين الفروسة ^(٢) ، وإذا كان يتفرس في الأشياء ويُحسِّن النَّظَرَ فيها قلت : هو فارس بين الفِراسة . والدَّامِس : المظلم ، ويقال : دَمَسَ ، أى أَظْلَمَ ؛ وأتيتُه دَمَسَ الظَّلام .

٤٨٨

وقال الحارث بن خالد المخزومي ^(٣) :

١ — إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَارِ تَوَوَّدَهَا الْعَمَلُ
٢ — لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سِفْلًا | وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَغْلُو

(١) هو بشار بن برد . أمالي القالي (١ : ٢٢٨) والأغاني (١٨ : ١٩٢) .

(٢) ل . « الفروسية » ، وهما سيان .

(٣) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب : وهو أحد شعراء قريش المَعْدُودِينَ النُّزَلِينَ ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز النزل إلى المديح والهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبه وولاه عبد الملك بن مروان مكة . الأغاني (١٨ : ٩٧ - ١١١) .

٣- لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا لِمَا ضَمِنَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

أَقْسَمَ بِالْقَرَابِينَ الَّتِي يَنْحَرُّهَا الْحَجِيجُ عِنْدَ الْمُحَصَّبِ غَدَاةَ مِنِّي وَهِيَ مَعْقُولَةٌ أَنَّهُ لَوْ غُيِّرَتْ دِيَارُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَنْ خِطَطِهَا الْمَعْهُودَةِ ، وَرَسُومِهَا الْمَشْهُورَةِ ، حَتَّى جُعِلَتْ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا ، وَأَسَافِلُهَا أَعَالِيهَا لَعَرَفَ مَغْنَاهَا الْخُتَصَّ بِهَا ، وَمَثْوَاهَا الْجَمَاعَ لِأَسْبَابِهَا مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ تَحَانِي ضُلُوعِهِ مِنْ وَدِّ أَهْلِهَا أَيَّامَ مُوَاسِلَتِهَا ^(١) ، حَتَّى كَانَ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا . وَمَعْنَى « تَوَوَّدُهَا » تَنَقَّلُهَا . وَجَوَابُ الْيَمِينِ « لَعَرَفْتُ » . وَالْمَفْنَى : الْمَنْزِلُ . وَيُقَالُ : غَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا نَغْنَى بِهِ غِنَى . وَجَوَابُ « لَوْ بُدِّلَتْ » مَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ ، وَهُوَ لَعَرَفْتُ .

٤٨٩

آخر ^(٢) :

١- مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّهَا تَخَافُ عَلَى أَحْشَائِهَا أَنْ تَقَطَّعًا ^(٣)

٢- تَسَبُّبُ انْسِيَابِ الْأَيْنِمِ أَخْصَرَهُ النَّدَى فَرَفَعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَّعًا ^(٤)

التَّهَادِي : الْمَشَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛ يُقَالُ : رَأَيْتُهُ يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَيَتَهَادَى . يَصِفُهَا بِالنَّعْمَةِ وَالرِّقَّةِ وَضَعْفِ الْحَرَكَةِ ، لِثِقَلِ رَدْفِهَا ، وَدِقَّةِ خَصَرِهَا ، وَتَرَفُّقِهَا الْمُتَمَلِّكَةِ لِأَعْضَائِهَا وَحَوَامِلِهَا ، فَيَقُولُ : إِذَا تَهَادَتْ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَطَّعَتْ حَرَكَاتِهَا مَرِيضَةً ، وَنَهَضَاتِ انْدِفَاعِهَا بِطَيَّةً ، فَكَأَنَّهَا تَجَذِّبُ أَعَالِيَهَا أَسَافِلَهَا ، تَخَافُ عَلَى

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَدَّ أَهْلُهَا لَهَا وَمَوَاسِلَتَهَا » .

(٢) هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، كَمَا فِي مُحَاضَرَاتِ الرَّائِغِ (٢ : ١٣٩) . وَالْبَيْتَانِ رَوِيَانِ

أَيْضًا فِي الْحَيَوَانَ (٤ : ٢٥٩) وَبِمَجْمُوعَةِ الْمَعَانِي ٢٥٩ .

(٣) الْحَيَوَانَ : « مَرِيضَةٌ أَثْنَاءَ التَّهَادِي كَأَنَّهَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ أَعْطَافِهَا » ، صَوَابُهُ فِي ل وَالتَّبْرِيزِيِّ وَسَائِرِ الْمَرَاكِجِ ، لَكِنْ فِي

الْحَيَوَانَ : « يَرْفَعُ مِنْ أَعْطَافِهِ » .

خصرها التَّقَطْعَ إِنْ تَبَسَّطَتْ فِي اللَّشَى ، أَوْ نَسْرَعَتْ فِي الْقَصْدِ .

وقوله « تسبب انسياب الأين » فالأين : الجان من الحيات . وروى « الأيم » أيضاً ، وهى الحية . والحية لا تصبر على البرد ، لأنه إذا أثر فيها يئس جرمها فتكسرت . فيقول : هى تنساب أى تتدافع فى مشيها تدافع الحية وقد أثر فيها الندى فخسرت وأخذت من جرمها وأعطاها ما أطاعها وأمكنها . كأن الحية وقد خسرت شق عليها ما ينالها من خصر الندى وبرده ، فهى فى انسيابها تنجأ^(١) عن الأرض جهدها . ويقال : ساب وانساب بمعنى واحد . وفى القرآن : « وَلَا سَائِبَةٍ » . قال الدردي : ساب الماء ، إذا جرى .

٤٩٠

آخر :

١- أَبَتِ الرُّوَادِفُ وَالتُّدَى لِقَمَصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا^(٢)

٣- وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشَى تَفَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجْنًا غَيُورًا

لف فى البيت الأول الخبرين لقا ، ثم رعى بتفسيرها جملة ، ثقة بأن السامع

السلامه يردُّ إلى كلِّ ماله ، وذلك لأنه قال « أَبَتِ الرُّوَادِفُ وَالتُّدَى

القمصا » ، فجمع بين ما يكون خلفاً وقُدَّامًا من الرَّدْفِ والتُّدَى . وهو يريد

أن يصفها بأنها ناهدة التَّدِينِ ، دقيقة الخصر ، لطيفة البطن ، وأنها عظيمة

الكَفَلِ والرَّدْفِ ، فالتُّدَى تمنع القمص أن تلتصق ببطنها ، والرَّدْفِ يمنعها أن

تلتصق بظهرها ، فبين فى التفسير فى عجز البيت ما لقه فى صدره كما ترى .

وقوله « وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشَى تَفَاوَحَتْ » ، يريد : وإذا دنت الأُصُلُ

(١) ل : « تنجأى » .

(٢) البيتان فى أمالى القالى (١ : ٢٣) .

وَهَبَتْ رِيَّاحُ الصَّيْفِ ، فَتَقَابَلَتْ رِيَّاحَانِ كَالشَّامِلِ وَالْجَنُوبِ ، أَوِ الصَّبَا وَالذَّبَّورِ ،
وَابْتَدَرَتْ هَذِهِ ، التَّصَقَّ مِنْ دَرْعِهَا بِيَظْنِهَا وَظَهَرِهَا مَا كَانَ يَمْنَعُ نَدِيَّهَا وَرِدْفُهَا
قَبْلَ هُبُوبِهَا ، وَظَهَرَ مِنْ مَحَاسِنِهَا مَا يَنْبَغِي الْحَاسِدَ وَيَهَيِّجُ الْغَيُورَ ، لِأَنَّ مَا خَفِيَ
مِنْهَا ظَهَرَ لِلْعَيُونِ وَالْمَنَاطِرِ ، فَالْغَيُورُ يَكْرَهُ ، وَالْحَاسِدُ يَتَنَبَّه . وَقَوْلُهُ « وَأَنْ تَمَسَّ »
جَازٍ اِنْعِطَافُهُ عَلَى « مَسَّ الْبَطُونِ » لِكَوْنِ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ فِيهِ فِي مَوْضِعِهِ وَمَعْنَاهُ .
وَالْبَطُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ الْمَصْدَرَ يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ .
وَالْبَطُونُ مَعَ لَفْظِ مَسَّ ، كَمَا ظَهَرَ مَعَ أَنْ تَمَسَّ .

٤٩١

وقال بكر بن النطاح (١) :

١ - بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرَعَهَا وَتَغَيِّبُ فِيهِ وَهُوَ وَخْفٌ أَسَحَمُ
٣ - فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
وصف شعرها بالطول ، وكثرة الأصول ، فإذا قامت سحبتته ، وإذا أرسلته

(١) شاعر حنفي من بني حنيفة بن بلجم ، أو عجلي من عجل بن بلجم وهما أخوان . وكان
بكر بن النطاح صعلوكاً يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دلف من الجند وجعل له
رزقاً سلطانياً ، وكان شجاعاً بطلاً فارساً ، شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف
لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان الرشيد قد غضب عليه فاخفى ، ولم يظهر حتى مات الرشيد ،
فلما مات ظهر . وهو القائل :

أَكْذِبْ طَرَفِي عَنْكَ فِي كُلِّ مَا أَرَى وَأَسْمِعْ أَذُنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
فَلَا كِبْدِي تَبْلِي وَلَا بَاكِ رَحَةٍ وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فَيْكِ مَطْعُ
وَهُوَ مَا غَنَى بِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . غَنَّتْهُ فِي عَصْرِنَا « أُمُّ كَلْثَرَم » . وَالْقَائِلُ فِي غِلَامِ نَصْرَانِي
كَانَ يَحْنُ بِهِ :

يَا مَنْ إِذَا دَرَسَ الْإِنْجِيلَ ظَلَّ لَهُ قَلْبُ التَّقَى عَنِ التَّرَافِ مَنْصَرَفًا
إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تَمَانَقُنِي كَمَا تَمَانَقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا

«لَاغَانِي» (١٧ : ١٥٣ - ١٦١) .

سَرَّهَا فَتَغَيَّبَ فِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدُ السَّوَادِ ، مُسْتَرَسِلٌ فِي جُعُودَةٍ وَارِدَةٍ فِي جُثُولَةٍ ، فَكَأَنَّهَا لَشَدَّةُ بَيَاضِهَا إِذَا تَفَشَّاهَا ، نَهَارٌ يَسْطَعُ مِنْ خَلَلِ الظَّلَامِ ، وَكَأَنَّ شَعْرَهَا لَشَدَّةَ سَوَادِهِ عَلَيْهَا ، أَيْلٌ مُظْلِمٌ تَفَشَّى بَيَاضَ نَهَارِهِ ^(١) .

٤٩٢

آخر :

١ - تَأَمَّلْتُهَا مُعْتَرَّةً فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَطْلَعًا

٢ - إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى أُنْزِفَ الدَّمْعَ أَجْمَعًا

يقول : نظرتُ إليها على غرّةٍ منها اختلسْتُها ، وغفلةٍ ترصدْتُها ، فكأنني رأيتُ بها بدرًا طالما . وسُنَّةُ البدر ، أَرَادَ وَجْهَهُ . ويقال : اغترَّ فلانٌ ، إِذَا فُوجِيَ عَنْ غِرَّةٍ .

وقوله « إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » يقول : إِذَا تَزَوَّدَتْ عَيْنِي مِنْ حُسْنِهَا فَنَظَرْتُ فِي أَعْطَافِهَا ، اِمْتَلَأْتُ مَتَحَيِّرَةً مِنْ جَمَالِهَا ، كَمَا يَتَحَيَّرُ ظَرْفُ الْمَاءِ إِذَا اِمْتَلَأَ مِنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَنْقَطِعُ ^(٢) وَصَلَ تَحْمُلُهُ ، وَتَفْجَلُ ^(٣) عَقْدَ تَجَلُّدِهِ ، وَجَدًّا بِهَا ، وَتَحْشُرًا فِيهَا . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَظْرَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ اتِّفَاقٍ أَنَّهُ قَالَ : تَأَمَّلْتُهَا مُعْتَرَّةً ، وَمَعْنَى « أُنْزِفَ الدَّمْعَ » أَفْنِيهِ كُلَّهُ . يَقَالُ : نَزَفْتُ الْمَاءَ وَأَنْزَفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل « يفتشى » .

(٢) ل : « ينقطع » .

(٣) ل : « يتجلجل » .

٤٩٣

وقال كثير^(١) :

١ - وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنْتَى بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِيَّةِ عَالِمٌ

٢ - فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَرَنِي وَعَلِمَتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَعْنِي اللَّوَامُ

يقول : تَمَنَيْتُ أَنْتَى عَالِمٌ بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ لِي ، وَمَا يَنْفَعُ

الْتِمْنَى إِذَا لَمْ يُسَاعِدِ الْقَدَرُ . وَقَوْلُهُ « وَمَا يَغْنَى الْوَدَادَةُ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ وَدِدْتُ

وَمَفْعُولُهُ ، وَهُوَ أَنْتَى . وَيُقَالُ : وَدِدْتُ وَدَادَةً وَوَدَادَةً ، بَفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِهَا .

وَقَوْلُهُ « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » يَرِيدُ : فَإِنْ كَانَ مَا تَضُمُّرُهُ لِي وَدًّا صَافِيًّا ، وَمِيلًا نَاصِعًا^(٢)

سَرَرَنِي ذَلِكَ وَسَكَنْتُ إِلَيْهِ ، فَلَا يَذْهَبُ مَا أَتَكَلَّفَهُ فِي هَوَاهَا بَاطِلًا ، وَإِنْ كَانَ

مَا تَضُمُّرُهُ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ اعْتِرَاضًا خَالِصًا ، وَجَفَاءً مُرًّا ، قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَتُهَا مِنْ

لَوَمِ اللَّائِمَاتِ . وَقَوْلُهُ « وَعَلِمَتُهُ » اكْتَفَى بِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَرَفْتُهُ .

٣ - وَمَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لِي وَلَائِمٌ^(٣)

يقول : مَا أَخْطَرْتُهَا بِبَالِي عَلَى مَا أَقَاسِي فِيهَا ، وَيُؤَافِيَنِي مِنْ اطَّرَاحِهَا وَزُهْدِهَا

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي ، صاحب عزة ، وأحد فحول شعراء الإسلام . وكان غالباً في التشيع معروفاً بالحق ، وكان من أتية الناس وأذهبهم بنفسه . وكان المسور بن عبد الملك يقول فيه : « ما ضر من يروى شعر كثير وجهيل ألا تكون عنده مغنيتان مطريتان » . توفي كثير سنة ١٠٥ . الأغاني (٨ : ٢٥ - ٤٢) والشعراء ٤٨٠ - ٤٩٩ وابن سلام ١٢١ - ١٢٥ والاشتقاق ٢٨٠ والمؤتلف ١٦٩ والمرزباني ٣٥٠ ، والخزانة (٢ : ٣٧٦ - ٣٨٣) وابن خلكان ، ومعاهد التنصيص .

(٢) هذا في ل . وفي الأصل : « نافماً » .

(٣) بعده عند التبريزي :

فَرِيقٌ أَبِي أَنْ يَقْبَلَ الضَّيْمَ عَفْوَةً وَآخَرُ مِنْهَا قَابِلُ الضَّيْمِ رَاغِمٌ

إِلَّا تَفَرَّقَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ : ففريق يَعمِدُني ويقول : إنَّ مثلها في كمالها وظرفها وحسبها ومنصبها ، وشرها وسرورها ، يَضْبِرُ على كل أذى يَعرِضُ في اكتسابها ويُعْتَلِقُ على جميع عِلاتها ، احتفالاً باسمها في العُشَّاق ، وتكثُّراً بمكانها بين ذوى الأهواء . وفريق يَومِني ويقول : إِنَّكَ جاهِلٌ بِمَالِكَ وَعَلَيْكَ ، مَبْتَذِلُ الرُّوحِ في هَوَى من لا يُشْفِقُ عليك ولا يرفق بك ، ولا يرجع إلى شيء مما قُوِّرَ ، وإن امتدَّ مَدَى ذهابها عنك . وهذا قاله على عادة النَّاسِ فيما يَهْمُونُ ، وتردُّهم بين ما يَوقُو العِزمَ عليه وبين ما يَضِغُفه ، فجعلَ كلَّ واحدٍ منهما كأنَّه نَفْسٌ على حَيالها .

٤٩٤

وقال أيضاً :

١ - وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَغْبًا إِلَى بَدَا إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادُ سِوَاهُمَا^(١)

٢ - وَحَلَّتْ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِهَذَا فُطَابَ الْوَادِيَانِ كَلَاهُمَا

خاطبها في البيت الأول مُعْتَدًّا عليها بأنَّه كما آثرها على أهلِه وعشيرته ، آثرَ بلادها على بلاده ، فذكر [طرفَ محالِّها فقال : أَحَبُّ لَكَ وَفِيكَ شَغْبًا إِلَى بَدَا ، وَبِلَادِي^(٢)] بلادُ غيرها . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ : وَنَزَلْتُ بِهَذَا - يُشِيرُ إِلَى شَغْبٍ - نَزْلَةً ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَبْدَا ، فَفَاحَ الْوَادِيَانِ وَتَضَوَّعَا بِرِيَّاهَا . ومثله قول الآخر :

(١) بعده عند التبريزي :

إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَايَ أَعْتَلُّ بِالْقَدَى وَعِزَّةٌ لَوْ يَدْرِى الطَّيِّبُ قَدَّاهَا

(٢) الكلمة من ل .

استودعت نشرها الرياض فما تزداد إلا طيباً على القدم.

ومثله أيضاً :

تضوَع مسكاً بطنُ نَعمانَ أن مَشَتَّ به زَيْنَبُ في نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ^(١)

٤٩٥

وقال نصيب^(٢) :

١- لقد هَتَفْتُ في جِنَحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ على قَنَنِ وَهَنًا وإِنِّي لَنَائِمٌ^(٣)

٢- كَذَبْتُ وَيْتِ اللَّهِ لو كَفْتُ عاشقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بالبُكاءِ الحامِئِ

هَتَفْتُ : صاحَت . في جِنَحِ اللَّيْلِ^(٤) ، أى فيا مال من الليل . والقَنَن :

القُصْن . وهنًا : بعد ساعة من الليل . يقول : جَدَدْتُ لى حَمَامَةٍ بتغريدِها وَجَدًا

(١) البيت لعبد الله بن نمير الثقفي ، كما في اللسان (ضوع) وإصلاح المنطق ٢٨٧ . ويروى : « عطرات » .

(٢) هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعرًا فحلاً مقدماً في النسيب والمديح ، ونصيب هذا هو نصيب الأكبر ، القائل في عبد العزيز :
لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامره

وأما نصيب الأصغر فهو شاعر عباسي مولى المهدي ، اشتراه في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان . فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جعفرية ، وكناه أبا الحجناء ، وأقطعه ضيعة بالسواد ، وعمر بعده الأغاني (١ : ١٢٥ - ١٤٥ و ٢٠٠ : ٢٥ - ٣٤) وابن سلام ١٤١ وياقوت (٧ : ٢١٢ - ٢١٦) والعيني (١ : ٥٣٧ - ٥٣٨) والشعراء ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٣) بين هذا البيت وتاليه في ديوان الحماسة بشرح الشيخ الدلحموني :

فقلت اعتذاراً عِنْدَ ذاك وإِنِّي لَنَفْسِي مِمَّا قد رَأَتْهُ لِلأَئِمِّ

أَزْعُمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ بِسُفْدَى وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي الحامِئِ

وهذان البيتان لم يروهما التبريزي ولا المرزوقي ، فهما ليسا من صلب الحماسة ، على أن يبقى الحماسة هذين نسبا في الأغاني (٢ : ٨) إلى المحنون ، ورواية أولهما :

لقد غردت في جنح ليل حمامة على إلفها تبكي وإني لنائم

(٤) الجنح بالضم والكسر ، وقد ضبط في النسختين والتبريزي بالكسر فقط .

وصباية . وهى على غُصْنٍ فِيا مَالٍ مِنَ اللَّيْلِ ، وَإِنِ لَسَاكُنْ نَأْمٌ ، وَلَوْ كُنْتُ
عَاشِقًا وَحَقَّ يَتِ اللَّهِ لَمَّا سَبَقْتَنِي الْحَمَامُ بِالْبُكَاءِ ، لَكِنِّي كَاذِبٌ فِي دَعْوَايَ
مَتَزَيِّدٌ . وَهَذَا كَلَامٌ مُسْتَقْصِرٌ فِيا هُوَ عَلَيْهِ ، مُسْتَزِيدٌ لِنَفْسِهِ فِيا يُجْرَى إِلَيْهِ ،
يَصَوِّرُهَا بِصُورَةِ الْمُنْشَبِّعِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ . وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ زَائِدَةٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُلْتَذِّ
بِالْهُوَى . وَقَوْلُهُ « لَمَّا سَبَقْتَنِي » ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِيا يَعْتَقِدُونَ مِنْ شَجْوِ الْحَمَامِ .
لِذَلِكَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

لَا تَشْجَيْنَ لَهَا فَإِنَّ بُكَاءَهَا صَحِيحٌ وَإِنَّ بُكَاءَكَ اسْتِغْرَامٌ

وَسَلَاكَ مُسَلِّكٌ نُصِيبُ عَدِيَّ بْنَ الرَّقَّاعِ فِيا أَظُنُّ فَقَالَ :

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتُ صَبَابَةٍ بِلُبِّي شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْذِمِ^(١)

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

وَقَوْلُهُ « لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ » اشْتَمَلَ عَلَى جَوَابِ الْيَمِينِ ، وَعَلَى

جَوَابِ لَوْ .

٤٩٦

وَقَالَ الشَّمَاطِيطُ الْغُطْفَانِيُّ^(٢) :

١ — أَرَارَ اللَّهُ مُحْكًا فِي السَّلَامَى إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوُّقِينَا^(٣)

(١) فِي الْكَامِلِ ٥٠٤ لَيْسَ : « بِسَعْدَى شَفِيت » .

(٢) ذَكَرَ فِي الْأَغَانِي (٢ : ٨٦) أَنَّ « شَمَاطِيطَ » كَانَ مُعَاَصِرًا لِابْنِ مِيَادَةَ . وَأَنشَدَ

لَهُ فِي الْأَغَانِي وَاللَّسَانَ (شَمَط) :

أَنَا شَمَاطِيطُ الَّذِي حَدَّثْتَ بِهِ مَتَى أَتَيْتَ الْغَدَاءَ أَنْتَهَى

حَتَّى يَقَالَ شَرُّهُ وَلَسْتُ بِهِ

وَهَذِهِ الْحَاسِيَةُ جَاءَتْ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبَةٍ ، وَنَصَّ إِنشَادَهُ : « وَقَالَ آخِرُ » .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ :

أَرَارَ اللَّهُ فَعَمِيكَ فِي السَّلَامَى عَلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَعُولِينَا

٢ - فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدُنِ وَجَدِي وَلَكِنِّي أَمِيرٌ وَتُعَلِّمُنِي

٣ - وَبِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ غَيْرَ أَنِّي أَجَاهٌ عَنِ الْعِقَالِ وَتُعَلِّمُنِي

قوله : « أَرَارَ اللَّهُ » يخاطب ناقته ووجدتها تحن فقال داعياً عليها : جَمَلِ
اللَّهُ نَحْكَ رِيّاً . والرَّير : الرَّفِيق من المخ . والقَصْدُ في الدعاء إلى أن يجعلها الله
مَضُوءاً مهزولاً ، وَخَصَّ السَّلَامَى لَأَنَّهَا وَالْعَيْنَ آخِرُ مَا يَبْقَى فِيهِ الْمَخُ عِنْدَ الْهَزَالِ .
لِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ (١) :

لَا يَشْتَكِيَنَّ أَلَمًا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي السَّلَامَى أَوْ عَيْنَ

وقوله : « إِلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تَشَوَّقِينَا » ، يجوز أن يكون إنكاراً منه على
الناقّة في حنينها ، ويجوز أن يريد تفخيم شأن المشتاق إليه ، كَأَنَّهُ قَالَ :
تَشَوَّقِينِي بِحَيْنِكَ إِلَى إِنْسَانٍ وَأَيُّ إِنْسَانٍ ، وَيَكُون « مَنْ » اسماً نكرةً ،
وَيَكُون الْكَلَامُ خَبَرًا ، وَفِي الْأَوَّلِ يَكُون اسْتِفْهَامًا . وَإِنَّمَا أَنْكَرَ ضَجْرًا بِهَا ،
لَأَنَّهُ لَمْ يَذِرْ أَحْنِيهَا إِلَى وَلَدٍ أَوْ وَطَنٍ أَوْ صَاحِبٍ .

وقوله : « فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدُنِ » يجوز أن يكون « وَجَدِي » في موضع
النَّصْب ، عَلَّ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْمَضْمَرِ فِي إِنِّي ، وَيَكُون مِثْلُ فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ
إِنَّ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّ وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدُنِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَجَدِي فِي
مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَمِثْلُ خَبَرٌ لَهُ مَقْدَمٌ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ إِنَّ ،
كَأَنَّهُ قَالَ : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدُنِ .

وقوله : « وَلَكِنِّي أَمِيرٌ وَتُعَلِّمُنِي » يريد إنَّ عَقْلِي يُمَسِّكُنِي ، وَإِنْ كَانَ
وَجَدِي مِثْلُ وَجَدِكَ وَبَرَحِي مِثْلُ بَرَحِكَ ، عَنْ إِظْهَارِ التَّأَلُّمِ ، وَفِي الْقَلْبِ مَا فِيهِ ،
وَأَنْتَ تُعَلِّمُنِي وَتُصَيِّحُنِي .

وقوله : « وَبِي مِثْلُ الَّذِي بَكَ » يقول : إِنَّ نِزَاعِي مِثْلُ نِزَاعِكَ ، وَلَكِنِّي

(١) هو الراجز أبو ميمون النضر بن سلمة ، كفا في اللسان (نق) . والرجز في صفة خيل .

يُؤْمِنُ مَنْى أَنْ أَهْمَ عَلَى وَجْهِ ، إِذْ كُنْتُ أَضِيطُ نَفْسِي بِمَا أُعْطِيتُ مِنْ تَمْيِيزِي وَإِيقَانِي ، وَأَنْتَ تُعْقِلِينَ خَافَةَ أَنْ تَنْدِي عَلَى وَجْهِكَ ، إِذْ لَا يُسْكَنُ بِكَ ، وَلَا رِقَبَةً لَكَ ، وَلَا حَيَاءَ يَرُدُّكَ ، وَلَا رِعَةً تُنْمِسُكَ .

٤٩٧

وقال (١) :

١ - وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَاحًا فَوَادُهُ وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلِي بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
٢ - تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَإِذَا أَلَّتِي تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بَلِيلِي وَلَا تُسَلِّي
يقول : لَمَّا عَصَى قَلْبُهُ وَتَأَبَّى إِلَّا جَاحًا فِي لَجَاجَتِهِ ، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفْ نَفْسُهُ عَنْ لَيْلِي شُغْلًا بِتَمْيِيزِ مَالٍ ، وَتَرْقِيقِ عَيْشٍ ، وَلَا بِإِرْضَاءِ أَهْلٍ وَاسْتِصْلَاحِ عَشِيرَةٍ ، أَخَذَ يَطْلُبُ الشَّلْوَ عَنْهَا فِي مُوَاصَلَةٍ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ وَشُغْلٍ الْقَلْبِ بِحَبِّهَا دُونِهَا ، فَإِذَا أَلَّتِي طَلَبَ التَّسَلَّى بِهَا تَبَعْتُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى لَيْلِي ، وَتَحَضُّضٍ عَلَى تَرْكِ الْإِثَارِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ زِيَادَاتِ مُحَاسِنِهَا ، وَأَنْوَاعِ مَا تَوَحَّدَتْ بِهِ مِنْ فُضَائِلِهَا ، مَا يَدْعُو إِلَى التَّشَبُّثِ بِهَا ، وَعِمَارَةِ هَوَاهَا .
وجواب لما أبى « تَسَلَّى » . وَالْجَاحُ مِنْ قَوْلِهِمْ : جَمَحَ الْفَرَسُ ، إِذَا جَرَى جَرَبًا غَالِبًا لِرَاكِبِهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِذَا أَلَّتِي تَسَلَّى بِهَا » إِذَا هِيَ هَذِهِ الَّتِي الْمَفْاجَأَةُ ، وَمِنْ الظُّرُوفِ الْمَكَانِيَّةِ لَا الزَّمَانِيَّةِ ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ مُسْتَقَرًّا .

٤٩٨

آخر (٢) :

١ - عَجِبْتُ لِهَزْنِي مِنْكَ يَا عَزَّيْعَدَمَا عَمِرْتُ زَمَانًا مِنْكَ غَيْرَ صَحِيحٍ

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر ، وهو كثير » .

٢- فَإِنْ كَانَ بُرءُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ رَاحَةً فَقَدْ بَرَّتُ إِنْ كَانَ ذَاكَ مُسْرِحِي

٣- تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي لِسْرِحِي

يقول : قضيتُ العجبَ من انصراف قلبي عنك ، وبرئُ من الداءِ فيك ، بعد ما بقيت زماناً مبتلى النفس في هوائِ ، عليل القلبِ بوجدك ، مُبرِّحاً بي حُبِّكَ ؛ فَإِنْ كَانَ بُرءُ النَّفْسِ يُعْقِبُ لِي رَاحَةً مِنْكَ وَفِي هَوَاكَ فَقَدْ بَرَّتُ وَالرَّاحَةُ مُنْتَظَرَةٌ ، إِنْ كَانَتْ مِنْ نَتَائِجِهِ وَمُسَبِّبَاتِهِ . ثم قال « تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ » يريدُ شَيْتٌ وَاسْتَبَدَّتْ بُلُونُ رَأْسِي وَسَوَادِ شَعْرِي لَوْنًا آخَرَ حَدِيثًا ، فَكَانَ الْمُتَقَدِّمُ كَانَ كَالْغِطَاءِ عَلَى رَأْسِي ، تَكْشَفُ بِالتَّانِي ^(١) ، وَلَمْ يَكُنْ مَا تَغْشَى قَلْبِي مِنْ حُبِّكَ يَنْكَشِفُ بِالْهُوَ بَنِي .

فإِنْ قِيلَ : فِي ظَاهِرِ هَذَا الْكَلَامِ تَنَاقُضٌ ، لِأَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ كَذَبْتُ أَفْعَلُ كَذَا مَعْنَاهُ شَافَهْتُ فِعْلَهُ وَشَارَفْتُهُ ، وَلَا يَكُونُ قَدْ فَعَلَهُ ؛ وَإِذَا قَالَ : لَمْ يَكُنْ فَلَانَ يَفْعَلُ كَذَا ، مَعْنَاهُ يَقْرُبُ وَقَوْعُ ذَلِكَ مِنْهُ . فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ مَا أَثْبَتَهُ بِقَوْلِهِ « تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ » ، لِقَوْلِهِ : وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي لِسْرِحِي ؟ قُلْتُ : لَوْ أَمْسَكَ عِنْدَ قَوْلِهِ « وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي » لَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْتُ ، لَكِنَّهُ لَمَّا قَالَ « لِسْرِحِي » بَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ سَهُولَةٍ وَبِمَجْلَةٍ ، وَقِلَّةِ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، فَتَفَيَّهَ فِي الْحَقِيقَةِ لِقِلَّةِ التَّعَبِ وَالسَّهُولَةِ لَا لِلْإِنْجِلَاءِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ يَكُونُ الْغِطَاءُ قَدْ انْجَلَى عَنِ الْقَلْبِ ، لَكِنَّهُ انْجَلَى بَعْدَ طَوَّلٍ مَزَاوِلَةٍ نَصَبٍ ، وَمُقَاسَاةٍ كَمَدٍ ، وَعَنْ شِدَّةٍ تَفَاقُمٍ ، وَبَلَاءٍ مُلَازِمٍ . وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمَرْأَةِ إِذَا طُلِقَتْ عِنْدَ الْوِلَادَةِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ سَهْلًا سَرِحًا . فَالسَّرَاحُ وَالتَّسْرِيحُ وَالتَّسْرِيحُ كُلُّهَا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ السَّهُولَةُ وَالْمَجْلَةُ . وَيُقَالُ : سَرَّحَهُ اللَّهُ

تعالى للخير ، أى وفقته له وعجّله . وفى المثل : « المَرَّاحُ مِنَ النِّجَاحِ » .

٤٩٩

وقال عروۃ بن أذينة^(١) :

١ - إِنْغَانِ يَمِينِهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ وَلَا يَمَلَّانَ طُولَ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا^(٢)

٢ - مُسْتَقْبِلَانِ نَشَاصًا مِنْ شَبَابِهِمْ إِذَا دَعَا دَعْوَةَ دَاعِي الْهَوَى سَمِعَا

٣ - لَا يُعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرْضٍ وَيُعْجَبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا

البين يقع على وجوه : أحدهما أن يكون مصدرَ بان يبين بينًا وبينونة .
والثانى أن يكون ظرفًا ، نقول : بين القوم كذا ، وهو لشيثين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدا . والثالث أن يفيد معنى الوصل ، على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُنْكُمْ ﴾ . ألا ترى أن معناه تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ ، ولا يصح أن يكون المراد تَقَطَّعَ افتراقُكم ، لفساد المعنى . وعلى هذا قولهم : سعى فلان لإصلاح ذات البين من عشيرته ، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق . والذى فى البيت هو الثالث ، لأن المعنى : هما متحابان قد ألف كل منهما صاحبه ، والذى يهتُمهما ويعنِيهما للوصل ما يُحْشَى تعقبه له من الفرقة ، نخوفُهُما منها وفكرُهُما فيها ، ولا يكتسبان

(١) هو عروۃ بن أذينة - وأذينة لقب لأبيه واسمه يحيى - بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله الليثى الكناني ، فقيه محدث ، وشاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ، روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوى ، وكان محمد وفد على هشام بن عبد الملك ، ووقفت عليه سكينه بنت الحسين ومعها جوار لها فقالت له : أنت القاتل كذا وكذا ، وأنشدت أبياتا من النسيب فقال لها : نعم . فالتفت إلى جواربها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سام قط . الأغاني (٢١ : ١٠٥ - ١١١) ، وابن خلكان فى ترجمة سكينه بنت الحسين ، والمؤتلف ٥٤ والشعراء ٥٦٠ - ٥٦٦ .

(٢) التبريزى : « تعنِيهما » .

مَلَاً من اتّصال الاجتماع طول الدهر . [فقلوه « طول الدهر » يجوز أن يكون مفعول يملآن ، أى لا يملآن تطاول الوقت إذا اجتمعا ، ومدة اجتماعهما . ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفاً ، وما اجتمعا مفعول يملآن ، أى لا يملآن الاجتماع طول الدهر ^(١)] . وقوله « مستقبلان نشاصاً » فالنشاص أصله السحاب إذا ارتفع من قبل العين حين ^(٢) ينشأ ويعلو ، فاستعير هنا لما يُقْتَبَلُ من الشباب وأيام الصبا واللهو . كأنه يطرؤها النشاط والشروع كما يطر السحاب الغيث . وجعل ذلك فيهما بحيث يسمعان قريباً دعاء مُنادى اللهو ويحييانه ؛ لأن الوقت وقت التصابي والبطالة . وإلى هذا أشار أبو نؤاس في قوله :

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعْدُنَّ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا
وقوله « لا يُعْجَبَان بقول الناس عن عَرْضٍ » هو من قولهم : نَظَرْتُ إِلَيْهِ عن عَرْضٍ ، أى عن ناحية . والمعنى أَنَّهُ لا يُعْجِبُهُمَا من مقال الناس وفعلهم شئاً ، ولا يأخذ قلبهما وعينيهما ^(٣) حديث ولا إبلاغ ممن كان عن ناحية وشقي ، لكنَّ الحسَنَ عندهما فيما يتفاوضانه أو يتقارضانه ، والإعجاب يتعلّق بما يصنعانه ويؤثرانه ^(٤) ؛ إذ كان كلُّ واحدٍ منهما قد صار في مَلَكَةِ هَوَى صاحبه ، وفي رِفاق قَبِيلِهِ ^(٥) ، فلا يُبْصِرُ إِلَّا بَعِيْفَهُ ، ولا يَسْمَعُ إِلَّا بَأْذَنَهُ .

(١) التكلة من ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « حتى » .

(٣) ل : « وعينهما » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « ويؤثرانه » .

(٥) ل : « ميله » . والرفاق : مصدر رافق مرافقة ، وهو أيضاً جبل للدابة يشد

من الوظيفة إلى العضد .

٥٠٠

وقال^(١):

- ١- وَلَمَّا بَدَأَ إِلَىٰ مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَىٰ سِوَايَ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلٌ
 ٢- صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِي تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ
 قال سيبويه : معنى سِوَايَ بَدَلٌ ومكان تقول . عندي رَجُلٌ سِوَايَ زَيْدٍ ،
 معناه وكان زيد وبَدَلُ زيد ، وعلى ما فَسَّرَهُ يكون معنى البيت : وَلَمَّا بَدَأَ إِلَىٰ
 مَيْلُكَ مَعَ الْأَعْدَاءِ بَدَلٌ مَيْلُكَ إِلَىٰ وَمَكَانَ مَيْلِكَ ، وَلَمْ يَحْدُثْ لِي بَدِيلٌ مَكَانَكَ
 وَعِوَضًا مِنْكَ أَعْرَضْتُ عَنْكَ إِعْرَاضَ الرَّمِي مِنَ الصَّيْدِ الْمَصَابِ بِسَهْمِ الصَّيَّادِ ،
 وَهُوَ قَتِيلُهُ ، لِأَنَّ الْإِصَابَةَ عَمِلَتْ عَمَلَهَا ، لَكِنَّ الْمُدَّةَ تَطَاوَلَتْ بِهِ ، فَهُوَ رَهِينٌ
 بِإِصَابَتِهِ . يريد : صَدَدْتُ عَنْكَ صُدُودَ بَأْسٍ لَا صُدُودَ مَقْلِبِيَّةٍ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ
 هَؤُلَاءِ قَاتِلِي كَهَذَا الرَّمِي الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ قَتِيلًا وَإِنْ طَالَ نَفْسُ مُهْلَتِهِ ،
 وَمُدَّةٌ مِنْ أَمَدٍ مُنْبَتِّهِ .

٥٠١

وقال آخر :

- ١- أَحِبُّبَا عَلَى حُبٍّ وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ لَا يُحِبُّ بَخِيلٌ
 ٢- بَنَى وَالَّذِي حَجَّ الْمَلْبُونِ بَيْتَهُ وَيَشْفِي الْهَوَىٰ بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ
 ٣- وَإِنْ بَنَى لَوْ تَعْلَمِينَ لُغْلَةً إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَائِمَاتِ غَلِيلٌ
 الألف من قوله « أَحِبُّبَا » لفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ . وَاِنتَصَبَ حُبًّا

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) ضبطت « يحب » في ل بالنصب والرفع مشفوعة بكلمة « معا » نصا على الروايتين -

باضمارِ فِعْلٍ ، كأنه قال : أَتَجْمَعِينَ عَلَيَّ حُبًّا عَلَى حُبٍّ ، أو أَتَزِيدُنِي حُبًّا بَعْدَ حُبٍّ ، مَعَ بُحْلَاكَ وَإِثَارِ زَهْدِكَ ، وَعِنْدَ النَّاسِ فِي أَحْكَامِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْبَخِيلَ لَا يَكُونُ مَحْبُوبًا . كَأَنَّهُ عَاتِبَهَا وَقَرَّعَهَا مِنْ أَمْرِ الَّذِي بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّهَا مِنْ أَجْلِهِ فِي طَرَفِي نَقِيضٍ ، وَفِي لَوْنٍ مِنَ الْعِشْقِ طَرِيفٌ ^(١) ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَامَلَتَهَا لَهُ مَعَامَلَةٌ مِنْ لَا يَتَذَدَّى عَلَيْهِ وَلَا يَرْحُمُهُ ، وَلَا يَتَسَخَّى بِشَيْءٍ لَهُ ، وَأَنَّ جَذْبَهَا إِيَّاهُ فِي الْهَوَى جَذْبٌ مَنْ لَا يَكْتَفِي مَعَهُ بِمَفْوَاهٍ حَتَّى يَجْهَدَهُ وَيَزِيدَهُ وَجْدًا عَلَى وَجْدٍ ، وَأَلَمًا بَعْدَ أَلَمٍ . قَالَ : هَذَا حَالِي مَعَكَ ، وَفِي زَعَمَاتِ النَّاسِ أَنَّ الْقُلُوبَ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّ الْحَسَنِينَ الْبَازِلِينَ ، لَا الْمُسِيئِينَ الْبَاحِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فَقَالَ : بَلَى وَاللَّهِ الْحُجُوجُ بَيْتُهُ ، الْمَعْظَمُ حَرْمُهُ ، الْمُدَاوِي مِنْ دَاءِ الْهَوَى بِالْيَسِيرِ الْخَفِيفِ مِنَ النَّيْلِ ، إِنْ الْبَخِيلُ لِيُحِبَّ . وَذَكَرَ عَلَى الْمُقَسِّمِ لَهُ بِقَوْلِهِ « وَإِنْ بَنَّا لَوْ تَعْلَمِينَ لُغْلَةً » وَهِيَ حَرَارَةُ الْعَطَشِ ، كَمَا يَكُونُ غُلَّةُ الْحَامَاتِ ، وَهِيَ الطُّيُورُ الَّتِي تَحْمُومُ عَلَى الْمَاءِ وَتَدُورُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ ثُمَّ تَقَعُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَكُونُ الْعِطَاشُ أَنْفُسَهَا . وَقَوْلُهُ « وَأَنْتَ بِخَيْلَةٍ » الْوَائِي وَارِ الْهَالِ . وَقَوْلُهُ « أَلَا يُحِبُّ » إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْفِعْلِ فَتَنْصَبَتْ يُحِبُّ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ الْخَنْفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ فَيَرْتَفِعُ يُحِبُّ ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ . ثُمَّ قَالَ : بَلَى ، وَهُوَ جَوَابُ اسْتِفْهَامٍ مَقْرُونٍ بِنَفْيٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ مُسْتَفْهَمًا مِنْهُ : أَيَحِبُّ الْبَخِيلُ الْمُؤْسِكُ ؟ فَقَالَ : بَلَى وَأَقْسِمُ أَيْضًا ، تَأْكِيدًا . وَالْحَبَّجُ : الْقَصْدُ . وَالنَّيْلُ : مَصْدَرُ نَلْتُهُ أَنَالَهُ . وَقَوْلُهُ « لَوْ تَعْلَمِينَ » كَالْمُذَرِّ لَهَا ، وَقَدْ أَقَامَهُ مُسْتَطَفًا ، يُصَوِّرُهَا بِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ مَا بِهِ كَانَتْ لَا تَسْتَجِيزُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ .

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « ظَرِيفٌ » .

٥٠٢

وقال آخر :

- ١- إِذَا كُنْتَ لَا يُسْلِيكَ عَنْ مَنْ تَوَدُّهُ تَنَاءً وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقٍ
 - ٢- فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرُ حُشَّاشَةٍ لِمُهْجَةِ نَفْسٍ آذَنْتَ بِفِرَاقِ
- يخاطب نفسه متوجعاً لها ، ومستوحشاً من الحالة التي مئى بها ، فيقول : إذا لم تستوفِ مع من تحبه التباعد عنه ، وأخذ النفس بالتفصى منه ، ليورثك سلواً ودونه ، ولم يقرب شفاءك من الداء فيه طول الاجتماع معه ، وانصال التردد منه ، والمريض في العرف والعادة إذا اشتكى من دواء عوِج به نُقل إلى ما يضادّه ، فإن لم يُغنِ سلم لعلته ، فكذلك أنت إذا لم يفعك فيما تقاسيه لا التئام ولا التئام ، فما ذاك إلا غرامٌ ، وما أنت فيه إلا مستعير حشاشة ، وهى روح القلب ، ورمى من حياة النفس وقد آذنت بالمفارقة . والمهجة : خالصة النفس ؛ ومنه كِبْنُ أُمُجَانٍ .

٥٠٣

وقال عبد الله بن الدمينه (١) :

- ١- أَلَا يَاصْبَا نَجْدٍ مَتَى هَجْتِ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ زَادَنِ مَسْرَاكِ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ (٢)
 - ٢- أَأَنْ هَتَفْتَ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ
 - ٣- بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
- الصبا : القبول . يقال : صَبَتِ الرِّيحُ تَصْبُوءًا صُبُوءًا . ومتى هجتِ ، أى متى

(١) سبقت ترجمته فى الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) التبريزى : « لقد زادنى » .

تُرْتِ وَاهْتَجَتْ . يقال : هاجَ الفحلُ والريحُ هَيْجًا . وهم يخاطبون الرِّيحَ
والتَّبَرُّقَ إذا كانا من نحوِ أرضِ المحبوب . فيقول : متى اهْتَجَتْ من أرضي
نَجْدٌ^(١) فقد زادني سَيْرُكَ شوقًا ، وَجَدَدَ لِي هُبُوبُكَ على ما كنتُ أَكْبِدُهُ
من الوجدِ وَجْدًا .

وقوله « أُنْ هَتَفَتْ » يخاطبُ نفسه مبكِّتًا فيقول . أَلَا نَ صاحت حمامةٌ
ورقاء في أوَّل الضحى واقعةً على غُصْنٍ غَضٍّ من شجر الرِّند بكيتَ بكاءَ
الصَّبِيِّ إذا أعياه مطلوبه ، وأظهرت العجزَ عما حُمِّلَتْه ، وعَهْدُ الناسِ بك فيما
مضى من أيامك ولم تزل ثابتَ القدمِ فيما ينوبُك ، دَائِمَ الصبرِ على بلواك ،
إِنَّ هذا منكِر .

٤ — وقد زعموا أَنَّ الْحَبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ

٥ — بَكْلٌ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بَنَا عَلَى ذَاكَ قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

٦ — عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بِذِي وَدٍّ^(٢)

يقول : زعم الناسُ أَنَّ الاستكثارَ من المحبوب والتَّدَانِي منه يُكْسِبُ
الْحَبَّ مَلَالًا ، وَأَنَّ الاستقلالَ من زيارته والتَّنَائِي عن محله وداره يُنتِجُ له
سُلُوكًا ، فداويتُ بَكْلٌ واحدٍ من ذلك فلم يَنْجَعْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا
وجدتُ قُرْبَ الدارِ منه خيرًا من بعدها عنه ، لِمَا تُوسَّوسُ به النفسُ في الوقتِ
بعد الوقتِ من طَمَعٍ فيه ، ولتَطْلُعِ الجاورينَ له ، وتجددِ الحديثِ عنه ، إلى كثير
مما يُعْدَمُ في البعاد . ثُمَّ رَجَعُ فِيمَا أُعْطِيَ فقال : عَلَى أَنَّ تَقَارُبَ الدِّيَارِ لَا يَكَادُ

(١) هذا ما في ل ، على الجمع ، وفي الأصل : « أرض نجد » .

(٢) هذا ما في ل ، وهو ما يتساق مع الشرح ، وفي الأصل والتبريزي : « ليس به » .

بذِي عهد .

ينفع إذا كان المحبوب لا ودَّ له ، ولا مَيَّلَ له . ويُروى : « ليس بذى عهد » ،
أى لا يبقى على ما عهد عليه .

٥٠٤

آخر :

١ - إذا ماشئتُ أن تسلى خليلاً فأكثرِ دونهُ عَدَدَ الليالى

٢ - فما سلى خليلاًك مثْلُ نأى ولا يلى جديداك كما بتدالٍ

معناها ظاهرٌ بما تقدّم ، ويقال : سَلَيْتُ ، بمعنى سلوت . قال :

* لو أشربُ الشلوانَ ما سَلَيْتُ^(١) *

٥٠٥

وقال آخر :

١ - أَلَا طَرَقْتُنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنْبُ عَلَيْكِ سَلَامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ

٢ - وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبْنَنَا فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَنْجَنَّبُ

يقول : أَتَدْنَانَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ سَحَرًا فَقُلْتُ مُسَلِّمًا عَلَيْهَا : عَلَيْكِ سَلَامُ اللَّهِ هَلْ

لِمَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِ الْوِصَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْإِحْسَانِ مَطْلَبُ لِي فَأَسْأَلُهُ^(٢) . فقالت

لِي حَبِيبَةً : جَانِبْنَا وَلَا تَدْنُونَنَّ مِنَّا . فقلتُ : أَنَّى يَكُونُ مِنِّي جَانِبَةٌ وَأَنْتُمْ فِي

الدُّنْيَا حَاجَتِي وَمُنَايَ ، وَلَا اخْتِيَارَ مَعَ الْضَّرُورَةِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا غَنَى عَنِ الْفَاقَةِ . هذا

هو ظاهرُ الكلام . وقد رأيتُ من يفسِّره على أن المراد بآخر الليل آخرُ أَيَّامِ

(١) لرؤبة في ديوانه ٢٥ واللسان (سلا) .

(٢) كلمة « الإحسان » ليست في ل .

الشباب . وكان يروى : « عليك سلام » بفتح الكف ، ويجعل الخطاب والتسليم من المرأة للرجل ، ويقول : إنما حيتته بتحية الموتى لتولى أباتمه ، وتناهي عمره ، وقولها « هل إِمّا فات مَطْلَب » من كلامها معاتبه ، كأنها أنكرت التعرض لها وقد فاتته دالة الشباب ، وشفاعه النصرة والاقبال . والأولى ما قدمته .

٣- يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب^(١)
 ٤- لقد جلّ خطب الشيب إن كنت كلما بدت شيبة يعزى من اللهو مَرَكَبُ
 المضمّر في « يقولون » المتعصبون للمرأة والناس . يريد : عزّوني بتعاطي الصبا واللهو واللعب ، بعد تقضى الثلاثين من أيام عرى فقالوا : هل بعد الثلاثين ملعب ، أى لا ينبغي اللهو لئلك . فقلت لهم : وهل قبل الثلاثين ذلك . والمعنى أن من عدّ ما دون الثلاثين فهو في عداد الصبيان ، لا يعرف اللذات ، ولا يصلح للبطالات . ويجوز أن يكون المراد : وهل تسهّل لى قبل الثلاثين شىء من مَبَاغى اللهو واللعب فيؤكّر متى طلبى إياه بعده .

وقوله : « لقد جلّ خطب الشيب » لقد جواب يمين مضمرة ، ولك أن تروى « أن كنت كلما » والمعنى لأن كنت كلما . ولك أن تنكسر الهمزة فتكون إن المفيدة للشرط ، والمراد : إن كنت كلما بدت فى رأسى لُعمّة من الشيب يلزم منها أن أعزّى مَرَكَبًا من سراكب اللهو ، فلقد عظم خطب الشيب ، ويكون جواب إن فى قوله « لقد جلّ خطب الشيب » ، وكلما فى موضع الظرف .

٥٠٦

وقال كثير^(١):١ - وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي يَقُولُ يَحِلُّ الْمُصَمَّ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)٢ - تَنَاهَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٣)

يقول: توفرت عليّ ولطفت لي القال والفعال، على تطلّقي من وجهك، وهشاشة ظاهرة منك، حتى أوقعتني في حبالتك، وخببت^(٤) قلبي بكلام يقرّب البعيد، ويسهل العسير، ويؤنس النافر، ويطمع اليأس، فهنا استكمل مرادك في ضمت أطرافك إليك، وقبضت ما انبسط من أجلي فيك. والمصم: جمع أعصم وعصماء، وهي الوعول الجبلية التي في قوائمها بياض. وجواب «إذا» تناهيت عني. والمعنى: بعد ما كسبتني خبالاً، وجلبت عليّ عجلي وقلبي فساداً، كففت عني، وتباعدت منّي وقت أعينتي الحيل في الانفكاك، وتأتى تمازج الهوى وتلاصقه من الانسلاخ، وتركيت بين جوانحي ما تركت من وجد متصل، وحزن دائم.

فإن قيل: إن كثيراً علم في النسب، فلم لم يرض بإظهار التوجع من المعاملة، والتألم من التهاجر والقطيعة، حتى اعتد على صاحبه ذنباً. ونسب إليها

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٩٣ ص ١٢٨٧. والبيتان نسباً في الأغاني (٢: ١٤) إلى المجنون.

(٢) التبريزي: «إذا ما ملكتني». وفي الأمل (٢: ٢٢٨): «إذا ما استبيتني» والأغاني (٢: ١٤): «إذا ما سبيتني».

(٣) القالي: «توليتني حين لا لي مذنب». الأغاني: «تناهيت عني» و«خلفت ما خلفت».

(٤) خبيت، من التخبيب، وهو الخدع. وفي الأصل: «خبيت» صوابه في ل.

خِيَانَةً وَوِزْرًا ؛ لِأَنَّ الَّذِي وَصَفَ مِنْ افْتِنَانِهَا فِي افْتِتَانِ الرَّجَالِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ
الْعَفَائِفِ ؟ قُلْتُ : إِنَّ كَثِيرًا لَمْ يَصِفْ صَاحِبَتَهُ إِلَّا بِصِفَةِ الْعَفَائِفِ . أَلَمْ تَسْمَعْ
قَوْلَ الْآخِرِ :

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَبَّ بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
فَذُو الْحِلْمِ مُرْتَابٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهُنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيِّدٌ نَوَاكِيلُ
كَوَاسٍ عَوَارٍ ، صَامِتَاتٌ نَوَاطِقُ بَعَفُ الْكَلَامِ ، بَاذِلَاتُ بَوَاحِلُ
فَتَأْمَلُ مَا قَالَهُ فَإِنَّهُ غَايَةٌ فِي اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَإِنْ هَلَكَتْ نَفُوسٌ ،
وَحُبِّلَتْ عُقُولُ .

وَحُدِّثَتْ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ رَاوِيَةٍ
كَثِيرٍ ^(١) قَالَ : كُنْتُ مَعَ جَرِيرٍ وَهُوَ يَرِيدُ الشَّامَ ، فَطَرِبَ فَقَالَ : أُنَشِدْنِي لِأَخِي
بَنِي مُلَيْحٍ ^(٢) ، يَعْنِي كَثِيرًا ، فَأُنَشِدْتُهُ حَتَّى اتَّهَمْتُ إِلَى قَوْلِهِ : وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا
مَا فَتَنْتَنِي ، الْأَبْيَاتُ ، قَالَ جَرِيرٌ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي النُّخَيْرُ لَنُخِرْتُ
حَتَّى يَسْمَعَ هِشَامٌ عَلَى سَرِيرِهِ .

٥٠٧

وقال آخر :

- ١ - تَعَرَّضْ مِنْ مَرَحَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَا مِنَ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ
 - ٢ - ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرَّجَالَ بِلَادِمَ فَيَا مَجْبِهَا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
 - ٣ - وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ ^(٣)
- قَوْلُهُ « مَرَحَى الصَّيْدِ » ، مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، أَيْ تَعَرَّضْ لَنَا وَبَيْنَا

(١) وَكَذَا فِي أَمَالِي الْقَالِي (٢ : ٢٢٨) بِدُونِ تَعْيِينِ لَهُ .

(٢) مُلَيْحٌ ، كَزَبِيرٍ : حَتَّى مِنْ خِزَاعَةٍ . الْقَامُوسُ (مُلِحَ) ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (٢ : ٣١٨) .

(٣) الْبَيْتُ فِي الْحَيَوَانَ (١ : ١٧٠) .

وبينهم غلوة سهم، فعل المتعرض للصيد إذا أراد رميه . ويراد بالصيد المصيد ، كما يراد بالخلق المخلوق . وقوله « ثم رميننا من النبل » ، يريد : ثم نظرنا إلينا وعرضنا محاسننا علينا ، وتلك نبأهن التي لا تخف فتعدي ، ولا تحطف فتقصر . والخطف من السهم : الذي يقع على الأرض ثم يجر إلى الهدف كأنه يحطف من الأرض شيئاً . والطائش : الخفيف الذي لا يستقيم ؛ ومنه الطيش والطياش ، كأنه يرى خلفه عادلاً عن سواء السبيل . ومفعول رميننا الثاني محذوف كأنه قال : رميننا بالطائشات ، ولكن بالصائبات النائرات . والنائر : الذي ينقر الهدف .

وقوله « ضعائف يقتلن الرجال بلا دم » يريد بلا ترة وذخلة . والضعف الذي أشار إليه يريد في الخلقة والخلق ، أى يقتلن الرجال وإن ضعفن عن جذابهم كيئداً وفعلاً . ثم قال : يا عجبا لمن يقتل القوى على ضعفه . ويا عجبا يجوز أن يكون على طريق الثدبة ، ويكون مفادى مفرداً ألحق به الألف ليمتد به الصوت ، ويدل على فرط الشكو . ويجوز أن يكون مفادى مضافاً فقر من الكسرة وبعدها ياء فاقبلت ألفاً . واللام من قوله « للقاتلات » هى التى تفسر بأنها لام العلة ، كأنه علل تعجبه بقوله للقاتلات ، فارتفع ضعائف على أنه خبر مبتدأ محذوف .

وقوله « وللعين ملهى فى التلاد » ، يريد أن للعين لهواً وراحة إذا نظرت فى التلاد الرائق المعجب — والتلاد : ما قدم ملكه — ولم يجذب هوى النفس شىء كما يجذبه الطرائف ، وهى المستحدثات ، وهذا كما يقال : « لكل جديد لذة » وما أشبهه . وقاد واققاد بمعنى واحد ، والملهى كما يجوز أن يراد به الخلد ، وهو اللهو ، يجوز أن يراد به موضع الخلد ووقته .

٥٠٨

وقال آخر: ^(١)

١ - لَيْنَ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْبَاهِا الْعُلَى لِأَفْقَرٍ مِنِّي إِنِّي لَفَقِيرٌ
 قوله «يُهْدَى» يجوز أن يكون من الإهداء الإنحاف، ويجوز أن يكون من
 الهداء الزفاف. وقوله «أَنْبَاهِا الْعُلَى» يراد به الشريفة العالية الشأن. ويجوز
 أن يراد بالعلَى الأعلى من الأسنان، لأنها موضع القبل. ويعنى ببرد الأسنان
 عذوبة الرضاب عند المذاق. وقوله «إِنِّي لَفَقِيرٌ» فعيل بقاء المبالغة، ولا سيما
 إذا أُطْلِقَ إطلاقاً، فلا يقال فقيرٌ إلى كذا وكذا فيخصّص. والمعنى: إن كان
 يتربّص بمنسقى مضحكها، وواضح مقبلها، وطيب رضابها، وبرد أسنانها،
 لمن هو أفقر مني إليها، فإنني الفقير مطلقاً. والمعنى: لا غاية وراء فقرى. ومما
 يجرى مجرى فقيرٍ إذا أُطْلِقَ، قولهم سقيم. ألا ترى قول الآخر ^(٢):

لئن لَبِنُ الْمَغْزَى بَمَاءِ مُوَيْسَلٍ بَغَانِي دَاءِ إِنِّي لَسَقِيمٌ ^(٣)
 يريد المنتهى في السقم حتى لا غاية وراءه. وأفقر، كأنه بُني على فقر
 المرفوض في الاستعمال. وإنما قلت هذا لأن فقيراً كان حُكْمُهُ أن يكون فعله
 على فقر، ولم يحى منه إلا افتقر. وشرط فعل التعجب وما يتبعه من بقاء
 التفضيل أن لا يحى إلا من الثلاثي في الأكثر، وما كان على أفعال خاصة،
 وإذا كان كذلك فأفقر لا يصح أن يكون مبنياً على افتقر ولكن على فقر؛

(١) هو عبد الله بن الدمينه. ديوانه ٢٥ - ٢٦.

(٢) هو واقد بن الغطريف الطائي، أو زيادة بن بحدل الطريفي الطائي، كما في مجمع

البلدان (٨: ٢٠٣).

(٣) قبله: يقولون لا تشرب نسيئاً فإنه إذا كنت محموماً عليك وخيم

فهذا طريق . ولك أن تقول : بُنِيَ منه على حذف الزوائد ، كما جاء : ريج لاقح والمراد مُلقحٌ ، وما أشبهه .

٢ - فما أكَثَرَ الأخبارَ أن قد تزوّجتَ قَهْلَ يَأْتِيَنَّ بالطلاقِ بِشِيرٍ قوله « أن قد تزوّجتَ » ، أراد : بأن قد تزوّجت . وحذفُ الجارِّ مع أن كثير ، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار . والأخبار : جمع خبرٍ ، ووضع خبرًا موضع الإخبار ، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة ، ثم عدّاه وهو مجموع ، ومثله :

* مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ يَبْثُرِبُ^(١) *

الأتراه أنه انتصب أخاه عن جمع وهو مواعيد . ومعنى البيت : كثر في أفواه الناس الإخبارُ بتزوُّجها ، واشتغالها ببيعها عن غيره ، فهل يَأْتِيَنَّ مبشِّرٌ بتطليقها . وهذا ليس باستفهام وإنما هو تمنٍّ .

٥٠٩

وقال آخر^(٢) :

١ - يُقَرُّ بَعِينِي أَنْ أَرَى رَمَلَةَ الْفَضَى إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِينِي قِلَالُهَا^(٣)

(١) البيت للأشجى ، كما في أمثال الميداني (مواعيد عرقوب) . وصدده :

* وعدت وكان الخلف منك سجيّة *

وأشدد في الأغاني (١٥ : ١٤٤) للشماخ :

وواعدني ما لا أحاول نفعه مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وعرقوب هذا رجل من المهاليقي أتاه أخ له يسأله ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها . فلما أطلعت أتاه للعدة فقال : دعها حتى تصير بلحاً . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهواً . فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطباً . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرًا . فلما أتمرت عبد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعط أخاه شيئاً . أمثال الميداني .

(٢) هو أحد الأعراب ، كما في معجم البلدان (٦ : ٢٩٥) .

(٣) في معجم البلدان : « إذا ظهرت يوماً » .

٢- ولست وإن أحببت من يسكن الغضى بأول راج حاجة لا ينالها
أضاف الرملة إلى الغضى تشهيراً لها . وقوله « يُقرّ بعينى » ، هذه الباء
تزداد كثيراً مع أقرّ ، والأصل يُقرّ عيني ، وزيدت الباء تأكيداً . تقول قرّت
عيني وأقرّها الله . وقوله « أن أرى » فى موضع الفاعل ليقرّ ، والمراد : إذا بدت
يوماً لعينى قلال الغضى — وهو جمع القلة وهى أعلى الجبل — فقرّة عيني فى أن
أرى رمالها أيضاً وبطحاتها . ثم قال على طريق الئأس من ذلك : ولست
بأول من رجا مؤملاً . واثتمر مُقدّراً ، ثم لم يحصل منهما على طائل . يريد : ولا
غرو إن كنت أحببت سُكّان الغضى أن يكون هذا حالى معهم . كأنه كان
بين أهل الغضى وبين قوميه عداوة ، أو حالة مانعة من المزاورة والمواصله ،
فذلك قال ما قال .

٥١٠

وقال آخر^(١) :

١ — سَلَى البَانَةَ الْغَنَاءَ بِالْأَجْرِ الَّذِى به البانُ هل حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ^(٢)
٢ — وهل قَمْتُ فى أَظْلَالِهنَّ عَشِيَّةً مقامَ أَخِي البَأْسَاءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ^(٣)

(١) هو عبد الله بن الدمينه . والأبيات من قصيدة فى ديوانه ١٥ - ١٦ مطمعا :

قَفَى يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ نَقْضَ لِبَانَةٍ ونَشَكَ الْهَوَى ثُمَّ أَفْعَلُ مَا بَدَا لَكَ

(٢) التبريزى : « البانة الغنياء » ثم ذكر الرواية الأخرى .

(٣) بين هذا البيت وتاليه أربعة أبيات عند التبريزى ، وهى :

وَهَلْ سَحَلْتُ عَيْنَايَ فى الدَّارِ غَدَوَةً بَدَمِيعِ كَنْظَمِ اللُّؤْلُؤِ الْمُتَهَالِكِ

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا رَبِيعِي الَّذِى أَرْجُو نَوَالَ وَصَالِكِ

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّمِينَ وَإِنَّمَا سِنِيَّ الَّتِى أَخْشَى ضُرُوفُ إِحْتِمَالِكِ

ظَنَنْ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِى بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْى خَطَرْتُ بِبِالِكِ

٣- لَيْهِنَّكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْخَشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زَيْلِكَ

سَلِي ، أَصْلُهُ اسْأَلِي فَخَذِفَ الْمَمْرُ تَخْفِيفًا وَأَبْقَيْتَ حَرَكَتَهَا عَلَى السَّيْنِ فَصَارَ اسْأَلِي ، ثُمَّ اسْتَفْنَى عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لِتَحْرُكِ مَا بَعْدَهَا فَحُذِفَتْ فَصَارَتْ سَلِي .
وهذا كما تقول في الأحمر إذا خَفَّفْتَهُ : لَخَمَر . ومن قال الْخَمَرُ يقول : اسْأَلِي فَيُنْبِقُ
ألفَ الْوَصْلِ . ويروى : « البانَةُ الْغِيَاءُ » وَالْغِيَاءُ : الْمَلْتَفَةُ الْكثِيرَةُ الْوَرَقِ
وَالْأَغْصَانُ ، فَإِذَا ضَرَبْتُهَا الرِّيحُ غَمَّتْ ^(١) . وهذا كما قال الآخر :

لَلَّيْتِي تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلَمَّا خَرِيرٌ وَلِلْغُصُونِ غِيَاءُ

وَالْأَجْرُعُ مِنَ الْأَمَّاكِنِ : السَّهْلُ الْمُخْلِطُ بِالرَّمْلِ . وَالْغِيَاءُ ، هِيَ الْعَظِيمَةُ الْوَاسِعَةُ ،
من قولهم غَانَ عَلَيْهِ كَذَا إِذَا سَتَرَ ، وَبِهِ سُمِّيَ السَّحَابُ الْغَيْنُ . وَإِنَّمَا قَالَ « الَّذِي بِهِ
الْبَانُ » لِأَنَّهُ كَانَ مُنْبِتَهُ . وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَانِ عَلَى أَنَّهُ هَلْ قَضَى حَقَّ مَنْزِلِ الْأَحْبَةِ
لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ ، وَهَلْ حَيًّا أَطْلَالَهُ تَحِيَّةَ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهَا ، وَالْقَاضِي لَوَازِمَهَا ، وَهَلْ
قَامَ فِي أَظْلَالِ الْبَانِ بِهَا مَقَامَ الضَّرِيرِ الْبَائِسِ ، وَالْكَسِيرِ الرَّاحِ ، تَذَلُّلاً لَهَا ،
وَتَلَوُّماً بِهَا ؛ وَهَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ اخْتِيَارٍ وَقَصْدٍ أَوْ كَمَا اتَّفَقَ .

ثُمَّ قَالَ « لَيْهِنَّكَ إِمْسَاكِي » كَأَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدَّارِ وَتَذَكَّرَ الْمُهَوِّدَ
فَتَصَوَّرَ لَهُ مَا كَانَ دَرَسَ مِنْ آيَاتِ هَوَاهُ ، وَتَجَدَّدَ مَا أَخْلَقَ مِنْهَا ، خَشِيَ عَلَى
كَيْدِهِ التَّصَدُّعَ فَأَمْسَكَ بِكَفِّهِ عَلَى حَشَاةٍ ، تَثْبِيثًا لَهَا وَتَقْوِيَةً ، وَبَكَى فَتَرَقَّرَ
الدَّمْعُ فِي عَيْنِهِ ثُمَّ سَالَ . فَقَالَ هُنَاكَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنِّي . وَانْتَصَبَ رَهْبَةً لِأَنَّهُ

(١) فِي هَامِشَةٍ لَ : « حَاشِيَةُ قَالَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ أَبُو الرِّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَلِيٍّ ،
غُلَطٌ غُلَطَةٌ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْغِيَاءُ مِنَ الْغِيَاءِ فِي شَيْءٍ ، وَهَذَا مِنْ غَنَ نَ ، وَذَلِكَ مِنْ غَنَ نَ .
لَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ شَجَرَةٌ غِيَاءٌ كَثِيرَةُ الْأَوْرَاقِ ، وَوَادٌ أَغْنَى أَيْ كَثِيرُ الْعُشْبِ تَأْلَفُهُ الـ [ذُبَابٌ]
وَفِي أَصْوَاتِهِ غِنَةٌ . فَأَمَّا الْغِيَاءُ فَبَعِيدٌ مِنْهُ » .

مفعول له . وهذا من باب التجلّد في الهوى . والزّيال : مصدر زابل . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ بِدَعْوِ وَفَوْقِ السَّكْبِ الْيُسْرَى

٥١١

وقال آخر :

- ١- تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَقْتِكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجِيّ فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ^(١)
 - ٢- وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لَغَيْرِكَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينَ^(٢)
 - ٣- وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِحُضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ
- يصف النساء وأخلاقهن في الانقياد والتأني إذا رُوِذْنَ ، واستعملهن الوفاء من بعد غدرهن^(٣) ، وبوصى باستبقاء المقاربة معهن ، وترك تدقيق محاسبتهم ، والرضا بالميسور من مصافقتهن ، فيقول : عليك في الاستمتاع بهن مدة انقيادهن لك ، وإسعافهن بالمراد من جهتهن ، لا يشجؤونك تشكرهن لك ، وبينوتهن إذا عدلن عندك ، واعلم أن الواحدة منهن إذا لانت لك فهي بعرض أن تلين لغيرك ، فلا تعتمد عليهن وإن حلفت لك أنها تقي وتبقي على عهدها معك ، واعلم أنه لا يمين لثامها يستوثق بها ، أو يستنأى إليها ، وفي طريقته قول بشار :

لَا يُؤَسِّنُكَ مِنْ مَخْبَأَةٍ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاوَرَةِ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

(١) التبريزي : « في الخلق » .

(٢) ل : « فإن هي » .

(٣) في النسختين : « من بعد وغدرهن » ، والوجه ما أثبتنا .

٥١٢

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١- قَلِيلَةُ لَحْمٍ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَخَفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدٌ
٢- أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَائِدُ
٣- تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

الناظران : عرقان في مَدَمَعِ العينين : يصفها بأنها ليست بجبهة الوجه ،
لكمها أسيلة الخدين ، ويزينها شبابٌ مُقْتَبِلٌ ، ورفاهةٌ من العيش ودعةٌ ،
ويقال : عيش خَفُضٌ ، وخَفُضْتُ عَيْشَهُ فهو مخفوض . والبارد : الثابت .
ويقال : بَرَدَ لِي عَلَى فُلَانٍ حَقٌّ ، أَيْ ثَبِتَ .

وقوله « أَرَادَتْ لَتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ » فالانتياش : التناول . يصفها بأنها مخدّمة
لا تَبْتَذِلُ نَفْسَهَا فِي مَهْنَةٍ ، وَلَا فِي عَارِضِ خِدْمَةٍ ، حَتَّى أَنْهَا إِذَا أَرَادَتْ تَنَاوُلَ
رِوَاقِ الْبَيْتِ - وَالرِّوَاقِ : مَا مَدَّ مَعَ الْبَيْتِ مِنْ سِتَارَةٍ - لَمْ تُتْرَكِ وَالْقِيَامَ
إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ قَدَّمَتْهُ الْوَلَائِدُ^(٢) ، وَأَمْلَنَتْهُ لَهَا حَتَّى نَظَرَتْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ ، إِذَا
كَانَتْ فِي مِثْلِ هَذَا تَوَدَّعٌ وَتُسْكَنِي ، فَمَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ أَبْعَدُ مِنْ اسْتِمَالِهَا فِيهِ .
وَالطَّاطَأَةُ : خَفُضُ الرَّأْسِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْاِشْتِرَافِ . وَيُقَالُ لِلْفَارِسِ إِذَا ضَبَطَ
فَرَسَهُ بِفَخْذَيْهِ ثُمَّ حَرَّكَهُ لِلْحَضَرِ : طَاطَأَ فَرَسَهُ .

وقوله « تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ » أَرَادَ أَنَّهَا تَنْصَبُ مِنْ كُلِّ أَحْوَالِهَا إِلَى
اللَّهْوِ ، وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ مَا عَدَا اللَّهَ قَدْ كُفِّيتْ ، فَهِيَ مُنْعَمَةٌ لَا تَتَعَلَّلُ

(١) عبارة الإنشاد هذه ساقطة من ل . وعند التبريزي : « وقال آخر ، وقيل هو عتيبة
ابن مرداس » ، وقد سبقت ترجمة العباس في الحاشية ١٤٩ ص ٤٣٣ .

(٢) ل : « قرهته الولائد » .

إِلَّا بِاللَّعِبِ وَالْهَزْلِ ، فَكَأَنَّهَا عَلِيلٌ يُتَرَفَّرَفُ عَلَيْهِ وَيُشْفَقُ ، حَتَّى يُتْرَكَ لَا يُهْرِمُهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، يَعْنِي أَنَّهَا فِي تَوْفُّرِهَا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمَلَاهِي عَلَى نَفْعَتِهَا وَكَسَلِهَا ، كَذَلِكَ الْعَمِيلُ فِي تَوْفُّرِهِ عَلَى مَقَاسَاتِهِ مَا بِهِ .

٥١٣

آخر^(١) :

١ - وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاخُ^(٢)

٢ - لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدْدِي مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَاخُ^(٣)

٣ - وَأَغْبَطُ مِنْ كَيْلٍ بِمَا لَا أَنَالُهُ إِلَّا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ

يقول : لو أن هذه المرأة سلمت علي وقد مت فخال بيني وبينها صفائح القبر ، وتترى الأحد ، لتسرعت إلى جوابها ، وقابلت سلامها ببشاشة مني لها وطلاقة وجه ، لتلقيا وإجابتهما . فإن حصل منع دون المراد صاح إليها صددي لي من داخل قبري بدّل جوابي مني . وهذا على اعتقادهم كان ، أن عظام الموتى تصير هاماً وأصدقاء .

وقوله « وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى » يقول : إني مرّ موق ومحسود منذ عرفت بليلى وإن لم أنل منها مطلوباً ، ولا حصّصت من الشقاء بها طائلاً . ثم قال : « إِلَّا كُلُّ »

(١) هو توبة بن الحمير ، كما صرح التبريزي . والأبيات بهذه النسبة في الحيوان (٢ : ٢٩٩) وأمالى القالى (١ : ١٩٧) والأغانى (١٠ : ٧٧) . وهو توبة بن الحمير بن حزم ابن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، من شعراء الدولة الأموية ، وأحد عشاق العرب . الأغانى (١٠ : ٦٣ - ٧٩) والاشتقاق ١٨٢ والمؤتلف ٦٨ ، ٩٣ والخزانة (٣ : ٣١ - ٣٤) والعينى (١ : ٥٦٩ - ٥٧١) واللائى ١١٩ - ١٢٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ والأمالى (١ : ٨٦ - ٨٩) وفوات الوفيات والشعراء ٤١٢ - ٤١٥ .

(٢) الحيوان : « جنبدل وصفائح » .

(٣) التبريزي ، والجاحظ ، والقالى والأصبهاني : « من جانب القبر » .

مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ » يريد أنى قرير العين بأن أذكر بها وتعرف بى دون
طلابها ، وهذا القدر نافع وإن تجرد مما سواه .

٥١٤

وقال آخر :

١ - فَإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلَى وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فَلَنْ تَمَنَعُوا مَنِ الْبُكَاءِ وَالْفَوَافِيهِ

٢ - فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثِهَا خَيَالًا يُؤَافِيَنِ عَلَى النَّأْيِ هَادِيًا

يقول : إن حُلتُم بينى وبين ليلى ومنازعتها الكلام ، والتأئس بحديثها ،
وحبس النفس على التزوّد منها ومن مغازلتها ، فإنكم لا تقدرون على ما أنا
بصدده من البكاء لها وجداً فيها ، ومن قرّض الشعر فى النسب بها ؛ وإذ قد
منعتم حديثها والذوّ منها ، فهلّا حبستم عني خيالاً عارفاً بالطريق على البعد بينى
وبينها ، حسنَ الاهتداء إلى حيث ذهبْتُ عنها ، يزورنى فى المنام فيطربنى من
الشوق ما أخلق ، ويعيد من الهوى ما درّس . وهذا الكلام تحسيرٌ لهم ،
وتشهيرٌ بمكايدهم^(١) ، وتذكيرٌ بما يسوؤهم ، وإعلامٌ أنّ العهدَ بينهما مرعىٌ ،
والهوى مما يقدح فيه من الجانبين محفوظ ، بدلالة أنه لو استجفاها لامتنع
خيالها ، لزوال نومها ، وذهاب هُدوّه . ألا ترى الآخر يقول :

وكان يزورنى منه خيالٌ فلما أن جفا منع الخيالاً

٥١٥

وقال نصيب^(١) :

١ - كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُبْغَدَى بَلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

٢ - قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٢)

يقول : لَمَّا أَحْسَسْتُ بِاللَّيْلَةِ الَّتِي رُسِمَتْ بِوُقُوعِ الْفِرَاقِ فِي صَبِيحَتِهَا ، أَوْ فِي
وَقْتُ الرِّوَاكِ مِنْ غَدَا ، وَتَصَوَّرْتُ أَنَّ الْمُتَوَاعِدَ بِهِ حَقٌّ ، وَالتَّحَدُّثَ بِهِ وَاقِعٌ ،
صَارَ قَلْبِي فِي الْخَفَقَانِ وَالْاضْطِرَابِ كَقَطَاةٍ وَقَعَتْ فِي شَرَكٍ يَجْبُسُهَا ، فَبَقِيتُ
لَيْلَتَهَا تُجَاذِبُهُ وَالْجَنَاحَ عَلِقُ لَا مُتَخَلِّصَ لَهُ ، نَشِبُ لَا مُتَنَزِّعَ مِنْهُ^(٣) ، وَكَمِثْلُ
ذَلِكَ قَلْبِي قَلِقُ فِي حَشَاةٍ ، عَلِقُ عِنْدَ بَلَوَاهُ .

وارتفع قطاة على أنه خبر كأن ، وعزها^(٤) في موضع الصفة لقطاة ، يريد
غلبها . وانتصب « ليلة » على الظرف مما دل عليه « كأن القلب » من التشبيه ،
ولا يجوز أن يكون ظرفاً بقليل ، لأنه بما بعده مضاف إليه ، والمضاف إليه لا يعمل

(١) سبقَت ترجمته في الحماسية ٤٩٥ ص ١٢٨٩ . على أن الشعر نسب إلى المجنون في
الأغاني (٢ : ٣ ، ١٤) والامالي (٢ : ٦١) والموشح ٢٥٠ . وهذه النسبة أقرب إلى
الصواب . ونسب في ديوان المعاني (١ : ٢٧٠) إلى قيس بن ذريح .
(٢) بعده عند التبريزي :

لَهَا فِرْخَانٍ قَدْ تَرَكَا بَوَكْرٍ فَعُشُّهُمَا تَصَفَّقُهُ الرِّيحُ
إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ نَصًّا وَقَدْ أَوْدَى بِهِ الْقَدْرُ الْمَتَاحُ
فَلَا فِي اللَّيْلِ نَالَتْ مَا تَرْجَى وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَا حُ

نصبا ، أى نصبا أعناقهما .

(٣) ل : « لَا مُتَنَزِّعَ مِنْهُ » .

(٤) فِي الْحَيَوَانِ (٥ : ٥٧٧) : « غَرَّهَا » بِمَعْنَى خَلَعَهَا .

في المضاف . وقوله « تُجَاذِبُهُ » والمفاعلة تكون في الأكثر من اثنين ، فلا تَهْ جَعَلَ مَنْعَ الشَّرْكَ لَلْقَطَاةِ مِنَ التَّخْلُصِ جَذْبًا مِنْهُ .

٥١٦

وقال أبو حِيَّةَ النُّمَيْرِيُّ^(١) :

- ١ - رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَنَحْنُ بِأَكْنافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ^(٢)
 ٢ - فلو أَنَّهَا لَمَتَا رَمَتْنِي رَمَيْتَهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالْفَضَالِ^(٣) قَدِيمٌ
 رَمِيمٌ : اسم المرأة ، وارتفع لَأَنَّهَا فاعلةٌ ، وقد بُنِيَ عَلَى رَمَتْنِي . وأراد بِسِتْرِ اللَّهِ الْإِسْلَامَ . فيقول : نظرتُ إِلَى رَمِيمٍ ، فَكَأَنَّهَا رَمَتْنِي بِسَهْمٍ ، وَنَحْنُ مُقِيمُونَ بِأَكْنافِ الْحِجَازِ ، وَالْإِسْلَامُ حَاجِزٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، يَنْفَعُ مِنْ مُغَارَلَتِهَا وَمِرَاوَدَتِهَا . ومثل هذا قول الهذلي^(٤) .
 فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
 وَعَادَ الْفَتَى كَالْكُهْلِ لَيْسَ بِقَاتِلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَّاحَ الْعَوَازِلُ^(٥)
 كَتَنَى عَنِ الْإِسْلَامِ فِي مَنْبِهِ عَنِ الْقُبَاحِ وَأَنْوَعَ الْفُخْشَ وَالظُّلْمَ بِالسَّلَاسِلِ فِي الْأَغْلَالِ الْحَيِطَةِ بِالْأَيْدِي وَالْأَعْنَاقِ .

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارعة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير ابن عامر بن صعصعة ، شاعر راجز من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان يسكن البصرة ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً معروفاً بذلك أجمع . قال ذات يوم : عن لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي ، فعارضه والله ذلك السهم ، ثم راغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الحبارات . الأغاني (١٥ : ٦١ - ٦٢) والخزانة (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٥) والمؤتلف ١٠٣ واللكل^٢ ٢٤٤ والشعراء ٧٤٩ - ٧٥٠ .

(٢) الأبيات بهذه النسبة في الكامل ١٩ ليسلك وبدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) والبيان (١ : ٦٨ / ٣ : ٣٢٤) . ويروى : « عشية آرام الكناس » .

(٣) يروى بيته وبين سابقه :

رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمَنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ بِهِمُ

(٤) هو أبو خراش الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١٥٠) والأغاني (٢١ : ٤١) .

(٥) في الديوان : « سوى العدل شيئاً فاستراح » .

وقوله « فلو أنها لما رمتني رميتها » جواب لو محذوف ، والمراد لو تعرضت لها وقابلتها في عرض محاسنها بمثل ما يكون للشبان بمنزلة الشفعاء عند النساء ، لحق الأمر وكان القدر يجري إلى القدر^(١) ، ولكن قد شخت وكبرت ، فعهدي بمناضلة النساء قديم .

٥١٧

وقال آخر^(٢) :

- ١ - أُسِجْنَا وَقِيدًا واشتياقًا وعِزَّةً ونَأَى حَبِيبٍ إِنَّا ذَا لَهْظِيمٍ^(٣)
 - ٢ - وَإِنَّا امْرَأً دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا قَاسَيْتَهُ لَكَرِيمٍ^(٤)
- انْتَصَبَ « سِجْنَا » بإضمار فعل ، كأنه قال : أَتَجَمَّعُ عَلَى حَبَسٍ وَتَقْيِيدٍ ، واشتياقًا إلى حبيب وبكاء ، مع بُعْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، إِنَّا ذَلِكَ أَمْرٌ مِنْكَرٍ فَطَاعِمٌ ، يتضايق نطاق الصبر عن احتماله والبقاء معه ، وأشار بهذا إلى اجتماع هذه الأشياء عليه ، ونَبَّهَ على عجزه في احتمالها لولا كرم عِرْقِهِ ، واستحكام عقده . أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَحَمَّدَ بِحَالِهِ ، وَاَعْتَدَّ عَلَى حَبِيبِهِ بَقَاؤَهُ عَلَى الْعَهْدِ لَهُ . وَدَوَّامٌ وَدَّهَ عَلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّا امْرَأً دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ ، يَرِيدُ : إِنَّا رَجُلًا ثَبَتَ عَلَى أَوَّلِيَّةِ شَأْنِهِ ، وَمَبَادِي مَوَائِقِهِ ، مَعَ مَا يَقَاسِيهِ مِنْ تَزَاحُمِ هَذِهِ الْبَلَايَا عَلَى قَلْبِهِ ، لَكَرِيمٍ الْعَهْدِ ، نَبَّهَ الشَّانَ ، وَثَبَّتَ الْعَقِيدَةَ .

(١) كذا ضبط في النسختين . والقدر ، بسكون الدال لغة في القدر بفتحها . وأنشد :

كل شيء حتى أخذك متاع وبقدر تفرق واجتماع

(٢) هو أحد الأعراب كما هو في البيان (٤ : ٦٢) . ونسب في الحيوان (٦ : ١٥٩)

إلى بعض اللصوص .

(٣) الحيوان : « أقيد وحبس واغتراب وفرقة وهجر حبيب » . البيان :

« أقيدا وسجنا واغترابا وفرقة وذكر حبيب » .

(٤) التبريزي : « على مثل ما قاسيته » . البيان : « على كل ما لاقته » . الحيوان :

« على عشر ما بي إنه » .

ويُروى : « أَسِجَنٌ وَقِيدٌ » بالرفع ، والمراد : أتجتمع هذه الأشياء على طريق التَّفْطِيعِ والتَّهْوِيلِ .

٥١٨

وقال آخر ^(١) :

١ - رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَعْنَى وَأَوْسَعُ ^(٢)
 ٢ - يُذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ
 أشار بقوله « ضَمَانُ اللَّهِ » إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي ﴾
 أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، فقال : أنا أدعو بأن يَشْفِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) يَا أُمَّ مَالِكِ ،
 وقد ضَمِنَ الإِجَابَةَ للداعي فَرَعَاكَ ضَمَانُهُ . ثم قال : وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ ، فحذف
 حرف الجرِّ ، والجائرُ يُحذف مع أن كثيراً ، لأنَّ حَذْفَهُ أَظْهَرَ غِنَاءً وَأَوْسَعَ
 قُدْرَةً . ونَبَّهَ بهذا الكلام أَنَّهُ فِي كَلِمَتِهِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنَى الْقَادِرُ اعْتَمَدَ
 عَلَى مَا لَا يُدَبَّرُ مِنْ وَقُوعِهِ .

وقوله « يُذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ » يريد أنه لا ينساها في شيء من الأحوال
 والأوقات ، فما يتقلبُ فيه من خيرٍ باكرٍ ، أو شرٍّ طارقٍ ، فهو يذَكِّرُهُ ،
 وكذلك ما يخاف وقوعه أو يرجوه ، ولم يَصِرْ منهما على يقين يذَكِّرُهُ أيضاً ،
 وكذلك ما صار منه على يقين ، فهو يتوقَّعُهُ ، يذَكِّرُ أيضاً . وإذا تَأَمَّلْتَ
 حوادثَ لَدُنْهِ وَجَدْتَهَا لَا تَنْقَسِمُ إِلَّا إِلَى قِسْمَتِهِ ، لأنها لا تخلو من أن تكون
 محبوبَةً أو مكروهَةً ، أو واقعةً أو مُنْتَظَرَةً ، أو خَوْفَةً أو مَرْجُوَةً .

(١) هو أعرابي من هذيل كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . وفي البيان (٣ : ٣٣٠) :
 « وقال أعرابي » .

(٢) في نسخة فيض الله من البيان : « أَرعى وَأَوْسَعَ » .

(٣) ل : « جل جلاله » .

٥١٩

وقال الحكم الخضرى^(١):

١ - تساهم ثوبها فى الدّرع رادّةً وفى المِرْطِ لَفَاوَانٍ رِذْفُهَا عَبْلٌ
 ٢ - فوالله ما أدري أزيدت مَلاحةً وحُسنًا على النّسوانِ أم ليس لى عَقْلٌ
 معنى تساهم تقاسم ، ولذلك قيل : سَهْمُهُ فُلَانٍ من هذا كذا ، أى قسمته
 ونصيبه . ويجوز أن يكون أصله من السّهام : القِداح التى تُجَالُ بين الخصوم إذا
 تقارَعوا ليستبدّ كلٌّ بما يخرج له لقسمته وبِدَنِهِ . وفى القرآن : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ
 مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ، فكأنه استعمار - وإن كان أصله ما ذكرت - للتقاسم ،
 إذ كان يُفَعَّلُ للقسم وما يشبهه لا غير ، فيقول : انقسمَ جسمُ هذه المرأةِ بين
 درعها وإزارها ، فى درعها بَدَنٌ ناعمٌ وخَصَرٌ دَقِيقٌ ، وفى مِرْطِهَا فِخْذَانِ
 غليظتان عليهما رِذْفٌ ضخمٌ .

وقوله « فوالله ما أدري » يريد أن الخيرة قد مَلَكَتْهُ فى أمرها ، لِمَا
 يَرَى من مَيَلٍ قلبه إليها ، وشدة افتقانه بها ، فهو لا يدري أزيدت حُسنًا ومَلاحةً
 على نساء الدّنيا كلّها ، أم هو فائِلُ الرّأى فى الاختيار ، مخْبُولُ العَقْلِ فى
 الاعتبار ، ضَعِيفُ التَّبَصُّرِ ، فى الارتياذ والتخيّر . والرّادّة والرّوْدَةُ : الناعمة .
 والآنَاء : الكثرة اللحم . والعَبْلُ : الضخم ، ومصدره العبالَة .

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن
 محارب . وكان مالك بن طريف شديد الأدمة ، وكذلك خرج ولده ، فسموا الخضر ، وهم خضر
 محارب . وهو شاعر إسلامى ، كان معاصراً لابن ميادة ، وكان بينهما مهاجاة . الأغاني
 (٢ : ٩٤) واللائلى ١٦ ومعجم الأديباء (١٠ : ٢٤٠ - ٢٤٥) .

٥٢٠

آخر :

١- أَرْوَحُ وَلَمْ أُحْدِثْ لِلنِّيلَى زِيَارَةً لَيْسَ إِذَا رَاعَى الْمَوَدَّةَ وَالْوَصْلَ

٢- تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَهُمْ لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي

كَأَنَّ مَنْ صَحِبَهُ مِنْ أَهْلِهِ اسْتَعَجَلُوهُ عَنْ زِيَارَةِ لَيْلَى ، فَيَقُولُ مُنْكَرًا وَمَقْطَعًا : أَرْوَحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْضِيَ حَقَّهَا ، أَوْ أَجِدَّ الْإِلْمَامَ بِهَا ، لَيْسَ رَاعَى الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَاصِلَةَ أَنَا . حَذَفَ الْمَذْمُومَ بَيْئَسَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومَ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، وَالْمَعْنَى : نِعَمَ الْعَبْدِ أَيُّوبَ ، فَحَذَفَ الْمَدْحَ بِنِعَمَ ، لِكَوْنِ الْمُرَادِ مَفْهُومًا . وَإِذَا جَوَابٌ وَجْزَاءٌ ، وَكَأَنَّهُ حَشَا بِهِ الْكَلَامَ لِيَعْلَمَ أَنَّ مَا يَقُولُهُ جَوَابٌ لِمَا سَمِعَ . وَاللَّامُ مِنْ « لَيْسَ » لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَارْتَفَعَ رَاعَى الْمَوَدَّةَ بِهِ . وَقَوْلُهُ « تُرَابٌ لِأَهْلِي » دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَتَحْقِيقٌ لَهُمْ ، وَاسْتِخْفَافٌ بِهِمْ . وَجَازَ الْإِبْتِدَاءَ بِقَوْلِهِ « تُرَابٌ » وَهُوَ نَكْرَةٌ ، لِأَنَّ مَعْنَى الدَّعَاءِ مِنْهُ مَفْهُومٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : * فَتَرَبُّبٌ لِأَفْوَاهِ الْوُشَاةِ وَجَفْدَلٌ *

وَالْمُرَادُ فِي الدَّعَاءِ طَلَبُ الذَّلِّ لَهُمْ .

وَقَوْلُهُ « لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَهُمْ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْفَى بِلَا الْأَوَّلَى حُذِفَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِأَهْلِهِ التُّرَابُ لَا عِزٌّ لَهُمْ وَلَا نِعْمَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « لَا » رَدًّا لِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ لِلْإِنْسَانِ . أَفْعَلْ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : لَا وَلَا كِرَامَةً ، أَيْ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا أَكْرِمُ مَنْ يَسُوْمُنِيهِ . وَقَوْلُهُ « لَشَدَّ إِذَا مَا قَدْ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي » تَعَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ اسْتَعَذَّ بِهِ ، وَ« لَشَدَّ مَا » هُوَ كَمَا يَقَالُ : لَعَزَّ مَا . وَالْمَعْنَى الْإِنْكَارُ فِيمَا عُرِضَ عَلَيْهِ وَدُعِيَ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُمْ تَجَاوَزُوا كُلَّ حَدٍّ فِي امْتِنَانِهِ حِينَ عَرَضُوا عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَهَذَا الْكَلَامُ

مُشْتَمِلٌ عَلَى اخْتِلَافِ وَقَلَّةِ الاحتفال . ويجوز أن يُجْرَى شَدَّ مَا ، يُجْرَى نِعَمَ وَيُنْسَ .

٥٢١

وقال أبو دَهَبِلٍ الْجَحْمِيُّ^(١) :

١ - أَأَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِيَّيَ إِذَا لَصَبُورُ
قوله « أَأَتْرُكُ » لفظه لفظُ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار ، كأنه أنكر من نفسه أن يترك التعريج على ليلي وبينهما مسيرة ليلة ، فقال : أُلْخِلْ بزيارتها وأداء واجبها مع قُرب المسافة بيني وبينها ؟ إِيَّيَ إِذَا لَمُتْنَا فِي الصَّبَرِ عَنْ الْأَحْبَابِ ، كَسُؤْلِ عَنْ الْبِرِّ بِذَوِي الْأَذَمَّةِ وَالْأَسْبَابِ^(٢) . وإنما قال هذا باعثاً لِصَحْبِهِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ ، وطالبا منهم تمكينه من مراده . لذلك قال :

٢ - هَبُونِي امْرَأً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ
٣ - وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمَ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ
٤ - عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَيْتَ حَكْمًا عَلَى تَجَوُّرُ

قوله « هَبُونِي » معناه احسبوني واجملوني ، وهو يتعمد إلى مفعولين . وحكى ابن الأعرابي : وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ بِمَعْنَى جَمَعَنِي فِدَاءَكَ . وقوله « أَضَلَّ بَعِيرَهُ » يقال في الشيء الزَّائِلِ عَنْ مَكَانِهِ إِذَا فَقِدَ : أَضَلَّتْهُ ، فَإِنْ ثَبَتَ فِي مَكَانِهِ

(١) هو وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خاف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، كان رجلاً جليلاً شاعراً ، وكانت له جمة يرساها فتضرب منكبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، وملك معاوية وعبد الله ابن الزبير ، وكان ابن الزبير قد ولاه بعض أعمال اليمن . الأغاني (٦ : ١٤٩ - ١٦٥) والاشتقاق ٨١ والمؤتلف ١١٧ والشعر ٥٩٦ - ٥٩٩ .
(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحرمة والحق والعهد .

ولم يُهْتَدَ إليه قيل : ضَلَّتهُ . وقوله « إن الدِّمَامَ كبير » كالاتِّغَات ، وقوله « أضل بعبرة » في موضع الصِّفة لامراً ، وكذلك « له ذِمَّةٌ » صفةٌ أخرى . ومعنى منكم من خاصَّتكم وبطانتكم ، وهو يُفيد معنى الوصف أيضاً والمعنى : أجروني مجرى رَجُلٍ منكم ندَّ له بعبير ، وله ذِمَامُ الضَّحْبَةِ والنَّسَبِ والقِرابَةِ ، فإنَّ للدِّمَامِ حَقَّهُ ، وحرمةُ المِرافقةِ كبيرة ، ودَعَوِي أَقْضٍ من حَقِّ لَيْلٍ واجِبِهِ ، ولا تستعجلوني في ذلك ولا تمنعوني عنه ، ثم قال : فإنكم إذا تركتموني ولم توفروني على ما أُمُّمُ به فيما يختصُّ بي لها ، كنتم تركتم رقيقاً لكم وضيعتُمومه أشدَّ ما كان حاجةً إليكم ، والرَّقِيقُ أعظمُ حُرمةً في صاحبه للتروك من ضَلَالٍ بعبير . يُريدُ : وإذا عُدَّ ترك الاستيناء^(١) بمن أراد نِشْدَان ضالَّته ، تجوِّزاً في المحافظة ، وتعدُّياً في حُكْمِ المِرافقة كان مثل ذلك إذا فَعَلَ مع مَنْ يَرُومُ تجديدَ العهدِ برُوحه ، والاستبقاء على لُبِّه ، أعظمُ في الجِنَاية ، وأفْبَحُ في الأُحدوثِ .

وقوله « عفا الله عن ليلى الغداة » تَشَكُّ وتألُّمٌ من سوء معاملتها وأنها متى حُكِّمَتْ فيه وفيما يتعلق به جارت ولم تُنْصَف . وهذا الكلام منه إيدانٌ بأنها تستعظم الصَّغير إذا وقع منه ، بل تعدُّه كبيرةً وتُعَلِّظُ العقوبةَ عليها ، والمُواخذةَ بها .

٥٢٢

وقال آخر :

١ - أآخرُ شيءٍ أنتِ في كلِّ هَجْعَةٍ وأوَّلُ شيءٍ أنتِ عندَ هُبُونِي

٢ - مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَفِيكَ مِنَ الرَّدَى وَوُدُّكَاءِ الْمُزْنِ غَيْرُ مَشُوبِ

قوله « في كل هجعة » العامل فيه آخر ، وكذلك « عند هبوني » العامل فيه أوَّل شيء . يقول : لا أخلو من ذكرِك ساعةً ؛ لأنِّي إن نِمْتُ كان خيالُك

(١) هو مصدر استأنى ، أى تأنى ، ولم يعجل .

سميرى مدّة هجوعى، وإن أوقظت كنت لزيماً ذكراك مدّة بقطى، فانت فى
النوم آخر شىء لى، ولا فاصل بين الحالين . ثم قال : والذى يزيدك من
عندى ألا أشهر بك، ولا أبوح بسرّك، ولا أعلن الذسب باسمك، إذ كان
فى جميعه تنفيرك، وتعريضك للردى : فضيحتك، فأنا أفيك من ذلك، وأنا
أصنى لك الودّ حتى لا يشركك فى قلبى أحد، فيصير ناوى الود مشوباً، وصافى
الهموى مكدرًا ويجوز أن يكون المراد : مزيدك عندى أن أدعوا الله تعالى
بالصيانة لك، وتوفير الحياطة عليك من كل ما تكرهينه، أو يؤدى إلى
شديتك فيما ترومينه .

والذى يشهد لقوله «من الردى» وأن المراد به الفضيحة قول امرى القيس :
صرفت الهوى عنهن من خشية الردى . ولست بمقلّ الخلال ولا قال
ألا ترى أنه كان ملكاً لا يخاف معارضاً له فيما يتعاطى من اللهو، ويختاره
من الصبا والبطالة مع من كان وفيمن انفق، فكيف ما يتعداه من طلب
النوائل له، لكنّه عدّ انتشار الحديث فيه، وقيام الناس وقودهم بذكره
هلاكا وعطبا .

وقوله «أن أفيك» فى موضع خبر المبتدأ وهو مزيدك، وانعطف عليه قوله
«وودّك المزن» .

٥٢٣

وقال آخر :

- ١ - ما أنصفت ذلفاء أمادئوها فهجرنا وأما نأيتها فيشوق
- ٢ - تباعد ممن واصلت فكانها لآخر ممن لا تودّ صديق^(١)

يقول : جارت هذه المرأة على في حكم الموى ولم تُنصف ، لأنى إن طلبتُ التّدانى منها هجرتنى وأطرّختنى ، وإن رُمْتُ التّنائى منها شوقتنى وهاجتنى ، وإذا كانت من مُواصلها مُتباعِدة ، ولمُوادّها مُهاجرة ، فكأنّها تصادقُ مُعادِياها ، وتُخالص مُنايَذاها من دون مُواصلها ومقارِباها ، وهذا عَجَبٌ من مثِلاها .

وقوله « أَمَّا دُنُوها فَهَجْرٌ » المعنى أَمَّا في دُنُوها فَتَهْجُر . أَلَا ترى أَنَّهُ قال « وَأَمَّا نَأْيُها فَيَشُوق » كأنه : وَأَمَّا في نَأْيها فَتَشُوق . إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ فَعْلُها مَنْسُوباً إلى دُنُوها وَنَأْيها .

٥٢٤

وقال عبد الرحمن الزهرى ^(١) :

- ١ - وَلَمَّا نَزَلْنَا مِنْزِلًا طَلَّ النَّدى أَنيقًا وبُسْتانًا من النَّورِ حالياً ^(٢)
 - ٢ - أَجَدَّ لَطِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَتَى فَمَتْنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
- جواب « لَمَّا » قوله أَجَدَّ لَنَا . فيقول : لَمَّا خرجنا إلى ظاهر محالنا متنزّهين ، ونزلنا موضعاً رياضهُ رَكبها الطَّلُّ بالليل ، فتناثرَ عنها القَطَرُ بالغُدُوات ، ونباتهُ شَرِقَتْ بالرَّيِّ بعد الشمس ، وضاحكت الشَّمْسُ بعد الشُّروق ؛ وبساتينَ تَحَلَّتْ بالأزهار ، ونَحَفَتْ مِنْ بَرَكَةِ اللَّهِ بِأَثَارِ الصَّنْعِ ، دَعَتْنَا نَفُوسُنَا إلى أَنْ نَتَذَكَّرَ لَطِيبَ الْمَكَانِ ، ومُساعدَةَ الْوَقْتِ وَالزَّمانِ ، ما يَكْمُلُ بِهِ الشُّرُورُ ،

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الزبيرى » . وعند التبريزى : « أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى » . وقد سبق لأبى بكر الحاسية ٤٦٩ ص ١٢٤٥ . وأبو عبد الرحمن المسور بن مخزومة بن نوفل بن أميى بن زهرة بن كلاب . وكان جده المسور من أدرك الإسلام صغيراً وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٧٩٨٧ .

(٢) روى التبريزى قبل هذه المقطوعة مقطوعة أخرى لفحص العليمى ، وستأتى مقطوعة فحص العليمى هذا بعد المقطوعة رقم ٥٣٦ .

هو نتمنى ما إليه تنهاى فى الاقتراح العيون والقلوب ، فوجدنا الأمانى كلها
لا تعلق إلا بك ، ولا تحوم فيما تجال فيه وترأود عنه إلا عليك ، ذهاباً فيك
وشعماً بك .

ويقال : طأت الأرض فى مطلولة . والأنيق : المعجب . ويقال : حلى
بكذا ، وتحلى بكذا .

٥٢٥

وقال معدان بن مضرب^(١) :

- ١ - إن كان ما بُغيت عنى فلأمنى صديقى وشلت من بدى الأنايل
٢ - وكفنت وحدى منذراً فى ردائه وصادف حوطاً من أعادى قاتل
قد مضى تفسيره فى باب الحماسة .

٥٢٦

وقال آخر :

- ١ - صفاً وُدَّ لى ما صفاً لم نطع به عدواً ولم نسمع به قيل صاحب
٢ - فلما تولى وُدَّ لى لجانب وقوم تولينا لقوم وجانب
٣ - وكل خليل بعد لى يخافنى على القدر أو يرضى بوذٍ مقارب

(١) الذى فى معجم المرزبانى ٤٠٧ : « معدان بن جواس الكندى السكونى » . قال :
له حلف فى ربيعة ، مخضرم نزل الكوفة ، وكان نصرانياً فأسلم فى أيام عمر بن الخطاب ، وقام
الزبير بن العوام رضى الله عنه بأمره فدحه . وهو القاتل :

ورثت أبا حوط حجية شعره وأورثنى شعر السكون المضرب
أبو حوط هو حجية بن المضرب ، فخر بهما . ثم أنشد له المرزبانى بيتي الحماسة هذين .
وقد نسب أبو تمام هنا إلى أحد أجداده ، ونسبته فى الإصابة ٨٤٣٥ : معدان بن جواس بن
مفروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية .

سلك في هذا مسلك ذى الرثمة حين قال :

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزَى بُكَائِي بِمَثَلِهِ سِرَارًا وَأَنْفَاسِي إِلَيْكَ الزَّوَاغِرُ
وقد زَيَّفَ الثَّقَادَ هَذَا وَقَالُوا : ذُو الْهَوَى لَا يَسْتَدْعِي مَن يَهْوَاهُ الْمَكْفَأَةُ
على ما يتحمله فيه ، وقد عاب ابنُ أَبِي عَتِيقٍ على كثيرِ قوله :

ولستُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِفَائِلٍ قَلِيلٍ وَلَا رَاضٍ لَهُ بِقَلِيلٍ
وقال : هَذَا كَلَامٌ مُكَافٍ لَا كَلَامٌ مُحِبٌّ . فقوله « وَدُّ لَيْلَى » يجوز أن
يكون الودُّ مضافاً إلى المفعول ، والمراد وَدُّنَا لِلَّيْلِ ، فينتصب موضع قوله « مَا صَفَا »
لكونه ظرفاً ، والمعنى : صَفَا وَدُّنَا لِلَّيْلِ مَدَّةً بَقَائِهِ خَالِصاً بِمَا يَشُوبُهُ وَيُفْسِدُهُ
من طاعةٍ عَدَوِّ لَهَا ، وإصغاءٍ إِلَى قِيلٍ نَاصِحٍ يَنْتَصَحُ فِيهَا . ويجوز أن يكون
المراد : صَفَا وَدُّنَا لِلَّيْلِ مَدَّةً صَفَاءً وَدُّهَا لَنَا ، فخميفاه من قَدَحِ الْأَعْدَاءِ فِيهِ ، وَالْإِصْغَاءُ
إِلَى قِيلِ الْأَعْمِينَ وَعَتِيهِمْ لَهُ . ويدل على هذا التفسير قوله مِنْ بَمَدٍّ :

فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُّ لَيْلَى لْجَانِبٍ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبٍ
فإن قيل : كيف زعمتَ أَنَّ المعنى مَا صَفَا وَدُّهَا لَنَا ، وقد ذكرتَ أَنَّ الْوَدَّ
مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ ؟ قلتُ : إِنَّ الْمَضْمَرَ فِي الثَّانِي هُوَ وَدَّ لَيْلَى ، وَالْمَصْدَرُ كَمَا يُضَافُ
إِلَى الْمَفْعُولِ يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ أَيْضاً ، وَالْأَفْظُ لَفْظٌ وَاحِدٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
صَلَحَ أَنْ يُنَوَّى فِي قَوْلِهِ « مَا صَفَا » عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى وَدَّ لَيْلَى ، وَيَكُونُ لَيْلَى
فَاعِلَةً لِأَنَّ الْفَرْقَ ذَلِكَ الْفَرْقَ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : صَفَا وَدَّ لَيْلَى مَا صَفَا وَدُّ لَيْلَى .
وَالْمَعْنَى : صَفَا وَدُّنَا لِلَّيْلِ مَا صَفَا وَدُّهَا لَنَا ، أَيْ صَافَيْنَاهَا مَا دَامَتْ تُصَافِينَا .
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَدَّ لَيْلَى مُضَافاً إِلَى لَيْلَى ، وَهِيَ الْفَاعِلَةُ ، لَكِنَّهُ حُذِفَ
الْمُضَافُ وَأَقَامَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، وَالْمُرَادُ : صَفَا جَزَاءً وَدَّ لَيْلَى مِنَّا مَا صَفَا هُوَ فِي
نَفْسِهِ لَنَا . وَقَدْ رَوَى : لَمْ نَطْعَ بِهَا عَدُوًّا « فَيَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ » وَلَمْ

نسمع بها . وإذا رويت « به » يعود الضمير إلى الودّ .

وقوله « فلمّا تولّى ودّ لبلى » يريد : ودّ لبلى لنا . والمعنى : لمّا مالت إلى جنبتي غير جنبتي ، وقوم غير قومي ، نفّضت يدي من الاعتماد عليها ، وأخليت قلبي من هواها ، وصرّفت نفسي إلى جنبتي أخرى غير جنبتيها ، وطائفة أخرى غير طائفتها ، لأنني كما أصل أقطع ، وكما أخاطب أزايل ، ولست ممّن يقتل نفسه في إثر من لا يريدني إذا تولّى عني . وقوله « تولّى » يجوز أن يكون من التولّى الإعراض والذهاب ، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة .

وقوله « وكلّ خليلٍ بعد لبلى يخافني » يريد أن الناس لمّا رأوا ولوعى بليلي ، وصفاء عقيدتي في الليل إليها والبقاء على العهد معها ، ثم رأوا بعده انصرافي عنها في أقرب اللدد ، ولأدنى السبب ، صار كلّ خليلٍ فيما بيني وبينه يخافني على القدر ، ويتهمّني في الودّ ، فلا يطلب منّي التّناهي فيما يجمعني وإيائه ، خوفاً من الإعراض عنه ، أو يرضى مني ومن جهتي بودّ قريب لا سرّ فيه ولا اشتطاط .

٥٢٧

وقال آخر :

١ - ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً وذكرك لا يسري إلّى كما يسري .

٢ - وهل يدعّ الواشون إفساد بيننا وحفراً لنا العاثور من حيث لا ندرى .

هذا كلامٌ متبرّم بالهوى ، مستقيل من الوشاة وإفسادهم ، متفادٍ من تحريشهم وألبهم ، متمنٍ أن تنقطع أسباب الهوى ، وتنقطع أغراس الودّ .

وقوله « ليت شعري » موضع شعري نصبٌ لأنه اسم ليت . وقوله « هل »

أَبَيْتَنَّ لَيْلَةً سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي شِعْرِي ، لَأَنْ مَعْنَاهُ عَلَيَّ ، وَبَتَعْدَى تَعْدِيَّةً ، وَخَبَرٌ لَيْتَ مُضَمَّرٌ لَا يَظْهَرُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَيْتَ عَلَيَّ وَاقِعٌ ، وَمَا يَجْرِي تَجْرَاهُ . وَالْمَعْنَى : أَتَمَنَّى أَنْ أَعْلَمَ هَلْ أَبْقَى أَنَا لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي الدَّهْرِ وَخَيَالِكِ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي السَّاعَةُ ، وَهَلْ أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً مِنْ رَنَى الْوَشَاةِ وَطَلَبِهِمْ إِفْسَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَحَفَرِ الْمَغْوَاةِ لَنَا ^(١) إِذَا غَبْنَا عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ وَلَا نَذْرِي مَخْتَفِيَةً وَنَحْذَرُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يُكْتَنَى عَنِ الْخَيَالِ بِالذِّكْرِ حَتَّى قَالَ : « وَذَكَرُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ » ؟ قُلْتُ : إِنَّ الْخَيَالَ فِي الْمَذَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ التَّذَكُّرِ فِي الْيَقِظَةِ ، يَتَشَهَّدُ لِذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي .

نَمَّ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالَ وَلَكِنَّكَ بِالْفَكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ
وَهَذَا ظَاهِرٌ وَعَلَيْهِ مَبْنَى وَصْفِ الْخَيَالِ .

وَالْعَاثُورُ : مَصِيدَةٌ لِلْبَهَائِمِ ، وَيُجْعَلُ اسْمًا لِلْمُتَالِفِ ، وَهُوَ فَاعُولٌ مِنَ الْعِثَارِ وَالْعَاثُورُ ، وَكَذَلِكَ ^(٢) اسْتُعِيرَ لِلنَّقْصِ فِي الْحَسَبِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْتَرِضُهُ عَنْ غَايَةِ السَّابِقِ . وَانْتَضَبَ قَوْلُهُ « الْعَاثُورُ » مِنَ الْمَصْدَرِ الْمُنَوَّنِ وَهُوَ حَفَرًا ، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ فِي الْعَمَلِ إِذَا كَانَ مُنَوَّنًا ، إِذَا كَانَ شَبَهَ الْفِعْلِ فِيهِ أَقْوَى . وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي : إِنَّمَا يَتَمَنَّى أَنْ يَمْلِكَهَا عَلَى حَدٍّ يُسْقِطُ تَسْوِيقَ الْمُفْسِدِينَ فِيهِ ^(٣) ، وَيَأْمَنُ التَّبِعَةَ مَعَهُ ، وَيَرْتَفِعُ الْعَشَقُ وَالْهَوَى مِنْ بَيْنِهِمَا .

(١) الْمَغْوَاةُ : حَفْرَةٌ كَالزَّبِيَّةِ تَحْتَفِرُ لِلْأَسَدِ .

(٢) لَ : « وَلِذَلِكَ » .

(٣) التَّسْوِيقُ ، بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ فِي النَّسَخَتَيْنِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ تَسْوِيقِ الْقَوْمِ ، إِذَا بَاهَوْا وَاشْتَرَوْا .

٥٢٨

آخر :

٢ - إن كان هذا منك حقاً فإنني مُداوي الذي بيني وبينك بالهجر
 ٣ - ومُنْصَرَفٌ عَنْكَ انْصَرَفَ ابْنُ حُرَّةٍ طَوَى وَدَّهَ وَالطَّى أَبْقَى مِنَ النَّشْرِ
 يقول : إن كان هذا الذي يظهرُ منك موافقاً لما يَبْطُنُ ، وهذا الإعراضُ
 عن جَفَاءٍ وَقَلَى لا دلالٍ وهوِي ، فإنِّي سَادَاوِي ما بيني وبينك بالتهاجر ،
 وقاعدٌ عَنْكَ قَعُودٌ حُرٌّ لا يَصْبِرُ على الجَفَاءِ والتدابُرِ ، ولا يَرْضَى مِنْ وَدِيدِهِ
 بالمأذقة دون الصَّفَاءِ ، فأطوى وَدِّي معه وأصونه عن النَّشْرِ ، لأنَّ الطَّى أَوْفَى
 فيه ، وصِيانته عن الابتذال أَوْفَى له ^(١) .

وإنما قال : « ابن حُرَّةٍ » والتَّصَدُّ إلى الكريم من الرِّجال ، الذي يَصُونُ
 نفسه ونفسَ صاحبه فلا يُوحِشُ مع التَّهَاجُرِ ، ولا يُفَحِّشُ على التَّنَكُّرِ والتَّبَاغُضِ ،
 لكنَّه يَلْزِمُ الجاملةَ والمُسايرةَ في كلِّ حالٍ ، لأنَّ الأمَّ إذا كانت مَمْلُوكَةً تَبِعَها
 الولدُ في الرِّقِّ ، فيحصلُ الرِّقُّ والهَجْنَةُ معاً ، ومتى كانت الأمُّ حُرَّةً لم يَتَّبِعْ
 الولدُ أباه في الرِّقِّ وإن كان عبداً مملوكاً ، ولكنه يكون هَجِيناً غَيْرَ عَرِيٍّ
 خالِصٍ .

٥٢٩

آخر ^(٢) :

١ - وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال كحيل المقلتين ريب ^(٣)

(١) ل : « أَرعى له » .

(٢) هو بعض الأعراب ، كما في معجم البلدان (٨ : ٤٠١) .

(٣) ياقوت : « أم المقلتين » . و بطن وجرة : منزل لأهل البصرة إلى مكة ، بينه وبين

مكة مرحلتان .

٢ - فلا تَحْسِبِ أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى وَلَكِنْ مَن تَنَائَنَ عَنْهُ غَرِيبٌ
 كَانَ شَعْبًا الشَّاعِرَ وَصَدِيقَتَهُ مَجْتَمِعِينَ بِيْطَنَ وَجَرَّةٍ زَمَانًا ، فَوَقَعَتِ الْأُلْفَةُ
 بَيْنَهُمَا ثُمَّ افْتَرَقُوا ، فَقَالَ مُتَأَسِّفًا فِي إِثْرِهَا ، وَمَتَلَهِّفًا لِمَا فَاتَهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بَيْنَهُمَا :
 وَفِي الْخُلَطَاءِ الْبَاكِرِينَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ امْرَأَةٌ كَأَنَّهَا غَزَالٌ مَكْحَلٌ الْعَيْنَيْنِ
 مُرَبَّبٌ فِي الْبُيُوتِ ، مُنْعَمٌ بِالْاِقْتِنَاءِ ، مَلَأَ قَلْبِي . ثُمَّ قَالَ مُخَاطِبًا لَهَا : لَا تَطْغَى
 أَنَّ الْغَرِيبَ مَن بَعُدَ عَنْ سَكَنِهِ ، وَنَأَى عَنْ أُلْفِهِ وَوُطْنِهِ ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ
 هُوَ مَنْ تَبَعْدَيْنَ عَنْهُ وَفِي يَدِكَ قِيَادُهُ ، فَعَلَى الْبُعْدِ تَجْذِيبُهُ ، وَمِنْ مَرَادِهِ تَمْنَعِينَهُ ،
 وَقَدْ ضَاقَ عَنْهُ مَكَانُهُ حَتَّى صَارَ فِيهِ كَنَ نَأَى عَنْ أَهْلِهِ ، وَحَصَلَ فِي غَيْرِ
 أَرْضِهِ ^(١) وَمَنْزَلِهِ .

٥٣٠

وقال آخر :

١ - بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَن إِذَا عَرَّضُوا لَهْ بِيْعَضِ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ ^(٢)
 ٢ - وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكْنَةٌ حَتَّى يَقَالَ مُصْرِبٌ
 تَعَلَّقَ الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِنَفْسِي » بِفَعْلٍ مُضَمَّرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَفْدَى بِنَفْسِي
 وَعَشِيرَتِي إِنْسَانًا - وَيَعْنِي بِهِ مَحْبُوبَهُ - إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْأَوَّامُ ، وَتَصَرَّفُوا فِي
 فُنُونِ الْغَضِّ مِنْهُ وَالْعَتَبِ عَلَيْهِ ، فَأَذَوْا قَلْبَهُ وَضَيَّعُوا صَدْرَهُ ، ارْتَبَكَ فِي الْجَوَابِ
 وَحَارَ ، وَلَمْ يَدِرْ لِعَرَارَتِهِ بِمَاذَا يُجِيبُ ، وَلِسَوْءِ اهْتِدَائِهِ بِوُجُوهِ الْحِيلِ كَيْفَ
 يَتَخَلَّصُ ، فَلَا عُذْرُهُ عُذْرٌ مَن لَا جُنَايَةَ لَهُ ، وَلَا سَكُونُهُ سَكُونٌ مَن لَا احْتِفَالَ بِهِمْ

(١) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « أهله » .

(٢) عرضوا ، بالتشديد ، هو ضبط الأصل والتبريزي . وفي ل : « عرضوا »

بتخفيف الراء .

جمعه ، فهو في إطراره وخفوته ^(١) إذا قضيتهم نفذت فيه بأنه مُسْرِب ، مسركب ،
ولما رُمِيَ به مُكَنِّسب ، استدلالاً بسكوته على الذنب ، وبإمساكه عن إقامة
المعاذير على صحة القرف .

٥٣١

وقال آخر :

١- أَرَى كُلَّ أَرْضٍ دَمَنْتَهَا ، وَإِنْ مَضَتْ لَهَا حِجَجٌ ، يَزْدَادُ طَيْبًا تُرَابُهَا
٢- أَلَمْ تَعْلَمْ يَارَبَّ أَنْ رَبَّ دَعْوَةٍ دَعَوْتُكَ فِيهَا مُخْلِصًا لَوْ أُجَابَهَا
يقول : أَرَى كُلَّ مَكَانٍ أَقَامَتْ فِيهِ هَذِهِ الْمَرَأَةُ زَمَنًا فَأَثَرَتْ فِيهِ أَثَرًا يَزْدَادُ
عَلَى اسْتِمْرَارِ السَّغِينِ وَالْأَحْقَابِ تُرَابُهُ طَيْبًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِإِقَامَتِهَا أَوْ أَنْ مَمْتَدَّ
وَزَمَانٌ مُتَّصِلٌ ، فَقَوْلُهُ « يَزْدَادُ » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِأَرَى . وَدَمَنْتَهَا :
فَعْلٌ مَبْنِيٌّ مِنَ الدَّمْنَةِ : أَثَرُ الدَّارِ وَمَا سُودَّ بِالرَّمَادِ وَغَيْرِهِ ، فَكَانَ مَعْنَى دَمَنْتَهَا
أَثَرَتْ فِيهَا بِالْإِقَامَةِ . وَانْتَصَبَ « طَيْبًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَقَدْ نُقِلَ الْفِعْلُ عَنْهُ لِأَنَّ
الْأَصْلَ يَزْدَادُ طَيْبُ تَرَابِهَا ، فَجُعِلَ الْفِعْلُ لِلتَّرَابِ فَأَشْبَهَ « طَيْبًا » الْمَفْعُولُ . وَعَلَى
هَذَا : قَرَّرْتُ بِهِ عَيْنًا .

فَإِنْ قِيلَ : هَلْ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ الْمُخَالَفِ لِسَبِيوِيهِ فِي جَوَازِ
تَقْدِيمِ التَّمْيِيزِ إِذَا كَانَ الْعَامِلُ فِيهِ فِعْلًا ، وَهَلْ يُفَصَّلُ بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَبَيْنَ
مَا اسْتَدْلُوا بِهِ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ ^(٢) :

* وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطْيِيبٌ ^(٣) *

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَالْخَفُوتُ : سَكُونُ الصَّوْتِ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَتُّوهُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) هُوَ الْفَخْلُ السَّمْعِيُّ ، أَوْ أَحَشَى هَمْدَانَ . شَوَاهِدُ الْعَيْنِ (٣ : ٢٣٥) .

(٣) صَدْرُهُ : * أَتَهْجِرُ لَيْلَ الْفِرَاقِ حَبِيبَهَا * .

قلت : لا دَلالة في هذا الذى نحن فيه وإن كان البيت الذى أوردته
أَمَكَنَ التَّمَلُّقَ به ، حتى ذكر أصحابُ سيبويه أن الرواية على غيره ، وهو :
* وما كان نفسى بالفراق تطيبُ *

وذلك أن « طيباً » لم يُقَدِّم على العامل وهو الفعل ، وإنما قُدِّم على ماصار
فاعلاً ، وإذا كان كذلك لم يصحَّ الاحتجاج به له ، لأنَّ الموضعَ المختلفَ فيه
هو جوازُ تقدُّمِهِ على العامل فيه وامتناعُهُ منه لا غير ، فأما مادام واقعاً بعد الفعل
فلا مُستدَلٌّ به على موضع الخلاف .

وقوله « ألم تعلمنَّ ياربَّ أن رُبَّ دَعْوَةٍ » ، أن مخففة من أنَّ الثَّقیلة ،
والتقدير : أنه ربَّ دَعْوَةٍ . وفي رُبَّ لغات : إحداها التَّخْفِيفُ ^(١) . وكأنه يتضرَّع
في هذا الكلام إلى خالقِهِ ومَن يستغيث به فيما يُقاسيه ، ويقرِّر في الدُّعاء عليه
أنَّه قد ضَمِنَ الاستجابة في قوله تعالى : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فقال : إنَّك
تعلم يارب أنى قد أخلصت دُعاءك في أوقاتٍ كثيرة لطَلْبَتِي لو اقترن بالدُّعاء إجابةً
وإسماف ، وضمانك الأصحَّ الأوفى ، فاستجِبْ . وفيه أيضاً ما يجرى تجرى
الاستزادة إذا توجَّه إلى غيره تعالى . وانتصب « مخلصاً » على الحال . وقوله
« لو أجابها » يريد به لو أجاب فيها .

٣- وأُقْسِمُ لو أنى أرى نسباً لها ذنابَ الفلأ حُبَّتْ إلى ذنابها
٤- لَعَمْرُأى ليلي لئن هى أصبَحَتْ بَوَادى القُرى ماضراً غيرى اغترابها
قوله « أقسم » جملةٌ تنوب عن اليمين ، والجواب « حُبَّتْ إلى ذنابها »
متعلِّقاً بالشَّرْطِ المذكور ، وهو أن تكون مناسبة . وجواب لو هو ماصار جواباً

(١) في رب ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها ، وكلاهما مع التشديد والتخفيف ،
والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو محرَّكة ومع التجرد منها ، فهذه اثنتا عشرة ، والضم
والفتح مع إسكان الباء ، وضم الحرفين مع التشديد ، ومع التخفيف ، فهذه أربعة أخرى ،
تكون كلها ست عشرة لغة .

للمبين ، وكذا يقع الشرط والجزاء بعدها . تقول : والله لئن جئتني لأكرمك
ويروى : « حَبَّتْ » بفتح الحاء والأصل حَبَيْت ، وقُل في المضعف قليل .
ويروى « حُبَّتْ » بضم الحاء ، وهو بناء لما لم يُسمَّ فاعله . ويقال : حَبَيْتُهُ فهو
محبوب ، لغة في أَحَبَيْتُهُ .

وقوله « لَعَمْرُ أبي لَيْلَى » إقسامه بأبيها تعظيم لها ، وتنبية على محله من
قلبه ، وأنه منصبٌ إلى مَنْ يجمعه وإياها عُلُقَةٌ وإن ضَعُفَتْ ، فكيف أبوها
والختصُّ بها . وفي هذا زيادةٌ على ما قاله الآخر ^(١) ، وهو :
وَمِنْ بَيْنَاتِ الْحَبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَابِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِ ^(٢)
واللام من « لئن » موثقة للقسم ، وجواب القسم ماضٍ ، والمعنى :
إن عادت هذه المرأة إلى موضعها من وادى القرى لم يضرَّ غيرى البعدُ منها ،
والاغترابُ عنها . وقوله « اغترابها » يريد اغترابي عنها ، ويجوز أن يُريد تباعدَها .

٥٣٢

وقال آخر :

- ١- لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ وَالْبَيْكَا بِدَارَاءٍ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبُ ^(٣)
- ٢- أَغَاثِرُ فِي دَارَاءٍ مَنْ لَا أُحِبُّهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَيَّ حَبِيبُ ^(٤)

(١) هو الحسين بن مطير . الحماسة ٤٧٣ ص ١٢٥٣ .

(٢) ضبطت نون « عيني » في ل بالفتح والكسر لتقرأ بالتثنية والإفراد ، مشفوعة بكلمة « معا » تحقيقاً للضبطين .

(٣) أنشد ياقوت في معجم البلدان هذه الأبيات في رسم (داراء) بعد أن ذكر أن « داراء » من نواحي البحرين . ثم قال : « وهذا موضع استصعب علينا معرفته ، وكثر تفتيشنا إياه ، وظنه شارحو الحماسة داراً التي ببلاد الجزيرة ، فغلطوا ، حتى وجده الوزير صاحب الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي ، أطال الله بقاءه ، بخط أبي عبد الله المرزباني فيما كتبه عن الحسن بن عليل العنزي ، فأفادناه . »

(٤) ياقوت : « من لا أوده » . وستأتي هذه الرواية في الشرح .

٣- إذا هَبَّ غُلُوِي الرِّياحِ وَجَدْتُني كَأَنَّي لُغُلُوِي الرِّياحِ نَسِيبُ
 يقول : وَبَقَائِكَ ما الموعِدُ بين البُكاءِ وأنتَ بداراءٍ إِلَّا عِنْدَ هُبُوبِ
 الجنوبِ ، وإِنَّمَا قالَ هذا لأنَّ الجنوبَ كانَ مَهْطُها مِن أرضِ صاحِبَتِه ، فعلى
 هذا التَّأويلِ يكونُ « والبكا » في موضعِ الجرِّ عطفًا على عَيْنِيكَ . ولا يمتنعُ
 أن يكونَ المرادُ . ما ميعادَ عَيْنِيكَ مع البكا بهذا المكانِ إِلَّا إذا هَبَّتْ
 الجنوبُ ؛ فيكونُ مفعولاً معه . وإِنَّمَا قالَ ذلكَ لأنَّها تُهْدِي إليه أَرِيحَتَها^(١) ،
 أو يمتنعُ أنَّها رسولُها ، فتجددُ ذكرها ، وتطرئُ الوجدَ بها ، فيبكي شوقاً إليها .
 وقال الخليل : الميعادُ لا يكونُ إِلَّا وقتاً أو موضعاً . وإذا كانَ كذلكَ فالميعادُ مبتدأً
 وخبره أن تَهَبَّ ، والمرادُ وقتَ هبوبها ، حتَّى يكونَ الآخرُ هو الأولُ ، إِلَّا أَنه
 حذَفَ المضافُ .

وقوله « أَعاشِرُ في دَاراءٍ مَن لا أُوذُه » شَكُوهُ مِنَ الدَّهْرِ حينَ جَمَعَ بينه
 في داراءٍ وبينَ مَن لا هَوَى له معه ، وفَرَّقَ بينه وبينَ محبوبِه فجعله بالرَّمَلِ .
 وقوله « إذا هَبَّ غُلُوِي الرِّياحِ » يريدُ : إذا هَبَّتِ الرِّيحُ من نحوِ عالِيَةِ
 نَجْدٍ ، فَكَأَنَّي^(٢) يجمَعُني وإيَّاهَا نَسَبٌ ، لا هَتَزَازِي لها ، وارتياحِي لهُبوبِها ،
 فإِنَّا أُنْتَظَرُها تَرَقُّبَ المَسافِرِ وقد دنا موافاتُه .

٥٣٣

آخر^(٣) :

١- هَلِ الحُبُّ إِلَّا زَفَرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الأَحْشاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ

(١) كذا في النسختين والتبريزي . والأريجة مثل الأريج : الريح الطيبة ، والجمع

الأرائج .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل « وكان » .

(٣) هو عبد الله بن الدمينه . ديوانه ٢٦ .

٣- وفيض دُمُوعِ الْعَيْنِ بِأَحَى كُلِّمَا بَدَأَ عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو^(١) الاستفهام هنا في معنى التَّنْفِي ، كَأَنَّهُ حَاجَتُهُ صَاحِبَتُهُ أَوْ إِنْسَانٌ لَا تَمُّ أَوْ غَيْرُهُمَا ، فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْحُبِّ ، فَقَالَ رَادًّا عَلَيْهِ حِينَ كَذَّبَهُ فِي دَعْوَاهُ : مَا الْحُبُّ إِلَّا تَتَابُعُ الرَّفَرَاتِ تَحْشُرًا ، وَالتَّهَابُ تَوَجُّدًا^(٢) فِي الْحَشَا لَا يَتَعَقَّبُهُ ابْتِرَادُ ، وَسِيلَانُ دَمْعٍ مِنَ الْعَيْنِ لَا يُرْقِئُهُ انْقِطَاعُ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ ظَهَرَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ لَهُ جَبَلٌ مِنْ أَعْلَامِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو مِنْ قَبْلُ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْتَادُهُ مِنْ نَفْسِي ، وَبَدْرِكُهُ مِنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي ، وَتَصَدَّقْهُ الْمَشَاهِدَةُ مَنِّي .

٥٣٤

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ^(٣) :

١- كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدٍ ضَبَّتْ بِهِ مُحَاذَرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ
٢- وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَائِيسُهُ
الضَّبْتُ : الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ ؛ وَمِنْهُ نَاقَةُ ضَبُوثٍ ، أَيْ لَا يُشَكُّ فِي سِمَتِهَا
لَمَّا ضَبَّتْ عَلَى سَنَامِهَا . وَانْتَصَبَ « مُحَاذَرَةً » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَمَوْضِعُ « أَنْ »
يَقْضِبُ « نَصَبٌ مِنْ مُحَاذَرَةٍ . فَيَقُولُ : كَأَنَّ قَلْبِي يُعْصَرُ بِقَبْضٍ قَابِضٍ عَلَيْهِ ،
خُوفِي مِنْ أَنْ يَقْطَعَ الْوَصْلَ قَاطِعُهُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَافُ مِنْ وَقُوعِهِ
سَرِيعًا لِقَوَّةِ الْأُمَارَاتِ ، وَتَتَابُعِ الْمُحَذَّرَاتِ الْمَفْذَرَاتِ . وَإِنَّمَا قَالَ « أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ

(١) فِي الدِّيَوَانِ : « غُرُوبُ الْعَيْنِ بِالدَّمْعِ كُلِّمَا » .

(٢) لَ : « يَوْجَدُ » .

(٣) هُوَ الرَّمَاحُ بْنُ أَبِرْدٍ . وَمِيَادَةُ أُمُّهُ وَكَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي مَرَّةَ بْنِ عَوْفِ
«ابْنِ سَعْدٍ» بْنِ ذُبْيَانَ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مُخَضَّرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَكَانَ مِنْ مَدَحِ الْمَنْصُورِ ، وَمَاتَ
فِي صَدْرِ خِلَافَتِهِ . الْأَغَانِي (٢ : ٨٥ - ١١٦) وَالْخَزَائِنُ (١ : ٧٦ - ٧٧) وَالْمَوْتَلَفُ
١٧٤ : وَالْإِسْتِشْقَاقُ ١٧٥ .

عليه ، والظنُّ بمعنى اليقين ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . وقوله «لحمول عليه» إيذانٌ بأنه ليس يقع عن اتفاقٍ معه أو مشاركةٍ في تدبيره . وأظنُّ مفعولهُ الأوَّل ، والثاني مستدلٌّ عليه ، لأنَّ المراد ذلك في ظنِّي أو على ، فهو مُلغى . والقضبُ : القطع ، ومنه سيفٌ مقضبٌ وقضابٌ . ووشكُ الفراق : سرعة القطيعة . ويقال أوشك هذا أن يكون ، أى أسرع .

٣- فوالله ما أدري أبغلبني الهوى إذا جدَّ جدُّ البين أم أنا غالبه
٤- فإن أستطيع أغلب وإن يغلب الهوى فذل الذي لا قيت يغلب صاحبه

يقول : شارفتُ فِرَاقَ الأحبة بالدلائل اللاحمة ، وأحلف بالله ما أعلم من حالى إذا وقع ، أأجزع أم أصبر .

وقوله «إذا جدَّ جدُّ البين» يجوز أن يكون المراد : إذا ازداد جدُّه جدًّا ، كأنه يظهر من جليلة أمره ما يزولُّ اللبسُ والشبهة معه . ويجوز أن يريد : إذا صار هزله جدًّا ، فسماه بما يؤول إليه ، كما يقال : خرجت خوارجه ، وربيع روعه . والمراد أنه التبس عليه إذا باغته الفراق حاله معه ، فلا يدري أى الأمرين يقع : أبغلبه الهوى فيسلبه التجمُّل ، ويأبسه التهمك ، أم يغلب بدوام مسكته وكمال تثبته الهوى فيستمر حال السلامة به . ثم قال كالمسلى والمنقاد لخاتمة السكائنة : فإن أطقْتُ وكان في مقدورى — إذا اجتهدتُ — غلبُ الهوى فهو المراد ؛ وإن جرى القلندر بخلافه فذلُّ ما أفاسيه يغلب معانيه ، ويمتدبه إلى ما يكرهه ، وعذره لا تخ .

٥٣٥

وقال آخر :

- ١ - فيا أهل لبلى أكثر الله فيكم من أمثالها حتى تجودوا بها لبلى^(١)
 ٢ - فمأس جنى الأرض إلا ذكرتها وإلا وجدت ربحها في ثيابي
 بنى الكلام على أن عسرتها والمالين أمرها إنما صنوا^(٢) بها لأنها
 معدومة النظير فيهم ، وأقبل يستمطعهم ويدعو لهم بأن يكثر الله أمثالها
 وأشباهها فيهم ، حتى يتركوا المنافسة ، وتحتمل قلوبهم الجود له بها .

وقوله « فمأس جنى الأرض إلا ذكرتها » يريد : ما اضطجعت للمنام
 خاليا بنفسى إلا امتنع النوم فقام ذكرها مقام خيالها ، ثم صرت من الشوق
 والتحقى أتصورها معى ، وأجد راحتها في ثيابي . وهذا المعنى هو مخالف لمعنى
 الأنس بالخيال .

٥٣٦

وقال آخر :

- ١ - تقول العدى لبارك الله فى العدى قد أقصر عن لبلى ورثت وسائله^(٣)
 ٢ - ولواصبحت لبلى تدب على العصا لكان هوى لبلى حديثا أوائله
 يروى : « وراثت وسائله » . المراد بالعدى الوشاء المفسدون . وأصل

(١) أشير في هامشة ل إلى رواية أخرى في نسخة ، وهى « كثر الله فيكم شيئا بليل »
 كى تجودوا » .

(٢) فى الأصل : « متوا بها » ، صوابه فى ل .

(٣) التبريزى : « يقول » .

البركة الثبات مقتراً بالثاء ومنه مَبْرَكُ الإبل ، وبرأ كاه القتال . ويقال :
أَقْصَرَ عن الشيء ، إذا كَفَّ عنه وهو يقدر عليه ؛ وقَصَرَ عنه ، إذا عَجَزَ ؛ وقَصَرَ ،
إذا فَرَّط . يقول : ادْعَى الوُشَاةُ أُنًى قد كَفَفَتْ عن ليلى وزال ولوعى بها ،
وَأَنَّ وسائلِي لَدَيْهَا قد أُخْلِقَتْ وتَقَطَّعَتْ ، فلا بَارَكَ اللهُ فِيهِمْ فَإِنَّهُمْ ادَّعَوْا باطلا ،
واختلقوا إفساك ، ومُرَادُهُمْ إفساد قلبها على ، وصرفها عن الانطواء على الجميل لي
وفي . ثم ذَكَرَ ما دَلَّ به على بقاءه على العهد ، واستمراره في عمارة الوُدِّ ، وعلى
بُطْلانِ قولهم فيما صَنَعُوهُ ، وبَهْتِهِمْ وتمويههم فيما نَسَبُوهُ إليه ووضعوه ، فقال : لو
شاخَتْ ليلى حَتَّى يصير مَشْيُهَا دِينِيَا وهى متوكئة على عُكَّاز ، لكان هواها في
قلبي جديداً أوائله ، شديداً أركانها وقواعده .

٥٣٧

وقال حفص بن عليم^(١) :

١ - أَقُولُ لِجِلْمِي لَا تَزْغِنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَدْعُرْ عَلَيَّ الْغَوَانِيَا^(٢)

٢ - طَلَبْتُ الْهُوَى الْقَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيهِ مَا كَفَانِيَا

يصف انهماكه في البطالة ، وتماديته في الفواية ، والتذاذذه للصبا واللهمي
والخسارة فقال : أَقُولُ لِجِلْمِي : تباطأ عني ، ولا تعاجلني فتكفني عما أهواه
وقصرت شغلي عليه ؛ وللشيب : تراخ ولا تُبادِرْ فتروّع النساء وتنفر . وهذا
الكلام وإن كان ظاهره تلطفاً وسؤالاً فإنه يجرى مجرى التمني في استدامة
ما كان يشتهي ، ويوزع به .

وقوله « طَلَبْتُ الْهُوَى الْقَوْرِيَّ » يريد : تَفَنَّنْتُ فِي الْهُوَى فَأَنْجَدَ بِي طَوْرًا ،

(١) التبريزي : « حفص العليمي ، من جناب من كلب ، ويقال هم قریش كلاب » .

(٢) سبق التنبيه على ترتيب هذه الحماسية عند التبريزي في ص ١٣٢٢ .

وغار بي طوراً ، إلى أن تناهيتُ ، وبلغتُ أقصى الغايات فوقفتُ . وموضع « ما » من قوله « ما كفانيا » نصبٌ على المصدر من سَيَّرْتُ ، يريد : سَيَّرْتُ في نجديةً سيراً كفانياً . ومعنى سَيَّرْتُ أَكْثَرْتُ السَّيْرَ وكررتُهُ . والغواني من النساء : اللاتي تَسْتَغْنِي بجمالها عن التحلِّي . وقيل : الغانية : التي تستغني بزواجها عن الرجال .

٣ - فياربَّ إن لم تقضها لي فلا تدعْ قَدُورَ لم واقبضْ قَدُورَ كما هيا ^(١)
 ٤ - ويا ليت أن الله إن لم ألاقها قضى بين كلِّ اثنين ألا تلاقيا
 البيت الأول دلَّ به على ضيق صدره بحاله ، وشدة ضنّه بصاحبته ، فدعا ربّه أن يقبض قَدُورَ إليه إن لم يقدر بينهما سُرُفاةً والتحاماً ، ويتوقّأها بالموت ليأمن أن يملك أمرها غيره . وهذا يدلُّ على شِدَّةِ غيرةٍ فيه ، ومُضابغةٍ للنَّاسِ كافةً في شيء يتمناه ثم يقصُر عنه . فأما قوله « كما هيا » فموضعه من الإعراب نصبٌ على الحال ، وما من قوله « كما » يجوز أن يكون بمعنى الذي ويكون هي خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنه قال : كالذي هو هي . ويجوز أن يكون ما كافةً للكاف عن عمل الجرّ ويكون هي في موضع المبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : أقبضها كما هي عليه .

والبيت الثاني وهو « يا ليت أن الله إن لم ألاقها » دلَّ به على حسدٍ شديد منه ، وقلة رضا بمساعدة القدر في شيء يحرم المشاركة فيه . وقوله « يا ليت » يريد : يا قوم ليت ، والمنادى محذوف ، والكلام بعده تمنٍّ في ألا يحصل الاجتماع بين متحابين إن لم يُرزق مثله في صديقه . وقوله « ألا تلاقيا » أن فيه مخففة من الثقيلة ، والمعنى أنه لا تلاق لنا ، نخبر لا محذوف ، والجملة في موضع خبر

(١) قَدُور : اسم صاحبه . والقَدُور من النساء : التي تنزعه عن الانتدار . وهي أيضاً المنتمية عن الرجال .

أَنَّ ، والضمير المقدّر ضمير الأمر والشأن ، وخبر أن الله « قَضَى » وقد حصل في الجملة جواب الشرط ، وهو إن لم ألقها ، وخبر ليت .

٥٣٨

وقال آخر :

١- وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بِالْمَلَا بَعْدَ حِفْيَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَدْمَعُ^(١)

٢- وَأَتْبَعُ لَيْلِي حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعُ

٣- كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلِّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ فَأَتْبَعُ

يقول : وَقَفْتُ مِنْ أَجْلِ لَيْلٍ وَمِنْ أَجْلِ مَنَازِلِهَا بِالْمَلَا ، بعد زمانٍ مُتَمَتِّدٍ ،

ودهرٍ مُتَّصِلٍ ، فَتَجَدَّدَ لِي مِنَ الْوَجْدِ مَا هَيَّجَ لِي بَكَاءً ، وَطَرَّيَ لِي عُهْدًا^(٢)

فَأَنِي أُسِيرُ هَوَاهَا ، وَتَبِيعُ الْبَلَوَى فِيهَا ، فَقَلْبِي مَعَهَا حَيْثُ طَعَنْتُ وَأَقَامْتُ .

وقوله « وَدَّعْتُ » معناه تَوَدَّعْتُ . ثم قال : « وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعُ » يريد

أَنَّ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ آلِفٍ لَهَا لِكَوْنِهِ مَسَافِرًا مَعَهَا وَمُرَافِقًا لَهَا فِي طَرِيقِهَا ، أَوْ

مَنْصَرِفٍ عَنْهَا بَعْدَ تَوْدِيعِهَا وَتَشْيِيمِهَا ، وَأَنَا عَلَى خِلَافِهِمْ كُلِّهِمْ ، لِأَنِّي مَلَا زِمَامًا فِي

كُلِّ حَالٍ .

وقد كَشَفَ عَنْ هَذَا الْغَرَضِ بِمَا بَيَّنَّهُ فِي قَوْلِهِ :

كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلِّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ فَأَتْبَعُ

يريد طاعة قلبه وانقياده لها . وَمِثْلُ « وَدَّعْتُ » وَ« مُودَعُ » يُسَمَّى

التَّجْنِيسُ النَّاكِصُ .

(١) الملا : موضع بعينه ، كما ذكر ياقوت .

(٢) في الأصل : « مجهوردا » ، صوابه في ل .

٥٣٩

وقال وَرَدُ الْجُعْدِيُّ^(١) :

- ١ - خَلِيلِيَّ عُوَجًا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَمَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لَأَرْضِكَمَا قَصْدًا
٢ - وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا^(٢)

يخاطب خليلين له متلطفاً لهما ، وسائلاً ترميحهما على ديار هند وإن لم تكن مُسامحةً لقصدهما ، وأن يبلغاها إذا التقيا معها أنا تعمداً زيارتك طلباً لقضاء ذمامك ، وتجديداً للعهد بك ، ولم يكن العدولُ إليك عن ضلالٍ ملكَ قيادنا ، وصرفنا عن وجهِ رشادنا ، ليقع الاعتدادُ منها بتحرُّبنا وفعلنا .

٥٤٠

وقال^(٣) :

- ١ - وَمَا فِي الْخَلْقِ أَشَقَّى مِنْ مُحِبِّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ التَّدَاقِ
٢ - تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لَاشْتِيَاقِ
٣ - فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
٤ - فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

وفي هذه الأبيات حقَّ القسمة ، وأقامَ شرطَ المقسومِ على حدِّه المألوف من التجربة . فيقول : ليس فيمن خلقه الله من البشر أوفى شقاءً ، وأعظمُ بلاءً من

(١) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، شاعر جاهلي ، وهو الذي قتل شراحيل ابن الأصهب الجعني ، في حديث طويل رواه أبو الفرج في الأغاني (٤ : ١٣٣ - ١٣٤) .
وذكر في الأغاني (١٠ : ١٢٢) أن الأبيات للمرقش الأكبر .
(٢) الأغاني « أجازنا . . . جزنا » ، بالزاي فيهما .
(٣) التبريزي : « وقال آخر ، قال أبو رياش : هي مولدة » .

الحُبِّ ، وإن استَخَلَّى ذَواقَ الحُبِّ واستَلانَ جَسَّهْ ، إذ كُنْتَ تَجِدُهُ كُلَّ وَقْتٍ مُتَأَلِّمًا مِنْ حَالِهِ ، ضَجِيرًا بِعَيْشِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى حَالَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَمِعًا مَعَ مَحْبُوبِهِ فَيَخَافُ الْإِفْتِرَاقَ ، أَوْ يَكُونُ بَعِيدًا مِنْهُ فَيَكْذِبُ الْإِشْتِيَاقَ ، وَلَا حَالَةَ ثَالِثَةً لِلْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقِ ، وَهُوَ سَخِينُ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، قَلِيلُ التَّوَدُّعِ فِي عَقِبِهِمَا .

وقوله « وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى » جواب الشرط منه في قوله « مَا فِي الْخَلْقِ اشْتَى مِنْ حُبِّ » . وقوله « شَوْقًا إِلَيْهِمْ » انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « خَوْفَ الْفِرَاقِ » وَ« خَافَةَ فُرْقَةٍ » . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « أَوْ لَاشْتِيَاقَ » فَجَعَلَ حَرْفَ الْجَزِّ فِيهِ اللَّامَ .

٥٤١

وَقَالَ ابْنُ الطَّيْرِِيَّةِ (١) :

- ١- عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَأَتْ إِزَارَهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَتَبِيلٌ
 - ٢- تَقَيَّظُ أَكْفَافَ الْحَمَى وَيُظْلِلُهَا بِنَعْنَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلٌ
- الْمَلَأَتْ : الْمَوْضِعَ الَّذِي يُدَارُّ بِهِ الشَّيْءُ . وَيُقَالُ : لُتْتُ عَلَى رَأْسِي الْعِمَامَةَ لَوْنًا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* كَانُوا مَلَاوِيثَ فَاحْتَاجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ (٢) *

(١) هُوَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قَشِيرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَامِرٍ . وَالطَّيْرِِيَّةُ أُمُّهُ ، وَهِيَ مِنَ الطُّوًى ، بِالْفَتْحِ : حَتَّى مِنْ الْيَمَنِ . قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ : « الطَّيْرِِيَّةُ يَفْتَحُ الطَّاءُ الْمَهْمَلَةَ وَسُكُونُ الثَّاءِ الْمَثَلَةَ » ، وَضَبَطَهَا صَاحِبُ الْقَامُوسِ بِالتَّحْرِيكِ . وَكَانَ يَزِيدُ جَمِيلًا وَسِيمًا شَرِيفًا مُتَلَفًا ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٦ . وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ مُقَدِّمًا عَنْدهُمْ . الْأَغَانِي (٧ : ١٠٤ - ١١٧) وَابْنُ سَلَامٍ ١٥٠ - ١٥٢ وَابْنُ خُلِكَانَ (٢ : ٣٩٥ - ٣٩٩) وَمُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (٧ : ٢٩٩ - ٣٠٠) وَالشُّعْرَاءُ ٣٩٢ - ٣٩٣ وَحَوَاشِي الْحَيَوَانِ (٦ : ١٣٧) .

(٢) اللَّيِّتُ لِأَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلُ فِي دِيَوَانِهِ ٤٤ وَاللَّسَانُ (لَوْثٌ) . وَهَجَزَ :

أى كانوا الذين يُدارُ بهم ، ويُطاف عليهم ، ويُزجى خيرُهم . والمراد بالملآث هاهنا العَجْز . وشبهها بالدَّعص ، وهو الرَّمْل المجتمِع ، لكثرة اللحم عليها واكتنازه . والبئيل : التَّهْصِيم الدَّقِيق ، وأصل البئيل القَطْع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ . وَصَفَ المرأةَ بالنِّعْمَةِ والنِّعْمَةِ ، ومطَاوَعَةِ الخيرِ لها والسَّعَةِ ، فيقول : هى دَقِيقَةُ الخَضِر ، قليلة العَجْز ، وهى فى فصول سَكَنِهَا تَنْتَقِلُ فى المواضع الطَّيِّبَةِ الْمُخْصِيَةِ ، لا تُكابد ضِيقًا ولا تُعانى جَهْدًا . وَتَقَيِّظُ بالمكان : أَقامَ قِيظَه فيه ^(١) . ونَعَمَان : وادى الأراك . وأصل تَقَيِّظُ تَقَيِّظُ ، خذف إحدى التائين .

٣- أليسَ قليلاً نَظَرُهَا إن نَظَرْتُهَا إليك ، وكَلَّا ، ليس مِنكَ قَلِيلُ
٤- فَيَاخُلَةُ النَفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخِلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
٥- وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطْعَمْ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
٦- أَمَّا مَنْ مَكَانٍ أَشْتَكَى غَرَبَةَ النَّوَى وَخَوْفَ الْعِدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ
قوله « أليس » يقرّر به فى الواجب الثابت ، وكذلك أَلَمْ وَأَلَا ؛ وذلك أن حرف الاستفهام يُضَارِعُ حرف النفى ، ونفى النفى إيجاب ، فإذا قال القائل : أَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ ؟ يجب أن يكون قد أَحْسَنَ ، فتقرّره به فيما قد وقع وثبت . وفى القرآن : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . فكأنه قال مُدِلًّا بما يُقاسيه فيها ، ويتحمّله مِن أَجْلِهَا : أليسَ قَلِيلًا نَظَرُهَا مِنكَ إِذَا حَصَلَتْ لِي . ثم استدرَكَ على نفسه راجعًا فيما أطلقه ، وناقضًا لما اعتقده ، فقال : « كَلَّا » - وهو حرفُ رَدْعٍ ونفى - لا قَلِيلَ مِنكَ . ومثلى هذا قول الآخر :

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُرَوِّى الظَّامُ وَيُسْقَى الْقَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

ف قوله « القليل » مبتدأ ، و « كثير من يحب » خبره .

وقوله « فياخلة النفس » في هذا الكلام اعتداد في المفادة بما يتوخاه معها ،
ف يقول : يا صديقة النفس التي تفردت بملكها واجتذبتها من أيدي خطابها
حقازت بها ، فليس لنا خليل ممن يُصافي المودة من دونها ^(١) ، وبما من سترنا حبه
عن الناس كافةً ، صيانة له عن الانتشار والابتذال ، فلم نُطع فيه وأشيأ
فنفسد ذات بيننا ولا مُضرباً ^(٢) ، ولم نأمن عليه دخيله يُزاحمه في حواء فيصير
موضع مشتركا ، أما عندك مقامٌ لى فيه إليك سبيل أشتكى غربة النوى ،
وخوف العدى . فالنادى له قوله « أما من مقام أشتكى » .

٧ - فدبتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشياى لديك قليل
٨ - وكنت إذا ما جئت جئت بعلّة فأفئنت علّائي فكيف أقول
٩ - فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك رسول ^(٣)
الشقة : بُعد مسير أرض إلى أرض بعيدة ، وإلّا ما لم يقل بعيدة ، لأنّ فعلاً
كثيراً ما يقع للوثق والمذكر على حالة واحدة ، تخلاً على النسب أو على فمولى .
يقول : تفديك نفسى ، فى أعدائى بحضرتك وفى الطريق إليك كثرة ، وفى المسير
بينى وبينك بُعد ومشقة ، وفى النصارى بحضرتك قلة ، وكنت متى جئتك من
قبل ، ولم تبلغ الحال منّا هذا المبلغ ، أقيم معذرة وأنصب لعلّى علة . وقد
كثرت ذلك منى حتى فنيت المعاذير والعلل ، فلا أدري ماذا أقول ، ومن أين

(١) فى الأصل : « من ذوبها » ، صوابه فى ل .

(٢) التضريب : الإغراء بين القوم .

(٣) بعده عند التبريزى :

صحائف عدى للعتاب طوبتها ستُنشر يوماً والعتاب طويل
فلا تحملى ذنبى وأنت ضعيفة تحمل دوى يوم الحساب ثقيل

أَنُوصَلَ ، بِأَيِّ شَيْءٍ أَتُبَلِّغُ ، وَعَلَى مَاذَا أُعَوَّلُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْحَاجَاتُ بِأَرْضِكَ لَا تَكَادُ تَعْرِضُ كُلَّ يَوْمٍ فَتُذَكَّرُ ، وَالرُّسُلُ لَا تَوْجِدُ فَتَتَقَاطَرُ ، فَإِذَا تَوَمَّلَ حَالِي فَإِنِّي حَبِيسٌ عَلَى الْمَسْكَارَةِ ، أَسِيرُ فِي أَيْدِي النَّوَائِبِ ، ضَيِّقِ الْمَجَالِ وَالشَّأْوِ فِي الزِّيَادَةِ ، مَوْفُورُ الْحِظِّ مِنَ الْأَسْبَابِ الصَّادَةِ ، عَظِيمُ الْمِحْنَةِ فِيمَا اجْتَمَعَ عَلَى مَنْ أَنْوَاعُ الْبَلَاءِ ، وَمَوَارِغُ الْقَضَاءِ . وَقَوْلُهُ « فَكَيْفَ أَقُولُ » ، يَرِيدُ : كَيْفَ أَقُولُ مَا أَقُولُهُ ، خَذَفَ الْمَفْعُولُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِأَقُولُ أَتَكَلِّمُ ، فَيَسْتَفْنَى عَنِ الْمَفْعُولِ ، كَقَوْلِ الْآخَرِ ^(١) :

بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبَلِّغُ عُذْرًا وَلِمَقَالَةٍ تُعْذِرُ
أَيُّ لَمْ تَتَكَلَّمْ فِي جَوَابِهَا .

٥٤٢

وقال آخر :

١ - أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَتَخَذِبْنِي عَدُوًّا وَقَدْ جَرَّعْتَنِي السَّمََّ مُنْقَعًا
٢ - وَشَفَّعْتَ مَنْ يَبْغِي عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْجِعَ مَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ مُشَفَّعًا
ألف الاستفهام تطلب الفعل ، وإن كان المراد به هنا التقرير ^(٢) والمعنى :
أَتَتَخَذِبْنِي عَدُوًّا بَعْدَ مَا لَجَّ مِنْ أُلْبُوفِكَ وَالْهَوَى ، وَعَلَبَ مِنْ عِصْيَانِ
الْقَلْبِ وَالْأَتَى ، وَبَعْدَ أَنْ سَقَيْتَنِي جُرْعَ السَّمِّ الْمُنْقَعِ ، وَأَذَقْتَنِي مَرَارَةَ الْمُنْعِ
الْجَامِدِ ، فَوَجَدْتَنِي صَابِرًا عَلَى الْأَذَى ، مُنْصَبًّا إِلَيْكَ بِنَوَازِعِ الصَّبَا ، لَا يُحَلِّي
وَرَدَّهُ وَإِنْ حُلِّي ، وَلَا يَكْدُرُ صَفَاءُ وَدِّهِ وَإِنْ دُوْفِعَ . وَالْمُنْقَعُ : الْمُنْتَبِتُ ، يَقَالُ :
« أَنْتَعِمْ لَهُ الشَّرُّ حَتَّى يَسَامَ » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة . ديوانه ٢ .

(٢) في الأصل : « هذا التقرير » ، صوابه في ل .

وقوله « وشفت من يبغى على » أى ردّت الباغى علىّ مُشفّعا بما جاء له فى معنى وطلبه ، وبقيت أنا لا أقبل نُضج النّصاح ، ولا أصدّق قول الوُشاة ، ولا أوحى الشّفع عني مُنجحًا ، ولا أضرف الباغى عليك مظفّرًا .

٣ - فقالت وما همّت برجع جوابنا بَلْ أَنْتَ أَبَيْتَ الدَّهْرَ إِلَّا تَضَرَّعًا
٤ - فقلت لها ما كنتُ أوّل ذى هوى تَحْمَلُ خِلا فَادِحًا فتوجّعا

يقول : أجابتى بعد أن كانت فى صورةٍ من لا يعبأ بما يُبدأ به فلا يُجيب ، ولا يرقّ لمن يشكو إليه فيستجيب : بل أنت تآبى إلّا ضرّاعةً وتوجّعًا ، وانخرالا وتألّمًا . هذا عادتك وللمألوف من طرائفك ، فإلى متى هذه الشكوى ، وأنى يكون منى فى مقابلة عتبك العتبي ؟ فقلتُ فى جوابها : ما أنا ببذع فى الهوى ، ولست بأوّل من حُمّل ما لا يطيقه ، أو ثقل عليه ما كلفه فتشكّى . والفادح : المُثقل . يقال : دينٌ فادحٌ ، وقد فدّحه الدين . والتضرّع : التّصاغُر والتّذلّ . يقال : رجلٌ ضرعٌ وضارعٌ وقومٌ ضرع . ويقال : خذه ضارعٌ ، وجنبه ضارعٌ .

٥٤٣

وفال آخر^(١) :

١ - أبى القلبُ إلّا أمّ عمرو وحُبّها
٢ - كسحقِ اليماني قد تقادمَ عهدُهُ ورقمته ما شئت فى العين واليد^(٢)

(١) التبريزى : « وهو أبو الأسود الدؤلى » . وهو أبو الأسود ظالم بن عمرو ، الذى يُلصّب إليه وضع النحو ، شهد مع على بن أبى طالب صفين ، وولى البصرة لابن عباس ، ومات بها وقد أسنّ ، سنة ٩٩ فى الطاعون الجارف . وهو يعدّ فى الشعراء ، والتابعين ، والمحدثين ، والبخلاء ، والمفالج ، والنحويين . انظر مصادر ترجمته مسهبّة فى الجزء الأول من إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٣ .
(٢) التبريزى : « كتوب اليماني » : وأشار إلى الرواية الأخرى .

انْتَصَبَ «مَجْزُؤًا» عَلَى الْحَالِ . وَالتَّفْنِيدُ : التَّوْبِيخُ . وَالسَّخْنُ : اخْلَاقُ
 مِنَ الثِّيَابِ لَدَى قَدِ انْسِحَاقِ وَانْجَرَدَ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَمَانِيِّ إِضَافَةً الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ .
 هَذَا إِذَا جَمَعْتَ الْيَمَانِيَّ الْبُرْدَ . وَلَئِكَ أَنْ تَجْمَلَ التَّاجِرَ صَاحِبَ الْبُرْدِ ، فَيَكُونُ
 الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ . وَالْمَعْنَى : أُنِيَ قَلْبِي إِلَّا هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَحُبُّهُ لَهَا فِي حَالِ تَعَجُّبِهَا ، وَمَنْ
 صَرَفَ وَدَّهِ إِلَى الْعَجَائِزِ وَنَحْ ، لَكُنَّهَا فِي النِّسَاءِ كَخَلَقِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ فِي الثِّيَابِ ،
 وَقَدْ قَدَّمَ عَهْدَهُ ، أَيْ مَعْبُودَهُ ^(١) ، وَإِذَا مَسِسْتَهُ أَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَ رَقْعَةً
 زَائِدَةً عَلَى كُلِّ رَقْعَةٍ دِقَّةً وَمَتَانَةً ، وَمَنْظَرَهُ رَاجِعًا عَلَى كُلِّ مَنْظَرٍ حُسْنًا وَجُودَةً ،
 وَكَذَلِكَ مَنْظَرُ أُمِّ عَمْرٍو وَنُحْتَبَرُهَا . وَقَوْلُهُ «وَحُبُّهَا» أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ .
 وَقَوْلُهُ «مَا شِئْتُ» يَرِيدُ مَا شِئْتُهُ ، فَخَذَفَ الْمَفْعُولَ مِنَ الصَّلَةِ تَخْفِيفًا . وَقَوْلُهُ
 «فِي الْعَيْنِ» يَرِيدُ فِي النَّظَرِ . وَ«فِي الْيَدِ» يَرِيدُ عِنْدَ اللَّئَمِ .

٥٤٤

وَقَالَ آخِرُ ^(٢) :

١ - هَجَرْتُكَ أَيَّامًا بِذِي الْعَمْرِ لِمَ نَنِي عَلَى هَجَرِ أَيَّامٍ بِذِي الْعَمْرِ نَادِمٌ ^(٣)
 ٢ - وَإِنِّي وَذَلِكَ الْهَجَرُ لَوْ تَعَلَّمِيْنَهُ كَعَارِبَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمٌ
 الْكَلَامُ اعْتِدَارٌ مِنْ إِخْلَالِ بَرِيَارَتِهَا ، وَهَجَرَانِهِ لَهَا لِعَارِضٍ عَرَضَ بِذِي
 الْعَمْرِ ، ثُمَّ أَظْهَرَ تَعَدُّمَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ مُدَّةُ هَجَرِهِ فِي وَجْدِهِ بِهَا وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهَا
 وَتَشَوُّقِهِ لَهَا ، كَأَمِّ حَيْلٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ طِفْلِهَا ، وَهِيَ بِعَمِيدَةٍ عَنْهُ بِنَفْسِهَا ، وَرِثْمَانِهَا
 — أَيْ عَطْفُهَا — مَتَوَقِّرٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَكَذَلِكَ كُنْتُ فِي انْقِطَاعِي بِاللَّئَمِ ،

(١) وَيَصِحُّ أَنْ يَرَادَ بِالْعَهْدِ الزَّمَانُ .

(٢) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدَّمِينَةِ ، الْمُرْجَمُ فِي ١٢٢٣ . وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ ص ١٩ .

(٣) فِي الدِّيْوَانِ : «أَيَّامِي» .

وَتَوَفَّرِي بِالْقَلْبِ . شَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْعَازِبَةِ ، وَلِلْمُجَوَّرَةِ بِالطَّافِلِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا قَالَ : وَإِنِّي وَذَلِكَ الْمَجْرُ ، فَيَقْتَضِي كَلَامُهُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهِ مُتَنَاوِلًا لَهُ وَلِجَرِّهِ ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ إِنِّي مَعَ ذَلِكَ الْمَجْرُ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : إِنْ الرِّجَالَ وَأَعْضَادَهَا ، أَيْ مَقْرُونَانِ ؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ وَأَعْجَازَهَا ، أَيْ مَقْرُونَانِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعَ أَعْضَادِهَا وَمَعَ أَعْجَازِهَا .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمَجْرِ الْمَجُورَ ، لِأَنَّ الْمَصْدَرَ يَوْصَفُ بِهِ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ الْمَجْرِ لَمَّا كَانَ مِنْ سَبَبِهَا ، وَالْمُرَادُ تِلْكَ . وَقَوْلُهُ « لَوْ تَعْلَمِينَهُ » الضَّمِيرُ مِنْهُ يَعُودُ إِلَى الْمَجْرِ ، وَالْمُرَادُ مَا ذَكَرْتُهُ . وَالْعَازِبَةُ : الْبَعِيدَةُ . وَيُقَالُ : عَزَبَ عَنْهُ عَقْلُهُ . وَالْعَازِبُ أَيْضًا ، الْكَلَامُ الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ .

٥٤٥

وقال آخر :

١ - مَا أَخَذْتَ النَّأْيُ الْفُرْقُ بَيْنَنَا سُلُوءًا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِي

٢ - خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَمِعِينَ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكِي لِي

٣ - كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقِي وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا

قَوْلُهُ « مَا أَخَذْتَ النَّأْيُ » يَصِفُ أَنَّ الْوَجْدَ الَّذِي بِهِ قَدْ صَارَ غَرَامًا ، فَلَا الْبُعْدَ مِنْهَا يُحْدِثُ سُلُوءًا عَنْهَا ، وَلَا الْاجْتِمَاعُ مَعَهَا يُوجِبُ مَلَالًا مِنْهَا ، لَكِنَّهُ فِي الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ مِنْ تَبَارِجِ الْهَوَى . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبَيْنِ لَهُ يُخَالُهُمَا فَطَلَبَ مِنْهُمَا إِسْعَادَهُ فِي الْبُكَاءِ ، وَأَنْهُمَا مَتَى لَمْ يُسَمِعَا لَهُ بِمَطْلُوبِهِ اسْتَعَانَ بِفِيهِمَا ، حَتَّى إِذَا نَزَفَ دَمْعُهُ بِكِي لَهُ نَائِبًا عَنْهُ .

وَقَوْلُهُ « كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي » شَبَّهَ الْبَيْنَ إِذَا تَعَقَّبَهُ الْمَوَاصِلَةُ أَوْ الْاجْتِمَاعُ

بما لم يكن ، لكنّه زعم أنّه يائسٌ لا يظنُّ تسهّل التّلاقى بينه وبين محبوبه واقعا . وقوله « ولا طول اجتماع » ارتفع بفعلٍ مضمر ، كأنه قال : أحدث طول اجتماع .

وقوله « خليلي إلا تبكيالي » تألم وتشكّ من زمانه ، حين لم يكن له من يساعده في شدّة أو رخاء ، ويتحمل عنه ثقلا في مسرة أو مضرّة .
وقوله « كأن لم يكن » كان هذه هي التّامة ، والمراد : كأن لم يقع بيني وكأن مخففة من الثّقيلة ، وقَعَ على محذوف ، كأنه قال : كأن الأمر والشأن لم يكن بيني إذا حصل بعده التّقاء . وقوله « لا إخالُ تلاقيا » المفعول الثاني محذوف كأنه قال : لا أحسب تلاقيا بعده . وساغ ذلك لتقدّم ذكره ، فهو في حُكم الملفوظ به .

٥٤٦

وقال جميل^(١)

وقد حاربَ الفخذَ الذين منهم بُنيّة :

١ - تفرّق أهلانا بشينُ فمنهمُ فريقٌ أقامَ واستقلَّ فريقٌ

٢ - فلو كنتُ خوارا لقد باخَ ميسمي ولسكنتي صلبُ القنّاة عتيقُ

٣ - كأن لم نحاربْ يا بُشَيْنَ لو أنّها تَكشَفُ عُثّاها وأنتَ صديقُ

قوله « أهلانا » أراد شعبيهما . وقال الخليل : أهل الرجل : أخصُّ الناس به . وأهل البيت : سُكّانه . وأهل الإسلام : من يدين به . وبُشَيْنُ : ندّاء

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٠١ ص ٣١٤ . وانظر قصة الخلاف بين جميل وقوم

بشينة في الأغاني (٧ : ٨٨) .

مفردٌ صرخٌ. وقوله فمنهم فريق أقام ، تفصيل لما أجمله في تفرّق . وإنما افترقوا حتى ارتحل قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما .

وقوله « فلو كنتُ خوارًا » تنبيه على كراهته لما حدث ، وإظهار أن ميله مع أهل بُثينة ، فقال : لو كنتُ ضعیف المسكّة مُفَحِّلُ المُقَدّة ، لكان ميسرًا وقد تبخّ ، أي زالت حرارته ، وسكنتُ خُمَيْتُهُ ، بما أقاسيه وأشاهدُهُ حالًا بعد حال ، من عوارض الدهر ونوائب الزمان ، ولكنني عتيق النّبع ، صليب القناة . وهذا مثلٌ ضريه لإبائه ، وبقائه على طريقة واحدة في العهد والوفاء . ثم اعتذر بعد ذلك فقال : « كأن لم نحارب يا بُثَيْن » يريد أن جميع ما يجرى عليه يخفّ ويهون إذا بقيت له على ما فارقتها عليه ، وتعاقد له ، حتى كأنه لم يقع تجاذب^(١) بين الحَيَيْن ، ولا تحارب بين الأهلين ، إذا انكشفت^(٢) الغيابةُ الحاصلة ، وارتفعت العمایة الرّاكدة ، وتلك باقية على المصافة . ويقال : باخت النّار بَوْخًا وبُؤوخًا ، إذا خمدت . والفمى ، هي الخصلة المظلمة . ولك أن تروى « تكشّف » بالرفع ، يريد تنكشّف ، فحذفت إحدى التاءين استنقالا لاجتماعهما . وإنما عدل عن الإدغام إلى الحذف ؛ لأنّه كان يحتاج عند الإدغام لسكون أوّل الحرفين ، إلى جاب ألف الوصل ، وألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع . ولك أن تروى « تكشّف » على أن يكون التاء للماضي . وجواب لو في قوله كأن لم نحارب ، والواو من « وأنت » واو الحال . وذكَر « صديق » لأنّ المراد ذات صداقة ، ولو قال صديقة لجاز . قال :

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَغْرَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ^(٣)

(١) في الأصل : « تحارب » ، صوابه في ل .

(٢) ل : « تكشفت » .

(٣) يفهم من صنع اللسان (سفع) أن البيت لأوس بن حجر ، وليس في ديوانه في القصيدة التي على هذا الروي ، وانظر نوادر المخطوطات ١ : ١٥٩ .

٥٤٧

وقال آخر :

- ١ - شَيْبَ أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَقَارِقِي وَأَنْشَرَنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ
يقول : أَثَرْتُ أَيَّامُ الْفِرَاقِ فِي فَا بَدَلْنِي بِالشَّابِّ مَشِيبًا ، وَبِالْجِدَّةِ وَالْمَقَوَّةِ
خُلُوقَةً وَوَهْنًا شَدِيدًا ، وَأَزْجَعْتُ نَفْسِي مِنْ مَقَرِّهَا فَارْتَفَعَتْ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى
مَا فَوْقَهَا ، فَالشَّيْبُ وَإِنْ جَاءَ قَبْلَ حِينِهِ يُؤْذِنُنِي بِاقْتِرَابِ الْمَهْلِ ، وَتُشَوِّرُ النَّفْسُ
يَنْبُشُرُنِي ^(١) بِدُنُو الْأَجْلِ . هَذَا إِلَى مَا أَغَانِيهِ مِنْ حَوَادِثِ الْفِرَاقِ ، وَلَوَادِعِ
الْإِشْتِيَاقِ . وَقَوْلُهُ « فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا وَأَضَافَ فَوْقَ إِلَيْهِ .
وَحَيْثُ فِي الْأَمْكَدَةِ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ حِينَ فِي الْأَزْمَنَةِ . وَلِذَلِكَ احْتِجَاجٌ إِلَى جَمْعَتَيْنِ .
« وَتَكُونُ » : مُسْتَقْبَلُ كَانَ التَّامَّةُ ، وَمَعْنَاهُ يَقَعُ وَيَحْصُلُ . وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا
تَزَحَّفَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَارْتَفَعَ فُوقَ ^(٣) ذَلِكَ : نَشَرَ نُشُورًا ، وَأَنْشَرْتَهُ إِنْشَازًا .
وَقَوْلُهُ « أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَقَارِقِي » بِسْمَى التَّجْنِيسِ النَّاقِصِ . وَفَرَّقَ الرَّأْسَ وَمَقَرِّهِ وَوَاحِدَ .
٢ - وَقَدْ لَانَ أَيَّامُ اللَّوَى ثُمَّ لَمْ يَكُذْ مِنْ الْعَيْشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ
٣ - يَقُولُونَ مَا أَهْلَاكَ وَالْمَالُ غَايِرٌ عَلَيْكَ وَصَاحِي الْجِلْدِ مِنْكَ كَفَيْنِ ^(٤)
٤ - فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْتَدُلُونِي وَانظُرُوا إِلَى الْفَنَازِعِ الْمَقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
حَدِيدَ أَيَّامَهُ بِاللَّوَى إِذْ كَانَ فِيهِ اجْتِمَاعٌ مَعَ الْأَحْبَةِ ، وَمُسَاعَفَةٌ مِنَ الْقَدَارِ
وَالْأَقْضِيَةِ . ثُمَّ تَعَقَّبَ بِزُعْمِهِ مَا صَعُبَ مِنْهَا وَخَسُنَ ، لَمَّا حَدَّثَ مِنَ الْبِعَادِ فِيهِ

(١) يَنْبُشُرُنِي ، مِنَ الْبُشْرِ ، بِمَعْنَى التَّبْشِيرِ ، وَهَذَا عَلَى التَّهْكِيمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . . . وَفِي الْأَصْلِ : « يَنْبُشُرُنِي » ، وَصَوَابُهُ فِي لَ هَذَا الضَّبْطِ .
(٢) هَذَا مَا فِي لَ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْأَمَاكِنِ » .
(٣) هَذَا مَا فِي لَ . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوْقَ » .
(٤) التَّبَرِيزِيُّ : « غَايِرٌ لَدَيْكَ » .

فاستنكر، فلم يستوفق بعدها شيئاً من الأوقات، ولا ارتضى حالاً من الأحوال «
لتعشیر العیش، ونكد الفراق.

وقوله: «يقولون ما أبلاك والمال غامر» يريد أن الناس متعجبون من شأني
وأمری، مستذكرون ما يشاهدون من حؤولي وضمري، فيرجعون بالشؤال على «
ويقولون: ما الذي بلاك، وهزلك وأنضاك، وفي مالك وفور، والضاحي من
جلك بالكسوة مستور، فلا تبدل للجرور اعتراك، ولا إصافة في المعاش
تفساك. قال: فأجبتهم بأن اصر فوا عني العتب والملام، واعتبروا حالي بالنظر
إلى البعير الحاناً إلى وطن، مع أنه أغلظ ما خلقة الله كبداً، وأثبت على الشدائد
نفساً وجلداً، كيف بضج، ولو خلى كيف بهم على وجهه وبند. واعلموا أن
ما يبلغ به تلك الحالة من النزاع على ما به من العجمة والغباوة، حقيق بأن
يُكمد مثلي ما توحدت به من التميز والتحصيل^(١)، والفرق بين أحناء
الأموال وأحنائها.

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فنقله إلى الدار وقد خلّت من الشكّان فقال:
إن شئت ألا ترى صبراً لمضطرب فانظر على أي حال أصبح الطلل^(٢)»

٥٤٨

وقال أبو دهبيل الجمحي^(٣):

١- أقول والركب قد مات عما تمهم وقد سقى القوم كأس النفس السهر

(١) يقال: توحده الله بعصمته، أي عصمه ولم يكله إلى غيره. اللسان (وحد ٤٦٦) -

(٢) ديوان أبي تمام ٢٢٦.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسة ٥٢١ ص ١٣١٩. التبزي: «وقال أبو محمد
الأعرابي: ليس قوله ياليت أني بأثواني لأبي دهبيل، إنما وقع في ديوانه مع ثلاثة أبيات آخر،
والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي؛ وهذا البيت لا يكاد يعرف معناه البتة إلا بالأبيات التي
تقدمه، وهي:

٢ - ياليت أني بأتوابي وراحلي عبت لأهلك هذا الشهر مؤنجر أول البيت الثاني ، وهو « ياليت أني بأتوابي » في موضع المفعول لأقول . والواو من قوله « والرّكب » واو الابتداء ، وهو الحال . وقوله « وقد مالت عمامهم » يريد لعلبة النوم عليهم ، ومجاهدة السير والسرى فيهم ، ومزاوتهم الشهر ، حتى كأنهم سقاهم كؤوس الناس فسكروا ، والمعنى أن أقول ، على معاناة هذه الأحوال : يودى أني مستعبد لأهلك طول الشهر الذي نحن فيه ، مؤنجر بكسوني وزادي وراحتي ، لا أكفهم مؤونة ، ولا أتحلهم سرزنة ، كل ذلك رغبة في التقرب إليك ، والاستسعاد بخدمة أهلك ، والفوز بالتعريح على تحلك ومزحلك . وقوله « ياليت » ، النادى محذوف ، كأنه قال : يا قوم ياليت أني .

٣ - إن كان ذا قدراً يعطيك نافلة منّا ويخرمنا ، ما أنصف القدر
٤ - جنيّة أو لها جنّ يعلمها رمى القلوب بسهم ماله وتر^(١)
جواب الشرط في قوله « ما أنصف القدر » على إرادة الفاء . وقوله « يعطيك نافلة » في موضع الصفة لقدراً . وأشار بـ « ذا » إلى ما بينه وبين محبوبه . والمعنى : إن كان ما يرى بيننا ويشاهد قدراً قدّره الله تعالى ، يعطيك منا ما تستغنم منه وتستفليبه ، ثم ينفعا مثل ذلك منك فلا يوجب لنا ، فما أعطانا النصفة في القضية ، ولا سار بالسيرة المحمود^(٢) في الحكومة .

== يا أحسن الناس إلا أن نائلها قدما لمن يرتجي معروفها عمر

ولمّا دلتها سحر تصيد به وإنما قلبها المشتكى حجر

هل تذكرين ولما أنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخلة الذكر

قولى وركبك قد مالت عمامهم وقد سقاهم بكأس النوم السفر

(١) التبريزي : « بقوس مالها وتر » ، وهذه الرواية أجود .

(٢) ل : « بالسيرة المحمودة » .

وقوله « جَنَّةٌ » يريدُ أنْ فَعَلَهَا مُبَايِنٌ لِفَعْلِ الْإِنْسِ ، وكذلكَ شَكَلُهَا وَحُسْنُهَا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَنِّ ، أَوْ لَهَا مِنَ الْجَنِّ مَنْ يُعَلِّمُهَا افْتِتَانِ الْعُقُولِ ، وَاجْتِبَالَ الْأَفْئِدَةِ فِي الصَّدُورِ . وقوله « بِسَمِّ مَالِهِ وَتَرُّ » ، يريدُ سَمًّا لَا يُنْزِيهِ الْوَتَرُ عَلَى الْقَيْسِ ، بَلْ نَهَيْتُهُ مَقْلُ الْمُتَمَيُّونِ ، وَنَوَاطِرُ الْفُتُونِ ، لِإِصَابَةِ حَبَابَاتِ الْقُلُوبِ ، وَاتِّظَامِ غِرَّاتِ النُّفُوسِ .

٥٤٩

وَقَالَ تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرِّسِ^(١)

١ - يَقُولُ أَنَا لَسْتُ لَا بِضَيْرِكَ نَائِيهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفْسَ يَضِيرُهَا

٢ - أَلَيْسَ بِضَيْرِ الْعَيْنِ أَنْ تَرَدَّ الْبُكَاءُ وَيُمْنَعَ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا^(٢)

يَقَالُ : ضَارَهُ بِضِيرُهُ ، فِي مَعْنَى ضَرَّهُ بِضُرِّهِ . وَشَفَّ النَّفْسَ ، أَيْ آذَاهَا

وَأَذَاهَا . وَالْمَعْنَى : أَنَّ النَّاسَ بِطَيِّبُونَ قَلْبِي وَبِرُومُونَ بِمَحَاجَّتِهِمْ لِي تَسْلِيَتِي ،

وَيَقُولُونَ إِنَّ بَعْدَهَا لَا يُورِثُكَ خَبَالًا ، وَلَا يَكْسِبُكَ ضَرَرًا وَوَبَالًا ، بَلْ يُعْقِبُكَ

سَلَاةً ، وَيُبَدِّلُكَ مِنَ النَّاسِ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهَا نَفَرَةً ، فَأَثْبَتُ مَا نَفَوُهُ ، وَأَبْطَلْتُ

مَا أَلْفَوُهُ^(٣) ، وَقُلْتُ : بَلَى كُلُّ مَا يُذِيبُ النَّفْسَ وَيَهْزِلُهَا ، وَيَسْلُبُهَا الْقَرَارَ

وَيُقْلِقُهَا ، فَهُوَ عَائِدٌ بِأَكْمَلِ الضَّرَرِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الشَّاهِدِ مُسْتَدْلًا بِهَا ،

(١) عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ » ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاسِيَةِ ١٣٠ ص ١٣١١ . وَأَمَّا تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرِّسِ فَهُوَ تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرِّسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِبَادِ بْنِ مَحْرَثِ بْنِ

سَعْدِ بْنِ حِزَامِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، شَاعِرٌ مُحْسِنٌ ، قَتَلَ أَخُوهُ فَجَزَعَ عَلَيْهِمَا جَزَعًا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَبْكِيهِمَا ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ أَنْ يَكْفَى ، فَأَبَى ؛

فَسَمَّاهُ « الْحَذْرُوتُ » ، وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ الْغَيْظُ أَوْ الْبُكَاءُ مِنْ الْكَلَامِ . الْمَوْثَافُ ٦٨ - ٦٩ .

(٢) « تَرَدُّدٌ » هِيَ رَوَايَةُ الْأَصْلِ . وَفِي لِ وَالتَّبْرِيزِيِّ : « أَنْ تَكْثُرَ » ، وَأَشِيرُ فِي هَامِشَةٍ لِي إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « تَرَدُّدٌ » .

(٣) هَذَا مَا فِي لِ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « أَلْفَوُهُ » ، وَقَدْ أَشِيرُ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ فِي هَامِشَةٍ لِي .

فقلت: أليس العين إذا أديم البكاء بها، ومُنِعَ النومُ وما يُلتذُّ به من مسارح
اللهو والشُرور منها، بضُرُّها ذلك؟ كذلك النَّفسُ إذا جُمِعَ عليها ما لا تهواه،
وفُرِّقَ بينها وبين ما تلتذُّه وترضاه.

٥٥٠

وقال ابن أبي دباكل الخزاعي^(١):

١ - يطولُ اليومُ لا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرٌ^(٢)

٢ - وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبِي فَتَى يَضِيرُ^(٣)

يقول: إنَّ السَّنةَ الكاملةَ إذا اتَّصَلَ الالتقاءُ بيننا فيها، أَسْتَقْصِرُهَا
وَأُخْرِصُ عَلَى الاستِزَادَةِ منها، التَّذَاذُأُ بها وَبُعْدًا مِنَ اللَّالِأِ لها، وإنَّ اليومَ
الوَاحِدَ إذا حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِيهِ أَسْتَطِيلُهُ تَقَالِيَالَهُ، وَتَفَادِيَا مِنْهُ، وَكَرَاهِيَةً لِمَتَدَادِهِ
وَالنَّاسُ يَقُولُونَ لِي: إِنَّ الشَّهْرَ لَا يَجْتَلِبُ عَلَيْكَ ضَرَرًا، فقلت لصاحبي: فتى
يَضِيرُ إِذَا؟ استبعاداً للأجل المضروب. و يروى: « لصاحبي فمن يضير ». .
والمعنى: إذا لم يَضُرَّني الفَظْمُ عَمَّا لم أرتوِ منه فَمِنَ المضروب إِذَا.

(١) التبريزي: « دباكل علم مرتجل، وليس منقولاً من جنس ». وفي القاموس:
« وابن أبي دباكل، بالضم: شاعر خزاعي ». واسمه سليمان بن أبي دباكل، كما في الأغاني.
(٧: ١٨/٢٩: ١٩٥) شاعر أموي، كان معاصراً للأحوص، وقد صنع قصيدته التي
يقول في أولها:

يا بيت خنساء الذي أتعجب ذهب الشباب وحبا لا يذهب

فقال الأحوص في عروضها:

يا بيت عاتكة الذي أنعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

(٢) ل: « وشهر نلتقي ». التبريزي: « ويوم نلتقي ». وقد روى التبريزي هذا.

البيت بعد تاليه هنا.

(٣) ل والتبريزي: « فن يضير », وهما روايتان نص عليها في الشرح.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(١) :

١ - شَقَقْتُ الْقَلْبَ نَم ذَرَزْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالتَّامَ الْفُطُورُ^(٢)
 ٢ - تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْبٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ
 يصف استحكام أمر الهوى وشدة تسلطه على قلبه وتمكّنه من عقله ،
 فيقول : شَقَقْتُ قَلْبِي ، وَجَعَلْتُ هَوَاكَ ذُرُوراً فِيهِ ، فَرَسَخَ فِي جَوَانِبِهِ بَعْدَ أَنْ
 دَبَّ فِي مَسَامِهِ وَمَوَالِجِهِ ، نَم جَمَعَتْ فُتُوقُهُ حَتَّى التَّامَتْ شَقُوقُهُ ، فَتَوَصَّلَ الْهَوَى
 مِنْهُ إِلَى حَيْثُ أُعْجِزَ كُلُّ سُرُورٍ وَحُزْنٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْهَوَى مَلَكَ جَمَاعَ قَلْبِي فَاتَّخَذَ
 مِنْهُ مَا كَانَ مُحَرِّمًا عَلَى غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « لَيْمَ » أَصْلُهُ الْهَمْزُ فَأُبْدِلَ مِنْ هَمْزِهِ يَاءٌ
 وَانْكَسَرَ اللَّامُ لَهَا . وَالتَّغْلَغُلُ : التَّوَصُّلُ عَلَى مَقَاسَةِ تَعَبٍ وَشِدَّةٍ . وَلَا يُقَالُ
 لِمَنْ تَوَصَّلَ وَالْمَذْهَبُ سَهْلٌ : تَغْلَغَلَ . وَيُقَالُ : ذَرَزَ الشَّيْءُ ، إِذَا فَرَّقَهُ ؛ وَذَرَّ
 الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ « التَّامَ الْفُطُورُ » ، أَرَادَ الْفُطُورَ مِنْهُ ، فَحَذَفَ تَخْفِيفًا ،
 لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعْلُومٌ . وَالْفَطَرُ : الشَّقُّ ، وَمِنْهُ تَفَطَّرَ الْوَرَقُ .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي التابعي ، وعم أبيه هو عبد الله بن مسعود . كان عالماً ثقة فقيهاً ، كبير الحديث والعلم ، شاعراً . قال ابن عبد البر : كان أحد الفقهاء العشرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى ، وكان عالماً فاضلاً مقدماً في الفقه ، فقيهاً شاعراً محسناً ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا فيما علمت فقيه أشعر منه ، ولا شاعر أفقه منه ؛ وكان له زوجة يقال لها « عثمة » فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة ، منها هذا الشعر ؛ وأوله عند ثعلب في مجالسه ٢٨٤ :

تغلفل حب عثمة في فوداي فباديه مع الخسافي يسير

وانظر الأغاني (٨: ٩٣) ومجموعة المعاني ١٦٢ . وتوفي عبيد الله سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) أنشد التبريزي بين هذا البيت وتاليه البيت الذي ذكر في الحاشية السابقة ، فهي عنده ثلاثة أبيات .

وقال ابن ميادة^(١) :

١- وما أنسَ منَ أشياءَ لا أنسَ قولها وَأَدْمُومَهَا يُذْرِينِ حَشَوَ المَكَاحِلِ

٣- تَمَتَّعَ بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الأطْوَلِ

انجزم « أنسَ » بما ، وما موضعه نصب على المفعول من أنس . والمعنى :
إن أنسَ شيئاً من الأشياء لا أنسَ قولها . فلا أنسَ انجزمَ على أنه جواب الشرط
وقوله « منَ أشياءَ » أصله من الأشياء ، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لَمَّا
تَعَذَّرَ إتيانه في المتقاربين ، وقد مرَّ مثله^(٢) . مستقصى . وقوله « يُذْرِينِ » يريد
يُسْقِطُن حَشَوَ المَكَاحِلِ . أراد أنها كخلاء ، فكان الدمع حين ذرف
صَحَبه الكحل .

وقوله « تَمَتَّعَ بِذَا اليَوْمِ القَصِيرِ » موضعه من الإعراب نصبٌ على أنه
مفعولٌ من قولها ، أى لا أنسَ قولها ، وقد شافهنما الفراق من يوم التوديع
والنشيع وهى تبكى : تَمَتَّعَ بِيَوْمِكَ القَصِيرِ^(٣) لكونه يوم اجتماع ، فإنه مرتين^(٤)
من الشهور الطويلة ، لكونها أيام التباين ؛ أى مثل هذا اليوم لا يُفَكُّ من
الارتهان ، ولا يحصل إلا بعد تقضى تلك الأيام المستطالة .

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٥٣٤ ص ١٣٣٣ .

(٢) ل : « ذكره » .

(٣) ل : « هذا اليوم القصير » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة : « بيومك القصير » .

(٤) ل : « رهين » ، وأشير في هامشها إلى الرواية الأخرى .

٥٥٣

وقال محمد بن بشير^(١) :

- ١ - بَيْضَاءُ آنِسَةُ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جَنَحَ لَيْلٍ مُبَرِّدٍ
 - ٢ - مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحَسَانَ مِظَنَّةٌ لِلْحُسْنِ
 - ٣ - وَتَرَى مَدَامِعَهَا تَرْفِقُ مُقَلَّةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِمْدِ
- وصف المرأة بإشراق اللون . ومعنى « آنسة » ذات أنس ، لأن الحديث يؤنس ولا يأنس ، كقولهم : هم ناصب ، والمراد منصّب . ثم شبهها بقمر توسّط السماء فيما جناح من ليل كان فيه غيم وبرد . والقمر إذا خرج من حلك الغمام في ليلة مطيرة كان أضواً وأحسن . ويجوز أن يكون قوله « ليل مُبرِّد » يُرَادُ به ليل ذو برِّد أو برِّد ، ويكون من باب أشمّلنا ، أى دخلنا في الشمال ، وأشمّينا ، أى دخلنا في الشتاء . ويُقال : بُرِّدَتِ الأرضُ ، إذا مُطِرَتِ البرْدَ . فهي مبرودة . وأبرّذنا ، أى دخلنا في البرِّد أو البرِّد ، وكذلك قوله شِمْلْنَا : أصابنا ريح الشمال ، وأشمّلنا : دخلنا في الشمال . وقال الخليل : يقال أبرّدت القوم ، إذا صاروا في وقت القرّ في آخر النهار . والأبرّدان : طَرَفَا النَّهَارِ .
- وقال الشاعر^(٢) :

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَنِي خُدُودُ جَوَازِي بِالرَّمْلِ عَيْنِ
يُصِفُ بَقْرَةً وَحْشِيَّةً بِأَنَّهَا تَتَوَسَّدُ غُصُونِ الْأَرْطَى الَّتِي تَلِي الْغَرْبَ بِالْعَدَاةِ

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٢٦٩ ص ٨٠٨ . وعند التبريزي : « وقال آخر » .
وقد نسب الشعر إلى محمد بن بشير أيضاً في الأغاني (١٤ : ١٤٧ - ١٤٨) ، ونسبه في الأغاني (٢ : ١١) إلى مجنون ليل .
(٢) هو الشماخ بن ضرار . ديوانه ٩٤ والسان (جزأ) .

فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية الشرق ، فتوسّدت الغصون التي مالت الشمسُ عنها .

وقوله « موسومةٌ بالحسن » يريد أنه جُعِلَ سِيماها الحسن ، فهي ممسوحةٌ به موسومةٌ . وأصل السِّمة العلامة ، ومنه السِّبَا . ومعنى « ذات حواسِدٍ » أى من براها من الناس يحسدها ، لأن الحسن مَعْلَمٌ للحسد . وهكذا كما يُقال : إنَّ الحسدَ يفتح النِّعم .

وقوله « وترى مدامعها ترقرقُ مُقْلَةً » فالدامع مَسابِلُ الدَّمع من القبائل في الرأس . ومعنى « ترقرقُ مقْلَةً » أى ترقرقُ الدَّمع في مقْلَةٍ . والرقراق : الدَّمع الذى يترقرق في العين ولا يسيل . قال :

* أو الذَّرَّرَقْرَاقُهُ الْمُفَحِّدِرُ (١) *

والمعنى أنها كخلاء ، وأن الدَّمعَ ينجِّمُ في مُقْلَةٍ لها مُسْتَفْنِيَةٌ عن سواد الكحل ، لكحلها .

٥٥٤

وقال آخر (٢) :

- ١- صَفْرَاهُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ
 - ٢- مِنْ مُخْذِبَاتِ أَخِي الْهُوَى جُرْعَ الْأَسَى بِدَلَالِ غَائِبَةٍ وَمُقْلَةٍ رِيمٍ
 - ٣- وَقَصِيرَةِ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ دَامَ مَجْلِسُهَا بِفَقْدِ حَسِيمٍ
- وصفها بأنها ذُرِّيَّةُ اللَّون ، وأنَّ فيها مِثْلَها من بَقَرِ الْجَوَاءِ ، وأنها حَيِيَّةٌ

(١) لامية القيس في ديوانه ٧ . وصدرة :

* فأَسْبَلُ دَمْعِي كَفَضِ الْجَمَانِ *

(٢) هو مجنون ليل قيس بن معاذ . اللسان (ردع) .

قليلة الحركات لنعمتها ، قليلة الكلام لفرط حيائها ، فكان بها نُكْسٌ سقيم .
لما ألفتُهُ من الكسل . وقال الخليل : الرَّدْعُ والرَّدَاعُ : النُّكْسُ ؛ ورجُلٌ
مَرْدُوعٌ . وقيل : الرَّدَاعُ : الوجع في الجسد . فأما قول الأعشى :

بيضاء ضَخَوَتْهَا وَصَفَرَا ۝ الْمَسِيَّةُ كَالْعَرَاةِ

فجعل لها لونين : بياضاً في أوّل النهار ، وصفرة في آخره حتى لونها لونُ
العَرَارِ . وإنما يُريدُ أنها تَقِيلُ فيمتدُّ النَّوْمُ بها إلى آخرِ النهار ، والقائم من
نومِهِ أبداً يكون متغيّر اللون . ومثل قوله « ترك الحياءَ بهارُ دَاعٍ سقيم »
بقول الآخر ^(١) :

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمُكَ تَبْلَتْ

وقوله « مِنْ مُخْذِيَاتِ أَخِي الْهَوَى » يريدُ أنها من النساء اللاتي تَسْقِي
الشُّبَّانَ وأربابَ الهوى جُرْعَ الأسى ، يريد أنها تفتنهم بمحاسنها ، ثم لا تُنيلهم
شيئاً ، وهى الخُذْيَا والخُذْوَةُ . والأسى : الحزن .

وقوله « بِدَلَالِ غَانِيَةٍ » تعلق الباء منه بِمُخْذِيَاتِ . والغانية : التي تَسْتَفِي
بِحِمَامِهَا عَنِ الْخُلَى . والريمُ : الظبي الخالص البياض . والمعنى أنها تفتنه بعينها
وكلامها وغُنْجِهَا .

وقوله « وَقَصِيرَةِ الْأَيَّامِ » يريد أنها لا تُتَمَلِّ ، فالأيام في مُلَازَمَتِهَا قصيرة ،
حتى أَنَّ مُجَالِسَهَا يُوَدُّ أَنْ يَدُومَ مجلسها له وإنْ قَدَّ أَقَارِبُهُ . والقَصْدُ إلى أنها
طَيِّبَةُ الحديث ، مُؤَنِّسَةُ المجلس ، مُصَرِّفَةُ الْمُلَازِمِ في أصنافِ الْمَلَذِّ حتى يَنْسَى
كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِهَا ، وَيَبْشِمُ جَمِيعَ الْمُنَاطَرِ سِوَاهَا .

وقوله « بِقَدْحِ حِمٍ » الباء فيه يُفِيدُ معنى الْعَوَضِ ، فهو كما يقال : هذا لك
بكذا ، أَى عَوَضًا مِنْهُ .

وقال آخر :

١- وفنار كسخر العود يرفع ضوءها مع الليل هبَّت الرياح الصَّوَّارِدُ^(١)
 ٣- أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنْ قَصْدِ أَهْلِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمُودَةِ قَاصِدُ
 شبه النار في خمرتها وتضاعدها بسخر العود . والسَّخَرُ : الرُّثَّةُ وما تعلَّقَ
 بالخلقوم . ويقال لمن نَزَتْ به البِطْفَةُ : انتفخَ سَخْرُهُ ؛ كما يقال : عدا طَوْرَهُ .
 وأكثر ما يقال ذلك لمن جُنَّ عن شيء . والعود : الجمل المُسَنَّ ؛ وقد عَوَّدَ ،
 أي نَيَّبَ ، والجميع العَوْدَةُ ، وفي لغة : العِيْدَةُ . ويستعمل العود في الشَّوَدَدُ
 القديم ، والطريق العادِي .

وقوله « يرفع ضوءها » يريد أن هبَّت الرياح الباردة تُهَيِّجُهَا ، فكانها
 ترفع من ضوءها في ظلام الليل ومعه . والصَّوَّارِدُ : البوارد ، وهي من صفة
 الهَبَّاتِ .

وقوله « أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ » جواب رُبَّ .

ويشبه البيت الثاني قول الآخر^(٢) :

يا بيت عاتكة الذي أتغزل
 حذر العدي وبه الفؤاد مُوَكَّلُ
 ومثل البيت الأول قوله :

تنوَّزْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيْثَرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرْتُ عَلِ^(٣)

(١) التبريزي : « ترفع ضوءها » . وانظر الحيوان (٥ : ٦٣) وكتاب الزهرة
 للأصفهاني ٢٣٥ .

(٢) هو الأحوص بن محمد الأنصاري . الأغاني (١٨ : ١٧٥ ، ١٩٦) ، وذكر
 أبو الفرج أنه عارض بقصيدته قصيدة سليمان بن أبي دبال وسطا عليها ، ومطلع قصيدة سليمان :
 يا بيت خنساء الذي أتجنب ذهب الشباب وحبا لا يذهب

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ٥٦ .

وهذا منهم على التشوق والتحني. ألا إنهم كانوا يتعللون بما كان من نحو أرض الحبيب.

٥٥٦

وقال الحسين بن مطير^(١):

- ١ — وكنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها
 - ٢ — خليلي ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام الحى من يعيدها
- يقول: كنت أصبر النفس فيما ركبها وثقل عليها من الوجد، وأحس العين مما ترومه من البكاء، فقد عيل الصبر، وتسلط الحزن، وغلب البكاء، فقد وردت عيني المورد الذي كنت أحلها منه، وأدفعها عنه.

وقوله « خليلي ما بالعيش عتب » رواه بعضهم: « ما بالعيش عيب »، وذكر العتب أحسن هاهنا. والمراد أنه لا معتبة على العيش، لأن صفاءه بأن تتصل له أيام كأيام الحى، فلو وجدنا من يعيدها فساد فيها قرب الأزار، وإمكان الوصال، اطاب وصفا كما كان من قبل فلا ذنب للعيش، إنما الذنب لما يكدره ويشحنه بالكاره.

٥٥٧

وقال آخر^(٢):

- ١ — ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة نسكي قد أصيب وليدها
- ٢ — هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أو الله إن لم ينف عنها ميعدها^(٣)

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٣١٩ ص ٩٣٤.

(٢) كذا في النسخين. أما التبريزي فقد جعل المقطوعتين مقطوعة واحدة.

(٣) التبريزي: « أم الله إن لم ينف عنها ميعدها ».

يقول : قَذَيْتَ عَيْنِي بِمَا حَصَلَ مِنْ صُدُودِ الْحَبِيبِ ، فَلَی نَظَرَةٌ بَعْدَهُ لِحَوَى الْقَلْبِ وَالْجَوْفِ ، كَنَظَرَةِ أُمِّ أُصَيْبَتٍ بُولِيدِهَا فَتَكَلَّمَتْهُ . ثُمَّ قَالَ مَتَمَّنِّيًا : هَلْ يَعْفو اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ ، أَوْ يَبْعِدُ لَنَا تَسْهِيلَ أَمْثَالِهَا وَالتَّسْكِينَ مِنْ اقْتِرَافِ مُشَابِهَا إِنْ ضَاقَ عَفْوُهُ عَنْهَا . وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ حَرَجِ صَدْرِهِ بِمُسْتَقْبَلِ أَسْمِهِ ، وَامْتِلَاءِ قَلْبِهِ مِنَ التَّائِبِ فِي إِثْرِ مُسْتَدْبَرِهِ .

٥٥٨

وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ (١) :

١ - يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُحَذِّرُنَّ لَكَ طَوْلُ الدَّهْرِ نِسْيَانًا (٢)
٢ - إِنْی سَأَسْتَرْ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمِيتُ السَّرَّ كِتْمَانًا
عَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي عَصْيَانِهِ لَهُ ، وَاطَّرَاحَهُ مَوْاعِظُهُ ، وَوَأَوَّعَهُ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى تَطَاوُلِ الدَّهْرِ ، وَتَقَادُمِ الْأَسْرِ ، وَقَالَ : هَلْ لَيْنَ الْوَعْظُ مِنْكَ أَوْ أَحْدَثَ مَوَاصِلُهُ الْأَيَّامَ وَاسْتَمَرَّارُهَا نِسْيَانًا لَكَ ، فَتَكْفُ عَمَّا يُكْرَهُ مِنْكَ ، أَوْ تَقَبَّلَ بَعْضُ مَا تُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِكَ .

وَقَوْلُهُ « أَوْ يُحَذِّرُنَّ » زَادَ النُّونَ الْخَفِيفَةَ فِي الْمَعْطُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ حَصَلَ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ « بَيْنَاكَ » مِثْلُهُ ؛ وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَلْفَوْا زِيَادَةَ إِحْدَى التَّوْنَيْنِ فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَكَأَنَّهُ قَدَّرَ أَنَّ الْأَوَّلَ حَصَلَ فِيهِ النُّونُ فَزَادَ فِي الثَّانِيَةِ ، لِقَوِّهِمْ مِثْلَهُ فِي الْأَوَّلَى ، وَاسْتَمَرَّارَ الْعَادَةِ بِزِيَادَتِهِ . وَهَذَا كَمَا عَطَفَ فِي بَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

(١) التَّبْرِيزِيُّ : « الْمُضَرَّبُ » بِالرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَقَدْ مَضَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَةِ

١٨ ص ١٣٠ .

(٢) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « طَوْلُ اللَّيْلِ » ، صَوَابُهُ مِنْ لٍ وَالتَّبْرِيزِيُّ .

فَظَلَّ طُهَاهُ اللَّحْمُ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
قَوْلُهُ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ ، وَهُوَ مَجْرُورٌ ، عَلَى صَفِيفٍ شِوَاءٍ وَهُوَ مَنْصُوبٌ ، لِنَيْتِهِ
حَذَفَ التَّنْوِينَ ، وَجَعَلَ الْإِضَافَةَ بَدَلًا مِنْهُ فِي مُنْضِجٍ .
وَقَوْلُهُ « إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرُهُ » ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِحُسْنِ التَّمَاثُلِ فِيهِ
يَأْتِيهِ ، وَاسْتِعْمَالَ الْعَقْلِ فِي سِتْرٍ مَا يَجِبُ إِخْفَاؤُهُ مِنْ حَاجَاتِهِ ، وَضَبْطُهُ لِلسِّرِّ ،
وَقُوَّةَ كِتْمَانِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ السِّرُّ كَالْمَيْتِ الَّذِي لَا أَثَرَ لَهُ . وَيُشِيرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى
دَوَامِ وَفَائِهِ ، وَاتِّصَالَ عَهْدِهِ ، وَكَيْفَ مَا يَجْرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ . وَاتَّصَبَ
« كِتْمَانًا » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
كَتْمًا لَهُ .

٣- وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ لَهَا جَعَلْتُهَا لِأَنِّي أَخْفَيْتُ عُفْوَانًا^(١)
٤- إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانًا^(٢)
يُرِيدُ : رَبِّ حَاجَةٌ عَرَضَتْ لَهَا وَأَظْهَرْتُهَا فِي النَّفْسِ خِلَافُهَا ، لِأَنِّي جَعَلْتُ
لِلظُّهْرِ فِي التَّوَضُّعِ بِهِ إِلَى الْمَضْمَرِ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ الَّذِي يَظْهَرُ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ
الْكِتَابُ مُسْتَوْرٍ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالذَّكَاءِ وَجُودَةِ الْفِطْنَةِ ، وَحُسْنِ الثَّأْنِ ،
وَالِاهْتِدَاءِ فِيمَا يَرُومُهُ لِلْحَيْلِ الْإِطِيفَةِ . وَكُلُّ ذَلِكَ لثَلَاثَةِ مَوَاقِفَ يَوْجِبُ إِلَيْهِ
الظُّنُونُ السَّيِّئَةُ ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ الْقَالَةُ الْمُنْكَرَةُ .

وَالْعُنْوَانُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْوَالًا مِنْ عَنَّا لِي الشَّيْءِ ، إِذَا اعْتَرَضَ ؛ وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ فِعْلَانًا مِنْ عَنَّا كَذَا . وَفِيهِ لَفَاتٌ وَكَلَامٌ طَوِيلٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ
فِي (شَرْحِ الْفَصِيحِ) .

(١) التَّبْرِيزِيُّ : « قَدْ سَنَحْتُ بِهَا » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « وَسَطَ الْقَوْمِ عُرْيَانًا » .

وقوله «إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَن لَا حَيَاءَ لَهُ» يريدُ : مَن خَلَعَ رِبْقَةَ الْحَيَاءِ ،
وَأَطْرَحَ حِشْمَةَ النَّاسِ ، وَعَرَضَ الْأَمَانَةَ لِلضَّيَاعِ ، وَالرُّوءَةَ لِلزَّوَالِ ، فَحُكْمُهُ
حُكْمُ مَن أَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، وَهَتَكَ لِمَا بَيْنَهُ سِتْرَهُ ، وَرَضِيَ بِمَا نِيلَ مِنْهُ ، وَتُخَيَّفَ
مِنْ عِرْضِهِ وَدِينِهِ .

٥٥٩

وقال آخر^(١) :

١ - أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَى وَلَكِنْ مِلْءَ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
٢ - وَمَا هَجَرْتَكَ النَّفْسُ أَتَكَ عِنْدَهَا قَائِلٌ وَأَكْنَ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
انْتَصَبَ «إِجْلَالًا» لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، جَعَلَهُ عَلَّةً فِي تَهْيِئِهِ لَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، فَيَقُولُ : أَحَقِّشْتُكَ بِظَهْرِ الْعَيْبِ ، وَأَخَافُكَ لَيْسَ لِقُدْرَانِ
سُلْطَانِي مِنْكَ عَلَى ، وَامْتِلَاكِ لَضَرِّي وَنَفْعِي فِي يَدَيْكَ ، وَلَكِنْ رَفْعًا مِنْكَ ،
وَإِكْبَارًا لِقُدْرِكَ ، وَلِأَنَّ الْعَيْنَ تَمْتَلِي مِمَّنْ تَحِبُّهُ اسْتِكْبَارًا . وَاسْتِعْظَامًا ، لِأَنَّهُ يَحْمَدُهَا .
وَالضَّمِيرُ مِنْ «حَبِيبُهَا» لِلْعَيْنِ ، وَإِنْ جَمَلْتَهَا لِلرَّأَةِ ، أَيْ مَا تَحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ بِمِلْءِ
الْعَيْنِ ، جَاز . وَالْمِلْءُ : الْقَدْرُ الَّذِي يَمْتَلِي مِنْهُ الشَّيْءُ ؛ وَالْمَلْءُ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ :
مَصْدَرُ مَلَأْتُ .

وقوله «وَمَا هَجَرْتَكَ النَّفْسُ» يريدُ أَنْ الْإِخْلَالَ بِالزِّيَارَةِ ؛ وَالتَّأَخُّرُ عَنْ
إِقَامَةِ الْعَادَةِ لَيْسَ لَزُهِدٍ وَلَا لاسْتِقْلَالٍ لِلْحَالِ ، وَإِزْرَاءُ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَلَّ حَظِّي
مِنْكَ ، وَدَامَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي ، فَرُمْتُ رِضَاكَ فِي الْبُعْدِ عَنْكَ ، وَتَرَكْتُ التَّنَاقُلَ عَلَيْكَ
وقوله «مِلْءُ عَيْنٍ» جَازُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ وَإِنْ كَانَ نَكِيرَةً لِلْحَصُولِ الْفَائِذَةِ
فِي تَعْلِيقِ الْخَلْبَرِ .

٥٦٠

وقال ابن الدميثة (١) :

١- أَلَا أَرَى وَادِي الْمِيَاهِ يُثِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَنْ وَادِي الْمِيَاهِ تَطِيبُ (٢)
 ٢- أَحِبُّ هُبُوطَ الْوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُشْتَهَرٌ بِالْوَادِيَيْنِ غَرِيبٌ

قوله « يُثِيبُ » أى يجعل لى ثواباً ، ويقسم لى لتوفى عليه رذءاً ونفعاً .
 ويجوز أن يكون من قولهم : بئر لها ثائب ، إذا كان ماؤها ينقطع أحياناً ثم يعود ؛
 فيكون أُنَابَ بمعنى صار لها ثائب ، كأن الوادى كان اتفق فيه مواصلة بينه وبين
 محبوبه ثم انقطع ، فكان لا يتوب خيره . وهذا الذى قلناه فى أُنَابَ ذِكره
 أبو زيد . ويجوز أن يكون ذِكر الوادى كالسكفاية عنها ، فيقول : ليست تسلو
 نفسى عن وادى المياه وما يتصل به وعن أحبتي فيهما ، وأراه لا يؤجب لى مثل
 ما أوجبهُ ، ولا يرضخ لى جزاء على ما آتاه ، وأنا أحب النزول بالواديين
 والانتعاش بزيارتهم ، لكننى مُشْتَهَرٌ بهما غريبٌ لا ناصر لى فيهما ، فأحتاج
 لأن أحاذر الرقباء خوفاً على نفسى ، ونفادياً بما يلحق صاحبي من الكروه
 والإغفات بسببى .

٣- أَحَقَّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِداً وَلَا صَادِراً إِلَّا عَلَى رَقِيبٍ
 ٤- وَلَا زائراً فَرِداً وَلَا فى جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرْسِبٌ
 هذا شرحٌ للاشتهار الذى أجمله ، والاعتراب الذى اشتكى منه . وقوله
 « أَحَقَّا » فى موضع الظرف ، كأنه قال : أفى حق . « وَأَنْ لَسْتُ » أن مخففة
 من الثقليلة ، وموضعها بما بعده موضع الابتداء ، وأحقاً فى موضع الخبر . وقوله

(١) عبد الله بن الدميثة ، سبقت ترجمته فى الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) ديوان ابن الدميثة ٧ - ١٤ .

« فَرَدًّا » انتَصَبَ على الحال ، والعامل مادلٌ عليه « ولا زائراً » من الفعل ، فيقول : أفي حقِّ يا عبادَ الله أنِّي لا أريدُ الواديين ، يعني وادى المياه ، وما ذَكَرَهُ فيما بعد من ذكر الكتيب الفرد ، ولا أصدرُ عنهما إلا وعلى رقيبٍ محافظٌ ، يُعَدُّ لحظاتي وأنفاسي ، ويتأمل قُصُودي وإراداتي ، ولا أزورها منفرداً ولا في صحابةٍ إلا وسلَّطت على التَّهم ، ونُسِبتُ فيما أنعاطاه إلى الرِّيب ، حتى ضاق على الجال ، وأظلم لي المسرَّحُ والمطَّاف .

وقوله « إلَّا قيل » في موضع الحال ، أي لا أزورها إلَّا مثولاً فيه ذلك . وموضع « أنت مريبٌ » الجملة رفعٌ على أنه قام مقام فاعل قيل .

٥ - وهل ريبيةٌ في أن تحنَّ نجيبيةً إلى إلها أو أن يحنَّ نجيبٌ
٦ - وإنَّ الكتيبَ الفردَ من جانبِ الحنَّى إلى وإن لم آتِه الحبيبُ

قوله « هل ريبيةٌ » لفظه استفهام ومعناه النفي ، فيقول : لا ريبيةٌ في حنينِ أحدِ المتألفين الكريمي العهد إلى الآخر ، ولا استنكارٍ فيما تنطوى عليه النفس من الهوى والودِّ ، ولا محاسبةٍ فيما يوجب المتحابان وبؤثرانه من المصافاة على البعد ، وإنَّ موضعَ الحبيب من جانبِ الحنَّى قلبي مُوَكَّلٌ به وإن لم أرْهُ ، إذ كان مجانبتي إياه ، وتأخرى عنه ، لإبقائي على الحال بيني وبين من أحشَّمه ، ولإبشاري صيانتَه من تحدُّث الوُشاة فيه ، لا لغيره .

٧ - لَكَ اللهُ إِنِّي واصلٌ ما وصلَني ومُنِّي بما أوليتني ومُنِيبٌ^(١)
٨ - فلا تتركِ نفسي شعاعاً فإنَّها من الوجد قد كادت عليك تذوبُ
٩ - وإِنِّي لأستحييك حتى كأنما على بظهور الغيب منك رقيبُ

(١) بين هذا البيت وتاليه عند التبريزي :

وَأَخِذْ مَا أُعْطِيتِ عَفْوَاً وَإِنِّي لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرِهِينَ هَيُوبُ

قوله « لَكَ اللهُ » يجوز أن يكون دعاء لها، والمعنى : إحسان الله لك ، وحفظه
مشتمل عليك . ويجوز أن يكون قَسَمًا ، كما يقال أُعْطِيَكَ اللهُ ، وجوابه إني واصلٌ .
وكأنه أقسَمَ لها أو دَعَا لها بأنه يَبْقَى على العهد لها مُدَّةَ دوام مواصلتها وبقائها على
المصافاة والإيثار له ، وأنه يوجبُ مِنْ إعظامها والثناء عليها ، ومكافأتها بالحسنَى
فيما تُسدى إليه وتُؤليه ما ينتفى عنه سِمَةُ التقصير والإقصار . وَوَجَّهَ الدُّعَاءَ لها
استعطافها وترقيق قلبها ، ويكونُ كالنسيب من السائل .

وقوله « فلا تتركى نفسى شعاعا » فالشعاع : المنتشر ، وكذلك الشع
والفعل منه شَعَّ . ويقال : تطايرَ القومُ شعاعًا ، أى متفرقين . فيقول : احفظى
نفسى عن الانتشار والزوال ، فإنها شارفت الذوبَ والسيلانَ وجَدًّا بك ،
وشافهتِ التَلَفَ والبوار شوقًا إليك . ثم قال : وإني مستحجى منك على البعد ،
إعظامًا لك ، وتهنيئًا منك ، حتى كأنَّ لك رقيبًا معى فى كلِّ حال ، فأتعففُ
عن المنكرات ، وأنزله عن ذمِّ المقالات ، فكُونِ لى على ما توجبه صورتى ،
وتقتضيه قصتى . ومثل هذا قولُ الآخر ^(١) :

وإنى لأستحجى فُطَيْمَةً طاوياً خَيْصًا وأستحجى فُطَيْمَةً طاعِماً
وإنى لأستحجيكِ والخرقُ بيننا مخافة أن تلتقى أخا لى لأئماً ^(٢)

٥٦١

وقال آخر :

- ١ - تَحَمَّلْ أَصْحَابِى وَلَمْ يَجِدُوا وَاجِدِى وَلِلنَّاسِ أَشْجَانُ وَلِى شَجَنٌ وَخَدِى
- ٢ - أَحْبَبْتُكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا فَإِنْ أُمْتُ فَوَاكِدًا مِمَّنْ بِحَبْلِكُمْ بَعْدِى

(١) هو المرقش الأصغر . المفضليات ٢٤٦ طبعة المعارف الثانية .

(٢) فى المفضليات : « صار ما » .

الشَّجَن : الحاجة ، والجميع الأشجان والشجون . قال :

* وَالنَّفْسُ شَتَّى شُجُونُهَا ^(١) *

وموضع « وَحْدَى » نصبٌ على المصدر ، وهو موضوعٌ موضع الإيجاد ^(٢) .

يقول : ارتحل أصحابي ولم يفلهم من الوجد ما نالني ، وفي نفوس الناس حاجاتٌ . وقد أوحَدْتُ نفسي بحاجةٍ إيجاداً . ثم أقْبَل على الحبيب مفسِّراً لشَجَنه الذي تفرَّد به ، فقال : أَحْبَبُّكُمْ مَدَّةَ حَيَاتِي ، وَإِذَا مِتُّ فَوَا كَبَدًا مِنْ بِلَى حَبِّكُمْ بَعْدِي . وهذا تحشرٌ في إثر ما يفوته من الهوى إذا فارق الدنيا . وَيُرْوَى : « مَنْ ذَا يُحِبُّكُمْ بَعْدِي » .

وقد عيب الشاعر بهذا فقيل : لم يَرْضَ بَأَن جَعَلَ لها مُحِبًّا حتى صار يتحزَّن له . وقال بعضُ أصحاب المعاني : في هذا ظلمٌ للشاعر ، وذلك أَنَّ غرضه في التماسه مُحِبًّا لها إشادةً ذكرها ، وإعلاء قدرها ، وتشهيرها عند الناس حتى يصيرَ لها الجاهُ عند السلاطين . قال : وكثيرٌ من نساء العرب طَلَبْنَ النسيب من الشعراء مع العِفَّة ، كعَمْرَةَ ، ولَيْلى ، ومَيْمَةَ . وخلفاء بني أُمَيَّة وأقرانها من الأمراء معهم محاورات .

ويُرْوَى عن بعض السَّلَف الصالحين ^(٣) أَنَّهُ حَبَّجٌ ، فلما قَضَى نُسْكَه قال لصاحب له : هَلَمْ نَتَمَّ حَبَّجْنَا ! أَلَمْ تَسْمَعْ قول ذِي الرُّمَّة :

تَمَامُ الْحَبِّجِ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءِ وَاضِعَةِ اللَّثَامِ

(١) وكذا استشهد بهذه القطعة ابن فارس في المقاييس (شجن) . والبيت بتمامه كما في اللسان :

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالتَّقَتْ رِفَاقُ بِهِ وَالنَّفْسُ شَتَّى شُجُونُهَا

(٢) انظر الكلام على « وحده » و « وحدي » بتفصيل في شرح الأثموني وحاشية الصبان (باب الحال) .

(٣) هو الضبي ، أو محمد بن الحجاج الأدي ، أو الحجاج الأدي . الأغاني (١٦) :

١١٩ ، ٢٠ / ١٢٠ : ١٤٠ - ١٤١) .

والطريقة في نُصْرَتِهِ وتحسينِ قولِهِ ما قدَّمْتُهُ .

وأشنع من هذا قول الآخر ^(١) :

أَهْمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْ كُلُّ بِدَعْدٍ مَنْ يَهْمُ بِهَا بَعْدِي
وقد قيل في هذا أيضاً : إنه لو قال :

* فلا صَلَّحْتَ دَعْدٌ لَدِي خَلَّةٌ بَعْدِي *

الكان صواباً ، سالماً مما يهجنه .

٥٦٢

أَبُو حَيَّةَ النَّخْرِي ^(٢) :

١ - رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ رَقُودُ الضُّحَى فِي مَاتِمٍ أَيْ مَاتِمٍ ^(٣)

٢ - فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَانِ لَا مَتَابِعُ وَلَكِنْ بِسِمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمٍ

أُنَاةٌ أَصْلُهُ وَنَاةٌ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْوَنَى : الْفَتُورُ وَالْكُسْلُ .

والواو المفتوحة لم تُبدَلْ منها الهمزة إلَّا في أحرف قليلة ، وهي « أُنَاة » في

صفة المرأة الثَّقِيلَةِ النَاعِمَةِ ؛ و « أَحَدٌ » صِفَةً واسماً للعدد ؛ وما جاء في الحديث من

قولهم ^(٤) : « أَيُّ مَالٍ أَدْبَيْتَ زَكَاتُهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ » ، يُرَادُ وَبَالُهُ . وقال

أبو زيد : الْأَبْلَةُ فِي الطَّعَامِ أَصْلُهُ الْوَبْلَةُ . ويقال : « أُخِجْتُ أَجُومًا » فِي وَجِئْتُ .

فهذه الأحرف جاءت على ما ترى .

(١) هو النمر بن تولب ، كما في الأغاني (١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) ، قال أبو الفرج :

« والناس يروون هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ » . انظر أيضاً الأغاني (١١ : ١٨) .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٤١٦ ص ١٣١٤ .

(٣) التبريزي : « نَوْمُ الضُّحَى » .

(٤) هو حديث يحيى بن يعمر ، كما في اللسان (أبل) .

وقوله « رُقود الضُّحى » وصفها بالثرثرة ، وأنها مكفَّية الخدمة ، فهي تنام القيلولة . وهذا كما قال امرؤ القيس :

* نَوَّومُ الضُّحَى لَمْ تَلْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ^(١) *

والماتم : الذَّساء يَحْتَمِعُن في الخَيْر والشر . يقول : نظرت إلى هذا الرجل امرأة طلعت عليه في جُلَّة نساء ، مُزَرَّقة منعمَة سميعة ، تنام عن شؤونها أوقات الضُّحى ، لأنَّ لها مَنْ يكفيا كلَّ ما تهتمُّ له ففتنته ، ثم اقتصَّ كيف نصبت الحباله له ، ومن أين وقع فيها حتَّى اصطادته ، فقال : جاء الرَّجُلُ وكأنَّه غُصْن بَانٍ لحسن شَطاطِه وطَرَامَةٍ شابه ، لا مُتَهافتٌ في مشيه وتصرفه ، ولا خفيف طائشٌ في وروده وصدَّره ، ولكن بعلامة ذى سكونٍ ، وميسم ذى صلاح وهُدوٍ . والتتابع يُوصَف به الحيرانُ والسكرانُ إذا رَمَى بنفسه . وتتابع البعيرُ في مشيته ، إذا حرك أواحه حتَّى كأنَّه يتفكَّك . والماتم أصله من الأتم ، وهو أن تلتقى الخُرزتان فتصيرا واحدة . وموضع « كَحُوطٍ » نصبٌ على الحال من جاء . وألحوظ : الفُصْن الناعم السَّنة . وقوله « لا متتابع » ارتفع لأنَّه خبر مبتدأ محذوف ، كأنَّه قال : لا هو متتابع . وقوله « ولكن » استدراكٌ بعد نفي ، أى جاء غير متتابع ولكن بهذه السَّما .

٣ - قُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُخْ صَحِيحًا وَإِنْ لَمْ تَقْتَلِيهِ فَأَلَمِي

٤ - فَأَلَقْتَ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقْتُ بِأَخْسَنِ مَوْصُولَيْنِ : كَفَّ وَمِعْصَمِ

٥ - وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغْتَ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنَيْهِ مِنْهَا السَّحَرِ قُلْنَ لَهُ قُمْ

قوله « سِرًّا » يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الأمر ، كأنَّه قال سارَّبه .

مُسَارَّةً ، فوضع السَّرَّ موضع المُسَارَّة ، ويكون على هذا قوله « لا يرخ » جواب

الأمر الذي دلّ عليه سراً . ويجوز أن يكون سراً مصدراً في موضع الحال ،
ويكون لا يَرُح مجزوماً بلا النّهي . وجعل النّهي في اللفظ للرجل والمرأة هي
النهية ، كما يقال : لا أَرَبَّنكَ هنا . والمعنى : لا تكن هناك فأراك ، والمراد :
لا تدعيه يروح صحيحاً . يقول : قالت النساء المحتفّة بالأناة المذكورة لها : أشيرى
إليه في السرّ إشارةً تفتّنه ، واعرضي عليه محاسنك ما يُجَبِّل قلبه بعد تعرّضه
لنا في ستمته ووقاره حتّى لا يروح عنا صحيحاً ، وإن لم تُبالِغِي في استغوائه وقتله
عن رشاده ، وإهلاكه ، فكوني منه على أوفى محلّ . فائتمرت لهن وألقت فئاماً
وراءه الشّمس ، أى وجهه إشراقه كإشراق الشمس ، فعرّضت وجهها ثمّ سترته
فأبدت كفّها ومِعصمها — وهو موضع السوار من يدها — أيضاً ، وتكلّمت
بكلامٍ كالمنكرة من نفسها ما اتفقَ عليها ، والمستحيّة المتذمّة من حالها ، فلمّا
علِمَ النساء أنّها أفرغت في فؤاده بالكلام ، وفي عينيه بالسكفّ والوجه السّحر
أى صبت — قلن للشّابّ المتعرّض : قمّ عنا فابك لِمَا نابك^(١) وأنت لا تعلم .
والسّحر : إخراجُ الشّئ في أحسن معارضه حتّى يفتن ، لذلك قيل للرائق
المُعجِب : هو السّحر الحلال . يقال : سَحَرْتُ الفِضّة ، إذا طليتها بالذهب .

إن قيل : أين مفعولُ قالت ؟ قلت : إنّهُ هنا في معنى تكلّمت ، فاستغنى
عن المفعول ، ومثله قولُ عمر بن أبي ربيعة :

* لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا^(٢) *

أى لم تتكلّم .

(١) في النسختين : « فإنك لما بك » . التبريزى : « ويروى : قلن له انعم ، على
القلب أى احزن وتوجد من العشق » .

(٢) عجزه : * فتبلغ عذراً والمقالة تغلّر *

٦ - فَوَدَّ بِجَدْعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمُنَاخِ لَهُ نَمٌّ
 يقول : انصرفَ عنهم وهو يتمنى أن جدعَ أنفه في وقتٍ ما همَّ
 بالخروج إليهم ، ويمنعه أصحابه من التعرضِ لهم ، وقالوا له : نَمٌّ في المُنَاخِ
 ولا نبرخ ، ويجوز أن يكون معناه : ودَّ أن يتركه صحبه ويقولوا له : نَمٌّ في
 « المُنَاخِ ولا تَدْبِعِنَا ، وَأَنْ أَنْفَهُ قَطِيع . والباء من قوله « بجَدْع » هو الذي يُفِيدُ
 معنى العِوَض . تقول : هذا بذاك ، أى عِوَضٌ من ذاك .

وقوله « تنادَوْا » يجوز أن يكون معناه تجمَّعوا ، من اللدَّى وهو المجلس ؛
 ويجوز أن يكون من الدَّاء ، أى تَدَاعَوْا وقالوا له ذلك .

٥٦٣

وقال آخر ^(١) :

١ - نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
 ٢ - فَعَيْنَايَ طَوَّرَا تَعْرِقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَغَشَى وَحِينًا تَحْسِرَانِ فَأَبْصِرُ
 يقول : وقفتُ بدارِ الأَحِبَّةِ فتوهمتُ آياتها ، ثم عرفتُها فتمثل لي مَنْ كان
 بها ، وتَطَرَّي ما كان دارِ بيني وبينها ، فأغرورقتُ عَيْنَايَ مِنَ الدَّمْعِ تَحْسِرًا
 وتوجُّعًا ، وبقيتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الدَّارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ فَلَا أَبْصِرُ
 الْآثَارَ ، وَإِذَا انْهَمَلْتُمَا بَمَا فِيهِمَا عُدْتُ فِي صِحَّةِ الْإِدْرَاكِ بِهِمَا إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ
 مِنْ قَبْلِ . وقد مرَّ القول في حقيقة النظر .

فأما « تحسيران » فيجوز أن يكون من قولهم : حَسَرَ الْبَحْرُ ، إِذَا نَضَبَ

(١) ابن جنى في التنبيه : « وهو أبو حية » . وهذه النسبة أيضا في اللالكى ٢٦٥ .
 وأما المرتضى (٢ : ١٠٣) . ونسبت في زهر الآداب (٤ : ٨٢) إلى المجنون . وللبيت
 الأول قصة في الأغاني (٢١ : ١٠٣) .

الماء عن ساحله ؛ ويجوز أن يكون من حَسَرْتُ القِنَاع ، ويكون على هذا مفعوله محذوفاً . والأوّل أحسن . ومن الثانى قولهم : امرأةٌ حسنةٌ للمَحَاسِر ، كما يقال حسنةٌ للمَعَارِي . وتلخيص البيت الأوّل : كَأَنِّي من فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظِرُ إِلَى الدَّارِ من وراء زُجَاجَةٍ . والطَّوْرُ : الثَّارَةُ . ويقال : الناسُ أطْوَارٌ ، أى على أحوالٍ شتى .

٥٦٤

وقال آخر^(١) :

١ - فَمَا شَتْنَا خِرْقَاءَ وَاهِيَةِ الْكَلَى سَقَىٰ بِهِمَا سَاقِي فَلَمْ يَنْبَلِلَا^(٢)

٢ - بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلًا

الخِرْقَاءُ : التى لا رِفْقَ لها فى الأعمال ولا بَصِيرَةٍ . والشَّنَّةُ ، أراد بها هنا الدَّلَوَ الخَلْقَ ، وهى السَّفَاءُ البالى فى الأصل . ويقال : لِقَطْرَانِ المَاءِ من الشَّنَّةِ شَيْئًا بعد شَيْءٍ : الشَّيْنَيْنِ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الدَّمْعِ . قال :

* يَا مَنْ لِدَمْعٍ دَائِمٍ الشَّيْنَيْنِ^(٣) *

ولم يَرْضَ بَأَن جَعَلَ الدَّلَوَ خَلْقًا حَتَّى جَعَلَهَا لَامرَأَةٍ لَا تُحَسِّنُ عَمَلًا مِنْ خَرْزٍ وَغَيْرِهِ ، فَكَانَتْ تُصْلِحُهَا ، ثُمَّ جَعَلَ سَقَى الْإِبِلِ بِهَا قَبْلَ تَهْلُلِهَا وَانْسِدَادِ خَرْزِهَا وَنُقْبِهَا . فيقول : مَا دَلَّوْا نِ هَذِهِ صَفَتُهُمَا بِأَشَدِّ إِضَاعَةٍ لِمَاءٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ دَارَ الْحَبِيبِ وَهِيَ مَاهُولَةٌ ، أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ سَفَرِهَا وَهِيَ مَنَاجِجَةٌ .

(١) هو غيلان ذو الرمة كما فى أمالى القالى (١ : ٢٠٨) وزهر الآداب (٤ : ٨٢) واللسان (١٩ : ١١٦) وملحقات ديوان ذى الرمة ٦٧١ . وانظر مجالس ثعلب ٤١٣ .
(٢) التبريزى : « وما شتتا خرقاء واهيتا الكلى » . ويروى : « ولما تبللا » .
(٣) أنشده فى المقاييس (٣ : ١٧٦) واللسان (شن) .

وقوله « بَاضِعَ مِنْ عَيْنَيْكَ » كان الواجبُ أن يقول : بأشدَّ إضاعةً للدمع ، فجاء به على حذف الزوائد ، أو على طريقة سيبويه في جواز بناء التعجب مما كان على أفعل مما زاد على الثلاثي خاصة .

٥٦٥

وقال أبو الشَّيْص ^(١) :

— وَقَفَ الْهَوَىٰ بِحَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
٢— أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَلْهِنِي اللَّوْمُ .
يقول : حَبَسَنِي الْهَوَى فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي تَسْتَقَرِّين فِيهِ فَأَلْزَمَهُ وَلَا أَفَارِقُهُ ،
فَأَنَا مَعَكَ مَقِيمةٌ وَظَاعنةٌ ، لَا أَعْدِلُ عَنْكَ وَلَا أَمِيلُ إِلَى سِوَاكَ ، وَمَنْ لَامَنِي
فِيكَ اسْتَلِذَ لَوْمَهُ مُحَبَّةً لَذِكْرِكَ ، وَوَجَدَا بِاسْمِكَ ، فَلْيَسْتَمِرَّ اللَّائِمُونَ فِي أَقْوَالِهِمْ ،
وَلتَدُمُ عِظَاتُهُمْ عَلَى وَإِنْكَارُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنِيَّ اتِّبَاعًا وَلَا رُجُوعًا ، وَلَا
مَلَالًا فِي وَلَا قُصُورًا . وقوله « حُبًّا لَذِكْرِكَ » انتَصَبَ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَبَيَانٌ
لِعَلَّةَ لَذَّتِهِ ، بِمَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ ضَجْرًا ، وَهُوَ اللَّوْمُ .

ومثل هذا قول الآخر ^(٢) :

* وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي *^(٣)

يريد ، أَنَّهُ يَسْتَلِذُّ ذِكْرَهَا .

وقوله « حَيْثُ أَنْتِ » خبر المبتدأ وهو أَنْتِ محذوف ، كَأَنَّهُ قَالَ : حَيْثُ

(١) اسمه محمد بن عبدالله بن رزين . وأصل معنى الشَّيْص : الردى من القهر . وهو ابن عم
دعبل الشاعر ، كان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، وعمر في آخر عمره . وله مراث في
هينيه قبل ذهابها وبعده . توفي سنة ١٩٦ . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) ونكت
الهميان ٢٥٧ - ٢٥٨ والشعراء ٨٢٠ - ٨٢٥ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٤٢) .

(٢) هو ابن هرم الكلابي ، كما سيأتى في المقتوعة ٥٨٨ .

(٣) صدره : * وأستخير الأخبار من نحو أرضها *

أَنْتِ وَاقِفَةٌ ، لِأَنَّ « حَيْثُ » فِي الْأَمَكْنَةِ بِمَنْزِلَةِ حَيْنٍ فِي الْأَزْمَنَةِ ، فِي حَاجَتِهِ إِلَى جَمَلَتَيْنِ ، وَالتَّأَخُّرَ وَالتَّقَدُّمَ بِمَنْزِلَةِ التَّأَخُّرِ وَالتَّقَدُّمِ ، فَهِيَ مُصْدِرَانِ .

٣- أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ إِذْ هَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ^(١)

٤- وَاهْنَتْنِي فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مِمَّنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ^(٢)

يقول : وَافَقَتْ فِي مَوَاصِلِي أَعْدَائِي أَخْذًا فِيمَا أُكْرَهُهُ وَأَنْسَخَطُهُ ، وَذَهَابًا عَمَّا أُحِبُّهُ وَأَرْضَاهُ ، وَلِأَنَّ حَظِّي مِنْكَ فِيمَا أَرُومُهُ يَمَاطِلُ حَظِّي مِنْ أَعْدَائِي فِيمَا أُسَوِّمُهُمْ فَأَشْرَبَ قَلْبِي حُبَّهُمْ ، وَانْصَبَّ إِلَى جَانِبِهِمُ الْمَيْلُ مَعَهُمْ لِمِشَابَهَتِكَ لَهُمْ ، وَبِمِثَالَةِ فَعَالِكَ لِفَعَالِهِمْ ، وَأَذَلَّتْنِي فَأَذَلَّتْ نَفْسِي عَلَى صُغُرٍ مِنِّي ، اقْتِدَاءً بِكَ ، وَبِجَانِبَةِ لِلْخِلَافِ عَلَيْكَ ، وَلِأَنِّي لَا أَرَى كِرَامَةً مِنْ تَرَيْنَ هَوَانَهُ ، وَلَا إِرْضَاءَ مِنْ تَرَيْنَ إِسْخَاطَهُ . وَانْتَصَبَ « صَاغِرًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ أَهْنَتْ . وَقَوْلُهُ « مِمَّنْ أَكْرَمُ » الْعَائِدُ إِلَى الْمَوْصُولِ بِمَحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : مِمَّنْ أَكْرَمُهُمْ . وَقَوْلُهُ « حَظِّي مِنْهُمْ » يَرِيدُ بِهِ التَّشْبِيهَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : كَحَظِّي مِنْهُمْ ، وَمِنْكَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ مِنْهُمْ .

٥٦٦

وقال آخر :

١- وَلَا غَرَوْ إِلَّا مَا يُخَبِّرُ سَالِمٌ بِأَنَّ بَنِي أَسْتَاهِيهَا نَذَرُوا دَعِي^(٣)

٢- وَمَالِي مِنْ ذَنْبِ إِلَيْهِمْ عَلِمَتُهُ سِوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ يَأْسَرُحُهُ أَسْلَمِي

٣- نَعَمْ فَأَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي ثُمَّتْ أَسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي

(١) ل والتبريزي : « إِذْ كَانَ حَظِّي » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ » ، صَوَابُهُ مِنْ ل والتبريزي . وَ « مَا » فِي قَوْلِهِ

« مَا مِنْ » هِيَ النَّافِيَةُ ..

(٣) هَذَا مَا فِي ل والتبريزي . وَفِي الْأَصْلِ : « لَا غَرَوْ » بِالْخَرْمِ

معنى « لا غَرَوَ » لا عَجَبَ ، وخبر لا محذوف ، كأنه قال : لا غَرَوَ في الدنيا ، أو موجود . وموضع « ما يُخَبَّرُ » رفعٌ على أنه بدل من موضع لا غَرَوَ . وإِنَّمَا قال « بنى أَسْتَاهِهَا » لأنه يريد أنهم مَخْرُؤُونَ لا مولودون . فيقول متهاقاً^(١) : لا عَجَبَ إِلَّا ما يُخَبَّرُ به سالمٌ ، بَأَنَّ سَقَاطَهَا والذين لا عُقُولَ لهم فيها ، قالوا : اللهُ عَلَيْنَا سَفَكُ دَمِهِ . ثم قال : هذا اعتقادهم وأقوالهم ؛ ولا جناية لي عليهم ، ولا ذَنْبَ مِنِّي أَهْتَدِي إِلَيْهِ فِيهِمْ سِوَى قَوْلِي : يا سَرْحَةُ أَدَامَ اللهُ لَكَ السَّلامَةَ - وكان جَعَلَ « سرحة » ، [وهى شجرة^(٢)] ، كنايةً عن امرأةٍ فيهم - نعمَ قد قلتُ وأقولُه مَكْرَرًا : أَسْلَمَى أَسْلَمَى . يُغَايِظُهُمْ وَيُنَاكِدُهُمْ بهذا المقال .

وقوله « سوى أُنْتِ » موضعه من الإعراب استثناءً خارج . و « يا سرحة » إذا ضُمَّتْ فالضَّمَّةُ الأصل في استعمال المُنَادَى المفرد للمعرفة ، وإذا فتحتْ فلاعتيادهم الترخيم في مناداة ما في آخره هاء التانيث ، أُنْمُوهُ وَنَوُوا الترخيم فجعلوا حركته حركة المُرَخِّم منه . وهى الفتحة .

وقوله « نعم » وإن كان في الأصل حرفاً يُوجَبُ به وَيُجَابُ في الاستفهام المحض فقد يَتَوَصَّلُ به إلى بَسْطِ الكلام وصِلَتِهِ . وقوله « ثلاث تحيات » انتصب على المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله اسلمى ، كأنه قال : أحْيِ ثلاث تحياتٍ ، وإن لم ترَجِجِ الجوابَ إلى . والسَّرْحُ من العِضَاءِ ، ويكون دَوَّخَهُ مَخْلَلاً يَحُلُّ النَّاسَ تَحْتَهَا في الصَّيْفِ . وقال الفراء : كلُّ شجرةٍ لا شوكَ فيها فهى سَرْحَةٌ ، ذهبَ إلى السَّرْحِ ، وهو السَّهْلُ .

وقال ابن هرمة وكنى بها عن امرأة :

سَقَى السَّرْحَةَ لِلمَخْلَلِ دُونَ سَوِيْقَةٍ نَجَّاهُ الثِّيا سَرْمَعِنَّا هُطْلُوها

(١) التهاق : التضاحك ، والضحك بالسخرية . وفي الأصل : « متهاقاً » تحريف .

(٢) التكلة من ل .

وقد تسمى المرأة « سَرَحَة » .

٥٦٧

وقال خليل مولى العباس بن محمد^(١) :

- ١ - أَمَا وَالرَّاقِصَاتُ بذَاتِ عِرْقِي وَمَنْ صَلَّى بِنِعْمَانِ الْأَرَاكِ
 - ٢ - لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فَوَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ
 - ٣ - أَرَيْتِ الْأَمْرِيكِ بِضُرْمِ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحَبَّتِهِمْ بِذَاكَ^(٢)
 - ٤ - فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكَ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ
- أُفْسِمَ بِالْحَجِيجِ وَبِرِوَاحِلِهِمُ الَّتِي تَرْقُصُ بِهِمْ فِي السَّيْرِ مَتَوَجِّهِينَ بِوَادِي عِرْفَةِ
وَذَاتِ عِرْقِي إِلَى بَيْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَضَافَ نِعْمَانَ إِلَى الْأَرَاكِ لِكَثْرَتِهَا بِهَا .
وَجَوَابَ الْيَمِينِ قَوْلَهُ « لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ » . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَفْسَمَ أَنَّ وُدَّهُ لَهَا
مَكْتُومٌ انطوى عَلَيْهِ قَلْبُهُ ، وَخَالِصٌ فِيهَا قَدْ أَكْنَهَ ضَمِيرُهُ لَا يُشَارِكُهَا فِيهِ عَدِيلٌ ،
وَلَا يُجَاذِبُهَا بِسَبَبِهِ قَسِيمٌ ، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي عَلَيْهَا بِحِفْظِ السَّرَّارِ ، وَتَخْلِيصِ الْعَقِيدَةِ ،
وَشَغْلِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ بِبِمَارَةِ الْهَوَى لَهَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ يَخَاطِبُهَا : أَعْلَمْتَ
الَّذِينَ يُشِيرُونَ عَلَيْكَ بِقَطِيعَتِي وَالتَّفَكُّرَ لِي ، وَجَدُّ الْأَسْبَابِ وَالْمَوَاقِفِ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ ؟ كَرَّرْتُ عَلَيْهِمْ مُسْتَدْرَجَةً لَهُمْ ، وَعَاجِمَةً تَنْصَحُهُمْ ، وَأَمُرِيهِمْ فِي أَحَبَّتِهِمْ
بِمَثَلِ مَا أَسْرُوكَ فِي ، فَإِنْ وَجَدْتِهِمْ سَامِعِينَ لَكَ ، وَصَائِرِينَ إِلَى الْقَبُولِ مِنْكَ ،
فَتُخَذِي أَنْتِ أَيْضًا مَا خَذَهُمْ ، وَالتَّزِمِي طَاعَتَهُمْ . وَإِنْ وَجَدْتِهِمْ مُتَابِّينَ عَلَيْكَ
مُخَالِفِينَ لَكَ ، فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ ، وَدَعِي الْأَسْتِنَامَةَ إِلَى رَأْيِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ

(١) التبريزي : « مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس » .

(٢) ل والتبريزي : « أطعت الأمر بك » .

مثل ما يراه لنفسه . وكان الواجب في قضية سياق الكلام أن يقول : وإن عاصوك فعاصيهم ؛ فعدل عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الظاهر ، ليبين فيه ما يشنع به عليهم ، وليظهر السبب الموجب للإغراء بهم ، والانصراف عن رأيهم . ولو قال : فاعصيهم لم يبين ذلك فيه .

وقوله « أَرَيْتِ » أصله أَرَأَيْتِ ، حذف الهمزة منه حذفًا كما حذف في يَرَى ، وترى ، ونرى .

٥٦٨

وقال أبو القمقام الأسدي :

— إَفْرَأْ عَلَى الْوَشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرَتْ ذَمِيمٌ^(١)
 ٢ — سَقِيًا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى وَابْرَدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ
 ٣ — لَوْ كُنْتُ أُمْلِكُ مُنْعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيْثُ لَثِيمٌ

الوشلُ هاهنا : ماء معروف في أرضٍ محبوبه . وقال اللُّرَيْدِيُّ : الْوَشَلُ : موضعٌ معروفٌ بعميقه . والوشلُ : الماء القليلُ يترقرق على وجه الأرض . وقال صاحبُ العين : الْوَشَلُ مُحَرَّكٌ : الماء القليلُ يتحلب من صخرة أو جبلٍ ، يقطر منه قليلاً قليلاً . والواشل : القاطر ، يقال : جَبَلٌ وَاشِلٌ : يقطر منه الماء . والشاعر أهدى إليه التحية ، وراسله أنَّ الْمَشَارِبَ كُلَّهَا مَذْمُومَةٌ عنده منذُ تَحَوَّلَ عنه وَتَرَكَ وُرُودَهُ . ثم دَعَا لِظِلِّهِ بِالسَّقِيَا فقال : سَقِيًا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى . والظِّلُّ يكون للشجرة وغيرِها بالغداة ، والقيء بالعشي ، فكان في الواجب أن

(١) ياقوت : « الجوهري : وشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة » . وأنشد ياقوت بين

هذا البيت وتاليه :

جبل يزيد على الجبال إذا بدا بين الربائع والحشوم مقبم
 تسرى الصبا فتبيت في أكنافه ويبيت فيه من الجنوب نسيم

يقول : سَقِيَا لظِّلِكَ بِالْعَدَاةِ ، وَلَقَيْتُكَ بِالْعَشْيِ . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ ^(١) :
 فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتَطِيعُهُ وَلَا النَّيَّءَ مِنْ بَرْدِ الْعَشْيِ نَذُوقُ ^(٢)
 إِلَّا أَنَّهُ سَمِيَ النَّيَّءَ ظِلًّا لِتَشَابُهِهِمَا فِي مَنَظَرِ التَّيْنِ وَالْغَنَاءِ ^(٣) . فَلَمَّا تَسَاوَيَا
 وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا مَعًا لَفْظَةَ الظِّلِّ ، وَكَانَ الْوَاوُ يُفِيدُ الْجَمْعَ مِنْ دُونَ التَّرْتِيبِ — لَمْ
 يُبَيِّنْ أَنْ يَقُولَ بِالْعَشْيِ وَبِالضُّحَى ، فَيَقْدَمَ بِالْعَشْيِ ، وَإِنْ كَانَ الظِّلُّ أَلْيَقَ بِأَنْ
 يَلِيقَ بِالضُّحَى لَوْ جُرِّدَ . وَلَمْ يُشَبِّهْ هَذَا قَوْلَ الْقَائِلِ : فَلَانَ أَشْعَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ،
 لِتَرْكِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ طَلَبَ الْمُنَاطَبَةِ وَالْمُوَافَقَةِ . أَلَا تَرَى
 أَنَّ الْوَجْهَ فِي هَذَا أَنْ يُقَالَ : فَلَانَ أَشْعَرُ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ لِيَصِحَّ لَفْظُ الْأَوَّلِ ،
 وَيُضَافَ أَشْعَرُ إِلَى مَا هُوَ بَعْضُهُ ثُمَّ يَجِيءُ الثَّانِي ؛ وَأَنْ قَوْلَكَ : سَقِيَا لظِّلِكَ وَقَدْ
 نَوَيْتَ لِإِجْرَاءِ الظِّلِّ لِلْنَّيَّءِ أَيْضًا صَارَ حَكْمُهُ حَكْمَ اللَّفْظَةِ الْمَوْضُوعَةِ لِشَيْئَيْنِ ، فَإِذَا
 كَانَ كَذَلِكَ فَأَيُّهُمَا أَوْلَايَتُهُ مِنَ الْعَشْيِ وَالضُّحَى فَقَدْ وَقَعَ إِلَى جَنْبِ
 مَا يَطَابِقُهُ وَيُوَافِقُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : لَوْ سُلِّمَ لَكَ مَا نَقُولُهُ وَتَدَّعَيْهِ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ لَمَّا سَلِمَ الْكَلَامُ الْمُتَنَازِعُ
 مِنْ أَنَّهُ جَاءَ عَلَى غَيْرِ حَدِّهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الظِّلَّ يَكُونُ فِي الضُّحَى حَقِيقَةً وَفِي الْعَشْيِ
 مَجَازًا ، وَإِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّهِ أَنْ يُقَدَّمَ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً عَلَى الْمَجَازِ . قُلْتُ :
 إِنَّ الظِّلَّ فِيمَا حَكَاهُ الْخَلِيلُ ضِدُّ الضُّحَى ، وَيُقَالُ : أَهَاءَ الظِّلِّ وَتَفْيَأُ . وَفِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ^(٤) ﴾ ، فَهُوَ ظِلٌّ قَبْلَ التَّفْيِئِ وَبَعْدَهُ .

(١) هُوَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ . دِيوَانُهُ ٤٠ .

(٢) يَرَوِي : « تَسْتَطِيعُهُ » وَ « نَذُوقُ » بِالنَّاءِ فِيهِمَا ، عَلَى التَّجْرِيدِ . وَقَبْلَهُ :

حَتَّى ظَلَّهَا شَكْسُ الْخَلِيقَةِ خَائِفٌ عَلَيْهَا مُعْرَامُ الطَّائِفِينَ شَفُوقُ

(٣) الْأَصْلُ : « الْغَنَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْغَنَاءُ ، بِالْفَتْحِ : الْفَائِدَةُ وَالنَّفْعُ وَالْكَفَايَةُ .

(٤) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ وَالْيَزِيدِيُّ : « تَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ » ، وَبَاقِي الْقُرَّاءِ : « يَتَفَيَّأُ » ،

بِالْتَّاءِ كَبِيرٍ ، لِأَنَّهُ تَأْنِيهِهِ مَجَازِي . إِنْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ . ٢٧٨ فِي سُورَةِ النَّحْلِ .

وإنما نسخه للشمس هو الذى صار به قَيْثًا ، وإذا كان كذلك لم يكن من باب ما يكون حقيقة في شيء ، ومجازاً في آخر . وهذا بين .

وقوله « والمياه جميع » فالواو فيه للابتداء ، وهو واو الحال .

وقوله « لو كنت أملك منَع مائِكَ » جواب « لو » هو قوله « لم يَذُق » . وهذا الكلام فيه إظهار الضمان بالماء المذكور ، واستمراره في الحسد إلى كل حَدٍّ معلوم بسببه ، حتى كان يزعمه يمنع عنه اللثام مدة حياته ، ويعنى به أربابه فيما أظنه ، لأنهم أعداؤه . والقِلَاتُ : تجمع القَلت ، وهى خُفرة فى الجبل يستنقع فيها ماء المطر .

٥٦٩

وقال ابن الدمينية^(١)

وقد كتب بها إلى أمانة^(٢) :

- ١- وَأَنْتِ الَّتِي كَلَفْتِنِي دَلَّجَ الشَّرَى وَجُونُ الْقَطَا بِالْجُلْمَتَيْنِ جُثُومُ
- ٢- وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَاةً وَقَرَفْتَ قَرَحَ الْقَابِ وَهُوَ كَلِيمٌ^(٣)
- ٣- وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكَلَّمُهُمْ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمٌ^(٤)

قوله « دَلَّجَ الشَّرَى » ، فالشَّرَى : سير الليل ، والدَّلَج : السير فى بعض الليل . ويقال : سار دُلجةً ، أى ساعة من أوّل الليل ، فلذلك أضاف الدَّلَج إلى الشَّرَى ، فجَرى مجرى إضافة البعض إلى الكل . والشاعر يمدد عليها ما ناله

(١) سبقَت ترجمته فى الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ . والشعر فى ديوانه ٣٦ - ٣٧

والحيوان (٣ : ٥٥) والأغاني (١٥ : ١٤٨) ومعاهد التنصيص (١ : ٥٨) .

(٢) هذه العبارة لم يذكرها التبريزي .

(٣) يروى : « وقرحت » . و « فهو كليم » .

(٤) الحيوان : « أسخطت قومي » .

حالاً بعد حالٍ من ضروب المشقات والمتآلف فيها ، فيقول : تحمّلتُ فيك كلَّ عزيمةٍ وبليةٍ ، فأنت التي كلفتنى الشرى والسّير ، وركوبَ الخطر بالليل والطّيورُ ساكنةٌ في عَشَشِهَا^(١) لم تبرح ، وأنت التي قَطَعْتَ جوانحي ، وصَدَّعْتَ جوانبَ كبدى حَزَازَةً بدوامِ تمثلك وتشدّدك ، واتّصالِ جفائك واطّراحك - والحزازة : وجعٌ في القلب - فسكّأتِ السكّم من قلبى قبل اندماله ، وقشّرتِ جُلْبَتَهُ عند صلاحه والتثامه ، فأراه أبداً دأبى الظاهر فاسدَ الباطن ؛ وأنت التي أغضبتِ عَلَى مَعْشَرِي ، وأفسدتِ على رَهْطِي وأعزّيتِ ، فكلُّ واحدٍ منهم إذا خُبر واستُكشِفَ بعيدُ الرّضا عَنِّي ، قريبُ الهجرانِ لى ، ممتلىءُ الصّدر من بُغْضِي ، يكظّم غيظه تجمّلاً ، ويُسرُّ نكرهه تصبّراً .

وقوله « جُونُ القَطَا » ، جمع جُونِيَّة . قال :

* جُونِيَّةٌ كخصاءِ القسمِ *

وهذا كما يقال عَرَبِيٌّ وَعَرَبٌ ، وهذا الجمع كالجمع الذى ليس بينه وبين واحده فى اللفظ إلاّ طرح الماء نحو تَمْرَةٍ وَتَمَرٌ وما أشبهه . وَجُئُومٌ : جمع جائم . وَجَمَّ الطائرُ ، إذا ألصق صدره بالأرض ، ويستعمل فى السّبع وغيره ، ومنه الجُئمان لجسم الإنسان . وقال الأصمى : الجُئمان الشخص ، والجُئمان الجسم . والجُلْمَةُ : ما استقبلك من الوادى . ومعنى قَرَفْتِ : قَشَرْتِ ولم يكن رَأً . ويقال : كَظَّم غيظه ، إذا جَرَّعَهُ . وَكَظَّم البعيرُ جِرَّتَهُ ، إذا ابتلعها . والكَظْمُ^(٢) : مَخْرَجُ النَّفْسِ . ويقال المحزون : لانه لم يَكْظُومْ وكَظِيمٌ .

(١) جمع عش ، ومثله عشوش وأعشاش . وفى الأصل : « عَشَشَها » .

(٢) بالتحريك ، وجمه أكظام ، ومنه حديث النخعي : « له التوبة ما لم يؤخذ بكظمه » . أى عند خروج نفسه ، وانقطاع نفسه .

٥٧٠

فأجابته أمانة^(١) :

١- وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يُلُومُ
 ٢- وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَمْ غَرَضًا أُرْسَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
 ٣- فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَأَ بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُؤُومُ
 أَخَذْتُ تَقَابُلَهُ بِمَثَلِ الَّذِي ابْتَدَأَهَا ، وَتَعَدَّدَ مِنْ جَنَائِيَاتِهِ عَلَيْهَا كِفَاءً مَا عَدَّدَهُ
 وَعَصَبَ بِهِ رَأْسَهَا ، فَقَالَتْ : إِنْ مَا ارْتَكَبْتَهُ مِنِّي أَشْنَعُ ، وَمَا حَمَلْتُهُ وَقْتًا بَعْدَ
 وَقْتٍ أَفْطَعُ ، لِأَنَّكَ الَّذِي نَكَمْتَ عَهْدِي ، وَنَقَضْتَ مَوَاعِيدِي ، وَأَشْمَتَ بِي
 كُلَّ نَاصِحٍ فِيكَ ، وَصَدَقْتَ مَقَالَ كُلِّ لَائِمٍ بِسَبِيكِ ، فَظَنُّونِي بِكَ مَكْذُوبَةً ،
 وَظُنُّونَ الثَّنَاصِحَ وَاللَّوَامَ مُصَدِّقَةً ؛ ثُمَّ جَمَلْتَنِي مُضْغَةً فِي أَنْوَاهِ النَّاسِ ، وَأُكْلَةً
 لِلْجَائِعِينَ ، يَتَمَلَّلُونَ بِحَدِيثِي ، وَيَقْبَلُونَ عِنْدَ أَعْدَائِي بِقِصَّتِي ، فَقَدْ صِرْتُ
 كَالْغَرَضِ الْمَنْصُوبِ لِكُلِّ قِدَحٍ مَبْرُورٍ ، وَالْعَلَمِ الْمَقْصُودِ لِكُلِّ مَشَاءٍ بَنِيمٍ ،
 يُغَرِّقُ بِي مَنْ كَانَ لِي سَلَمًا ، وَيَرِيقُ لِي مَنْ آلَ لِي حَرَمًا ، وَأَنْتَ سَلِيمٌ مَنْ
 الْمُسْكَارَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْمَتَاعِ ، تَعَرَّكَ بِجَنَابِكَ مَا يَمَسُّنِي ، وَتَتَّقِي بِقِلَّةِ الْإِكْتِرَافِ
 مَا يُنْضِجُنِي ؛ لِأَنَّ نَارَ الْوُشَاةِ اعْتَمَدَهَا بِالْإِحْرَاقِ فِي النِّسَاءِ أَبْلَغُ مِنْهُ فِي الرِّجَالِ ،
 وَغَارُ الشَّنَاعَةِ أَلْصَقُ بِجَوَانِبِهِنَّ مِنْهُ بِجَوَانِبِ أَمْثَالِكِ ، فَلَوْ أَنَّ كَلَامًا كَلَّمَ جِسْمًا
 لَهَبَدَتْ بِجِسْمِي نُدُوبٌ وَمَنَافِذُ وَجُرُوحٌ بِأَنْيَابِ الْمُقْتَابِينَ ، وَنِيَالُ الرُّمَاهِ الْمُرَاصِدِينَ .
 وَقَدْ عُدِلَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَفِيهَا تَقَدَّمَ فِي صَلَاتِ الَّذِي وَالتِّي عَنِ الْإِخْبَارِ

(١) التبريزي : « على وزنها وروبها » . وفي الأغاني « أمانة » ، وأنها أتت قالت هنا
 الشعر في بادئ الأمر ثم أجابها هو بالقطوعة السابقة ، ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده .
 والشعر في المراجع المقدمة والبيان (٣ : ٣٧٠) .

إلى الخطاب ، وقد مضى القولُ في جوازه مشروحاً^(١) ، ويَبَيِّننا كيف ساغَ تَعَرَّيْ .
الصَّلَة من الضمير المائد إلى الموصول .

٥٧١

وقال المَعْلُوطُ الأَسَدِيُّ^(٢) :

- ١ - إِنْ الظَّعْمَانِ يَوْمَ حَزْمِ سُوَيْقَةٍ أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِهِ عِيُونَا^(٣) .
 - ٢ - غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَانِ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٤) .
 - ٣ - بَلْ لَوْ يُسَاعِدُنَا الْغَيُورُ بَدَارِهِ يَوْمًا لَقَدْ مَاتَ الْهَوَى وَحَمِينَا^(٥) .
- الظَّمِينَة : المرأة ، لأنها تظنُّ إذا ظنَّ زوجها ، أى تشخص . وقيل :
الظَّمِينَة : الجمل لذي تركبه ، سَمَّيتَ به كما قيل للزَّادَةِ راوية . والحَزْمُ : ما غُظَّ
من الأرض . وإنما وصفَ حالَهُنَّ عند التوديع ووقتَ الفراق ، فيقول : إِنَّنَّ
بَكَيْنَ وَأَبْكَيْنَ ، وبجهدٍ منهن كَفَفْنَ الدموع ، وخَفَضْنَ ما علا من الشَّجِّج .
ثم قُلْنَ متحسِّرات : أى شئ لَقِيتَ أنت وقاسيتَ من أحداثِ الهوى وأسبابِهِ .
وقاسينا نحن ، ولو ساعدنا الْغَيُورُ ودانانا بدارِهِ يوماً لقضينا من أوطارنا ما نحيا به
نفوسنا وقلوبنا ، ويموت له كَلَفُنَا وهو أنا .

(١) انظر ما مضى في ص ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

(٢) التبريزي : « المَعْلُوط بن بدل السعدي » ، وهو الصواب . والمعلوط بن بدل القريني
ثم السعدي شاعر إسلامي ، كما في اللال ، ٤٣٤ . ويروى أبو الفرج في الأغاني (١٥ : ٦٥)
وابن قتيبة في الشعراء ١٢ أن جريراً أسطاع على بيتي المَعْلُوط وأدخلهما في شعره . وروى الأول :
إِنَّ الَّذِي غَدَا بِبَلْبِكَ غَادَرُوا وشلا بعينك ما يزال معيناً

(٣) التبريزي : « يوم جو سريقة » .

(٤) في الأغاني عن عبد المطلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير هذا «
فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا . وأشار بإصبعه إلى جفنه
كأنه يأخذ الدمع ثم ينضجه .

(٥) التبريزي : « بل يساعفنا » ، و « بدارة » .

وَذِكْرُ مَوْتِ الْمَوَى كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

فَمَا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتَ الْعَصَا وَمَاتَ الْمَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
وقوله « غَيَّضُنْ » أى قَلَّانْ . ويقال : هذا من ذاك غَيَّضُ من قَيَّضَ ،
أى قليلٌ من كثيرٍ . والمعنى مَسَحْنَهُ بِأَصَابِعِهِنَّ نَسْتُرًا .

وَأَخَذَ ذُو الرُّمَّةِ هَذَا فَقَالَ :

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا دُمُوعٌ وَزَعَنَّا غَرْبَهَا بِالأَصَابِعِ
وَلَمَّا سَقَاطًا^(١) مِنْ حَدِيثِ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْرُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ
ومعنى « يَسَاعِفُنَا الْعَيُورُ بِدَارِهِ » يَقَارِبُنَا بِمَحَلِّهِ . وَالْإِسْعَافُ : قَضَاءُ الْحَاجَةِ
وإِدْنَاؤُهَا . وَلَكَ أَنْ تَجْمَلَ « مَاذَا » بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ ، فَيَنْتَصِبُ بِلَقِيَّتِ : وَلَكَ
أَنْ تَجْمَلَ ذَا بِمَعْنَى الْقَدَى ، وَيَكُونُ ضَمِيرُهُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحْذُوفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ :
لَقِيَّتَهُ وَلَقِيْفَاهُ .

٥٧٢

وَقَالَ جَمِيلُ^(٢) :

١- وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِّي لَكَ وَايِقُ^(٣)
٢- نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتَ كَرِيمٌ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكَ الْخِلَاقُ^(٤)
مَاذَا فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيْ حَدِيثِ عَسَى الْوَاشُونَ يَتَحَدَّثُونَ
سِوَى قَوْلِهِمْ : إِنَّنِّي لَكَ مُحِبٌّ . فَهُوَ كَقَوْلِكَ : أَيْ ضَرْبِ عَسَى زَيْدٌ أَنْ يَضْرِبَهُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَبَقْنَا سَقَاطًا » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْجُمُوحِ ١٠١ ص ٣١٤ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « عَاشِقٌ » .

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « أَنْتَ حَبِيبَةٌ إِلَى » .

وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المصدر إذا ابتدئ بهما . ولا يجوز أن ينتصب
 يتحدثوا ، لأنه في صلة أن ، فلا يعمل فيما قبل الموصوف ، ولا يجوز أن يكون
 ذا منه بمنزلة الذي ، لأن عسى لا يصلح لكونه غير واجب أن يقع صلة له ،
 وكذلك أخوات عسى . ألا ترى أن الاستفهام والنفي وأخواتهما لا يقعن
 صلات ، إذ كانت الصلات إنما تكون من الجمل الخبرية الواجبة والمعنى أنهم
 لا يقدرّون في وشايتهم على أكثر من قطع القول بأنني لك محبّ وعاشق .
 ثم أوجب بفتح فقال : قد صدّقوا فيما ادّعوا ولنقوا ، أنت تكرّمين علينا وإن
 لم يعمد علينا منك خير ، ولا صادفنا من إحسانك صفاء ولين . كأنه يُبرّى
 ساحتها ، ويرى أن ميله وهواه لا يشينها مع سلامة طريقتهما ، واستحكام عقافها .

٥٧٣

(١) وقال آخر :

- ١ - وإذا عتبت علىّ بثّ كائني بالليل مختلس الرقاد سليم
- ٢ - ولقد أردت الصبر عنك فمأني علق بقلبي من هوائك قديم
- ٣ - يبقى على حدّث الزمان وربيّه وعلى جفائك إنه لأكريم

يقول : البسير من إنكارك ولؤمك يعظم عندي ويصعب علىّ ، حتى
 أبقى له ليلتي ساهراً مؤرقاً ، وسادماً قليلاً ، كأنني لدبغ حية ، أو مسلمٍ لعارض
 علة . ولقد رمت التسليّ عنك ، والتصبر منك ، فدفعني عن المراد ما علق بقلبي
 من هوائك قديماً وملّك قيادي لك ، حتى لا أجد دونك منصرفاً ونجياً . ثم
 وصف العلق اللازم له ، والحبّ الغالب عليه فقال : إنه يبقى على تغير الزمان ،

وتلَوْنِ الْحَدَّثَانِ ، فَلَا يَفْرِضُ لَهُ فُتُورٌ وَلَا نَكُوصٌ ؛ وَعَلَى مَا يَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ جَفَاءٍ فَيْكَ شَدِيدٍ ، وَإِعْرَاضٍ أَلِيمٍ ، فَلَا يُبَدِّلُهُ قُصُورٌ وَلَا نُبُوءٌ ؛ إِنَّ هَذَا الْعَلَقَ لَكَرِيمٍ لَلْحَتِّدِ ، مُحْكَمِ الْعَقْدِ ، ثَابِتِ الْأَسَاسِ وَالْبِنَاءِ ، مُقَدَّمُ الذِّكْرِ فِي صُحُفِ الْوِدَادِ وَالصَّفَا .

وهذا الكلام ، أعنى قوله « إنه لكريم » يسمّى الالتفات .

٥٧٤

وقال آخر^(١) :

١ - أَلِيمٌ عَلَى دِمَنِ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالْجِزْعِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا

٢ - رَسَمْتُ لِقَاتِلَةَ الْغَرَائِقِ مَا بِهِ إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا

٣ - ظَلَّتْ نُسَائِلُ بِالْمَتِّمِ أَهْلَهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا

الإمام : الزَّيَّارَةُ الْخَفِيفَةُ . يُخَاطَبُ صَاحِبًا لَهُ وَيَسْأَلُهُ مَسَاعِدَتَهُ فِي زِيَارَةِ دَارِ أَحَبَّتِهِ ، فَقَالَ : زُرْ آثَارَ دَارٍ مُتَقَادِمَةٍ الْعَهْدِ بِسُكَّانِهَا ، مَسْلُوبَةِ الْجَمَالِ لِقَائِهِ نَوَائِبِ الزَّمَانِ فِيهَا ، بِالْجِزْعِ - وَهُوَ مُنْعَطَفُ الْوَادِي . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « جَلَّالَهَا » ، وَيُكْرَهُ هَذَا لِمَا حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ أَنَّهُ لَا يُقَالُ أَجْلَالٌ إِلَّا فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَأنَّهُ وَإِنْ جَاءَ فِي غَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ قَلِيلٌ فِي الْعَرَفِ وَالِاسْتِعْمَالِ .

وقوله « رَسَمْتُ لِقَاتِلَةَ الْغَرَائِقِ » ابتداءً كلام ، أَيْ هُوَ رَسْمُ دَارٍ لَا مِرَاقٍ كَانَتْ تَصِيدُ الْغَرَائِقَ وَتَقْتَتِلُهُمْ بِالْحُبِّ . وَالْغَرَائِقُ : الشَّابُّ الْقَاعِمُ الْحَسَنُ ، بَضْمٌ

(١) التبريزي : « قال أبو رياث : هي لعمر بن الأيهم ، وقيل الأصم » . وعمر بن الأيهم بن أفلت التفلبي شاعر نصراني إسلامي ، ويقال إن اسمه « عمير » . وقيل للأخطل وهو يموت : على من تخلف قومك ؟ قال علي العميرين . يريد القطامي عمير بن شعيم ، وعمير بن الأيهم . اللال* ١٨٤ .

الغنى ، وجمعه الغرائق بفتحها ومثلها العراعر^(١) والمراعر^(٢) ، والجوالق والجوالق . وقد استبدلت بأهلها وحوشاً فهي خالية لها ، وهي راتعة فيها ، لا تغدل عنها . وقوله « ظلت تسائل » أى تبقى نهارها تسأل عشيرة العاشق عنه وعن استهتاره وعلته ، وهي أعرف الناس بأخباره ، إذ كانت المتوالية لفنتته وخباله . والمتيم : المعبد^(٣) ؛ يقال : تيمه الحب ، أى عبده واستعبده . وقوله « خلت له » فى موضع الصفة للرسم .

٥٧٥

وقال آخر :

١- وما برح الواشون حتى أرتموا بنا وحتى قلوب عن قلوب صوادف
٢- وحتى رأينا أحسن الوصل بيننا مساكنة لا يعرف الشر قارف
قد تقدم القول فى « ما برح » وأنه فى معنى ما زال . فىقول : لم ينفك الشعاع عن الوشاية والتقاط الأحاديث للنميمة ، واستدراج الخناطين بنا ، واستشفاف المتبغين بأخبارنا وأخبار غيرنا ، حتى فرقوا بيننا ، فأقبلوا يرمنى بعضها^(٣) بمصائر أمورنا ، وحتى صدفت القلوب ، فمال كل من عشيرتنا إلى الاستبدال بموضعه ، والانتقال عن جوار صاحبه ، وإلى أن رأينا أحسن المواصل بيننا ملازمة السكوت ، وإطراح الإيحاء والريز ، توقياً من فرقة تتوجه ، وتقادياً من تهمة تدرسلط . هذا إذا رويت « لا يعرف » بضم الفاء . وروى « لا يعرف » بكسر الفاء ، ويكون فى موضع الجزم جواباً للأمر الذى يدل عليه قوله مساكنة ، لأنه فى هذا الوجه مصدر فى معنى الأمر . والجملة فى موضع

(١) العراعر : بضم العين الأولى : السيد ، والجمع عراعر ، بالفتح .

(٢) ل : « المتعبد » .

(٣) هذا ما فى ل : وفى الأصل : « بعضنا » تحريف .

النَّصَبُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِقَوْلِهِ رَأَيْنَا . وَالْمَسَاكَةُ لَا تَكُونُ مُوَاصَلَةً
تُجْمَلُ بَدَلًا مِنْهَا . وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخِرِ ^(١) :

* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٢) *

وَيَكُونُ الْمَعْنَى : رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْمَوَاصَلَةِ بَيْنِنَا تَوَاصِينَا بِأَنْ سَاكِتُوا الْأَحْبَةَ
مَنْ يَخْتَلِفُ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ ، لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ قَارْفُهُ . وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَكُونُ
مَسَاكَةً مَفْعُولًا ثَانِيًا . وَالْمَعْنَى سُكُوتًا مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، أَيْ كِفَافًا لَا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ
قَرْفٌ وَلَا تَهْمَةٌ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ » تَفْسِيرًا لِلْمَسَاكَةِ ، وَبَيَانًا
لِلاخْتِيَارِ لَهَا . وَيُرْوَى « صَوَارِفُ » بِالرَّاءِ ، وَالْمَعْنَى قُلُوبٌ تَصْرِفُ الْوُدَّ بِمَا
تَأْتِيهِ وَتَسْتَعْمَلُهُ عَنِ الْقُلُوبِ الْآخَرِ .

٥٧٦

وقال آخر :

١ - فَإِنْ تَرَجَّعَ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا بَذَى الْأَثْلَ صَيْفًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي

٣ - أَشَدُّ بِأَعْفَاقِ النَّوَى بَعْدَ هَذِهِ مَرَّاثَرٌ إِنْ جَاذَبَتْهَا لَمْ تَقْطَعْ

« رَجَعَ » هَذَا مُعَدَّى ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى رَدٍّ . يُقَالُ : رَجَعْتُهُ رَجْعًا فَرَجَعَ
رُجُوعًا . وَ« صَيْفًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ قَوْلِهِ « تَرَجَّعُ » . وَكَانَ الْوَاجِبُ
أَنْ يَقُولَ : صَيْفًا وَمَرْبَعًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي ، أَوْ يَقُولَ : بَذَى الْأَثْلَ صَيْفِي
وَمَرْبَعِي ، أَيْ أَيَّامًا كَأَيَّامِهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَلْتَبَسِ الْمُرَادُ قَالَ : صَيْفًا مِثْلَ صَيْفِي
وَمَرْبَعِي .

(١) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ . الْخَزَانَةُ (٣٤ : ٥٣) .

(٢) صَدْرُهُ : * وَخَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بِخَيْلَ *

وقوله «أشدَّ بأعناق النّوى» أشد في موضع الجزم ، لأنه جواب الشرط .
ولك أن تضمّ الدالّ منه إتباعاً للضمّة الضمة ، وأن تكسرهما لالتقاء الساكنين .
وأن تفتحها ، لأنّ الفتحه أخفّ الحركات . والمعنى إن ردّت الأيام الدائرة بيني
وبينها ربيعاً مثل مرهبي ، وصيفاً مثل مصيفي . استظاهرةت على النّوى بأن
أوثق أواخيها ، وأسرّ حبّالها التي أربطها بها ، حتى إن جاذبتها فأومئتك فلم
تقطع . وهذا مثل . والمراد أنني أحكم أسباب التألف والتجشع بما يؤمن معه
تعقب الآراء بالمزايلة والافتراق .

٥٧٧

وقال كلثوم بن صعب^(١) :

- ١ - دعا داعياً بيني فمن كان باكياً ممي من فراق الحى فليأتني غداً
 - ٢ - فليت غداً يومٍ سواه وما بقي من الدهر ليل يحبس الناس سرمداً^(٢)
 - ٣ - لتبتك غرائيق الشباب فإنني إخال غداً من فرقة الحى مؤعداً
- كان شعبها متجاورين في النّجعة ، فلما تقضى أيامها وهما بالانصراف إلى
المزالف^(٣) وجوانب القرى ، دعا داعي الفراق في كل شعب منهما ، وبعثوا
على التّهيؤ ، لذلك تبي فقال : داعياً بيني . وقوله « فمن كان باكياً »
يريد : فمن آلمه ما أحسّ به من النّوى ، وأزعجه ما عزم عليه من شقّ عصا

(١) قال المرزبانى في معجمه ٣٥١ : « ذكره أبو تمام في حماسه ولم ينسبه » . ثم
أنشد هذه الأبيات بهذه الرواية . وضبط « بقى » بفتح القاف يشير إلى أنه طائى . ولأبى تمام
ولوع بالاختيار للطائين .

(٢) ضبطت « بقى » فى ل بفتح القاف وكسرهما ، مقرونة بكلمة « معاً » ، إشارة
إلى الروايتين .

(٣) المزالف : البلاد التي بين البر والريف .

الهوى ، وأراد إسعادى على البكاء فليحضرنى غداً ، فإنه اليوم الموعود ،
والشهد المشهود .

وقوله « فليت غداً يومٌ سواه وما بقى » ، يقول : بوذى أن يكون بدل
يوم غدٍ يوم آخر غيره ، تفادياً مما يجرى ويحدث ، وليت بدل الليلة الحائلة بيننا
وبين غدٍ ما بقى من الدهر كله ، فخبس الناس عن التزائل والافتراق دائماً .
« وما بقى » لغة طيئ ، كأنهم فرثوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ،
فانقلبت الياء ألفاً .

وقوله « لتبتك غرائيق الشباب » فالغرائيق جمع ، واحدها غرائق . وقال
الخليل : يقال : شبابٌ غرائق . وأنشد :

ألا إن تطلاب الصبا منك زلةً وقد فات ريعان الشباب الغرائق^(١)
وقال أيضاً : الغرئوق : الشاب الأبيض الجميل ، والجمع غرائيق . ومراد
الشاعر : لتبتك من استصلح للصبا من الشبان وأرباب الهوى ، [فإن غداً فيما
أظن أو أتيقن يومٌ مواعدة الحى بالزَّيْل]^(٢) . وانتصب سرمداً على الظروف ،
ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : حبساً سرمداً .

٥٧٨

وقال زياد بن حمل^(٣) ، وقيل زياد بن منقذ :

١ - حَبِّدَا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ وَلَا شَعُوبُ هَوَى مِثِّي وَلَا نَعْمُ

(١) رواه الأزهري : « ألا إن تطلابي لمثلك زلة » . اللسان (غرنق) .

(٢) ل : « لتبتك كل مستصلح للصبا » ، وتبتك بالثناء فيهما .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزي . « زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث » ، وفي اللالي ٧٠ :

« أحد بنى العلوية ، وهم من بنى تميم » . وقد اضطرب الرواة في نسبة هذه الأبيات وفي نسبة
من تنسب إليه الأبيات أيضاً . انظر حواشى ضبط اللالي والأغاني (٩ : ١٥٤) وزهر
الأدب (٤ : ١٩٥) ومعجم البلدان (أثى ، الأميلج ، صنعاء) .

٣ - «وَأَنْ أَحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بِلَدًا حَلَّتْ بِهِ قَدُمُ صَنْعَاءَ : مَدِينَةُ الْيَمَنِ . وَشَعُوبٌ وَنَقَمٌ : مَوْضِعَانِ بِالْيَمَنِ . وَعَنَسٌ وَقَدُمٌ : حَتَّانٌ مِنَ الْيَمَنِ . وَقَوْلُهُ « لَا حَبْدًا أَنْتِ » ذَا أُشِيرَ بِهِ إِلَى لَفْظَةِ الشَّيْءِ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَا مَحْبُوبَ فِي الْأَشْيَاءِ أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَيْنِ الْبِلَادِ ، وَكَأَنَّكَ لَسْتَ بِمَحْبُوبٍ إِلَيَّ ، فَكَذَلِكَ شَعُوبٌ وَنَقَمٌ لَيْسَا بِهَوَى مَنِّي ، أَيْ لَا أَهْوَاهَا وَلَا أَحْنُ لِيَهْمَا . وَقَوْلُهُ « وَلَنْ أَحِبَّ بِلَادًا » يَرِيدُ : وَلَنْ أَحِبَّ أَيْضًا مَنَازِلَ هَذَيْنِ الْحَتَيْنِ . كَأَنَّهُ كَرِهَ الْمَوَاضِعَ بِأَهْلِهَا فَاجْتَوَاهَا وَذَمَّهَا . وَقَوْلُهُ « بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا » خَمَّ إِلَى لَفْظَةِ بِلَادٍ مِنَ الصَّفَةِ مَا يَخْصُصُهَا .

وقوله « حَبْدًا » حَبٌّ فِعْلٌ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ حَبَبٌ ، وَذَا أُشِيرَ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْمَذْكَرُ وَالْمَوْثَقُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ : حَبْدًا زَيْدٌ ، وَحَبْدًا هَذَا ؛ لِأَنَّ لَفْظَةَ الشَّيْءِ يَشْمَلُ الْمَذْكَرَ وَالْمَوْثَقَ ، وَالْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ . فَهُوَ كـ « مَا » ، وَضِعَ لِلْجِنْسِ .

٣ - إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضُ طَرْمُ لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ بِاشْتِقَا بَقَاءِ الْمَدْعُودِ لَهُ عَلَى نَضَارَتِهِ ، وَالزِّيَادَةِ فِي طَرَاوَتِهِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْأَيَّامِ بِهِ سَالِمًا ، تَمَّا يُوْثِرُ فِي غُنْفَوَانِ حُسْنِهِ ، أَوْ يَغَيِّرُ رَوْنَقَ مَائِهِ ، جَعَلَ عِنْدَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَذْمُومِ عِنْدَهُ الشُّقْيَا بِالنَّارِ ، لِكَوْنِ النَّارِ ضِدًّا لِلْمَاءِ وَمِمَّا لَمَّا يُحْيِيهِ . فَيَقُولُ : إِذَا أَطَالَ اللَّهُ جَدَّهُ تَنْعِيمَ أَرْضٍ بِمَا يُقِيمُ مِنْ خِصْبِهَا ، وَيُدِيمُ مِنْ رَفَاعَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا ، بِنَائِي الْأَمْطَارِ عَلَيْهَا ، وَتَبْكِيْرِ الْغَوَادِيِ نَحْوَهَا ، فَلَا سَنِي هَذِهِ الدِّيَارِ إِلَّا نَارًا يَهَيِّجُ ضِرَامُهَا ، وَيُوجِّعُ لَهْبُهَا وَسُعَارُهَا ، لَتُبِيدَ خَيْرُهَا ، وَتُفَيْتَ حُسْنُهَا وَزَهْرَتُهَا . وَقَوْلُهُ « تَضُطْرْمُ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلنَّارِ .

٤ - وَحَبْدًا حِينَ تُمَسِّي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشْيٍ وَفَتَيَانٌ بِهِ هُضْمٌ
٥ - الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَمُوا

٦ - وَالْمُطِئُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ وَبَاكَرَ الْحَيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرْمُ
قوله « وَحَبَّذَا حِينَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً » ، جَمَلٌ مَا نَفَاهُ مِنَ الْحَبِّ وَالْحَدِّ
عَمَّا قَدَّمَ ذِكْرَهُ مِنَ الْبُلْدَانِ ثَابِتًا لَوَادِي أَشْيَى وَأَهْلِهِ ، وَبَنَى عَلَى أَهْمِهِ فِي أَوَانِ
الْجُدْبِ وَالْفَحْطِ يُشْرِ كَوْنِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَشِيرَةِ فِي خَيْرِهِمْ ، وَبَسَنَفِدُونَ الْأُمُورَ
الَّتِي يُقْنَفَسُ فِيهَا فِيمَا يَجْلِبُ الْحَدَّ ، وَيُيَبِّ النَّشْرَ ، إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ بَارِدَةً ،
وَاقْشَعَرَّتِ الْبِلَادُ هَامِدَةً ، حَتَّى بِصِيرَ وَسُوءُهُمْ مَبْذُولًا لَهُمْ يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ إِذَا جَرَّ
غَيْرُهُمُ الْجَرَائِرَ عَلَى عَشِيرَتِهِ ، وَذَوَى لُحْمِهِ ، ثُمَّ مَنْ اكْتَسَبَ جَرِيمَةً مِنْهُمْ
تَكَفَّلُوا بِاسْتِنْقَازِهِ مِنْهَا ، وَأَفَادُوا ظِلَّ الْحِمَاةِ وَالصِّيَانَةَ عَلَيْهِ فِيهَا .

وقوله « وَالْمُطِئُونَ » حذف مفعوله ، وإِنَّمَا بِصِفَتِهِمْ بِأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ الْقِرَى
لِلأَضْيَافِ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شِمَالًا ، وَغَادَى الْحَيَّ السَّحَابُ الْبَارِدَةُ طَوَائِفَ وَفِرْقًا .
وقوله « هُضُمَ » جمع هَضُومَ ، وَهُوَ الْمِنْفَاقُ فِي الشِّتَاءِ . وقوله « هَبَّتْ شَامِيَّةٌ »
انتصب على الحال . وقوله « الْوَاسِعُونَ » مأخوذ من الْوُسْعِ وَهُوَ الطَّاقَةُ ، وَيَقُلُ :
لَا يَسْمُكَ كَذَا ، أَيْ لَسْتُ مِنْهُ فِي سَعَةٍ . وَالصَّرْمُ ، أَصْلُهُ فِي أَقْطَاعِ الْإِبِلِ ،
فَاسْتَعَارَهُ .

٧ - وَشَتْوَةٌ فَلَّلُوا أُنْيَابَ لَزَبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أُنْيَابُهَا الْأَزْمُ
٨ - حَتَّى انْجَلَى حَدَّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمْ بَنَجْوَةٌ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُقْتَصِمٌ
فَلَّلُوا : كَسَرُوا . وَاللَّزَبَةُ : السَّيِّئَةُ الْمُجْدِبَةُ ، وَجَعَلَ الْأُنْيَابَ مَثَلًا لَشِدَائِهَا .
وَالْكُلُوحُ : بُدْوُ الْأَسْنَانِ عِنْدَ الْعُبُوسِ . وَالْأَزْمُ : جَمْعُ أَرْوَمٍ ، وَهِيَ الْعَوَاضُ ،
وَقَوْلُهُ « وَجَارُهُمْ بَنَجْوَةٌ » أَيْ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ . وَالنَّجْوَةُ : الْمُرْتَفَعَةُ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَبْلُغُهَا
السَّيْلُ ، فَضَرَبَهُ مَثَلًا لِلْأَذَى الَّذِي أَوْوَا إِلَيْهِ فِي فِتْنَتِهِمْ حِذَارًا مِنَ الشَّرِّ ، فَيَقُولُ :
رُبَّ شَتْوَةٍ دَفَعُوا أَذَاهَا وَمَعْرِفَتَهَا عَنِ الْعَشِيرَةِ أَشَدَّ مَا كَانَتْ ، بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ

إصلاح أمورهم ، وإزالة ضررها عنهم ، إلى أن انكشفَ حَدها عنهم ، وجارهم معْتَصِمٌ فيهم بأحى مكانٍ ، وأمنع عِزٍّ ومَلَادٍ .

٩ - ثُمَّ الْبُحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ بُهْمٌ

١٠ - وَهُمْ إِذَا الْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ

انتصب « عطاء » على التمييز ، ويجوز أن يكون مفعولاً له . وارتفع

« بُهْمٌ » بالابتداء ، وخبره في اللقاء ، ومفعول تَلَقَّى محذوف ، كأنه قال : إذا

تَلَقَّى بِهِمُ الْأَعْدَاءُ . والْبُهْمُ : جمعُ بُهْمَةٍ ، وهو الشَّجاع الذي لا يُدْرَى كيف

يُؤْتَى لَهُ ، لاستبْهَامِ شَأْنِهِ وتَناهَى شَجَاعَتِهِ . والمعنى : هم الْبُحُورُ إذا اجْتَدَاهُم

الْاجْتِدَى ، لكثرة عطائهم ، أى لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُمْ عَلَى كَثَرَةِ الْاجْتِدَاءِ ، كَمَا

لَا يَنْفَدُ مَاءُ الْبَحْرِ عَلَى كَثَرَةِ الْوَرَادِ ، وَهُمْ بُهْمٌ فِي اللَّقَاءِ إِذَا لَقِيتَ بِهِمُ الْأَعْدَاءُ ،

وَإِذَا رَكِبَ الْفُرْسَانُ الْخَيْلَ وَتَبَتُوا فِي كَوَائِبِهَا - وَالْكَائِبَةُ : قُدَّامُ الْمَنْسِجِ مِنْهَا -

فُقِرَ سَانِهَا لِالثَّامِ ضَمَافٌ صَفَارُ الْأَجْسَامِ ، وَلَا مَاتِلُونَ عَنْ وَجْهِ الْأَعْدَاءِ . وَالْمِيلُ :

جمع أَمِيلٍ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْرِضُ عَنْ وَجْهِ الْكَتِيبَةِ عِنْدَ الطَّعَانِ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي

لَا يَثْبُتُ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ . وَيُقَالُ : حَالَ فِي ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، إِذَا رَكَبَهَا . وَارْتَفَعَ

مِيلٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْطُوقًا عَلَى فَوَارِسِ الْخَيْلِ . وَيجوز أن يكون خبر مبتدأ

محذوف ، كأنه قال : لَأَنْهُمْ مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي فَوَارِسَ وَشَذُوذِهِ ^(١) .

١١ - لَمْ أَلْقَ بِمَدِّهِمْ حَيًّا فَأَخْبِرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

١٢ - كَمْ فِيهِمْ مِنْ قَتَى حُلُوِّ شِمَائِلُهُ جَمَّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخْمَدَ الْبَرَمَ ^(١)

يقول : لَمْ أَخَالِطْ بَعْدَ فِرَاقِي لَهُمْ حَيًّا مِنَ الْأَحْيَاءِ نَخَبَرْتُهُمْ إِلَّا وَازْدَادُوا فِي

عَيْنِي وَرَجَّحُوا ، إِذَا قَسَتْهُمْ بَنَ سَوَامٍ فِي قِيَاسِي وَنَظْرِي ، كَالْآلَةِ وَتَنَاهَى رِيَاسَةِ

وتوفراً على من يفتابهم من مُتَجَرِّمٍ بِذِمَّةٍ^(١)، أو مُدِلٍّ بِقِرَابَةٍ. وارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل لأنه كان الوجه أن يقول: إلا يزيدونهم حُبًّا إلى. وهذا كما يُوضع الظاهر موضع المضمَر والمضمر موضع الظاهر إذا أُمنِ الالتباس. وانتصب «فأخبرهم» لأنه جواب النفي بالفاء، والعامل أن مضمره بين الفاء والفعل.

وقوله «كم فيهم من فتى حلوا شمائله» فكلم للتكثير، وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى. ومعنى «جَمَّ الرَّمَادِ» أى كثير الأضياف، لأن الرماد إنما يكثر بحسب اتساع ضيافته، وكثرة غاشيته. والبرم: الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر، ومفعول أخذ محذوف، والراد ما أخذ البرم النار ليخله ولشدة الزمان ونكدته. فجعل الفتى حلوا الشمائل، وهى الطبائع؛ لأن الضيافة إنما تكثر وتشرّف بحسن خلق المضيف وخفته فى الخدمة، وملاطفته لضيوفه، وتحفيه وبرّه بهم.

١٣ - تُحِبُّ زَوَاجَاتُ أَقْوَامٍ حَلَالُهُ إِذَا الْأَنْفُ امْتَرَى مَكْنُونَهَا الشَّيْءَ وَصَفَ النِّسَاءَ مِنْهُمْ بِحُسْنِ التَّوَفُّرِ عَلَى أَشْبَاهِنَ، وَكُلَّ التَّفَقُّدِ بِمَا يُهْدِيَنِ إِلَيْهِنَّ إِذَا قَلَّتِ الْهَدَايَا وَاشْتَدَّ الزَّمَانُ، وَبَلَغَ الْبَرْدُ حَدًّا يَسْتَخْرِجُ مَكْنُونِ الْأَنْفِ مِنَ الرِّعَامِ^(٢) فَيَقُولُ: زَوَاجَاتُ الْأَبْرَامِ وَمِنْ بِشْبِهِمْ مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ، أَوِ الْمَقْنَعِينَ مِنَ الْمَيْسَرِ، يُخَيِّنُ أَزْوَاجَ هَوْلَاءِ الْفَتَيَانِ إِذَا أُتْحَلَ الزَّمَانُ وَاشْتَدَّ الْقَحْطُ وَالْجَذْبُ، لِحُسْنِ تَعْمُقِهِنَّ عَلَيْهِنَ، وَصَرَفِ الْعَنَابَةِ وَجَمِيلِ التَّفَقُّدِ إِلَيْهِنَّ. وَامْتَرَى: اسْتَخْرَجَ. وَالشَّيْءَ: الْبَرْدَ. وَأَرَادَ بِالْمَكْنُونِ الْمُخَاطَ. وَالْحَلَالُ: النِّسَاءَ الْمَتَزَوِّجَاتِ

(١) فى النسختين: «يخدمه»، وليس بشئ.

(٢) الرِّعَامُ، بِالضَّمِّ: الْخَطَا. وَفِي النِّسَخَتَيْنِ: «الرِّعَالُ»، تَحْرِيفٌ.

مُتَمِّينَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحَالُّ أَزْوَاجُهَا ، أَى تَنْزِلُ مَعَهَا ؛ وَالوَاحِدَةُ حَلِيلَةٌ وَفَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مُفَاعَلَةٍ ، كَقَعِيلَةٍ ، وَجَالِسَةٍ .

١٤ - تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَكَ تَتَّبِعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَزْمٌ

١٥ - كَانَ أَصْحَابَهُ بِالْفَقْرِ يَمْطَرُهُمْ مِنْ مُسْتَحْجِرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيمٌ

الأرامل : جمع الأرملة والأرملة ، لأنه يقع الذكر والأنثى ، وهم الذين قد انقطع زادهم وضاقت الأحوال بهم . والهلاك ، هم الفقراء الذين أشرفوا على الهلاك ، وإنما قال « تتبعه » لأنهم كانوا يتبعون بظله ، ويعيشون في أفئنته من خير . وقوله « يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ » مَثَلٌ لِمَا كَانَ يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ وَيَجْرَى وَيَدُومُ ، مِنْ إِحْسَانِهِ لَهُمْ ، لِأَنَّ الْحَيَا بُحَيَّ الْأَرْضَ ، كَأَنَّهُ مَعْرُوفٌ هَؤُلَاءِ كَانَ يَحْيِيهِمْ . وَالرَّزْمُ : السَّائِلُ . وَمَعْنَى : يَسْتَنُّ يَنْصَبُ . سَنَنْتُ الْمَاءَ وَأَسْنَفْتُهُ بِمَعْنَى . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ .

وقوله « كَانَ أَصْحَابَهُ بِالْفَقْرِ يَمْطَرُهُمْ » يريد أنهم في دُورهم وَحَلَّاهُمْ ذَلِكَ فَعَلَّاهُمْ مَعَ عَشِيرَتِهِمْ ، وَمَعَ رُؤَادِهِمْ وَمُؤَمِّلِيهِمْ ، فَإِذَا سَافَرُوا تَرَى الصَّحَابَةَ فِي الْمَسْكَنِ انْخَالِي يَمْطَرُهُمْ مِنْ نَوَالِهِ مَا يَجْرَى تَجْرَى الصَّوْبِ مِنْ سَحَابٍ مُتَعَبِّرٍ مَمْتَلًى مَاءً ، غَزِيرٍ النَّوَى ، دَائِمٍ السَّيْلِ . وَالْدَّيْمُ : جَمْعُ دَيْمَةٍ ، وَهِيَ الْمَطَرُ يَدُومُ بِسُكُونٍ ، وَالْمُسْتَحْجِرُ وَالْمُتَحَجِّرُ . بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَهَذَا التَّحْجِيرُ إِنَّمَا هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْإِمْتِلَاءِ . وَيُقَالُ : اسْتَحَارَ شَبَابُهُ .

١٦ - غَمْرُ النَّدَى لَا يَبِيتُ الْحَقُّ بِشُمْدُهُ إِلَّا غَدَاً وَهُوَ سَاحِي الطَّرْفِ يَبْتَسِمُ

١٧ - إِلَى الْمَسْكَارِمِ يَبْذِيهَا وَيَعْمُرُهَا حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا دُنَهَا قَمَمٌ

القمر : الواسع العطاء . وَمَعْنَى يَشْمُدُهُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْنِيَ مَا عِنْدَهُ . وَالْمَاءُ الْمَشْمُودُ : الْمَزْدَحْمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزُرَ نَزْفًا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ سَاحِي الطَّرْفِ » ،

أى لا يكسبه امتدادُ العطاءِ مده ، ودوامُ الإحسان ، غضاضةً طَرْفٍ وانكسارِ نشاطٍ ، بل يُرى بعَقِبِهِ صَحُوكا على النظر . وقوله : « لا يبيتُ الحقُّ يشمده - إلا غداً » ، يشتملُ على معنى الشرط والجزاء ، أى كلما باتَ الحقُّ يشمده ما عنده - غدا ساجي الطرف مبتسما .

وقوله « يَبْنِيها وبَعمرها » فى موضع الحال ، أى بانياً عامراً . وقوله « إلى المكارم » اتَّصل « إلى » بقوله « إلا غداً » . والقَحْم : الشدائد ، واحداً منها قُحْمَةٌ ، والمعنى أنه بذال سَخِيٌّ جُرمُ المعروف ، لا يبيت تورُّدُ الحقوقي نحوه - يستغرق ما له إلا ابتكارَ وهو ضحَّاكٌ على النظر إلى ابتداء المكارم ، جريباً على العادة وإلناً لها ، وهو بعمرها ويصلُ جوانبها بأمثالها حتى يُصِيبَ أموراً تحُولُ بينها وبين من يريد^(١) نيلها والوصولَ إليها شدائدٌ وتكاليف . وقَحْمُ الطَّرِيق : ما صَمَبَ منها ، وفى الحديث : « إنَّ للخصومة قُحْمًا » ، أى يتمخضُ على المهلك .

- ١٨ - تَشَقَّى بِدِ كُلِّ مِرْبَاجٍ مُودَعَةٌ عَرَفَاءَ يَشْتَوِ عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمٌ
١٩ - تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْرِى مُكَلَّلَةً قُدَّامَهُ زَانَهَا النَّشْرِيفُ وَالْكَارْمُ
٢٠ - يَنْوُهَا النَّاسُ أَفْوَاجاً إِذَا نَهَلُوا عُلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعْمُ
- المِرْبَاج : النِّاقَةُ التى من شأنها أن تضع ولدها فى الرِّبْع ، وهى المحمود من النَّتَاج ، ولذلك قال :

* أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيَّونَ^(٢) *

ومِرْبَاج : بناءُ المبالغة . والمودعة : المكرومة الموفرة على التنازل لا تعمل

(١) فى الأصل : « يربك » ، صوابه فى ل .

(٢) لأكرم بن صفي ، أو سعد بن مالك بن ضبيعة ، اللسان (صيف) .

وَلَا تُحْمَلُ. وَالْعَرَفَاءُ: الَّتِي لِسِنِّهَا صَارَ لَهَا كَالْعُرْفِ. وَالتَّامِكُ: السَّيِّئُ الْمَشْرِيفُ. وَالسَّنِيمُ: الْعَالِي، وَيُقَالُ: بِعَيْرٍ سَنِيمٌ، أَيْ مَشْرِيفُ السَّنَامِ، وَالْمَعْنَى: كَتَبْتُ شَتْوَهَا سَمِيفَةً لَا يَغْيُرُهَا الْجَذْبُ وَالْقَحْطُ، وَإِنَّمَا قَالَ «تَشَقَّى بِهِ»، وَهُوَ يَرِيدُ «الْفَتَى لِأَنَّ الْمُرَادَ لَا يَنْحَرُّ مِنَ الْجُزُرِ إِلَّا مَا يُقْدَأُ فِيهِ مِثْلُ نَاقَةٍ هَذِهِ صِفَتُهَا.

وَقَوْلُهُ «تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مَكَلَّلَةً»، يَرِيدُ أَنَّ الْجِفَانَ الْمَعْدَّةَ لِلْأَضْيَافِ عَلَيْهَا كَالْأَكْلِيلِ مِنْ فِدَرِ اللَّحْمِ^(١)، وَقَدْ زَيَّنَهَا كَرَمٌ بَارِعٌ، وَتَشْرِيفٌ فَخْرٌ، وَهَذَا بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْأَطْفِ وَالْتَّائِسِ مَعَ الْأَضْيَافِ، وَمَنْ تَوَفَّرَ خِدْمَةُ الْخَلْدَمِ عَلَيْهِمْ، وَلَسْكَالُ بَهَاءِ الْمَجْلِسِ وَكَوْنُهُ مَشْحُونًا بِمَا يَرُوقُ وَيُعْجِبُ.

وَقَوْلُهُ «يَنْوُبُهَا» أَيْ يَنْتَابُونَهَا طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ، وَفَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَإِذَا تَفَاوَلُوا النَّهْلَ رَجَعُوا فَأَعْقَبُوهُ الْعَلَلُ، كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّعْمُ عِنْدَ وَرُودِهِ الْمَاءِ. وَانْتَصَبَ «أَفْوَاجًا» عَلَى الْحَالِ. وَالنَّعْمُ يَقَعُ عَلَى الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا الْإِبِلُ.

٢١- زَارَتْ رُؤَيْبَةَ شُغْمًا بَعْدَمَا هَجَمُوا لَدَى نَوَاحِلَ فِي أَرْسَافِهَا الْخَدَمَ

٢٢- وَقَتُ لِلزَّوْرِ مُرْتَاعًا وَأَرْقَنِي فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَّتْ أَمْ عَادَنِي حُلْمٌ^(٢)

٢٣- وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَالْمَشْيُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْقَرِيبِ وَمِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّأْمُ

يَصِفُ الْخَيَالَ فِيَقُولُ: زَارَتْ خَيَالُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ قَوْمًا غَيْرًا، أَنْضَاءَ مَرْهَا^(٣)، بَعْدَ مَا نَامُوا عِنْدَ إِبِلِ ضَوَامِرٍ مَهَازِيلَ، شُدَّتْ فِي أَرْسَافِهَا مَيُورُ الْقِدَّةِ، لَشِدَّةِ سِيرِهَا وَتَأْثِيرِ السَّكَلَالِ فِيهَا، فَقَمْتُ مِنْ مَضْجَعِي لِلطَّيْفِ الزَّائِرِ خَائِفًا، وَطَارَ الْفُؤْمُ عَنِّي، وَأَخَذَنِي الْقَلَقُ، وَوَسَّوَسَ الْنَفْسُ وَالزَّمْعُ، فَمَيَّلْتُ الْفِكْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ

(١) الْفَدْرُ، بِالْفَاءِ: جَمْعُ فَدْرَةٍ، بِالْكَسْرِ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمُجْتَمِعَةُ مِنَ اللَّحْمِ. وَفِي

الْنَّسَخَتَيْنِ: «قَدْرُ اللَّحْمِ»، تَحْرِيفٌ. (٢) التَّبْرِيْزِيُّ: «فَارَقَنِي».

(٣) جَمْعُ أَمْرِهِ وَمَرْهَاءٍ، وَهُوَ مِنْ فَسَدَتْ عَيْنُهُ لَتَرَكَ الْكُجْلَ.

فَأَخَذَهَا زيارَتُهَا بِنَفْسِهَا ، وَالنَّانِي حُلْمٌ نَأْتِمُ اعْتَادَنِي فَأَرَانِيهَا ، وَصِرْتُ أَرَا جِئُ
نَفْسِي وَأَقُولُ : كَيْفَ يَجُوزُ مَجِيئُهَا ، وَكَفْتُ أَعْمَدُهَا وَقَطَعُ الْمَسَافَةَ الْقَرِيبَةَ كَانَتْ
تَتَكَلَّفُهُ بِشَقِّ النَّفْسِ ، وَتَحْمِلُ الثَّقْلَ وَالْكَدَّ . هَذَا وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا اللَّالُ مَا
يُتَعَبُ وَإِنْ خَفَّ ، وَطَلَبُ الرَّاحَةِ بِالنَّوْمِ لَيْسِيرِ الْخُطْبِ مِنْهَا بِيَالٍ وَلَوْ قَلَّ .
« وَانْتَصَبَ » مَرْتَاعًا « عَلَى الْحَالِ .

وقوله « أُمُّ عَادَنِي حُلْمٌ » أُمُّ هَذِهِ هِيَ الْمَعَادِلَةُ ، وَالْمَعْنَى أَيْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ
كَانَ . وَقَوْلُهُ « أَهْيَ سَرَتْ » أَسْكَنَ الْهَاءُ مِنْ هِيَ مَعَ أَلِفِ الْاسْتِفْهَامِ ، لِأَنَّهُ
أَجْرَاهَا تَجْرَى وَارِ الْعُطْفَ وَقَائِهِ ، فَكَمَا يَسْكُنُ مَعَهَا لِأَنَّهُ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا وَلَا
تَسْتَقِلُّ كَذَلِكَ أَشْكِنُ مَعَ الْأَلِفِ . وَمَعْنَى يَبْنِئُهَا : يَنْفَعِلُ عَلَيْهَا وَيَشُقُّ .

وقوله : وَاللَّشَى يَبْنِئُهَا « خَبِرَ كَانَ فِيهِ . وَقَوْلُهُ : « وَكَانَ عَهْدِي بِهَا »
الْوَاوُ وَارِ الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ أَهْيَ سَرَتْ .

٢٤ - وَبِالْتَّكَايِفِ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا وَمَا تَبْدُو لَهَا قَدَمٌ

٢٥ - سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا دُرٌّ مَرَّافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمٌّ

يقول : وَمِمَّا عَاهَدْتُهَا عَلَيْهِ أَنَّهَا كَانَتْ تَأْتِي بَيْتَ جَارَتِهَا قَضَاءَ لَذِمَامٍ ،

أَوْ أَدَاءَ لَوَاجِبِ حَقٍّ ، بَعْدَ الْجُحْدِ وَالشَّدَةِ ، وَمَدَاوِرَةِ النَّفْسِ عَلَى أَدْنَى الْكُلْفَةِ

وَاللَّشَقَةِ ، وَمَشِيئَتِهَا الْهُوَيْنَا ، أَيْ عَلَى رِفْقٍ لَا اسْتِعْجَالَ فِيهَا وَلَا تَهَافُتَ ،

وَلَا تَقَافِزُ فِي أَعْضَائِهَا وَلَا تَتَابِعُ ، وَلِذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ سَحْبٌ وَجَرٌّ ، فَقَدَمُهَا

لَا تَبْدُو ، وَوَقَارُهَا اللَّتَسُّبُّ مِنْ كِبَرِهَا وَنَجْبِهَا لَا يَهْفُو . وَالْهُوَيْنَا : تَصْغِيرُ الْهُوَيْنَى

وَالْهُوَيْنَى : تَأْنِيثُ الْأَهْوَنِ ، وَمَوْضِعُهَا مِنَ الْإِعْرَابِ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَقَوْلُهُ

« تَمْشِي الْهُوَيْنَا » فِي ضَمِّهِ مَا يُوصَفُ بِهِ مِثْلُهَا مِنَ التَّرَفَةِ وَفَرَطِ الْحَيَاءِ ، كَمَا قَالَ :

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتُكَ تَبَلَّتْ^(١)

(١) البيت للشنفرى الأزدى فى المفضليات ١٠٩ .

مُسْتَوْتَن هَوَاهَا وَمَقَرَّ حَبَّهَ لَهَا اِسْرَاةٌ غَانِيَةٌ ، فَتَضَاقِقُ عَنْهَا حَاَهَا . ثُمَّ ثَنَّى الْبَيْنَ تَوْكِيدًا فَقَالَ : لَا وَاللّٰهِ الَّذِي اَصْبَحْتَ لَهُ عِنْدِي نَعَمْ مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَاجِبَةٌ لِلْأَمْرِ كَمَا قُلْتَ ، فَحُذِفَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ .

وقوله « لَمْ يُنْسَى ذِكْرُكُمْ » يُجَابُ الْبَيْنَ مِنْ حُرُوفِ النَّفْيِ بِمَا ، وَلَكِنَّهُ اضْطُرُّ فَوْضَعُ لَمْ يُنْسَى مَوْضِعَ مَا أَنْسَانِي . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَنْفَرِدَ الْقَسَمُ الْأَوَّلُ بِهِ جَوَابًا ، وَيَكُونُ جَوَابُ الْقَسَمِ الثَّانِي : وَلَمْ تَشَارَكَكَ ^(١) عِنْدِي ، لِأَنَّهُ خَبِرُ ثَانٍ ، فَقَدَّمَ الْقَسَمَ لَهُ عَلَى الْقَسَمِ بِهِ ، كَمَا تَقُولُ : مَا فَعَلْتَهُ وَاللّٰهُ .

٢٩- مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشَّقَرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَحٍ لَحْمُهَا زَيْمٌ
٣٠- وَالْوَشْمَ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا وَقَابَلَهَا مِنْ الشَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلِهَا بَرَمٌ ^(٢)

قوله « مَتَى أَمْرٌ » اسْتِعْبَادٌ وَاسْتَعْجَالٌ بِمَا يَتِمَّنَاهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي ذَكَرَهَا . وَرَاوَهُ بِمَعْضَمِ « حَتَّى أَمْرٌ » ، وَيَتَعَلَّقُ حَتَّى بِقَوْلِهِ « لَا وَالَّذِي أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ نَعَمْ » أَيْ حَصَلَتْ لَهُ نَعَمْ عِنْدِي كَيَ أَمْرٌ ، لِأَنَّهُ لِحَقِّهِ مَوْضِعَيْنِ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُمَا مَنْصُوبٌ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى لِأَنَّهُ وَكَيْ ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ ، تَقُولُ : جِئْتُكَ حَتَّى تُكْرِمَنِي ، وَلِلْمَعْنَى لِأَنَّهُ تُكْرِمَنِي ، وَكَيْ تُكْرِمَنِي . وَتَقُولُ : اِنْتَظَرْ حَتَّى تَخْرُجَ ، وَلِلْمَعْنَى إِلَى أَنْ تَخْرُجَ . وَالشَّقَرَاءُ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَعْنِي فَرَسَهُ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشَّقَرَاءُ وَالْمَرْوَحُ فَرَسًا وَاحِدًا . وَالْبَاءُ مِنْ « بِمَرْوَحٍ » ، يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ مُعْتَسِفًا ، وَعَلَى الشَّقَرَاءِ بِأَمْرٌ ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ رَاكِبًا الشَّقَرَاءُ . وَانْتَصَبَ مُعْتَسِفًا عَلَى الْحَالِ . وَالْاِعْتِسَافُ : الْأَخْذُ

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَشَارَكَكَ » .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « خَرَجَتْ مِنْهُ » . وَالْوَشْمُ ضَبَطَتْ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكُسْرِهِ مَصْحُوبَةٌ بِكَلِمَةِ « مَاءً » .

على غير هداية ولا دراية . ويقال : فلان يتعسف الناس ، أى يأخذهم بغير الحق . والخل : الطريق في الرمل . والنقا : الرمل . والروح : النسيط . ومعنى زيم : متفرق . ووثم وبرم : موضعان . والثنايا : العقاب . ويروى : « من العقاب التي لم أفلها ثرم » ، وهي جمع ثرمة ، وهي صدع يكون في الثنية . ومنه قولهم : فلان أثرم ، إذا سقط بعض ثناياه فصارت بينهما فرجة . ولم أفلها : لم أبغضها . وقد قيل في الشعراء : إنه موضع أوهضة . وانعطف « الوشم » عليه ، وبروح حينئذ يتعلق الباء منه بحتى أمر . وعلى الوجه الأول تنصب الوشم وتعطف على خل النقا .

- ٣١- ياليت شعري عن جنبى مكشحة وحيث يبنى من الحفأة الأطم^(١)
 ٣٢- عن الأشاء هل زالت مخارمها وهل تغير من آرامها إرم
 ٣٣- وجنة ما يذم الدهر حاضرها جبارها بالندى والحمل مخزّم

قوله « ياليت شعري » يحرف النداء ، والمنادى محذوف . وهذا الكلام تحشرفي إثر ما فاتته من أمر الأرضين المذكورة . وشعري اسم ليت ، وخبره محذوف لا يظهر البتة ، ومفعولا شعري قوله « هل زالت مخارمها » .

وقوله « عن جنبى مكشحة » بيان ما تمنى عليه ، وفى أى جانب هو . ويروى : « عن جزعى مكشحة وحوث » . والجزع : جانب الوادى . ومكشحة : أرض . وحوث لغة فى حيث ، لأن فيه أربع لغات : حيث ، وحيث ، وحوث ، وحوث . فالضم تشبيها له بالغايات قبل وبعد ، والفتحة خلفته . والحناة : أرض . والأطم : الحصن وكل بناء مرتفع ، والجمع آطام . وقوله « عن الأشاء » ، فإن كان الأشاء موضعا وبعض ما يقع عليه

مكشحة فإنه بدلٌ من عن جنبٍ مكشحة ، وقد أُعيد حرفُ الجرِّ معه . وإن كان النخلة فإنه يجوز أن يريد بفتحها ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولا يمتنع أن يكون أراد : وعن الأشاء ، فحذف العاطف كما تقول : رأيت زيدا ، عمرا ، خالدا . وأنشدنا أبو علي الفارسي :

كيف أصبحت كيف أمست مما يزرع الحب في فؤاد الكريم^(١)
فيقول : ليت على كان واقعا بأحوال هذه المواضع ، وهل هي باقية على ما عهدتها من قبل ، أو هل تغيرت أعلامها وزالت تخاريمها . وإنما يدلُّ على حنينه إليها ، وتأشفه على البعد عنها .

وقوله « وجنة » يريد وعن جنة حاضرها يرزى عن الدهر ويحمده ، فلا ينسخط آياته ، ولا يذم عوارضه . والجبار من النخل : ما فات اليد طولاً .

وقوله « بالندی والحمل محتزم » تنبيهٌ على الخصب فيها ، وعلى غضارة عيش سكانها . والاحتزام كالالتفاف^(٢) ، ويروى « جبارها بالندی والخير » .

٣٤- فيها عقائل أمثال الدمي خرد لم يَفْذُهُنَّ شَقَا عَيْشٍ وَلَا يُتَمُّ^(٣)

٣٥- بنتابهن كرام ما يذمهم جار غريب ولا يؤذى لهم حشم

٣٦- محمدون ثقال في تجاليسهم وفي الرجال إذا صاحبهم خدام^(٤)

قوله « فيها » أي في الجنة . عقائل ، أي نساء كريمات ، كأنهن الصُور المنقوشة حسناً ، مفعات لم تمتسن فاقةً وفقر ، ولا جهذن بآيام أدبرت عنهن ،

(١) في باب العطف من شرح الأشموني للألفية : « ما يفرس الود » .

(٢) في النسخين : « كالالتفات » ، تحريف . وعند التبريزي : « والاحتزام » .

الالتفاف » .

(٣) ضبطت في التبريزي « يتم » بالتحريك ، وهي لغات ، يقال يتم بضم الياء وفتحها بالتحريك . القاموس ، واللسان . وتحريك التاء بالضم هنا للشعر .

(٤) يقتضى شرح التبريزي أن يضبط « خدام » بضمين . إذ قال : « خدم ، وهو

جمع خدوم ، ليقابل محمدون في المعنى ، لأن كل واحد منهما يدل على المبالغة » .

ولا شَقِينِ بِمَا كَدَّ عَيْشُهُنَّ ، ولا أَصْبَنَ بِمَوْتِ كَافِلِهِنَّ أَوْ قِيَمِهِنَّ ، عَفِيفَاتٌ ، حَيَّاتٌ ، لا يَعْرِفْنَ مَنَكِرَ الْأَخْلَاقِ ، ولا مَا يَشِينُ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَهِنَّ رَبَائِبُ النِّعَمِ ، وَغَرَائِرُ الزَّمَنِ ، وَمُدَلَّلَاتُ الْعِشَائِرِ وَالسَّكَنِ ^(١) .

وقوله : « يَنْتَابِهِنَّ كِرَامٌ » مَدَحَ الرَّجَالَ عَطْفًا عَلَى مَدَحِهِنَّ فَقَالَ : يَدْبِرُ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةُ رَجَالَ كِرَامٍ أَعِزَّاءَ ، بِحَمْدِهِمُ الْجَارَ الْغَرِيبَ ، لَوْفَاهُمْ لَهُ بِالْعَقْدِ ، وَحُسْنِ تَعَطُّفِهِمْ عَلَيْهِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالْجُهْدِ ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ الْخَلِيطُ النَّسِيبَ لِلْجَمَالِ عِشْرَتِهِمْ ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِمْ ، لَا كِبَرُ فِيهِمْ ، وَلَا تَرْفَعُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ تَرَى حَشَمَهُمْ يَسْأَلُهُمْ ^(٢) الدَّائِي وَالْقَاصِي ، لِعِزَّتِهِمْ وَحَقِيقَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ ، وَذَهَابِ صِيَّتِهِمْ ، وَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ فِي الْحَضَرِ رِزَانٌ سَادَةٌ يَخْدُمُهُمْ مَنْ يَغْشَاهُمْ ، وَفِي السَّفَرِ خِفافٌ لِطَافِ يُكْرَمُونَ الصَّحَابَةَ وَالْمُرَافِقَةَ ، وَيَخْدُمُونَ الْغَاشِيَةَ وَالْجَاوِرَةَ ، وَيَتَحَمَّلُونَ فِي أَحْوَالِهِمُ الْمَوْنَ الْمَحِيفَةَ ، وَفِي أُمُورِهِمُ النَّوْبَ الْمُثْقَلَةَ . وَالْحَشَمُ : خَدَمَ الرَّجُلُ وَمَنْ يَحْشُمُ لَهُ ، أَيْ يَفْضُضُ عِنْدَ النَّازِلَةِ ، وَيُدَافِعُ دُونَهُ لَطُرُوقِ الْكَائِفَةِ . وَقَوْلُهُ « يَنْتَابِهِنَّ » ، يُرْوَى : « يَأْتَابِهِنَّ » يَفْتَعِلُ مِنَ الْإِيَابِ .

٣٧- بَلْ آيَتْ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضِي جَرْدَاهُ سَابِجَةً أَوْ سَاحِخٌ قُدُمُ

٣٨- نَحْوُ الْأُمَيْلِجِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا بِفِتْيَةٍ فِيهِمُ الْمَرَارُ وَالْحَكَمُ ^(٣)

٣٩- لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ أَرْدِيَّةٌ إِلَّا جِيَادُ قَيْسِ النَّبْعِ وَاللَّجْمِ

بل : حَرْفٌ يَدْخُلُ لِلْإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لِلثَّانِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا صَرَفَ الْكَلَامَ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَشَغَلَهُ بغيرِهِ أَتَى بِبَلْ ، إِيْذَانًا بِذَلِكَ . فَيَقُولُ : لَيْتَ عَلَيَّ وَاقِعٌ بِمَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ ، وَهُوَ مَتَى ابْتَكُرَ مِنْ سَمْنَانَ نَحْوُ الْأُمَيْلِجِ - وَهِيَ

(١) السكن : كل ما سكنت إليه واطمأنت من أهل وغيره .

(٢) في الأصل : « يسألهم » ، صوابه في ل .

(٣) التبريزي ويقوت في معجم البلدان : « أو سمنان » .

موضعان - وتُمارضني في السير حِجْرٌ قصيرة الشعر، تسبح في عذوها، أو ذَكَرْتُ سابقٌ يسبق أصحابه ^(١) ويتقدمها من حيث جرى، ومعنى فتيان فيهم هذان المذكوران، ثم وصفت الفتيان بأنهم لا يهتمهم إلا الفروسيّة وركوب الخيل، وإعداد آلات الحرب، والصّيد والطرْد. وقوله «إلا جياد» رَفَعَهُ والوجه الجيد النّصب، لأنّه منقطعٌ ممّا قبله، لكنّ بني تميم يرفعون مثل هذا على البديل. وهذا يشبه بدل الغلط، لهذا ضُغِف في الإعراب.

والبيت يشبه قول لبيد:

* فُرْطُ وشاحي إذ غدوت إجماء ^(٢) *

وانتصب «مبتكرا» على الحال. وقسيّ مقلوب، وأصله قووس، ويروي: قياس النّبع ^(٣). والمرار قيل هو أخوه ^(٤). والحكم: ابن عمّه، كذا ذكره الأصمعيّ.

٤٠- من غير عذم ولكن من تبدّل لهم للصّيد حين يصيخ القانص اللحم
٤١- فيفزعون إلى جردٍ مسحّجة أفنى دوائرهنّ الرّكض والأكم ^(٥)

قوله «من غير عذم ولكن» تعلّق من بقوله «ليست عليهم إذا يغدون أردية». والمعنى أنّ إخلالهم بلبس الأردية واستسراهم والتأثّق فيها، لا فقرٍ وفاقة، لكن لولوعهم بالصّيد، وتبدّلهم له في الوقت الذي يستمتع الصّائد القرم.

(١) في الأصل: «صاحبه»، والصواب من ل.

(٢) صدره: * ولقد حيت الحى تحمل شكى *

(٣) والقياس: أحد جوع القوس، ويقال قوس وقسي وقسي - بضم القاف وكسرهما وأقواس، وقياس.

(٤) المرار العدوي شاعر إسلامي مشهور، كان معاصرا لجرير، وقد هاج الهجاء بينهما. وهو المرار بن منقذ بن عبد بن عمرو بن صدى بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم الحنظلي العدوي. انظر المفصليات ٧٢.

(٥) التبريزي: «إلى جرد مسومة».

إلى اللحم إلى أصحابه ، في اختيار مواضع الصيد ، وافترقاه لقلته . ويرى : « حين يُنادى السائف اللحم » . قال الأصمعي : يريد يرتدون بقسيهم ولجهم خيلهم إذا ابتكروا ، لا هم لهم غيره . والسائف : الذي يحوش الصيد على أصحابه ^(١) ، أي ينادى أصحابه باعثاً على الأخذ ، ومحدراً من القوت .

وقوله « فيفزعون إلى جريد مسحجة » أي يلتجئون إلى خيل قصيرة الشعر ، نشيطة ، قد سحج بعضها بعضاً بالعض والاستئنان . ويموز أن يريد أن العمل والكد سحجها ، ألا ترى أنه قال : أفنى ماخير حوافرهن ركض الفرسان لها ، واستحثاثهم إياها ، وتأثير الإكام في حوافرها ، لأن جزيها كان عليها . ويقال : أكمة وأكم ، وإكام وأكم .

٤٢- يضرخن صم الصفا في كل هاجرة كما تطايخ عن مرضاحه العجم ^(٢)
٤٣- يغدو أماتهم في كل مرابة طلاع أنجدة في كشيحه هضم ^(٣)
أصل الضرح الرمي . وإنما وصف الخيل بصلاية الحوافر ، وأنها تكسر ما تطؤه من صلاب الصفا إذا سارت في الهاجرة . ثم شبه مايتطير من حوافرها من الحصى بما يتطير من النوى عن مرضاحه . والمرضاح : الحجر الذي يكسر عليه النوى أوبه . ومعنى تطايخ : تطاير .

وقوله « يغدو أماتهم » يعني في التصيد . والمرابة : المحرسة . وقوله « طلاع أنجدة » جمع نجدي كفرخ وأفرخة ، ولا يمتنع أن يكون أنجدة جمع نجاد ، ونجاد جمع نجدي ، فيكون أنجدة جمع الجمع . ويقال : طلع الجبل ، إذا علاه . والهضم : انضمام الضلوع . يصف خفته وشهامته ، وابتذاله نفسه . في الصيد والفروسية .

(١) لم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى في المعاجم المتداولة .

(٢) التبريزي : « يرضخن » ، و « مرضاخه » .

(٣) يندو ، بالغين المعجمة ، كما في النسخين والتبريزي .

٥٧٩

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١) :

- ١- تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا فَتَسْفَعُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّابِرِ
- ٢- وَغُصَّةٌ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَقَّتْ حَزَازَةٌ حَرٍّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
العَبْرَةُ : الدِّمْعَةُ ، وقد استعبر ، أى جرى عَبْرَتُهُ ، ويقال : لَأَمَّهُ الْعُبْرُ ،
وأراه عُبرَ عَيْنِهِ ، أى سُخْنَةً عَيْنِهِ وما أَبْكَاهُ . فيقول : تَمَلَّيْ الْعَيْنَ دَمْعًا حَتَّى
تَتَضَاقُ جُفُونُهَا عَنْ احْتِسَابِهِ ، فَتَصُبُّهَا بَعْدَ تَجَلُّدٍ مِنْهَا فِي الْإِخْفَاءِ ، وَتَصْبِرُ عَلَى
مُدَافَعَةِ الْبُكَاءِ .

وقوله « وَغُصَّةٌ صَدْرٍ » يريدُ غَمَّةً اغْتَصَّ بِهَا الصَّدْرُ فَأَظْهَرَتْهَا ، بعد أن
كَانَتْ لَا تُسَوِّغُ بِنَفْسِ الضَّعْدَاءِ ، فَسَكَنْتَ تَقْطِيعَ لَوْعَةٍ تَمَكَّنَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
وَالصَّدْرِ . وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَذَى يُصِيبُهُ . وَالْجَوَانِحُ : الْأَضْلَاعُ
الْقَصِيرَةُ ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ . وَقَوْلُهُ : « رَفَّتْ » : وَسَقَتْ ؛ وَعَيْشٌ رَافَةٌ .

- ٣- أَلَا لِيَقُلَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُبْلِغُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ
- ٤- قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِ كَيْفَةَ فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ

أَلَا : افْتِتَاحُ كَلَامٍ . وَاللَّامُ مِنْ « لِيَقُلَ » لَامُ الْغَائِبِ ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي فِعْلِ
الْحَاضِرِ ، عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾^(٢) . وَقَوْلُهُ « مَا شَاءَ » أَرَادَ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَهُ ، فُحِذِفَ الْمَفْعُولُ ، وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ « مَنْ شَاءَ » مُحْذُوفُ الْمَفْعُولِ ، أَيْ مِنْ شَاءَ الْقَوْلُ ؛ فَإِنَّ اللَّامَ يَسْتَحِقُّهُ الْفَتَى .

(١) ذكره المرزباني في معجمه ٢٢٥ - ٢٢٦ وساق له هذه الأبيات .

(٢) هي قراءة أبي وابن الفقعاق وابن عامر والحسن . تفسير أبي حيان (٥ : ١٧٢) ،
وجهور القراء بالتاء على الخطأ .

فيما يطيقه ويدخل تحت مقدوره ثم لا يفعله ، فأما ما لا يطيقه فقد سقط اللوم فيه عنه .

وقوله « قضى الله حب المالكية » ، يريد حتمه الله عليك وأوجهه ، فشكف الصبر فيه ، فقد تجرى الأمور على قدر ، أى على تقدير ، تضيق السبل عن الانفكاك منه ، فلا حيلة فيه إلا التزامها . وهذا تسلية منه لنفسه وبعث لها على الرضا بما قسم له ، وقضى عليه .

٥٨٠

وقالت وجهة بنت أوس الضبية :

١ - وعاذلة تغدو على تلومني على الشوق لم تمنح الصبابة من قلبي^(١)

٢ - فما لي إن أحببت أرض عشيرتي وأبغضت طرفاء القصيبة من ذنب^(٢)

تقول : رب لا ثمة ههما مقصور على لومى وعتبى ، فيما أهواه وأميل إليه ، وأعد نفسى به فتشوقه^(٣) ، فلا يؤدى عتبها إلى طائل لها ، لأن تنصحتها مردود ، ووعظها مدفوع ؛ ولا إلى طائل لى ، إذ كان لا تزاد الصبابة فى قلبى إلا تمكنا وثباتا ، ولا الاشتياق اللازم لى إلا ازديادا ودواما ؛ وأنا إذا أحببت أرض عشيرتى ورهطى ، ووطن أحببى وأهلى ، ومسقط رأسى ، وحيث حل الشباب تميمى ، وأبغضت القصيبة منبب الطرفاء ، أرضا لم أفض مأربة فيها ، ولا أوجب مذمة لها ، فلا ذنب لى الألم فيه ، ولا جريرة مكسبة فأعقب عليها . وقوله « من ذنب » فى موضع الرفع ، لأنه اسم مالى ، وجواب الجزاء من قوله

(١) أنشد ياقوت هذه الأبيات فى (القصيبة) ، والبيت الأول برواية : وعاذلة هبت بليل تلومنى .

(٢) القصيبة : موضع بين المدينة وخيبر .

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « فتشوقه » . يقال : تشوق إلى الشيء ، أى تطلع ، وتشوق إلى الشيء : اشتاق .

« إن أحببت أرضَ عشيرتي » في قوله « مالى من ذنب » ، وجواب رَبِّ في قوله « لم تمنح العصابة » .

٣ - فَلَوْ أَنَّ رِيحًا أَبْلَغْتَ وَحَى مُرْسِلٍ حَفِيٍّ ، لَنَاجَيْتُ الْجَنُوبَ عَلَى النَّقْبِ

٤ - قُلْتُ لَهَا أَدَى إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي وَلَا تَخْلِطُهَا ، طَالَ سَعْدُكَ ، بِالْتُّرْبِ

٥ - فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا هَلِ ازْدَادَ صَدَّاحُ الثَّمِيرَةِ مِنْ قُرْبِ

الْوَحَى : مصدر وَحَيْتُ لك بخير ، أى أجبرت ؛ ويستعمل أَوْحَى وَوَحَى في

معنى البعث والإلهام . والإيماء : الإيماء والإشارة . فيقول : لو أن ريحاً أدت

خَبَرَ مُرْسِلٍ ، أَوْ بَعَثَتْ مُلَحَّ مُنْفِذَ لِسَارَزَتْ رِيحَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ - وَالْحَفِيُّ

يَكُونُ الْمُلَحَّ ، وَيَكُونُ اللَّطِيفَ ، وَمَصْدَرُهُ الْحَفَايَةُ . وَالنَّقْبُ : الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ -

وَلَقُلْتُ : يَارِيحُ بَلِّغِيهِمْ تَحِيَّتِي ، وَصُونِيهَا عَنِ الْإِذَالَةِ ، وَخَلِطُهَا بِالتُّرَابِ ، أَطَالَ

اللَّهُ سَعَادَتَكَ . وَقَوْلُهُ « طَالَ سَعْدُكَ » دَعَاءٌ لَهَا ، وَهُوَ مِنَ الْإِعْرَاضَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ،

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَمَا مَكُنُّنَا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكَ بَنَهْلَانَ إِلَّا أَنْ تُزِمَّ الْأَبَاعِرُ^(١)

وَقَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

إِنِ الثَّمَانِينَ وَبُلَغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

وقوله : فَإِنِّي إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا ، انتصابه على الحال . وَسَاعَ ذَلِكَ فِيهِ

الْمَكُونَةُ صِفَةً لَا اسْمًا . وَعَلَى هَذَا الْجَنُوبُ وَالْقَبُولُ وَالْدَّوْرُ ، يَجُوزُ فِي جَمِيعِهَا أَنْ

تَتَمَّ أَحْوَالُهَا كَوْنُهَا صِفَاتٍ . وَكَأَنَّ الْجَنُوبَ كَانَتْ تَهْبُّ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ مُسْتَقْبِلَةً

لِلدَّيَارِ أَحَبَّتَهُ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا رَسُولَهُ . وَكَانَتْ الشَّمَالُ تَهْبُّ مِنْ نَاحِيَةِ أَرْضِ حَبِيبِهِ

(١) ل : « فَمَا مَكُنُّهَا » . وَعَلَاهُ الْبَدِيعُ يَرُودُهُ : « دَامَ الْجَمَالُ عَلَيْكَ » وَيَحْمِلُونَ فِي الْبَيْتِ

جَنَاسًا مَعْنَوِيًّا بَيْنَ الْجَمَالِ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَبَيْنَ « الْأَبَاعِرِ » لِأَنَّ الْأَبَاعِرَ جَمَالَ بِكسْرِ الْجِيمِ . فَعَدَلَ

مُخَاطِلَ الْبَيْتِ ، وَهُوَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ ، عَنِ الْجَنَاسِ اللَّفْظِيِّ إِلَى الْجَنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ .

(٢) هُوَ عَوْفُ بْنُ مَحَلَمٍ الْحَزَازِيُّ . مِنْ قَصِيدَةٍ فِي أَمَالِ الْقَالِي (١ : ٥٠ - ٥١) .

مستقبلةً بلادَه ، فذلك زعمُ أَنَّهُ يسألُها عما استعجمَ عليه من أخبارهم .
وقال ابن الأعرابي : مَهَبُ الْجَنُوبِ يَمَانٍ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، وَقَلَمًا تَسْرِي
بِالْأَيْلِ ، وَهِيَ مَبَارَكَةٌ . وَالشَّمَالُ شَامِيَةٌ ، فَهِيَ أَكْثَرُ الرِّيَّاحِ هُبُوبًا ، وَهِيَ
صَاحِبَةُ الشَّتَاءِ .

و « صَدَّاحُ الثَّمِيرَةِ » الصَّدَحُ : الصَّوْتُ ^(١) ، يُقَالُ : صَدَحَ الدِّيَكُ وَالْغُرَابُ ،
إِذَا صَوْتَا . وَيَعْنِي جَلْبَةَ الصَّوْتِ وَنِدَاءَ دَاعِيهِمْ . وَالْمُنَادِي بِالرَّحِيلِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ
يَنْتَظِرُهُمْ لِحُضُورِ وَقْتِ انْتِجَاعِهِمْ وَنَهَضَاتِهِمْ ، وَكَانَ يُتَعَرَّفُ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ ^(٢) بِهِ .

٥٨١

وقال مرداس بن هماس الطائي ^(٣)

- ١- هَوَيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَقْتُلْنِي الْهَوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى لَأَمَتِي كُلُّ صَاحِبِ
 - ٢- وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ رِقَّةً عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتِ مَا لَانَ جَانِبِي ^(٤)
 - ٣- أَلَا حَبَّذَا لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَرُبَّمَا مَنَعَتْهُ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُنْتَقَرِبِ ^(٥)
 - ٤- بِأَهْلِي ظَبْلًا مِنْ رَبِيعَةٍ عَامِرٍ عَذَابُ الثَّنَائِيَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ
- يقول : بَلَغَتْ الْغَايَةَ الْقُصْوَى فِي كُلِّ مَا كَانَ فِيكَ وَلَكَ ، فَحَمَلْتُ نَفْسِي مِنْ

(١) التبريزي : « وقيل المراد بصداح الثميرة الديك ، وقيل : أهلها ، وقيل :
حادي إبلها ، وقيل : صداح الثميرة موضع » .

(٢) هذا ما في ل . وعند التبريزي : « وكانت تعرف ذلك لتستبشر به » . وفي
الأصل : « ليستبشر به » تحريف .

(٣) وكذا في ل . وعند التبريزي : « مرداس بن همام الطائي » ، وفي معجم المرزباني .
٤٧٤ : « مرار بن مياس الطائي » ، وأنشد الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ . وروى التبريزي عن
أبي العلاء أن الأبيات نسبت إلى « مرار بن هماس » .

(٤) التبريزي والمرزباني : « رقة عليهم » ، وأشير في هامش ل إلى رواية التبريزي .
في إحدى النسخ .

(٥) التبريزي : « ويروى : من ليس بالمنتقارب » .

أعباء الهوى وطلب التناهى فيه ما كاد يأتى علىّ ، أعدّ ذلك واجبا لك أوديه ،
 وفرضا من حقوقك أفيمه وآتيه ، ثم أذمنت الزيارة خادما ، وترددت في
 التعرف والاستعطاف متقرّبا ، حتى توجهت إلى اللوم من أصحابي ، واستسرفني
 في البرّ جبرتي وأودائي ، وإلى أن ظهر لأفاريك شفقتي عليك ورقتي ، ووضح
 ما اشتهر به أسرى عذم وعرف . ولولا أنت لبقيت على ما وجدت عليه قديما
 من صيانة النفس وإكرامها وتبعيدها^(١) عن المراكب الشائنة المؤدية إلى
 ابتذالها ، فلم يلنّ جانبي ، ولم يزلّ جحاحي وصعوبتي .

وقوله « أَلَا حَبْدًا » المحبوب محذوف ، كما حذف الحمد في قوله تعالى :
 ﴿ نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، والمراد حبيب إلى التهنّك في الهوى ، وتجاوز
 المألوف فيه إلى المستشنع القبيح ، لولا الحياء ، على أنّي ربّما منّحت هواي
 ما لا مطمّع في بلوغه ودنوّه . وهذا كما قال أبو تمام :

غالي الهوى ، بما يرقص هامتي أروية الشّعف التي لم تسهل^(٢)

وقوله « بأهلى ظبلاء » رجوع منه إلى استلذاذ الهوى وإظهار التجلّ فيه ،
 فيقول : أفدى بأهلى نساء من ربيعة عامر ، عذاب المباسم ، حسان الثغور
 والمضاحك ، عظيما أكفّال ، مشرفات الأرداف .

والحقائب : جمع الحقيقة ، وهي عجز الرجل والمرأة جميعا . ويقال : امرأة
 نفّج الحقيقة . والقصد بالتفدية في قوله « بأهلى ظبلاء » إلى صاحبته ، وإن كان
 لفظه عائنا لها ولغيرها .

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وتبعدها » .

(٢) رواية الديوان ٢٣٣ : « على الهوى بما تعذب بهجتي » ، أي من أجل تعذيب
 أروية الشف لمهجتي . والشف : جمع شفقة ، وهي رموس الجبال . لم تسهل : لم تصر
 إلى السهل .

٥٨٢

وقال بعض بني أسد^(١) :

- ١- تَبِعْتُ الْهَوَىٰ يَاطَيْبُ حَتَّىٰ كَأَنِّي مِّنْ أَجْلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَوْودُ
- ٢- تَعَجَّرَفَ دَهْرًا نُمُّ طَاوَعِ أَهْلُهُ فَصَرَفَهُ الرُّوَاضُ حَيْثُ تُرِيدُ
- ٣- وَإِنَّ ذِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ وَقَدْ بَدَتْ لِعَيْنِي آيَاتُ الْهَوَىٰ لَشَّدِيدُ

يقول : أعطيت الهوى مقادتي فيك ، فتبعته حيث جرتني ، لا أتمنع عليه ، ولا أطلب معدولاً إليه ، حتى صرت كأنتي بعير قد عضه الجرير فلان وانقاد . والجرير : حبل مضفور من آدم . والضرس : العض . والقوود : فعول في معنى مفعول ، فهو كالقوتوب والرؤكوب ، والهمزة فيه بدل من العين .

وقوله « تَعَجَّرَفَ » ، أى أخذ غير القصد زماناً ، لأنه كان صمياً ثم تذلل ودخل في طاعة مداوريه ، وهذا مثل ضربه للنفس في ابتداء هواه ، وأنه تأبى عليه مدة ، فتردد بين جده وهزله ، واقتساره وليانه ، حتى ركب منه كل مركب ، واستوطأ ظهره كل استيطاء . فهذا معنى « وصرفه الرؤاض حيث تريد » .

وقوله « وَإِنَّ ذِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ » ، يريد أن دفاع حبه عنها وصرفه عسر صعب وقد بدت آيات الهوى . والمعنى أن للهوى علامات حيث مالت بالإنسان ذهب معها ، فيعبد الغنى رُشداً ، ويرى التهلك فيه حياة ، ولورام دفع حبه عنه ، ولّى نفسه دونه ، لتعذر وامتنع .

- ٤- وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ لِلنَّاسِ مُظَهَّرٌ وَلَا كُلُّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ تَذَوُّدُ^(٢)

(١) الأبيات رويت في معجم البلدان (غضور) ، وهى بلدة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة .

(٢) التبريزى : « وما كل ما في النفس لى منك مظهر » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .

وروى التبريزى أيضاً : « ما لا نستطيع تذود » .

٥- وإني لأرجو الوصل منك كما رجأ صدي الجوف مرئاداً كداه صلود

يقول : ليس جميع ما يشتمل عليه صدرى ، ويشقى فى الهوى بتحملة جوانحى ، ممكناً إظهاره ؛ ولا كل ما تطيقه النفس ، أو لا تنهض به ، يسئل دفعه ؛ فأنا أسير الهوى وتبيعه ، متردد فى بلواه ، لا أجد منه مخلصاً ، ولا أستطيع عنه ملجأً ومناصاً .

وقوله « وإني لأرجو الوصل منك » يقول : وعلى ما أصفه من حالى فيك أرجو وصالك رجاء إنسان شديد العطش ، يطلب الماء من موضع حفره فأكدى ، أى بلغ كدبته ، وهى حجرة يعرض فى البئر عند الاحتفار فيمتنع قطعه بالمعاول ، وجمعها كدى . وهذا مثل ، والمعنى أن رجائى فى خيرك مع حاجتى رجاء رجل عطشان يطلب الماء ويرجوه من بئر هكذا . والصلود : اليابس ، ويقال للبخیل : أضلد وصد وصدود ، تشبيهاً به ، وكذلك زند صلود إذا لم يور . والرتاد : الطالب ، ومفعوله محذوف ، ويجوز أن يُغنى بالمرتاد المطلوب ، ويراد به الماء ، وقد أقام الصفة مقام الموصوف ، وعلى الوجه الأول ينتصب على الحال .

٦- وكيف ظلابي وصل من لو سألتُه قذى العين لم يطلب وذاك زهيد

٧- ومن لو رأى نفسى تسيل لقال لي أراك صحيجاً والفؤاد جليد

يصف بئها وتمتعها فيقول : كيف أستجيز طلب وصال إنسان لو سألتُه إزالة قذى العين لم يُجنى إليه ، وذلك قليل فيما يسأل ويبتأس . فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، كما قال الآخر ^(١) :

يا صخر وراد ماء قد تذاذره أهل الوارد ما فى وزده عار

(١) هو الخنساء من قصيدة فى ديوانها . وانظر الكامل ٧٣٧ ليسك .

يريدُ : ما في ترك وُروده عارٌ ، فحذف المضاف . ويجوز أن يريد لو سألتَه
 ألا يُعْزِي عيني ، كما تقول : سألت فلاناً ضربَ فلان ، أى استوهبته ضربه
 لم يُطْلِبْنِي . ويجوز أن يريد من لو سألتَه تافهاً لا خَطَرَ له ولا اعتدادَ به ،
 فحُضِرَ المثل بالْعَزِي ، والمعنى : لو سألتَه ما يُعْزِي العين .

وقوله « مَنْ لو رأى نفسى » عطفه على مَنْ لو سألتَه ، يريد : ولو رأى
 دَمِي يَسِيلُ لقال لِقسوة قلبه على : أراك صحيحاً لا داءَ بك ولا آفة ، وقلبه
 جليدٌ ، أى يرقُّ لى ولا يرحنى ، والمراد على هذا بالقلب قلبُ المرأة ، ويكون
 الواو فى « والفؤاد » واو الحال ، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام
 المرأة ، وللعنى أنها تقول مع ما تَرى من سَيِّلان دَمِي : أرى نفسك صحيحة ،
 وقلبك ثابتاً ماضياً ، لا آفة بك ولا غائلة .

٨ - فَيَأْيُهَا الرِّيمُ الْمُحَلَّى لِبَانُهُ بَكَرْمَيْنِ كَرَمِي فَضَّةً وَفَرِيدُ
 ٩ - أَجِدَى لَا أُمْسَى بِرَمَّانٍ خَالِيَا وَغَضُورَ إِلَّا قِيلَ أَيْنَ تُرِيدُ^(١)

كأنه استعطفها وذكَّرها اشتهاه بها ، وتوجَّه التَّهَمُّ إليه بسببها ، حتى ضاقَ
 بهذين الموضعين بحالُه ، وتعسَّرَ عليه وإن تفرَّدَ فيها إمساؤه .

والرَّيْمُ : الطَّيُّ الخالصُ البياض . والمُحَلَّى لِبَانُهُ ، أى ترائبه . بَكَرْمَيْنِ ،
 أى بقلادتين . والفَرِيدُ : الدَّرُّ . وَاللَّبَّانُ : الصَّدْرُ . وقوله « وفريدٌ » إن جعلته
 مملوفاً على فَضَّةٍ يكون إقواء ، ولك أن ترفعه بالابتداء والخبر محذوف ، كأنه
 قال : وفريدٌ فيهما . وَيُرْوَى : « كَرَمًا فَضَّةً وَفَرِيدُ » ، فينعتف الفريد على
 « كَرَمًا » ويكون الكلام على الاستئناف لا الإبدال ، كأنه قال : ها كَرَمًا
 فَضَّةً وفريدٌ . وهذا أصحُّ وأجود .

(١) التبريزى : « لا أُمْسَى » ، ثم قال : « ويروى : لا أُمْسَى » .

وقوله « أَجِدِّي » يريد : أعلى جِدِّي مَنِي هذا الأمر ، وهو أَنِّي لا أُنْسِي منفرداً بنفسِي بَرَمَانَ وَغُضُورَ إِلا قِيلَ : أَيْنَ مُرَادُكَ . و « أَجِدِّي » في موضع المصدر ، والفعل اللامعل فيه محذوف ، وذَكَرَ الإِمْسَاءَ والمراد الإِمْسَاءُ والإِصْبَاحُ جميعاً ، لَكِنَّهُ اِكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا لَعَلَّ النَّاسَ بِأَن حَالَهُ فِيمَا ذَكَرَهُ يَسْتَوِي فِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

٥٨٣

وقال رجل من بني الحارث :

- ١- مَنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنِي وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
- ٢- أَمَانِي مِنْ سُعْدِي حَسَنًا كَأَمَّا سَقَتِكَ بِهَا سُعْدِي عَلَى ظَمًا بَرَدًا^(١)

المَنِي : جمع مُنْيَةٍ ، وموضعها من الإعراب رَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هِيَ مُنْي . فيقول : هذه الخصال التي نَعَدُ بِهَا أَنْفُسَنَا فِي هَذِهِ لِلرَّأَةِ وَتَعَدُّنَا بِهَا ، لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً أَوْ كَاذِبَةً ؛ فَإِنْ جَاءَتْ صَادِقَةً مُحَقَّقَةً فَهِيَ أَحْسَنُ الْأَمَانِي وَأَوْفَقُهَا لِلنَّاسِ ، وَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَإِنَّا نَعِيشُ بِذِكْرِهَا مُنْتَظِرِينَ لَهَا زَمَنًا مَمْتَدًّا ، وَعِيشًا وَاسِعًا رَافَهَا .

وقوله « أَمَانِي مِنْ سُعْدِي » نَصَبُ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَذْكُرُ أَمَانِي مِنْ سُعْدِي . وَكَرَّرَ لَفْظَ سُعْدِي تَلْذُّذًا لِاسْمِهَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ يُفْعَلُ بِهَا ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : أَذْكُرُ أَمَانِي مِنْ هَذِهِ الرَّأَةِ جَمِيلَةً تَرْجَى أَوْقَاتِنَا ، وَكَأَنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ قُلُوبِنَا مَوْقِعُ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي . وَقَوْلُهُ « زَمَنًا رَغَدًا » الرَّغْدُ : السَّعَةُ فِي الْعِيشِ . وَيُقَالُ : عِيشَ رَاغِدًا وَرَغِيدًا . وَانْتِصَابُ رَغْدًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : عِشْنَا عَيْشًا رَغْدًا بِهَا زَمَنًا .

(١) التبريزي : « من سعدى رواء » ، مع رفع « أمانى » و « رواء » .

ولا يجمع أن يكون صفة لقوله زَمَنًا ، كأنه قال عَيْشًا وَاجِعًا . وقوله « على ظمإٍ برَدًا » يريد ماء ذا برد .

٥٨٤

آخر (١) :

- ١- وَخُبِرْتُ سُدَاءَ الْقُلُوبِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْضَرَ أَعُوذُهَا .
- ٢- فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَتَبَرَّيْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا قَوْلُهُ « خُبِرْتُ » تَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ ، وَمَرِيضَةً لِلْمَفْعُولِ الثَّالِثِ .
- وقوله « أَعُوذُهَا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ أَقْبَلْتُ . وَبِجَوَازِ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « سُدَاءَ الْقُلُوبِ » أَنَّهَا تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّ الشَّوِيدَاءِ مِنْهُ ، كَأَنَّ الْقُلُوبَ عَلَى اخْتِلَافِهَا

(١) هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير . وكان من سبب الشعر ما روى التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن صواب رواية البيت الأول : « سُدَاءَ الْغَمِّ » ، وأن سُدَاءَ الْغَمِّ امرأة من بني عبد الله بن غطفان ، اسمها ليل ولقبها سُدَاءُ ، وكانت تنزل الغم من بلاد عطفان وكان عقبة بن كعب بن زهير ينسب لها ، ثم علقها بعده ابنه العوام بن عقبة وكلف بها ، وكانت تجد به كذلك ، فخرج إلى مصر في ميرة فبلغه أنها مريضة ، فترك ميرة وكرنجوها وأنشأ يقول :

نبيت سُدَاءَ الْغَمِّ مَرِيضَةً	فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُوذُهَا
فِيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا	مَلَا حَظَّ عَيْنِي أَمْ يَحْيِي وَجِيدُهَا
وَهَلْ أَخْلَقْتُ أَثْوَابَهَا بَعْدَ جَسَدِ	أَلَا حَبِذَا أَخْلَاقُهَا وَجِيدُهَا
وَلَمْ يَبْقَ يَا سُدَاءُ شَيْءٌ أَحْبَبَ	وَإِنْ بَقِيَتْ أَعْلَامُ أَرْضٍ وَيَبِيدُهَا
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا	أَتَبَرَّيْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا تَسْرَفُ	بِهَا حَرَّ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مَعْلَقُ	بَعُودُ ثَمَامٍ مَا تَأْوُدُ عُوذُهَا

فَلَمْ يَزَلْ يَلْطَفُ حَتَّى رَأَتْهُ وَرَأَاهَا ، فَأَوْمَأَتْ إِلَيْهِ أَنْ مَا جَاءَ بِكَ ؟ فَقَالَ : جِئْتُ عَائِدَةً حِينَ عَلِمْتُ عِلَّتِكَ . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنْ ارْجِعْ فَإِنِّي فِي عَافِيَةٍ . فَرَجَعَ لِمِرَّتِهِ وَاسْتَعَزَّ بِهَا الْمَرَضُ ، فَجَعَلَتْ تَتَوَلَّاهُ إِلَيْهِ حَتَّى مَاتَتْ . فَبَلَّغَهُ الْخَيْرُ فَقَالَ :

سَقَى جَسَدَنَا بَيْنَ الْغَمِّ وَزَلْفَةٍ أَحْمَ الذَّرَى وَاهِي الْعِزَالِي مَطِيرُهَا
وَفِيهَا يَقُولُ :

وَلِنْ تِلْكَ سُدَاءَ الشَّيْءِ فَارَقَتْ فَقَدْ مَاتَ مَلِجُ الْغَانِيَاتِ وَفُورُهَا

نميل إليها وتطوى على حبها . ويجوز أن يكون كان اسمها سوداء وأضافها إلى القلوب ، كما قال ابن الدُمَيْنَةِ :

قَفِي يَا أُمَيْمَ الْقَلْبِ نَقْضَ تَحِيَّةٍ وَنَشْكَوْهُ لَهْوٍ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ

ويجوز أن يكون أراد أنها قاسية القلب سوداؤه ، فجمع القلب بما حوله فقال القلوب ، أو لأنها كأن لها مع كل مُتَمِّم بها قلباً ، فقال القلوب على ذلك . فيقول : نُبِّيتُ أَنَّهَا تَأَلَّمَتْ لِعَارِضِ عِلَّةٍ ، فَأَقْبَاتُ مِنْ أَهْلِ بِمَصْرَ عَائِدًا لَهَا ، وَوَاللَّهِ أَحْلِفُ مَا أَدْرِي إِذَا حَصَلَتْ عَنْدَهَا أَصْبَرُ شِفَاءً مِمَّا بَهَا ، أَوْ أُرِيدُ فِي شَكْوَاهَا لَتَبَرُّمِهَا بِي ؛ كَأَنَّهُ ظَنَّ بِهَا تَفَكُّرًا وَحُورُولًا عَنِ الْعَهْدِ . وقوله « أم أزيدها » يريد : أم أزيدها داءً ، فحذف لأن المراد مفهوم .

٥٨٥

وقال آخر :

١- إِنْني وَإِبَائِكَ كَالصَّادِي رَأَى نَهْلًا وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلْفَا

٢- رَأَى بِعَيْنَيْهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ الْمَاءِ مُنْصَرَفًا

يقول : مَثَلِي وَمَثَلُكَ فِي مَسَاسٍ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، وَتَنَاهَى رَغْبَتِي فِي وَصْلِكَ وَالنَّيْلِ مِنْكَ ، وَفِي احْتِجَازِكَ عَنِّي وَامْتِنَاعِكَ مِنِّي ، مَثَلُ رَجُلٍ عَطْشَانَ شَاهِدَ مَاءٍ ، وَقَدْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَرُودِهِ وَهَذِهِ عَمِيقَةٌ يَخْشَى مِنْ اقْتِحَامِهَا الْهَلَاكَ ، فَالْمَاءُ بِمَرَأَى مَعَهُ ، وَقَدْ غَلَبَهُ الْمَانِعُ عَنْهُ ، لَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى انْصِرَافِهِ مِنْ دُونِهِ ، لِفَلْبَقِ الْعَطْشِ عَلَيْهِ ، وَشِدَّةِ الْغَافَةِ إِلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا وَأَنْتِ . وقوله « رَأَى نَهْلًا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَدْ مَقْدَّرَةٌ فِي الْكَلَامِ ، لِأَنَّ رَأَى بِنَاءٌ لِلْمَاضِي . وَالنَّهْلُ وَالنَّهْلُ : الْمَاءُ ، وَمَوْضِعُ الْمَاءِ . وقوله « وَدُونَهُ هُوَّةٌ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّهْلِ ، كَمَا أَنَّ عَزَّ مَوْرِدُهُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْمَاءِ . وَإِنَّمَا قَالَ « رَأَى بِعَيْنَيْهِ » فَذَكَرَ

العين تأكيذاً للرؤية . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ وما أشبهه .

٥٨٦

وقال آخر :

١ - أَلَا بِأَيْنَا جَعْفَرٌ وَبِأَيْنَا نَقُولُ إِذَا الْهَيْجَاءُ سَارَ لَوَاؤُهَا

٢ - وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَاخَوْفِ قَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَطُولَ بِقَاوُهَا

قوله « أَلَا بِأَيْنَا » ، الجملة في موضع المفعول لقوله نَقُولُ . والباء من « بأينا »

تعلق بفعل مضمر ، والمراد : نفدي بأينا وأمهاتنا جعفرًا إذا سار الخيـسُ وحمل لواء الجيش قاصدًا إلى الهيجاء . وأضاف اللّواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه .

وقوله « وَلَا عَيْبَ فِيهِ » يريد أن جعفرًا يرى من العيوب إلا من مخافة

قومه على نفسه ألا تطول مدتها ، ولا ينفّس مملّها . وليس ذلك بعيب ، وإنما يُشفقون مما ذكر تنافسًا في حياته ، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه ، لـكنّه أراد أن من ذلك معيـبه ، فكيف يكون مرضيه .

فإن قيل : لِمَ أدخلَ هذا في جملة السبب وليس هو منه ؟ قلت : لطافة

لفظه وحلاوة معناه ، ومناسبته بذلك للنسب ، أدخلته في هذا الباب . وقد

فعل لمنزل هذه العلة مثل هذا فيما تقدّم ، ونبيّها عليه ^(١) .

٥٨٧

وقال آخر :

١ - وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكَ كَالَّذِي رَأَى نَهْلًا رِيًّا وَلَيْسَ نَهْلِي

٢ - يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذَبَدَعْنَهُ وَرَوْضَةً بَرُودَ الصَّحَى فَيَنَانَةٌ بِالْأَصَانِلِ

يقول : إِنِّي على ما أجرى عليه من تعرّلي لبـيتك ، ومهاجرتي لفنائك ، ولما

أَتَقَى بِهِ مِنْ مَكَاشِفَةِ الرُّقْبَاءِ عَلَى تَرْصُدِهِمُ بِالْمَكْرُوهِ لِي وَلاَكَ ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي التَّقَاطُ
حَدِيثِي وَحَدِيثِكَ ، لِكَالْعَطْشَانِ وَقَدْ رَأَى مَاءً مُرْوِيًّا كَثِيرًا ، بَارِدًا شَهِيًّا ،
فَمُنِعَ مِنْهُ ، وَشَافَهُ ^(١) رَوْضَةً بَارِدَةً الظِّلِّ عِنْدَ الضَّحَاءِ ، كَثِيرَةَ الْأَفْنَانِ وَالْفُصُونِ ،
إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ الْعِشَاءِ لَخِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . وَالتَّهَلُّ : الْمَاءُ . وَالتَّاهِلُ : الرِّبَّانُ هَاهُنَا ،
وَيَكُونُ الْعَطْشَانُ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا . وَذِيْدَ عَنْهُ ، أَيْ مُنِعَ مِنْهُ . وَالفَيْنَانَةُ :
الكثيرةُ الْأَفْنَانِ ؛ وَهُوَ قِيَمَالٌ . وَالفَيْنُ : الْعُصْنُ . وَالْأَصَائِلُ : الْعَشِيَّاتُ .

وقوله « يَرَى بَرْدَ مَاءٍ » ، يَقُولُ : يَرَى مَاءً بَارِدًا ، لِأَنَّ الْبَرْدَ لَا يُدْرَكُ
بِالْعَيْنِ . وَإِنْ شُكَّ قُلْتُ : جَعَلَهُ لِلْبَيَاغَةِ فِي الْوَصْفِ كَالْحِسُوسِ .

٥٨٨

وَقَالَ آخِرُ :

١ - فَمَرًّا عَلَى أَهْلِ الْغَضَى إِنَّ بِالْغَضَى رَقَارِقَ لَا زُرُقَ الْعُيُونِ وَلَا رُمْدًا ^(٢)

٢ - أَكَادُ غَدَاةَ الْجَزَعِ أَبْدَى صَبَابَةً وَقَدْ كُنْتُ غَلَّابَ الْهَوَى مَاضِيًا جَلْدًا

يَخَاطَبُ صَاحِبَيْنِ لَهُ يَسْأَلُهُمَا أَنْ يَجُوزَا بِأَهْلِ الْغَضَى ، لِأَنَّ فِيهَا نِسَاءً يَتَرَقَّقُ
مَاءَ الشَّبَابِ فِيهِنَّ ، لَا زُرُقَ فِي عُيُونِهِنَّ وَلَا رَمْدَ . وَيُقَالُ : فَتَى رَقْرَاقٌ ، وَفَتَاةٌ
رَقْرَاقَةٌ ، وَالْمُرَادُ بِهِ ابْتِدَاءُ الشَّبَابِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّقَارِقِ مِيَاهُ رَقِيقَةٍ ،
وَأَنَّ الزُّرُقَ الصَّافِيَةَ ، وَالرَّمْدَ الْمَغْيِرَةَ الْأَلْوَانَ ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ ، لِأَنَّ الرَّمْدَ
لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْحَاسَةِ ، وَلِأَنَّ الْفَائِدَةَ فِي كَوْنِ مِيَاهِ بِالْغَضَى عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ
قَلِيلَةٌ . وَقَصَّدَ الشَّاعِرُ فِيمَا كَلَّفَ صَاحِبِيهِ أَنْ يَجِدَدَا عَهْدًا بِأَهْلِ الْغَضَى ، وَيَتَعَرَّفَا
مِنْ أَخْبَارِ مَحْبُوبَتِهِ ، مَا تَسْكُنُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ . وَفِي قَوْلِهِ « إِنَّ بِالْغَضَى رَقَارِقَ » ، إِذَا
جَعَلَتْ الرَّقَارِقُ نِسَاءً ، نَسِيبُهَا وَبَصُوحُهَا : وَقَوْلُهُ « لَا زُرُقَ الْعُيُونِ » ،

(١) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَيَعْنِي مَهَا الْمَقَارِبَةَ . (٢) لَ وَالتَّبَرُّ يُزَى : « مَرَا » ، بِالْحَرَمِ .

ثَبَّتَ لَهُنَّ كَحَلِّ الْعَيُونِ وَسَلَامَتَهَا مِنَ الْآفَاتِ ، بِفِي الْأَضْدَادِ عَنْهَا ، وَهَذَا كَتَجْدِيدِ الشَّيْءِ بِالسَّلْبِ .

وَقَوْلُهُ « أَكَادَ غَدَاةَ الْجِزْعِ » يَصِفُ مَا نَالَهُ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ ، وَصَبْرِهِ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَحُسْنِ تَمَاسُكِهِ عَنْ جَوَالِبِ الْهَوَى ، يَفْتَضِحُ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْاِكْتِثَابِ وَالْوَجْدِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُسْتَكِنَاتِ صَبَابَتِهِ ، وَخَفِيَّاتِ أَحْوَالِهِ .

٣ - فَلِلَّهِ دَرِّي أَيْ نَظَرَةٌ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَأَيْدِي الْعَيْسِ قَدْ نَكَبَتْ رَقْدًا^(١)

٤ - يُقَرِّبُنِ مَا قَدْ آمَنَّا مِنْ تَنُوقَةٍ وَيَزِدُّنِ خَلْفَهُنَّ بِنَا بُعْدًا

قَوْلُهُ « لِلَّهِ دَرِّي » يَجْرِي بِجَرَى : اللَّهُ خَيْرِي . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَنْسُبُوا مَا يُعْجِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ . وَقَدْ فَارَقَ دَرِّي بِالِاسْتِعْمَالِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَصَادِرَ ، فَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِهَا . وَقَوْلُهُ « أَيْ نَظَرَةٌ ذِي هَوَى » تَعْجِبُ ، وَانْتَصَبَ أَيْ بَنَظَرْتُ . وَكَأَنَّهُ لَمَّا صَبَرَ عِنْدَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ الْفِرَاقِ وَلَوَازِعِ الْبَيْنِ ، وَصَارَ بِمَرَأَى مِنْهُ وَبَسْمَعٍ ، مِنَ التَّهَيُّؤِ لِلْإِرْتِمَالِ ، وَمِنْ تَدْبِيرِ عَوَارِضِ السَّفَرِ ، عَدَّ ذَلِكَ مِنْ نَظَرِهِ وَجَلَدَهُ شَيْئًا عَجِيبًا . وَمَعْنَى « نَكَبَتْ رَقْدًا » وَهُوَ مَوْضِعُ كَانَ يَجْمَعُهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ نَظَرَهُ فِي إِفْرِ الطَّعْمَانِ تَحْشُرًا وَصَاحِبَتُهُ مَعَهُ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

بَعِيْنِي ظُلْمُنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَبَعْرَا
وَقَوْلُهُ^(٣) :

وَلَمَّا بَدَا حَوْرَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِيكَ مَنْظَرًا^(٤)

(١) التبريزي : « أَيْ نَظَرَةٌ نَظَرُ » ، وَأَشَارَ إِلَى الرِّوَايَةِ الْآخَرَى .

(٢) هُوَ أَمْرُو الْقَيْسِ . دِيَوَانُهُ ٩٠ .

(٣) هُوَ أَمْرُو الْقَيْسِ . دِيَوَانُهُ ٩٥ .

(٤) يَرُودُ أَيْضًا : « وَالْآنَ دُونَهُ » .

ويكون على هذا قوله « نَكَبْتُ رَفْدًا » معناه انحرفن عنه وتركته ،
الكونه مفرق الطارق .

وقوله « يقرَّبُنا قَدْ آمَنَّا مِنْ تَنُوفَةٍ » وصف العيس بالسرعة . والتَنُوفَةُ :
المفازة . والمراد أن ما يقطعه غيرها في يومين تقطعها هذه في يوم . والكلام
تحسر وتوجع ، لتباعده عن هواه معهم . ومثله قول الآخر :
إذا نحن قلنا وردهن ضحي غدٍ تَمَطَّيْنَ حَتَّى وَرَدَهُنَّ طُرُوقُ
وتعلق الباء من قوله « بنا » بقوله يزددن . وبمداً ، انتصب على التمييز .

٥٨٩

وقال ابن هرم الطائي (١) :

١ - إِنِّي عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ وَالنُّوَى وَوَاشٍ أَتَاهَا بِي وَوَاشٍ بَهَا عِنْدِي (٢)

٣ - لِأَحْسِنُ رَمِّ الْوَصْلِ مِنْ أُمَّ جَعْفِرٍ بِحُذِّ الْقَوَافِي وَالْمُنَوَّقَةِ الْجُرُودِ

يصف حسن تأتبه في عمارة الهوى والحب ، وبلغ لطفه في تلافى ما يخاف
انقطاعه من علائق الوصل ، وانتكائه من وثائق العهد ، لو شابه واش ، أو
تضريب مُفْسِدٍ ، أو قدح ساج بالنمائم متزيّد . فيقول : إِنِّي عَلَى مُطَاوَلَةِ الْبِعَادِ ،
ومعاونة الوشاة بالتحرّيش والإفساد ، لأحسِنُ عمارة الحال بيني وبينها ، ورمّ
ما يستترّ من جوانب وصالها ، بما أنظمه من الشعر ، وأحكمه من عقد السّحر
في رسائلي ، وأردده من الرُّسُلِ للتوجّهين إليها على رواحلي . وقيل في الحذّ : إنها
الآبيات النافذة ، وقيل : هي الخفيفة الوزن ، اللطيفة السبك . وقيل : إنها
المستقلة بأنفسها ، ويقال : بيتٌ أحدٌ ، إذا لم يكن مُضْمَنًا . والمُنَوَّقَةُ : المروضة

(١) - التبريزي : « الكلاب » .

(٢) - التبريزي : « التجنب والهوى » و « لها عندي » .

المُذَلَّلَة من الثوق . كذا قال الخليل . والجُرْد : السَّراع . ويقال : نَجَاء أَجْرَدُ . قال الشاعر :

* جَذَبَ القَرِينَةَ لِلنَّجَاءِ الْأَجْرَدِ ^(١) *

وخبر إن في قوله « لَأَحْسِنُ رَمَّ الوَصْلِ » .

٣- وأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي .

٤- فَإِنْ ذُكِرَتْ فَاضْتُ مِنَ الْعَيْنِ عِبْرَةٌ عَلَى لِحْيَتِي نَثْرَ الْجُمَانِ مِنَ الْعِقْدِ .

قوله « وأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ » ، يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . والمراد : وأَسْتَخْبِرُ ذَوِي الْأَخْبَارِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا . ويجوز أن يريد أرجعُ فيما أعرفُ فيما بيني وبينَ نفسها حالاً بعد حال ، طالباً لاستخراج زيادةٍ فيها ، ومستمتعاً بما يكون حاصلًا فيها ، فكأنِّي أَسْتَخْبِرُ نَفْسَ الْخَبِيرِ . وقوله « وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي » مثله قول الآخر .

* وَذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ أُرِيدُ *

استحلاء لاسمها ، وتلذُّذاً بِذِكْرِهَا .

وقوله « فَإِنْ ذُكِرَتْ » يقول : وَإِذَا قَرَعَ سَمْعِي ذِكْرُهَا بِكَيْتُ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَوَجَدَ أَبْهًا ، فَسَالِ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي ، وَانْتَهَرَ مَا غَشِيَ لِحْيَتِي مِنْهُ نَثْرَ الْجُمَانِ مِنْ قِلَادَةٍ لَمْ يُتَفَقَّدْ نِظَامُهَا ، وَخَانَ سِلْكُهَا ، وَتَنَاقَرَتْ حَبَاتُهَا . وانتصب « نَثْرَ » على المصدر من غير لفظه ، فهو كقولك : تَبَسَّمتُ وَمِیضَ الْبَرْقِ . وقوله « عَهْدُهُمْ عَهْدِي » ، الجملة في موضع الحال من أَسْأَلُ .

(١) النجاء : السرعة . والقريضة : الناقة تشد إلى أخرى .

٥٩٠

وقال عمرو بن حكيم^(١) :

١- خَلِيلِي أَمْسَى حُبَّ خَرَقَاءَ عَامِدِي فَنِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَقَرَّةٌ وَصُدُوعٌ

٢- وَلَوْ جَاوَرْتَنَا الْعَامَ خَرَقَاءَ لَمْ نُبَيِّلْ عَلَى جَدِّنَا إِلَّا بِصُوبِ رَبِيعٍ

جعل « أمسى » لاتصال الوقت . وخرقاء : اسم امرأة . وقوله عامدي :
نمرضي ، يقال : أي شيء يعمدك ، أي يوجعك . والوقرة : الهزئة والأثر .
يقال : وقرة الشيء ، إذا جعل فيه وقرات . قال الهذلي^(٢) :

* فَوَقَرَتْ بَرَّةٌ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٣) *

يعنى بالبر سيفاً .

يقول : يا خليلي ، إن حب خرقاء أمسى يقدح في قلبي ، فقد صار فيه من
أجله صدوع ، وآثار وشقوق ، ولو اتفق في هذا العام معها اجتماع لم نبال وإن
أجدبنا ألا يقع مطر ؛ إذ كان التبرك بها ، والاستعداد الشامل بمكانها ، يقوم
مقام كل خضب . وقوله « لم نبال » جزمه مرتين لأنه كان نبالي ، فدخل
الجازم عليه فحذف له الياء فصار لم نبال ، ثم أسكن اللام بعد أن طلب تخفيفه
لكثرة في الكلام ، فالتقى ساكفان : الألف واللام ، فحذفت الألف لالتقاء
الساكنين ، فصار لم نبال ، ومثل هذا لا ينقاس . وقوله « على جدبنا » في موضع
الحال ، تقديره « مجدبين » . ويقال : صاب المطر بصوب ، إذا وقع . والربيع :

(١) التبريزي : « عمر بن حكيم » . وفي معجم المرزباني ٢٤١ : « عمرو بن حكيم
ابن معية التيمي ، من ربيعة الجوع ، إسلامي » . وأُنشد له البيتين .

(٢) هو قيس بن عيزة الهذلي . ديوان الهذليين (٣ : ٨٧) . وانظر ما سبق
في ١٤١ ، ٣٩٠ .

(٣) صدره : * فويل أم بزجر شعل هل الحصى *

المطر . ويقال : ما باليتُ بكذا وكذا بالة وبالية . أى لم يُبالِ بأن تنقطع الأمطارُ على ما بنا من جذب .

٥٩١

وقال آخر^(١) :

١ - أَلَمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلًا
٢ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا
يأمر صاحبه بزيارة دار حبيبه ، ولو كان ساعة . وخصص الدار بقوله « التي لو وجدتها بها أهلها » ، والمعنى التي لو وجدتها مأهولة ما كان موضعها وخشاً ، أى خالياً مؤخساً ، لكثرة أهلها وكثرة غواشي النعم فيها . وفي الحديث . « أن قريشاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لأكرمُ مقاماً وأحسنُ مقيلاً » ، أى موضعاً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أصحاب الجنة ﴾ - يعنى النبي عليه السلام وأصحابه - ﴿ يومئذ خيرُ مستقراً وأحسنُ مقيلاً ﴾ . ويقال : بات فلان وخشاً ، أى خالى البطن ؛ وتوخش الدواء^(٢) .

وقوله « وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ »^(٣) ، يريد إلا تعريج ساعة ، وعطف ساعة . ولم يرص بأن أضاف المُعَرَّج إلى السَّاعَةِ حتَّى وصفه بقوله قليلاً ، وهذا على هذا التقدير يكون من الصفات المؤكدة ، لا المفيدة^(٤) ، كما يحىء الحال كذلك . ولا يمتنع أن يريد تعريجاً [قليلاً]^(٥) في ساعة ، فيكون الصفة مفيدة .

(١) قال أبو رياش : « البيت الثانى لذى الرمة فى قصيدته التى أولها :

* أخرقاه للبين استقلت جهولها *

والبيت الثانى بنسبته إلى ذى الرمة فى ديوانه ٥٥٠ وأمالى القالى (٣: ٢١٦) والتنبيه لابن جنى .

(٢) يراد بالدواء الممهل . وتوخش الدواء ، إذا أخلى معدته ليكون أسهل لخروج الفضول .

(٣) فى الديوان : « فإن لم يكن إلا تعمل ساعة » .

(٤) المفيدة ، بالفاء فى النسختين والتبريزى .

(٥) للتكلمة من ل .

وقوله « فَأَيُّ نَافِعٍ لِي قَلِيلُهَا » يجوز أن يرتفع قليلها بنافع ، ونافعٌ خبر إن ، كأنه قال : فَأَيُّ يَنْفَعُنِي قَلِيلُهَا . ويجوز أن يكون قليلها مبتدأ ونافعٌ خبرٌ له مقدم عليه ، والجملة في موضع خبر إن ، والتقدير إني قليلها نافعٌ لي ، وانتصب مُعَرَّجٌ على أنه خبرٌ لم يكن ، أراد : وإن لم يكن الإلمام إلا مُعَرَّجٌ ساعة .

٥٩٢

وقال آخر :

١ - مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا أَخْبَرْتَنِي دَنِمًا رَهْنَ الْمَنِيَةِ يَوْمًا أَنْ تَعُودِينَا^(١)

٣ - أَوْ تَجْعَلِي نُطْفَةً فِي الْقَعْبِ بَارِدَةً وَتَقْمِسِي فَالِكَ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينَا

قوله « دَنِمًا » أى مُشْرِفًا على الهلاك ، وانتصابه على أنه مفعول ثالث الخبر . وقوله « ماذا عليك » لفظه استفهام ومعناه تقريع وبعث . وانتصب « رهنَ المنية » لأنه صفة لدنمًا ، ومعناه في ضمن المنية ومَلَكْتِهَا ، وكالرهن عندها ، إن شاءت أغلقته ، وإن شاءت فسكرته . والمراد : أى شئٌ عليك من أن تعودينا ، إذا أخبرتني عليلاً . فقوله « عليك » يقتضى فعلاً ، وذلك الفعل يعمل في أن تعودينا ، وقد حُذِفَ حرفُ الجرِّ منه ، أى لا عارَ عليك ولا ضررَ من عيادتنا ، ولا من مداواتنا بماء هذه صفته ، فهلاً فعلت . وقوله « يَوْمًا » خَرَفٌ لَخْبَرْتَنِي . وقد تقدم القول في « ماذا » في مواضع^(٢) .

(١) دنمًا ، بفتح النون وكسرهما ، كما ضبطت في النسختين مقرونة بكلمة « ما » فيهما .

(٢) انظر ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

٥٩٣

وقال جميل^(١) :

- ١- بُثِّيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبْصَّرَتْ مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ
 ٢- لَهَا النَّظَرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ وَإِنْ كُرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقَبُ^(٢)
 ٣- إِذَا ابْتَدَلَتْ لَمْ يَزِرْهَا تَرْكُ زِينَةٍ وَفِيهَا إِذَا اِزْدَانَتْ لِذِي نَيْقَةٍ حَسْبُ
 تُبْصَّرَتْ ، أَى اسْتَفْصَى النَّظَرُ إِلَيْهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَالِهَا . وَالْمَعَابُ :
 الْعَيْبُ . وَالْأَشْبُ : الْخَلْطُ : يَقُولُ : لِنَهَا عِنْدَ السَّيْرِ وَالنَّظَرِ ، وَالْكَشْفُ وَالتَّأَمُّلُ ،
 نَفِيَّةٌ مِنَ الْعَيْبِ ، بَرِيَّةٌ مِنَ الشُّوبِ ، فَلَهَا عِنْدَ الْمُبَالَغَةِ فِي الْبَحْثِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ،
 وَلَهَا الْبَسْطَةُ وَهِيَ النَّظَرَةُ الثَّانِيَّةُ ، وَيَعْنَى بِهَا أَنْ يُبْسَطَ التَّمْيِيزُ عَلَى مَا يَتَجَلَّى
 مِنْ أَمْرِهَا ، وَيُسَلَّطَ التَّنْقِيرُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَخْفَى مِنْ أَحْوَالِهَا . قَالَ : وَلَهَا الْعَقَبُ
 أَيْضًا ، وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ النَّظَرِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ الْجُرْمَى بَعْدَ الْجُرْمَى . وَالْعَرَبُ
 تَقُولُ : « النَّظَرَةُ الْأُولَى حَقِيقَةٌ » فَلِهَذَا قَالَ : لِهَذِهِ الْمُرَاةِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ، وَلَهَا
 الْكَشْفَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْبَسْطَةُ ، وَلَهَا الْبَحْثَةُ الثَّالِثَةُ ، وَهِيَ تَعَقُّبُ التَّجَرُّبَتَيْنِ
 بِتَجَرُّبَةٍ ثَالِثَةٍ .

وقوله « إِذَا ابْتَدَلَتْ » يَقُولُ : إِذَا تَرَكْتَ التَّزْيِينَ وَاکْتَسَتْ الْمُبَادَلُ
 لَمْ يَقْصُرْ بِهَا ذَلِكَ ، وَإِنْ تَزَيَّنَتْ كَانَ فِيهَا لِلتَّمَانِقِ الْكَفَايَةُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَطْلُبُ
 فِيهَا نَفْسًا وَخَلْقًا ، وَمُتَنَسِّبًا وَخُلُقًا . وَقَوْلُهُ « لَمْ يَزِرْهَا » أَى لَمْ يَزِرْ بِهَا ، يَقَالُ :
 زَرَيْتُ عَلَيْهِ وَأَزَرَيْتُ بِهِ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ الْجَارَ . وَقَوْلُهُ « حَسْبُ » أَى كَافٍ ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٠١ ص ٣١٤ .

(٢) التبريزي : « ويروى : لها النظرة الأولى عليهن بسطة » .

فهو مبتدأ . على هذا تقول : حَسْبِيَ اللهُ وحده^(١) ، ومثل هذا قول جرير :
إِذَا حُلِيَتْ فَالْحَلَى مِنْهَا بِمَعْقِدٍ مَلِيحٍ وَإِلَّا لَمْ يَشْنُهَا عَوَاطِلُ

٥٩٤

وقال الحارثي^(٢) :

١ - سَلَبْتُ عِظَامِي لِحِمَاهَا فَفَرَكْتُهَا مُجَرَّدَةً تَضْحَى إِلَيْكَ وَتَخْصِرُ^(٣)

٢ - وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ نُحْمَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ^(٤)

يقول : أَذْيَنِي بِهِوَكَ ، وانحصر اللحم من عظامي وتغرّت ، فهي بارزة في النهار للشمس ، وعند الليل للبرد ، إِذَا أَوَّبْتُ إِلَيْكَ وَأَسَأَدْتُ . و « إِلَيْكَ » موضعه بالفعل الذي يقتضيه نصب على الحال ، وإنما قال هذا لأن الميزول الحر والبرد إليه أسرع وأشد تأثيراً فيه . ويقال : ضَحَى يَضْحَى ضَحًى ، أصابه حر الشمس ، ولُغَةً : ضَحَا يَضْحُو ضُحُوًّا وضُحُوًّا .

وقوله « وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ نُحْمَا » ، يريد أنها أذهبت النقي من العظام أيضاً ورققتها ، نفلت من نخها واستشفت ، فهي كالقوارير الخالية لو هبت الريح لمصّرت بما يتخللها من الريح صفيها .

وقوله « فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ » الجملة في موضع الصفة للقوارير ، وموضع تصفرُ نصب على الحال إن جعلت الرِّيح ترتفع بالظرف ، وكذلك مجردة في موضع الحال . و يروى : « فَكَأَنَّهَا أَنَابِبُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيح » ، والأول أحسن

(١) ابن جني في التنبيه : « ليس حسب هذه هي التي في قولك في الأمر : حسبك يتم الناس . تلك اسم للفعل ، أي اكف ، ولذلك جزم يتم كما يجزم جواب الأمر . لكن حسب هنا هي التي في قول الله تعالى : فإن حسبك الله ، أي كافيك . وأصلها جميعاً من قول الله سبحانه : عطاء حساباً ، أي كافياً » .

(٢) كذا في النسختين والتبريزي . والأبيات منسوبة إلى المجنون في أمالي القالي (١: ١٦٢) .

(٣) الأمالي : « معرفة تضحى لديك » .

(٤) وكذا في الأمالي . وعند التبريزي : « فتركتها أنايب »

٣- إِذَا سَمِعْتَ بِأَسْمِ الْفِرَاقِ تَقَعَّقَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَنْتَظَرُ^(١)

٤- خَذِي يَدِي ثُمَّ أَهْضِي بِي تَبَيَّنِي بِيَ الضَّرِّ إِلَّا أَنَّنِي أُنَسَّرُ^(٢)

جعل الإخبار عن العظام ، وإن كان ما وصفه حالاً للجملة لا لها وحدها ، لقوله : سلبت عظامي لحمها . والمعنى إن ذكر الفراق يبلغ منها هذا المبلغ العظيم . وهي أنها لا ارتعادها تتداخل مفاصلها ويحكك بعضها ببعض حتى تسمع لها قعقة ، وذلك لهول ما ينتظره من وقوعه في نفسه ، واستعظامه للخطاب وفيه وله .

وقوله « خَذِي يَدِي » أراد أن يُرِيهَا ما تستبعده من وصف حاله بالخبر مشاهدة ، فقال : خَذِي يَدِي مستهضة لي بين لك أصرى ، ويظهر للكون فيك من ضربي ، والجلوب على من هزالي ، والمستور عنك من سوء حالي ، وقوله « إِلَّا أَنَّنِي أُنَسَّرُ » استثناء مفرغ من الأول ، كأنه أراد : لكنني أنسرت بتجلد أظهره ، وبصبر أتق الناس به . وفي البيت طباق بقوله تَبَيَّنِي وَأُنَسَّرُ . وأصل تَبَيَّنِي تَبَيَّنِي ، فحذف إحدى التاءين .

ثم باب النسب ، والحمد لله على تظاهر آلائه ، وتوالي نعمائه ،
والصلاة على سيدنا محمد وآله^(٣) .

(١) القائل :

إِذَا سَمِعْتَ ذَكَرَ الْفِرَاقِ تَقَطَّتْ عِلَاقَتُهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ

(٢) التبريزي : « ثم ارفعي الثوب فانظري » . وأنشد بعده هذين البيتين ولم يروهما القائل :

فَمَا حِيلَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةٌ عَلَى وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ

فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَظْنَعُهُ رِضَاكَ ، وَلَكِنِّي مُحِبٌّ مَكْفُورٌ

(٤) الكلام من أول « ثم » إلى هنا لم يرد في ل .

بَابُ الْفَحْشَاءِ

obeikandi.com

باب الهجاء^(١)

٥٩٥

قال موسى بن جابر^(٢) :

- ١- كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَالَكَ مَرَّةً عِنْدَ اللَّقَاءِ أَسِنَّةٌ لَا تَنْكَلُ
٢- فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَارَاتُ أَشْيَاءُهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحَوَّلُ

هذا الكلام تهكم وسخرية . ولا أَبَالَكَ : بعث وتحميض ، وليس بنفي للأبوة ، وخبر لا محذوف ، لأن النية في لا أَبَالَكَ الإضافة ، ولذلك أثبت الألف في أبا ؛ فكأنه قال لا أَبَالَكَ موجود أو في الدنيا . وقد مضى القول فيه مشروحاً^(٣) . فيقول : كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيام ، وتقصى من المرار ، عند لقاء الأعداء وفيما تباشره من الأمور والأحوال ، أسِنَّةٌ لا تكبو ولا تضعف ، نفاذاً في العزائم ومضاء ، ولا تذبو ولا تقف ، كلولاً في الصرائم ونكولاً ، فقد عادت الآن مقتديةً بأشياءها ، وآخذةً إخذهم في الارتداد والتكوص ، والإحجام والنبو ؛ والريح تتحوّل أحياناً [كذلك ، مرة تكون شمالاً ومرة

(١) التبريزي : « الهجاء هو الوقعة في الأنساب وغيرها ، وزى الإنسان بالمعائب ، وأصله التسكين ، من قولهم : هجا غرثه وجوعه وأهجي ، إذا سكن . فكأنه إذا رمى الإنسان بالعيوب سكن من إشرافه . وقيل : بل معناه التفصيل ، ومنه حروف الهجاء ، وهجا فلان الكلمة ، إذا فصل حروفها . فكان الشاعر إذا هجا غيره مزقه وفصله » .

(٢) سبقت ترجمته في الحاشية ١٢٣ ص ٣٦٣ . قال التبريزي رواية عن يعرف العبرية « إنما سمى موسى لأنه لما رفع من بين الماء والشجر قالوا : موسى ، كأن معناه منشول ، أي فشلوه كما ينشل اللحم من القدر » . وهذا يطابق ما ورد في سفر الخروج ٢ : ٢٠ .

(٣) انظر ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

جنوبا . وقوله « كذا » موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوّل .
أراد : والريح تتحوّل أحيانا^(١) [تحوّلًا كذلك . أى كما عرفت .

٥٩٦

[وقال قراد بن حنش الصاردي^(٢) :

- ١- لَقَوْمِي أَرْغَى لِلْعُلَى مِنْ عِصَابَةٍ من الناسِ يا حَارِ بْنَ عَمْرِو تَسْوُدُهَا
- ٢- وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزَاهَا بَابِدَةٍ تُنْجِي شَدِيدٍ وَيُدْهَا
- ٣- تُقَطِّعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقُهَا وَرُعُودُهَا
- ٤- فَوَيْلُهَا خَيْلًا بَهَاءٍ وَشَارَةً إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا

يقول : لقومي أحسن رعايةً وتفقدًا ، وأوفر عنايةً وتكسبًا لأسباب العلى وحفظ أواخيها وموادها ، من طائفة من الناس أنت تسوسها وتدبرها ، وما أشبهكم في كثرة دعاويكم وقلة فعالكم إلا بسحابة تكثر بروقها ورعودها ، ويعجب متأملها ومستمعها ربابها وهديرها ، بريح تعدّ أبدًا - أى أعجوبة أو داهية تبقى على الأبد - شديدة الخفيف ، قطاعة لحبال البيوت بما يجي .
منها بالخصباء ، ثم تراها مُخْلِفة^(٣) فيما وعدت من المطر ، فأكذب شيء برقها

(١) التكلّة من ل .

(٢) التكلّة من التبريزي وابن جني في التنبيه . وقال المرزباني في معجمه ٣٢٧ : « قراد ابن حنش بن عبد الله بن عبد العزى بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن مرة ، جاهلي من شعراء غطفان المشهورين . وهو قليل الشعر جيدة . قال أبو عبيدة : كانت غطفان تغير على شعرم فتأخذ وتدعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ، ادعى الأبيات التي أولها :
إن الرزينة لارزينة مثلها ما تبغى غطفان يوم أضلت

وهم بنو الصارد بن مرة بن عوف بن غطفان . الاشتقاق ١٧٦ . قال التبريزي :
الصاردي : النافذ : صرد السهم يصرد صردا .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « مخالفة » .

اللَّعَاع ، ورغذها للنباح . والباء من قوله « بأبدة » تعلق بقوله « يُعجِب الناس » أى يعجب رزها بأبدة ، أى ومعها أبدة .

وقوله « قَوِيلُهَا خِيَالًا » انتصب خيالاً على التمييز ، وحذفت الهمزة من أم في قوله « ويلها » لكثرة الاستعمال ، وليس الحذف هذا بقياس . واللفظة تفيد التعجب . و « بهاء » انتصب على أنه مفعول له ، فيقول ساخرًا : ويلها من خيل ، لكمال بهائها ، وحسن شارتها ، عند لقاء الأعادى ، لولا انهزامها وإعراضها .

وروى : « لَقَوِيْ أَدْعَى لِلْعُلَى » بالدال^(١) ، والأوّل أحسن وأصوب .

والعصابة : الجماعة . وقوله « يا حارث بن عمرو » الترقيم في قول من يقول في النداء يا حارث بن عمرو ، فيضّم وينوّن في غير النداء ، فيقول : هذا زيد بن عمرو^(٢) . وأحسن منه في قول من يقول : يا حارث بن عمرو ، فيفتح ويجعل الأول والثانى بمنزلة شيء واحد ، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُمع مع الصفة شيئًا من أن يكون آخرًا ، والترقيم يدخل الأواخر لا الأوساط .

وقوله « وأتم سماء » يُسمون السحاب سماء ، وكذلك المطر . ألا

ترى قوله :

(١) التبريزى : « المراد أكثر دعاء إلى العلى » .

(٢) هذا نص نحوى نادر . وقال ابن جنى في التنبيه : « كان القياس ألا يجوز ترقيم الاسم الموصوف بابن ، من قبل أن العلم إذا وصف بابن فلان فقد جملا معا كالاسم الواحد ، ولذلك قالوا يا زيد بن عمرو ، ففتحوا الأول لفتحته الثانى ، وإذا كانا كالاسم المفرد فقد حصل جزء الاسم الأول حشوا إذن لا طرفا ، وإذا كان حشوا لم يتطرق عليه حذف الترقيم . فهذا وجه قياس امتناعه ، غير أنه جاز فيه الترقيم من حيث كان الموضع موضع إيجاز واختصار ، ولذلك حذف التنوين من الأول ، فلما جاز حذف تنوينه بغير إضافة جاز أيضا حذف آخره للترقيم » .

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)
والرَّزَّ والوَيْدِ جميعاً : الصَّوت . ومعنى تُنْجِي تُقْبِل . وقوله « لولا
صدودها » جواب لولا في صدر البيت ، وقد تقدّم القول في المبتدأ بعده ومجيئه
بلا خبر^(٢) .

٥٩٧

وقال عمارة بن عقيل^(٣) :

- ١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَقِيلًا رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ
 - ٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ الْأَيَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبَى إِلَيْكَ مُلِيمٌ^(٤)
 - ٣ - وَإِذْ لَا يَقِيكَ النَّاسُ شَيْئًا تَخَافُهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَضْمِيمُ
- نَمْنَى أَنْ يَتَّفِقَ مِنْ يَبْلُغُ عَقِيلًا عَنْهُ رِسَالَتَهُ ، فَأَتَى بِلَفْظِ الاسْتِفْهَامِ ، وَالرِّسَالَةَ
« إِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ » وَمَا بَعْدَهُ . وَبَنَى كَلَامَهُ عَلَى الاسْتِعْطَافِ ، ثُمَّ
أَخَذَ فِي التَّقْرِيعِ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « إِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ » إِنَّكَ تَكْرُمُ
عَلَى مَنْ جَمَلَةٌ مِنْ يَنْتَسِبُ إِلَى بَنِي حَرْبٍ^(٥) .

(١) لمعود الحكماء معاوية بن مالك ، كما في اللسان (سما) .

(٢) انظر ص ٢٨٣ .

(٣) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « علس بن عقيل بن علفة » .
وقد سبقت ترجمة عقيل بن علفة في ص ٤٠٠ . وفي الأغاني (١١ : ٨٤) نسبة الأبيات إلى
علفة بن عقيل بن علفة ، وعلفة بن عقيل أخو علس بن عقيل . وأما عمارة فهو عمارة بن بلال
بن جرير بن عطية بن الخطي ، وكان شاعراً مقدماً فصيحاً ، يسكن بادية البصرة ويزور
الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته ، ويمسح قوادهم فيحظى بكل فائدة . وكان النحويون
بالبصرة يأخذون عنه اللغة . الأغاني (١٠ : ١٨٣) . ونسبة الشعر إلى عمارة نسبة خاطئة .
وللأبيات قصة في ترجمة عقيل بن علفة من الأغاني (١١ : ٨٤) .

(٤) التبريزي : « أَلَا تَعْلَمُ الْأَيَّامَ » . الأغاني : « أَمَا تَذَكُرُ الْأَيَّامَ » و « ذَمِيمٌ » .

(٥) وقد تابعه التبريزي في هذا الفهم ، وليس لعقيل بن علفة علاقة ببني حرب . وإنما
الحرب هنا العداوة والمشاكسة التي كانت مستمرة بين عقيل بن علفة وبنيه ، يعني أنه مع ذلك
يمكن له إكراماً واحتراماً .

وقوله « ألم تعلم الأيام » تذكيره بخذلان عشيرته إياه ، وتفرد به بما كان يقاسيه ، فيقول : أتذكر حين كنت فرداً وحيداً لا ناصر لك ، وإذا كان كل قريب ونسيب لك مُليماً عندك — والمليم : الذي يأتي بما يُلام عليه — وحين لا وافي لك من شيء تخافه إلا الذين أنت تظلمهم الساعة . فقوله « إلا الذين » استثناء بدل ، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلق ، والضمير العائد إلى الذين من الصلة محذوف ، استطالة الاسم ، والتقدير : تضيئهم ، أي تظلمهم .

وقوله : « ألم تعلم الأيام » ، ألم : يقرر به فيما ثبت ووقع . ويروي « الأيام » بالرفع ، و « الأيام » بالنصب . فإذا رويت الأيام بالنصب يكون الخطاب لعقيل ، ويكون تعلم بمعنى تعرف . والمعنى : أما عرفت الأيام التي كان حالك فيها ما ذكرت ، وأنتسى تلك الأيام . والمراد بالأيام حوادث الدهر . وقوله « إذ أنت » ظرف لها ، وإذا رفعت الأيام يكون المعنى : ألم تعرف الأيام حالتك وقصتك — والمعنى أهل الأيام وأصحاب الأيام — حين كنت كذا وكذا . فيكون الكلام على حذف المضاف .

٤ - أترفع وهى الأبعدين ولم يقم لوهيك بين الأقربين أديم^(١)

٥ - فأما إذا عضت بك الحرب عضّة فإنك معطوف عليك رحيم

٦ - وأما إذا آنتت أمنا ورخوة فإنك للقربى ألد خصوم^(٢)

وقوله^(٣) : أترقع لفظه استفهام ، ومعناه التقريع ، فيقول : إنك آتسى في

(١) رواية الأغاني :

تناول شأو الأبعدين ولم يقم لشاوك بين الأقربين أديم

(٢) التبريزي : « خصم » لكن شرحه يدل على أن الكلمة محرفة ، فهو يقول نقلا عن المروزقي ، وإن لم يصرح كعادته : « والخصوم بناء للمبالغة ، وهو أبلغ من خصم لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين » . وانظر ما سيأتي في الحواشي من كلام ابن جني .

(٣) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « يقول » .

استعطاف الأبعاد وإدنائهم ، وإصلاح الفاسد من أحوالهم ، رجاء التثام أمرك بهم ، وقد أفتَ نفسك حظك من أقاربك ، ومن تحدُّبهم عليك ، لتسعيك في إفساد أحوالهم ، ونَحَتْ أُنثَتِهِمْ ، وتضييع غيتهم . وهذا رأى فائلٌ ، وتوفيق سيِّ .

وقوله « لم يبقَ لوهيك » ، يريد بالوهي الذي يحصلُ بك وبثليك واعتياك . وذكر الأديم مثلٌ ، أى لا يَبْقَى أصلُه لتزريقك ، ولا يثبت صِحَّتُه لتخريقك . ويقال : فلانٌ صحيحُ الأديم ، وفلانٌ نَقِلُ الأديم . وفي المثل : « أوسَعَتْ وهياً فازقَمَهُ » .

وقوله « فأما إذا عَضَتْ بك الحربُ عَضَّةً » يريدُ : أنك إذا نابتكَ نائبةٌ ، وأصابتك من أزمات الزَّمان وعَضَّاتِه أزيمةٌ ، وألجأتكَ من مَصَارِفِ الحرب ضَفْطَةً فإنك تستعطف عليك ذَوِيكَ وعشيرَتَكَ ، وتعتمد رحمتهم لك ، وتطلب شفقتهم والأخذ بالفضل فيك . وقوله « رَحِيمٌ » هو فعيلٌ في معنى مفعول ، أى إنك معطوفٌ عليك مرحوم .

وقوله « وأما إذا آنستَ » ، يقول : أَمَا إِذَا أَمِنتَ وَوَجَدْتَ مِنْ مَضَائِكَ رِخَاءً ، وَمِنْ شِدَائِكَ لِيَفَاً ، عَلَى حَسَبِ عَادَةِ الدَّهْرِ فِي تَلَوْنِهِ ، فَإِنَّكَ تَخْرُجُ خَصْماً أَلَدَّهُمْ ، تَطْلُبُ إِعْلَاقَ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ ، وَتَسُدُّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ دُونَهُمْ ، وَتَصْرِفُ مَفَاتِحَ الرُّشْدِ عَنْ وَجُوهِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، وَهَذَا غَايَةُ اللَّؤْمِ وَسُوءِ الْاِخْتِيَارِ . وَالْأَلَدُ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ ، الْعَسِيرُ الْإِنْقِيَادِ . وَهُوَ الْيَلَنَدُّ وَالْأَلَنَدُ . وَالْخُصُومُ : بَقَاءُ الْمِبَالِغَةِ ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ خَصِيمٍ ، لِأَنَّهُ أَشَدُّ تَبَاعُداً مِنْ أَبْنِيَةِ أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ ^(١) .

(١) ابن جني : « خصوم أشد مبالغة من خصيم » ، لأنها أقرب إلى الأصل الذي هو فعول ، أعنى المصدر . فإن قلت : فإذا كانت فعول أشد مبالغة من فعيل فهلا جاءت الآية بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قيل : قد حصلت المبالغة بالرحمن ، لأن فعلاً من أبنيتها . وقد قال ابن عباس : إنهما اسمان رقيقان من الرحمة أحدهما أرق من الآخر ، يعنى الرحيم ، فلما كانت الرحمة في الأصل من بنى آدم رقة ولينا وكانت هنا رافة وتعطفاً ، كان فعيل أليق لها لفظاً من فعول .

٥٩٨

وقال أَرطاةُ بن سُهَيْبَةَ المَرِي^(١) :

١ - تَمَنَّتْ وَذَاكُم مِّن سَفَاهَةِ رَأْيِهَا لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَجْتَنِي مُحَارِبُ

٣ - مَعَاذَ الإِلهِ ، إِنِّي بِقَبِيلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبُ

ارتفع قوله « محارب » بفعلها وهو تَمَنَّتْ . فيقول : تَمَنَّتْ هذه القبيلة لما تحككت بي وهججني ، وتشهت مقابلي إياها بمثل ما فعلت ، وذلك لخفة رأيها ، وتناهي جهلها . فقوله « وذاك » الواو واو الابتداء ، وهي للحال ، وذاك ابتداء ، ومن سفاهة خبره . وتلخيص البيت : تَمَنَّتْ مُحَارِبُ لما هججني لأن أهجوها ، وذاك من سفاهة رأيها . والمراد : حَدَّثَتْ مُنْيَتَهَا لهجوى لها . ومثله :

* أَرِيدُ لِأَنسَى ذِكْرَهَا^(٢) *

وفي القرآن : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾^(٣) .

وقوله معاذ الإله انتصب على المصدر ، أى أعوذ بالله معاذاً من أن آتى ذلك ، لأننى أرغبُ بنفسى وأربأُ بأصلى عن الوقوف فى ذلك المقام ، وأصون شرفى وأرفع عقلى عن مساوئهم لفظاً بلفظ ؛ وفعلاً بفعل .

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٣٥ ص ٣٩٧ .

(٢) قطعة من بيت لكثير فى أمالى القالى (٣ : ١١٩) . وهو بتمامه :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لىلى بكل سليل

(٣) التبريزى : « فإذا جعل تمت من الأمانى المعروفة فالمعنى ودت أنى أمجوها لتفخر بذلك ، ويكون الفعل واقعا على مضمر محذوف ، كأنه قال : تمت أموراً لأهجوها ، وأكثر الكلام تمنيت أن يكون كذا ، فيصل الفعل إلى أن وصلتها من غير حرف متوسط ... وإذا جعل قوله تمت فى معنى كذبت فالمراد أنهم تكذبوا على فى الهجو لأغضب فأهجوهم » .

٥٩٩

وقال زميل^(١) :

- ١- إني امرؤ أطوى لمولاي شيرتي إذا أثرت في أخذعك الأنايل
 ٢- خلقت على خلق الرجال بأعظم خفاف تطوى بينهن الأنايل
 ٣- وقلب جلت عنه الشؤون وإن تشأ يخبرك ظهر الغيب ما أنت فاعل

يصف نفسه في البيت الأول بأنه يكفّ أذاه عن مولاه ، وأنه إذا أجمع أهل الرأى على نسبة مخاطبه إلى القدر ، والحيانة والشر ، فأشاروا بأصابعهم إذا ولّى إلى قفاه ، فقالوا : هذا قفّا غادر ، فإنه ينطوى شيرته في ذلك الوقت عن مولاه ومكروهه ، فلا يُعنّت نسيبا ، ولا يؤذى جارا قريبا ولا غريبا .

وقوله « خلقت على خلق الرجال » تبجّح في هذا البيت بأنه شخّص من الرجال قليل اللحم ، مديد القامة ، فخلقه خلق الرجال لا خلق النساء ، فلا يشبهه سُمّة^(٢) ولا فسل ، ولا يقعد به آفة ولا كسل ، فأعظمه خفاف ، ومفاصله بينها مطوية ممحصّة لطاف .

وقوله « وقلب » عطّفه على بأعظم ، يريد : وقلب هذبه الأمور ، وكشف عنه الطبع والرّين مزاوله الشؤون ، فهو بتجاربه يتصوّر ما لم يكن بصورة ما قد كان ، ومتى شدّت أخبرك بخبره ومعرفته ، وقرط شهامته وتمييزه ،

(١) للتبريزي وابن جني : « وقال زميل بن أبيير » ، وزميل وأبير ههنا التصغير ، ويقال في اسم أبيه أيضا « وبير » و « دبير » . وهو من نخصرى الجاهلية والإسلام ، أحد بني عبد الله بن عبد مناف وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، ويقال فيه أيضا « زميل بن أم دينار » منسوباً إلى أمه . المؤتلف والمختلف ١٢٩ والإصابة ٣٩٧٣ والخزانة (١ : ٢٩٣ - ٢٩٤) ، وكان بينه وبين أرتاة بن سمية مهاجرة .

(٢) المعروف في السمّة أنها دواء السمّ .

وَحِدَّةً نَظَرَهُ وَبَصِيرَتِهِ بِمَا أَفْتَ فَاعَلَهُ بَعْدَ الْغَيْبِ . وَانْتَصَبَ « ظَهَرَ الْغَيْبِ » عَلَى الظَّرْفِ ، وَ « مَا أَنْتَ » مَا فِيهِ بِمَعْنَى الَّذِي ، وَأَنْتَ فَاعِلٌ مِنْ صِلَتِهِ ، وَقَدْ حَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ مَعَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يُخَيِّرُكَ بِمَا أَنْتَ فَاعَلَهُ . وَيُقَالُ : خَبَّرْتُهُ كَذَا وَخَبَّرْتَهُ بِكَذَا ، وَحَدَّثْتُهُ كَذَا وَحَدَّثْتُهُ بِكَذَا .

- ٤ - وَلَسْتُ بِرَبْلِ مِثْلِكَ احْتَلَمْتُ بِهِ عَوَانٌ نَأَتْ عَنْ فَحْلِهَا وَهِيَ حَافِلٌ^(١)
٥ - فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ لِصِهْرِكَ إِلَّا نَفْسَهَا مَنْ تَبَاعَلْ^(٢)

كَانَ رَوَايَةَ النَّاسِ قَبْلَنَا « احْتَلَمْتُ بِهِ » وَالصَّوَابُ « احْتَلَمْتُ بِهِ » ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ « فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » . وَالرَّبْلُ : السَّمِينُ الرَّطْبُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَتَصَارِيفُهُ^(٣) . وَالْعَوَانُ : النِّصْفُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَوَّنتَ ، وَيُقَالُ : عَانَتِ الْبَقَرَةُ عَوْنًا ، صَارَتْ عَوَانًا . وَحَرْبُ عَوَانٍ : قَوْلُ بِلٍ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . فَيَقُولُ : لَسْتُ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مِثْلِكَ ، احْتَلَمْتُ بِهِ امْرَأَةً عَوَانٌ بَعْدَ عَهْدِهَا بِفَحْلِهَا ، وَهِيَ مَمْتَنَّةٌ شَبَقًا ، فَحَمَلَتْ فَجَاءَتْ مِنْ احْتِلَامِهَا بِكَ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَا وَالِدَ لَكَ إِلَّا مَا رَأَتْ أُمُّكَ عِنْدَ شِدَّةِ غَلَمَتِهَا مِنْ احْتِلَامِهَا ، فَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ يَحْيَى لَزْنِيَّةٍ . وَمَعْنَى « وَلَمْ تَجِدْ لِصِهْرِكَ » أَيْ لَمْ تَصَاهِرْهُ فِيكَ ، أَيْ تَخَالَطَهُ . وَقَالَ الْحَلِيلُ : الصَّهْرُ حُرْمَةُ الْخَتَنِ . وَخَتَنُ الْقَوْمِ : صِهْرُهُمْ . وَحَكِي عَنْ أَبِي الدُّقَيْشِ^(٤) : أَصْهَرَ بِهِمُ الْخَتَنَ ، أَيْ صَارَ فِيهِمْ صِهْرًا . فَيَقُولُ : لَمْ تَجِدْ خَتْنًا

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « ليس لزميل ، بل هو لأرطاة بن سمية يهجو زميلا . ونظام البيت أيضا مخجل ، والصواب :

ولست بربل مثلك احتلمت به
عوان نأت عن بعلمها وهي حائل
فجئت ابن أحلام النيام ولم يكن
لبضعك إلا طهرها من تباعل

(٢) التبريزي : « لظهرك » وقال : « أي للطهر الذي حملتك فيه . ومن روى :

لظهرك ، فالمنى للظهر الذي خرجت منه » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٧٨٨ .

(٤) أبو الدقيش القناني الغنوي ، أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة =

إِلَّا نَفْسَهَا ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْاِحْتِلَامُ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا ، وَإِذَا كَانَ مِبَاعَلَةُ النَّفْسِ عَلَى مَا وَصَفَهُ إِنَّمَا حَصَلَتْ عَنْ شَبَقٍ وَلِزُومٍ ذِكْرُ الْجِمَاعِ فِي الْيَقِظَةِ ، وَإِلَّا نَفْسَهَا : مَسْتَنْتَى مُقَدِّم . وَقَوْلُهُ « ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّ أَحْلَامَ النَّيَامِ لَا يَتَخَصَّصُ ، فَلَا يَصِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَعْرِفَةً ^(١) .

٦٠٠

وقال خارجه بن ضرار المري ^(٢) :

- ١- أْحَارَجَ هَلَّا إِذْ سَفِهَتْ عَشِيرَةً كَفَفْتَ لِسَانَ السَّوْءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا ^(٣)
 ٢- وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْنَكِيًّا أَلَا قَهْ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَغَى وَتَجَبَّرَا
 ٣- فَإِنَّكَ وَاسْتَبْضَاعَكَ الشُّعْرَ نَحُونَا كَسْتَبْضِعَ تَبَرًّا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا ^(٤)

قَوْلُهُ « سَفِهَتْ عَشِيرَةً » ، قَالَ يُونُسُ : سَفَهَ لَفَةً فِي سَفَهَةٍ ، وَعَلَى هَذَا تَنْصِبُ عَشِيرَةً عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا نُقِلَ عَنْهُ الْفِعْلُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : سَفِهَتْ عَشِيرَتُكَ فَتَقِلَّ السَّفَهَةُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : سَفِهَتْ ، فَأَشْبَهَ عَشِيرَةَ الْفِعْلِ ، فَتَنْصِبُ نَصْبَ التَّمْيِيزِ . وَقَوْلُهُ « يَتَدَعَّرُ » أَيْ يَنْحَبُثُ وَيَفْجُرُ . يَقَالُ : رَجُلٌ دَاعِرٌ بَيْنَ

== فهرست ابن النديم ٧٠ . وقال التبريزي في شرح الحماسة ٦٠٠ : « قَالَ اللَّيْثُ : قُلْتُ لِأَبِي الدَّقِيشِ : مَا الدَّقِيشُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي . فَقُلْتُ : فَمَا الدَّقِيشُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا هَذَا أَدْرِي . قُلْتُ : فَكَتَنَيْتُ بِمَا لَا تَدْرِي مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا الْأَسْمَاءُ وَالْكُنَى عَلَامَاتُ » .

(١) أَوْضَحَ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ ، « فَإِنْ قُلْتُ : فَإِنَّهُ مَعْرِفَةٌ . قِيلَ : لِمَا كَانَ مَثَلًا لَا حَقِيقَةً تَحْتَهُ عَادَ بِهِ الْمَعْنَى إِلَى التَّنْكِيرِ » .

(٢) التبريزي : « وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : وَفَالْزَمِيلُ لَخَارِجَةِ بْنِ ضَرَّارٍ » . وَأَنْشَدَ صَاحِبُ اللِّسَانِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مَنْسُوبَةً إِلَى خَارِجَةِ بْنِ ضَرَّارِ الْمَرِيِّ ، وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ بَرِيٍّ أَنَّهَا تَرَوَى لِزَمِيلِ ابْنِ أَبِي رَيْحَانٍ خَارِجَةَ . وَالشُّعْرُ عَلَى رِوَايَةِ الْمَرْزُوقِيِّ يُنْطِقُ بِأَنَّ قَائِلَهُ غَيْرَ خَارِجَةَ . وَيَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَيْضًا أَنَّ « خَارِجَةَ » كَانَ مُعَاصِرًا لِزَمِيلِ بْنِ أَبِي رَيْحَانٍ الْمُرْجَمِ آنِفًا .

(٣) التبريزي : « أَخَالِدُ » وَبِذَا تَقَرَّبَ نِسْبَةُ الشُّعْرِ إِلَى خَارِجَةَ . وَرَوَى فِي اللِّسَانِ مَرَّةً : « أَخَالِدُ » وَمَرَّةً : « أَخَارَجُ » .

(٤) التبريزي : « أَرْضُ خَيْبَرَا » .

الدَّعَارَةُ . وَحُسْبَى : فِي خَلْقِهِ دَعَارَةٌ ، فِي مَعْنَى زَعَارَةٍ ، وَعَلَى زَنْتِهِ . وَمِنْهُ عُودُ دَعِرٍ ، أَيْ كَثِيرِ الدُّخَانِ . وَالْحَوْتَكِيُّ : الضَّارِبُ الضَّعِيفَ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْحَوْتَكُ وَالْحَوْتَكِيُّ : الْقَصِيرُ الضَّعِيفُ . وَمَعْنَى الْأَقَةِ : الْأَصْقَةُ وَصَمَّهُ أَبْنَاءُ عَمِّهِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَبَقِيَ لَمَّا رَأَى ذَلِكَ . وَاسْتَبْضَعَ السَّلْمَةَ : أَنْ تَحْمِلَهَا بِنَفْسِكَ ؛ وَابْضَاعُهَا : بَعَثُهَا ، وَكَأَقِيلٍ فِي الْمَثَلِ : « كَسْتَبْضَعُ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْرٍ » لِكثْرَةِ نَحْلِهَا ، قِيلَ أَيْضًا « كَسْتَبْضَعُ التَّمْرَ إِلَى أَهْلِ هَجَرَ » ، وَهَذَا كَأَقِيلٍ « كَسْتَبْضَعُ الْمَلْحَ إِلَى بَارِقٍ » .

ومعنى الأبيات : هَلَا إِذْ كُنْتَ سَفِيهَ الْعَشِيرَةِ لَيْثِمَ الْفَصِيلَةِ ، أَمْسَكَتَ عَنِ الْخَلْعِ وَالْفُحْشِ ، وَصُنْتَ نَفْسَكَ وَلَمْ تَعْرِضْهَا لِلْهَجَاءِ الْمُبْضِ : هَذَا وَمَا كُنْتَ إِلَّا حَقِيرًا قَلِيلًا ؛ قِيمًا صَغِيرًا ، رَقَّ لَهُ أَقَارِبُهُ بَعْدَ مَا كَانُوا يَنْفُونَهُ وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ ، فَالْصَّقُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَطَعْنِي مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْلَى . وَأَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَحَمَلْتَ الْهَجَاءَ إِلَيْنَا فِي النَّدَمِ وَالْخُسْرَانِ ، وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ ، كَمَنْ حَمَلَ التَّمْرَ إِلَى خَيْرٍ يَتَجَرَّ فِيهِ ، فَرَجَعَ نَادِمًا ، وَحَصَلَ خَاسِرًا .

٦٠١

عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^(١) :

- ١- بَنِي مُنْفِذٍ لَا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ وَزَادَكُمْ ذُلًّا وَرِقَّةَ جَانِبِ
 - ٢- فَمَنْ يَرْجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةِ الَّتِي دَعَتْ وَبَلَّهَا لَمَّا رَأَتْ ثَارًا غَالِبِ
 - ٣- دَعَتْهُ فِي أَثْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهَا خَلِيطًا دَمٍ مِنْ تَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ
- نَائِلَةٌ : امْرَأَةٌ زُوِّجَتْ قَاتِلَ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا ، فَجَعَلَ عُمَارَةُ يَبْعِدُهُمْ ذَلِكَ .

والعرب تقول : دم فلان في ثوب فلان ، إذا كان قاتله .

قال أوس بن حجر :

نُبِيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نِلْتَهُ فَهَرِيقٌ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُجَبَّرٌ

وقال الفرزدق :

تَمَشَّى حَرَامٌ بِالْبَقِيعِ كَأَنَّهَا نَشَاوَى وَفِي أَثْوَابِهَا دَمٌ سَالِمٌ^(١)

فيقول : أبدلكم الله يا بني منقذ الأمن خوفًا لا يفارقكم ، وزادكم على سر الأيَّام ذلًّا وخضوعًا ، ولين تجسَّ وسُقوطًا ، فإنه لا يُعَلِّقُ الرِّجَاءَ بَكُم ، ولا يَسْتَنِيمُ أَحَدٌ إِلَيْكُم ؛ بعد نائلة التي دَعَتْ بالويلاتِ لما رأت ثارَ غالبِ أخيها أو أبيها ، وقد مَلَّكتموه أَسْرَهَا ، وجعلتموه بالتزويج قِيمَهَا ، ثم قال : دَعَتْ نائلة الوَيْلِ وفي أثواب زوجها لها خليطاً دَمٌ هَا دَمُ أَبِيهَا أو أَخِيهَا ، بقتله له ؛ والثاني دم عُدْرَتِهَا ، لتزوجه بها ، فهما لا زِمَانِ لِثَوْبِهِ لا يفارقانه . وروى « شَرِيحًا دَمٌ » . وكلُّ لونينِ اجتمعا فهما شَرِيحَانِ . وقوله « غير ذاهب » ، غيرُ صَفَةٍ لِدَمٍ ، وروى : « مُهْرَاقُهُ غيرُ ذاهب » ، ويكون الجملةُ صَفَةً لِدَمٍ أيضًا . وقوله « مَنْ يَرْجِيكُمْ » استفهامٌ على طريقِ التَّقْرِيعِ ، وفيه معنى النَّفْيِ ، أى لا يرجوكم أحد . ومعنى « دعت ويلها » صاحت بالويلِ لى . وفي القرآن : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) حرام : قبيلة ، وهم بنو حرام بن سمال بن سليم بن منصور . الاشتقاق ١٨٧ والمعارف ٣٨ . والبيت من أبيات في هجاء عبد الله بن خازم السلمى ثم الحرامى ، وكان قتل مولى لبنى يربوع بخراسان يقال له سالم . ورواية الديوان ٧٧٦ : « كأنها حبالى » .

٦٠٢

وقال طرفة بن العبد^(١) :

- ١- وفَرَّقَ عن بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَمْرًا وَعَوْفًا مَا تَشِي وتَقُولُ
 - ٢- وَأَنْتَ عَلَى الْأَذَى شِمَالُ عَرِيَّةٍ شَامِيَّةٌ تَزْوِي الْوُجُوهَ بَلِيلُ
 - ٣- وَأَنْتَ عَلَى الْأَفْصَى صَبَا غَيْرُ قَرَّةٍ تَذَاءِبُ مِنْهَا مُمْرِغٌ وَمُسِيلُ
 - ٤- وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَايِلُ^(٢)
- قوله « ما تشي » في موضع الفاعل لفرَّق . و« ما » إن شئت جملة بمعنى الذي ، وصِلَتْهُ تَشِي ، والضمير العائد من الصلّة إليه محذوف كأنه قال : ما تشيه وتقولُه . وإن شئت جعلت ما حرفًا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر ، ولا يحتاج إلى ضمير من الصلّة يعود إليه ، لكونه حرفًا ، ويكون التقدير وشابُتُك وقولُك . وبمعنى بَيْتَيْكَ : أخواله وأعمامه . فيقول : فرَّقَ عن بيتي أهلي وذويك من قبَل أبيك وأمك ما تأنيه من إبلاتٍ تتقوّلها ، ونمائم تحلقها وتصنّفها : سعد بن مالك وعمراً وعَوْفًا ؛ وإنما يعني بهم أنخاذًا وبطونًا كان

(١) طرفة بن العبد : أحد شعراء الجاهلية الذين تنسب إليهم المعلقات ، وطرفة لقب له ، واسمه عمرو . والطرفة بالتحريك : واحدة الطرفاء ، وهو الأثل . وقال طرفة الشعر صغيراً ، يروون أنه قتل وهو ابن عشرين فيقال له : ابن العشرين . وقيل : وهو ابن ست وعشرين ، توفي ذلك تقول أخته في رثائه :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيذا ضحما

وخاله المتلمس الضمعي صاحب الصحيفة . انظر الخزانة (١ : ٤١٢ - ٤١٧) والشعراء ١٣٧ - ١٤٩ والأغاني (٢١ : ١٢١ - ١٣٢) .

(٢) الأبيات من قصيدة في ديوانه ٥٠ - ٥٣ . يهجو بها عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرثد . وأنشد بعده التبريزي :

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لم تَكُنْ له حَصَاةً على عوراته لذيِّلُ

ضامهم معهم^(١)، فلم يَزَلْ يَسْعَى بالتحريش، ويمشى بالذم، حتى فرّق جمعهم، بما أوقع من الشرّ فيهم.

وقوله «وأنت على الأدنى شمالاً عريّة» فالعريّة: الباردة، ومنه قولهم: «عمرأه الحصى». فيقول: أنت على أقاربك في سوء اعتقادك لهم، وسوّفك الشرّ إليهم، وجرّك الجرائر عليهم، بمنزلة الريح الشمال الباردة، المحرقة للوجوه، إذا هبت في الشتاء، ويضجّبها ببلّ من المطر، ونَدَى يُقَبِّضُ الجلد، ويُجَفِّفُ لفصل الوجه. وإنما قال شامية، وإن كان الشمال لا تهب إلا من ناحية الشام تأكيداً. وللصفات كما تجي. مفيدة مميزة^(٢) تجي أيضاً. مؤكدة لا تُنفيد في الموصوف أكثر مما عُرِفَ فيه. وعلى هذا قد تجي الأحوال أيضاً، لكونها صفات في الأصل.

وقوله «وأنت على الأقصى صبا غير قرّة» يريد أنه على الأجانب في تعطفه عليهم، والانطواء على الجليل لهم، بمنزلة دبح الصبا تهب ولا برّد معها. وقد تذاب منها، أي تسهل واضطرب من أجلها. والذئب فيمن همزه منه اشتق، لأنه كلما طرد من جانب يتسهّل ويحصل من جانب آخر، لوقاحتها. والمرزغ: الذي يأتي بالرزغة، وهي الوحل. والمسيل: المذيب للجامد. والمعنى: أنت للأجانب بمنزلة القبول التي ترزغ الأرض في مهاجها، وتسيل التلاع، وتبت الخير، وتوسع الخصب.

وقوله «وأعلم علماً ليس بالظن» لما كان لفظه العلم قد يطلق على الظن الغالب، لقيامه مقام ما هو علم في الحقيقة، أكد قوله وأعلم بقوله ليس بالظن، وبين بهذا الكلام الخطأ فيما يأتيه المخاطب، وأنه إذا أفات نفسه حظّه من

(١) الضلع، بالفتح: الميل والهوى.

(٢) في الأصل: «لا مميزة» صوابه في ل.

أفاربه وعشائره بسوء معاملته ، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة .
يُفْنِي ، وإذا ذَلَّ أتباعه ولم يستبقِهم لنفسه فالذلُّ لاحقٌ له ، ومُحْتَفٌّ به .
وهذا الخطاب نَعَى عليه فِعْلُهُ ، وَبَيَّن له سوء التقدير فيما اختاره ، وفِعْلَ
القَوَايَةِ فيما اعتقده واعتاده . والضمير من قوله « إنه » للأمر والشأن ، كأنه .
قال : وإنَّ الأمر الحقَّ إذا ذَلَّ ابنُ عمِّ المرء فهو ذليل .

٦٠٣

بشير بن أبي جزيمة^(١) :

- ١- أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ . وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِاخْطَرَانِ^(٢)
 - ٢- أَبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا . وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٣)
 - ٣- لَقَدْ سَمِنَتْ قَفْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ^(٤)
- قوله « أَتَخْطِرُ » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى التبكيث . ولَمَّا كان المخاطب
من بني قِرْدٍ^(٥) جعله قِرْدًا في الحقيقة . والخطَرُ : أصله إشالة الذَّنْبِ مِنَ الْفِعْلِ
عند هيجاه ومساوئله لفعل آخر ، فاستعاره لفعل هؤلاء المخاطبين لَمَّا حَدَّثُوا
أَنْفُسَهُمْ بمباراة الأشراف ومساجلتهم . فيقول : أَتَحَدَّثُ نَفْسَكَ عَلَى بَاعِكَ

(١) التبريزي : « بشير بن أبي بن جزيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جزيمة » .
وهو بشير ، بهشة التصغير ، ابن أبي جزيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جزيمة العبسي .
ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف ٦١ .

(٢) أنشد الجاحظ هذه الأبيات في الحيوان (٤ : ٦٧) . ورواية هذا البيت عنده :
« أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيمُ كَبْرَةٍ . وَالْكَبْرَةُ بِالْكَسْرِ : التَّجَبُّرُ وَالْكِبَرُ .

(٣) التبريزي : « أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا » . الجاحظ : « وَلَوْمْ قَرَّوَدَ وَسَطَ كُلِّ مَكَانٍ » .
(٤) الجاحظ : « لَقَدْ سَمِنَتْ قَرْدَانُكُمْ » . والقردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهي
دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . وسئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : « كَفَى بِالْقِرْدَانِ
هَاهُنَا عَنِ الْقَمَلِ ، أَيْ سَمِنَتْ أَحْسَابُكُمْ وَدَقَّتْ أَحْسَابُكُمْ وَلَوْمَتْ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ لِلْإِنْسَانِ إِذَا سَمِنَ :
دَبَّ قَلْبُهُ » .

(٥) التبريزي : « قِيلَ : بَنَى قِرْدٌ تَبَزَّ نَبَزُوا بِهِ » .

الضيق ، وذَنَبَكَ القصير ، بمجاذبة الأشراف ومخاطبتهم ، حتى تفعل ما يفعله
الفعل في صياله ؟ أننى لك ذلك ، والقرد لا ذَنَبَ له يَشَاوِلُ به وَيَخْطُر ؟ وهذا
مَثَلٌ ، وفيه مع الإزراء تهكم .

وقوله « أَبَى قِصَرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » رجع الضمير إلى القبيلة
بأمرها . وقوله « وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ الْوَاوَ لِلْإِبْتِدَاءِ وَمُفِيدَةٌ لِلْحَالِ » : والمعنى اشتهاهم
باللوم حتى لا يخفى أمرهم في جوانب أرضهم ، وعند أعلام معارفهم .

وقوله « أَبَى قِصَرُ الْأَذْنَابِ » تفسير لما أنكره بقوله : « وهل يستعدُّ
القرد للخطرآن » ، وتفصيل لما أبهته .

وقوله « لَقَدْ سَمِنَتْ قِمَدَانُكُمْ » فالقِمَدَانُ : جمع القمود ، وهى الناقة
تَقْتَمِدُ ، أى تُرْكَبُ (١) .

وقوله « آَلْ حَذِيمٍ » إضافته لآل (٢) إلى حذيم إضافة البعض إلى الكل .
وكذلك فى قوله « يَا قِرْدَ حَذِيمٍ » ، يكشف لك أنه قال : ولؤم بنى قرد
بكل مكان . وإنما ينسبهم إلى حُسن تفقدهم لأموالهم ، وسوء إهلاكهم لحسبهم ،
فقد سَمِنَتْ إبلهم بحُسن رِغيتهم لها ، وتوفرهم على إصلاحها ، وترتيج ديشهم
بتشهيرها وتكثير نسلها ، وأن أحسابهم مضىعة مهملة ، مقروكة من التفقد باثرة ،
لَا تُرْمُ فروغها ، وَلَا تُضْبِطُ أصولها ، وَلَا يُحَنِّظُ بِحُسْنِ الرِّوَاغَةِ من السقوط
والرُّزُوح هزبلها .

(١) التبريزى : « ويقال : القمود : الذكور والقلموس : الأنثى من شواحب الإبل .
ولما جعل قمدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها بالبن على الضيف والحار ، فأحسابهم غير سمان لأنهم
يعصمون الحقوق فلا حسب لهم يمدحون به . » وانظر ما سبق من الكلام على رواية هذا البيت
وتوجيهه فى الحواشى السابقة .

(٢) ل : « لآل » .

٦٠٤

وقال أبو منازل^(١) في ابنه :

- ١ - جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينُ طَالِبُهُ^(٢)
 ٢ - تَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا آخَ شَيْطَانًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَخْلِ غَارِبُهُ^(٣)
 ٣ - تَعَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوْ يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ^(٤)

قوله « جَزَتْ رَحِمٌ » دعاء على ابنه منازل . وجعل فعل الجزاء للرحم .
 والجازي هو الله تعالى ، لأنه السبب في الجزاء ، ولتكون الشكوى أبلغ ،
 فيقول : جَزَى اللهُ مُنَازِلًا عَلَى الرَّحْمِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ قَطَعَهَا وَلَمْ يَقُمْ بِحَقِّهَا ،
 جزاء يستوفي له وعليه ما يحق ، كما يستنزِلُ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ عَلَيْهِ الدِّينُ حَقَّهُ .

(١) التبريزي : « وقال فرعان بن الأعرف في ابنه منازل » . وهو أحد بني مرة بن
 عبيد بن الحارث بن عمرو بن مقاسم بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر لص نخصر ،
 وله مع عمر بن الخطاب حديث في حقوق ابنه منازل . المؤتلف ٥١ والمرزباني ٣١٦ والإصابة
 ٧٠٠٩ . وفرعان أخ يسمى « منازل » أيضاً ، ومن عجب أن يروى له الأمدى في المؤتلف
 ٥١ شعراً يذكر فيه حقوق ابنه له . لكن هذا الشعر رواه أبو ريش منسوباً إلى منازل بن
 فرعان بن الأعرف يشكو فيه حقوق ابنه المسمى « خليج » . فكان هذه الأسرة عيقة في أن
 يعق الولد منهم أباه .

(٢) الأبيات في معجم المرزباني والإصابة . وفي معجم المرزباني : « سواء كما يستنجز » .

(٣) المرزباني وابن حجر : « وأطعمته حتى إذا صار » .

(٤) المرزباني وابن حجر : « تخون مالي ظالماً ولوى يدي » . وأنشد بعده التبريزي :

« كَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى مِنْ الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطْيَبُهُ
 وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفَنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
 وَجَعَّعْتُهَا دُهْمًا جِلَادًا كَانَهَا أَشَاءَ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
 فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيمًا كَأَنِّي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقْتُهُ مَضَارِبُهُ
 فَأَنَّ أُرْعِشْتَ كَفَا أَبْيَكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ

ثم أخذ يقتصُّ ما دار بينهما ، وما أوجب عليه الفرض الذي ضيَّعه فقال :
 رَبَّيْتُهُ طِفْلاً وَنَاشِئاً ، حَتَّى إِذَا صَارَ شَابّاً طَوِيلَ الْقَامَةِ يَكَادُ غَارِبُهُ يَسَاوِي غَارِبَ
 الْفَعْلِ ، أَيْ بَلَغَ قَامَتُهُ قَامَةَ الْفَعْلِ . وَالْغَارِبُ : مُقَدِّمُ السَّنَامِ . وَالشَّيْظُ : الطَّوِيلُ
 الْغَلِيظُ . وَيُرْوَى : « لَرَبَّيْتُهُ » ، وَيَكُونُ اللَّامُ جَوَابَ قَسَمٍ انطوى عليه
 الْكَلَامُ . وَيُقَالُ : رَبَّيْتُهُ وَرَبَّبْتُهُ وَتَرَبَّيْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . حَتَّى إِذَا آخَ ، أَيْ إِلَى
 أَنْ صَارَ . وَإِذَا جَوَابُهُ قَوْلُهُ « تَعَمَّدَ حَتَّى » يَرِيدُ : لَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ سَتَرَ حَقِّي
 وَلَمْ يَبْقَ بِهِ ، مُتَعَمِّدِيّاً طَوْرَهُ ، وَبَاحِشاً مَا اسْتَوْجَبْتُهُ عَلَيْهِ بِالْوِلَادَةِ وَالتَّرْبِيَةِ ،
 فَلَمَّا جَاذَبْتُهُ بِلِسَانِي مَدَّ يَدَهُ فَلَوَى يَدِي ، أَيْ فَتَلَّهَا وَأَزَلَّهَا عَنْ حَالِهَا وَهَيْئَتِهَا
 ثُمَّ قَالَ دَاعِيّاً عَلَيْهِ : لَوَى يَدَهُ اللَّهُ ، أَيْ أَشَلَّهَا وَأَبْطَلَهَا ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ
 مَعَهُ ، وَالْغَالِبُ لَهُ وَعَلَيْهِ ^(١) .

٦٠٥

وقال عارق الطائي ^(٢) :

- ١ - وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ لَكَسَا الْوُجُوهَ غَضَاضَةً وَهَوَانًا
- ٢ - وَسَلَاسِلًا يُثْنَيْنِ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقَطَّعَ مِنْكُمْ الْأَفْرَانَا
- ٣ - وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جَارَانِهِ مِنْكَ وَرِيْطًا رَادِعًا وَجِفَانًا

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « له عليه » .

(٢) هو قيس بن جروة بن سيف بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أمان بن ربيعة بن جروول
 ابن ثعل الطائي الأجدى ، نسبة إلى أجداء : أحد جبل طيىء ، وهما أجداء ولسلى . وهو شاعر جاهل .
 وعارق لقب له ، قالوا : سمى به لقوله :

لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لانتحين للعظم ذو أنا عارق

افظر الخزانة (٣ : ٣٣٠ - ٣٣١) والآفاق (١٩ : ١٢٧) والمزهر (٢ : ٤٣٨)
 وقال أبو رياض : ليس هذا الشعر لعارق ، إنما هو لثرملة بن شعاث الأجدى ، قاله على
 لسان عارق . وذكر التبريزي سبب هذه الأبيات مقارناً لما رواه المروزي ، ولكنه نسب هذه
 الأبيات النوفية إلى ثرملة ، وذكر أنه قالها على لسان عارق لينجي عارقاً من كيد عمرو بن المنذر ..

لهذه الأبيات قصّة طريفة ، وأنا أذكرها بما عَرَضَ من السّهو فيها .
 ذكر هشام الكلبى أن عمرو بن المفذر بن ماء السماء - وأمه هند بنت
 الحارث الملك - كان عاقداً طيئماً ألاّ بُغزوا ولا يُفَاخَرُوا ، فاتفق أن غزا
 عمرو اليمامة فرجع مُنْفِضاً^(١) ، فرّ بطيئاً ، فقال زُرارة بن عدس : أبيت اللعن ،
 أصب من هذا الحى شيئاً . فقال : ويلك ، إنّ لم عَقْدًا ! قال : وإن كان ،
 فإنك لم تكتب العقد لهم كلهم . فلم يزل به حتّى أصاب نسوة وأذواداً ، فقال
 فى ذلك قيسُ ابن جِرْوَةَ الأَجَنّى :

أَلَا حَى قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقٌّ إِلَيْهِ وَشَائِقُهُ
 - وستجىء الأبيات فى هذا الباب من الاختيار من بعد ، لكن فى
 آخرها قوله :

لئن لَمْ تُغَيَّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَأَنْتَحِينَ لِلْعَظَمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ
 فلقب يومئذ بعارق - فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعرُ قال له زُرارة :
 أبيت اللعن ، إنّه ليتوعدّك على انتقامه بزُعمه . فقال عمرو لثُرْملة بن شُعْثِ
 الأَجَنّى : أيهجُونى ابنُ عمّك ويتوعدّنى ؟ فقال : والله ما هجّاك ، ولكنّه قال :

والله لو كان ابنُ جَفْنَةَ جارِكُم ما إن كساكُم غَضَّةً وَهَوَانًا
 وسلاسلًا يَبْرُقْنَ فى أعناقكم وإذا لقطعَ مِنْكُمُ الْأَقْرَانَا
 وكانَ عادَتُهُ على جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَبْطًا رَادِعًا وَحِفَافًا^(٢)
 يعنى باين جَفْنَةَ عمرو بن الحارث ، وإنّما أراد ثُرْملة أن يُقَبِّحَ عليه^(٣)

(١) أنفض القوم : لقد طعامهم وزادهم . والإنفاض : المحاجة والحاجة وهلاك المال .

(٢) وكذا هند التبريزى . وفى ل : مسكا وربطا .

(٣) ل : « إليه » .

فَعَلَّتْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُذْهِبُ سَخِيمَتَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلَنَّهُ !
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِقًا فَقَالَ :

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرُوَ بْنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّ بِهَا الْعَيْسُ تُنْفَضَى مِنَ الْبُعْدِ
وَسُجِّىءٌ مِنْ بَعْدٍ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا اقْتَصَصْتُ ، بَانَ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الَّتِي أَوَّلَهَا : « وَاللَّهِ
لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ » ، لَيْسَ بِهَجْوِ لَابْنِ جَفْنَةَ وَإِنَّمَا هُوَ مَدْخُحٌ لَهُ ، وَقَدْ عُبِّرَ
بِذِكْرِهِ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ ، وَأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى مِنْ طَيْئٍ مَا تَوَلَّاهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ كَانَ
مَعَامَلَتُهُ إِيَّاهُمْ بِخِلَافٍ مَا عَامَلَهُمْ بِهِ هُوَ ، فَتَقَوَّرَ ^(١) أَنَّهَا هَجْوُ لَابْنِ جَفْنَةَ ،
وَجُمِلَ بِدَلٍّ « مَا إِنْ كَسَاكُمْ » : لَكَسَا الْوُجُوهُ ، وَبَدَّلَ قَوْلَهُ « إِذَا لَقِطَعَ
تَلَاسِكُمُ الْأَقْرَانَا » : مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا ، وَبَدَّلَ قَوْلَهُ « وَلَسَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ » :
عَلَى جَارَاتِهِ ، وَمَعَ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ لَيْسَ بِخُلُصٍّ هَجْوًا .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَأَنَا أَعُودُ إِلَى عَادَتِي مِنْ تَفْسِيرِهَا وَشَرْحِ مَعَانِيهَا :

قَوْلُهُ « غَضَّةٌ » قَوْلَةٌ مِنْ غَضٍّ ، وَالْفَضَاضَةُ وَالْقَضُّ : الْفُتُورُ فِي الطَّرْفِ .
وَنَصَّبَ قَوْلَهُ « وَسَلَاسِلًا » عَلَى الْمَعْنَى ، فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِ الْآخِرِ ^(٢) :

يَا لَيْتَ بَعْلَاكِ قَدْ غَدَاَ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

لَأَنَّ السَّلَاسِلَ لَيْسَ مِنْ كُسُوةِ الْوُجُوهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا إِنْ كَسَاكُمْ
غَضَّةٌ وَلَا قَدْرَكُمْ إِذَا غَلَّكُمْ سَلَاسِلُ تَبْرِقَ فِي أُنَاقِكُمْ . وَقَوْلُهُ « يُثْنَيْنِ » مَعْنَاهُ
يُعْطِفْنَ وَيُؤَوِّنَ . وَ « إِذَا لَقِطَعَ تَلَاسِكُمُ الْأَقْرَانَا » فَلَا أَقْرَانُ الْحِبَالِ ، وَالْوَاحِدُ

(١) الضمير في هذا لأبي تمام مختار الحماسة ، والتغييرات التي نص عليها المرزوقي هي
تغييرات أبي تمام ، كما هي عادته ، انظر ما سبق في مقدمة المرزوقي ص ٦٤ .

(٢) هو عبد الله بن الزبير . الكامل ١٨٩ ليبسك . وانظر ما سبق في حواشي ١١٤٧

قَرَنَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « يَبْرُؤَنَ » فَاْلَمَعْنَى ظَاهِر . وَيَشِيرُ إِلَى مَا لَحَقَهُمْ مِنْ جِهَةِ
 هَمْرُوبِنْ هِنْد . وَقَوْلُهُ « إِذَا » أَجَابَ لَوْ بِإِذَا كَمَا أَجَابَهُ بِاللَّامِ مِنْ قَوْلِهِ « اكْسَا »
 وَبِمَا عَلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ ^(١) . وَمَعْنَى « لَقَطَعَ تِلْكَ الْأَقْرَانَا » أَيْ لَوْ كُنْتُمْ
 مَأْسُورِينَ لَكَانَ بَيْنَكُمْ ، وَيَقْطَعُ تِلْكَ الْحَبَالَ الَّتِي صَارَتْ إِسَارًا لَكُمْ . وَإِذَا
 رَوَى « وَإِذَا لَقَطَعَ مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا » كَانَ مَعْنَى الْبَيْتِ : يَشْدُكُمْ فِي السَّلَاسِلِ
 وَيَبِيدُ جَمْعَكُمْ . وَقَوْلُهُ « وَلَكِنْ عَادَتْهُ عَلَى جِيرَانِهِ » ، يَرِيدُ أَنَّهُ يَفْعَلُ خِلَافَ
 مَا فَعَلَهُ عَمْرُو بْنُ هِنْد ، لِأَنَّ عَادَتْهُ فِي الْجِيرَانِ أَنْ يَمُوتَ لَهُمْ وَيَصْلَهُمْ ، وَيَبْرَهُمْ
 وَيَخْلَعَ عَلَيْهِمْ ، وَيَقْرِيَهُمْ وَيَمُوتُهُمْ . وَعَلَى الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ يَرْمِيهِ وَيَقْذِفُهُ بِالْجَارَاتِ ،
 وَمَعْنَى ذَلِكَ ظَاهِر . وَالرَّادِعُ : الْمَتَغَيِّرُ اللَّوْنُ بِالطَّيِّبِ وَالْخُلُقُ . وَيَقَالُ : تَرَدَّعَ
 بِالْخُلُقِ ، إِذَا تَلَطَّخَ .

٦٠٦

وقال آخر ^(٢) :

١- زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِمْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ

٢- أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

يَخَاطَبُ بَنِي أَسَدَ وَيَكْذِبُ دَعْوَاهُمْ فِي انْتِمَائِهِمْ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَتَنْشِيهِهِمْ بِالْقُرَيْشِ
 وَالْقَرَابَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : ادَّعَيْتُمْ أَنَّ قُرَيْشًا إِخْوَتُكُمْ ، وَسَمِئَاءُ الْكَذِبِ ظَاهِرَةٌ
 عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى ، لِأَنَّ قُرَيْشَ إِبِلَانًا فِي الرُّحْلَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ ، وَلَيْسَ
 لَكُمْ ذَا ؛ وَقَدْ آمَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ، وَأَنْتُمْ خَائِفُونَ جَائِعُونَ .

(١) أَيْ عَلَى رِوَايَةِ : « مَا إِنْ كَسَاكُمْ غَضَّةً » .

(٢) هُوَ مَسَاوِرُ بْنُ هِنْدَ بْنِ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ ، يَهْجُو بَنِي أَسَدَ ، كَمَا قَالَ الْبَرْزِيُّ ، وَكَأَنَّ فِي

اللِّسَانِ (أَلْف) . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ « مَسَاوِرَ » فِي الْحُمَاسِيَةِ ١٤٨ ص ٤٣٠ .

وإنما يُشير إلى الشُّورة المُنزلة : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ . رَحْلَةَ الشَّعَاءِ
وَالصَّنِيفِ ﴾ ... إلى آخرها . ويقال : أَلِفَ بِأَلْفٍ إِنْفًا وَإِلَافًا ، وَأَلَفَ
يُولِفُ إِيْلَافًا .

٦٠٧

وقال آخر^(١) :

١- إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مِثِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

٢- صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بُشْرًا عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

٣- جَهْلًا عَلَى وَجْهِنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَيْسَتْ الْخَلْقَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

انتصب «فرحاً» على أنه مفعول له ، وكان الواجب أن يقول : يطيروا بها
فرحاً ، لأنه لا يجوز أن يعمل حرفُ الشرط في الشرط بالجزم ويُجعل الجواب
فعلًا ماضيًا في الكلام ، وإن كان يجوز في الشعر . ومعنى البيت الأول أنهم
إذا رأوا حسنةً كتبوها ، وإذا رأوا سيئةً أظهروها . وقوله «مِثِّي» أراد من
جهتي . ومعنى «طاروا بها» أي كثروها في الناس وأذاعوها ، ووصلوا القيام
بالقعود في نشرها . وهذا ضدُّ ما ذكره من الدفن في قوله «وما سمعوا من
صالحٍ دفنوا» في المعنى .

وقوله «صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا» ارتفع صُمٌّ على أنه خبر مبتدأ محذوف ،
كأنه قال : هم صُمٌّ ، أي يتصامون عما أنسب إليه من الخصال الصالحة .
ويقال للمريض عن الشيء : هو أصمُّ عنه . على ذلك قوله :

* أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ *

(١) هو قعنب بن أم صاحب ، وهي أمه ، واسم أبيه ضمرة ، أحد بني عبد الله بن
عطفان . وكان في أيام الوليد بن عبد الملك . والقضب : الصلب الشديد من كل شيء . عن
شرح التبريزي ، والتنبيه لابن جني .

قال : ومتى ذُكِرْتُ بِشَرِّ أَدْرَكُوهُ وَعَلِمُوهُ . ويقال : أَذِنَ يَأْذِنُ أَذْنًا . قال :

* بِسْمَاعٍ يَأْذِنُ الشَّيْخُ لَهُ ^(١) *

ويحوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة . وانتصب « جهلا » لأنه مصدر لعل . ينسبهم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم ومهمهم ، وأنهم جنباء عن الأعداء ضعفاء عَجَزَة إذا طُلبَ كفايتهم ، لا يصلحون لدفع مكروه ، ولا جلب محبوب . ثم سوا عليهم فعلهم فقال بَنَسَتْ الْخَصْلَتَانِ جَهْلَهُمْ عَلَى أَقَارِبِهِمْ ، وَجُبْنَهُمْ عَنْ أَعَادِيهِمْ . وهذا تأكيد في التعمير ، ومبالغة في التقرع .

٦٠٨

وقال منصور بن مسجاح ^(٢) :

١- نَارَتْ رِكَابَ الْعَيْرِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ صَفَايَا وَلَا بُنْيَا لِمَنْ هُوَ نَائِرٌ ^(٣)
٢- مِنَ الصُّنْبِ أَثْنَاءَ وَجْدًا كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَاصِرُ
قوله « رِكَابَ الْعَيْرِ » يُرْوَى « رِكَابَ الْقَوْمِ » . وأراد بالْعَيْرِ السَّيِّدَ ، وكان استيق لرئيسهم إِبْلُ فارتجع بدلاً منها على ما وصفه . ومعنى « نَارَتْ رِكَابَ الْعَيْرِ » أى أدركت النَّارَ فيها منهم بأن أخذتْ هَجْمَةً مِنَ الْإِبْلِ - وهى اللانة وما داناها - غِزَارًا سَمِيفَاتٍ ، وَلِلنَّارِ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُنْقَى ، وَالْأَصْلُ فِي النَّارِ الْقَاتِلِ ، فَوْضَعَهُ مَوْضِعَ الْوَائِرِ لِلتَّقِيمِ . يقال : نَارَتْ فُلَانًا وَنَارَتْ فُلَانًا ، إِذَا قَتَلَتْ قَاتِلَهُ .

(١) لعدى بن زيد العبادى ، كما فى اللسان (أذن) . وعجزه :

* وحديث مثل ماذى مشار *

(٢) هو منصور بن مسجاح - ويقال مسجاح بتقديم الحاء على الجيم - بن سباع

الضبي : شاعر جاهلى . معجم المرزبانى ٣٧٣ .

(٣) كذا فى ل والتبريزى والمرزبانى . وفى الأصل : « ضمه بهجمة » .

وقوله « من الشَّهْبِ أَثْنَاءُ وَجُدْنَا » ، هذا تفسير للهَجْمَةِ ، وتفصيل
للجملة ، يريد : من الإبل الشَّهْب . والشَّهْبَةُ : حرّةٌ يعلوها بياض . وتعلّق من
بقوله هَجْمَةٌ . وأثْنَاءُ : جمع ثَنِيٍّ . والجُدْعُ : جمع جَذَعٍ ، وهو كخَشَبٍ وخَشَبٍ .
والحجة في أن العَيْرَ السَّيِّدُ قوله :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ رَمَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ^(١)
وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه . وقوله « كَأَنَّهَا عَذَارَى » يعني حُسْنَهَا ،
والمعاصِر : جمع المُعَصِّر ، وهي من النساء التي شارفت الإدراك والبُلُوغ . قال :
* قد أَغْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِغْصَارُهَا^(٢) *

والشَّارَةُ : الهيئة . ويقال : رَجُلٌ شَيَّرَ صَيَّرَ ، من الصُّورَةِ والشَّارَةِ .

٣ - فَإِنْ نَلَقَ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّا نُكَاثِرُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَنُفَاخِرُ^(٣)
٤ - لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ وَفَيْتُمْ لِحَارِكُمْ لِحَى وَرِقَابَ عَرْدَةٍ وَمَنَاخِرُ^(٤)
بَيَّنَّ أَنَّ الَّذِينَ أَدْرَكَ مِنْهُمْ مَا أَدْرَكَ هُمُ بَنُو سَعْدٍ . وهذا الكلام تهكم
وسخرية . كأنه يريد : إِنْ اتَّفَقَ مِنْ سَعْدٍ الزَّلَّةُ بَعْدَ الزَّلَّةِ ، والسَّقَطَةُ الْمَفْكُورَةُ
بَعْدَ السَّقَطَةِ ، فَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ نُكَاثِرُ بِهِمُ الْأَعْدَاءَ . وَنُفَاخِرُ بِمَكَانِهِمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ ، فَقَالَ : لَوْ رُمِئْتُمْ الْوَفَاءَ لِحَارِكُمْ ،
وَلَمْ تَنْظَمُوا فِي مَالِهِ لَقَرُبَ ذَاكَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ آلَاتِ الْوَفَاءِ مُعَدَّةٌ فِيكُمْ : لِحَى
مَوْفُورَةٌ ، وَرِقَابٌ غَلِيظَةٌ ، وَمَنَاخِرُ وَاسِعَةٌ مُنْتَفَخَةٌ .

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته .

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي ، في اللسان (عصر) . وقبيله :

جارية بسفوان ذارها تمشى الهويى ساقطاً خارها

(٣) المرزبانى : « بها ونفاخر » .

(٤) بعده عند التبريزى :

قَبْهَرًا لِمَنْ غَرَّتْ كِفَالُهُ مَقْرِ وَإِنْ كَانَ عَقْدٌ بَيْنَهُمْ مَتَظَاهِرٌ

٦٠٩

وقال حَوَّاسُ الضَّبِّيُّ لامرأة^(١) :

١- وَاللَّهِ مَا أَخْشَى حَكِيمًا وَرَهْطَهُ وَلَكِنَّمَا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ^(٢)

٢- وَجَدْتِ أَبَاكَ تَابِعًا فَتَبِعْتِهِ وَأَنْتِ لِعُمَّارِ الرَّجَالِ لَزُومٌ

رَمَى الْمَرْأَةُ الْمُخَاطَبَةَ وَقَذَفَهَا بِحَكِيمٍ ، فَقَالَ لَهَا مُعِيرًا وَمُشَهِّرًا بِهَا : إِنِّي

لَا أَخَافُ صَاحِبِكَ حَكِيمًا وَلَا عَشِيرَتَهُ ، وَلَا أَحْفَسُهُمْ فَيْكَ ، وَلَكِنْ حَكِيمٌ

يَخْشَى أَبَاكَ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَكَ عَلَى الْفَاحِشَةِ . ثُمَّ قَالَ : تَعَاطَيْكَ الْفُجُورَ وَرِائَةً ،

لَأَنَّكَ وَجَدْتِ أَبَاكَ فِي الْأُبْنَةِ تَابِعًا لِسَلَفِهِ فِيهَا ، فَاقْتَدَيْتِ بِهِ ، فَهُوَ يَطْلُبُ مَنْ

يَشْفِيهِ مِنْ دَائِهِ ، وَأَنْتِ أَيْضًا شَدِيدَةُ الزَّامِ لِلزُّنَاةِ وَالْفُسَاقِ ، وَالْوَلَدُ يَتَّقِيْلُ أَبَاهُ^(٣) .

٣- عَلَى كُلِّ وَجْهِ عَائِذِي دَمَامَةً يُوَافِي بِهَا الْأَحْيَاءُ حِينَ تَقُومُ^(٤)

(١) هو جواس بن نعيم ، أحد بني حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر

ابن سعد بن ضبة . المؤتلف ٧٥ وشرح التبريزي . وهذه الأبيات يقولها ردا على أبيات قالتها

أمة من عائدة بن مالك ، وأنشدها التبريزي . وهي :

مَتَى تَلَقَّ جَوَاسًا وَإِنْ كَانَ مُحَرِّمًا يَقُلْ لَكَ هَلْ تَخْشَى عَلَى حَكِيمًا

وَمَا لِي لَا أَخْشَى عَلَيْكَ مُحَرِّبًا أَخَا ثِقَةٍ يَنْعَى قَتِيلًا كَرِيمًا

مَتَى تَلَقَّه يَمْدُودُهُ الْوَرْدُ جَائِلًا بِشَكَّتِهِ تَلَقَّ الْأَلَدَّ الْغَسُومًا

(٢) التبريزي : « قيل إن الصحيح من الروايات : ولكنما يهواك أنت حكيم . وعلى

هذا يجعل حكيماً عامراً ورمها به . وإذا قلت : ولكنما يخشى أباك حكيم ، فعناه لأنه

منك بسبيل » .

(٣) يتقيل أباه : ينزع إليه في الشبه .

(٤) التبريزي : « حين يقوم » ، أى حين يقوم في المس المملوك .

٤ - وَأُورِثَهَا شَرُّ التَّرَاثِ أَبُوهُمْ قَمَاءَةً جِسْمٍ وَالرَّدَاءَ ذِمِيمٌ^(١)
 تعدّاهما إلى فصيلتهما بل قبيلتهما فقال : على وجه كل رجلٍ من بنى عائذة
 قُبْحٌ وَخِزْيٌ ، إذا قامت أحياء العرب في أسواقهم ومجامعهم يوافيهم به . والمعنى
 أنهم مشهورون باللؤم ودناءة النفوس ، فوجوههم مسودة بالعار ، مشّهة
 بسوء الفعال عند القبائل ، فتى وافوا يوماً مجوعاً فيه الناسُ وُجِدَ آثارُ الخِزْيِ ،
 وَغَضَاضَةُ الطَّرْفِ لِلخِزَايَةِ ، تُلَوِّحُ عَلَى صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ . ودماثة الوجوه
 ضربها مثلاً لذلك .

وقوله : « وأورثها » ، يريد أن اللؤم فيهم وراثته ، وقد عَرَفُوا ذلك من
 أنفسهم واعترفوا به ، فَتَرَى أَجْسَامَهُمْ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَشَاهِدِ قَمِيئَةً تَصَاغُرُ وَتَذَلُّ ،
 وَتَقْصُرُ وَتَخْشَعُ . وقد رَدَّاهُ اللهُ بِرَدِّهِمْ أَعْمَالَهُمْ مِنَ الْقَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَالْقُلُوبِ
 وَالسَّفَاهَةِ ؛ فَرَادُوهُمْ مَذْمُومٌ فِي الْأَلْسِنَةِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ . ويجوز أن يكون
 المراد أن سيّاهم كالرَّدَاءِ عليهم ، فهم مذمومون لها وعليها ، وَيُرْوَى : « وَالرَّوَاةُ
 ذَمِيمٌ^(٢) » ، يعنى قُبْحُ الطَّلَعَةِ . وذميمٌ : اسم الفاعل من ذَمُمْتُ دَمَامَةً . وقُلْتُ
 فِي الْمَضَاعِفِ قَلِيلٌ . وَالرَّوَاةُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْلاً مِنَ الرَّوَاةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 مِنَ الرَّيِّ .

٥ - كَانَ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْنَسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ

٦ - مَتَى تَسْأَلِ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إِنَّ الْعَائِذِيَّ كَثِيمٌ

لَمَّا كَانَ يَصِفُ الْوَقُورَ الْمُنْتَبِثَ فِي الْأُمُورِ إِذَا حَصَلَ مَعَ أَشْبَاهِهِ مِنْ أَهْلِ

(١) ل : « أورثهم » ورسم فوقها « فغثها » أى أنها في نسخة « أورثها » . وفي
 التنبيه لابن جنى : « قال أبو علي - يعنى الفارسي - كتبنا منذ أربعين سنة : يحتفل الرواء
 أمرين : أحدهما أن يكون فعلاً من رأيت لأنه يدركه الناظر ، غير أنه اجتمع على تخفيفه .
 والآخر أن يكون فعلاً من الرى . قال : وذلك لأن الريان نضارة وحسنا . فقولاه اجتمع على
 تخفيفه يدلّك على أنه غير مهموز العين . ومنهم من يهمله » .

(٢) هى رواية التبريزي .

الأناة والرِّفق والرِّزانة وسكون الجأش في منتدَى لهم ، وتناجوا وتشاوروا ،
أو حضروا في مجلسٍ مُخْتَشَمٍ فتعاجذوا وتناظروا ، بقولهم : كأنَّ على رؤوسهم الطَّير ،
وهذا التشبيه إنما حصل على أنَّهم من الشُّكَّون ومفارقة التَّعَجُّل بمنزلة مَنْ على
رأسه طَيْرٌ فيخافُ في تحرُّكه ذهابها وطيرانها ؛ ولما كان هذا الشاعرُ يهجو
بنى عائذة ويهزأ بهم ، جعل بدل ذلك القول « كأنَّ خرُوء الطَّير فوق رؤوسهم » .
وقوله « إذا اجتمعت قيسٌ ممَّا وتميم » بيانٌ لاختلاطهم بأهل الحِلِّ والعقد من
وُجوه القبائل ، ورؤساء الحافل . وكان الحكمُ أن يقول : إذا اجتمعت قيسٌ
وتميمٌ ممَّا ، فقدم « ممَّا » لأنَّ للماطف يُدبِّه على موضع المعطوف .

وقوله « متى تسأل الصَّبِيَّ عن شرِّ قومه » ، يروى : « عن سِرِّ قومه » ،
وهو حسنٌ ، والمعنى أنَّهم لثامٌ باعترافٍ من قومهم به ، واتِّفاقٍ منهم عليه ،
لكنَّهم يُسِرُّون أمرهم ويخفُّونه .

٦١٠

وقال محرز بن المكعب الضبي^(١) :

- ١- أبلغَ عديًّا حيثُ صار بها النوى وليسَ لِدهرِ الطَّالِبِينَ فَناءُ
- ٢- كَسَّالِي إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ يُبَلِّغِي بِهِ الْمُنْبُولُ وَهوَ عَناءُ^(٢)
- ٣- أَخْبَرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُهُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُنْبِثُونَ أَسَادُوا

(١) يقولها لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، كما ذكر التبريزي .
وقد مضت ترجمة « محرز » في الحماسة ١٨٥ ص ٥٧٢ . قال التبريزي : « كان
محرز بن المكعب جارا لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فأغار بنو عمرو
ابن كلاب على إبله فذهبوا بها ، فطلب إليهم أن يسعوا له ، فوعده أن يفعلوا ، فلما طال
ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئا أتى الحارق والمسحق ابني شهاب المازنيين ، وهما من
بني خزاعة ، فسما له بإبله فرداها عليه » .

(٢) كسالى في النسختين بفتح الكاف ، وفي التبريزي يضمها . وهما جعدان
صحيحان لكسلان .

يقول: أَدَّ إِلَى بَنِي عَدِيَّ رَسَالَتِي حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى^(١) بَأَنَّ زَمَنَ
 طَلَابِ الْأَوْتَارِ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِدْرَاكِ النَّارِ قَدْ انْهَضَ وَامْتَدَّ ، فَلَيْسَ يَنْقَطِعُ لِكَسَالِهِمْ
 عَنِ السَّعْيِ فِي رِذَاءِ الْمَقَارِ عَلَيْهِ^(٢) ، وَاسْتِيطَائِهِمْ مَرَاكِبَ الْعَجْزِ عَنْ نُصْرَتِهِ ،
 غَيْرَ مُوَاعِدَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الْفِعْلِ بِقُرْبُونِهَا ، وَأَقْوَالٍ مُزْخَرَفَةٍ عِنْدَ الْإِتْقَاءِ يَبْذُلُونَهَا ،
 إِذَا اعْتَمَدَهَا الْمُتَوَرِّانُ أَنْصَرَفَ بِهَا مَغْرُورًا ، فَكَانَتْ عِنْدَ السَّامِعِينَ لَهَا ضَلَالًا
 وَبُورًا ، وَعَنَاءً لِلْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ ، لَا يُحْلِي مِنْهُ بَطَائِلُ ، وَلَا يَرْجِعُ عَلَى أَحَدٍ
 بِعَائِدٍ . هَذَا وَأَنَا أَحْسَنُ أَمْرِكُمْ ، وَأَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِنَا وَأَخْبَارِكُمْ : إِنَّهُمْ
 قَدْ وَفَوْا بِالْعَهْدِ ، وَأَدَّوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ بِحَقِّ الْجَوَارِ وَالْعَقْدِ ، لَكِنْ لِلْأُمُورِ
 أَوْقَاتٌ ، وَلِلْأَفْضِيَةِ أَجَالٌ وَأَمَادٌ ، فَيَنْفِي الذَّمُّ عَنْكُمْ ، وَيَنْحَطُّ الْعَارُ دُونَ فِتَائِكُمْ ،
 وَلَوْ شِئْتُ لَقَالَ السَّائِلُ وَالسَّامِعُ : أَسَاءُوا حِينَ بَدَّلُوا الْخُفَارَةَ بِالْإِخْفَارِ ، وَضَيَّعُوا
 الْحَقُوقَ بِالْتَّقْصِيرِ وَالْإِقْصَارِ : وَقَوْلُهُ « أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ » أَنْ فِيهِ مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ،
 وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ ، وَهُوَ ضَمِيرُ الْأَمْرِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرَ مَنْطِقٍ »
 انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ . وَ« يُبْلَغِي بِهِ » مِنْ إِهْوَتْ عَنْ كَذَا وَلَهَيْتُ ،
 أَلْهُوْا لَهُوًّا ، وَأَلْهَى لَهُيًّا ، إِذَا انْصَرَفَتْ عَنْهُ . وَالْمَنْبُولُ : الْمُهَابِ بِذَخْلِ وَتَبْلٍ .
 ٤ - لَهُمْ رَثِيئَةٌ تَغْلُو صَرِيحَةً أَمْرِهِمْ وَلِلْأَمْرِ يَوْمًا رَاحَةً فَقَضَاءُ^(٣)
 ٥ - وَلَمَّا لَرَّاجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سَفِيكُمُ كَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
 الرَّثِيَّةِ : الضَّعْفُ . وَالصَّرِيحَةُ : مَا يُقَطَّعُ مِنَ الْعَزِيمَةِ وَيُجْزَمُ إِمَّا ضَوْؤُهُ بَعْدَ
 الْعَقِيدَةِ ، فَيَقُولُ مَصُورًا حَالِمٌ فِي التَّنْفِيطِ وَالْإِهْمَالِ : مَتَى هُمْوَا بِإِنْفَازِ عَزَائِمِهِمْ ،
 وَتَشْدِيدِ شَكَاثِمِهِمْ ، وَإِنْجَازِ مَا يُتَنَجَّزُ عَلَيْهِمْ مِنْ مُوَاعِدِهِمْ ، أَوْ يَهْتَمُّونَ لِرَخْصِ

(١) ل : « بهم النوى » .

(٢) الردء : العون .

(٣) التبريزي : « ريشة » ، بتقديم الياء . وقال في شرحه : « ريشة : إبطاء »

ورثية ضعف .

حَرَنَ الْعَارِ عَنْ شَيْئِهِمْ وَأَخْلَقَهُمْ ، وَلِسَدَّ طَرِيقِ الْعَارِ^(١) وَالتَّعْيِيرِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، عِلَاقَتُهُمْ وَهَتَمُهُمْ وَفَنٌّ وَفَشَلٌ ، وَمَلَكَ قِيَادَهُمْ وَمَقْوَدَهُمْ ضَعْفٌ وَكَسَلٌ . نَمَّ أَخَذَ يَتَكَبَّرُ وَيَهْزَأُ فَقَالَ : وَالْمَرْءُ فِي أَمْرِهِ يَمُضِي يَوْمًا وَيَكْفُ يَوْمًا ، فَمَا يَجْزُرُ كَسَرَ التَّعَبِ إِلَّا مَا يَتَعَقَّبُهُ مِنَ الرَّاحَةِ .

وقوله « فَإِنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَى بَطْءِ سَعْيِكُمْ » ، يريد أنهم على تباطئهم وتأخر فَعَالِمٍ عَنْ مَقَالِمٍ مَرْجُوتٍ ، كما أَنَّ الحَامِلَاتِ عَلَى تَأْخُرٍ وَضَعْنَ مَرْجُوتَاتٍ ، فَأَنَا نَاطِرٌ فِي أَعْقَابِ الْأَمَلِ مَتَى يَتَحَقَّقُ .

وقوله « فَقَضَاءٌ » أَيُ فَقْضَاءُ يَوْمًا آخِرَ . وقوله « كَأَنِّي بِطُونِ الحَامِلَاتِ رَجَاءٌ » أَيُ أَرْجُوكم مِثْلَ ذَلِكَ الرَّجَاءِ .

- ٦ - قَهْلًا سَعَيْتُمْ سَعَى عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَانِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءٌ
٧ - لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاسِرُ أَخْمِهَا وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاةٌ
٨ - كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الرَّجُوءُ لِقَاءَهُ

هذا الكلام بعثٌ وتحضيضٌ . وهلا : حرف إغراء وتحضيض . وذَكَرَ بَنِي مَازِنٍ تَحْرِيكًا مِنْهُمْ ، وَلِيُوجِعَهُمْ بِتَفْضِيلِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ . وقوله « وَهَلْ كُفَلَانِي » ، قَالَ الْكَفِيلُ : الضَّامِنُ لِلشَّيْءِ : وَهَذَا الْمَصْرَاعُ التَّفَاتُ ، كَأَنَّهُ لَمَّا هَجَّنَ فِعْلَهُمْ وَقَرَّعَهُمْ ، وَأَطْرَى غَيْرَهُمْ مُؤَثِّرًا عَلَيْهِمْ . التَّفَاتُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : وَهَلْ ضَمْنَانِي مُسْتَوْوُونَ فِي الْوَفَاءِ فَأُجْرِيَهُمْ مُجْرَى وَاحِدًا . وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ كُلِّ نَكِيرٍ ، وَمِنْ كُلِّ هَجْوٍ فَظِيمٍ . وَ« سَوَاءٌ » وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرًا ؛ فَقَدْ صَارَ هُنَا كَأَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ لِنِيَابَتِهِ عَنْهَا ، لِذَلِكَ صَحَّ أَنْ يَعْمَلَ فِي الظَّرْفِ قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ « فِي الْوَفَاءِ » ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تَعْمَلُ خِيَامًا قَبْلَهَا إِلَّا إِذَا أُبْرِجَهَا ، كَقَوْلِكَ : صَرَبًا زَيْدًا ، أَوْ إِذَا أُجْرِيَ هَذَا الْجَرِي^(٢) .

(١) هذا ما في ل ، وهو الموافق لما بعده . وفي الأصل : « العَابِ » بمعنى العيب .

(٢) ابن جني : « الظرف متعلق بسواء لا بكفلائي . ألا ترى أن معناه : وهل من يكفلني متساوون في الوفاء » .

وقوله «لَمْ أَذْرُعْ» صفة للعصبة المازنية. وهم يتمدحون بالهزال. وللتواشر: عروق ظاهر الذراع. وقوله «وبعض الرّجال في الحروب غناء»، تعويض بالآخرين، وهم بنو عدى. والغناء: ما يعلو السيل من الغر والزبد. والمعنى: بعضهم لا غناء عنده ولا كفاية، فتراه كيبيس النبات وقد احتمله الماء.

وقوله «كَأَنَّ دنانيرًا على قسّاتهم»، القسّات: الوجوه، وقيل هي تجارى الذمّوع. ويقال: وَجْهٌ مُقَسَّمٌ، أى حسن، والقسامة: الحُسن. ومرجعه إلى القسمة، كأنه مُسَحَّ كلُّ جزء من الوجه بقسم من الجمال، فتعادت الأجزاء وحسنت. وقوله «وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء» تعريض أيضًا، والمعنى: أن وجوههم تشرق في الحرب وتضيء، إذا صارت وجوه غيرهم مشفوفة متغيرة. ويقال: شَفَّ المرءُ، إذا أذابَه وهزَلَه. وذِكْرُ الدنانير في إثبات ماء الوجه ونضارة الحُسن قد جاء في النسب، ألا ترى قوله:

النَّشْرُ مِنْكَ والوجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَمَّ^(١)

٦١١

وقال شمعة بن الأخضر^(٢)

- ١ - وَضَعْنَا عَلَى الْمِيزَانِ كُوزًا وَهَاجِرًا فَسَالَتْ بَنُو كُوزٍ بِأَبْنَاءِ هَاجِرٍ
 - ٢ - وَلَوْ مَلَأْتُ أَعْفَاجَهَا مِنْ رِثِيَّةِ بَنُو هَاجِرٍ مَالَتْ بِهِ ضُفْبُ الْأَكَادِرِ^(٣)
 - ٣ - وَلَكِنَّمَا اغْتَرَّوْا وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَطِيبَانِ شَتَّى مِنْ حَلِيبٍ وَحَازِرٍ
- هذا الكلام هزءٌ وسخرية. فيقول: نظرنا ما بين كوز وهاجر بالمقياس.

(١) البيت للمرقش الأكبر. وهو البيت ٦ من المفضلية ٥٤.

(٢) التبريزي: «وقيل: منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبى». وقد سبق

ترجمة «شمعة» في الحاشية ١٨٣ ص ٥٦٥. وأما منذر بن الرقاد فلم نعر له على ترجمة.

(٣) ل والتبريزي: «ولو ملأت».

القائم ، والميزان الحاكم ، فوجدنا كِفَّةَ بنى كُوزٍ أرحح وأوزن ، ولو عَلِمَتْ
بنا وبفعلنا لَمَلَّتْ بَطُونَهَا من الرِّثِيَّة ، فزادت زَنْتَهَا على هِضَابِ الأَكَادِر ،
لَكِنَّهَا أَصِيبَتْ غَفَلَتَهَا ، وفُوجئُوا بِالْوَزْنِ قَبْلَ الشَّرْبِ والامْتِلَاءِ ، والتَجَرُّدِ
للأَمْرِ والاستعداد ، وكانت الحالُ مُسَاعِدَةً ، وأنواعُ الحليبِ مَمَكِنَةً ، وذلك
أَجْلَبُ لِحَسْرَتِهِمْ ، وأدعى إلى نَدَامَتِهِمْ .

والأعفاج : الأمعاء ، والواحد عَفِجٌ^(١) . ويقال : اغْتَرَّ فلانٌ ، أى أَخَذَ
على غِرَّةٍ . والقَطِيب : المزوج . والحازِرُ : الجامض . والرِّثِيَّة : المجموع من
الحازِرِ والحليب . وقد رماهم بأنَّ طعامَهُمْ ذلك لا غير .

٦١٢

وقال قِرَواشُ بن حَوطِ الضَّبِّي^(٢) :

- ١ - نُذِيتُ أَنْ عِقَالاً ابْنَ خُوَيْلِدٍ بِنِعَافِ ذِي غُدُمٍ وَأَنْ الْأَعْلَى^(٣)
 - ٢ - بِنَمِي وَعَيْدُهُمَا إِلَيَّ وَبَيْنُنَا شُمٌ فَوَارِغٌ مِنْ هِضَابٍ يَرْمَرَمَا
- الأجود في العلم وقد وُصِفَ بالابن أو الابنة ، إذا كانا مضافين إلى عَلمٍ ،
أو ما يجرى مجراه ، تركُّ التَّنوين فيه . وقد نَوَّنَ هذا الشَّاعِرُ عِقَالاً ، وإذ قد
فعلَ ذلك فالأجود في ابن خويلد أن يجعل بدلاً ، ويجوز أن يُجْعَلَ صفةً على
اللفظة الثانية^(٤) .

(١) العفج ، بالفتح ، وبالكسر ، وبالتحريك : وككتف .

(٢) ذكره المرزباني في المعجم ٣٣٩ وقال : قرواش بن حوط بن أنس بن صرمة بن

زيد بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن ضبة . جاهلي .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ في معجم البلدان (غدم) و ١ ، ٤ ، ٥ ، ٣ في الحيوان

(٦ : ٢٨٣) و ٣ ، ٤ ، ٥ في معجم المرزباني . التبريزي : غدم . بالعين المهملة ، تحريف .
وفو غدم : موضع من نواحي المدينة .

(٤) أضف إلى هذا ما ورد في الحماسة ٥٩٥ ص ١٤٣١ ، وهو نص نادر .

والنِّعاف : جمع نَفْيٍ ، وهو المكان المرتفع في اعتراضٍ ، وأعلى كلِّ شيءٍ ؛ ومنه مَنَافِ الجبل . والأعلم : اسم رجل ، وأعاد «أَنَّ» معه تأكيداً ، والخبر قوله « يبنى » ، والعامل فيه أَنَّ الأولى ، لأنَّ الثَّانِيَةَ لا يُعْتَدُّ بها عاملاً . وإن كان مؤكِّداً . ومثل هذا قولُ الحَطِيطَةِ :

* إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا ^(١) *

ويكون على هذا الألف في «غَلَبَا» ضمير المثنى . والشَّمُ : الجبال المرتفعة . والفوارع : العوالى . وَيَلْمَلَمْ : عَلَّمَ الجبل ^(٢) ، ويروى : « يَرْمَرُمُ » .

٣ - غُضًّا الْوَعِيدَ فَمَا كُونُ لِمُوْعِدِي قَنَصًا وَلَا أَكْلًا لَهُ مُتَخَضِّمًا ^(٣)

٤ - ضُبْعًا مُجَاهِرَةً وَلَيْتَنَا هُدْنَةً وَتُمَيْلِبًا خَمْرٍ إِذَا مَا أَظْلَمْنَا

٥ - لَا تَسْأَلْنِي مِنْ دَسِيسِ عَدَاوَةٍ أَبَدًا فَلَيْسَ بِمُسْتَسْئِلٍ أَنْ تَسْأَلَا

يقول : أَقْصِرَا إِلَيْكَمَا مِنْ تَهْدِيدِكَا ، فَإِنِّي لَا أُحْتَفَلُ بِكَمَا وَلَا بِوَعِيدِكَا ، وَلَا أَصْطَادُ بِإِرْعَادِكَا وَإِبْرَاقِكَا ، وَلَا أَصِيرُ مَا كُنتُمَا لِأَحَدٍ فَيَا كُنِّي بِغَمِهِ كُلِّهِ خَضْمًا كَمَا يُؤْكَلُ الرُّطْبُ اللَّيْنُ ، لَا قَضْمًا . ثُمَّ أَخَذَ يُعَدِّدُ مَخَازِيَهُمَا فَقَالَ : عِنْدَ الْمَكَاشِفَةِ وَالْمَلَاقَةِ تَخْخِئُثَانِ وَتَحْمُقَانِ ، خُبْتُ الضُّبُعَ وَحَاقَتُهُ ، وَعِنْدَ الْإِصْطِلَاحِ وَالْهُدُوءِ تَشْجَعَانِ وَتُقَدِّمَانِ إِقْدَامَ الْأَسَدِ وَشَجَاعَتَهُ ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ تَسْرِقَانِ وَتَحْتَالَانِ عَلَى النَّاسِ ، وَتُرَاوِغَانِ مُرَاوِغَةَ الثَّعْلَبِ وَسَرِيقَتِهِ . وَالْخَمْرُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ

(١) صدره في ديوان الحطيطه ص ٥ :

* قَالَتْ أُمَامَةُ لَا تَجْزَعُ فَقُلْتُ لَهَا *

(٢) على ليلتين من مكة .

(٣) روى بعده الجاحظ في الحيوان .

فَنَحَى أَلَاقِكُمَا الْبِرَازَ مُتَلَاقِيَا عَرِكًا يَقْلُ الْحَدَّ شَاكًا مُعْلِمًا

وغيره . و « إذا ما أظلمنا » أى دَخَلَا فى الظلام . والعاملُ فى إذا ما دَلَّ على جوابه وقد تقدّمه .

وقوله « لا تسأما » يقول : لا تَمَلَّأْ مُدَاجَاتِي وَطَلَبِ الْفَوَائِلِ لِي فِي السَّرِّ . وبظهور الغيب ، فَإِنِّي لَسَكَا عَلَى مِثْلِ حَالَتِكَا لِي ، وَلَا تَفْتَرَا عَنْهُ فَإِنِّي لَا أَفْتَرُ وَلَا أَمَلٌ وَإِنْ مَلَلْتَا أَيْضًا ، فَإِنَّ مَلَائِكَنَا لَا يُكْسِبُنِي فُتُورًا وَلَا إِمْسَاكَ . والدَّسُّ : إِدْخَالُكَ شَيْئًا تَحْتَ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْإِخْفَاءُ ^(١) . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَمْ يَدُسُّ فِي الثَّرَابِ ﴾ . والدَّاسُوسُ وَالْجَاسُوسُ يَتَقَارَبَانِ . وَيُرْوَى : « مِنْ رَسِيسٍ عِدَاوَةٍ » ، وَيَكُونُ مِثْلَ رَسِيسِ الْحُمَى وَالْهَوَى وَرَسْمِهِمَا ، لَمَّا يَبْدَأُ مِنْهُمَا . وَمَوْضِعُ « أَنْ تَسْأَمَا » مِنَ الْإِعْرَابِ رَفْعٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمٌ لَيْسَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ بِمِسِيئِي سَأْمُكُمَا فَهُوَ كَقَوْلِكَ : لَيْسَ بِمَنْطَلِقِي عَمْرُو .

٦١٣

وقال سُؤَيْدُ بْنُ مَشْنُوءٍ ^(٢) :

١ - ذَرِيْعَتُكَ مَسْمُودًا فَلَا تَذْكُرْنِي إِلَى بَسْوَءٍ وَاعْرِضِي لِسَبِيلِ

٢ - نَهَيْتُكَ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْغَاوِي لِأَوَّلِ قَبِيلِ

قوله « ذَرِيْ » ؛ أى دَعَى . وَالْأَسْرُ يُبْنَى عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهُوَ يَذَرُ ، وَقَدْ اسْتُعْمِلَ . فَأَمَّا وَذَرَفِنِ الْمَرْفُوضِ اسْتِعْمَالُهُ اسْتِغْنَاءٌ عَنْهُ بِتَرْكِ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَذْكُرْنِي إِلَيَّ » كَسَرَ الرَّاءَ مِنْهُ لِأَنَّهُ مَخَاطَبَةٌ مُؤَنَّثٌ ، وَالْأَصْلُ تَذْكُرِيْنِي ، فَحُذِفَ النُّونُ الْأَوَّلَى لِلْجَزْمِ ، ثُمَّ حُذِفَ الْيَاءُ لِاتِّعَاقِ السَّاكِفَيْنِ ، فَصَارَ تَذْكُرْنِي .

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وهو فى خفاء » .

(٢) ذكره أبو الفرج فى الأغاني (١٦ : ٣٨) فى خبر مع الخطيئة ، وقال : إنا حليف

ببنى على بن جناب الكلبيين .

واللغى : لا ينتهين ذكره إلى ، ولا يتجاوزن ذكره إلى بسوء . فعدي
تذكرن تعدية تجاوزن إلى ، حملاً على اللغى . ومما جاء على هذا قوله :
إذا تغنى الحمام الوزق هييجنى ولو تعزبت عنها ، أم عمار^(١)
عدي هييجنى تعدية ذكرنى ، لأنه فى معناه . وهذا كما يحملون فى التعدية
النقيض على النقيض ، كقوله :

إذا رصيت على بنو قشير أعمر الله أعجبني رضاها^(٢)
عدي رصيت تعدية غضبت لأنه نقيضه ، كما عدي هييجنى تعدية
ذكرنى لأنه نظيره . وكما حكي :
* قد قتل الله زياداً عني^(٣) *

عدي قتل تعدية صرف .

وقوله « نهيتك عنه » ، يقول : كدت أحذرُك عنه فيما سلف من الزمان
وتقضى ، لكن الجاهل لا يرتدع للزجرة الأولى حتى يردع مرة بعد أخرى .
وهذا مثل ، أغنى قوله :

* ولا ينتهى الغاوى لأول قيل *

وقوله « واعرضى لسبيل » أى اعرضى إلى طريق غيره ، واذكره بسوء .
ويقال : لا تعرض عِرْضه ، أى لا تذكره بسوء .

(١) للناطقة الذيباني فى جبهة أشعار العرب ص ٥٣ وكتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

وقد سبق فى ٣١٥ .

(٢) للتحيف العقيلي فى الكامل ٣٤٢ ، ٤٨٨ .

(٣) للفرزدق فى ديوانه ١٨١ ، واللسان (قتل) ، قاله حين خرج من المدينة بعد

موت زياد ، وكان زياد قد نفاه وأذاه ونذر قتله . وقد سبق فى ٣١٥ .

٦١٤

وقال معدان بن عبيد^(١) :

١- عَجِبْتُ لِعِبْدَانَ هَجَوْنِي سَفَاهَةً أَنْ اصْطَبَحُوا مِنْ شَائِهِمْ وَتَقَيَّلُوا^(٢)

٢- بِجَادٍّ وَرَيْسَانٍ وَفِهْرٍ وَغَالِبٍ وَعَوْنٍ وَهَذْمٍ وَابْنُ صِفْوَةَ أَخِيلٌ

٣- فَأَنَا الَّذِي يُخَصِّصُهُمْ فَمُكَدَّرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فَمُقَلِّلٌ

يقال : عَبْدُوْا وَعَبِدُوْا وَعَبِيدُوْا وَعَبِيدِيْ وَعَبْدَانُ وَمَعْبُودَاهُ وَمَعْبُدَةٌ وَعَبْدٌ .

فبعض هذه الأسماء مما صيغ للجمع ، وبعضها جمع في الحقيقة . وانتصب

« سَفَاهَةً » لأنه مفعول له . وهم يَكُونُونَ عن اللثام بالعبيد والعبدان ، وبالقرم

والقرمآن^(٣) . و « أَنْ اصْطَبَحُوا » يريد لأن اصطبَحُوا ، أى شربوا الصُّبُوحَ ،

وهو ما يشرب صباحا . والقيل ، وهو شرب نصف النهار . وكما قال تقيَّلُوا ،

يقال تصبَّحُوا أيضا . والمعنى عدَوْا طَوْرَهُمْ فَهَجَوْنِي ، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم

يَعْدُوهُ . فطغَوْا عِنْدَ الْغَنَى ، وأصابوا مِنْ شَائِهِم الصُّبُوحَ والقيل ، بعد أن

كانوا كَلَّا على غيرهم . ثم ذكرهم بأسمائهم تخضيعا^(٤) وتشنيعا . ويرتفع بجادٌ

إِنْ شِئْتَ عَلَى الاستئفاف ، يريد : هم بجادٌ وَرَيْسَانٌ ؛ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى البذل

من المضميرين في قوله اصْطَبَحُوا .

وقال مِنْ بَعْدُ : مَنْ يَعُدُّهُمْ يُكَدِّرُ لَوْفُورَ عَدَدِهِمْ ، وَمَنْ يُثْنِي عَلَيْهِمْ يَقِلِّلُ

أقله من يستحق الثناء فيهم ومنهم . ويجوز أن يكون أن من قوله أَنْ اصْطَبَحُوا

أَنْ الْمَفْسَرَةِ ، كَأَنَّهُ فَسَّرَ لَمْ طَغَوْا فَهَجَوْا .

(١) هو معدان بن عبيد بن عدي بن عبد الله بن خيرى بن أفلت الطائى ثم المعنى .

شرح التبريزى ومعجم المرزبانى ٤٠٧ .

(٢) ضبطت « عبدان » فى النسختين والتبريزى بكسر العين ، ويقال فيها أيضا

« عبدان » بظلم العين .

(٣) لم تذكر المعاجم المتداولة هذا الجمع . والمعروف أقزام : وقزاي ، وقزم بضميتين .

(٤) ل : « تخضيعا » :

٦١٥

وقال يزيد بن قنافة^(١) :

- ١- لَمَعَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ لَيْسَ الْفَتَى الْمَدْعُو بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ^(٢)
 - ٢- غَدَاةَ أَتَى كَالثَّوْرِ أُخْرِجَ فَاتَّقَىٰ بِجَبْهَتِهِ أَفْقَالَهُ وَهُوَ قَاتِمٌ
 - ٣- كَانَ بِصَحْرَاءَ الْمَرْبُطِ نَعَامَةً تُبَادِرُهَا جِنَحَ الظَّلَامِ نَعَامٌ
 - ٤- أَعَارَنِكَ رَجُلَيْهَا وَهَاتِي لُبَّهَا وَقَدْ جُرِّدَتْ بِيضُ الْمُتُونِ صَوَارِمٌ
- قد مضى الكلام في قوله لَمَعَرِي . وقوله « وما عَمَرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ » تحقيق لليمين ، وأنَّ عُمَرَه ليس يَهُونَ عليه فيحلف به كاذبا . وفي الكلام إزارا بالمخبر عنه . وقوله « الْمَدْعُو بِاللَّيْلِ » كثير من النحويين يذهبون في مثله إلى

(١) التبريزي : « وقال يزيد بن قنافة بن عبد شمس العدوي ، من بني عدى بن أخزم ابن أبي أخزم ، من ثعل بن عمرو بن القوث ، رهط حاتم بن عبد الله » . وقال ابن جني : « القنف صغر الأذنين وغلظهما ، رجل أقنفت وامرأة قنفاء ، وبه سمى الرجل قنافة ، إذا كان ضخم الأذن ، ويقال : هو الطويل الجسم . فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة لحقت للمبالغة ، ويجوز أن يكون أيضا لحاقها ضربا من ضروب تغيير الأعلام ، كما أن الهاء في رواحة قد يجوز أن تكون كذلك . وقد يجوز أن يكون قنافة علما مرتجلا من غير طريق الصنعة التي ذكرت » .

(٢) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنه عهد رجل من بني السيد بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضبة ، يقال له زيد بن ثابت ، فجاور في طي وكانت له نعمة فيهم ، وكان جيرانه منهم بنو من ، فقتلوه وأخذوا ماله : فبلغ ذلك بني السيد فركبوا فيمن تبعهم من بني ضبة حتى لفقوا رجلا من طي فقالوا له : من أنت ؟ فكتمهم فمروا لغته ، فقالوا له : أنت آمن إن دلتنا على أقرب أبيات بني من منك . فدلهم على بني ثور بن ود من بني من ، وذلك من الدثي ، فقتلوه إلا قليلا ، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، وهو حاتم طي ، وهو في قبة له آدم في دار أيس معه فيها أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عدى ، فيهم يزيد بن قنافة ، وهو بمكان يقال له صحراء المريط ، فأخبره الخبر فأمر أمته أن توقد في قبة واحتمل تحت الليل فجا ، وبقي يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى صبحته الخيل غدوة ، وكانت امرأته لا تكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر ، فنار إلى قوسه فبع بناته وابنيه وامرأته وذهب بحاله . وإنما كان القوم أرادوا حاتما فأملت . وفي ذلك يقول يزيد بن قنافة هذا الشعر هاجيا .

أنه بدل لاصفة ، لأنَّ نَفَمَ وبئس يرفعان من المعارف ما فيه الألف واللام ودلَّ على الجنس ؛ وما بدلٌ على الجنس [لا^(١)] يتأتَّى فيه الوصفية . والصواب عندى تجويز كونه وصفاً ، بدلالة أنه يثنى ويُجمع ، فيقال : نعم الرجلان الزَّيْدَانِ ، ونعمَ الرَّجَالُ الزَّيْدُونَ ، والثنائية والجمعُ أبعد الأشياء من أسماء الأجناس ، إلا إذا اختلفت ، فسكما يجوز تشنيُّه هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه ، كذلك يجب أن يجوز وصفه لمثل هذه العلة ، ولا فصل . وإذا كان كذلك كان قوله المدعوُّ بالليل صفةً للفتى ، كأنه قال : مذمومٌ في الفتيان المدعوِّين بالليل حاتم . وهذا ظاهرٌ .

وذَكَرَ اللَّيْلَ لشدَّةِ الهول فيه .

وقوله « غداةً أُنِّي كالشَّور » يعنى حاتماً ، وإنما يهزأ به . ومعنى أُحْرِجَ : ضُيقَ عليه وأُخْرِجَ مِنْ عَادَتِهِ فَأُحْجِجَ إِلَى أَنْ يَبْعِثَ . والأقْتَالُ : الأقرانُ والأعداء ، والواحد قَتْل . فيقول متهمهما : جاء كالشَّورِ الهائجِ غَضَباً وَحَمِيَّةً ، وقد بَانَ لَهُ مِنْ طُلَّابِهِ تَرْكُ الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ ، فجعل بينه وبين أقرانه قرْنِيه يتتبعهم بهما ، ويَعِدُّهُمْ الشَّرَّ بِأَعْمَالِهِمَا ، فهو ثابتُ الْقَدَمِ مُتَهَيِّئٌ لِلْقِتَالِ . هذا كان حاله في الحِجَى ، فلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الدَّفَاعِ وَالْمُصَادَمَةِ ، والقِرَاعِ وَالْمُكَافَحَةِ ، انْهَزَمَ فَكَانَ نِعَامَةً سَابِقَهَا حِينَ جَنَحَ الظَّلَامُ نِعَامٌ إِلَى أَدَاحِيهَا ، أَعَارَتْ حَاتِماً رَجُلَهَا وَطَائَرَ قَلْبَهَا ، وَهُوَ يَعْدُو مَذْعُوراً ، ويطلب النِّجَاءَ مَفْلُولاً ، وقد جُرِّدَتِ السَّيُوفُ مِنْ أَعْمَادِهَا ، وصار الأمرُ فِي الطَّلَبِ وَالتَّهَرُّبِ جِدًّا . وإنما قال « أَعَارَتْكَ رَجُلَهَا » لَأَنَّهُ نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ .

٦١٦

وقال عَارِقٌ، وهو قَيْسُ بْنُ جِرْوَةَ الطَّائِي^(١) :

١ — من مُبْلِغٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّهَا الْعَيْسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ

٢ — أَيُوْعِدُنِي وَالرَّمْلُ يَبْنِي وَيَبْنِيهِ تَبَيَّنَ رُؤْيَا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ

٣ — وَمِنْ أَجْلِ حَوْلِي رِعَانُ كَانَهَا قَنَابِلُ خَيْلٍ مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ

كان عمرو بن هند غزاً اليمامة على ما حكيت من قصته فيما تقدم^(٢) ، فأخفق ورجع مُنْفِضاً . فرَّ بطيئاً ، وكانوا في ذمته بكتاب عَقْدٍ اكتتبه لهم ، وعهد أحكمه معهم ، فقال زُرَّارَةُ بْنُ عُذْسٍ لَهُ : أَبَيْتَ اللَّحْنَ ، أَصِيبَ مِنْ هَذَا الْحَى شَيْئاً . قَالَ : وَبِذَاكَ إِنْ لَمْ عَقْدًا لَا يَجُوزُ لَهَا تَحْطِيهِ . فَأَخَذَ زُرَّارَةُ يَهُوَّناً أَسْرَ الْعَهْدِ عَلَيْهِ ، وَيَحْسُنُ الْإِبْقَاعَ بِهِمْ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَفْتِلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ مَعَهُ لَشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى طِيٍّ حَتَّى أَصَابَ أَذْوَادًا وَنِسَاءً ، فَهَجَا عَارِقٌ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ بِأَبْيَاتٍ يَعْصِبُ رَأْسَهُ فِيهَا بِالْفُغْدِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ ، فَوَقَعَتِ الْأَبْيَاتُ إِلَى عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ ، فَتَوَعَّدَ عَارِقًا وَحَلَفَ أَنَّهُ يَقْتُلُهُ ، فَاتَّصَلَتْ مَقَالَتُهُ بِعَارِقٍ فَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ . وَمَعْنَى « اسْتَحَقَّهَا » حَمَلْتُهَا فِي الْحَقَائِبِ . وَجَمَلَ الْفِعْلُ لِلْعَيْسِ اتِّسَاعًا . وَمَعْنَى تُنْضَى : تُهْزَلُ ، لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ .

وقوله « أَيُوْعِدُنِي » استفهام على طريق التَّعْرِيعِ لعمرو ، واستعظام منه للأمر . والمعنى أَنَّهُ لَا يَبْنَأُنِي مَعَ حَصَانَةِ حَبْلِي وَدَارِي ، وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنِّي عَلَى بُعْدِ طُرُقِي وَأَرْضِي ، فَلْيَنْظُرْ بَرْقِي ، وَلْيُمَيِّلْ بَيْنَ أُمِّهِ وَأَتِي ، وَلْيَكُنِ التَّمَلُّ وَالتَّوَعُّدُ

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٦٠٤ ص ١٤٤٦ .

(٢) في الحاشية ٦٠٣ ص ١١٤٧ .

بمقدار فضله وقدرته . وذكر الأُمّ إظهار لقلة اللبالة ، وأنه يجسر على تناول الحُرَم منه باللسان .

وقوله « ومن أجأ حَوَلي رِغان » أجأ : أحد جبلَيْهم ^(١) . والرَّغان : جمع رغن ، وهو أنفٌ يتقدّم من الجبل . والمراد بيان حالِ جبلَيْ طَيْيٍّ في وثاقهما وحصانتهما ، وأمنٍ مَنْ يَنْزِلُ بهما ، وأن رِغانَهُ كأنّها جماعاتُ حَيْلٍ أحاطت بالجبل وأحْدَقَتْ ، فهي تَدْبُ عنها ^(٢) كُنْمًا وُوزَدَا ^(٣) . وذكر القنابل في التشبيه ، والعزُّ بأربابها يحصل .

٤ - غَدَرْتُ بأمرٍ كُنْتُ أَنْتَ اجْتَذَبْتَنَا إليه وبِئْسَ الشَّيْمَةُ الْغَدْرُ بِالْعَهْدِ
٥ - وقد يترك الغدر الفتى وطعامه إذا هو أَمْسَى جُلَّهُ من دَمِ الْفَصْدِ
يُروى : « أَنْتَ احْتَدَيْتَنَا » ، وهو افتعل من الحُدُو : السُّوق . واجتذبتنا ، من الجذب . ويُروى : « أَنْتَ دَعَوْتَنَا » .

والشاعر يشير إلى ما كان في يد طيّيٍّ من عقد الجوار وكتاب العهد ، فيقول : كُنْتُ أَنْتَ الْبَانِي لَذَلِكَ ، والمؤسّس لِمَفَارِهِ ، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَنْقُضَهُ ، وبئس العادة الغدرُ مع المُقود ، ونكثُ عُرَى الْعُهُود . والفتى قد يؤثر الإقامة على الوفاء مع الإضافة ، وشدة الفاقة ، ويطلب اكتساب الحمدة ، وإن كان مسكينًا ذا مَتَرَبَةٍ ، حتّى إذا أَمْسَى يكون جُلُّ طعامه فَصِيدَ الدَّم . ويُروى : « إِذَا هُوَ أَمْسَى حَلَبَةً مِنْ دَمِ الْفَصْدِ » ؛ والأول أحسن . ويرتفع « جُلَّهُ » على

(١) والآخر « سلمى » .

(٢) أى عن طيىء القبيلة .

(٣) التبريزى : « وجعلها مختلفة الألوان لاختلاف ألوان الجبال » .

أنه مبتدأ ثان ، والجملة خبر المبتدأ الأول ، وهو طعامه . وينتصب إذا من قوله « جُلُه من دَمِ الفَصْدِ » ، لأنه الدال على جوابه ^(١) .

٦١٧

وقال آخر :

- ١- لَعَمْرِي وما عَمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ لقد ساءَنِي طَوْرَيْنِ فِي الشَّعْرِ حَاتِمٌ
 - ٢- أَبْقَظَانُ فِي بَغْضَانِنَا وَهَجَانِنَا وَأَنْتَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ نَائِمٌ
 - ٣- بِحَسْبِكَ أَنْ قَدْ سُدَّتْ أَخْزَمَ كُلِّهَا لِكُلِّ أَنْاسٍ سَادَةٌ وَدَعَائِمٌ
 - ٤- فَهَذَا أَوَانُ الشَّعْرِ سَلَّتْ سِهَامُهُ مَعَابِلُهَا وَالْمُرْهَقَاتُ السَّلَاجِمُ
- أقسم بحياة نفسه ، وخبر المبتدأ محذوف ، والمراد : لَعَمْرِي ما أَقْسِمُ به ؛ لأنَّ اللامَ منه لأم الابتداء ، وجواب القسم لقد ساءني . وقوله « ما عَمَرِي » اعتراض ، وقد مرَّ القول في فائدته ^(٢) . والطَّوْرُ : التَّارَةُ . أَيْ تَعَرَّضَ لِي مَرَّتَيْنِ بِمَا سَاءَنِي . ثم أقبل عليه فقال : أَبْقَظَانُ ؟ والمعنى : أَنْتَ يَقْظَانُ ، أَيْ مُنْتَبِهٌ فِي هَجُونِنَا وَبَغْضَانِنَا وَعَدَاوَتِنَا ، وَنَائِمٌ عَنِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِسْدَاءُ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ وَالْإِفْضَالِ ؟ ثمَّ أَخَذَ يَهْزَأُ بِهِ فَقَالَ : بِحَسْبِكَ . والمراد حَسْبُكَ ، لَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ الْبَاءَ فِي الْمَبْتَدَأِ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : بِحَسْبِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا يَزِيدُونَ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :
- * وَمَنْعُكُمَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ ^(٣) *

(١) ابن جني : « يَصِحُّ أَنْ يَنْصَبَ إِذَا شِئَ مَا قَبْلُهَا ، طَعَامُهُ وَلَا غَيْرُهُ ، مِنْ حَيْثُ كَانَ الشَّرْطُ لَا يَنْصَبُهُ مَا قَبْلَهُ ، لَكِنَّ الْعَامِلَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَلْبَةٌ ، أَيْ إِذَا هُوَ أَمْسَى يَحْلِبُ لَهُ مِنْ دَمِ الْقَصْدِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَاقَى حَلْبَةٌ ، مِنْ حَيْثُ كَانَ مَصْدَرًا فَلَا تَتَقَدَّمُ صِلَتُهُ عَلَيْهِ . يَعْنِي أَنَّ الْمَصْدَرَ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهُ - فَإِنْ قُلْتَ : فَإِنَّ الْحَلْبَةَ هُنَا بِمَعْنَى الْحُلُوبَةِ وَاسْمُ الْمَفْعُولِ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مَا عَمَلُ فِيهِ ، فَذَلِكَ وَجْهٌ مُسْتَقِيمٌ ، يَجُوزُ انْتِصَابُ إِذَا عَلَيْهِ بِنَفْسِ الْحَلْبَةِ » .

(٢) انظر البيت الأول من الحاسية ٦١٤ ص ١٤٦٤ .

(٣) لعبيدة بن ربيعة بن قحفان ، كما سبق في حواشي الحاسية ٤٨ ص ٢٠٩ . وضدَّره :

* فَلَا تَطْمَعُ أُنَيْتُ اللَّعْنُ فِيهَا *

وانظر الخرافة (٢ : ٤١٣) .

أى شئ؟ يُستطاع . وهذا أحد ما قيل فيه ، وقال آخر ^(١) :
 بِحَسَنِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ ^(٢)
 والمعنى : كافيك أن ترأست على أخزم ، وأخزم : رهط حاتم . ثم أزرى .
 برياسته وبهم ، فقال : ولكل طائفة من طوائف الناس رؤساء وعمد ، وهذا
 يجرى مجرى الالتفات . كأنه بعد ما قال ذلك التفت إلى من حوله يؤتسهم
 ويقول : ليس ذا بمنكر ، فلكل قوم من يسوسهم ويدعهم .
 وقوله « فهذا أوان الشعر سلت سهامه » ، يعنى شعره . فيقول : لكل
 زمان شئ ؟ يظهر فيه ويغلب ، وزماننا هذا مع قرصك للشعر زمان الشعر ،
 وقد انتزعت سهامه من كنفاتها بعد أن نثرت ، فجردت للرعى بها معايلها ،
 وهى العراض ، وسلاجها وهى الطوال . والمرفقات : المرفقات الحد . والمراد
 بهذا التنويع فنون الشعر وأساليبه . أى أنت فيه ذو فنون ، والمُعَبِّل ^(٣) : الذى
 معه معايل ^(٤) . وعَبَلْتُهُ : أَصْبَيْتُهُ بِمُعْبَلَةٍ .

٦١٨

وقال رجل من طي :

- ١ - إِنْ أَمْرًا يُعْطَى الْأَسِنَّةَ فَحَرُهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعُدُّ لَهُ عَقْلًا
 ٢ - يَذْمُونَ لِي الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَمَا تَرَكُوا فِيهَا لِمُتَمَسِّ ثَغْلًا ^(٥)

- (١) هو الأشعر الرقبان الأسدى . اللسان (ضرر) .
 (٢) المضر : الذى له قطعة من الإبل أو الغنم .
 (٣) وردت فى القاموس ، ولم ترد فى اللسان .
 (٤) فى الأصل : « فيه معايل » ، صوابه فى ل .
 (٥) مثل هذا المعنى لعبد الله بن همام السلولي ، قال يهجو العلاء فى شعر يخاطب به الثعنان
 ابن بشير الصحابي :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لها ثعل
 اللسان (٩ : ٤٨٤ / ١٣ : ٨٨) والأغاني (١٤ : ١١٦) . وانظر مجالس ثعلب .
 ٥١٥ ومقاييس اللغة (٢ : ٤٠١) .

وَصَفَ الْأَسْمَاءَ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِسُوءِ الْحَافَظَةِ ، وَذَهَابِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَمِصْرَاعَاتِهَا ، وَإِنْزَالِ الْمَوَالِينِ مَنَازِلَهُمْ فِيهَا فَقَالَ : إِنْ مَنْ يَفْتَرُّ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ وَاعْتَمَدَكُمْ ، فَبَذَلَ نَفْسَهُ وَرَاءَكُمْ لِمَتَالِفٍ ، وَرَكِبَ فِي هَوَاكُمِ الْمَعَاطِبَ ، لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا رَأْيَ .

ثُمَّ بَيَّنَّ مَا أَشْكَاهُ مِنْهُمْ ، وَسُوءَ مَعَامِلَتِهِمْ فَقَالَ : يَذْثُونَ الدُّنْيَا ، وَيَزْهَدُونَنِي فِيهَا وَفِي الْأَخْذِ مِنْهَا ، وَقَدْ فَازُوا بِهَا حَتَّى لَمْ يُبَيِّقُوا فِيهَا فَضَالَةً لِأَحَدٍ ، أَيْ تَغَيَّرُوا كُلَّ تَحْلُوبٍ فِيهَا ، وَلَمْ يُبَيِّقُوا فِي ضَرْعِهَا شَيْئًا حَتَّى لَمْ يَتْرُكُوا نُفْلًا فِيهَا . وَهَذَا مَثَلٌ ، وَالشُّغْلُ هُوَ الطُّبْيُ الزَّائِدُ ، وَالسَّنُّ الزَّائِدَةُ . وَيُقَالُ : تَعَلَّتْ سِنُّهُ . وَشَاةٌ تُعُولُ : لَهَا تُعْلٌ^(١) . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الشُّغْلَ مِنْ الشَّاءِ : الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحْلَبَ مِنْ نُفْلِهَا أَيْضًا .

وقوله « وراء قُرَيْشٍ » يكون وراء بمعنى خلف وقُدَّامَ ، والأولى به هنا أن يكون بمعنى قُدَّامَ . ومثله في القرآن : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ ﴾ .

٦١٩

وَقَالَ رُوَيْشِدٌ^(٢) :

- ١ - وَمَوْقِعٌ تَنْطِقُ غَيْرَ السَّدَادِ فَلَا جِيْدَ جِزْعِكَ يَا مَوْقِعُ
 - ٢ - فَمَا فَوْقَ ذَلَّتِكُمْ ذِلَّةٌ وَلَا تَحْتَ مَوْضِعِكُمْ مَوْضِعُ
- مَوْقِعٌ^(٣) : قَبِيلَةٌ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْفُحْشِ وَغَيْرِ الصَّوَابِ ، لِسَفْهِهَا

(١) يُقَالُ تَعَلَّ ، بِالضَّمِّ ، وَبِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ .

(٢) هُوَ رُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِي ، الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْجُمُوعُ ٣٢ ص ١٦٦ .

(٣) مَوْقِعٌ ، بِضَمِّ الْمِيمِ ، كَمَا فِي الْأَصْلِ وَالتَّبْرِيْزِيِّ . وَفِي الْقَامُوسِ : « مَوْقِعٌ بِالضَّمِّ :

قَبِيلَةٌ » لَكِنْ ضَبَطَ فِي لِ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالْقَافِ .

وسوء تمييزها ، ثم دَعَا عليها ، فقال : لَا مُطَرَ جَانِبُكَ وَفَنَاءُ وَاذِيكَ بِالْجَوْدِ ،
وَلَا أَصَابَكُمْ خِصْبٌ .

وقوله « فما فوق ذلتكم » طابق بتحت وفوق فيه ، وهو غريب حسن .
يريد : لا مرتبة في الذل أعلى من مرتبتكم ، فإنها الغاية القصوى ؛ ولا موضع
أشد تأخرًا وانحطاطًا في العز من موضعكم ، فإنه المنزل الأخس الأدنى . وقوله
« غير السداد » ، يريد به تنطق النطق غير السداد . ويقال : جيد جودًا ،
في المطر ، وتوسّع فيه فقيل :

* وَجُودٍ مِنْ صِبَابَاتِ الْكَرَى ^(١) *

ويقال جيد جوادًا ^(٢) ، إذا عطش .

٦٢٠

وقال جابر ^(٣) :

- ١ - أَجِدُّوا النَّعَالَ بِأَقْدَامِكُمْ أَجِدُّوا فَوَيْهًا لَكُمْ جَرُولُ
 - ٢ - وَأُبْلِغْ سَلَامًا إِنْ جِئْتَهَا فَلَا يَكُ شِبْهًا لَهَا الْمَفْزَلُ
 - ٣ - يُكْسَى الْأَنَامُ وَيُعْرَى اسْتُهُ وَيَفْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلُ
- يقول : استجدّوا النعال لأقدامكم ، أو في أقدامكم استجدّوها يا جرول ،
فويها لكم . ولما كرّر الأمر تأكيداً للقول عليهم . ويقال في الدعاء : أبل
وأجدد . وويها : اسم من أسماء الأفعال يعرى به ، ولا يحى إلا منونًا ،

(١) البيت للبيد في اللسان (جود) . وصحزه :

* عاطف الرق صدق المبتذل *

(٢) وجودة أيضا بفتح الجيم ، وفيه قول ذى الرمة :

تعاطيه أحياناً إذا جيد جودة رضاها كطعم الزنجبيل المسل

(٣) كذا ورد اسمه بدون نسبة .

وذلك علامة لتفكيره . وإنما قلنا هذا لأن في أسماء الأفعال ما يُنكر ويعرف .
ومنه ما لا يحى إلا منكوراً . ومثل وَبِهَا إِيَّاهَا ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْكَفِّ ، وَوَاهَا
وهو لا تعجب ، وكل ذلك يحى منونةً منكراً . وجَرَّوْلُ : اسم رجل .
وجمل أول الكلام خطاباً لجماعتهم ، ثم خَصَّ بالنداء واحداً منهم وجمله
للمأمور بما أراد . ألا ترى أنه قال : « وَأَبْلِغْ سَلَامَانَ إِنْ جِئْتَهَا » .
وسلامان : قبيلة . ومثل هذا التخصيص قول الهذلي^(١) :

* أَحْيَا أَبَا كَنْنٍ يَا لَيْلَى الْأُمَادِيحُ^(٢) *

فقال : أبا كنن ، ثم قال : يا ليلي ، وهذا التخصيص مثل التخصيص الذي
في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، وما أشبهه . وقوله
« فَلَا يَكُ شَيْهًا لَهَا الْمِغْزَلُ » ، لو قال لكم لساغ ، لأنهم يفتنون في مثل هذا
الموضع بين الخطاب والإخبار ؛ على هذا قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، قُرئ : ﴿ لَا يَعْبُدُونَ ﴾ بالياء والتاء^(٣)
فالتاء للخطاب ، والياء للإخبار . والرَّسَالَةُ التي يريد إبلاغها قوله :

* فَلَا يَكُ شَيْهًا لَهَا الْمِغْزَلُ *

واللغى لا يكونَنَّ سبيلكم سبيل مَنْ يَنْبَعُ الْغَيْرُ وَيُضِرُّ نَفْسَهُ ، كَالْمِغْزَلِ
الَّذِي يُكْسَى اتِّخْلُقَ وَيَجْعَلُ اسْتَهَ عُرْيَان . وهذا مثل . وكما ضُرِبَ الْمَثَلُ بِالْمِغْزَلِ
ضُرِبَ أَيْضًا لَهُ بِالسَّرَاجِ فَقِيلَ :

وَلَا تَكُونَنَّ ذُبَالَةً نُصِبَتْ نَضِيءٌ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

فأمَّا قوله « وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلُ » ، فإنه كان يُرَوَى : « مِنْ خَلْفِهِ »

(١) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) . وقد سبق في ٢٤٨ .

(٢) صدره : * لو كان مدحة حي أنشئت أحداً *

(٣) قرأ بالياء التحتية ابن كثير وحزرة والكسائي . وقرأ أبي وابن مسعود :

« لَا يَعْبُدُوا » ، على النهي . تفسير أبي حيان (١ : ٢٨٢) .

وليس يصح له معنى . والمستقيم كما روينا : « مِنْ خَلَمِهِ الْأَسْفَلِ » . وذلك أَنَّ الْمِغْزَلَ يَنْسَلُّ أَسْفَلُهُ بِأَنْ يُخْتَلَمَ كَثِيقُهُ ، وهذا ظاهر . وكأنَّ سَلَامَانَ كانت تفتحم أحوالاً غَنَمُهَا بِصَبْرِ لَغِيرِهَا ، وَغَرَمُهَا بِكَوْنِهَا ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْمِغْزَلَ مَثَلًا لَهُ .

٤ - فَإِنَّ بُحَيْرًا وَأَشْبَاعَهُ كَمَا تَبَحُّثُ الشَّاةُ إِذْ تَذَالُ^(١)

٥ - أَثَارَتْ عَنِ الْحَتَفِ فَاغْتَالَهَا فَمَرَّ عَلَى حَلَقِهَا الْمِغْوَلُ

٦ - وَآخِرُ عَهْدِهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ وَجَزَعٌ لَهَا مُتَبَقِلٌ

قوله « كَمَا تَبَحُّثُ الشَّاةُ » محمولٌ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ بَحْثَ بُحَيْرٍ وَأَشْيَاعِهِ كَبَحْثِ الشَّاةِ فِي ذَآلَاتِهَا ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنْ عَذْوِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ الْحَدِيثُ بِالْحَدِيثِ ، وَالذَّاتُ بِالذَّاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ إِنَّ بُحَيْرًا حَذَفَ الْمُضَافَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُ الْبَحْثِ بِالْبَحْثِ . وَفِي الْمَثَلِ : « حَتَفَهَا تَحْمِلُ خِضَانٌ بِأُظْلَافِهَا » ، وَ « كَمَا تَبَحُّثُ الشَّاةُ عَنْ مُذَيَّبَتِهَا » وَ « لَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ الشُّفْرَةِ » ، وَإِنَّمَا يَبْهَى بِهَذَا مَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَيَسْعَى فِي إِهْلَاكِهِ بِرِجْلِهِ ، فَيَقُولُ : لَا يَكُونُ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّاةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنِ الْمُدِيَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْتَرَتْ عَنِ الذَّامِحِ ، بِظُلْفِهَا ، حَتَّى ذُبِحَتْ بِهَا . وَمَعْنَى أَثَارَتْ عَنِ الْحَتَفِ ، أَثَارَتْ عَنِ الْمُدِيَةِ ، ثُمَّ كَانَ الْحَتَفُ فِيهَا . فَفِيهِ تَوْشَعٌ . وَهُمْ يُقِيمُونَ السَّبَبَ مَقَامَ الْمَسَبِّ كَثِيرًا . وَاغْتَالَ : افْتَقَلَ مِنَ الْغَوْلِ ، وَهُوَ الْهَلَاكُ . وَالْمِغْوَلُ : السَّكِينُ ، وَقَدْ اشتهرت بها إِذَا جُمِلَتْ فِي وَسْطِ السَّوْطِ فَصَارَ كَالْغِلَافِ لَهَا . وَقَوْلُهُ « وَآخِرُ عَهْدِهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ^(٢) » ، يَعْنِي الشَّاةَ بَعْدَ إِثَارَتِهَا السَّكِينِ .

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَأَشْيَاعُهَا » ، صَوَابُهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ . قَالَ : « بِحَيْرِ :

اسْمُ رَجُلٍ » .

(٢) ابْنُ جَنِّي : « أَرَادَ أَنْ يَقُولَ غَدِيرٌ مُونِقٌ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ وَصَفَ النُّسَكَةَ عَلَيْهَا فَأَعْرَبَهَا إِعْرَابَهَا وَأَبْدَلَهَا مِنْهَا ، كَقَرْلَاقٍ : مَرَّتْ بِظَرِيفِ رَجُلٍ . وَلَوْ نَصَّبَهُ لِأَنَّهُ نَكَرَةٌ قَدَّمَ عَلَيْهَا فَنَصَّبَ حَالًا مِنْهَا لِحَازَ عَلَى قَوْلِكَ : فِيهَا قَائِمًا رَجُلٌ . غَيْرَ أَنَّ سَيِّبُوهُ قَالَ : هَذَا كَلَامٌ أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي الشُّعْرِ وَقَلْبًا يَجِيءُ فِي الْكَلَامِ » .

وهو إظهارها إياها . فيقول : كان آخرُ عهدِها المُعْجِبُ لها روضةٌ قد أُنْقَلَتْ ،
وغديرًا امتلاءً ماءً ، وكان شِبعه وريبه منهُما ، فَبَطِرَتْ وأثارت عن حَتَفِها حتَّى
هَلَكَتْ . ولك أن تروى « مُونِقٌ » بالرفع ، فيكون صفة لآخرُ عهدٍ ،
و « مُونِقٍ » بالجرِّ فيكون للعهد . وجعل الإيقاع للعهد لأنَّ المراد بالعهد
المعهود ، وهو المَرْغَى المُعْجِبُ . ويجوز أن يجعل المونِقُ من صفة الغدير وقد
قُدِّمَ عليه ، وجُعِلَ هو بدلًا منه ، ويكون التَّقدير : وآخرُ عهدٍ لها غديرٌ
مونِقٌ وجِزْعٌ مُبْقِلٌ . ويقال : أبْقَلَ المكانُ فهو باقِلٌ ومُبْقِلٌ . وأَفْعَلَ فهو
فَاعِلٌ شاذ ليس بكثير .

٦٢١

وقال إياس بن الأرت^(١) :

- ١ - كَأَنَّ مَرْعَى أُمَّكُمْ إِذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانُ
 - ٢ - إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ وَفِي شَوْلِهَا وَخَزْ أَلِيمٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّانِ
 - ٣ - كُلُّ عُدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَأُمَّكُمْ سَوْرَتُهَا بِالْعِجَانِ
- قوله « كَأَنَّ مَرْعَى أُمَّكُمْ » ، يجوز أن يكون « مَرْعَى » اسمًا لها ،
وأُمَّكُمْ بدلًا منه ، ويجوز أن يكون لقبها الشاعر به . وسُئِلَ الأحنف عن شيء
من أمور النساء ، فقال : « الرَّجُلُ حَتَّى وَالنِّسَاءُ مَرْعَى » ، فَعُدَّتْ من سَقَطَاتِهِ .
ومثل قوله « عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانُ » قولُ الآخر :

كَالْجُعَلَيْنِ رَكِبَا دُخْرُوجًا دَمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيحًا

والعُقْرُبَانُ : ذَكَرُ الْعُقَارِبِ . وَالْكُومُ : السَّفَادُ . وقوله « إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ »

(١) سبقَت ترجمته في الخامسة ٣٥٧ ص ١٠٢٨ .

(٢) انظر الحيوان (٢ : ٤ / ٢٨٦ - ٢٥٩ - ٢٦٠) .

كُنِيَ عَنْ قَرْنِي الْعَقْرَبَةَ بِالْإِكْلِيلِ . وَالزَّوْلُ : الْخَفِيفُ الظَّرِيفُ . وَقَوْلُهُ « وَفِي شَوْلَهَا وَخَزٌ » أَيْ فِيمَا تَشُولُ الْعَقْرَبَةُ مِنْ ذَنْبِهَا . وَزَادَ الْمَاءُ فِي عَقْرَبَةٍ تَوْكِيدًا لِلتَّأْنِيثِ . وَهَذَا كَمَا قَالُوا : جَلَّ وَنَاقَةٌ ، وَكَبَشٌ وَنَمْجَةٌ ، وَوَعِلٌ وَأُزْبَةٌ أَلْحَقُوا الْمَاءَ تَوْكِيدًا وَتَحْقِيقًا لِلتَّأْنِيثِ ؛ وَلَوْ لَمْ تُلْحَقْ لَمْ تَحْتَجْ إِلَيْهَا . وَحُكِيَ : عَجُوزَةٌ . وَالْوَخَزُ : الطَّعْنُ الشَّدِيدُ الْمَوْجِعُ . وَإِنَّمَا يَعْنِي شَوْكَتَهَا إِذَا ضَرَبَ بِهَا ، فَشَبَّهَ تَأْثِيرَهَا بِتَأْثِيرِ السَّنَنِ .

وقوله « كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلًا » ، أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ السَّوْءَ فِيهَا اسْتِهْزَاءً وَاسْتِهَانَةً بِذِكْرِهَا ، فَقَالَ : كُلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى شَرُّهُ إِذَا أَقْبَلَ ، وَأَمْسَكُمْ يُتَّقَى شَرُّهَا إِذَا أَذْبَرَتْ . وَالْعِجَانُ يَرِيدُ الدُّبُرَ بِهِ ^(١) . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَا بَيْنَ الْخُصْيَةِ إِلَى سَمِّ الدُّبُرِ . وَالسَّوْرَةُ : الْوُثْبَةُ .

٦٢٢

وَقَالَ أَدَهْمُ بْنُ أَبِي الزَّعْرَاءِ ^(٢) :

١- بَنِي خَيْبَرِي نَهْنِهُوا مِنْ قَنَازِعٍ أَنْتَ مِنْ لَدُنْكُمْ وَانْظُرُوا مَا شُؤْنُهَا ^(٣)

٢- فَكَانَتْ بَهَا مِنْ فَاشِصٍ قَدْ عَلِمْتُمْ إِذَا نَفَرْتَ كَانَتْ بَطِيئًا سُكُونُهَا

هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ تَوْعُّدٌ وَاسْتِهْزَاءٌ . فَيَقُولُ : يَا بَنِي خَيْبَرِي ، كُفُّوا عَنْ أُبْيَاتِ هِجَاءٍ وَفَخْرِ جَاءَتْكُمْ مِنْ عِنْدِكُمْ ، وَانْظُرُوا كَيْفَ تُرْسِلُونَهَا وَمَاذَا شُؤْنُهَا حَتَّى اهْتَاجَتْ وَجَاءَتْ . وَالْقَنَازِعُ ، أَصْلُهُ الْفُحْشُ . وَيُقَالُ لِلدَّيْثُوثِ : الْقَنْذَعُ .

(١) ل : « يَزِيدُ بِهِ الدِّبْرُ » .

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَامِيَةِ ٢٠٠ ص ٦١٣ .

(٣) التَّبْرِيْزِيُّ : « عَنْ قَنَازِعٍ » .

وقوله « فـكائن » بناء كائن لغة في كم . و « بنا » أى عندنا .
 « ناشيص » أصله فى المرأة ، يقال : نشصت المرأة على زوجها ونشزت ، إذا
 تمتعت . فاستعاره للشعر والمجو . يريد : كم من قافية إذا ففرت كانت بطيئاً
 سكونها . وهذا توعد ، والمراد : إنما نُمسك عن القول ما أمكن ، فإذا تكلمنا
 استمر القول بنا فيبطؤ سكوننا ؛ لأن الاحتمال غايةً وللسكون نهاية ، إذا
 بلغناهما فقد أقمنا العذر ، وما وراء ذلك نبلغ فيه الأقصى ، ولا نرضى بالمنزل
 الأدنى . والكناية عن القصائد والقوافى بالهدى والعروس مشهورة . وقد
 قيل : المراد بالناشيص الحرب ، وقيل : أراد به امرأة سيئة الخلق والعشرة ،
 لعجبها بنفسها . كأنه لما جاءهم خاطباً زهدهم فى نساءهم ترفعاً عنهم . والصواب
 فيما بدأت به .

٣ - وبالجل المنصور حول بيوتنا نواشي كالغزلان نجل غيوتها^(١)

٤ - وإنا لمحقوقون حين غضبتُم بأئمة عبد الله أن سَنهينها^(٢)

٥ - فلست لمن أدعى له إن تفقات عليها دما ميل استه وحبوتها

الجل : جمع حجلة . والمقصود : المرسل عليه الشثور . والنواشي : النساء
 الشواب . وقصد الشاعر إلى أن يحسّرهم ويقصّر بشأنهم ويهينهم حين عدوا
 طورهم ، فخطبوا غير كفوم ، فقال : إن عندنا نساء كالغزلان فى جيدها ،
 وبقرة الوحش فى عيينها^(٣) ، مخدرات فى الحال ، تمتعات حوالى بيوتنا ، نربأ
 بأقدارها عن مواصلةكم بهن ، فنحسروا وارجموا عنا مقذوعين مذللين ؛ فإننا

(١) التبريزى : « خلف ظهورنا » .

(٢) التبريزى : « ويروى : حين غضبتُم بلحية عبد الله » .

(٣) الجيد ، وبالتحريك : طول العنق وحسنه . والعين ، وبالتحريك أيضاً : سعة

العين وحسنها .

أَحَقَاءَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِسَبَبِ أُمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَرْفَعُنَا عَنْ مَنَاكِحِهِ ، بَأْتًا لَا نَسْتَعْظِمُهَا
بَلْ نَهْوَنَهَا^(١) ، وَنُقِلُّ فِيسْكَرْنَا فِيهَا . وَقَوْلُهُ « أَنْ سَنُهِينُهَا » أَنْ مَخَفَّةً مِنْ
الْثَقِيلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَمُحَقِّقُونَ بَأْتًا سَنُهِينُهَا لَا تَحَالَةَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

فَمَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَازَةً بَأْنُ أَيْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيَا

وقوله « فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ » يَجْرِي بِمَجْرَى الْيَمِينِ ، أَيْ لِلْوَالِدِ الَّذِي أَنْسَبُ
إِلَيْهِ ، أَنْ أَنْكِحَ عَبْدُ اللَّهِ فِيْنَا ، وَتَشَقَّقَتْ خُرَاجَاتُ اسْتِثْنَاءِهَا . وَهَذَا الْكَلَامُ
إِزْرَاءٌ بِهِ ، وَاحْتِقَارٌ لَهُ ، بِذِكْرِ السَّوَاءِ مِنْهُ . وَذِكْرُ الدَّمَامِيلِ تَشْفِيعٌ لِلْحَالِ ،
وَأَنَّ الْعُزْبَةَ^(٣) بَلَغَتْ بِهِ هَذَا الْمَبْلَغَ لَزُهدِ النَّاسِ فِي مُنَاحِكِهِمْ . وَقَالَ « دَمَامِيلُ »
لِأَنَّهُ أَشْبَعَ كَسْرَةَ الْمِيمِ فَأَحْدَثَ عَنْهَا يَاءً . وَمِثْلُهُ :

* نَفَى الدَّرَاهِمَ تَنْقَادِ الصِّيَارِيفِ^(٤) *

وَالْأَصْلُ الدَّرَاهِمُ وَالصِّيَارِيفُ .

٦٢٣

وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(٥) :

١ - بَنِي تَمَلِّ أَهْلَ الْخَبَا مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنْطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنْطِقُ

(١) ل : « بَلْ نَهِينُهَا » .

(٢) هو جزء بن كليب الفقعسي . والبيت في الحماسة ٦٢ ص ٢٤٢ .

(٣) العزبة بالضم : العزوبة .

(٤) للفَرَزْدَقِ ، فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ (٢ : ٢٥٥) وَكِتَابِ سَبِيحِيَّةِ (١ : ١٠) . وَالْبَيْتُ

جَاءَ شَاهِدًا عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُتَضَايِقِينَ بِالْمَقْعُولِ ، فَإِنْ أَصْلُهُ « نَفَى تَنْقَادِ الصِّيَارِيفِ الدَّرَاهِمِ » ،

وَرَوَى أَيْضًا بِمَجْرَى الدَّرَاهِمِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَرَفَعَ تَنْقَادَ ، فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ .

وَرَوَى أَيْضًا بِرَفْعِ الدَّرَاهِمِ وَنَصَبَ تَقَادَ عَلَى الْقَلْبِ .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسَةِ ٦٩ ص ٢٥٥ . وَفِي النُّسَخَتَيْنِ : « عَتَاب » ، صَوَابُهُ

فِي الْتَبْرِيزِيِّ .

٢ - كَانَهُمْ مِعْزَىٰ قَوَاصِعُ جِرَّةٍ من العِيِّ أَوْ طَيْرٌ بِخَفَّانٍ تَنْفِقُ^(١)

٣ - دِيَافِيَّةٌ غُلْفٌ كَانَ خَطِيبُهُمْ سَرَاةَ الضُّحَىٰ فِي سَلْجِهِ يَتَمَطَّقُ^(٢)

قوله « بنى نُعَلْ أَهْلَ الْخَلَا » يجوز أن يكون أهل الْخَلَا انتصابه على الذَّمِّ والاختصاص، كأنه قال: يا بنى نُعَلِ، أَذْكَرُ أَهْلَ الْخَلَا. وقوله « ما حديشكم » يريد: ما لفتكم. ويفسره قوله بعده « لكم منطوق غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنطُوقٌ »، ينسبهم إلى أَنَّهُمْ نَبَطٌ، وَأَنَّ لَتَمَّهُمْ ذَاتُ غَوَايَةِ وَزَيْغٍ. ويعنى بقوله « وللناس منطوق » العرب. ويجوز أن يكون معنى ما حديشكم: ما شأنكمُ الْمُسْتَحْدَثُ وما أمركم؟ ينسبهم إلى أَنَّهُمْ لا قديم لهم ولا حديث.

وقوله « كَانَهُمْ مِعْزَىٰ قَوَاصِعُ جِرَّةٍ »، يقول: إِنَّهُمْ لِعِبَهُمْ إِذَا تَكَلَّمُوا كَانَهُمْ مِعْزَىٰ تَجَرُّؤُهُ، أَوْ طَيْرٌ بِخَفَّانٍ^(٣) تَنْفِقُ. يعنى بالطَّيْرُ الْغُرَابُ، لِيَكُونَ أَشَامٌ، وَالْقُلُوبُ مِنْ ذِكْرِهَا أَنْفَرٌ. ويقال: قَصَعَ الْبَعِيرُ بِجِرَّتِهِ، إِذَا دَفَعَهَا مِنْ جَوْفِهِ.

وقوله « دِيَافِيَّةٌ »، دِيَافٌ: أَرْضٌ بِالشَّامِ. وقصده إلى أن يخرجهم من أن يكونوا عَرَبًا، وَجَمَلَهُمْ غُلْفًا إِحْقَاقًا لَهُمْ بِالْقَجَمِ وَالْقُلْفَةُ وَالْفُرْلَةُ وَالْقُلْفَةُ تَقَارِبُ. وَرَجُلٌ أَغْرَلٌ وَأَغْلَفٌ وَأَقْلَفٌ. وقوله « كَانَ خَطِيبُهُمْ » أى الْفَصِيحُ مِنْهُمْ، وَالْمَعْدُ يَوْمَ فِخْارِهِمْ، وَالنِّيَابَةُ عَنْهُمْ فِي نِفَارِهِمْ، كَأَنَّهُ يَتَمَطَّقُ فِي سَلْجِهِ. وَالتَّمَطَّقُ: تَذَوُّقُ الشَّيْءِ. بَضْمٌ إِحْدَى الشَّفَتَيْنِ عَلَى الْآخَرَىٰ مَعَ صَوْتٍ بَيْنَهُمَا. وَجَمَلَهُمْ كَذَلِكَ فِي سَرَاةِ الضُّحَى، أَيْ إِنَّهُمْ يَتَبَاطِوُونَ فِي كُلِّ حَالٍ، حَتَّى لَا يَقُومُوا مِنْ فُرُشِهِمْ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

(١) التبريزي: « كَانَهُمْ ». و « مِعْزَى » يجوز أن ينون ولا ينون، بجمل ألفه لإِلْحَاقِ أَوْ التَّأْنِيثِ.

(٢) التبريزي: « قُلْف » بدل « غُلْف ».

(٣) خفان: أجهة قريبة من مسجد سعد بن أبي وقاص بالكوفة.

٦٢٤

وقال شعيب^(١)، من كِنَانَةٍ :١- أَرْجُو حَيٍّ أَنْ تَحْيِيَ صِغَارَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا^(٢)

٢- إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ أَجْجَرْتُ مَقَارِي حَيٍّ وَاشْتَكَى الْغَدْرَ جَارُهَا

أجود الروایتین « أَرْجُو حَيًّا » ، كأنه يخاطب إنساناً ويلومه في تعليقه

الرجاء برشاد صغار حَيٍّ ، وقد أعياه كِبَارُهَا . والمعنى أنهم لا يفليحون أبداً ،

وإذا كان رؤسائهم وأهل الحل والعقد منهم معجزين في دعائك إِيَّاهُمْ إلى

الخير والصَّلاح فَرُدَّاهُمْ أَوَّلَى بِذَلِكَ . وإذا رويت « أَرْجُو حَيٍّ » كأنه جعل

الفعل للقبيلة بأسرها ، أى إنهم وحالم ذلك في ضلال إذا رجوا من صغارهم

فَلَا حَا وَحَالَهُمْ مع كبارهم ذلك .

وقوله « إِذَا النَّجْمُ وَافَى » أشار بالنَّجْمِ إلى التَّوْبَةِ . وهم يقولون :

طَلَعَ النَّجْمُ غَدَبَةً وَابْتَغَى الرَّاعِي شُكْيَةً

فهذا يكون في الصَّيْفِ وعند اشتداد الحر .

و : طلع النَّجْمُ عِشَاءً وَابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءً

(١) التبريزى : « وقال شعيب بن عبد الله ، وهو من كنانة بلقين ، يهجو رجلاً من بلقين يقال له عقاب بن هاشم . وعقاب يقول فيهم :

فَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وَلَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارٍ
وشعيب : تحقير شعث ، وإن شئت كان تحقير أشعث على الترخيم .(٢) التبريزى : « وروى أبو هلال : أَرْجُو حَيٍّ ، قال : حَيٍّ : قبيلة :
وروى غير أبي تمام هذه الأبيات لحريث بن عتاب ، أحد بني ذبيان بن عمرو بن الغوث من طي . وأخذ الفرزدق منه فقال :أَرْجُو رَبِيعَ أَنْ تَحْيِيَ صِغَارَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعَا كِبَارُهَا
وأخذه أيضاً البعيث فقال :أَرْجُو كَلِيبَ أَنْ يَحْيِيَ حَدِيثَهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلِيبًا قَدِيمَهَا
فقال الفرزدق :

إِذَا مَا قُلْتَ ثَانِيَةً شَرُوداً تَنْحَلُّهَا ابْنُ حِرَاءِ الْعِجَانِ » .

وهذا يقال في شدة البرد . فيقول : إذا طلَعَ النّجم عند غروب الشّمس ، — بشير إلى تجرّد للخل ، وتكشف الجذب — أُخِرْتُ مَقَارِي هذه القبيلة وسُتِرْتُ ، تفادياً من الضّيافة ، وهرباً من الضّيفان . والمَقَارِي : جمع مِقْرَافَةٍ ، وهي ما يُطْعَمُ فيه الضّيفُ من الجفان . والمراد أنّه لا مِقْرَافَةَ نَمَّ ؛ لأنّهم في الشّتاء يُضَيِّفُونَ ويستضيفون ، فإذا عَطَلَتْ حِفَائِهِمْ في ذلك الوقتِ فَلأنّه لا قِرَى عندهم ولا مَقَارِي . وقوله « واشتكى الغدَرَ جارُها » ينسبهم إلى أن إساءتهم مقصورة على الجار ، وطعمهم فيه وفيمن جرى بحراه ؛ فعند الحاجة لا يشقى بهم إلّا جارُهم . وجواب إذا النّجم « أُجِحِرَتْ » . و « مَغْرِبَ الشّمس » يجوز أن يكون مفعولاً ، وأن يكون اسماً لموضع الغروب ، ويكون وَافَى من الموافاة . ويجوز أن يكون ظرفاً^(١) ، ويكون معنى وَافَى طَلَعَ .

٦٢٥

وقال آخر^(٢) :

فما كِنَانَةٌ في خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وما كِنَانَةٌ في شَرٍّ بِأَشْرَارٍ

يقال : خَيْرُهُ فِخْرَتُهُ خَيْرًا . وأنا خَائِرُهُ ، إذا كنتَ خَيْرًا منه . واستَخَرْتُ اللهَ نَحَارَلي . وهذه خَيْرَتِي^(٣) ، أي التي أختارُها . والمعنى لا يَرَجِعُونَ إلى حالٍ يُعْتَدُّ بهم لها ، ويُعْتَمَدُ بِمكانهم عليها ، فلا عِنْدَ الخَيْرِ وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَفُوزُونَ بِسُوءِهِ ، ولا في الشَّرِّ وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَحْصُلُونَ على خُطَةِ .

(١) ويجوز أن يكون ظرفاً ، ساقط من ل .

(٢) هو عقاب بن هاشم ، كما سبق في حواشي الحاشية السابقة . وهذا البيت لم يعهده

الطبريزي في عداد الحاشيات ، بل ذكره استطراداً كما سبق في النقل عنه .

(١) يقال بكسر ففتح ، وبكسر فسكون ، والأولى أفصح .

٦٢٦

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(١) :

- ١ - قَوْلًا لَصَخْرَةَ إِذْ جَدَّ الْمَجَاهِدُ بِهَا عُوْجِي عَلَيْنَا يُحْيِيكَ ابْنُ عَنَابٍ
 - ٢ - هَلَّا نَهَيْتُمْ عُوَيْجًا مِنْ مَقَادَعِي عَبْدَ الْمَقْدُودِ غَيْرَ صُيَابٍ
 - ٣ - مُسْتَحْقِقِينَ سُلَيْمَى أُمَّ مُنْذَرٍ وَأَبْنَ الْمَكْفَفِ رِدْفًا وَأَبْنَ خَبَابٍ
- قوله « يُحْيِيكَ » ، يجوز أن يكون في موضع الحال ، أى عُوْجِي مُحْيِيًا لك هذا ، ومثله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْهُ أَرْثًا . ﴾ . ويجوز أن يكون في موضع الجزم جوابًا لقوله عُوْجِي ، وأجرى المُقْتَلُ بَجَرَى الصحيح .

ومثله :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ^(٢)
وهذا الكلام تهكمٌ وسخرية . وإنما يخاطب صاحِبَيْنِ له يبعثهما^(٣) على أن يبلغا بنى صَخْرَةَ ويبيعناها وقت تهيجها بالهجاء وكون تصريفهم فيه جدًّا منهم وهما لم على أن يعطفوا عليهم ، ليسلم عليهم ابنُ عَنَابٍ ، يعنى نفسه .
وذكرُ التحية هاهنا هُزْءٌ منه . وهذا كما قال الآخر^(٤) :

* تَحِيَّةٌ يَدِينُهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٥) *

إِلَّا أَنَّ هَذَا فِي الْأَفْعَالِ ، وَابْنُ عَنَابٍ جَعَلَهَا فِي الْأَفْوَالِ .

(١) سبقَت ترجمته في الحماسة ٦٩ ص ٢٥٥ .

(٢) لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، في الخزائن (٣ : ٥٣٦) وكتاب سيويو

(١ : ١٥ - ٢ : ٥٩) .

(٣) ل : « فبعثهما » .

(٤) هو عمرو بن معديكرب . الخزائن (٤ : ٥٣) .

(٥) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

وقوله « هَلَّا نَهَيْتُمْ » تَقْرِيعٌ وَلَوْمْ وتذكيرٌ بسوء تَأْتِيهِمْ ، وَقُبْحٌ فِعْلُهُمْ .
 فيقول : هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنْ مَفَاحِشِي عَوِيْجًا — وهو رجل منهم — وجعله عَبْدَ
 الْمَقْدُ ، أَيْ لَيْثِيًّا وَدَعِيًّا فِيهِمْ غَيْرَ خَالِصِ النَّسَبِ . الْمَقَادَعَةُ : الْمَفَاحِشَةُ . وَيُقَالُ :
 أَقْدَعَ الرَّجُلُ ، إِذَا أُنِيَ بِفَحْشٍ . وَانْتِصَابُ « عَبْدَ الْمَقْدُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى
 الْبَدَلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الذَّمِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَالِ . وَالْمَقْدُ ؛
 مَمْنُونُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمَوْخَرِهِ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَبْدُ الْقَفَا ، وَعَبْدُ الْمَقْدُ ،
 وَيُرَادُ بِالْمَقْدُ الْقَفَا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ حَرُّ الْوَجْهِ ، وَكَرِيمُ الْمُحْيَا .
 وَالضُّيَّابُ : الْخَالِصُ ، كَأَنَّهُ يَهْجُوهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الضُّيَّابُ وَالضُّيَّابَةُ : أَصْلُ
 كُلِّ قَوْمٍ . وَقَالَ أَيْضًا : الضُّيَّابُ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) . وَأَنْشَدَ :

* يَحْتَلُّ مِنْ كِنْدَةَ فِي الضُّيَّابِ *

وقوله « مُسْتَحْقِبِينَ سُلَيْمَى » ، أَفْحَشَ فِيهِ ؛ أَيْ جِئْتُ لِمَاجَانِي وَقَدْ
 اسْتَحْقَبْتُمْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَابْنَ الْمَكْكَفِ مَعَهَا رَذْفًا وَابْنَ خَبَّابٍ . كَأَنَّهُ يَرْمِي سُلَيْمَى
 بِهِمَا أَوْ يُعَدِّهُمَا جَمِيعًا مِنْ مَخَازِيهِ . فَهَذَا هُزْءٌ أَيْضًا . أَيْ جَازِئْتُمُونِي بِمَنْ هُوَ
 شَيْنُكُمْ ، وَجَعَلْتُمْ عِيُونََكُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمُوعٍ إِذَا كَانَ غَيْرُكُمْ يُخْفِي أَمْرَهُ وَيُسْتُرُهُ .
 يَرِيدُ : اسْتَهْدَفْتُمْ لِي بِهِؤُلَاءِ . وَسُلَيْمَى كَانَتْ لَهَا قِصَّةٌ . وَالْاسْتَحْقَابُ : شِدَّةُ الْحَقِيقَةِ
 مِنْ خَلْفٍ ، وَكَذَلِكَ الْاِحْتِقَابُ : وَكَفَى عَنِ الْعَجْزِ بِالْحَقِيقَةِ لَذَلِكَ .

٤ — يَا شَرُّ قَوْمٍ بَنِي حِصْنٍ مُهَاجِرَةٍ وَمَنْ تَعَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَعْرَابِ

٥ — لَا يَرْتَجِي الْجَارُ خَيْرًا فِي بَيْتِهِمْ وَلَا مَحَالَةً مِنْ شَتْمٍ وَأَقَابِ

يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ شَرُّ قَوْمٍ هَاجَرُوا إِلَى الْأَمْصَارِ أَوْ بَقُوا فِي الْبَدْوِ . وَ« بَنِي

(١) ابْنُ جَنَى : « وَذَلِكَ أَنَّهُمَا فِعَالٌ مِنْ صَابٍ يَصُوبُ ، أَيْ اِطْدَأَنَ وَاسْتَقَرَّ . يَقُولُونَ :
 فَلَانٌ مِنْ صِيَابِهِ قَوْمُهُ ، أَيْ ثَابِتٌ رَأْسِي الْقَدَمِ فِيهِمْ . وَقِيَامُهُ صَوَابَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ آثَرُوا الْيَاءَ
 اسْتِحْسَانًا لَا وَجُوبًا » .

حصن « يجوز أن يكون انتصب على النداء ، كأنه قال : يا شر قوم يا بني حصن . وانتصب « مهاجرة » على الحال ، ناداهم في هذه الحالة . أى أتم شر قوم في مهاجرةكم . ومثله :

* يا بوس للجهل ضراراً لأفوام^(١) *

ويؤنسُ بوقوع الحال بعد النداء قولهم : يا زيدُ دعاء حقاً . فإذا ساغ أن يقع المصدر بعده تأكيداً ، فكذلك الحال . قوله « ومن تعرب » فيه معنى « التكاف » ، لأن تعرب يحىء لذلك كثيراً . وصرف الكلام عن السنين الأولى وجعله استئناف خبر . ويجوز أن يكون انتصب بنى حصن على الهم والاختصاص .

وقوله « لا يرتجى الجار » يريد أن جارهم مبتدل فيهم ، يأس من خيرهم مادام معهم ، وملئ من جهنهم بالاستخفاف والتقليب^(٢) ، والشتم القبيح . وأجرى قوله « لا محالة » مجرى قولهم لا بد ، كأنه أراد : الجار لا يرجو خيراً فيهم ، ولا بد له من شتم يقصد به ، وأقرب يعرف بذكره . وقال الخليل : « يقولون في موضع لا بد : لا محالة » . ويقال : حال حولاً وحيلة ، أى احتمال .

٦٢٧

وقال آخر :

- ١ - بني أسدٍ إلا تنحّوا تطأكم مناسيم حتى تحطّموا وحوافر
- ٢ - وميماد قوم إن أرادوا إقناء ميماء تحامتها تميم وعامر

(١) للنايعة الذبياني في ديوانه ٧١ واللسان (خلا) والشعراء ٤٢ ، ١٢٥ والخزاعة (١ : ٢٨٥) . وصدده :

* قالت بنو عامر خالوا بني أسد *

(٢) أى الرمي باللقاب . وهذا ما فى ل . وفى الأصل : « والتقليب » ، تحريف .

٣ - وما نامَ مَيَّاحُ البَطَّاحِ وَمَنْعَجٍ . ولا الرَّسَّ إِلَّا وهو عَجَلَانُ سَاهِرٌ
يقول : يا بني أَسَدٍ ، خَلُّوا الطَّرِيقَ وتباعدوا عنها ، فإنَّكم إن لم تفعلوا
ذلك وطئْتكم الإبلُ والخليلُ فطَمَمْتُكم . ينسُبهم إلى القِلَّةِ والضعف ، ويتهمهم
مع ذلك بهم .

وقوله : « وميمعُ قومٍ » . يعني بني أَسَدٍ وأنصارهم ، والميمعُ والوعد
واحد ، وإذا كان كذلك كان المعنى : ومَوْضِعُ الوعدِ لمن أراد الالتقاء معناه
مِيةً تتحاماها بنو تميم وبنو عامرٍ - يعني أحبيتهم - فلا تجسُرُ على ورودها
وإن كثروا . فحذف المضاف ، وهو الموضع .

وقوله « وما نامَ مَيَّاحُ البَطَّاحِ وَمَنْعَجٍ » ، فالمتاح : الذى يَمِيعُ ماءُ
الركبة . وأراد بالبطَّاحِ وَمَنْعَجٍ والرَّسَّ مواردَ الماء . والرَّسَّ : البئر القديمة .
جعلَ المستقي من هذه الآبار يَمِيعُ . وأراد بَمَيَّاحٍ الكثرة ؛ لأنَّ لكلِّ موضعٍ
من المواضع المذكورة ماحةً . والميَّاح : الدُّخُولُ إلى أسفلِ البئر ليُعرفَ الماءُ
في الدلاء ، إذا قَلَّ الماء . والميَّاح : الاستقاء ، يريد : متَّحُوا أَوْلاًئِكَ ماحوا ،
لكثرة الواردة . وإنما وصَفَ سُكَّانَ هذه المواضع - وهم جيشهم - بوفور
العدد ، وأنَّ سُقَاتِهِمْ بهذه الصِّفة من العَجَلَةِ والسَّهَرِ . وقوله : وما نامَ إِلَّا وهو
عجلان ساهر ، يريدُ : نَوْمُهُمْ تَرَكُ النَّوْمَ ، والاستعجالُ فى السَّقى . وهذا كله
قال الآخر ^(١) :

* فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً فَرُّ كُوبٍ ^(٢) *

وكقول أبى تمام :

* تعليقها الإسراجُ والإلجامُ ^(٣) *

(١) لعلقة الفحل فى المفضلية ١١٩ واللسان (ندى) .

(٢) صدره : * ترادى على دمن الحياض فإن تعف *

(٣) صدره فى ديوانه ٢٨١ :

* بسواهم لحق الأياطل شزب *

٤- تَضَاءُكُمْ مِنَّا كَمَا ضَمَّ شَخْصُهُ أَمَامَ الْبُيُوتِ الْخَارِيَةِ الْمُتَقَاعِرَةِ

٥- تَرَى الْجَوْنَ ذَا الشُّمْرَاخِ وَالْوَرْدَ يُدْبِنَنِي لِيَالِي عَشْرًا وَسَطْنًا وَهُوَ عَائِرٌ^(١)

قوله « تضاء لكم » أن تصاغرت مني وانزويتم ، لفشلكم وذهاب مُنتكم ، كما يفعله المتفوط أمام البيوت إذا استولى عليه الخجل لما يريده من قضاء الحاجة ، فهو يتقاصر ويخفي شخصه لئلا يرى . وهذا التشبيه في المنخزل وقد مسه الحياء والخجل غاية .

وقوله « ترى الجون ذا الشُّمْرَاخ » يريد به ذا العُرة السائلة على الأنف ، والشُّمْرَاخ من الجبل : المُستدق الطويل ، على التشبيه . والعائر : الختاف ، والسهم العائر من هذا . يقول : إِنَّا لَكَثَرَتْنَا وَأَتَّسَاعَ مَنَادِحُنَا وَأَفْطَارُنَا ، لو أَفَلَّتْ فِينَا فَرَسٌ أَدَهْمُ ذُو غُرَّةٍ سَائِلَةٌ - وجعله كذلك ليكون أشهر أمرًا وأقل خفاءً - وفَرَسٌ وَرْدٌ أَعْرُ أَيْضًا ، ثُمَّ طَلَبَ عَشْرَ لِيَالٍ فِيمَا بَيْنُنَا لِمَا ظَفِرَ بِهِ .

٦- وَلَمَّا رَأَيْنَاكُمْ لِنَامًا أَدَقَّةً وَلَيْسَ لَكُمْ مَوْلًى مِنَ النَّاسِ نَاصِرٌ

٧- ضَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَقَرٍ إِلَيْكُمْ كَمَا ضَمَّتِ السَّاقُ الْكَسِيرَ الْجَبَائِرُ

وصف حالهم القديمة معهم ، وكيفية اتصالهم بهم وانعطافهم عليهم حتى أبطروهم ذلك ، فاستغصوا عليهم ، ووسوست نفوسهم إليهم بالاستغناء عنهم ، والاكتفاء من دونهم . فيقول : لَمَّا رَأَيْنَاكُمْ أَدْنِيَاءَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَدَقَاءَ فِي أَحْوَالِكُمْ لَا نَاصِرَ لَكُمْ ، وَلَا مُدَافِعَ دُونَكُمْ ، تَعَطَّفْنَا عَلَيْكُمْ لَنَرِفَ خَسِيسَتَكُمْ ، رَحْمَةً لَكُمْ ، وَضَمَمْنَاكُمْ إِلَى أَنْفُسِنَا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْكُمْ وَلَا تَكْثَرِ بِكُمْ ، لَنَجْبِرَ كَسْرَكُمْ ، وَنُوقِرَ نَقْصَكُمْ كَمَا تَضُمُّ الْعَصَائِبُ الَّتِي يُعْصَبُ بِهَا الْكَسْرُ ، وَالْجَبَائِرُ الَّتِي يُسَوَّى بِهَا الْعَظْمُ الْكَسِيرُ الْمَجْبُور . وهذا من التشبيه الصائب ، والكلام المتخير . والأدقة : جمع الدقيق ، وهو الرجل القليل الخير . والفعل دَقَّ دِقَّةً . وقال : الكسير ،

وَالسَّاقُ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّهُ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٌ . وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا لِلْبَصْرِيِّينَ هَذَا لَا يَنْقَاسُ ، بَلْ يُدْبِعُ فِيهِ الْحِكْمُ عَنْهُمْ .

٦٢٨

وَقَالَ أَبُو صَعْتَرَةَ ^(١) :

١ - أَتَهْجُونَا وَكُنَّا أَهْلَ صِدْقٍ وَتَنْسَى مَا حَبَاكَ بَنُو بَرَاءٍ
 ٢ - هُمْ نَتَجَوُّكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا خَيْثَ الرِّيحِ مِنْ خَمْرِ وَمَاءٍ
 ٣ - وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَبَلَّوْا مِنْكِ بَيْتَكَ مِنَ الدِّمَاءِ
 يخاطب رجلاً من عشيرته ، ويقرّعه على ما كان منه من ثلبيه وهجوه ،
 فيقول : أَتَدْمُنَا مَعَ إِحْسَانِنَا إِلَيْكَ ، وَكُونِنَا أَهْلَ صِدْقٍ لَكَ ، وَرَهْطَ صَفَاءِ
 وَوَدَادٍ مَعَكَ ، وَتَنْسَى مَا كَانَ مِنْكَ حَتَّى تَعْرِضْتَ لِبَنِي بَرَاءٍ بِمَثَلِ تَعْرِضِكَ
 لَنَا ، وَمَا قَابَلُوكَ بِهِ مِنْ عَطِيَّةٍ وَحِبَاءٍ ، وَحُسْنِ مَكَافَاةٍ وَجَزَاءٍ عَلَى فِعْلِكَ ، وَقَدْ
 كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُؤَدِّبَكَ ذَلِكَ وَيَرْدَعَكَ ، وَيَنْهَيْكَ عَلَى رَشَادِكَ وَصَلَاحِكَ ،
 وَيَمْنَعَكَ مِنْ مُعَاوَدَةِ شَبْهِهِ وَيَقْمَعَكَ . نَحْنُ أَخَذَ يَصِفُ الْحَبَاءَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِ مِنْ
 جِهَتِهِمْ ، وَالْجَزَاءَ الْمُعَدَّ لَهُ ، فَقَالَ : هُمْ نَتَجَوُّكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا ، أَيْ وَلَدُوكَ لَيْلًا
 سَقْبًا خَيْثًا . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْمَذْكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ . وَيُقَالُ : اسْتَقْبَتِ النِّفَاقَةُ
 وَهِيَ مِسْقَابٌ . وَالْمَعْنَى : ضَرْبُكَ حَتَّى سَلَحْتَ شَيْثًا مِنْكَرًا . وَالذَّكَرُ أَرْدَلُ
 النَّتَاجِينَ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ . وَقَالَ « تَحْتَ اللَّيْلِ » لِأَنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ .

وقوله « وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ ^(٢) » ، يَعْنِي أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِكَ ،
 وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَانُوا أَسْلَفُوكَ ، بِإِجْنَابَةٍ كَانَتْ مِنْكَ عَنْدهُمْ ، وَلَا جَرِيرَةَ سَبَقَتْ
 عَنْكَ إِلَيْهِمْ ، أَنْ جَرَحُوكَ حَتَّى بَلَّوْا مِنْكِ بَيْتَكَ مِنَ الدِّمَاءِ السَّائِلَةِ عَلَيْكَ .

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ ٣٥٩ ص ١٠٢٣ .

(٢) التَّكْمَلَةُ مِنْ ل .

٦٢٩

وقال الطرمّاح^(١) :١ - إِنَّ بَعْنٍ إِنْ فَخَرْتَ لَمَفْخَرًا وفي غيرها تُبْنَى بُيُوتُ الْمَكَارِمِ^(٢)٢ - مَتَى قُدْتُ يَا بْنَ الْحَنْظَلِيَّةِ عُصْبَةً مِنَ النَّاسِ تَهْدِيهَا فِجَاجُ الْمَخَارِمِ^(٣)

هذا الكلام هُزْءٌ وسخرية ، يقول : لك أن تفتخر بيدي معنٍ ، فإنهم في موضع ذاك ، لكونهم يجمع الفضائل ، لكن مباني السُّكْرَمِ تؤسّس في غيرهم . ثم أقبل عليه فقال : أخبرني متى حدثت نفسك بأن تكون قائد طائفة من الناس فتقدمهم^(٤) وتهديهم الطُّرُقَ ، وهم يطؤون عَقَبَكَ ، ويدورون على مُرَادِكَ ؛ لقد رأيت ما لم تؤمِّله ، ونلت ما لم ترتقِ إليه همتك .

والفجّاجُ : الطُّرُقُ . والمخارِمُ : جمع تخريم ، وهو مُنْقَطِعُ أَنْفِ الْجَبَلِ . وهذا مثلٌ ، أى تُصَرِّفُهُمْ حَيْثُ أُرِدْتُ ، وتوجَّهَهُمْ كَيْفَ شِئْتُ .

٣ - إِذَا مَا أَبْنُ جَدٍّ كَانَ نَاهِزَ طَيِّئٍ فَإِنَّ الذَّرَى قَدْ صِرْنَ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ

٤ - فَقَدْ بَزِمَامٍ بَظَرَ أُمِّكَ وَاحْتَفِرَ بِأَيْرِ أَيْمِكَ الْفَسَلِ كُرَّاثَ عَاسِمِ^(٥)

« ابن جدّ » يريدُ به صاحب جدّ وحظّ في الدنيا . فيقول : إذا اتفق

(١) التبريزي : « وقال الطرمّاح بن جهم السنيسى ، لناقد بن سعد المعنى » . وهو أحد بنى سنيس بن معاوية بن جروول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، كما فى المؤتلف ١٤٨ . وهو غير الطرمّاح الشاعر المشهور ، فذاك الطرمّاح بن حكيم بن نمر ، الذى سبقتم ترجمته فى الخامسة ٥٦ ص ٢٢٧ .

(٢) أنشد ياقوت هذه الأبيات فى معجمه فى رسم (عاسم) ، وهو رمل لبني سعد .

(٣) ياقوت : « يا ابن العنبرية » .

(٤) ل : « تتقدمهم » .

(٥) قال ياقوت : « قيل : كان أحد جدية جبالا والآخر حرانا ، فلذلك قال : فقد بزمام بظرك أمك واحتفر الكراث » .

لمتقدّم بنفسه محدود ، لا أوليّة له ، خارجي ، أن يكون ناهز طيّ ، أي مدرّهم وكبيرهم والذي ينهز الدّأوم من البئر ، أي ينزعها ، كأنّه أراد : الذي يقوم بأمرهم عند السلطان ، ويتفجّر عليه حاجاتهم ومهمّاتهم ، فقد انقلب الدهر ، وانحطّ الأعلى ، وصارت الأشراف أدلاء ، لأنّه لا يتقدّم الوضع إلاّ بتأخر الرّفع . وحكى غير واحد من أهل اللغة أنّه يقال : هو ناهز القوم ، أي كسبهم والساعى لهم .

وقوله « فقد بزمام » استهزأ وإزراء بهم ، وقلة احتفال ، بتناول القبيح من ذكرهم . لذلك سمّى السّوءة من طرفيه ^(١) . والفسل : الرّذل . والفسل : الضعيف ، وهما روايتان . وعاسم : موضع .

٦٣٠

وقال الكروّس بن زيد ^(٢) :

- ١ - أَلَا آيَتَ حَظِّي مِنْ عَطَائِكَ أَنَّنِي عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعٌ
 - ٢ - فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُتَزَحْزَحٌ وَمُتَسَعِّ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ وَاسِعٌ
 - ٣ - وَهَمْ إِذَا مَا الْجِنْسُ قَصَرَ هَمُّهُ طُلُوعٌ إِذَا أَعْيَا الرَّجَالُ الْمَطَالِيعُ ^(٣)
- يقول : تمنيت أن يكون الذي حظيت به من عطائك لي أني علمت وأنا وراء الرّمل ما أنت صانعُه وقد قدّمت عليك . فقوله « وراء الرّمل » ظرف لعلمت ، وأنني علمت خبر ليت ، كأنّه ودّ أن يكون بذكر خطّه من العطاء علمه بما يفعله ، فكان اختياره بحسبه . ولا يجوز أن يكون وراء الرّمل بمتعلق بصانع ،

(١) أي صرح بذكر سوءة طرفيه : أبيه وأمه .

(٢) التبريزي : « وقال الكروس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن مدقل .

ابن مالك » . وقد سبقت ترجمته في الجاسية ٢١٠ ص ٦٣٩ .

(٣) التبريزي : « قصر نفسه » .

لأنك إن جعلت ما موصولا فالصلة لا تتقدم هي على الموصول ، ولا شيء مما يتعلق بها^(١) . وإن جعلت ما موصوفا فالصفة لا تتقدم على الموصوف ولا ما يتعلق بها ، وإن جعلت ما استفهاما فما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله . وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلُّقه به على الوجوه كلها ، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى^(٢) ، فالصحيح ما قدمته . ألا ترى أنه قال : فقد كان لي عما أرى متزحزح ومتسع . والمتزحزح : المتباعد . أى كان لي جانب من الأرض واسع أترحزح فيه عما أراه وأرد عليه ، وكان لي هم طويل ممتد الشاؤ يذهب صُعداً ، إذا كان هم الجنس قصيراً . طلوع إلى أعلى العز وذرأه إذا أعجز الرِّجال مطالع العز . والجنس هو الثَّقيل الجاني . أى يقصرهم نفسه فيرضى بالخاص . وقوله « إذا ما الجنس » ظرف لما دل عليه هم ، و « إذا أعيا » ظرف لطلوع . ولا يمتنع أن يكون إذا ما الجنس ظرفاً لطلوع ، ويجعل إذا أعيا بدلاً منه ؛ لأن المعنيين يتقاربان . والأول أقرب وأجود .

(١) أى ولا شيء مما يتعلق بالصلة يتقدم على الموصول . وفي النسختين : « ولا على شيء مما يتعلق بها » وليس بصواب . وعبرة ابن جني في التنبيه : « لاستحالة جواز تقديم الصلة أو شيء منها على الموصول » .

(٢) أما ابن جني فيرى أن التعليق صحيح من جهة المعنى ويقول : التقدير ما أنت صانع وراء الرمل . وأما التعلق من جهة الإعراب فيراه غير جائز في الأوجه الثلاثة المتقدمة . ثم يقول : « فإذا كان المعنى عليه - أى على التعليق - وسبيل الإعراب ضيقه عنه - أى لا تحتمله في الصناعة - أضمر له ما يتناوله مما يدل الظاهر عليه » ، فيرى أن الظاهر تفسير لعامل مقدر يشبهه . ثم قال بعد أن ذكر هذا الوجه : « ويجوز أن يكون وراء الرمل متعلقاً بنفس ، أى علمت علمت في هذا الموضع كذا وكذا ، على صغر معناه ويجوز وجه ثالث غير هذين ، وهو أن ينصب وراء نصب المفعول به بـ علمت ، أى لبتى عرفت هذا الموضع ، وتبدل منه ما أنت صانع ، أى الذى أنت صانع فيه ، كقولك : عرفت هذا الذى تجد من أمرها . ويجوز إذا أبدلت ما أنت صانع أن تجعل ما استفهاماً ، كقولك : قد عرفت زيدا أبو من هو ، فتبدل أبو من هو ، من زيد ، فتصير إلى أنك كاذب قلت ، قد عرفت أتو من زيد . ويجوز أيضاً إذا جعلت وراء مفعولاً به أن تجعل علمت المتعدية إلى مفعولين وتجعل ما بعدها من الاستفهام في موضع المفعول الثاني ، كقولك علمت زيدا كم ماله » .

٦٣١

وقال وضاح بن إسماعيل^(١) :

- ١- مَنْ مُبْلِغُ الْحِجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السَّلَا^(٢)
 - ٢- وَإِنْ شِئْتَ أَقْبِلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً جَمِيعًا فَقَطِّعْنَا بِهَا عَقْدَ الْعُرَى^(٣)
 - ٣- وَإِنْ قُلْتَ لَا إِلَّا التَّفَرُّقَ وَالنَّوَى فُبُعْدًا أَدَامَ اللَّهُ تَفَرُّقَةَ النَّوَى^(٤)
 - ٤- فَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا وَتَعْجَبُ أَنْ أَبْصُرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى^(٥)
- هذه أبياتٌ ذهب الناسُ من طريق الرواية والمعنى فيها مذاهبَ طريفة ،
والصحيح ما أورده . وذلك أنه رتب ما بينه وبين الحجاج مراتب ثلاثاً ،
خبره فيها بالشروط المبينة :

(١) التبريزي : « وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد » . والصواب : « بن داود بن أبي جهم » . كما أسلفنا في ترجمته في الحاشية ٢١٢ ص ٦٤٣ . يؤيد ذلك ما رواه أبو النرج في الأغاني (٦ : ٣١) من قوله في بنات عمه :

من بنات السكريم داود في كند
من ينسبن من أباة اللعن
وقوله يفخر بجمه أبي جهم :

بنى لي إسماعيل مجداً مؤثلاً
وعبد كلال بعده وأبو جهم
(٢) في الأغاني (٦ : ٤٢) أن هذه الأبيات يقولها وضاح في أخيه « سماعة » وقد عتب عليه في بعض الأمور . وقد روى البيت الأول هكذا :

فن مبالغ عنى سماعة فادياً
فإن شئت فاقطعنا كما يقطع السلى
(٣) التبريزي وأبن جني : « فاقطعنا بموسى » و « فقطعنا » بصيغة الأمر . وقال التبريزي في تفسيره : « ونصب عقد العرى على المصدر ، أي فقطعنا تقطع عقد العرى ، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه » . نحو هذا الكلام لابن جني .

(٤) الأغاني :

وإن شئت صرماً للتفرق والنوى
فبعداً أدام الله تفرقة النوى
(٥) مقتبس من قول عيسى عليه السلام : « لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك ، وأما الخشبة التي في عينك فلا تقطن لها » . إنجيل متى ٧ : ٣ ولو ٦ : ٤١ . وفي عيون الأخبار (٢ : ٢٧١) : « كيف تبصر القذاة في عين أخيك ولا تبصر السارية في عينك » .

فالشَّرْطُ الأولُ قوله « إن شئت فاقطعني كما قُطِعَ السَّلا » وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد إن شئت خُصَّني بقطيعة لا وِصالَ بتمعُّبها ، كما أن السَّلا ، وهو الجِلْدَةُ التي يلتفُّ فيها الولد عندَ خروجه من بطنِ أمه ، إذا قُطِعَ عنه لم يَعدْ إليه . ويجوز أن يكون المعنى : اقطعني قطيعة لا يَرُجى معها وَصْلٌ ؛ لأن السَّلا إذا انقطعَ في بطن الحامل لم يمكن استخراجه ، ولا يُرجى الخلاصُ معه . ولهذا ضُربَ المثلُ به في الشَّدائدِ فقول : « انقطع السَّلا في البطن » . والمراد في هذه القطيعة المذكورة أن تبقى العلائق التي بينهما على ما حصلت وثبتت لا يُغيَّرُ منها شيء .

والشَّرْطُ الثاني : « وإن شئت أقبلنا بموسى رَمِيضَةً » ، يقول : وإن شئت أخذ كلُّ منّا موسى محدّدة ، فقطعنا بها الأواصر التي بيننا . وهذا مثل ، والمعنى أن لنا الأسباب التي تَوَاصَلنا بها فصارت مثل الأنساب ، وحلّنا عقدَ العُرى الوثيقة فيما تَوَاشَجْنَا فيه حتى نصيرَ كالأجانب لا وُصَل تجمُعنا ، ولا أواخِيَّ تَنظُمنا ، إلّا ما طوى البعادُ بيننا من قُرب الجوار والدار .

والشرط الثالث : وإن قلت لا إلّا التفرُّق بالأبدان معها ، فيكون للنَّوى مُبَدَّدَةٌ شملنا ، فلا نلتقي في شُعبٍ ومَسَلِكٍ ، ولا نتحدّأ في منزلٍ وتَجَمُّعٍ ، ولا نتجاوَرُ في محلٍّ ومَقَرٍّ^(١) ، فإنّا نَبْعُدُ بُعْدًا كما نختار ؛ وأدامَ اللهُ تفرقة النَّوى بيننا ولا تَجَمُّع ما تشئت منها .

ويقال : سَكِينٌ رَمِيضٌ : حادٌّ . وكل حادٍ رَمِيضٌ ، ومنه ارتَمَضَ من كذا ، إذا اشتدَّ عليه وأغضبه .

وقوله « فأبى أرى في عينك الجذع » ، يقول : إن العداوة بيننا رسخت

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « وسفر » .

وَبَيَّنَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ مِنْ جِهَتِكَ ، فَلَا اسْتِيقَاءَ مَعَكَ ، وَلَا صَبْرَ عَلَى أَدَى مُضَضٍ مِنْكَ ، حَتَّى تَعْجَبَ لِأَدْنَى شَيْءٍ يَحُولُ ، وَتَسْتَغْظِمَ أَصْفَرَ مَا يَحْدُثُ وَيَدُورُ ، وَأَنَا أَرَى الْجِدْعَ يَمْتَرِضُ فِي عَيْنِكَ فَلَا أَنْكَرَ ، وَلَا أَحَاسِبُ عَلَيْهِ وَلَا أَضَاقُ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « تُبْصِرُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ ، وَتَدْعُ الْجِدْعَ الْمَعْتَرِضَ فِي حَلِيقِكَ » (١) .

٦٣٢

وَقَالَ جَوَّاسُ الْكَلْبِيِّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ جَنَابٍ (٢) :

- ١- ضَرَرْنَا لَكُمْ عَنْ مَنِبْرِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ بِجَيْرُونَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِبْرًا
 - ٢- وَأَيَّامَ صِدْقٍ كُلَّمَا قَدْ عَلِمْتُمْ نَصْرَنَا وَيَوْمَ الْمَرْجِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا (٣)
 - ٣- فَلَا تَكْفُرُوا حُسْنَى مَضَتْ مِنْ بِلَانِنَا وَلَا تَمْنَحُونَا بَعْدَ لَيْلٍ تَجْبِرُهَا
- يُخَاطَبُ بِهَذَا الشُّعْرِ بَنِي مَرْوَانَ عَمَتْنَاهُ عَلَيْهِمُ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ لَمَّا هَلَكَ اسْتَعْمَلَ ابْنَهُ يَزِيدَ ، فَتَابَعَهُ النَّاسُ مَا خَلَا بَنِي قَيْسٍ فَإِنَّهُمْ قَالُوا : لَا نَبَايَعُ ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ ، فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ أُمَيَّةِ وَقَيْسٍ . وَجَيْرُونَ : بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقَ ، وَأَوْلَئِكَ كَانَ مُسْتَقَرُّهُمْ بِالسَّامِ . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ « أَهْلَهُ » بَنِي هَاشِمٍ ، وَبِالْمَلِكِ الْخُلَافَةَ .

وَقَوْلُهُ « إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِبْرًا » ، أَيْ ارْتِقَاءَ مَنِبْرِ وَصُوعَدَهُ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ . وَالْمُرَادُ : إِنَّا نَصْرُنَاكُمْ فِي طَلَبِ أَمْرٍ كَانَ لغيركم لَا لَكُمْ بِجَيْرُونَ ،

(١) أصله من كلام عيسى عليه السلام . إنجيل متى ٧ : ٣ - ٤ ولوقا ٦ : ٤١ ، ٤٢ . وانظر ١٤٩٠ .

(٢) التبريزي : « وقال عمرو بن مخلاة الحارث الكلبى » . وقد سبقت ترجمة عمرو بن مخلاة الحارث في الخاسية ٢١٤ ص ٦٤٧ . وأما جواس ، فهو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن عدي بن جناب الكلبى . وهو شاعر إسلامى كان معاصرا لزفر بن الحارث الكلابى . المؤتلف ٧٤ .

(٣) التبريزي : « قد عرقم » .

حين لا تقدرُونَ على صُعودِ منبرٍ ، ولا تستقيم لَكُمْ قَفَاةُ مُلْكٍ ونَصْرُنَا أَيْضاً^(١)
يوم مَرْجٍ رَهِيطٍ ، وأياماً أُخَرَ قَبْلَهُ وبعده ، صادَفْنَاكُمْ فيها ونَصْرُنَا كَمْ نَصراً
قَوِيّاً ، فلا تَجِدُوا نِعْمَتَنَا فيها ، فكُفِّرَانِ النِّعَمِ ذَمِيمٌ ، ولا تَفَكِّهُوا عَلَيْنَا بعد
مَلَا يَنْتَكِمُ لَنَا ، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ مِنْكُمْ عَظِيمٌ . وقوله « حُسْنَى مُضَتْ » مصدر فى معنى
« الإحسان » ، وليست بِتَأْنِيثِ الأَحْسَنِ ، لأنَّ تلكَ تَلَزُمُهُ الألفُ واللامُ .

٤- فَمِنْ أَمِيرٍ قَبْلَ مَرْوَانَ وَأَبْنِهِ كَشَفْنَا غِطَاءَ النِّعَمِ عَنْهُ فَأَبْصَرَ
٥- وَمُسْتَسْلِمٍ نَفْسَهُ عَنْهُ وَقَدْ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ حَتَّى أَهْلٌ وَكَبَرَا
٦- إِذَا افْتَخَرَ الْقَيْسِيُّ فَأَذْكَرُ بِلَاءَهُ بَزْرَاعَةِ الضَّحَّاكِ شَرْقِيَّ جَوْبَرَا
٧- فَمَا كَانَ فِي قَيْسٍ مِنْ ابْنِ حَنْفِظَةَ يُعَدُّ وَلَكِنْ كُلُّهُمْ نَهْبُ أَشْقَرَا
قوله « كَمْ مِنْ أَمِيرٍ » أراد به معاويةَ وأشياعه . أى ذَبَبْنَا دُونَهُ وَأَزَلْنَا
مَا كَانَ تَرَاكُمُ عَلَيْهِ مِنْ رَوَاكِدِ الظُّلْمِ حَتَّى أَبْصَرَ رُشْدَهُ ، وعَادَتْ إِلَيْهِ بِصِيرَتُهُ ،
بعد أن كَانَ تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، والتَّبَسَّ عَلَيْهِ مَا يَنْتَقِلُ فِيهِ ، فلا يَعْرِفُ مَا عَلَيْهِ مِمَّا لَهُ .
وقوله « وَمُسْتَسْلِمٍ » عطفه على « مِنْ أَمِيرٍ » ، والضميرُ فى « نَفْسَهُ »
للخليل ولم يَجَرِّ لها ذِكْرًا ، وَلَكِنْ عُرِفَ مِنْهُ الْمُرَادُ . يريد : وَكَمْ مِنْ مُنْقَادٍ لِمَا
دَهَمَهُ ، مُسْتَسْلِمٍ لِلشَّرِّ الْمَفَاجِئِ لَهُ وَالْحَيِطِّ بِهِ ، نَفَسَتْ خَيْلُنَا عَنْهُ بعد أن يَدِيسَ
رِيقَهُ ، وَتَقَلَّصَتْ شِفَتَاهُ فَظْهَرَتْ نَوَاجِذُهُ ، لِمَا مُنِيَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ ، وَجَهْدِ
الْبَأْسَاءِ ، حَتَّى أَهْلٌ ، أى رَفَعَ بِالْحَمْدِ اللَّهُ صَوْتَهُ ، وَأَظْهَرَ شُكْرَهُ ، وَعَظَّمَهُ
وَكَبَّرَهُ لِمَا أَعْقَبَ مِنَ الأَمْنِ عَقِيبَ الخَوْفِ ، وَالسَّلَامَةِ بعدِ الْهَلَاكِ . ويروى :
« كَشَفْنَا غِطَاءَ الْمَوْتِ » . ويروى : « وَمُسْتَلَحِمٍ نَفْسَتُ عَنْهُ وَقَدْ بَدَتْ مَقَاتِلُهُ »
والمعنى فِيهِمَا ظَاهِرٌ .

(١) هذا ما فى ل ، وهو الأوفق . وفى نسخة الأصل : « ونَصْرُنَا تَصَرُّأ » .

وقوله « إذا افتخر القيسى فأذكر بلاءه » ، يعبرهم ما كان منهم من
التقصير والتصور في ذلك الموضع . وأخرج الكلام مخرج الهزم ، لأنهم قصروا
ولم يُبْلُوا ؛ لذلك قال : اذكر بلاءه . والزراعات : مواضع الزرع ، كالملاحات .
والزريع : العثري الذي يسقى من السماء ، فكل ناعم زريع تشبيهاً به .
وجوهر : نهر . وانتصب « شرقى » على الظرف ، يعنى ما ولى المشرق منه .
والضحاك^(١) كان على شرطة معاوية ، ثم صار مع ابن الزبير بعد موت يزيد^(٢) .

وفى جملة هذه الأبيات :

فلو كنت من قيس بن عيلان لم أجد فخاراً ولم أعدل بأن أنقصراً^(٣)
يقبح صورتهم كما ترى .

وقوله : « فما كان في قيس من ابن كريمة بعد » وروى : « فما كان في
قيس بن عيلان سيد بعد » ، ويعنى بنهب أشقر فرس طفيل بن مالك ، وكان
فراراً^(٤) . يقول : كأنما انتهبهم طفيل في ذلك اليوم . وكان اسم فرس طفيل
قرزلاً ، لذلك قال الآخر^(٥) يصف قوماً منهزمين :

يعدوهم قُرْزُلٌ ويستمع النسا س إيهن وتخفق اللثم
جعل فرس كلٍ منهم كقرْزُلٍ لما هربوا .

(١) هو الضحاك بن قيس النهري ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ، وولاه معاوية
الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق ، ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دحا إلى نفسه فقاتله -
مروان بن الحكم ، فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ . الإصابة ١٦٤ . والطبرى (٧ : ٣٧ - ٤١) -
(٢) الحق أنه كان يتظاهر بالدعوة لابن الزبير ، واستغل هذا في استعداد أنصار ابن الزبير
ليقوى بهم على محاربة مروان .

(٣) وقال ابن الكلبي : أشقر : رجل من كلب ، أصاب صندوقاً في إغارة لكتاب على
إياد ، فظن أن فيه خير أكبر ، فإذا فيه عظام ، فضر به العرب مثلاً لا خير فيه . وقيل :
إنه أراد بالأشقر العبد . والعرب تسمى المعجم « الحمر » لأن الغالب على ألوان الفرس الصبغة -
وعلى هذا معناه : كلهم نهب من لا قدرة له ولا هيبة . عن شرح التبريزي .

(٤) هو الجميع الأسلى . المفصليات ١ : الطبعة الثانية بالمعارف .

٦٣٣

وقال جواس الكلبي أيضا :

١- أَعْبَدَ الْمَلِكِ مَا شَكَّرْتَ بِلَاءَنَا فَكُلَّ فِي رَحَاءِ الْأَمْنِ مَا أَنْتَ آكِلٌ

٢- بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ لَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ هَلَكْتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلٌ

يعانِبُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَسَكَتَ الْحَرْبُ

وَصَفَا لَهُ الْأَمْرُ : أَقْبَلَ يَتَأَنَّفُ قَيْسًا وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ ، وَيُوحِشُ بَنِي كَلْبٍ وَهُمْ أَنْصَارُهُ ،

حَتَّى انْتَهَى الْحَالُ بِهِ إِلَى أَنْ عَزَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى أَعْمَالِهِ ،

وَجَعَلَ أَبْدَاهُمْ مِنْ قَيْسٍ ، فَقَالَ جَوَّاسٌ : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، مَا حَدَّثَ بِلَاءُنَا فِي

نُصْرَتِكَ ، وَلَا قَابَلْتَ انْقِطَاعَنَا إِلَيْكَ وَسَعِينَا لَكَ بِيَعُضٍ مَا وَجِبَ لَنَا عَلَيْكَ ،

فَكُلَّ مِنْ دُنْيَاكَ فِي سَمَةِ الْأَمْنِ وَظِلَّ الْهُدُوءِ مَا أَنْتَ آكِلُهُ ، لَا مُدَافِعَ لَكَ

وَلَا مُعْتَرِضَ عَلَيْكَ ، فَلَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ وَقِيَامُهُ بِأَمْرِكَ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ لَهَلَكْتَ

وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلٌ ، أَيْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ خَلِيفَةٌ يُخْطَبُ عَلَى مِنْبَرٍ فَيَدْعُو وَيُدْعَى

لَهُ . وَتَعْلَقُ قَوْلُهُ « بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ » بِقَوْلِهِ مَا شَكَّرْتَ بِلَاءَنَا . وَهَلَكْتَ

جَوَابَ لَوْلَا ، وَخَبَرَ الْمَبْتَدَأَ مَحْذُوفٍ ، وَقَدْ مَرَّ أَمثَالُهُ .

٣- فَلَمَّا عَلَوَتِ الشَّامُ فِي رَأْسِ بَاذِخٍ مِنَ الْعِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ الْمُتَنَاقُلُ

٤- نَفَخْتَ لَنَا سَجَلَ الْعِدَاوَةِ مُعْرِضًا كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ

يقول : فَلَمَّا مَلَكَتِ الْمَطْلُوبَ وَأَدْرَكَتِ الْمَأْمُولَ ، وَاسْتَوَيْتِ عَلَى الشَّامِ فِي

عِزِّ بَاذِخٍ وَجَدَّ صَاعِدٍ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلِ مِثْلِهِ أَحَدٌ بِأَمَلٍ أَوْ هِمَّةٍ ، أَطْرَحْتَنَا

وَأَعْرَضْتَ عَنَّا ، مُعْطِيًا سَجَلَ الْعِدَاوَةِ لَنَا ، كَأَنَّكَ جَاهِلٌ بِالدَّهْرِ وَقَمَلَاتِهِ ،

وَحَوَادِثِهِ وَمُلِمَّاتِهِ . وَمَنْ رَوَى : « كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ » ، يَرِيدُ كَأَنَّكَ مِمَّا

أَحْدَثَهُ الدَّهْرُ لَكَ مِنَ الرَّيَاسَةِ جَاهِلٌ . أَيْ اغْتَرَرْتَ فَكَأَنَّكَ اسْتَحْدَثْتَ جَهَالَتهُ .

وَيُرَوَّى : « كَأَنَّكَ عَمَّا يُحْدِثُ الدَّمَرُ [غافل^(١)] » فجاهلٌ يجرى مجرى غافلٍ .
وهذا يجرى مجرى الوعيد . أَى لَا تَأْمَنُ غَيْرَ الْأَيَّامِ وَمَعَاوِدَتِكَ مَا يَخْتِمُ عَلَيْكَ
يَا لِفَقْرٍ إِلَيْنَا ثَانِيًا .

وفي هذه الطريقة ما أنشدهُ لِحَمَّادِ بْنِ غَالِبٍ :

فَتَى مِسْمَعٍ أَنْتَ مِنْ مِسْمَعٍ بِحَيْثُ الشُّوَيْدَاءِ وَالنَّاضِرَانِ
مَلَكَتْ فَاسْجِجْ وَزُغْ بِالرَّمَامِ وَخَفَ مَا يَدُورُ بِهِ الدَّائِرَانِ
٥- وَكَمَتْ إِذَا أَشْرَفَتْ فِي رَأْسِ رَامَةٍ تَضَاءَلَتْ إِنْ الْخَائِفَ الْمُتَضَائِلُ^(٢)
٦- فَلَوْ طَاوَعُونِي يَوْمَ بُطْنَانَ أَسَلِمْتُ لِقَيْسٍ فُرُوجٍ مِنْكُمْ وَمَقَاتِلُ^(٣)
رَامَةٌ : هَضْبَةٌ . يَذْكُرُهُ ضَبِيقُ أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَلَيْهِ ، فيقول : إِنْكَ حَيْثُ
مَتَى أَشْرَفَتْ فِي رَأْسِ هَذِهِ الْهَضْبَةِ تَخَاشَعَتْ وَتَذَلَّتْ ، لاسْتَشْعَارِكَ الْخَوْفِ
الشَّدِيدِ ، وَاسْتَظْهَارِكَ بِالِانْقِصَاءِ مِنْ أَعْدَائِكَ الْبَلِيعِ . وَالْخَائِفُ هَذَا دَابُّهُ وَعَادَتُهُ .
عَلَى أَنَّهُمْ - - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - - لَوْ طَاوَعُونِي فِي هَذَا الْيَوْمِ وَقَبِلُوا نَصَحِي ، وَعَمِلُوا
بِرَأْيِي ، لِأَسَلِمْتُ لِقَيْسٍ فُرُوجُكُمْ ، وَهِيَ مَوَاضِعُ الْمَخَافَةِ ، وَمَقَاتِلُكُمْ . وَالْمَعْنَى :
كُنَّا نَخْذُلُكُمْ وَنُسَلِّمُكُمْ حَتَّى يَتِمَّ الْقَتْلُ مِنْكُمْ ، وَتَعْلُو سِمَةُ الذِّلِّ عَلَى أَحْوَالِكُمْ .
وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْقَيْسِيَّةَ كَانَتْ تَدْعُو إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَكَلْبٌ تَدْعُو إِلَى
الْمُرَوَّانِيَّةِ ، وَكَانَ الْفَاسُ يَوْمَئِذٍ إِنَّمَا يُعْرَفُونَ بِالْبَحْدَلِيَّةِ أَصْحَابُ مَرْوَانَ ،
وَالزُّبَيْرِيَّةِ ، وَهُمْ أَنْصَارُ ابْنِ الزُّبَيْرِ . لِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ :
وَمَا النَّاسُ إِلَّا بَحْدَلِيٌّ عَلَى الْهَدْيِ وَإِلَّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى فَتَزَبَّرَا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، ويدلها في ل : « جاهل » ، والوجه ما أثبتنا ،
لما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) التبيري : « من رأس هضبة » .

(٣) التبيري : « ويروى : أسلمت فروج نساء منكم » .

(٤) سبق البيت محرفاً بدون نسبة في ص ٦٥٠ .

٦٣٤

وقال جَوَّاسٌ أَيْضاً :

١ - صَبَغَتْ أُمِّيَّةٌ بِالْدِّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا

٢ - أُمِّيُّ رَبِّ كَتَبِيَّةٍ مَجْهُولَةٍ صَيْدِ الْكُمَاةِ عَلَيْكُمْ دَعَاها

٣ - كُنَّا وَلَاةَ طِغْنَانِهَا وَضِرَابِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ غَمَاهَا

يقول : استنصرنا أُمِّيَّةٌ ودافعَ الأعداءَ بنا ، وعرضنا للقتل والقتال ، والضرب والطمان ، حتى رَوَيْتَ قَتَانًا من دِمَاءِ مُجَادِبِيهِمْ ، والمتكبرِّهين لأَيَّامِهِمْ ودِيُولِهِمْ^(١) ، فلما وضعت الحربُ أوزارَها ، وارتفعَ الهَيْخُ والفِتْنُ من أنحائها ومقاصدِها ، استبدُّوا بِطِيِّ الدُّنْيَا وزِيَّهَا^(٢) ، والفوز بها وبأعراضها من دُونِنا . ثم أخذَ يخاطبُها فقال : يَا أُمِّيَّةُ^(٣) ، رَبِّ كَتَبِيَّةٍ مَجْهُولَةِ الشَّانِ ، لم نَدْرِ كيف يُدْفَعُ في وجهها . ولا من أين يُصْرَفُ شَرُّها ، متكبرِّى الأبطال ، بِهِم الشُّجْعَانُ ، دَعَاها عليكم لا لَكُمْ ، ودَفَّاعُها فيكُمْ لا عَنْكُمْ ، تولَّينا مطاعمتها ومُكَاخَفَتها ، وافترضنا على أَنْفُسِنَا دَفْعَها . ويجوز أن يكون المرادُ بقوله «مَجْهُولَةٍ» أَنَّا لَا نَعْرِفُهَا ، وَلَا مُجَادِبَةَ بَيْنِنَا وبينهم وَلَا مُعَامَلَةَ ، فَهِيَ مَجْهُولَةٌ لَنَا ، اتَّخَذْنَا كَالْأَعْدَاءِ لَنَا فِي هَوَاكُم وَنُصْرَتِكُمْ .

فإنَّما قوله «صَيْدِ الْكُمَاةِ» فإنَّما جمع فقال صَيْدًا ، تحملاً على معنى الكَتَبِيَّةِ ، ولو حَمَلَ على اللفظ لقال : رَبِّ كَتَبِيَّةٍ صَيْدِ الْكُمَاةِ .

وَالصَّيْدُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : يَقَالُ : مَلَكٌ أَصِيدٌ ، أَيْ مُتَكَبِّرٌ لَا يَلْتَفِتُ

(١) كَذَا ضَبَطَتْ فِي النُّسخَتَيْنِ بِكسر فَفَتَحَ . وَيُقَالُ أَيْضاً «دَوْلٌ» بِضم فَفَتَحَ ، كَلَامُهَا

جَمْعُ دَوْلَةٍ

(٢) الطِّيُّ ، بِالْكَسْرِ : وَاحِدُ الْطُيُورِ ، وَهِيَ مِنَ الثَّوْبِ وَالشَّحْمِ طَرَائِقُهُ وَمَكَاسِرُ طِيِهِ .

(٣) ل : «أُمِّي» .

إلى الناس يمينًا ولا شمالًا. وحَكَّى الخليل أن الصَّيْدَ ذُبابٌ يدخلُ في أذن البعير فيَمَلِّقُ له ، فيظلُّ رافعاً رأسه . فَنُشِبَّه المَلِكُ ذُو الزَّهْوِ به . فهذا وجهه . والوجه الآخر : أن يُرَادَ بِالْأَصِيدِ الذي لا يستطيع الالتفات من دأته .

وقوله : « حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ غُمَّاهَا » ، يقال : هم من أَسْرِمَ في غُمَّاهُ ، أى في شِدَّةٍ والتباسٍ شديدٍ عليهم . ومعنى حتى : إلى أن . والوَلَاةُ : جمع الوالي ، وهو المتولَّى للشيء والفاعل له . ولا يَمْتَنِعُ أن يريدَ به المَلَكُ ، كأنهم مَلَكُوا تدبيرَ الحَيِّ فصاروا كالوَلَاةِ لها وفيها .

٤ - وَأَلَّهُ يَجْزِي لَا أُمِّيَّةٌ سَعِينَا وَعَلَى شَدَدْنَا بِالرُّمَاحِ عُرَاهَا^(١)

٥ - جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَالشَّأْمُ تُنْكِرُ كَهْلَهَا وَفَتَاهَا

٦ - إِذْ أَقْبَلْتَ قَيْسُ كَانَ عُيُونُهَا حَدَقُ السِّكَلَابِ وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا

يقول : الآنَ وقد جَعَدْتَ أُمِّيَّةً نِعْمَتَنَا عِنْدَهَا ، وَبَعُدْتَ عَنِ الصَّلَاحِ بِكُفْرَانِهَا ، فَإِنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ فِي أَنْ يَقُولَ جَزَاءَ سَعِينَا ، وَيَعْرِفَ لَنَا مَا أَنْكَرْتَهُ أُمِّيَّةٌ مِنْ بَلَانِنَا ، وَعَلَى مَعَالٍ أَحْكَمْنَا وَثَائِقَهَا ، وَشَدَدْنَا عَقْدَهَا وَعَلَائِقَهَا ، فَتَوَجَّهَ لَنَا مِنْ إِثَابَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكُونُ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ فَائِت .

وقوله « جِئْتُمْ مِنَ الْحَجَرِ » أرادَ بِالْحَجَرِ الجنس . والمراد : جِئْتُمْ مِنَ الْمَكَانِ الْكَثِيرِ الْحَجَرِ ، وَمِنْ بِلَادِ الْحَجَرِ ، يَعْنِي الْحِجَازَ . وَمَعْنَى « الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ » الْبَعِيدِ مُعْلَقُهُ . وَيُقَالُ : نُطِئْتُ الشَّيْءَ أَنْوَطُهُ نِيَاطًا وَنَوُطًا ، إِذَا عَلَّقْتَهُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ :

« من الحَجَز » ، بالزاء ، وقال : يريد الحِجَاز . فهذا كما قيل في تهامة :
« التَّهَم » . قال :

* نظرت والعينُ مُبينَةُ التَّهَمِ ^(١) * .

والحاجز والحِجَاز والحَجَز ، واحد . قال : وسُمِّي الحِجَازُ حِجَازاً ، لأنه
يَفْصِلُ بين الغور والشام وبين البادية . وقوله « والشَّامُ تَنَكَّرَ كَهَلَمَّا وفتاها » ،
أى لم يكونوا من أهلها فاستغفرتهم . وهذا كما قال في المقطوعة الأولى ^(٢) :
« رُبَّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ » .

وقوله « إِذْ أَقْبَلَتْ قَيْسٌ » ، إِذْ ظَرَفَ لقوله جِئْتُ من الحَجَر ، أى جِئْتُ
وقت إقبال قيس . ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله « تُسَكِّرُ كَهَلَمَّا » أى تنكرفى
ذلك الوقت . ويروى : « وَتَزَبَّرَتْ قَيْسٌ كَأَنَّ عَيْنَهَا » ، أى صار هواها زُيْزِياً .
وقوله « كَأَنَّ عَيْنَهَا حَدَقَ الْكَلَابِ وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا » قَضَدَهُ إِلَى الدَّمِ
وإلى أَنْ نَظَرَهُمْ نَظَرُ الْكَلَابِ ، لَكِنَّهُ جَرَّدَ التَّشْبِيهَ أَوَّلًا ، ثُمَّ قَالَ :
« وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا » أى أَظْهَرَتْ سِيَاهُ الْكَلَابِ فِي إِقْبَالِهَا ، فَتَرَكَ لَفْظَ التَّشْبِيهِ ،
وَصَارَ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةٍ .

٦٣٥

وقال عبد الرحمن بن الحكم ^(٣) :

١- لَحَا اللَّهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنَّمَا أَضَاعَتْ ثُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ

(١) بعده في اللسان (تهم) :

إلى سنا نار وقودها الرتم شبت بأعلى عاندين من إضم

(٢) كذا . وإنما يعنى ما ورد في البيت الثاني من نفس هذه المقطوعة .

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامي ، وهو

القائل لمعاوية حين استلحق زيادا :

مغلغلة من الرجل الهجان

أد أبلغ معاوية بن حرب

وترضى أن يقال أبوك زان

أنفضب أن يقال أبوك عف

٣- فشاوِل بَقَيْسٍ فِي الرِّخَاءِ وَلَا تَكُنْ أَخَاهَا إِذَا مَا الْمَشْرِفِيَّةُ سُلَّتْ^(١)

قوله «لخا الله»، يجوز أن يكون بمعنى قشر الله، ويجوز أن يكون بمعنى سبَّ الله. وقوله «إنها أضاعت ثُغورَ»، يروى بفتح الهمزة، والمعنى لأتتها. ويروى بالكسر على الاستئناف. ومعنى وَلَّتْ انهزمت وأعرضت.

وقوله «فشاوِل بَقَيْسٍ»، أى خاطِرُ غيرك ورافِعهم بهم في الرِّخاء والسَّعة، والأمن والدَّعة، وإيّاك والاعتماد عليهم ومؤاخاتهم في الحرب وعند استلال الشيوف؛ فإنهم يُسلمونك وينهزمون، ويخذلونك ولا ينصرون. ويقال: شَاوِلَ الفحلَ وخاطَرَه، إذا هابجه.

٦٣٦

وقال أبو الأسد^(٢) في الحسن بن رجا^(٣):

١- فَلَا تُنْظَرَنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَى مَنَابِرِهَا بِطَرْفِ أَخْزَرٍ^(٤)

٢- مَا زِلْتُ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ النَّبْرِ

= الأغاني (١٢ : ٦٩ ض ١٣/٧٣ : ١٤٤ - ١٤٨). وفي تاريخ الطبري (٧ : ٤٢) :
أن هذه الأبيات يجيب بها زفر بن الحارث في قوله :

أَفَى اللَّهِ أَمَا بَجْدَلِ وَأَبْنِ بَجْدَلِ فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزَّبِيرِ فَيَقْتُلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمُ أَثَرِ مَحْجَلِ

وهي الحماسة ٢١٥. انظر ص ٦٤٩.

(١) التبريزي : « بَقَيْسٍ فِي الطُّمَانِ ». الطبري : « فَبَاهُ بَقَيْسٍ فِي الرِّخَاءِ ».

(٢) هو أبو الأسد نباتة بن عبد الله الحماني، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل

الدينور، وكان طيباً مليح النواذر مداحاً خبيث الهجاء. الأغاني (١٢ : ١٦٧).

(٣) التبريزي : « الحسن بن رجا ابن أبي الضحاك ». وهو أحد ولاة الدولة العباسية

كان والياً على الجبال، وكان هذا عالماً لما بين أصبهان إلى زنجان وقزوین وهمدان والدينور

وقرميسين والري وما بين ذلك. وهو ممن مدحهم أبو تمام ومحمد بن وهيب. الأغاني

(١٧ : ١٤٢).

(٤) البيتان مع ثالث برواية أخرى في البيان (١ : ٢٩٦). بدون نسبة.

قوله « بطرفٍ أخزر » تعلّق الباء منه بقوله فلا نظرن ، والمراد بنظرٍ يميل إلى ناحية ، أى نظراً بُغِضَ وشفانٍ ، لكونه متولياً لها . والمعنى : هانت في عيني . وصغر قدرها عندي ، فصرت أتكبرهما ، وأبغض أهلها وكورها ، ومواضع الدعوة منها ، مذ صيرت أميرها ومُدبرها .
وقوله « ما زلت تركب » معناه ظاهر .

٦٣٧

وقال آخر^(١) :

- ١- تَجَبَّيْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحُ قَرَّةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ وَالرَّحَى^(٢)
 - ٢- إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقَدَّ أَهْلُهَا وَقَدْ يُسْكِرُمُ الْأَضْيَافُ وَالْقَدُّ يَشْتَوِي
 - ٣- فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ بَكَّوْا وَكَلَّا الْحَيَيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَّى
 - ٤- بَكَّى مُعَوِزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا
- يقول : تَجَبَّيْتُ مِنَ الْعُصْبَةِ الَّتِي سَرَتْ لِيلاً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ أَوْقَدَتْ فِي مَكَانٍ يَتَوَسَّطُ فَرْدَةً وَالرَّحَى ؛ وَهِيَ مَوْضِعَان . وَالرَّوَابِيَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ : « بَيْنَ فَرْدَةٍ فَالرَّحَى » وَهَذَا هُوَ مَا كَانَ الْأَصْمَعِيُّ يُنْكِرُهُ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ * بِسِقْطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ خَوْمل^(٣) * .

وقد مرَّ القولُ فيه وفي أشباهه^(٤) ، وفي حكم بَيْنَ وَمَقْتَضَاهُ أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي

(١) هو الراعي ، كما ذكر التبريزي . وقد سبقت ترجمته في الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ .
قال التبريزي : « ونزل بالراعي التبريزي رجل من بني كلاب في ركب معه ليلاً في سنة مجدية وقد عزبت . عن الراعي إبله ، فنحر لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعي إبله فأعطى رب الناب ناباً مثلها وزادها ناقة ثنية ، فقال ... » .

(٢) التبريزي : « فالرحى » .

(٣) صدره مشهور ، حتى قيل : « أشهر من قفا نياك » .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٩٨ ، ١٢٤١ .

عليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تفاوله أكثر من واحد، حتى يصح ترتيب الفاء عليه في العطف .

وقوله « والريح قرّة » أى تهبّ شمالاً ببردٍ شديد. والواو منه واو الحال .

وقوله « إلى ضوء نار يشتوي القيد أهلها »، أبدل إلى ضوء نار بما في البيت

الأول بإعادة حرف الجرّ معه . ويعنى ناراً لقوم مضطرين مجهودين لا خير

عندهم، ولا طعام يفنائهم، مضطرين إلى شئٍ للقيد، لأنهم أعوزهم ما هو خير منه .

فتعجب وقد استضافهم هؤلاء السارون، ثم قال : وقد بكرم الأضياف مع

مجاهدة الفقر، ومزاولة الضرّ، إذا كان المضيف لطيف الحيلة، رفيع الهمة .

ويقال : شويت اللحم واشتويته، فانشوى هو . وحكى سيديويه في بناء

المطاوعة اشتوى أيضاً . ومثله نظمتُ الشئ وانتظمتُه فانتظم هو .

وقوله « فلما أتونا » يقول : فلما حصلوا عندنا تباثلنا وتباكيها، وكلّ

واحدٍ من الحيين شكاً إلى الآخر دهره وأنهى إليه في إضاقتِه أمره .

وقوله « بكى مُعوزٌ »، هذا بيان وجهِ العلة في البكاء . يقول : بكى فقيرٌ

بخافة أن يُتهم ولا يصدق ظاهرُ حاله فيما ينطق به من ضرّه، وأن تلحق به

اللائمة إذا ذكر واجبات ضيفه ؛ والضيف الطارق بكى لما مسّه من نائبات

دهره، وإما يظهر من ميساس حاجته، ويُقيم به العذر في المسامه، حتى شدّ

حشاهُ خللاء جوفه

٥- فأظفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَمِينَةٍ وَوَطَّئْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَالْقِرَى

٦- فَأَبْصَرْتُهَا كَوْنَاءَ ذَاتِ عَرَبِكَةٍ هِجَانًا مِنَ اللَّائِي تَمْتَعْنَ بِالصَّوَى

٧- فَأَوْمَأْتُ إِمَاءَ خَفِيًّا لِحَبْرٍ وَلِلَّهِ عَيْنًا حَبْرٌ أَيْمًا فَتَى

٨- وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْدِسٍ سَاقَهَا فَإِنْ يُجَبِّرِ الْمُزْقُوبُ لَا يَرْقَأُ النَّسَا

قوله « أَلَطَفْتُ عَيْنِي » أى نظرتُ بعيني نظراً لطيفاً ، هل أرى فى إِبْلِ
الْمُسْتَضِيفِينَ ورواحِلِهِمْ نَاقَةً سَمِينَةً أَنْحَرُهَا لَمْ ، وإذا رُدَّتْ إِبِلِي إِلَى مَبَاءَتِهَا
أَعْرَضُ صَاحِبَهَا خَيْراً مِنْهَا ، وَأَغْرَمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَهُ مَا أَرْضِيهِ بِهِ . ويقال :
أَلَطَفْتُ أَخِي بِكَذَا ، إِذَا اتَّخَفْتَهُ بِمَا يُعْرِفُ بِهِ بِرِّكَ وَلُطْفِكَ . وَأَلَطَفْتُ الْأُمَّ
بِالْوَلَدِ ، وَأُمُّ لَطِيفَةٌ ، أَى أَكْرَمَتْهُ وَبَرَّتْهُ .

وقوله « أَبْصَرْتُهَا كَوْماء » ، الكَوْماء ؛ الطَّوِيلَةُ السَّنَامُ الْغَايِظَةُ ، وقيل :
الْكَوْمُ : الْعِظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : وَالْعَرِيكَةُ : السَّنَامُ إِذَا عَرَكَهُ الْحِمْلُ . وَنَاقَةٌ
عَرَوُكٌ : لَمْ يَكُنْ فِي سَنَامِهَا إِلَّا الْيَسِيرُ مِنَ الشَّحْمِ . وَالْهِجَانُ : الْكَرِيمَةُ . ويقال :
نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ . وَقَدْ سَرَّ الْقَوْلُ فِي وَقْعِهِ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ عَلَى صُورَةٍ ^(١) .
وقوله « تَمَتَّنَ بِالصَّوَى » فَالصَّوَى : الْأَعْلَامُ وَالْجَعَارَةُ . أَى رَعَتْ الْحَزْنَ
وَالسَّهْلَ . وَمَعْنَى تَمَتَّنَ ، أَى أَفْنَنَ بِهَا وَبَقِيَ حَتَّى اسْتَمْتَعَنَ . ويقال : مَتَّعَ
الْمَاءَ الشَّجَرَةَ ، إِذَا أَنْشَأَهَا . وَنَحْلَةٌ مَانِعَةٌ ، أَى طَوِيلَةٌ .

ويروى :

..... مِنْ سَمِينَةٍ تَدَارِكُ فِيهَا نَيَّ عَامَيْنِ وَالصَّرَى

وَالنَّيَّ ^(٢) : الشَّحْمُ . وَالصَّرَى : حَبَسُ الْإِبِلِ فِي الرَّغْيِ ^(٣) ، وَمِنْهُ سَمِيَ الْمَاءُ الَّذِى
تَقْدُ طَالُ إِنْقَاعُهُ فِي مَوْضِعِ : الصَّرَى . وَيُرْوَى : « وَالصَّوَى » ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ
إِلَيْهَا وَالْإِبْقَاءُ عَلَيْهَا .

وقوله « فَأَوْمَاتُ إِيْمَاءٍ خَفِيًّا لِحَبْرٍ » فحَبْرٌ : اسْمُ ابْنِهِ ، وَإِنَّمَا رَسَمَ لَهُ

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٤ .

(٢) النى ، يفتح الذون وكسرها ، وضبط فى الفسختين بالفتح ، وهما لغتان فيه .

(٣) الرعى ، بالكسر : الكَلَا والمرعى . وفى ل : « المرعى » .

عَرَقِيَّتَهَا فِي السَّرِّ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهَا مَخَافَةً أَنْ يَمْتَنِعَ صَاحِبُهَا مِمَّا هُمْ بِهِ فِيهَا . وَقَوْلُهُ « عَيْنَا حَبِيرٌ » اعْتَرَضَ . وَانْتَصَبَ « أَيْمَا فَتَى » عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُ أَتَمَّجَدَهُ حِينَ حَسُنَتْ فُطْنَتُهُ وَتَسَرَّعَ إِلَى مُرَادِهِ . وَيُقَالُ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، فَتَجْعَلُهُ صِفَةً لِلنَّكَرَةِ ؛ وَبَزِيدٌ أَيْ رَجُلٌ ، فَيَصِيرُ حَالًا لِلْمَعْرِفَةِ . وَعَلَّقَ الْمَدْحَ بِعَيْنِيهِ ، لِأَنَّهُ بِهِمَا أَدْرَكَ إِمَاءَهُ . وَإِذَا عَظَّمُوا الشَّيْءَ ، نَسَبُوا مِلْكَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَوْلُهُ « أَصْبَقُ بِأَيْبَسِ سَاقِيهَا » الْأَيْبَسُ : مَا قَلَّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنَ السَّاقِ وَغَيْرِهَا . وَالسَّيْفُ أَعْمَلُ فِيهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ يُجْبِرُ الْعُرْقُوبُ » الْعُرْقُوبُ : عَقَبٌ مُؤْتَرٌّ خَلْفَ الْكُفَّينِ فَوْقَ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ مَوْصِلُ الْوُظُفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ . وَالْمَعْنَى : أَصِيبُ سَاقَهَا فَإِنَّ الْعُرْقُوبَ إِنْ أَمَكَّنَ التَّلَافِي مِنْهُ بِالْجَبْرِ وَالْعِلَاجِ وَالشَّدِّ ، فَإِنْ نَسَاهُ لَا يَنْقَطِعُ الدَّمُ مِنْهُ ، فَصَاحِبُهَا يَنْبَسُ مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : أَضْرِبُهَا ضَرْبَةً لَيْسَ فِي الْبُرِّ مِنْهَا مَطْمَعٌ ، لِيَرْضَى صَاحِبُهَا بِالتَّعْوِيزِ مِنْهَا ، وَيَسْتَقِيمَ أَمْرُ الضَّيْفِ وَالضِّيَافَةِ ، وَإِنْ لَحَقْنَا غُرْمَ فِيهَا .

٩ - فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبِيرٍ إِنْ حَبِيرًا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصَلِّهِ انْتَضَى

١٠ - كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَلَوْتُ غِطَاءَ عَنْ فَوَادِي فَانْجَلَى

١١ - فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِرَّةٍ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُضْطَلَى

قَوْلُهُ « غَيْرَ مَنْكُوبٍ » أَيْ غَيْرَ مَدْفُوعٍ فِي صَدْرِهِ . وَيُقَالُ : حَافَرْتُ مَنْكُوبًا وَنَكِيبًا ، إِذَا أَثَّرَ فِيهِ مَا يَطْوُهُ مِنْ حَصَى أَوْ حَجَرٍ . وَقَوْلُهُ « وَمُنْصَلِّهِ انْتَضَى » أَيْ جَرَّدَ سَيْفَهُ . وَانْتَصَبَ مُنْصَلِّهِ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ . وَقَوْلُهُ « جَلَوْتُ غِطَاءَ » ، يَقُولُ : كُنْتُ مُهَيِّئًا قَلْعًا ، فَلَمَّا شَبِعُوا مِمَّا أَعْدَدْتُ لَهُمْ وَتَحَلَّتْ مِنْ أَجْلِهِمْ مَكَانَتُ فَكَأَنَّهُ كَانَ عَلَى قَلْبِي غِطَاءٌ مِنَ النِّعَمِ رَانَ عَلَيْهِ ، فَانْجَلَى وَذَهَبَ .

وَقَوْلُهُ « فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا » خَبَرَ بِتْنَا قَوْلَهُ « لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ » ،

وشوالة ارتفع بالا ابتداء . يريد : بئنا لنا قبل ما أودع القدر شوالة واصطلاء .
بالتار ، كأنه طال عليهم انتظار القدر ، فعمد إلى أطايب الجزور وشوى .
وقوله « ذات هزة » خبر بانت قدرنا ، أى لها هزير بالغليان . ويجوز أن
يريد : لقد اللحم فيها اهتزاز واضطراب ، كما قال :

* قُرْشِيَّةٌ يَهْتَرُ موكبها *

وهذا الذى اقتصه من حاله وحالهم ، بيان اهتامة بأمر الضيف وحسن
التأني في تفقده .

١٢ - وَأَصْبَحَ رَاعِيْنَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا بِسْتَيْنَ أَنْقَتَهَا الْأَخِلَّةُ وَانْخَلَا
١٣ - فَقُلْتُ لَرْبِ النَّابِ خُذْهَا نَذِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا
يقول : أصبحنا وراعيْنَا بُرَيْمَةً رَدَّ إِبْلَنَا مِنْ مَرَعَاهَا ، وهى سَتُون قد أنقتهَا
— أى جعل لها نقيًا — الْأَخِلَّةُ ، وهى جمع خِلال ، وهو ما اختل واجتز من
العُشْب وهو أخضر . وانخلا : الرطب . وقال بعض أصحاب المعاني : لا يقال
أَنْقَتِ النَّاقَةُ ، إِذْ سَمِنَتْ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِنَ مِنَ الْحَشِيشِ ، وَكَانَ الْحَشِيشُ وَالْخِلَالُ
سَبَبَ سَمْنِهَا جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا عَلَى سَعَةِ الْكَلَامِ ، وَالْأَصْلُ أَنْقَتَ هـى . قال :
لَا يَشْتَكِينُ الْمَاءُ مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي إِسْلَامِي أَوْ عَيْنٍ^(١)

وقال غيره : يجوز أن يكون أنقى ها هنا مُعْدَى ، ويكون على غير
ما فسرتموه ، وهو أنه يقال : أنقيته فأنقى ، كما يقال : أنابت الدرهم فأنأت
هى^(٢) . والمعنى سَمِنَتْهُ وجعلت له نقيًا فسمِنَ واحتمل .

قال البرقي : الرواية الصحيحة عندي : « أَبَقَتْهَا الْأَخِلَّةُ » ، أى أَبَقَتْهَا عَلَى
الْبَرْدِ وَالْجَذْبِ ، لَأَنَّا كُنَّا هَا وَخَلَيْنَا لَهَا . ورواه بعضهم : « الْأَجِلَّةُ » بالجيم .

(١) الرجز لأبي ميمون النضر بن سلمة ، كما فى اللسان (نى) . وانظر متنايس اللغة

(٢ : ٢٠٦) .

(٢) أى صارت مائة .

قال : ويقال : جُلٌّ وجِلَالٌ وأَجِلَّةٌ ، أى لم نَدَعُها ولم نُهَوِّها ، بل أَلْبَسْنَاهَا وتفَقَّدْنَاهَا .

وقوله « وقلتُ لربِّ النّاب خُذْهَا ثَنِيَّةً » ، أى حَكَمْتُ صاحبَ الدبِّ الّتى عَقَرْتُهَا فى أن يَخْتَارَ من إبلى ثَنِيَّةً على ما يَشْتَمِيهِ ، وتَصْطَفِيهِ عَيْنُهُ وتَنْقِيهِ ، وقلتُ مُضِيفًا إلى العِوَضِ الواجِبِ لِه : لك علينا نَابٌ مثل نَابِكَ فى السَّمَنِ . والحيا من باب ما سُمِّيَ باسمٍ غيره إذ كان منه بسبب . فالحيا : المطر ، لأنّه يُحْيِي العِبَادَ والبِلَادَ ، ثم يَسْمَى النَّبْتُ حَيًّا لأنّه بالمطر يكون ، ويُسَمَّى الشَّجَمُ حَيًّا لأنّه عن النَّبْتِ يكون . وهذا الباب كثيرٌ واسع ^(١) .

٦٣٨

فقال فى [ذلك ^(٢)] خنزر بن أقرم ^(٣) :

- ١ - بَنِي قَطْنٍ مَا بَالُ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ نَعْمَشُونَ مِنْهَا وَهِيَ مُلْتَقَى قَتُودُهَا
 - ٢ - غَدَا ضَيْفِكُمْ يَمْشِي وَنَاقَهُ رَحْلُهُ عَلَى طُنْبِ الْفَقْعَاءِ مُلْتَقَى قَدِيدُهَا
 - ٣ - وَبَاتَ السِّكِلَابِيُّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقِرَى بَلِيلَةَ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُمُودُهَا
- أَخَذُوا سَائِلُهُمْ عَمَّا غَيَّرَ بِهِ تَهْكُمًا [وَسُخْرِيَّةً ^(٤)] . ومعنى الكلام الإنكار . يقول : لِمَ تَعْمَشُونَ مِنْ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ ؟ وكيف اسْتَجَزْتُمْ ذَلِكَ حَتَّى صَارَتْ قَدِ

(١) انتكلة من ل والتبريزن ، وهذا نص على علاقة هذه الأبيات بسابقتها .

(٢) قال التبريزى فى آخر شرحه لهذه القصيدة : « وليس هذا من الهجو فى شيء ، وإنما أورده أبو تمام لما يتبعه من قصيدة خنزر بن أرقم » .

(٣) كذا فى نسخة الأصل . وفى ل والتبريزى « أرقم » وأشير فى ل إلى أنه فى نسخة « أقرم » . وخنزر ، قال التبريزى : « واسمه الخلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نعيم . والراعى من بنى قطن بن ربيعة » ، فهما بنو عومة . وقد سبقت ترجمته الراعى فى الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٤) التكللة من ل .

أَلْتَقَى قَتُودُهَا وَهِيَ مَطْبُوخَةٌ مَا كَوَلَةٌ؟ وَالْقَتُودُ لَا وَاحِدَ لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا
الْبَصَرِيِّينَ. ثُمَّ قَالَ مَقْبَحًا الصَّوْرَةَ: ابْتَكَرَ ضَيْفُكُمْ يَمْسِي وَرَاحَلَتُهُ قَدْ نُجِرَتْ
وَقُدِّدَتْ لِحُومُهَا، وَشُمِّسَتْ عَلَى طُنْبِ الْعَقَّاءِ. وَهَذَا تَفْطِيعٌ لِلسَّانِ. وَالطَّنْبُ:
حَبْلٌ مِنْ حَبَالِ الْخَيْمَةِ. وَالْعَقَّاءُ يَعْنِي بِهَا امْرَأَةُ الرَّاعِي، لِقَبْلِهَا بِذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ «وَنَاقَةُ رَحْلِهِ»، رَوَاهَا الْمَفْضَلُ: «وَنَاقَةُ رِجْلِهِ» كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ
غَدًا ضَيْفُكُمْ يَمْسِي، قَالَ: وَنَاقَةُ رِجْلِهِ، يَرِيدُ النَّاقَةَ الَّتِي كَانَتْ سَحَلَتْ رِجْلَهُ.
وَمَنْ رَوَى: «وَنَاقَةُ رَحْلِهِ» لَهُ أَنْ يَقُولَ: كَمَا قَالَ^(١): وَهِيَ مُلْقَى قَتُودُهَا، قَالَ:
وَنَاقَةُ رَحْلِهِ، أَيْ الرَّحْلُ الْمُلْقَى.

وَقَوْلُهُ: «وَبَاتَ الْكِلَابِيُّ» يَعْنِي بِهِ بَاتَ لِلْمُسْتَضِيفِ الطَّالِبُ لِلْقِرَى عِنْدَكُمْ
بِأَيْلَةٍ شَوْمٍ قَدْ فَارَقَهَا السَّعُودُ، لِأَنَّكُمْ غَضِبْتُمْ نَاقَتَهُ، وَلَمْ يَنْتَلِ الْقِرَى عِنْدَكُمْ.

٤- أَمِنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةٍ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

٥- كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

٦- فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءَةٍ بَنَى قَطَنَ إِلَّا وَأَتَمُّهُمْ-وَدُهَا

يَقَرَّرُ عَلَى تَقْبِيحِ مَا كَانَ مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: خَبَّرُونِي أَيْ الْعَادَتَيْنِ أَقْرَبُ إِلَى
الْكُرْمِ، وَأُخْرَى^(٢) فِي وَفَاءِ الشَّيْمِ: أَعَادَةُ مَنْ يَسْتَنْزِلُ الْأَضْيَافَ عَنْ أ. وَالْمَمْ
وَيَنْقُصُ مَا تَوَفَّرَ لَهُمْ، أَمْ عَادَةُ مَنْ يَزِيدُهُمْ وَيُثَمِّرُ حَظوظَهُمْ.

وَقَوْلُهُ «عَادَةٌ» انْتَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ. وَإِذَا نَزَلَ ظَرْفُ لِقَوْلِهِ «أَمِنْ يَنْقُصُ
الْأَضْيَافَ». وَكَرَّرَ لَفْظَ الْأَضْيَافِ وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَكَرُّرِ
الْأَعْلَامِ وَالْأَجْنَسِ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ.

وَقَوْلُهُ «كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمْتُمْ تَنْحَرُونَهَا بَرَازِينَ» شَبَّهَهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالثَّقَلِ وَقِلَّةِ

(١) ل: «أما قال».

(٢) هذا ما في ل. وفي الأصل: «أجرى» بالجيم.

الغناء ، والتباطؤ والبلادة ، بالبراذين ، وهم يضرّونها مثلاً المذموم . وجعلها
شدّت اللبؤد عليها تقييحاً لصورها .

وقوله : « فما فتّح الأقوام من بابِ سوءة » ، يريد : لا يسبق طوائفُ
الناس وفِرَقُهُم إلى خَصْلةٍ مذمومة أو سوءة مشوّهة منكرة إلاّ وبنو قطنٍ
حضورها ؛ أى لا يمكن الإغراب فى المخازى عليهم ، لأنهم السابقون فى
البِدَار إلى كلّ عار ، والأوّلون عند الولوج فى كل باب ، والحاضرون لكلّ
نُكْرٍ وعاب .

٦٣٩

فأجابه الراعى (١) :

- ١- ماذا ذكرتم من قُلوصِ عَقَرَتِها بِسَيِّفِي وَضِيْفَانِ الشِّتَاءِ شُهُودُهَا (٢)
- ٢- فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا فَرَّاحَ عَلَى عَنَسٍ بِأُخْرَى يَقُودُهَا
- ٣- قَرَبْتُ الْكِلَابِي الَّذِي يَبْتَغِي الْقَرَى وَأَمَّكَ إِذْ تَخْدِي إِلَيْنَا قَعُودُهَا (٣)

الرواية الجيدة : « ماذا نكّرتم » . ويقال : نكّرتُ الشئ وأنكرته
واستنكرته بمعنى . فأما « ذكرتم » فمراده ماذا عبّرتم فذكرتم من ناقةٍ
لغيري عقرتها حين عزّبت إيلي لضيّفانِ الشّتاء بحضرتهم ، وبمراى منهم . وقد
جرى رسمُ الكِرَامِ بمثل ذلك إذا دعت الحال إليه ، موطنين أنفسهم للغرامة ،
ورددّ الاثنين بدل الواحد على التخصم فيه .

وقوله « فقد علموا » يستشهد بالضيّفان فيقول : حضروا وتيقّنوا أني وفيتُ

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٢) التبريزى : « ويروى : من كزوم عقرتها » . والكزوم : الناقة المسنة التى

مشفرها الأعلى أطول من الأسفل .

(٣) التبريزى : « يحدى إلينا » .

لربها بمثلها وزدته أخرى، فراح راكباً إحداها وقائداً الأخرى معها. ثم اقتصَّ ما دعاه إليه فقال: قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الْمُبْتَغَى لِلْقَرَى وَقَرَيْتُ أُمَّكَ، يعني أُمَّ خَنْزَر بن أفرَم^(١) للمعير المنكير. والخَذَى: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ. والقَعُودُ: الْبَكْرُ إِذَا بَلَغَ الْإِنْمَاءَ؛ وَالَّذِي يَقْتَعِدُهُ الرَّاعِي فَيَرْكَبُهُ وَيَحْمِلُ زَادَهُ عَلَيْهِ قَعُودٌ أَيْضاً. وفي ذكر الأُمِّ وأنه أضافها مع الكلابيَّ بمعنى الغَضِّ والإيهام.

٤- رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تَنْقُبُ لِلْقَرَى وَلِقِحَّةَ أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودُهَا

٥- إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الْهَشِيمَةِ أَرَزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبَيْتَ نَدُودُهَا

٦- إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسْبَتُهَا نَعَامَةٌ حِزْبَاءَ تَقَاصَّرَ حَيْدُهَا

ويروى: «رفعنا لها مشبوبة يهتدى بها». ومعنى «تنقب» تُذَكِّي وتضاء.

وقيل: الكوكب الثاقب والحسب الثاقب، للضوء والتلاؤ. ومعنى «للقرى»

الإقامة القرى، و«اللقحة» يراد به القدر ها هنا، وأصله في الناقة الخلوب.

وجعل ركودها طويلاً لنقلها وكبرها، ولأنها لا تنزل^(٢) إلا للغسل ثم تعاد

والجفنة الرُّكُود: الثَّقِيلَةُ الْمُتَمَلِّئَةُ.

وقوله «إِذَا أُخْلِيَتْ» أَي جُعِلَ الْخَطْبُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ، فَهُوَ لَهَا كَالْوَلَدِ،

وهي له كَالنَّاقَةِ الْخَلِيَّةِ^(٣)، وهي التي تعطف على ولدها وترأُّمه. وَالْهَشِيمَةُ:

الْيَابِسُ مِنَ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ. وَأَرَزَمَتْ: صَاحَتْ بِغَلِيَانِهَا، لِكِبَرِهَا، حَتَّى نَبَيْتَ

نُسُكَنَّ مِنْهَا. وَإِذَا نُصِبَتْ عَلَى الْأَثَافِي لَزُورِ اللَّيْلِ - يعني الأضياف -

حَسْبَتُهَا لِإِشْرَافِهَا نَعَامَةً حِزْبَاءَ. وَالْحِزْبَاءُ^(٤): الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الْمُرْتَفَعَةُ. شَبَّ الْقِدَرِ

(١) ل: «أرقم»، وقد سبق التنبيه.

(٢) في الأصل: «تترك»، صوابه في ل.

(٣) التبريزي: «إذا أخليت»، أي جعل الخطب لها بمنزلة الخلا للناقة فأوقد تحبها.

هديرى: إذا خلّيت، أي جعل الخطب لها بمنزلة الولد، فهو لها كالولد وهي له كالناقة الخلية.

(٤) هي جمع حزياة.

بالنعامة ، لأنها تُكثّر رفع رأسها ووضعها ، لجُبْنها ونُفُورِها ، فكذلك القدر ترفعُ للحال وتخفضها ، لِشِدَّةِ غليانها . وقال « تقاصرَ جيدُها » ليتبينَ وجهُ التشبيه منه ويصح . ومثله قول الآخر ^(١) :

* غضوبٌ كخيزوم النعامة أحمشت ^(٢) *

٧ - تَبَيَّتُ الْحَالُ الْفَرْ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

٨ - بَمَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزِلَيْنِ فَحَاوَلَا لَكُنِي يُنْزِلَاهَا وَهِيَ حَامِرُ حَيُودُهَا

٩ - فَبَاتَتْ تَعْدُ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعَ بَأْيِدِي الْآكِلِينَ جُودُهَا ^(٣)

الحال : فِقرُ الظَّهر ، والواحدة مَحَالَّة . وجعلها غُرًّا لِسِمْنِهَا . والحجرات : النواحي ، وجعلها شَكَارَى لامتلائها وَدَكَاً . ويقال : شاةُ شِكْرَةٍ ، إذا كانت غزيرة اللحم ، وضرةُ شَكْرَى ، أى ممتلئة . وشكْرُ النعم من ذلك ، لأنه به تستدام وتُمْتَرَى الزيادة ^(٤) . ويروى : « سَكَارَى » بالسّين غير معجمة ، والمراد مثلُ ذلك لأنَّ الشكر من الامتلاء يكون . ومعنى مَرَاهَا استخرج دَسَمَها . ماؤها ، أى سَرَقَتُها . وحديدُها أى مَغْرَقَتُها .

وقوله « بَمَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزِلَيْنِ » إِنَّمَا نَتْنَى لِيُرَى أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يُطِيقُهَا وَلَا يَبْهَضُ بِتَحْرِيكِهَا لثِقَلِهَا . واللام من قوله « لَكُنِي يُنْزِلَاهَا » يجوز أن يتعلق بقوله بَمَثْنَا .

(١) هو الفرزدق ، كما في الحيوان (٤ : ٣٣٢) وما سياتى في الحماسية ٧٥٣ .

(٢) عجزه : • بأجذال خشب زال عنها هشيمها •

(٣) بعده عنه التبريزى :

فَلَمَّا سَقَيْنَا الْعَكِيسَ نَمَلَاتْ مَذَاخِرُهَا وَارْفَضَ رَشْحًا وَرِيدُهَا

وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي الْإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُرِيدُهَا

والبيت الأول منهما منسوب في اللسان (عكس) إلى أبى منظور الأسدي . والعكيس : الحليب تصب عليه الإهالة والمرق ثم يشرب .

(٤) ابن جنى في التنبية : « والشكر موضع زيادة اللفظ الإطناب في حسن القول ...

ومنه الشكير لصنار الورق والريش ، وذلك أنه زيادة عل الجسم » .

كَأَنَّهُ قَالَ : بَعَثْنَا الْمُنْزِلِينَ إِلَيْهَا لَسْكَ يُنْزِلُهَا فَاخْلَاهَا ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ حَاوَلَ . وَكَتَبَ هَذِهِ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ ، لِذَلِكَ دَخَلَهَا اللَّامُ الْجَارَةُ . وَالْحَاوَلَةُ : مَطَالِبَةُ الْأَمْرِ بِالْحَيْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِحَاوَلَا . وَالْحَيُودُ : الْجَوَانِبُ ، أَيْ إِذَا أَرَادَ أَنْزَالُهَا وَفِي جَوَانِبِهَا بَعْدُ حَتَّى ، اسْتَعْمَجَلَا .

وقوله : « فَبَاتَتْ تَعُدُّ النُّجُومَ » إخبار عن أم خنزر بن أفرم^(١) . والمستحيرة : المتحيرة لا متلاشها . أَيْ فِي مَرَقَةٍ أَوْ قِدْرِ قَدْ تَحَيَّرَتْ ، فَهِيَ مِنْ صَفَائِهَا وَكَثْرَةِ دَسَمِهَا تَرَى فِيهَا نُجُومَ السَّمَاءِ . وَقِيلَ : شَبَّهَ الرَّاعِي الثَّفَافَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ كَثْرَةِ الدَّسَمِ بِالنُّجُومِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ الْقِدَرُ مَرْتَفَعَةٌ الشَّانَ ، عَالِيَةً الْأَمْرِ ، فَأَتَتْ كَانَتْ تَعُدُّ النُّجُومَ فِيهَا لَمَّا أُطْعِمَتْ مِنْهَا كَأَنَّهَا بَلَفَتِ النُّجُومَ فِي عُلُوِّهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ^(٢) . وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدِي ، لَيْسَ كَوْنُ قَدْ غَضَّ مِنْ أُمِّهِ جَزَاءً عَلَى مَا قَالَهُ وَأَنْكَرَهُ . وَقَوْلُهُ « حَيُودُهَا » ارْتَفَعَ بِحَاوَلٍ ، وَكَذَلِكَ « نُجُودُهَا » ارْتَفَعَ بِسَرِيعٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرُودَ : « سَرِيعٌ » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرًا لِلْمَبْتَدَأِ وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَلِلْمَبْتَدَأِ نُجُودُهَا .

٦٤٠

وقال رجلٌ من بني أسد :

- ١- دَبَبَتْ الْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ يَلْفُوا جَهَدَ الْفُؤُوسِ وَالْقَوَادُونَ الْأَزْرَا
٢- فَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَأَ كَثْرَتُهُمْ وَعَانَى الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

(١) فِي هَذِهِ اتَّفَقَتِ النُّسخَتَانِ . وَانْظُرِ الحَاشِيَةَ الْأُولَى لِهَذِهِ الْحَمَاسِيَةِ .

(٢) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : « لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النُّجُومُ هُنَا إِلَّا الثَّرِيَاءُ ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ خَبِيرَةً لَمْ يَخْرِجْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي الْفَرَزْدَقَ - وَذَلِكَ أَنَّ الثَّرِيَاءَ لَا تَكَادُ تَرَى فِي قَمَرِ الْخَفْنَةِ - وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَوَانِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَمَرُ الرَّأْسِ ، وَلَا يَكُونُ قَمَرُ الرَّأْسِ إِلَّا فِي صَمِيمِ الشَّوْءِ ، وَيُقَالُ : حِينَنَدُ : أَفْقَرُ النُّجُومِ ... وَقَوْلُهُ تَعُدُّ النُّجُومَ . أَيْ لَصَفَاءِ الْوَدَكِ فِي الْخَفْنَةِ تَعْرِفُ عِدَدَ الثَّرِيَاءِ فِيهَا . - وَهَذَا مَعْنَى مَلِيحٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَجُومَ الثَّرِيَاءِ لَا تَكَادُ يَعْدُهَا إِلَّا ذُو بَصَرٍ حَدِيدٍ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ : - إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ يَرَاهَا حَدِيدُ الْعَيْنِ سِمَةَ أَنْجَمٍ » .

٣ - لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ
 يقول : تباطأ سَعْيُكَ الْمَجْدَ ، وَلَمَّا سَعَيْتَ كَانَ سَعْيُكَ دَيْبِيًا وَطُلَّابَ الْمَجْدِ
 قَدْ جَهَدُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَلْقُوا الْأَزْرَ دُونَهُ ، تَخْفِيفًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَشْهِيرًا فِي طَلِبِهِمْ
 وَهَذَا مِثْلُ . وَالْمُرَادُ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ السَّاعِي فِي سَعْيِهِ إِذَا طَلَبَ شَيْئًا مِنَ التَّجَرُّدِ
 وَالتَّخَفُّفِ لِيُذْرِكَ مَطْلُوبَهُ [قَدْ فَعَلُوهُ ^(١)] . ثُمَّ أَخَذَ يَفْصِلُ مَجْهُودَهُمْ مِنْ بَعْدُ ،
 فَقَالَ : كَابَرُوا الْمَجْدَ ، أَيْ جَاهَدُوهُ لِيَبْلُغُوهُ قَسْرًا لَا خَتَلًا ، فَمَنْ صَبَرَ وَأَوْفَى نَالَهُ
 وَاحْتَوَاهُ ظَافِرًا بِهِ ، مَعَانِقًا لَهُ ، وَمِنْ مَلٍّ وَقَصَرٍّ - وَهْمٌ أَكْثَرُ - خَابَ وَأَخْفِقَ
 وَرَجَعَ نَادِمًا لَا هِيَأُ عَنْهُ .

وقوله « لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ » تَقْرِيعٌ ، وَالْمُرَادُ : لَا تَطْنُنَّ الْمَجْدَ يُذْرِكَ بِالسَّعْيِ
 الْقَصِيرِ ، وَاسْتِمَالِ التَّعْذِيرِ ، وَعَلَى مِلَازِمَةِ الرَّاحَةِ دُونَ تَوْطِينِ النَّفْسِ عَلَى الْكَدِّ
 الشَّدِيدِ وَالْجَاهِدَةِ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُبَالَ إِلَّا بِتَجَرُّعِ الْمَرَاتِ دُونَهُ ، وَاقْتِحَامِ الْمَعَاطِبِ
 بِسَبَبِهِ . وَيُقَالُ : لَعِقْتُ الصَّبْرَ لَعْفًا . وَاسْمُ مَا يُلْعَقُ هُوَ اللَّعُوقُ .

٦٤١

وقال آخر :

- ١ - وَمُسْتَعْجِلٍ بِالْحَرْبِ وَالسَّلْمِ حَظَّهُ تَلَمَّا اسْتَشِيرْتَ كُلَّ عَنْهَا مُحَافِرُهُ
 - ٢ - وَحَارِبٍ فِيهَا بَأْمَرِي حِينَ شَمَرْتُ مِنْ الْقَوْمِ مِفْجَازٍ لَثِيمٍ مَكَايِرُهُ
 - ٣ - فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطَى الدَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَعْيٌ صِدْقٍ قَدَمْتُهُ أَكَايِرُهُ
- يقال : اسْتَعْجَلَ بِالشَّيْءِ ، إِذَا طَلَبَ عَجَلَتَهُ وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى وَقْتِهِ وَإِمَائِهِ . فَيَقُولُ :
 رَبِّ أَمْرِي يُعْجِلُكَ فِي هَيْجِ الْحَرْبِ لَهُ ، وَنَصَبِ الشَّرِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَقَرَاهُ
 يَرْتَقِي فِي الْإِيذَاءِ وَالْمُكَاشَفَةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْقُصْدِ ، وَحَظَّهُ فِي أَنْ يُسَالِمَ ،

لكنّه بسوء تأتيه ونقص اختياره ، أبى لنفسه إلاّ تعريضها لما يستوخم عاقبته ، ويتمجّل شرّه ، فلما هيّجت الحرب له وأُجيب في إثارتها ، وإيقاد نائرتها ، إلى مراده منها ، عجز فيها عن الإيفاء والاستيفاء ، وكلّ عن مباشرة الوزد والصّدر ، واستعان فيها برجل ركّاب لرواحل العجّز ، لئيم المّكسر والختبر ، ضيّق العطن والمبرك ، ويعنى به نفسه ، وهذا كما يقال : تقيّدنى لقيت بى قرناً باسلاً . ويعنى بالقرن نفسه . وقوله « حين شمّرت » يريد حين كشفت الحرب عن ساقها ، وأبدت أبحارها وهوادِياها ، ففعل فعل الدّليل ، وأعطى من الانقياد ما يطليه الضّعيف الفريد ، ولم يكن سفعيه سعيّاً مصدوقاً فيه ، ولا وقوفه وإمساكه إمساكاً يُعذر له ، فتراه عند الأمائل من جملة الأراذل ، وعند طُلاب الخير مقتحماً فى الشرّ . ومعنى « قدّمته أكاره » أسلافه وأمائل قومه .

٦٤٢

وقال إسماعيل بن عمار^(١) :

١ - بَكَتْ دَارُ بَشَرٍ شَجَوْهَا إِذْ تَبَدَّلَتْ هَلالَ بْنَ مَرْزُوقٍ بَدِشَرٍ بِنَ غَالِبٍ

٢ - وَهَلْ هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَرَسٍ تَحَوَّلَتْ عَلَى رَغْبِهَا ، مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ^(٢)

« شَجَوْهَا » انتصب على أنه مفعول له ، والشاعر يفضل بشرّا على هلال ، ويقول : إن الدار التي كان يستوطنها بشرٌ لما ارتحل عنها وصار فيها بدلاً منه هلالٌ بكّت وتحسّرت ، وحقّ لها ذلك ، فما هي في استبدالها إلا كعروسٍ زوّجت

(١) التبريزي : « إسماعيل بن عمار الأسدي » ثم قال : « قال دعبيل بن علي : هي للوليد بن كعب قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق . »

وإسماعيل بن عمار الأسدي : شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية . وأخباره في الأغاني (١٠ : ١٢٨ - ١٣٥) .

(٢) التبريزي : « مثل عرس تبدلت » .

في هاشم ، ثم انتقلت إلى محارب . ومحارب قبيلة فيها ضمة وخول ، حتى قال بعض الشعراء وهو يحلف :

* فَصَيَّرَنِي رَبِّي إِذَا مِنْ مُحَارِبٍ *

٦٤٣

وقالت امرأة قُتِلَ زوجها^(١) :

- ١ - مَتَى تَرِدُوا عُكَاظَ تَوَافِقُوهَا بِأَسْمَاعٍ تَجَادِعُهَا قِصَارُ
- ٢ - أَجِيرَانَ ابْنِ مَيَّةَ خَبَّرُونِي أَعَيْنُ لَابِنِ مَيَّةَ أَمْ ضِمَارُ
- ٣ - تَجَلَّلَ خَزِيئَهَا عَوْفُ بْنُ كَعْبٍ فَلَيْسَ أَخْلَفَهَا مِنْهُ اعْتِدَارُ
- ٤ - فَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا خِارُ

عُكَاظ : وادٍ للعرب فيه سوق لهم يجتمع فيها طوائفُ الناس من [جميع]^(٢) الأحياء ، فيتمارفون فيها ويتعلّقون بالأخبار بعد التذاكر بها والنسب لها ، وبينهم المواعِدات والمقايضات ، والإاحنُ والترات ، والمناقراتُ والمناقضات ، فكلُّ فرقة تتجمل للأخرى^(٣) وتود أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسنٍ وقيح ، ومحمود

(١) التبريزي : « قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره ... وخبر هذه الأبيات أن رجلاً من عبد القيس كان يقال له ابن مية ، وكان جاراً للزبرقان بن بدر ، قتله رجل من بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة في جوار الزبرقان ، وكان الذي قتله يقال له هزان ، قتله بموضع يقال له ذو شمران ، فحلف الزبرقان له يقتلن هزالا . وقالت امرأته هذه الأبيات . ثم سمعت بنو سعد في القصة حتى أصلحوها وفدى ابن مية ، ثم مكثوا هنية من الزمان وخطب هزال إلى الزبرقان أخته خليفة فزوجه إياها ، فلما هاجاه المخبل نى ذلك عليه فقتل :

وأنكحت هزالا خليفة بعدما زعمت برأس العين أنك قاتله
وأنكحته وهوى كأن عجانها مشق إهاب أوسع السليخ فأجله
يلاهما تحت الفراش وجاركم بذى شمران لم تزيل مفاصله .

(٢) التكملة من ل . (٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تتحمل الأخرى » .

ومذموم ، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة ، والأوابد العائرة^(١) ، التي يُتهدى بها ، ويُستطرف وقوعها ، ويُبلَّغُ باستماعها وأدائها . فيقول : متى وردتم عكاظ وافيتموها أذلاءً قد اكنسيتم عاراً يُحزيتكم ويُلازمتكم ، فتصير كالمثلة عليكم ، فكان أذانكم قد استوعب صلها ، عقوبة لكم بما عاملتم به جاركم من إحقار وإسلام ، حين^(٢) قتل في جواركم ، واستبيع نحرُمائه في ذمتكم . ثم قال مستهزئاً ومعيّراً : يا جيران ابن مية ، أنبئوني أنصرتكم له عين أم ضمار ، ووفائكم بما عقدتم له حق أم كذاب . والعين : ما يحضر ويشاهد ، لذلك قيل في الثلث : « يدع العين ويتبع الأثر » . والضمار : الغائب الذي لست منه على ثقة . قال الأعمش :

نُرانا إذا اُخْمِرَتْكَ البلادُ نُبغى ونُقطع منا الرحِمُ

وقوله « تجلّل خزيها عوف بن كعب » ، يريد : ليس خزي هذه العذرة وتغطى بذمها قبائل عوف بن كعب كلها لا أنتم فحسب ، فليس لأعقابها بعدها عذر يُقبل ، ولا تنصلّ يُسمع .

وقوله « وإناكم وما تخفون منها » ، يريد مثلكم في سترك أمرها ، وتقديركم إخفاءها ، على انتشارها وذهابها في الناس ، وعلى تنشيطكم بذمها ، واستقذار الناس لكم لو سخما ، مثل امرأة شاب رأسها ولا يخار لها فتختم ، مع ميلها إلى أن لا يرى شيئا . والمعنى : الأمرُ أظهر من أن يُكتم أو يُدفن .

(١) العائرة : السائرة .

(٢) ل : « حتى » .

٦٤٤

وقال آخر :

٥- تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَانْتَقَتْ بِهَا كُلَّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا

٦- فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَوُؤُّ بِهَا مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ أَكْدَرَا

هذا كلامُ رَجُلٍ قد جَمَرَهُ الْوَالِي^(١) ، وَتَبَرَّمَ بِغُرُوبِهِ ، وَشَقِيَ بِالتَّبَاعُدِ مِنْ أَهْلِهِ وَوُطْنِهِ ، فَيَقُولُ : تَفَرَّدَ قُرَيْشٌ بِالتَّنْعَمِ وَالتَّلَذُّذِ ، وَاسْتَأْثَرَ بِالْعَيْشِ الطَّيِّبِ وَالرَّغْمَةِ الْهَنِئِئَةِ^(٢) ، وَرَمَتْ بِنَا مَرَامِي مُنْكَرَةً لَا رَاحَةَ مَعَهَا ، وَلَا طَائِلَ فِيهَا ، وَسَدَّتْ طُرُقَ الْمَقَاوِزِ الْغَبْرِ الَّتِي لَا تُسَلِّكُ وَلَا تُعْبَرُ ، يَنْهَا وَيُبَيِّنُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ ، وَبَوَدِّي^(٣) أَنْ ثَبَتَ قُرَيْشٌ عَلَى لَيْلَةٍ تُفْضِي بِهَا صَبِيحَتَهَا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى مَوْجِ أَكْدَرٍ ، يَجْرُفُهَا إِلَى الْبَحْرِ وَيَذْقُهَا . وَهَذَا مِثْلُ ، وَالْمَعْنَى : أُنْمَتِي أَنْ تُسَلِّمَهَا بَلِيَّةً تُفْنِيهَا وَتُرِيحُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا . وَالْكَدَرُ : نَقِيضُ الصَّمَاءِ . وَيُقَالُ : عَيْشٌ أَكْدَرٌ ، وَقَدْ كَدِرَ . وَجَعَلَ الْمَوْجَ كَذَلِكَ تَهْوِيلًا ، وَتَكْثِيرًا لِمَاءِ بَحْرِهِ . وَقَوْلُهُ « ذَاتَ لَيْلَةٍ » يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّيْلَةُ الْمَطْلُوبَةُ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُكَ : فَعَلْتُ كَذَا ذَاتَ الْعِشَاءِ ، يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ . وَالْمَعْنَى : أَصْبَحَتْ مِنَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ قُرَيْشٌ ، أَيْ حَصَلَتْ مِنْ لَيْلَتِهَا عَلَى صَبَاحٍ هَكَذَا .

(١) تَجْمِيرُ الْجَنْدِ : أَنْ يُجْبِهُمُ فِي أَرْضِ الْغَدُوِّ وَلَا يَقْلِبُهُمْ مِنَ الشَّعْرِ .

(٢) ل : « وَالنَّعْمَةُ الْهَنِئِئَةُ » .

(٣) كَذَا ضَبَطْتُ بِالْفَتْحِ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالْبُودُ وَالْوُدَادُ مِثْلَانِ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

٦٤٥

وقالت امرأة^(١) :

- ١- حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وَإِلَّا فَكُلُّ مَا مَلَكَتْ لَيْتِ اللَّهِ أَهْدِيهِ حَاقِيَةً
 - ٢- لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَعْرَضَتْ لَأَقْتَحَمْتُهَا خَافَةً فِيهِ إِنْ فَاهُ لِدَاهِيَةٍ^(٢)
 - ٣- قَمَا جِيْفَةُ الْخَنْزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مُغْرِبٍ قَتَادَةَ إِلَّا رِيحُ مِنْكَ وَغَالِيَةٍ
 - ٤- فَكَيْفَ اصْطَبَارِي يَا قَتَادَةَ بَعْدَمَا شِمِمْتُ الَّذِي مِنْ فَيْكِ أَثْنَى صِمَاحِيَةٍ
- قولها « ولم أكذب » في موضع الحال أي حلفت صادقة في خبري ، وإلا فما أملكه لبيت الله — تعني لمن حول بيت الله ، لحذف المضاف — أهديه إليه بنفسى حافية لا حياء لي . فقولها « أهديه » ، يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ ، كأنها قالت : وإلا فما أملكه أهديه لبيت الله حافية ، أي في هذه الحال . ويقال : أهديت إلى البيت ولبيت هدياً ، إذا تقررت فيه بقرآن . واللام من « لبيت الله » على هذا يتعلق بأهديه . ويجوز أن يكون لبيت الله خبر المبتدأ . وأهديه إن شئت كان مستأنفاً ، وإن شئت كان خبراً ثانياً ، وإن شئت كان بدلاً .
- وقولها « لو أن المنايا أعرضت » أي مكنت من النظر إلى عرضها ، أي إلى الجانب الذي تجيء منه « لاقتحمتها » ، أي لو قعت فيها وصررت في قحمتها . وانتصب « مخافة فيه » على أنه مفعول له .
- وقولها « فما جيفة الخنزير » تريد : ما رائحة جيفة الخنزير إلا ريح منك لأن الحدث يشبه بالحدث ، والعين بالعين .

(١) التبريزي : « وقالت امرأة تهجو قتادة بن مغرب البشكري ، وهو زوجها » .
 وقاتة بن مغرب : شاعر من شعراء الدولة الأموية كان معاصراً لزياد الأعجم ، وكانت بينهما
 مهاجرة . انظر الأغاني (١٠ : ١١٢ / ١٤ : ١٠٠ ، ١٠٣) والشعراء ٣٩٦ . ومغرب
 بضم الميم وسكون النون ، ويقال بفتح الغين وكسر الراء المشددة ، كما ذكر ابن قتيبة في الشعراء .
 (٢) التبريزي : « إن فيه » ، فإن صححت كان معناها إن في فيه .

وقولها « فكيف اصطباري يا قتادة » ، يريد : كيف أتكلف صبرا على مجاورتك والكون معك . بعد ما بليت به من بخرك وثن فمك ، الذي أفسد على آلة الشم والسمع . ومعنى أنأى صماخيه ، أى أفسده . والصماخ : ثقب الأذن الذي يفيض إلى الرأس . وآلة الشم الأنف دون الأذن ، ولكن تريد أنه فسد بمجاورته .

٦٤٦

وقال عبد الله بن أوفى الخزاعي ^(١) :

- ١- نَكَحْتُ ابْنَةَ الْمُنتَصَى نَكْحَةً عَلَى الْكَرْهِ ضَرَّتْ وَلَمْ تَنْفَعِ ^(٢)
 - ٢- وَلَمْ تَغْنِ مِنْ فَاكِهٍ مُعَدِّمَا وَلَمْ تُجِدْ خَيْرًا وَلَمْ تَجْمَعْ ^(٣)
 - ٣- مُنْجَذَةً مِثْلُ كَلْبِ الْهَرَّاشِ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ تَهْجَعْ
 - ٤- مُفَرَّقَةً بَيْنَ جِيرَانِهَا وَمَا تَسْتَطِيعُ بَيْنَهُمْ تَقْطَعُ
 - ٥- بِقَوْلٍ رَأَيْتُ إِمَامًا لَا تَرَى وَقِيلَ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
- قوله « على الكره » في موضع الحال من نكحت . وقوله « ضرت » من صفة نكحة ، وكذلك ما في البيت الثاني من الجمل كل في موضع الصفة .

(١) التبريزي : « في أمراته » . ثم قال في نهاية تفسير الأبيات : « ويقع في بعض النسخ هذه الأبيات منسوبة إلى أبي الهندي ، قالها في أمراته . وأول البيت :

* نَكَحْتُ بِشَهْبِذِقٍ نَكْحَةً *

وشهبيذق ، ذكرت في القاموس ، ولم تذكر في اللسان ولا في معجم البلدان ، قال في القاموس : « شهبيذق : بلد » . وعبد الله بن أوفى الخزاعي لم نعثر له على ترجمة . والأبيات ٣ ، ٧ ، ٩ في اللسان (قد) منسوبة إلى عبد الله .

(٢) التبريزي : « المنتصى » بالصاد المهملة . و « ولم تنفع » هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تنفع » .

(٣) ولم تغن ، كذا في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تغن » .

لها . فيقول : نَكَحْتُ هذه المرأة مُكْرَهَا نَكْحَةً ضَارَّةً غير نافعة في شيء من الوجوه ، فما أَغْنَتْ من عُدْمٍ عديما ، ولا أَنالت خيرا ، ولا جَمَعَتْ شملاً . وحذف مفعول « ولم تجمع » ، لأن المراد مفهوم .

وقوله « منجدة » من الناجذ ، وهو ضِرْسُ الْحِلْم . والدواجد : أربعة أضراس ، وقال بعضهم : هي الضواحك ، محتجاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » . ويقال : نَجَّدَ فلاناً الخطوبُ ، إذا أحكمته . وقال :

* وَنَجَّدَنِي مَدَاوِرَ الشُّؤْنِ ^(١) *

فيقول : إنما قد جُرِبْتُ ومُلِّ منها ومَلَّتْ . وقوله « مثل كلب الهراش » يعني في خلقها وخلقها . ومعنى « إذا جمع الناس لم تجمع » ، يصفها بأنها تمشي بالنائم . ولذلك قال الآخر ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِدَ النَّيْمَةِ تَمَرُّغٌ
لأنَّ الْقُنْفُذَ لا ينام بالليل . فيقول : هي بوشايتها تفرق بين الخطاء ، وتقطع الوصل والأواصر بينهم .

ولك أن تنصب « منجدة » و « مفرقة » على الحال ، ولك أن ترفعهما على الاستئناف . وقوله « وما تستطع » شرطٌ وجزاء ، وللمفعول محذوف ، فهو كقولك : ما تُطِقُ تفعل .

فإنما قوله : يقول رأيتُ وقيل سمعتُ ، فالباء تتعلق بقوله تقطع . والمعنى أنها تباغت وتكابر ، وتزيد في القول وتجاهر ، فتدعي مشاهدة ما لا تشاهده ،

(١) لسجيم بن وثيل الرياحي في الأصمعيات ٦ طبع المعارف .

(٢) صدره : • أخو خمسين مجتعباً أشدى •

(٣) هو عمدة بن الطبيب ، في المفضلية ١٤٧ .

وَسَمَاعٌ مَا لَا تَدْرِكُهُ. وَهَذَا زَائِدٌ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرَانِ نَفْيَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَهُوَ :
وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ حَدِيثُهَا أَمَامَ بُيُوتِ الْحَيِّ إِنْ وَإِنَّمَا^(١)
وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :

تَقُولُ رَأَيْتُ لَمَّا لَا تَرَى وَقَالَتْ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
وَالَّذِي رَوَيْنَاهُ أَحْسَنُ تَلَاوُثًا وَأَقْرَبُ .

- ١ - فَإِنْ تَشْرَبَ الزُّقَّ لَا يُزْوِهَا وَإِنْ تَأْكُلِ الشَّاةَ لَا تَشْبِعَ
- ٧ - وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مَحْرَمًا وَلَوْ حُفَّ بِالْأَسْلِ الشُّرْعُ^(٢)
- ٨ - وَلَوْ صَعِدَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ نَزَلَ بِهَا الْعُضْمُ لَمْ تُضْرَعْ^(٣)
- ٩ - فَبِئْسَتْ قِمَادُ الْفَتَى وَحَدَّهَا وَبِئْسَتْ مُوقِيَّةُ الْأَرْبَعِ
مَحْرَمًا، أَى حَرَامًا . وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ اتِّهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَارِمُ .
وَفِي الْمَثَلِ « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَى عِنْدَ الْحُرْمَةِ . وَهُوَ ذُو مَحْرَمٍ
وَحُرْمَةٍ فِي الْقَرَابَةِ . وَالشُّرْعُ : جَمْعُ شَارِعٍ ، وَيُقَالُ : أَشْرَعَتِ الرُّمَحُ قِبَلَهُ
فَشَرَّعَ . وَصَفَهَا بِالنِّيمَةِ وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى تَنَاوُلِ الْحَرَمِ وَلَوْ انْتَزَعَتْهُ مِنْ بَيْنِ
الْأَسِنَّةِ . ثُمَّ وَصَفَهَا بِالتَّجْلِيلِ^(٤) ، وَحُسْنِ التَّنْقِيحِ^(٥) ، وَالْحَذَقِ فِي التَّوَسُّلِ إِلَى
الْمَمْنُوعِ ، وَلَوْ احتاجت إلى أن تترقى في مَصَاعِدِ الْجِبَالِ ، وَمَدَارِجِ الْمَضَابِ
الْمُعْجَزَةِ لِلْعُضْمِ .

وَقَوْلُهُ « فَبِئْسَتْ قِمَادُ الْفَتَى وَحَدَّهَا » انْتَصَبَ قِمَادٌ وَمُوقِيَّةٌ عَلَى التَّمْيِيزِ ،

(١) حميد بن ثور ، في ديوانه ١٨ طبع دار الكتب .

(٢) في اللسان : « المشرع » .

(٣) بها ، أَى بِالذِّرَى . وَفِي الْأَصْلِ : « نَزَلَ بِهِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي لٍ وَالتَّبْرِيْزِي .

(٤) التَّجْلِيلُ : الْإِقْدَامُ الشَّدِيدُ ، وَالتَّصْمِيمُ فِي الْأَمْرِ وَالْمَضَى .

(٥) في اللسان : « كُلُّ مَا نَحِثُ عَنْهُ شَيْئًا فَقَدْ نَقَحْتَهُ » . وَالتَّنْقِيحُ أَيْضًا : الْإِصْلَاحُ

وِإِزَالَةُ الْعُيُوبِ . وَهَذَا مَا فِي لٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَسَنَ التَّنْقِيحِ » .

لأنه وإن كان معرفة في اللفظ ، فلا اختصاص فيه . ويروى بالرفع في
 للموضعين . فإذا نصبت فهو كقولك : بنست ربة البيت هند . وإذا رفعت
 فهو كقولك : بنست دار الكافر النار . وفي القرآن : ﴿ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
 والمذمومة بنست في الوجهين محذوفة . وانتصب « وحدها » على المصدر . فيقول :
 هي مذمومة في النساء تفردت أو اجتمعت مع ثلاثٍ آخر . والقعاد والقعيدة
 واحدة ، ويقال : ليست له قعيدة تقمده ، أى امرأة تعزبه ، أى تزيل عزبته .

وحكى أن الأصمى ألقى على أصحابه يوماً هذا البيت ، وهو :

واحدة أضلكم شأنها فكيف لو قمت على أربع
 [أربع ^(٢)] يعنى النساء .

٦٤٧

وقال بعض آل المهلب ^(٣) :

١ - قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار

٢ - لا يقبس الجار منهم فضل نارهم ولا تكف يد عن حرمة الجار ^(٤)

معناها ظاهر ولا إعراب فيهما . والقبس : الشعلة من النار . والقابس
 طالب النار وأخذها ، ويقال : قبست النار واقتبستها وأقبستها وأقبستها فلان
 والمقياس نحو من القبس . والرتاج : الفلق . ويقال : رتجت الباب وأرتجته .

(١) ابن جنى : « وذلك تعريف الجنس ، لا يخس واحداً بيمينه ، فصارح بشياعه النكرة ،
 ولأجل ذلك ما كان أسد وهو نكرة كأمامة وهو معرفة ، وغدوة وهو معرفة كغداة وهي نكرة
 وكذلك ثعلت وثمانة . وهو كثير فاعرفه لطيفاً » .

(٢) التكملة من ل . وفي التنبية لابن جنى : « أى لو تزوجت أربع نسوة » .
 واظفر مجالس العلماء ٣٣ وطبقاً ، الزبيدى ٢١٦ والمزهر ٢ : ٣٧٩ .

(٣) اسم عبد الله بن عبد الرحمن ، وقبه أبو الأنواء ، كما ذكر التبريزى رواية عن

دعبل . (٤) تكف ، يانئاً ق ل والتبريزى . وفى الأصل : « يكف » بالياء .

٦٤٨

وقال آخر :

- ١ - كَاثِرٌ يَسْعَدُ إِنْ سَعَدَا كَثِيرَةٌ وَلَا تَنْبَغُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءٌ وَلَا نَصْرٌ
 ٢ - وَلَا تَدْعُ سَعْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلَّهَا إِذَا أَمِنَتْ وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْفَقْرُ
 ٣ - يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدَيْنِ غَمْرٍ وَجُسُومُهَا وَزَهْدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرًا
 كَاثِرٌ : اسمٌ من كثرته ، إذا غلبته بالكثرة ، ويقال : كثرته فكثرتُه
 أكثره بضم العين . وعلى هذا يحىء هذا البناء ، سواء كان مفتوحاً في الأصل
 أو مضموماً أو مكسوراً ، إلّا أن يكون البناء معتلاً ، فإنه يُترك على حاله . يقال
 باكيته فبكيتته أبكيه لا غير . وذلك لئلاّ يلتبس بناتُ الياء بينات الواو . وقوله :
 « وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْفَقْرُ » ، يصفهم بالسّلامة في حال الأمن ، وبحسن تصرفهم في
 فنون القول ، وأن لهم المنظر الحسن دون المخبر ، ثم لا وفاء لهم في الذّم والمفود
 ولا نصرة في الدفاع عند الحروب . ومعنى يروّعك يُعجّبك . يريد : أعطوا
 البسطة في الأجسام ، فإذا خبرتهم صغرتهم الخبر ، فأورثك الزهد فيهم .
 ويقال : لي بهم خبرٌ وخبرةٌ .

٦٤٩

وقال آخر :

- ١ - أَطَارِبُ ذُوو فَنَرٍ بِإِنكِ وَالسَّنةِ لَطَافٍ فِي الْمَقَالِ
 ٢ - رَضُوا بِصِفَاتِ مَاعِدِهِ وَهُ جَهْلًا وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْقَعَالِ
 يقول : إنهم يفتخرون بمفاخر مافوكة مكذوبة^(١) ، ولهم السنة ياطفون بها ،

(١) مافوكة ، من الإفك ، وهو الكذب .

وَيَصُورُونَ الْبَاطِلَ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ بِصُورَةِ الْحَقِّ ، فَمِنْ أَصْحَابِ مَقَالٍ لَا فِعَالٍ ،
وَأَرَبَابُ كَذِبٍ وَزُورٍ ، لَا حَقَّ وَصِدْقٍ ، وَلِجَاهِهِمْ يَرْضَوْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَهَا
يَأْنُ بِصِفُوهَا بِمَا هُوَ مَعْدُومٌ فِيهِمْ ، وَقَنِعُوا بِحُسْنِ الصِّفَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ ،
وَأَنْ عَدِمُوا شَهَادَةَ الْأَشْهَادِ عَلَى دَعَوَاهُمْ ، اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّ الْقَوْلَ يَغْنِي عَنْ
الْفِعْلِ ، وَأَنْ الْخَبَرَ يُكْتَفَى بِهِ عَنِ الْخَبِيرَةِ ، وَأَنَّ الْكَرَمَ فِي الدَّعَاوِي لَا فِي الْحَقَائِقِ .

٦٥٠

وقال مالك بن أسماء^(١) :

- ١- لَوْ كُنْتُ أُجْمَلُ خَمْرًا حِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يُنْكِرِ الْكَلْبُ أَنَّي صَاحِبُ الدَّارِ^(٢)
 - ٢- لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ الْمِسْكِ تَغْفَمُنِي وَعَثْبُ الْهِنْدِ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ^(٣)
 - ٣- فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزَّيْتِ وَالْقَارِ
- قوله « تَغْفَمُنِي » ، أى تسدُّ خياشيمي وتملؤها . ويقال : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تَغْفَمُ
الْمَرْكُومَ^(٤) . وقوله « مشبوبا على النار » ، يقال : رأيتُ شَبَّةَ النَّارِ ، أى اشتعلها ،
وقد شَبَّتْهَا . وتوسَّعوا فيه فقالوا : فلانة بِشَبِّهَا فَرَعُهَا ، إِذَا أَظْهَرَ بَيَاضَ وَجْهِهَا
سَوَادَ شَعْرِهَا . وانتصب « مشبوبا » على الحال . ومعنى الأبيات ظاهرٌ .

(١) قال دحبل : بل قالها عيينة بن أسماء بن خارجة ، وكان زار صديقا له فلما بلغ باب
دار بينه شد عليه كلب صديقه فعضه . عن شرح التبريزي . والشعر ورد في الحيوان (١ :
٣٨٠) والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة ، وفي البيان (٣ : ٣١١) لبعض الحجازيين .
ومالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري : شاعر إسلامي غزل ، وأخته
هند بنت أسماء ، زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال في العرب . ترجم له الأغاني (١٦ :
٤٠ - ٤٦) ومعجم المرزوقي ٣٦٤ - ٣٦٥ واللائلى ١٥ - ١٨ والشعراء ٧٥٦ -
٧٥٨ .

(٢) التبريزي والجاحظ : « يوم زرتكم » .

(٣) التبريزي والجاحظ : « والعثب الورد أذكيه » .

(٤) الريح بمعنى الزائحة مؤنثة .

٦٥٠

وقال آخر :

- ١ - هجوتُ الأذعياء فناصرَ بَنِي مَعَاشِرُ خَلَنَهَا عَرَبًا صِحَاحَا
 ٢ - فقلتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَحُوا طَوِيلًا عَلَى فَلَمَّ أَحِبُّ لَهُمْ نُبَاحَا
 ٣ - أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ فَأَكْفَ عَنْكُمْ وَأَدْفَعَ عَنْكُمْ الشَّتْمَ الصَّرَاحَا^(١)
 ٤ - وَإِلَّا فَأَحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي سَأَنُنِّي عَنْكُمْ الشَّتْمَ الْقَبَاحَا
 ٥ - وَحَسْبُكَ تِهْمَةٌ بَرِيءٍ قَوْمٍ يَضُمُّ عَلَى أَخِي سَقَمَ جَنَاحَا

هذه الطريقة في ذم الأذعياء غريبة حسنة جدًا . وفيما قال أبو العتاهية

في والبة بن الحباب ما هو مُستبدعٌ أيضا ، وهو :

- مَالُ مَنْ أَبَاؤُهُ عَرَبٌ ۖ أَلْوَانٍ أَصْبَحَ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ^(٢)
 أَكْذَا خَلَقْتَ أَبَا أَسَامَةَ أَمْ لَوْنَتْ سَالِفَتَيْكَ بِالْعُصْفَرِ^(٣)
 وأخذه أبو نواس^(٤) فقال أيضا :

وَابْنُ الْحَبَابِ صُلَيْبَةٌ زَعَمُوا وَمِنْ الْمَحَالِ صُلَيْبَةٌ إِشْقَرُ

ومصدر الدَّعَى الدَّعْوَةُ والدَّعَاوَةُ . وناصرَ بَنِي ، أى عَادَتْنِي ؛ ويقال :

نَاصَبْتُ فُلَانًا الْحَرْبَ وَالْعِدَاوَةَ ، وَنَصَبْنَا لَهُمْ حَرْبًا . ويقال : الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ

(١) في نسخة الأصل : « فَأَكْفَ عَنْهُمْ » ، تحريف .

(٢) في الأغاني (١٦ : ١٤٤) : « يَحْسِبُ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ »

(٣) أبو أسامة : كنية والبة بن الحباب ، وفيه يقول علي بن ثابت :

يَكْتُبُ الْبَرِيَّةَ قَاطِبُهُ جَزَعًا لِمَصْرَعٍ وَابِلُهُ

قَامَتْ لِمَرْثِ أَبِي أَسَا مَةَ فِي الرِّفَاقِ النَّسَادِبِ

وكلمة « أَبَا » ساقطة من الأصل ، وهى والكلمة التى بعدها ساقطتان من ل . والتحقق

يقتضى ما أثبتنا .

(٤) كذا . والبيت التالى في الأغاني منسوب إلى أبي العتاهية مع البيتين السابقيين وأبيات

أخرى .

والعرباء ، أى الخُلص . والعرب المستعربة : الذين دخلوا فيهم بعد .
 وقوله « عَرَبُ الألوان » مثل قولهم : سُروِجٌ خَزُّ الشُّفَاتِ ^(١) .
 و « عَرَبًا صِحاحا » أى صِحاحَ الأنساب . والنِّباح يُستعمل فى صَوْتِ
 النَّيْسِ عند السَّفاد ، وفى الهُدُودِ والظُّبَى . ويستعمل فى الشَّاعر على طريق الِذم .
 ويقال : نَبَحَهُ وَنَبَحَ عَلَيْهِ . قال الهذلى ^(٢) :

* ولو نبحتني بالشكاةِ كِلابُها ^(٣) *

والمراد بقوله « لَمْ نُبَاحَا » : لَمْ أَجِبْ نُبَاحَهُمْ . « ولهم » تبين .
 وقوله « أَمِنْهُمْ أَتَمُّ » فى موضع المفعول من قلتُ ، وانتَصَبَ « فَأَكْفُ »
 بإضمار أن ، وهو جواب الاستفهام بالفاء . والصُّراح : الخالصُ من كلِّ شئ ،
 وكذلك الصُّريحُ والصُّراحُ . ورجلٌ صريحٌ : ضدُّ هجينٍ ، من قومٍ صُرَّحاء .
 وخمُرٌ صُرَّاحٌ : لم تُشَبَّ بمزاج
 وقوله « حَسْبُكَ تُهْمَةٌ » ارتفع على الابتداء ، ويُكتفى به لأنَّ فيه معنى
 الأمر ، أى اِكتَفِ . وانتَصَبَ تُهْمَةٌ على التَّمييز ، ومعنى الآيات ظاهرة .

٦٥٢

وقال مدرك ^(٤) :

١ - لقد كنتُ أرْمِي الوَحْشَ وَهَى بَغْرَةٍ وَتَسْكُنُ أَحْيَانًا إِلَى شَرُودِهَا
 ٢ - فقد أمكنننى الوحشُ مُدْرَثًا أَمْنَهُمُ وما ضرَّ وحشًا قَانِصٌ لا يَصِيدُهَا

(١) الصفة للسرّج بمنزلة الميثة من الرجل .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٨٠) ، وقد سبق فى ص ٣٧٦ .

(٣) صدره : * ولا هرها كلبى ليعمد ثفرها *

(٤) التبريزى : « مدرك ، أو مفلس بن حصن الفقى » . وفى معجم المرزبانى ٣٩٦ :

« مدرك أو مفلس بن حصن الفقى إسلامى » . قال أبو محمد الأدرابى : « وليس لواحد
 منهما ، وإنما هو لحماذ بن الخلف - وهو الربيع - بن عبد الله ، أبو مايل الليربوعى . يقوله
 لبنى زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى » .

٣- فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى وَقُلْتُ لِمَ صَاحِبِي سِوَاءَ عَلَيْنَا بُخْلٌ سَلَى وَجُودُهَا
 جَعَلَ الْوَحْشَ كِفَايَةً عَنِ النَّسَاءِ . وَإِنَّمَا يَذْكُرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ ، وَوَقْتَ صَبَابِهِ .
 وَلِهَوَاهُ ، فَيَقُولُ : كُنْتُ أَتَعَرَّضُ لِلنَّسَاءِ وَهِيَ مُغْتَرَّةٌ وَفِي غَفْلَةٍ عَنِّي ، فَأَصِيبُهَا
 بِمَحَاسِنِي وَأَصْطَادُهَا . وَالشَّارِدَةُ مِنْهَا الْفَافِرَةُ مِنَ الرَّيِّبِ تَكُنُّ إِلَى وَتَمِيلُ
 نَحْوِي وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ . هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْ عَمْرِي ، وَالْآنَ قَدْ
 شِخْتُ فَسَهَايَ قَدْ رَأَيْتُ ، وَأَلَاتِي كَلَّتْ . وَإِنَّمَا يَرِيدُ مُحَاسِنَهُ عِنْدَهُنَّ مِنْ
 قَبْلُ ، وَأَنَّهَا قَدْ بَارَتْ ، وَمَا كَانَ يُنْفِقُهُ عِنْدَهُنَّ مِنْ نَفَاقٍ نَصَالِهِ عِنْدَ الرِّمَاءِ
 فِيهِنَّ كَلَّتْ . قَالَ : فَالْوَحْشُ تُمْسِكُنِي وَأَنَا لَا أُرْمِيهَا وَتُكْشِبُ لِي وَأَنَا غَافِلٌ
 دُونَهَا . وَمَعْنَى تُمْسِكُنِي أَنَّ النَّسَاءَ تَنْبَسِطُ إِلَيَّ فَلَا تَنْقَبِضُ ، وَتَسْتَنِيمُ فَلَا تَنْفِرُ
 لِأَمْنِهَا مِنْ تَوَجُّهِ الرَّيِّبَةِ . قَالَ : وَالصَّائِدُ لَا يُضَرُّ الْوَحْشَ إِذَا لَمْ يَصِدَّهَا ، بِمَعْنَى
 نَفْسِهِ . وَهَذَا السَّكْلَامُ يَجْرِي بِجَرَى الْأَمْثَالِ . وَلِلْمَعْنَى أَنَّهُنَّ لَا يَنْفِرْنَ مِنِّي ،
 وَقَدْ سَكَنَ إِلَيَّ وَأَمِنْ رَمِي .

وقوله « فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى » ، يَقُولُ : تَرَكْتُ صَاحِبَتِي الَّتِي كُنْتُ
 أَوْلَعُ بِهَا ؛ وَأَسْتَلْذِذُ كَرَاهَا ، زَاهِدًا فِيهَا ، وَقُلْتُ لِقَرِيبَتِي وَأَلِيفِي : بُخْلُهَا وَجُودُهَا
 يَسْتَوِيَانِ عَلَيَّ مَعَ إِعْرَاضِي وَضَعْفِ حَاجَتِي ، وَكَلَالِ حَدِّي ، وَعَجْزِ قُدْرَتِي ،
 وَتَسَلُّطِ رِيَّاتِ الشَّيْبِ عَلَيَّ ^(١) ، وَتُمْكُنِ أَبْدَالِ اللَّهِوَمَنِّي . وَقَوْلُهُ « سِوَاءَ عَلَيْنَا »
 سِوَاءَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ ، وَقَدْ وُصِفَ بِهِ .

٤- فَلَا تَحْسُدَنَّ عَبْسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَذُمَّ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا
 ٥- تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمًا أَنْ تَسَرَّ بَلَتْ سَرَابِيلَ خَزٍّ أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا
 كَانَ الْوَلِيدُ وَسَلْيَانُ ابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ أُمَهُمَا عَبْسِيَّةٌ ^(٢) ، فَارْتَفَعَ شَأْنُ بَنِي عَبْسٍ

(١) الرثية : الضعف ، والخلل الركب والمفاصل .

(٢) وكذا قال المَرْزُبَانِي فِي مَعْجَمِهِ ٣٩١ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِي : « هَذَا غُلَطٌ ، لِأَنَّ

أُمُّ الْوَلِيدِ وَسَلْيَمَانُ هِيَ وَلَادَةُ بِنْتُ خَلِيدِ بْنِ جَزْءِ بْنِ الْخَارِثِ بْنِ زَهْرٍ » .

بها ، واختلطوا بمدري الخلافة وسوايس الرعية ، والقبائل عن الملكة . فيقول
مخاطباً لصاحب له : لا تحسبن بني عيس على ما نالته من الملك والرياسة ،
وذكّر زماناً ساعدها على ذلك وأهلها له ، وحياته قد تولى زهيداً في الشقاء بها ،
ومكابدته الأوباد منهم فيها . والزهيد : القليل الخير ، ويقال : رجل زهيد
راسرة زهيدة ، وهما القليل الطم ، يريد أن أسرم خلقه من خلص الدهر ،
واسرة زهيدة ، وهما القليل الطم ، يريد أن أسرم خلصه من خلص الدهر ،
وسينقطع منكروهم ويعود إلى دون ما يحب له .

وقوله « تشبه عيس هاشما » ، يقال : شئت كذا وبكذا ، وتشبه زيد بكذا
وقوله « تشبه عيس هاشما » ، يقال : شئت كذا وبكذا ، وتشبه زيد بكذا
وكذا . يقول : تنعموا بالنيات الدنيا وزخارفها ، وشاركوها الربا الخلافة وولائها
وكذا . يقول : تنعموا بالنيات الدنيا وزخارفها ، وشاركوها الربا الخلافة وولائها
في ملابسهم التي تنكرها جلودهم ، ومطاعهم التي لم تذهبها لهواتهم ، خدشوا
في ملابسهم التي تنكرها جلودهم ، ومطاعهم التي لم تذهبها لهواتهم ، خدشوا
أنفسهم بأنفسهم أمثالهم ، ووسوس الشيطان إليهم بمائلة حالهم لأحوالهم عند
أنفسهم بأنفسهم أمثالهم ، ووسوس الشيطان إليهم بمائلة حالهم لأحوالهم عند
الحجل ، وفي الخوات . وقوله « إن تسربت » يريد : لأن تسربت . كلهم
الحجل ، وفي الخوات . وقوله « إن تسربت » يريد : لأن تسربت . كلهم
لمساعدة الأحوال لم فعلوا ما فعلوا . وإنما قال « أنكرها جلودها » لأنها لم
لمساعدة الأحوال لم فعلوا ما فعلوا . وإنما قال « أنكرها جلودها » لأنها لم
تعتدّها من قبل . ومثله قوله الآخر :
تعتدّها من قبل . ومثله قول الآخر :

وضعت ضجيجاً من جدام المطارف
وضجت ضجيجاً من جدام المطارف

لعيس إذا ما مات عنها وليلتها
لعيس إذا ما مات عنها وليلتها

وقلدة عيس في القديم عيلتها
وقلدة عيس في القديم عيلتها

بكي الخبز من عوف وأنكر جلد
بكي الخبز من عوف وأنكر جلد

٦- فلا تحسبن الخبز ضربة لأرب
٦- فلا تحسبن الخبز ضربة لأرب

٧- فساد عيس في الحديث نسائها
٧- فساد عيس في الحديث نسائها

هو ذا بعلي صاحبه عما تداخله من الغيظ على زمان بلغ بني عيس ما بلغ ،
هو ذا بعلي صاحبه عما تداخله من الغيظ على زمان بلغ بني عيس ما بلغ ،
فيقول : لا تظن أن هذه الأمور تجري على ما تشاهدها سلمة من الحوادث ،
فيقول : لا تظن أن هذه الأمور تجري على ما تشاهدها سلمة من الحوادث ،
وأن الدولة تمتد لي عيس وتصير كالواجب لها ، بريئة من الصوارف ، نقيّة
وأن الدولة تمتد لي عيس وتصير كالواجب لها ، بريئة من الصوارف ، نقيّة
من الشوائب ؛ فإن كل ذلك بعرض الزوال والتغير ، متى مات من تقدموا به ،
من الشوائب ؛ فإن كل ذلك بعرض الزوال والتغير ، متى مات من تقدموا به ،
وهو الوليد بن عبد الملك .
وهو الوليد بن عبد الملك .

وَحُكِيَ عَنِ الْحُصَيْنِ ^(١) بَنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ تَفَارَعَا فِي شَيْءٍ : « إِنَّمَا أَنْتُمْ يَا بَنِي عَبْسٍ بِحَرٍّ ^(٢) ، فَإِنْ ابْتَلَّ ابْتَلَّاتُمْ ، وَإِنْ يَبِسَ يَبْسُمْ » .
 وقوله فسادَ عَبْسٍ نساؤها ، يعني أمَّ الوليد والمتصلات بها . هذا في الحديث زَعَمَ . قال : وفي القديم كانوا بالعبيد ، يعني به عنترة بن شداد ، لأنه عَبْسِيٌّ ، وكان هيفاً ، ولذلك قال :

إِنِّي اسْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنَصِباً شَطْرِي وَأَحْيَى سَانِرِي بِالْمُنْصِلِ
 وقال أيضاً :

أَنَا الْهَجِينُ عَنْتَرَةَ كُلِّ امْرِئٍ يَخْنِي حِرَّهُ
 أسودُهُ وأحمرُهُ

وهو أحدُ الفرسان الذين جلَّ أمرُهم ، وعظم شأنُهم .

٦٥٣

وقال آخر :

١ - أَقُولُ حِينَ أَرَى كَغَبَابًا وَاجِئَتَهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي بَضْعٍ وَسِتِّينِ

٢ - مِنَ السِّنِينَ تَمَلَّاهَا بِلَا حَسَبٍ وَلَا حَيَاءٍ وَلَا قَدْرٍ وَلَا دِينَ

أَجْرِي جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي أَنْ أَعْرَبَ آخِرُهُ تَجْرِي جَمُوعِ التَّكْسِيرِ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا . عَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ ^(٤) :

* وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ ^(٥) *

(١) في النسختين : « الحصين » بالصاد المهملة ، وصوابه بالمعجمة ، كما في التبريزي والمؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب ، والخزانة (٢ : ٨٩ - ٩٠) والقاموس (حصن) .

(٢) يعني أن قدرهم ومنزلتهم ، إنما هو بنسأهم وصهرهم في الخلفاء .

(٣) الحر : حر المرأة . والرجز في اللسان (حرج) .

(٤) هو سحيم بن وثيل الرياحي . الأصمعيات ٦ طبع المعارف .

(٥) صدره : وماذا يدرى الشعراء في *

وقوله :

* وابنُ أَيْيَ أَبَى مِنْ أَيْيَينِ ^(١) *

وقوله « من السنين » تعلق بقوله في بضع . والبضعُ مختلفٌ فيه ، فمنهم من يقول : يتناول ما بين الثلاثة إلى العشرة كُله ، ومنهم من يجعله متناولاً للنصف من ذلك . والأوّل هو الصحيح . وقيل في قوله : ﴿ بضعَ سنين ^(٢) ﴾ إنها سبعة ، وقد حُكي الفتحُ في الباء منه أيضاً ، وأصله من القطع .
وقوله « تَمَلَّاهَا » عاش مُلَاوَتَهَا . والمُلاوَةُ تُكسر مِيمُهُ وتُضَمُّ . ومنه اللَّيُّ من الدهر ، وقولهم : تَمَلَّيتُ حَبِيبًا .

٦٥٤

وقال عُوَيْفُ القَوَافِي ^(٣) :

- ١ - وما أُمُّكُمْ تَحْتَ الخَوَافِي والقَنَا بِشَكْلِي وَلَا زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةِ زُهْرٍ
 - ٢ - أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ والقِدْرِ
- وصفهم بأنهم يتصوّنون ، فلا يبتذلون أنفسهم في الحروب ، فأنهاتهم تشكّلهم تحت الأعلام إذا خفقت ، والرمّاج إذا أشرعت . وقوله « ولا زهراء » ، أي ليست هي بكريمة في نفسها . وهذا ضدُّ قول الآخر ^(٤) :
- * أُمُّكَ بِيضَاءَ مِنْ قُضَاعَةٍ ^(٥) *

(١) البيت الذي الإصبع العدواني في المفضليات ١٦٠ طبعة المعارف الثانية . وصدّره :

* إني أبنُ أبي ذو محافظة *

(٢) من الآية ٤٢ في سورة يوسف : « فأنساه الشيطان ذكر ربّه قلبت في السجن

بضع سنين » .

(٣) سبقَت ترجمته في الحماسية ٧٢ ص ٢٦٢ .

(٤) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٨٣ . وقد سبق في ١٥٠ ، ٤١٩ .

(٥) تمامه : أُمُّكَ بِيضَاءَ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الدَّ * بيت الدّ يستكن في طنبه .

يريد بياض السكرم لا بياض اللون .

وقوله : « أَلَسْتُمْ أَقْلُ النَّاسِ » ، ويُقرّرُهم على لؤمهم وتأخرهم في الحروب ، وقتلهم عند خفق البنود ، وعند عقدھا للرياسات ؛ وعلى أنَّهم يكثرُونَ في المآدب ، وينزاحون على الذَّبائح . وإِنَّمَا يُقرّرُ بِاللَّيْسِ وبِالْمَ وما أشبهه في الواجب ، لأنَّ الاستفهام كالنفي ، والنفي إذا دخل على النفي صار واجبا ، وقد مرَّ الكلامُ فيه فيما تقدّم .

٦٥٥

وقال آخر :

- ١ - وَنُبِّئْتُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ تَنَازَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلَّوْا الذَّنَابَ فَضَرَحَدَا
 - ٢ - فَتَى بِجَعْلِ الْمُخَضَّصِ الصَّرِيحِ لَبَطْنِهِ شِعَارًا وَيَقْرَى الضَّيْفَ عَضْبًا مُهَنَّدًا
- قوله « تناذروا » ، أى أنذر بعضهم بعضا ، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون مفعولا ثالثا لفُتِّتُ . والذَّنَاب وَصَرَحَدُ : موضعان . والمعنى أنَّ السَّفَرِ والسَّابِلَةَ والمارة قد عَرَفُوا عَقِيلًا بِالْغَدْرِ والخيانة ، والطَّمْعِ في مال الضَّيْفِ والجار والحليف ، فإذا نَزَلُوا هَذِينَ الْمَوْضِعَيْنِ وهما مما يقاربُ محلَّ عَقِيلٍ ومأواه ، حذّر بعضهم بعضا ، وتواصوا بالاحتراز منه ، ثم قال : هو فتى يملأ بطنه من خالص الخض ، فالخضُ شِعَارُ بطنه ، يليه ويشحنه ويلتدس به ، ويُعدُّ لِقَرَى ضَيْفِهِ سَيْفًا قَاطِعًا . والأصل في الشُّعَارِ ما يلبس الجسد من الثياب ، ثم توسّع فيه فقيل : أشعر قلبي هُما أى أبطنه . وحكى بعضهم : هَنَّدْتُ السَّيْفَ : شحذته وأحددته . والمشهور نسبته إلى هِنْدٍ ^(١) .

(١) كذا في النسختين . وفي اللسان أيضا : « وهند : اسم بلاد » . ومن عجب أنه

لم يعقد للهند رسم في معجمى البلدان .

وقد استعمل القرى على هذا غيره فقال ، وهو أبو وجزة :
 ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم يَقْرُونَ ضِيَّهُمْ الملوثة الجددا^(١)
 يعنى السياط .

٦٥٦

وقال آخر :

١- أَنَاخَ اللُّؤْمُ وَسَطَ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيَّتُهُ فَأَقْسَمَ لَا يَرِيْمُ
 ٢- كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَقَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمٌ
 يقال : أَنْخْتُ البعير فبرك ، ولا يقال ففناخ . وهذا من باب ما استغنى به
 عن غيره ، ومعنى لا يريم لا يبرح .

وقوله « كذلك » فى موضع الحال ، لأنَّ « كُلُّ ذِي سَقَرٍ » مبتدأ ،
 ومُقِيمٌ خبرُهُ ، كأنه قال ، وكلُّ مسافر إذا ما انتهى إلى غايته يُبْلَقِ عَصَاهُ ،
 وَيُحِطُّ رَحْلَهُ . كذلك ، أى مثل إقامة اللؤم فيهم .

وهذا المعنى قد نقله البحرى إلى اللدح فيهم :
 أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلٍ طَلْحَةٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ^(٢)

٦٥٧

وقال آخر :

١- إِذَا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غَلَامًا فَيَا أَوْمًا لِلذَّكَ مِنْ غُلَامٍ
 ٢- يُزَاحِمُ فِي الْمَادِبِ كُلِّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْخِفَاطِ بِذِي زِحَامٍ

(١) كذا فى ل والكامل ١٠٧ ليسك ، وهى جمع جديد . وفى الأصل : « الحددا » .

(٢) فى الأصل : « طلحة لم يتحرك » ، صوابه فى ل .

قوله « يا نُؤْمًا » لفظه لفظ النداء وللغنى معنى التعجب ، أى ما أشده من
 نؤم . ومثله : ﴿ يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَاد ﴾ ، وقولُ الشَّاعر^(١) :
 فيا شاعراً لا شاعراً اليومَ مثلهُ جريراً ولكن في كَلِيبٍ تَوَاضَعُ
 وقوله « يُزاحم في المآدب » يشبه قول مُوَيْف :
 أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِمِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَذْرِ^(٢)
 وإن كان زاد عليه لما جَعَلَ مزاحته على الطَّعام مع العبيد . وقوله « من
 غَلَامٍ » أى لذلك الغلام من بين الغلمان . وواحد المآدب مأذبة^(٣) ، والفعلُ
 منه أَدَيْتُ .

٦٥٨

وقال آخر :

- ١- رِدَى ثُمَّ اشْرَبِي نَهْلاً وَعَلَاءً وَلَا يَغْرُزُكَ أَقْوَالُ ابْنِ ذَيْبِ^(٤)
- ٢- فلو كان القليبُ على إِحْاطِهِمْ لَأَسْهَلَ وَطَوْهَا شَفَةَ الْقَلِيبِ
 يشجعهما على الورود والصَّدر ، وشرب الملل بعد النَّهْلِ . وعلى ألا تحتفل
 بهتُّد ابنِ ذئب وإِرْعادِهِ وإِبْرَاقِهِ ، فإنه قولٌ لا فِعْلَ معه ، وقعقةٌ لا وَقَعَ
 بَعْدَهَا . وكان التَّخاضُّمُ في بُئرٍ ، فلذلك قال ما قال .
- وقوله « فلو كان القليب على إِحْاطِهِمْ » استخفافٌ بِهِمْ وإِهانة . ومعنى أسهل :
 وجدها سهلاً ، ويعنى بوطئها وطء الإبل ، ولم يَجْرِ لها ذكر ، ولكن المراد
 مفهوم : وللمعنى : كانت تَجِدُ حَرَفَ البئرِ سهلاً لا حَزَنًا . يقول : لو كان موضع البئر

(١) هو الصلتان العبدى . الخزانة (١ : ٣٠٤ - ٣٠٨) . وقد سبق في ٥٣٨ .

(٢) البيت الثانى من الحماسة ٦٥٣ ص ١٥٢٩ .

(٣) المشهور فى « المأذبة » ضم الدال ، وأجاز بعضهم الفتح .

(٤) التبريزى : « ولا تغررك » .

لِحَاثِمٍ مَا جَسَّرُوا عَلَى الْمَنَعِ ، وَلَا عَلَى التَّمَانَعِ ، وَلَا كَانَ يَتَعَقَّبُ وَرُودَهَا لِإِنْكَارِ
وَلَا وَبَالَ .

٦٥٩

وقال آخر :

١- إِنْ تُبْغِضُونِي فَقَدْ أَسْخَنْتُ أَعْيُنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تَظُنُّونَا^(١)

٢- وَقَدْ ضَمَمْتُ إِلَى الْأَحْشَاءِ جَارِيَةً عَذْبًا مُقَبَّلَهَا مِمَّا تَصُونُونَا

يقول : لَا مَلَامَ عَلَيْكُمْ فِي بَغْضَائِكُمْ لِي ، فَقَدْ نِلْتُ مِنْكُمْ مَا اسْتَحَقَّقْتُ بِهِ
ذَاكَ . وَانْتَهَبَ « حَرَامًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ أَتَيْتُ ، وَمَا تَظُنُّونَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ،
وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحذُوفٌ . وَقَوْلُهُ « مِمَّا تَصُونُونَا » وَلَمْ يَقُلْ مِمَّنْ ، لِأَنَّ
الْقَصْدَ إِلَى الْجِنْسِ وَ« مَا » لِلصِّفَاتِ وَالْأَجْنَاسِ وَلِمَا دُونَ النَّاطِقِينَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ
« تَظُنُّونَ » فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَالِبِ الظَّنِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيَقِينِ .

٦٦٠

وقال آخر :

١- يَا قَبِيحَ اللَّهِ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنَى عُمَيْرَةَ رَهْطَ اللُّؤْمِ وَالْعَارِ

٢- قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُّوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجِنُّوها بِأَسْتَارِ

الْمُفَادَى فِي قَوْلِهِ « يَا قَبِيحَ اللَّهِ » مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَا قَوْمَ ، أَوْ يَا نَاسُ
قَبِيحَ اللَّهِ أَقْوَامًا ، أَيْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ . وَ« بَنَى عُمَيْرَةَ » انْتَهَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ
أَقْوَامًا ، وَلِلْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ « إِذَا ذُكِرُوا » أَيْ وَقْتُ ذِكْرِهِمْ فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ . وَ« رَهْطَ

(١) تبغضون ، هو ما في ل والتبريزي . وفي نسخة الأصل : « تبغضونا » .

«اللؤم» انتصبَ على الذمِّ والاختصاص ، والعامل فيه فعلٌ مُضمرٌ ، كأنه قال :
أذكر رَهْطَ اللؤم .

وقوله « قومٌ » ارتفعَ على أنه خبر المبتدأ ، أى هم قوم إذا خرجوا من
سومةٍ ونَحْزِيَةٍ ، أى من اكتسابهما وفعلهما ، دخلوا في مثلها أو أسوأ منها
وآخرى لا يسترون فيها ولا يستحيون منها .

٦٦١

يَهْجُو الْحَضْرَى وَيَمْدَحُ الْبَدْوَى :

وقال آخر :

١ - جَوَابُ يَبْدَاءُ بِهَا عَرُوفٌ^(١)

٢ - لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِيفُ

٣ - وَلَا يُرَى فِي يَبْتِهِ الْقَلِيفُ

٤ - إِلَّا الْحِمْتُ الْمُفْعَمُ الْمَكْشُوفُ

٥ - لِلْجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ

٦ - وَالْحَضْرَى مُبْطَنٌ مَمْلُوفٌ^(٢)

٧ - لِلْفَسْوِ فِي أَثْوَابِهِ شَفِيفُ

٨ - أَعْجَبُ يَبْتِهِ لَهُ الْكَنِيفُ

٩ - أَوْطَايَةٌ مُبْقَلَةٌ وَصِيفٌ^(٣)

(١) رواه التبريزي : « عزوف » ، وقال : « يقال رجل عزوف وعزوفة وعزيف » .

وفى اللسان (ريف) : « غروف » ، تحريف .

(٢) التبريزي : « بطنه مملوف » .

(٣) التبريزي : « أوطانه » ، ثم قال : « ويروى : أوطاية مبقلة وريف » .

قوله « جَوَابُ بِيْدَاءٍ » يصف به البدوى ، أى قَطَّاعُ الْمَفَاوِزِ بليغ المعرفة بها . ويقال : رجل عَرُوفٌ وَعَرُوفَةٌ وَعَرِيفٌ ، أى عَارِفٌ . ويقال من العَرِفِ بكسر العين ، وهو الصبر : عَارِفٌ وَعَرُوفٌ أى صَبُورٌ ؛ فيجوز فيه الوجهان . ويُرْوَى : « جَوَابُ بِيْدٍ أَيْ عَرُوفٌ » ، والآية : الصَّيِّتُ الْمُتَيْظِرُ الْحَيُّ الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ : وَالْبِيْدُ : جمع بِيْدَاءٍ .

وقوله « لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ » ، أى هو قَوِيٌّ صُلْبُ الْعُرُوقِ ، لِأَنَّ الْبَقْلَ تَرَخَّى الْأَعْصَابَ . و « لَا يَرِيفُ » أى لَا يَدْخُلُ الْحَضَرَ . وَالرَّيْفُ : الْخَضِرَةُ . وقال الدَّرِيدِيُّ : الرَّيْفُ : مَا قَارَبَ السَّوَادَ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَالْجَمِيعُ أُرْيَافٌ وَرُيُوفٌ . وَتَرِيفَ الْقَوْمِ وَرَافُوا : دَنَوْا مِنَ الرَّيْفِ .

وقوله : « وَلَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ » أى طَعَامُهُ طَعَامُ الْبَدَوِيِّينَ : اللَّبَنُ وَالْتَمَرُ ، لَا الْخُبْزَ . وَقُلَافَةُ الْخُبْزِ وَقَلِيفُهُ : الَّذِي يَلْزَقُ مِنْهُ بِالْتَّنَوْرِ .

وقوله : « إِلَّا الْحَمِيمَةُ » بدلٌ من الْقَلِيفِ ، وَهُوَ نَحْيُ السَّمَنِ . وَالْمَقَمُ : الْمَلُوءُ . وَجَمَلُهُ مَكْشُوفًا لِلجَّارِ وَالضَّيْفُ لِيَدُلَّ عَلَى سَخَائِهِ بِمَا فِيهِ ، وَلَا سِتْرَ عَلَيْهِ وَلَا حِجَابَ دُونَهُ ، فَالْإِلَامُ مِنْ قَوْلِهِ لِلجَّارِ يَتَعَلَّقُ بِالْمَكْشُوفِ .

وقوله « وَالْحَضَرِيُّ مُبْطِنٌ مَعْلُوفٌ » ، أى يُطِيعُهُ مَا يَأْكُلُهُ ، وَيَرْتَعُ فِيهِ فَيَنْهَمُ فِيهِ وَيَتَجَاوِزُ حُدُودَ أَكْلِ النَّاسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعْلُوفًا كَمَا تُعْلَفُ الدَّوَابُّ لِلسَّمَنِ . وَالْمُبْطِنُ : الْمُوسَعُ الْبَطْنُ . وَقَدْ بَطِنَ بَطْنًا ، أى عَظُمَ بَطْنُهُ ، وَأَصَابَتْهُ الْبِطْنَةُ . وَفِي الْمَثَلِ : « الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ » ، أى كَثْرَةُ الْأَكْلِ تُحْدِثُ الْبِلَادَةَ ، وَرَجُلٌ بَطِينٌ وَمُبْطِنٌ : عَظِيمُ الْبَطْنِ . وَالْمُبْطِنُ : الْخَمِيمُ الْبَطْنُ . قَالَ :

* فَأَنْتَ بِهِ حَوْشُ الْفَوَادِ مُبْطِنًا ^(١) *

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، كما سبق في ص ٨٨ . وعجزه :

* سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوِجِلِ *

وقال مُتَمِّمٌ :

* فَتَى غَيْرَ مِيطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا ^(١) *

والشَفِيفُ : بَرْدٌ رِيحٌ فِي نُدْوَةٍ ، واسمُ تلكِ الرِّيحِ الشَّفَّانُ .

وقوله « أَعْجَبُ بَيْتَيْهِ » أى الذى يأكل فيه والذى يُحْدِثُ فيه .
والكَنِيفُ جملةُ أعْجَبَ إِيَّاهُ لِكثْرَةِ أَطْيَافِهِ ^(٢) .

والطَّايَةُ : الأرضُ الفُضَاءُ الواسعةُ . والسَّيْفُ : ساحلُ البحرِ . وأَبْقَلَ
المَكَانُ : كَثُرَ بَقْلُهُ .

٦٦٢

وقال رَبَّعَانُ :

١ - إِذَا كُنْتَ عَمِّيًّا فَكُنْ قَرَقَرٍ ^(٣) وَإِلَّا فَكُنْ إِنْ شِئْتَ أُيْرَحَارٍ ^(٤)

٢ - فَمَا دَارُ عَمِّيِّ بِدَارِ خَفَّارَةٍ وَلَا عَقْدُ عَمِّيِّ بِعَقْدِ جَوَّارٍ

بمعنى بالْفَقْعِ الكَمَاةُ . وبضربِ المَثَلِ بهذا فى الذَّلِّ فيقال : « أَذَلُّ مِنْ
فَقْعِ بَقَاعٍ » ، وذلكُ لِأَنَّهُ يَحْتَذِيهِمَا مَنْ يَشَاءُ ، وَأَضَافَهُ إِلَى قَرَقَرٍ مَمْدِيَةً . ويقال :
قَاعٌ قَرَقَرٌ ، أى مُسْتَوٍ . وأتى بالصفة لأنَّ المرادَ مفهوم ، والمعنى : إِذَا كُنْتَ
عَمِّيًّا فَكُنْ ذَلِيلًا كَالْفَقْعِ ، أَوْ شَيْئًا يُتَحَامَى ذِكْرُهُ وَمَنْظَرُهُ كَذَلِكَ الْعُضْوِ .
وَأَخْفَرْتُهُ ، إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ . والمعنى ظاهراً . وجعل لا من قوله « وَلَا عَقْدُ »
بدلاً من ما ، ولذلك أَدْخَلَ الْبَاءَ فِي بَعْقَدٍ .

(١) صدره فى المفضليات ص ٢٦٥ طبع المعارف :

* لقد كفن المنهال تحت رداءه *

(٢) أطاف يطاف أطيافا : تنوط وذهب إلى البراز .

(٣) التبريزى : « وقال ريعان ، ويقال ربعان » .

(٤) العمى : نسبة إلى فى العمى ، وهم بنو مرة بن مالك بن حنظلة . اللسان (م) .

وانظر الأغاني (٣ : ٧٣) .

٦٦٣

وقال آخر :

١ - أَرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ غَرِيبًا عَلَى قُتْرٍ أَزُورُ وَلَا أَزَارُ

٢ - أَنَا لَسْتُ يَا كَلُونَ اللَّحْمِ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

قوله « على قُتْرٍ » أى على حرف . ويقال قُتْرٌ وقُتْرٌ . يقول : ليس فيهم تمسكن ، لغربى . والقُتْرُ والقُطْرُ والحَرْفُ والجانب تتقارب . وقد استعمل الحرف استعمال القُتْرِ ، بل هو أشهر في هذا المعنى ، وأكثرُ تصرفًا ، يقال : هو على حَرْفٍ من أمره ، أى انحراف ، وانحرَفَتْ بهم دُنيَاهم ، ومالَى عن كذا تحَرَفٌ ، أى مَصْرِفٌ ومُنْتَحَى . وفي القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ : وإنما وصفهم بأن من جاورهم يسيئون عِشرته ولا يرون له ما يراه لهم مِنْ قِضَاءِ ذِمَّامٍ ، وإيجاب حق ، بل يطرحونه ويُهملونه . وقوله « وتأتينى المعاذر » ، أراد ريج عذراتهم وأفنيتهم ، خذف المضاف . « والقُتَارُ » ، أى وتأتينى ريج اللحم المشوى . وقيل فى المعاذِر : إنها جمع مَعْذِرَةٍ . والأوَّلُ أبلغ . والمعاذِرُ والمَعَاذِرَةُ والعَذْرَةُ : الحَدَثُ ، وقد أعْذَرَ ، أى أحدث . ويرتفع أناسٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه أراد : هم أناس ، وقد وُصِفُوا بِجَمَلَتَيْنِ . وقد كان يجب أن يقول : وتأتينى المعاذِرَ والقُتَارُ منهم ، خذف الضمير ، ويحوز أن يكون « وتأتينى » على الاستئناف .

٦٦٤

وقال آخر :

١ - مَا إِنْ فِي الْحَرِيشِ وَلَا عُمَيْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ جَعْدَةٍ مِنْ كَرِيمٍ^(١)

(١) كذا بالخرم فى النسختين . وفى التبريزى : « وما إن » .

٢ - ولا بُرْصِ الْفِقَاحِ بَنِي مُنَمِّرٍ وَلَا الْعَجْـلَانَ زَائِدَةَ الظَّلِيمِ
 ٣ - أَوَّلُكَ مَعْشَرُ كِبَنَاتِ نَعَشٍ رَوَاكِدَ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ
 يعني بزائدة الظلم أُلُفَتْ ، لأنه لا يكون للطير . أي هم زيادة في الناس بمنزلة تلك الزائدة في الظلم .

وقوله «أولئك معشر كبنات نعش» ، يريد أنهم لا ينهضون لا كتساب مكرمة . ولا يقومون لاجتلاب منقبة ، فهم لا خير فيهم يازمون مضاجعهم كسلًا وقصرَ همة ، ورضى بأدنى الهمتين وأسقط العيشتين . والعرب تسمى من كان كذلك ضاجعًا وضُجِعِيًّا^(١) وضِجعة . وبنات نعش ليست من النجوم السيارة ، فلذلك شبهه بها .

٦٦٥

وقال رجل من بني جَرِمِ^(٢) :

١ - دَلَفْتُ إِلَى صَمِيمِكَ بِاقْوَافِي عَشِيَّةً تَحْفَلُ فَهَتَمْتُ قَاكَا
 ٢ - وَصَدَّقَ مَا أَقُولُ عَلَيْكَ قَوْمٌ عَرَفَتْ أَبَاهُمْ وَتَفَوُّوا أَبَاكَ

الصميم : الخالص من النسب والفخر . وجعل له ذلك على طريق الازدواج ، فهو كقول الله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ . يقول : ما كان من حسيك خالصا ، ومن نسيك صافيا لا شوب فيه ولا لبس دونه ، أطلتته بقوافي ، وزيفته حين اختلفنا في الجمعة بمراحي ، فهتمت أسفالك ، وأجروستك فجعل الفم كناية عن الأسنان . وجعل الفم كناية عن الأسنان .

بكسر القاف وضمها .

(١) يضم الضاد وكسرهما . ومثله «القمدي» بكسر القاف وضمها لزياد الأعجم .

(٢) التبريزي : « وقال رجل من جرم لزياد الأعجم ، وقيل إنه لزياد الأعجم . »

وستأني ترجمة زياد الأعجم .

أَيَّ جَعَلْتُكَ بِحَيْثُ لَا مَعَصَ لَكَ ، وَمَشْهَدُنَا مَشْهُودٌ ^(١) ، وَأَهْلُ التَّمْيِيزِ حَاضِرٌ ،
وَصَدَّقَنِي مَنْ لَهُ الْقِدْمَةُ وَالسَّابِقَةُ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُهُمْ وَتَعْرِفُ أَوْلِيَّيَهُمْ ،
وَهُمْ يَنْكُرُونَ سَلَفَكَ ، وَيُبْطِلُونَ دَعَاوَيْكَ .

٦٦٦

وَقَالَ زِيَادُ الْأَنْجَمِ ^(٢):

١ — وَمَنْ أَنْتُمْ إِنْ أَنْسَيْنَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ
٢ — وَأَنْتُمْ أَوْلَى جِئْتُمْ مَعَ الْبَقْلِ وَالذَّبَابِ فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
٣ — فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَنَ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْخَوَافِرِ
قوله « إنا نسينا من أنتم » يجوز أن تجعل من استغفهما ، وقد كرّره ،
وعاقب نسينا قبله ، وإن لم يكن من أفعال الشك واليقين ، لأنه أجراه بحرى
نقيضه ، وهو عرفت وذكرت ؛ وهم يحرون النظير [بحرى النظير ^(٣)] ،
والتنقيض بحرى النقيض . وقد مرّ له نظائر . ويجوز أن نجعل من بمعنى الذى .
وقد حذف صلاته ^(٤) ، كأنه قال : إنا نسينا الذين هم أنتم . والأول أوجه . ونظيره
الأول ^(٥) عند أصحابنا البصريين قوله تعالى : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا
لَبِثُوا ﴾ . وفى باب الذى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ^(٦) ﴾ لأن المعنى من

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « لا يشهدنا مشهود » .

(٢) زياد الأعجم : أحد شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبي موسى الأشعرى وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومثهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضا : زياد بن سلميان . انظر البيان (١ : ٧١) والخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والشعراء لابن قتيبة والأغاني (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) . (٣) التكلة من ل .

(٤) كذا فى النسختين . والمراد « حذف صدر صلاته » .

(٥) فى النسختين : « الثانى » والتنظير الأول ، وهو التعليق بالاستفهام .

(٦) هذه قراءة بحرى بن يعمر ، وابن أبي إسحاق ، وهى القراءة التى يستقيم بها الاستشهاد وقراءة الجمهور : « أحسن » بفتح النون ، على أنها فعل . وقال بعض نحاة الكوفة فى =

هو أحسن . وقوله « مِنْ أَيْ رِيحِ الْأَعَاصِرِ » ، والأعاصر : جمع الإعصار ، وهو الغبار الساطع المستدير ، وفي المثل : « إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا » .
وإنَّمَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا تَسُوقُ غَيْثًا ، وَلَا تَذُرُّ سَحَابًا ، وَلَا تُنْقِحُ شَجَرًا ،
فَضْرِبَ الْمَثْلُ بِهَا لِقَلَّةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى شِمَالُ عَرِيَّةٍ شَامِيَّةٍ تَزُورِي الْوُجُوهَ بَلِيلُ

وهم يجعلون الرِّيحَ كنايةً عن الدَّوْلَةِ ، فيقال : فلانُ هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ ، فكأنه
جمل دولتهم لا تُجْدِي وَلَا تَرُدُّ نَفْعًا ، بَلْ تُتَوَيُّ ^(٢) وتجرُّ شَرًّا ، وقوله « وَأَنْتُمْ
أَوَّلَى جَيْتُمْ » ، يريد الذين جئتم مع البقل . والمعنى أن شَرَفَكُمْ حديث .

ومثله قول الآخر :

تَمُوتُونَ هَزَلَى فِي السَّيِّئِينَ وَأَنْتُمْ أَسَارِيْعُ تَحِيَا كَلَّمَا نَبَتَ الْبَقْلُ

وقوله « فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرَ طَائِرٍ تَضْجُرُ بِهِمْ وَتَعْجَبُ مِنْ بَقَائِهِمْ ،
وَعَتَبُ عَلَى الزَّمَانِ فِي اسْتِبْقَائِهِمْ » .

وقوله « فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانٍ قَبْلَكُمْ » يريد أن كلَّ مَنْ يُذَكَّرُ لَكُمْ ^(٣)
وَعِنْدَكُمْ فَهُوَ سَابِقٌ لَكُمْ ، مُقَدِّمٌ عَلَيْكُمْ بِالزَّمَانِ وَالْفَضْلِ ، فَأَنْتُمْ عَلَى السَّاقَةِ
لَمْ تَذَرِكُوا مَنَّا أَحَرَزَ قِصَبَاتِ السَّبْقِ إِلَّا مَدَقَّ الْخَوَافِرِ ، وَمَوَاطِئُ الْأَقْدَامِ .
جَمَلُهُمْ فَسَا كِلَ ، وَمَتَأَخَّرِينَ عِنْدَ الْفَضَائِلِ .

تخريجها : يصح أن يكون أحسن هذه أسما ، وهو أفذل تفضيل مجرور بالفتحة صفة للذي وإن
كان نكرة ، من حيث قارب المعرفة إذ لا يدخله « أل » ، كما تقول العرب : مروت بالذي
خير منك ، ولا يجوز مروت بالذي عالم . تفسير أبي حيان (٤ : ٢٥٥) .

(١) هو طرفة بن العبد ، كما سبق في الحماسية ٦٠٢ ص ١٤٤١ .

(٢) أتواه : أهلكته . وفي الأصل : « قَتَوِي » تحريف . وفي ل : « تَوَيُّ » .

(٣) في الأصل : « مِنْ يَدْلَكُمْ » ، صوابه في ل .

٦٦٧

وقال عمرو بن الهذيل^(١):

١- نحنُ أقمنا أمرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَنْتَ بِنَاجٍ مَا تُمِرُّ وَمَا تُحْلِي^(٢)

٢- وَمَا تَسْتَوِي أَحْسَابُ قَوْمٍ تُورَثُ قَدِيمًا وَأَحْسَابُ نَبْتَنَ مَعَ الثَّقَلِ

نَاجٍ: اسم ماء. وما تُمِرُّ وما تُحْلِي، أي لا تأتي بخلو ولا مِرٍّ. يصف مجزّه وضعفه، وقعوده عن المعونة أو أن الحاجة. وقول زهير:

* عَلَى صِيَرٍ أَمْرٍ مَا يُبِيرُّ وَمَا يَخْلُو^(٣) *

فأمرٌ فيه بمعنى صار مِرًّا. ويقال في هذا مِرًّا أيضًا. وقولهم في المثل: «ما أمرٌ فلانٌ وما أحلّى» فهو مثلُ المعنى الذي في البيت. والمعنى: ما أتى بخلو ولا مِرٍّ. ومراد الشاعر في هذا البيت ظاهر، وهو المعنى المتقدم.

وقوله «وما تستوى أحسابُ قومٍ» تستوى بمعنى تُساوى وتُمائل، وقد يكون استوى بمعنى استملى. على ذلك قولهم:

* قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ^(٤) *

(١) التبريزي: «وقال عمرو بن الهذيل العبدى. وقال أبو رياش: هي لرجل من بني صجل». وفي معجم المرزبانى ٢٤١ «عمرو بن الهذيل الربعى». قال المرزبانى: «يقوله لأبي غسان مالك بن مسعم حين فر أيام البصبية، فنزل بأجأ حتى تجلت البصبية». (٢) المرزبانى: «لا تمر ولا تحلّ». وقبله هند التبريزي:

لَا تَرَجُ خَيْرًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ مِسْعَمٍ إِذَا كُنْتَ مِنْ حَيِّ حَفِيفَةٍ أَوْ غِلٍ

(٣) ثانى بيت له من القصيدة التي مطلعها:
صحا القلب عند سلمى وقد كاد لا يسلمو وأفقر من سلمى التعانيق والثقل
وصدره: * وقد كنت من سلمى سنيًا ثم نأيا *

(٤) بعده في اللسان (سوى):

* من غير سيف ودم بهراق *

٦٦٨

وقالت كنزة في مية^(١) :

- ١ - أَلَا حَبِذَا أَهْلُ الْمَلَاغِيْرِ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيَّ فَلَا حَبِذَا هِيا
- ٢ - عَلَى وَجْهِ مَيَّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتَ الثَّيَابِ الْجِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيا
- ٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلِفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيا^(٢)
- ٤ - إِذَا مَا أَنَاءُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيا
- ٥ - كَذَلِكَ مَيَّ فِي الثَّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَاهَا يُخَفِّنُ مِنْهَا الْمَخَازِيا
- ٦ - فَلَوْ أَنَّ غَيْلَانَ الشَّقِيِّ بَدَتْ لَهُ مُجَرَّدَةٌ يَوْمًا لَمَّا قَالَ ذَا لِيا
- ٧ - كَقَوْلِ مَعْيٍ مِنْهُ وَلَكِنْ لَرَدَّهُ إِلَى غَيْرِ مَيَّ أَوْ لِأَصْبَحَ سَالِيا

قوله ذا من لفظة «حبذا» أشير به إلى الشيء ، وهو مع حب بمنزلة الرجل من نعم الرجل ، إلا أنه أجري معه مجرى الأمثال ، لا يغيّر ولا يفصل بينهما . والمعنى : محبوب في الأشياء أهل الملا غير مَيَّ ، فإنها إذا ذُكرت لا تستحق مدحاً ولا اختصاصاً ، ولا ثناءً ولا إطراءً ، فلا تُعطى هذا القول ، ولا تُذكر عند الدعاء بالشقيا ، ولا تدخل عند الحمد أو الحب في الذكري . وقولها « فلا حبذا هي » جمل ألف ذا على انفصالها تأسيساً ، لأن الروي من اسم مُضْمَرٍ وهو هي .

(١) التبريزي : « كنزة أم شملة المنقرى في مية صاحبة ذى الرمة . وقيل : هي لذي الرمة ، وذلك أنه كان يشبه بمية وكانت من أجل للناس ولم ترق قط ، فجعلت لله عليها أن تنحر يدنة أول ما تراه . فلما رآته وأت رجلاً دميماً أسود ، فقالت : واسوءناه ! فقال ذو الرمة فيها : « . سبقت ترجمة « كنزة » في الحماسية ٢٤٠ ص ٧٠١ . وفي الأغاني (١٦ : ١١٤) وأماله للزجاجي ٥٧ أن تلك الأبيات قيلت على لسان ذى الرمة بنية الإفساد بينه وبين صاحبه . وانظر ملحقات ديوان ذى الرمة ٩٦ - ٩٧ .

(٢) التبريزي : « أبيض صافيا » .

وقولها « على وجه مَيَّ مَسْحَةٍ » تريد أن ظاهرها حَسَنٌ ، كأن الله عز وجل قد مسحها بالجمال مَسْحًا ، ويكون أصله من المَسَحَ باليد ، وقد استُعمل في الدعاء فقيل للمريض : مَسَحَ اللهُ ما بك من علة ، وقيل أيضاً : هو ممسوح الوجه أى مستوى الخلقه . وقولها « وَتَحْتَ الثَّيَابِ الْخِزْيُ » تريد أن ما سوى المعاري منها مما هو مؤاَرى من بدنِها ، ومَسْتَوْرٌ بثيابها ، قبيح . وقولها « لو كان بادياً » جواب لو مُقَدَّمٌ عليه . أرادت : لو ظهر الخافي منها كان خِزْياً . ثم شبهتها بالماء يتناهى صفاؤه ولونه ، ويتراءى للنَّاطِرِ زُرْقَتُهُ ، وينحسبُ عَذْبًا سَلْسَلًا فإذا هو مَنِحٌ أَجَاجٌ ، حتَّى إذا وَرَدَهُ الْوَارِدُ فَفَظَرُ إِلَيْهِ صار كأنه يَبْدُهُ من نفسه بظاهِرِهِ عُدُوْبَةٌ ، فإذا طَعَمُهُ يُخَافُ ولا يَبْنِي ، بل يُعْطِيهِ مَهَارَةً . هذا إِذَا رَوَى « يُخَافُ » لأنَّه من الخُلف في الوعد ، وقد رَوَى « يَخْلُفُ » فيكون من الخُلوْف : التَّغْيِيرُ . وفي الحديث « خُلوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عند الله من رِيحِ الْمِسْكِ » والمراد أن ظاهرَ هذه المرأة كظاهر هذا الماء ، وباطنُها كباطنِه فكما أن وارد هذا الماء وقد اضطرَّه الْعَطَشُ وساقه حرارةُ الْجَوْفِ وَالْفَلَةِ يَصْدُرُ عنه وقد تضاعفَ ظمؤُه وتزايدت حرَّتُه ، كذلك هذه المرأة للكاشف عن أمرِها ، والذَّائِقِ بعدَ الاغْتِرَابِ بها . وقولها « بأضعاف الذي جاء » ، [تريد جاء^(١)] عليه ، خذف حرفَ الْيَجْرِ وَوَصَلَ الْفِعْلُ بنفسه ، فصار جاءهُ ، ثم حَذَفَ الضَّمِيرَ مِنَ الصَّلَةِ اسْتِغْنَاءً واستطالةً لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً : الموصول ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول . وَمَنْ جَوَزَ حَذْفَ الْجَارِ وَالْجُرُورَ مِنَ الصَّلَةِ فَالْأَمْرُ عِنْدَهُ أَقْرَبُ . وانتصب « ظامناً » على الحال .

وقولها « فلو أن غيلان الشَّقِيَّ » تعني به ذا الرُّثْمَةِ ، لأنه كان يَنْسَبُ بِمِثَّةٍ^(٢) ، وكان يسميها مرةً مِئاً ومرةً مِئَةً . فتقول : لو أنها تجرَّدت له لتبرأ منها وتقدم

(١) التكلة من ل .

(٢) في الأصل : « يشبهها » صوابه في ل .

على ماسيرُهُ من النَّسِيبِ فيها . وانتَصَبَ «مُجَرَّدَةً» على الحال . وأشارت بهذا من قولها «لما قال ذالِيا» إلى مُجَرَّدِ مَيَّةَ ، أى ما حَدَّثَ نَفْسَهُ بأنه له . ويُرْوَى : «لما قال آلياً» وهذا يتعلّق بما بعده . أرادت : لما قال كقولهِ فيما سَلَفَ ذالِيا . وآلياً ، أى مَقْصَرّاً عندَ نَفْسِهِ فى دَعْوَاهُ ، وأَعْرَفَ تَشْبِيهَهُ^(١) إلى غيرها ، وَلَتَسَلَّى مِنَ النِّسَاءِ رَأْساً . وَزَهْدٌ فِيهِمْ اسْتَبْشَاعاً لَهَا . وآلياً ، من قولك : لا آلو فى كذا ، أى لا أَقْصَرُ ، وينتصب على الحال . وقولها : «لَرَدَّةٌ» ، اللام جواب يمين مضمرة . وذكر بعضهم أن معنى آلياً حالفياً ، أى كان لا يُقْسِمُ بها ، وهذا خطأ ، لأنّه كان يَجِبُ أن يكون مُوَلِيّاً . ألا تَرَى أَنَّهُ يُقال : آليتُ فى اليمين إيلاء . وقيل : آا : تَوَجَّعُ فهو كَأَوْه ، والمعنى : لم يَقُلْ لما يَسْتَعِجِدُ من الزَّهْدِ فيها آالى ، متأوِّهاً ومتوجِّعاً — وهذا كما يُقال فى الأمر وقد نكأ فى متوليه : شقاء لى ، بكاء لى ، وأشقى لى ، وأبكى لى — وجداً بها ، فعلى هذا يكونُ آالى حكاية صوتٍ موضعه رفعٌ بالابتداء ، ولى خبرُهُ ، والأوّل أقرب عندى .

٦٦٩

وقال أبو العتاهية^(٢) :

- ١ - جُزِيَ الْبَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنَى بِحَفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِى
- ٢ - أَعْلَى وَأَكْرَمَ مِنْ يَدَيْهِ يَدَى فَعَلَمْتُ وَنَزَهَ قَدْرُهُ قَدْرِى
- ٣ - وَرَزَقْتُ مِنْ جَدَّوَاهُ حَافِيَةً أَلَّا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِى
- ٤ - وَغَنَيْتُ خَلَوْا مِنْ تَقْضُلِهِ أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعُذْرِ
- ٥ - مَا فَاتَنِ خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَتْ عَنَى يَدَاهُ مَوْثُونَ الشُّكْرِ

(١) ل : «نسيه» .

(٢) لقب له ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، شاعر عباسى منشوء بالكوفة . وأكثر شعره فى الزهد . توفى سنة ٢٠٥ . الأغاني (٣ : ١٢٢ - ١٧٦) والشعراء ٧٦٥ - ٧٦٩ .

يقول: جَزَى اللهُ الْبَخِيلَ عَلَى بَمَالِهِ خَصَلَةً صَالِحَةً، فقد خَفَّ تَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِي، لِسَقُوطِ مِنتِهِ عَنِّي، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَجَلَّنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ، وَأَكْرَمَ مَحَلِّي إِذَا أَخْلَانِي مِنْ عَارِفَتِهِ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَبْتَذِلْهُ لِعَطِيَّتِهِ، وَرَفَعَ يَدِي وَكَرَّمَهَا حِينَ لَمْ يَشْنِهَا بِمِرْزِيَّتِهِ، فَزَرَفَنِي اللهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ، وَالتَّطَلُّوقِ بِإِفْضَالِهِ، وَاسْتَفْنَيْتُ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرٍّ، مُنْصَرِفًا مِنْ تَفَضُّلِهِ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ يَبْسُطُ عُذْرَهُ حِينَ لَمْ يَجِدْ عَلَيَّ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي.

ولما قال: أَعْلَى يَدِي فَعَلْتُ، كَانَ الْأَحْسَنُ فِي مَقَابَلَتِهِ أَنْ يَقُولَ: وَزَرَّةٌ قَدْرِي قَنَزَةٌ. وَيُقَالُ: فَلَانُ تَزِيهٌ كَرِيمٌ، إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّوْمِ. وَقَوْلُهُ «أَلَّا يَضِيقُ» لَكَ أَنْ تَرْفَعَهُ وَأَنْ تَنْصِبَهُ، فَالْتَّصِبْ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَنْ النَّاصِبَةِ لِلْأَفْعَالِ، وَالرَّفْعُ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْ مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَيَكُونَ اسْمُهُ مُضْمَرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَنَّهُ لَا يَضِيقُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُهُ. وَالْعَافِيَةُ: مُصَدَّرٌ كَالْعَاقِبَةِ، وَمِثْلُهُ مَا أَبَالِيهِ بِالْيَةِ، وَقَمَ قَائِمًا؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ يَكُونُ اسْمًا لِلْمُصَدَّرِ وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي بِنَاءِ الْمَفْعُولِ. وَمَوْضِعُ «أَلَّا يَضِيقُ» نَصَبٌ بِكَوْنِهِ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ عَافِيَةً. وَانْتَصَبَ «خِلَا» عَلَى الْحَالِ. وَجُمْلَةُ الْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يَفْتِنْنِي إِحْسَانُ رَجُلٍ لَمْ يَكُزَمْنِي لَهُ شُكْرُ إِفْضَالٍ، وَلَمْ يَحِبَّ بِفَعْلِهِ بِي عَلَى اعْتِدَالِهِ.

٦٧٠

قال ابن عبدل الأسدي^(١):

- ١ - أَضْحَى عُرَاجَةً قَدْ تَعَوَّجَ دِيبُهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ تَعَوَّجَ الْمِسَارِ
 - ٢ - وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُرَاجَةٍ خِلْتُهُ فُرِجَتُ قَوَائِمُهُ بِأَيْرِ حِمَارٍ
- أَرَادَ أَنْ يَظْهَرَ أَنَّهُ يَجْهَرُ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالسَّوَةِ. وَضَرَبَ الْخَنَاءَ وَالْفُحْشَ مَثَلًا

(١) سبقت ترجمة الحكم بن عبدل في الحماسية ٤٥٠ ص ١٢٠٤.

له في هجوه ، فأما المعنى فظاهر ، وإنما شبه تعوّج دينه على كبريته وسنّه بتعوّج
المسار في العمل ، وقد تجزّ عتّا محل ، فإن أكره على النفاذ انكسر ؛ وإن
طلب نزعه ليجعل أقوى منه بدله تمسّر ، فكذلك عراجه في اعوجاج
دينه والتوائه ، لا صرفه وردّعه ممكن ، ولا احتماله عليه مسوّغ .

٦٧١

وقال أم عمرو بنت وقدان :

١ - إن أنتم لم تطلبوا بأخيكُم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق

٢ - وخذوا المكاحل والمجاسيد والبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق

٣ - ألهاكم أن تطلبوا بأخيكُم أكل الخزير ولفق أجرّد أبحق

تقول : إن ضيعتم دم أخيكُم ، وقعدتم عن الانتقام له ، لتقصيركم في طلب
ثأره ، فضعوا السلاح واطرحوه بالأبرق . ويقال : وحش بثوبه وبسيفه ، إذا
رمى به بعيداً . وفي الحديث : «وحشوا برماهم»^(١) ، أي رموا بها . ويجوز
أن تريد توحشوا ، أي صيروا مع الوحش حياء من فعلكم ، وهاجروا الناس
وحائبوهم . والعرب تقول : إذا أظلم الليل تأنس كل وحشي ، وتوحش كل
إنسي . يريدون بتأنس استأنس ، وتوحش استوحش . ومثل وحش بمعنى
توحش قدّم بمعنى تقدّم ، ونبه بمعنى نبه . وعلى هذا يحمل قول امرئ القيس :

وأنا المنبّه بقد ما قد نؤموا وأنا للمعان صفحة الذوام

لأنه إن لم يجعل مفهيه بمعنى متنبّه يصير عجز البيت كصدّره في أنها بمعنى

(١) هو من حديث علي رضي الله عنه ، أنه لقي الخوارج فوحشوا برماهم واستلوا
السيوف . اللسان (وحش) . وفيه أيضاً : «ومنه الحديث : كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتم من حديد ، فوحش به بين ظهرائي أصحابه ، فوحش للناس بخواتيمهم» .

واحد . وقال بعضهم : وَحْشُوا معناه اطلبوا صَيْدَ الوحش وتقوّتوه . وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه ؛ لأن معناه فارقوا الناس والكُون معهم .
وَحْشَتِ الأبرقَ لأنه كان مما وَلِيَهُمْ ، وهو المكان فيه حجارة سودّ وببيض .
ويقال : جبل أبرق ، إذا كانت طاقاته سوداً وبيضاً .
وقولها « وَخَذُوا المَكاحِلَ » ، تريد : اجعلوا بدلَ السِّلَاحِ آلاتِ النساءِ :
والمَجاسِدِ : جمع المَجْسَدِ ، وهو الثوبُ المُشَبَّعُ صِبْغاً . والجَسَادُ : الزعفران .
والتَّقَبُّ : جمع نُقْبَةٍ ، وهي إزارٌ تُجعل له حُجْزَةٌ كحُجْزَةِ السراويل تلبسه المرأة . قال :

بيضاء مثل القلب^(١) في نُقْبَةٍ وإثب

والإثب : القميص .

والعنى : إن لم تتأروا لصاحبكم فتزبوا بزى النساء فإنكم إناث ، وبئس رهط المُرَهَقِ : المضيّق عليه أتم . وحذَفَ المذموم ببئس ، وهو أتم ، لأن المراد مفهوم . وهذا الكلام بَمَثٍّ وتحضيض على طلب الدَمِ ، فهو كقول أختِ عمرو حين بعثتْ عمرأ على طلب دَمِ أخيه عبدِ الله فقالت :

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكُم فمشوا بأذانِ النعامِ المصَلِّمِ^(٢)
ولا تردوا إلّا فضولَ نِسائِكُم إذا ارتملتْ أعقابهنّ من الدَمِ .

وقولها « ألماكم أن تطلبوا » تهيج وإغراء . والخزير : حساء يُحسَى .
والأجرد : الأحمق ، يرادُ به نحى أوزق دِئس . والأحمق : القليل ، كأنه بصير لكم تحقّقاً لا يبارك الله فيه ، وأحمق من باب أفل الذى لا فعلاء له . والأحمق ، هو لما فى الذئب لا له ، فتوسّع فيه .

(١) القلب ، بثلاث القاف : قلب النخلة ، وهو بخارها .

(٢) سبق البيتان فى الحماسية ٥٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٦٧٢

وقالت امرأة من طي^(١) :١ — فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي قَتَلَتْهُمْ عِمَارَةً من السَّرَوَاتِ والرُّهُوسِ الذَّوَائِبِ^(٢)

٢ — صَبَرْنَا لِمَا بَأْنَى بِهِ الدَّهْرُ عَامِدًا وَلِكَيْمًا أَثَارَنَا فِي مُحَارِبِ

٣ — قَبِيلٍ لِنَاثٍ إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَغْلِبُونَا يُوجِدُوا شَرًّا غَالِبِ^(٣)

العِمَارَةُ : الحى العظيم يطبق الانفراد ، وقد يفتح العين منه فيقال : العِمَارَةُ ، لُغَةً . ومثله العَمِيرَةُ ، وقيل : هما جميعاً البطن . والسَّرَوَاتُ : الرُّهُوسُ .

والذَّوَائِبُ : الأعلى ، وهو جمع ذَوَابَةٍ ، واستعملوا الذنائب في خلافه ، وهو جمع ذُنَابَةٍ ، وهما اسمان في الأصل وُصِفَ بهما . وَأَثَارٌ : جمع الثَّارِ . يقول : هم الذين أصابونا عن ذلتهم وخستهم ، فالتبلاء أعظم ، وقرج القلب أوجع ، ولو أصابنا غيرهم كان الخطب أيسر ، والصبر عليه أوسع . وهذا كما يقال في المثل السائر : « لو ذات سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » .

وقولها « قَبِيلٌ لِنَاثٍ » ، هو تفصيل ما أجمله . وقولها « إِنْ ظَفَرْنَا عَلَيْهِمْ » عَدَى ظَفَرْنَا تعديّة علّونا ، لأنه في معناه ، وهم يحملون الضمير على الضمير . والمعنى : لا اشتفاء في الانتقام منهم إذا نيلوا ، ولا يُنِيمُونَ طَلَابَ الأوتار إذا ثأروا . وجواب الشرط ، وهو قوله إِنْ ظَفَرْنَا ، متقدّم يشتمل عليه قوله « قَبِيلٌ لِنَاثٍ » ، لأن فيه معنى الفعل .

(١) للتبريزى : « وهى عاصية البولانية » .

(٢) روى قبيله اتبريزى :

أَعَاصِي جُودِي بِالذَّمُوعِ السَّوَاكِبِ وَبَكِّي لَكَ الْوَيْلَاتُ قَتَلِي مُحَارِبِ

(٣) التبريزى : « إِنْ ظَهَرْنَا » .

ومثل قولها « وَإِنْ يَغْلِبُونَا يَجِدُوا شَرًّا غَالِبٌ » قولُ امرئ القيس :

* وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَغْلَبٍ ^(١) *

إلا أنه في النَّسَبِ .

٦٧٣

وقال آخر ^(٢) :

١ - إِذَا مَا الرِّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمٍ فَأَلْجَأَهُ الزَّمَانُ إِلَى زِيَادٍ ^(٣)

٢ - تَلَقَّاهُ بَوَاحٍ مُكْفَهَرٍ كَانَ عَلَيْهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ

الإحجام : النكوص عن القرن هيمه له . وقد توسَّعَ به هنا . وضده

الإقدام . ويقال : نكصَ على عقبه . والمكفهر : المستقبل بكرهه وتغضُّن

وجهه . ويقال : سحابٌ مكفهرٌ ، إذا تراكم ، ووجهٌ مكفهرٌ . ويروى :

« بوجهٍ مقشعرٍ » ، والأصل في الاقشعرار تقبُّض الجلد وانتصاب الشعر ، ثم

يُتوسَّعُ فيه فيقال : اقشعرت الأرض والنباتُ والسَّنة . والمعنى ظاهرٌ ، وهو

أن العاقبَ إذا وردَ عليه تلقاه ببؤسٍ ، كأنه اجتمع عليه لورود واحدٍ من الناس

أرزاق الخلق كلهم . وجوابُ إذا « تلقاه » .

٦٧٤

وقال أبو محمد الزيدى ^(٤) :

١ - عَجَبًا لِأَحْمَدَ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ أَيْ يُلَوِّمُ عَلَى الزَّمَانِ تَبْذُلِي

(١) تمامه :

فإنك لم يفخر عليك كفأخر ضيف ولم يغلبك مثل مغلب

(٢) التبريزي : « وقالت غيرها » .

(٣) التبريزي : « وألجأ » .

(٤) هو يحيى بن المبارك بن المنيرة العدوي ، أبو محمد الزيدى النحوي المقرئ اللوى =

- ٢ - إِنَّ الْعَجِيبَ لِمَا أُبْثِكَ أَمْرَهُ مِنْ كُلِّ مَنَلُوجٍ الْفَوَادِ مُهْبَلٍ
 ٣ - وَغَدٍ يُلُوكُ لِسَانَهُ بِلَهْمَانِهِ وَتَرَى ضَبَابَةً قَلْبِهِ لَا تَنْجَلِي
 ٤ - مُتَصَرِّفٍ لِلنُّوْكِ فِي غُلُوءَانِهِ زَرَمِ الرُّوءَةِ جَامِحٍ فِي الْمِسْحَلِ
 ٥ - وَإِذَا شَهِدْتَ بِهِ بِجَالِسِ ذِي النُّهَى وَبَكَتْ سَحَابَتُهُ بَنُوكِ مُسْهِلٍ^(١)
 ٦ - غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ فَسَمَا بِهِ وَكَتَبَا الزَّمَانُ لَوَجْهِهِ وَالْكَذْكَالِ

قوله « والعجائب جمة » اعتراض بين أحمد وقصته التي عجب منها .
 ويقال : أمرٌ عَجَبٌ وعَجَابٌ وعَجِيبٌ وعَاجِبٌ . وأبلغ هذه الأبنية العُجَابُ .
 وانتصب « عَجَبًا » على المصدر . يقول : أنعجب لأحمد كيف أنكر خلق
 وطريقي ، حتى لا متى في تبدل على تفكير الأيام وتغيرها ، ومن أين استطرف
 مارأى من حالي وقصتي ، ومقتضى الوقت وموجب حكمه لا يدعوان إلى غيره .
 ثم أقبل يخاطب أحمد بعد الإخبار عنه فقال : إِنَّ الْعَجَبَ مَا أَطْلَعَكَ عَلَيْهِ
 وَأَبْأَثَكَ فِيهِ ، وَأَكْشِفُ لَكَ مُسْتَوْرَهُ وَخَافِيَهُ ، مِنْ كُلِّ رَجُلٍ بَطَى الْفَهْمُ ، مِيتَ
 الْخَاطِرُ ، مَدْعُوٌّ عَلَيْهِ بِالْهَبْلِ لِنَقْلِهِ وَعَجْزُهُ غَيٌّ ، عَيْيٌّ ، إِنَّ حَدَثَ أَدَارَ لِسَانَهُ
 فِيهِ يَمْضَغُ كَلَامَهُ ، وَإِنْ أَتَيْتَ خَانَ ، وَكَانَ ذَا لَوْنَيْنِ لِنِفَاقِهِ ، وَكَأَنَّ قَلْبَهُ
 قَدْ رَيْنَ عَلَيْهِ لِمَا يَضْمِرُهُ مِنْ غِلٍّ ، فَعَلِمَهُ لِكُلِّ أَحَدٍ ضَبَابَةً ، فَلَا تَصْفُو
 نَيْتَهُ ، وَلَا تَخْلُصُ طَوَيْتَهُ ، مُتَصَرِّفٍ فِي غُلُوءِ الْحَقِّ وَارْتِفَاعِهِ وَانْتِهَائِهِ ، قَلِيلٍ

= مولى بنى عدى بن عبد مناة . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبي عمرو والخليل ، وأدب
 أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، ونسب إليه ، ثم أدب المأمون . قال المرزباني :
 « وكانت مرتبته أن يدخل إليه مع الفجر ، ويصلى معه ، ويدرس عليه المأمون ثلاثين آية » .
 وسأله مرة عن شيء فقال : لا وجهلى الله فذاك ! فقال المأمون : لله درك ، ما وضعت الواو
 في مكان أحسن من موضعها هذا ! توفى بخراسان سنة ٢٠٢ . بنية الوفاة : ٤١٤ - ٤١٥
 ومعجم الأدباء (٢٠ : ٣٠ - ٣٢) وابن خلكان (٢ : ٢٣٠ - ٢٣٣) ومعجم
 المرزباني ٤١٩ وتاريخ بغداد ٧٣٦٥ .

(١) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بنو » .

المروءة، زَرَمَ الحَمِيَّةَ، بِرَكْبُ رَأْسِهِ فِيمَا يَبْعَنَ، وَيَبْقُلُ عَنِ الْقَصْدِ فِيمَا فِيهِ
يَجِدُّ، وَيَمْضِي قُدَمًا فِي الشَّرِّ فَلَا يَرْتَدِعُ، وَيَعْلُو عَلَى زَاغِرِهِ فَلَا يَرْجِعُ، وَلَا
يَقِفُ وَإِنْ كَبِحَ بِلِحَامِ الْمَنَعِ، وَلَا يَرْغَوِي وَإِنْ أُوذِنَ بِالْهَلَكِ؛ ثُمَّ إِنْ
حَضَرَتْ بِهِ مَجَالِسَ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ، سَالَتْ سَحَابُهُ جِهْلَهُ بِحَقِّ تَلْطِمْ أُمُوجِهِ،
وَتَتَدَافَعُ بِصَوْبِهِ أَرْكَانُهُ؛ وَعَلَى مَا بِهِ مِنَ النَّذَالَةِ وَالْجَاهِلَةِ رُزِقَ جَدًّا فَحَظَى،
وَعَلَبَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ بِمَا قَسِمَ لَهُ قَلَمِي، وَذَلَّ لَهُ الدَّهْرُ فَكَبَا لَصَدْرِهِ وَوَجْهَهُ
ضَارِعًا، وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ صَاغِرًا، حَتَّى أَدْرَكَ مَا شَاءَ مِمْدًا فِي شَأْوِهِ، مُشْتَرِفًا
فِي شَأْنِهِ، آخِذًا قَصَبَ السَّبْقِ فِي مِيدَانِهِ، فَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَالْمَجِيبُ هَذَا، وَإِنْ
اسْتَفَكِرْتَ فَالْمُسْكِرُ هَذَا.

وَبُرْوَى :

غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ وَسَمَا بِهِ فَكَبَا الزَّمَانُ

فَيُجْمَلُ الْفِعْلُ لِلزَّمَانِ وَيَكُونُ مَعْنَى سَمَا بِهِ رَفَعَهُ . ثُمَّ أَخَذَ يَدْعُو عَلَى الزَّمَانِ
فَقَالَ : سَقَطَ لُوجُهُهُ وَكُلُّكِلِهِ ، حِينَ اخْتَارَ مِثْلَهُ لِإِحْسَانِهِ ، وَهَذَا حَسَنٌ جِدًّا .
وَالْوَعْدُ : الدَّيْثُ ، مِنْ قَوْلِكَ : وَغَدَتُ الْقَوْمَ إِذَا خَدَمْتَهُمْ ^(١) . وَالنَّهْيُ :
الْمَقُولُ ، وَالوَاحِدَةُ نَهْيَةٌ . وَالنُّوْكُ : الْخُلُقُ . وَالْمُسَحْلَانُ : حَلَقَتَا شَكِيمِ اللَّجَامِ ،
وَالْجَمِيعُ لِلْسَّاحِلِ . وَمَعْنَى « عَلَى الزَّمَانِ » ، عَلَى تَصَارِيفِ الزَّمَانِ ؛ فَخَذَفَ
الْمُضَافُ .

وموله « أُنَبِّئُكَ أَمْرَهُ » أَيْ أَجْمَلُ أَمْرُهُ مِمَّا تَبَيَّنَتْ وَتَحَزَّنَ لَهُ . وَالْمَثَلُوجُ
الْفُؤَادُ : الْبَلِيدُ الْخَالِي مِنَ الذَّكَاةِ وَالْحِلْدَةِ . وَاللُّوْكُ : الْمَضْغُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « إِذَا ذَنُوبُهُمْ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَفِي اللِّسَانِ : « وَالْوَعْدُ : خَادِمُ

الْقَوْمِ ، وَقِيلَ الَّذِي يَخْدُمُ بَطْنَهُ بِطَنِهِ » .

- ٧ - ولقد سَمَوْتُ بِهَمَّتِي وَسَمَّا بِهَا طَلَبِي الْمَكَارِمَ بِالْقَعَالِ الْأَفْضَلِ
 ٨ - لِأَنَّا لَمْ نَكْرَمَةَ الْحَيَاةِ وَرُبَّمَا عَثَرَ الزَّمَانُ بِذِي الدَّهَاءِ الْخَوَلِ
 ٩ - فَلَنْ غَلَبْتُ لَتَمْضِيَنَّ ضَرْبَتِي كَلَبَ الزَّمَانِ بِمَفَّةٍ وَتَجَمَّلِ

رجع إلى صفة نفسه على تفكر^(١) الزمان له ، فقال : إني وإن لم تساعدني الحال ، ولا يقوم لما أنويه المال ، فلي همة رفيعة ، ونفس أبية ، يسمو بهما ارتقائي في درجات الفضل ، وطلبي المعالي بأحسن الفعل ، لأعيش مكرماً مصوناً ، فلا يفوتني سلامة الدين والمروءة ، وإن فانتني الزيادة في الحال والمقدرة ؛ والدهر قد يعثر بالرجل التام السكر ، المبرر القوة والخول ، لجهله بموضع الصلابة ، فإن غلبني على حظي ، وتخطاني عند القسم إلى غيري ، فطيمعتي تسلبني وترضيني ، ومعرفتي بمن عنده المال والعتاد تصرف الهم عني ، فتتمحى آثار الخلدان ، وعمرامة الليالي والأيام^(٢) ، بعفاف أستعمله ، وتجمل أنزيمه ، اثلاً يشمت عدو ، أو يفرح حسود .

تم باب الهجاء بحمد الله وعونه^(٣)

والحمد لله على تظاهر آلائه ، والصلاة على سيدنا محمد وآله .

[تم القم الثالث . من شرح المروزقي للحماسة]

(١) في الأصل : « شكوا » ، صوابه في ل .

(٢) العرامة : الشدة والشراسة . وفي ل : « غرامة » تحريف .

(٣) ل : « ومنه » ، وما بعده من الكلام ليس في ل .